

BOBST LIBRARY
3 1142 00798 7384



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

157

New York University
Bobst, Circulation Department
70 Washington Square South
New York, NY 10012-1091

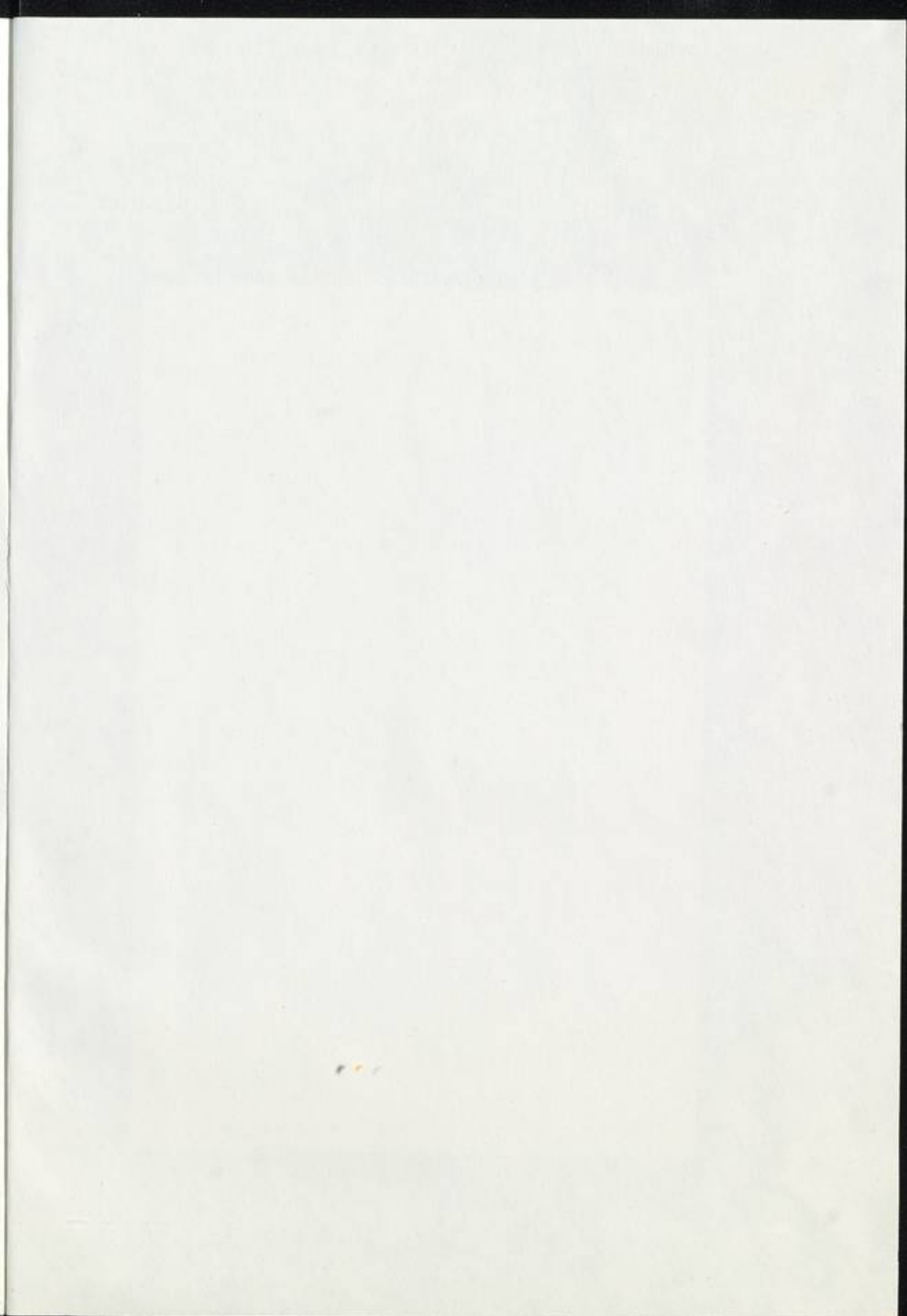
280
64

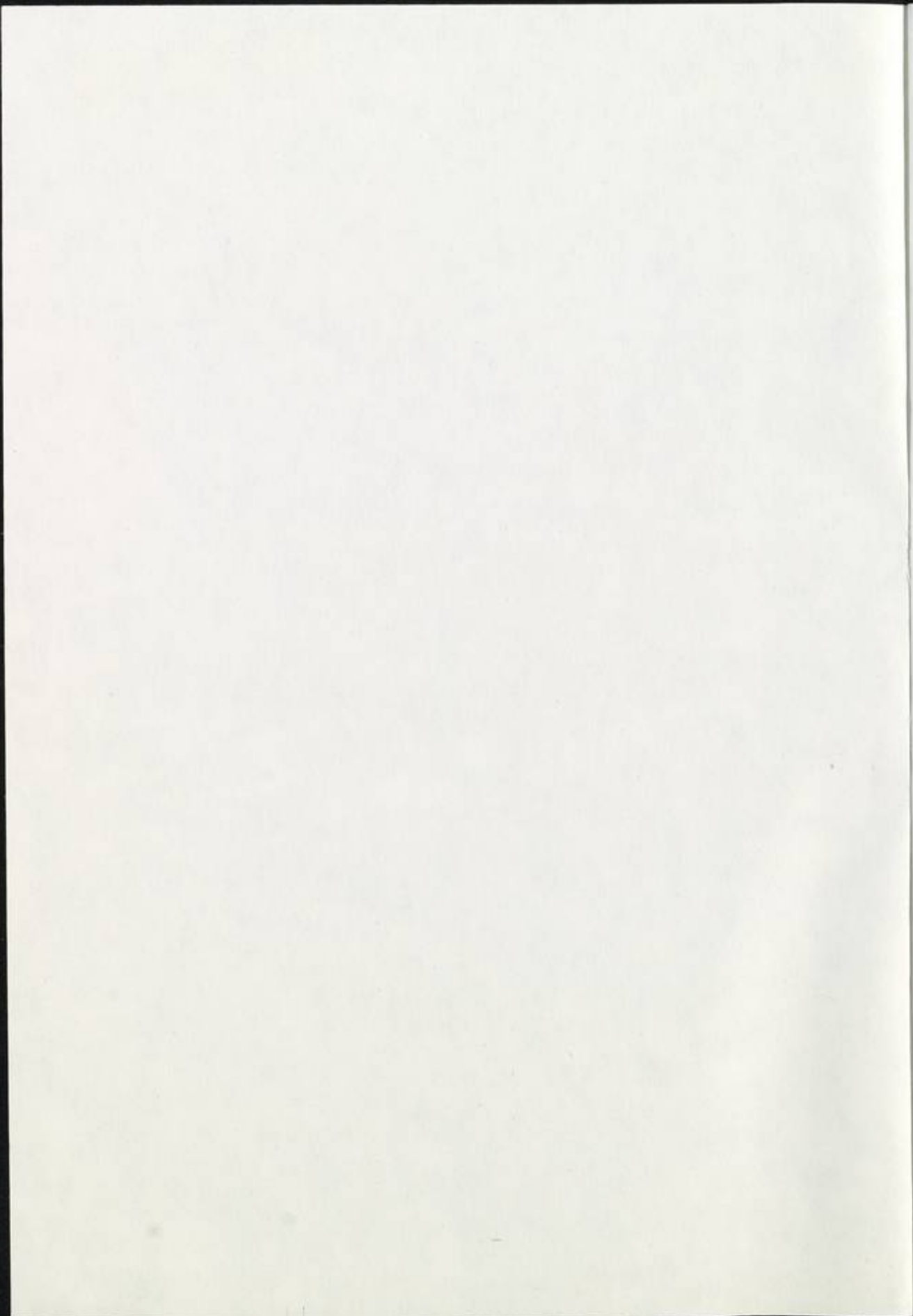
Web Renewals:
<http://library.nyu.edu>
Circulation policies
<http://library.nyu.edu/about>

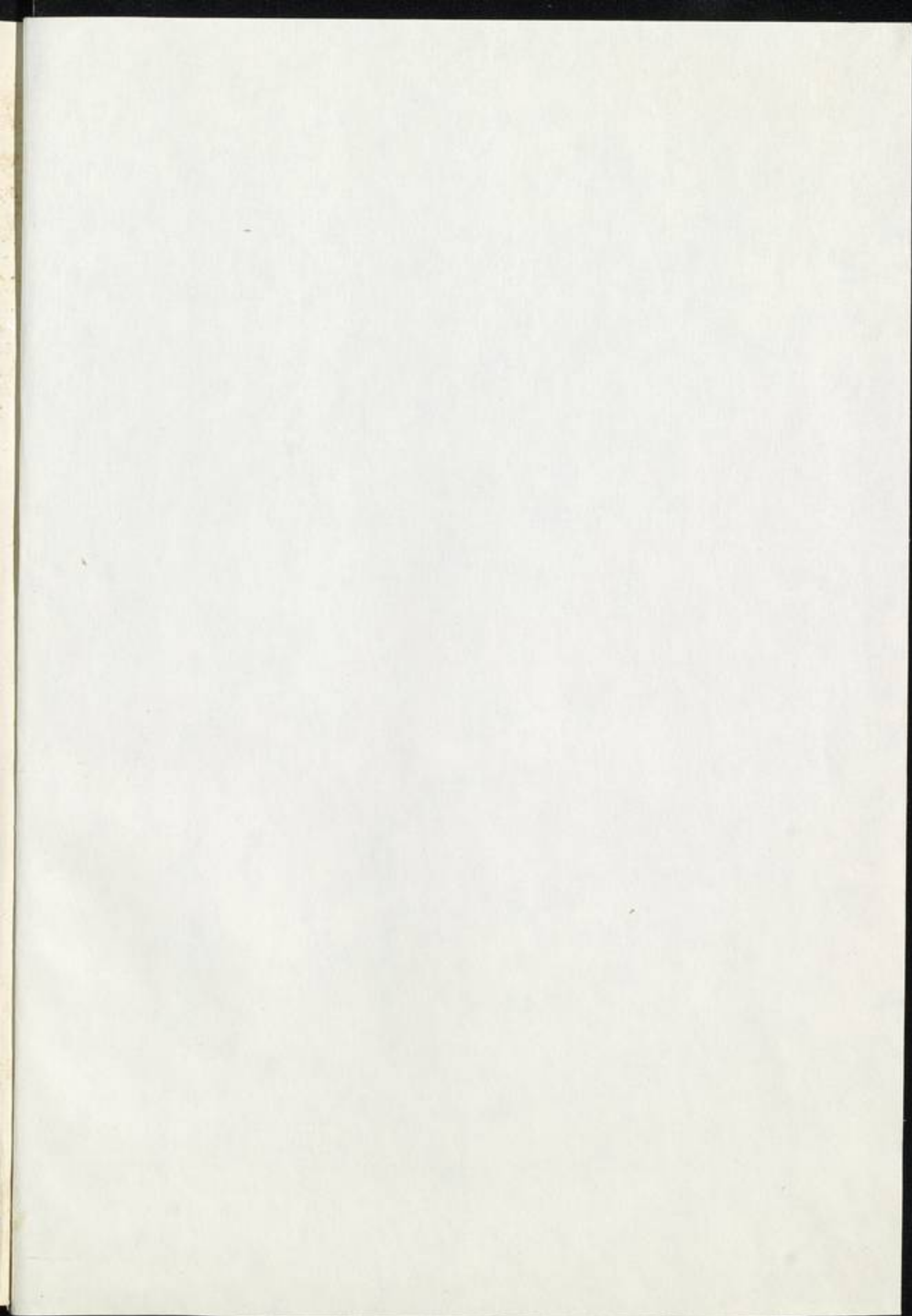
THIS ITEM IS SUBJECT TO RECALL AT ANY TIME

OCT DUE DATE OCT 31 2007 2007 BOBST LIBRARY CIRCULATION		

NOTE NEW DUE DATE WHEN RENEWING BOOKS ONLINE







AL-DAMLŪJĪ, SIDDĪQ

اليزيديين

AL-YAZĪDIYAH

يبحث عن معتقدات اليزيدية وطبقاتهم الروحية وأسمائهم وشيوخهم وتقاليدهم وعاداتهم وكتبهم الدينية ومراقدهم وأساطينهم وقبائلهم وعشائرهم والاماكن المأهولة فيهم ، وحالة اليزيدي النفسية وخالوده الى حياة الفقر ، والرحلات التي قام بها المؤلف بينهم ومخاضاته مع زعمائهم ، وبحث مفصل عن الاوهام والاختفاء التي وقع فيها الكتاب الشرقيون والغريسون فيما كتبوه عنهم وارجاعها الى اصولها ، والفتاوى التي أصدرها علماء الاسلام بحقهم واخبارهم التاريخية في الشيخان وسنجان .

مؤلفه

صديق الدملوجي

« حقوق الطبع محفوظة له مؤلف »

- طبع في مطبعة الاتحاد -

الموصل - العراق

١٣٦٨ - ١٩٤٩

فوق العادة

BL
1595
.D3
C.1

AUG 4 1983

تقريظ

الاستاذ العلامة خليل عزي بك متصرف لواء الموصل

جهد كبير متواصل حارب الكلال وحالف الصبر والثبات عشرين عاماً ، وتتمتع دقيق كافح الملل واعتضد بالتروي والأناة ليالي وأياماً ، فتم لصاحبها ما أراد من اكتشاف مطويات أمة لم يتوصل إليها غيره من شرقيين وغربيين حتى ظهر اليوم للعالم حاملاً بيده سفره الجليل « تاريخ الملة اليزيدية » جذلاً بشرة اتعابه ، متواضعاً في عرض انتاجه ، كاجراً جاح غروره شأن عظام النفوس وكبار العقول .

تاريخ قيم تلوته بدقة وامعان فوجدته طائفاً بالمعلومات الثمينة التي كانت خافية على علماء التاريخ فضلاً عن سواهم . ولهذا لم أجد ما يطمئن ضمير قلبي بتقريظه سوى قولي :

أصديق لا أدري بماذا أقرض * فلست بموف حق ما لا يعوض

١٩٤٩/٣/١٣

موصل : خليل عزي

تقریظ

- الأستاذ الجلیل ابراهیم بك الواعظ -

- رئیس محكمة استئناف الموصل -

لقد تناول الطائفة الیزیدية عدة علماء في بحوثهم الكثيرة، فمنهم من ألف كتباً، ومنهم من نشر مقالات منفصلة في هذا الموضوع، إلا ان كل واحد منهم سواء كانوا من علماء الغرب أو الشرق، لم يوف الموضوع حقه. وقد ساعدني الحظ بان اطلعت على ما أمكنتني الاطلاع عليه من أسناد، واخيراً فقد اطلعت - وأنا اشغل رئاسة المحاكم في لواء الموصل أحد ألوية العراق الشمالية - على هذا المؤلف الذي قام بجمعه وتأليفه الأستاذ الفاضل والمحقق الكامل صديق بك الدموجي أكبر افراد الأسرة الدموجية في الموصل، فانه بعمله هذا لم يترك شاردة ولا واردة فيما يتعلق بهذه الطائفة إلا وسجلها تسجيلاً موافقاً للواقع.

وقد طالعت هذا الكتاب بامعان وتدقيق، فوجدته قد تناول الخليفة في معتقد الیزيدية، فقارن المؤلف بينها وبين العقيدة الاسلامية، ودل على تلك العقيدتين، ثم استطرده الى اعتقادهم في الطوفان وظهور «يزيد» الذي يعتبره قسم منهم «الآله الأكبر» وقارنه مع ما ورد في التاريخ بحقه على وجه التفصيل. ثم فصل اعتقادهم في إقامة «طاؤوس ملك» وبما له من سلطان على الحق تعالي وتذلل له. وما يتمتعون بالجرة «مجر الككبش» ثم أخذ يجلل أخذهم كلمة «طاؤوس» وسبب اتخاذهم إلهاً وأنواعه والقبائل التي تدين به، وكيف تسربت التماثيل الى متاحف اوربا، وبين المقدسات الأخرى للیزيدية عدا الطواويس بصورة مفصلة.

ثم استطرده الى ذكر الطبقات الروحية وحقوقها، وأسرة الأسراء ونسبها وانتقال

(ج)

الإمارة إليها ، وخلص تاريخها وعاداتها وتقاليدها . وذكر « البسميرية » وهؤلاء طبقة دون الإمارة والمشايخ وتقسيمها و « البير » (١) وأقسامه ودرجاته ، والفقير وما يترتب عليه من أعمال وما يجب عليه من تقاليد ، ثم « القوال » و « المرید » و « الكوجك » وما عليه هؤلاء من الشعوذة والدجل ونبذة من تاريخ أعمالهم .

ثم تطرق الى ذكر عوائدهم بصورة تفصيلية ، فذكر « الكرافة » (٢) والتحریم والميراث والتعميد والختان وتمدد الزوجات والطلاق والاعتسال والأخوة الأخروية ودفن الأموات ، وما يترتب عليهم بعد دفن الميت ، ومراسم الأفراح ، وآمالهم في المستقبل . ثم أخذ يفصل تاريخ حياة الشيخ « عدي بن مسافر » وآله وأعقابه من الشيوخ .

وبين المديح المنسوب الى الشيخ عدي ، والقصائد الشعرية للشيخ حسن وحفيده الشيخ زين الدين يوسف ، وتناول كتب اليزيدية ، وتكلم عن كتاب « الجلوة » بأسهاب ، وعلق عليه تعليقات مهمة للغاية . وأثبت صورة العريضة التي قدمها اليزيدية حول طلب إعفائهم عن التجنيد ، وذلك لما احتوت عليه من كثير من معتقداتهم وتقاليدهم الدينية ، وأورد ما أخذته الديانة اليزيدية من اعتقادات ومبادئ من البرهمية والزردشتية والثنوية والمناوية والزندكية ، وتكلم عن ذلك بتفصيل ، ثم عاد وبحث عن اعتقاد الصوفية بالاسلام في « ابليس » وعرف عن وجه تسمية اليزيدية ، وذكر مرافق أئمتهم ومشايخهم في الشيخان وسنجار ، وأعيادهم ومواسمهم ، وبادر بالكلام عن مرقد الشيخ عدي بن مسافر واتخاذ هذا المرقد زاوية ، ورجع الى تحقيق أصاها وماذا كانت عليه قبل مجيء الشيخ عدي إليها ، وأثبت ذلك بالدلائل التاريخية ، ومنها مخطوطة لدى أحد القسس وبين ملاحظاته حولها .

وذكر العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم في الشيخان وسنجار وبقية المواقع ، وأشار الى طائفة من زعماء جبل سنجان وذوي الوجاهة منهم ، وما لهم من الأخبار المهمة ، وأبدى مطالعة فيما يحتاج اليه يزيديي سنجان من الاصلاح .

(١) معناه بالفارسية الشيخ المسن وفي اصطلاحهم المرشد والمرني

(٢) الكرافة - بمعنى الصداقة

متم تطرق للبحث عن حالة اليزيدي النفسية واستكافته وقبوله الذل والخنوع ودرجة الجبن المستحكم فيه وما يتحمله من الشدائد ، وصورة معيشته ، وتجنبه الذات وخلوده الى حياة الفقر ، ونفور المرأة اليزيدية من الرجل غير اليزيدي ، والأحكام التي تتلاق بالنكاح ، وكيفية تهريب النساء والفتيات ، وكيفية عقد النكاح ، وتعدد الزوجات ، والطلاق وبحث عن نفوسهم ولباسهم ، وأورد جملة من عاداتهم وتقاليدهم .

وبعد ان أوفى هذه المواضيع حقها بصورة منقطعة النظير ، تكلم عن رحلاته التي قام بها بين اليزيدية ، ومحادثاته مع علماءهم وذوي الرأي والمكانة منهم فكشف عن حقائق على غاية من الأهمية مما لم يكن ليتوصل الى معرفتها أحد .

ولما كان يرى ان الكتاب الذين بحثوا عنهم من شرقيين وغربيين وقعوا في أغلاط وأوهام عظيمة فيما كتبوه تناول كتاب « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » للمجاهي عباس العزاوي نقداً وتحصيماً ، وذكر الأخطاء التي وقع فيها عنهم ، وأرجعها الى أصولها الصحيحة ، وهكذا فعل فيما كتبه المستر جورج برسي بادجر ، ومؤلف رسالة « اليزيدية او عبدة الشيطان » والشيخ علي الشرقي ، والسائحة الانكليزية « مس روزيتا » والشيخ عبدالسلام المارديني ، والدكتور قسطنطين زريق واوليا جلي وأبان عن أخطائهم .

وبحث عن الوصية الكبرى للامام الشيخ ابن تيمية واحتج بها على بطلان كل ما عزي الى هذا الدين ، وأرجعه الى الديانة الاسلامية ، وبحث عن الفتاوى التي أصدرها جماعة من علماء الاسلام بحق هذه الطائفة والأثر الذي تركته على الحالة السياسية والاجتماعية في هذه البلاد .

وبعد ان فرغ من هذه الأبحاث أخذ يسرد حوادثهم التاريخية في الشيخان وسنجار وبحث بحثاً مستفيضاً عن حالة جبل سنجار وانتقال اليزيدية اليه ، وما لاقاه اليزيديون من صعوبات في الدور العثماني .

لقد صرف المؤلف جهوداً جبارة في جمع الأخبار والحوادث والمعلومات حتى اصبح مؤلفه موسوعة كبرى تجرد فيها كلاً يتعلق بهذه الطائفة من اخبار وعادات وتقاليدهم وتاريخهم

وتاريخ البلاد التي يسكنونها بصورة تفصيلية ... وان هذه الجهود العظيمة استغرقت مدة تتجاوز العشرين سنة ، كان المؤلف خلالها يتنقل من بلدة الى اخرى ، ومن قرية الى قرية ، ويجتمع بهذا وذلك ، واذا ما طرق سمعه خبراً أو حادثاً ، شد الرحال غير مبال بجميع العقبات التي تقف أمامه ، وكم من مرة تعرض المؤلف للموت في سبيل تحقيق أمنيته هذه ، وقد توصل اليها غير مكثرت ، ولا مبال بما لاقاه من أتعاب ، وما بذله من مال .

والحق أقول ان هذا السفر الجليل هو من الأسفار العظيمة الفائدة ، إذ ان المطلع على ما فيه يستوفي معلومات تاريخية مهمة تخص هذه الطائفة وغيرها من الملل ، كما وأنه يطلع على أحوال بلادهم ، وما جرت على تلك البلاد من ويلات .
فاني أقدم الي القراء الكرام هذا الكتاب الجليل ، بهذه الكلمة المتواضعة ، والله من وراء القصد .

ابراهيم الواعظ

رئيس محكمة استئناف الموصل

شكر وثناء

إني أشكر الاستاذين الجليلين خليل عزمي بك متصرف لواء الموصل و ابراهيم بك الواعظ رئيس محكمة استئناف الموصل على تقريظهما كتابي هذا كما اني أقدم وافر الشكر الى اخواني الافاضل الذين شجعوني على اخراجه وأخص بالذكر الاستاذ العلامة الدكتور داؤد بك الجلي فانه أمدني بأرائه السديدة في كثير من المسائل التي تناولت البحث عنها ولاحظت مسودات كتابي وأجرى التصليح عليها .

ولا يسعني من التنويه بفضل جماعة من « كرفائي » الشيوخ والبيرة والقوالين الذين لم يدخلوا علي باعطاء كل ما احتجته من اخبار ومعلومات عنهم وحديثهم معي دون تحفظ وتكتم .

المؤلف

اهراء الكتاب

الى صديقي الذي لا أبوح باسمه وهمسة في أذنه

صاحبتك ثلاثين عاماً وهي مدة تكفي لأن تقرب بين اثنين مهما اختلفا في المبدأ
والعقيدة والروح وفي كل شيء . بالفت في احترامك مجازاة لقومك ، اجتنبت عن
ذكر اسمك عملاً بوصيتك التي تقول فيها : « لا تذكرن اسمي ولا صفاتي لئلا تذبوا . »
حضرت مراسم أعيادك ، اشتركت في الحفلات التي تقام لأجلك عملاً بما يحتمه علي
واجب الصداقة . ولا أكتفك أني مغتبط جداً بك ، وفيك من الذكاء والفطنة والألمعية
وخفة الروح ما حبيبك إلي وفتني بك . واذا كنت اكتفيت بجعلك صديقاً لي ولم
أخذك أستاذاً كما فعله أبو الحسين الصوفي الحلّاج قبلي ، فلنكل منا فيك وجهة نظر ،
وخاتمة الصوفي الحلّاج كما تعلم كانت ألّية جداً .

إن فطنتك ونباهتك هما اللتان جعلتاك سيداً لشعب عظيم دان بك سبعة عصور كاملة
فصار بيدك آلة ماضية توجهها الى محور أعدائك فكنت موفقاً .

ولكن اسمح لي ان أحس بأذناك أن شعبك هذا الذي دان بك طيلة هذه العصور ،
وقدم لك القرابين والندور ، وأحرق لك الند والبخور ، وتمرغ تحت أقدامك ، وذرف
الدمع على أعتابك ، قد مل معاشرتك وأخذ يشعر بأنه كان مخدوعاً بك ، ويريد الآن
ان يخرج من طاعتك لما لاقاه من عنت واضطهاد في سبيلك ، وأقله ان أنكره أخوه
الانسان ، وأنكر عليه حقه في الحياة .

أنت يا صديقي عصبي المزاج ، سريع الانفعال ، فيك عنجبية وعجب وغرور ، وهذا
ما جعلك تضحى بمكانتك الرفيعة السامية في عالم الملكوت . فرجائي منك ان لا يأخذك
الغضب عندما أفشي لك هذا الخبر ، وأنا لم آت به من عندي وتعلم أني واقف على خفايا
القوم وما تكنه صدورهم .

إن رفض شعبك طاعتك يعد كارثة بالنسبة اليك ، ولكن ما العمل وقد أدرك هذا
العصر الذي يعبرون عنه بعصر المدنية والنور . وقد استنار عقله ، واتسعت مداركه ،
ويريد ان يندمج في هذه الحياة ويأخذ منها نصيبه . يريد ان يلتحق بركب الحضارة

(ح)

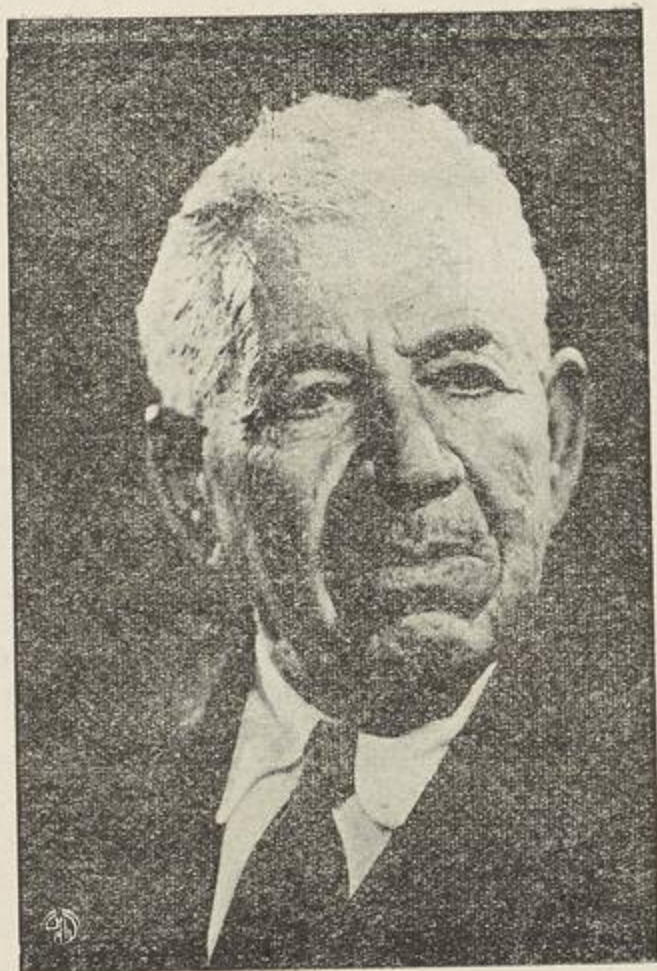
المهذبة ويغسل عنه وضر الجهل والضلال الذي دنسته به . ولذلك فنصيحتي لك ان تتحمل هذه الصدمة بثبات وشجاعة ولا تياس ، وسوف لا تعدم أناساً ينخدعون بك . لنتكلم يا صديقي بصراحة - وإن لم تكن تحب الصراحة - لقد كنت قاسياً جداً على هذا الشعب ، ولم يكن لفسوتك عليه حد . أنت تعرف تاريخ الأمم والشعوب والأديان أكثر مني ، وقد سائرتها في جميع أدوار حياتها منذ الخليقة . قل لي بربك هل رأيت متشرعاً فرض على قومه الجهل والغبارة وحرهم من العلم والتعلم ، وأنزلهم منزلة الحيوانات السامة كما فعلت ؟ ما ضررك لو جمعت فيهم من الذكاء والفطنة والعقل والتفكير شيئاً وهم قومه الخاص ، وأولادك الذين يحملون اسمك عار عليك ان يكـونوا هكذا أغبياء وهذا لا يتفق مع عبقريتك .

لقد حكمت عليهم بالمنزلة والانفراد ، وأفهمتهم أنهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وان البشر جميعهم أنجاس قذرون وحظرت عليهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم وحرمتهم من المزايا الانسانية ، وأوجدت فيهم طبقات متباينة ، وجعلتهم خاضعين لطبقة مبرتها عليهم وأطلقت يد هذه الطبقة في مقدراتهم وعقولهم وأرواحهم وأجسادهم ، وأذرتهم بالفحط والغلاء والفقر والجوع والمرض والموت اذا خالفوك . وقد أطاعوك طاعة عمياء ونزلوا عند كل ما أمرتهم به ، ولكنهم مع كل ذلك بقوا في فحط وغلاء وقتل وجرح ومرض وموت ، واصبحوا سخرية للعالم وأخذ الناس يأتون من أقاصي البلاد لمشاهدتهم كمن يأتي لمشاهدة متحف اللآثار .

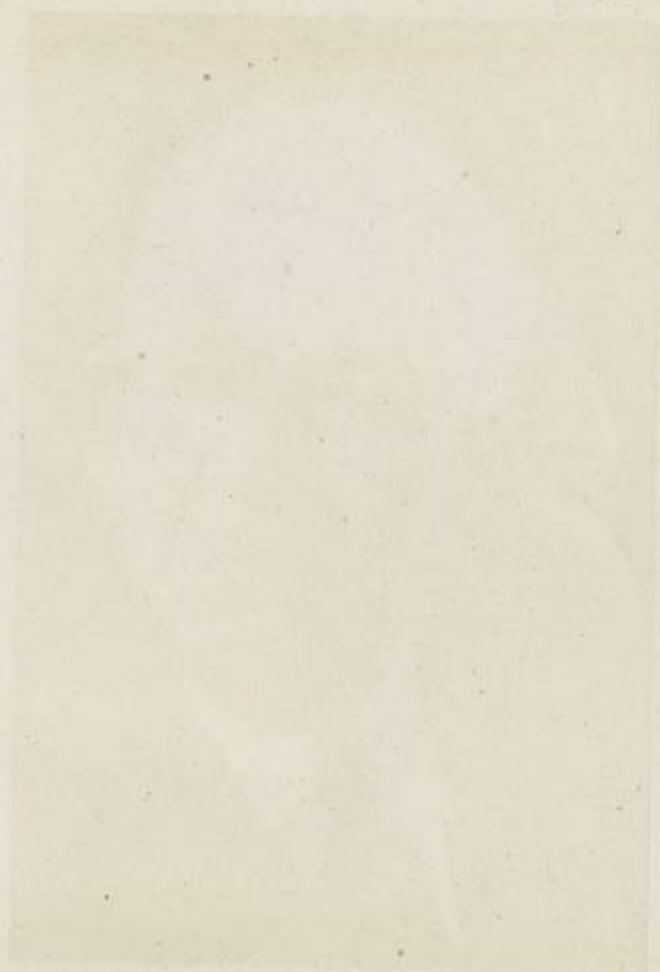
والآن وقد تغير كل شيء في الحياة ، ومحت آية النور آية الظلام ، ونالت العقول رشدها ، وانطلقت الألسن من عقابها ، فلا عتب لك عليهم اذا أرادوا فراقك .

وأنا أكتب هذه الكلمات وقلي مملوء حزناً عليك ، فمزاء لك ، وصبر جميل على مصابك ، ورجائي منك ان تتقبل كتابي هذا كهدية متواضعة تقسلي بقراءته كلما ضاق صدرك وارتابك عليك أسرك . وتجديني قد أكثرت فيه الكلام عنك ، وأظن ان هذا ما يبهجك وينفس عنك كربتك ، اذ يعيد اليك ذكرى أدوارك الذهبية التي لعبتها فوق أشلاء أبنائك التمساء .

وبعد ان أكملت وظيفتي معك أرجوان تعتبر صداقتي معك من الآن لآغية ولانفء بعد هذا .



المؤلف



1210

المقدمة

حلت سنجار وأنا شاب يافع لم أتجاوز من العمر عشرين ربيعاً ، وقد أحببتنا لمناظرها الخلابية ، وحدائقها الفينانة ، ومياهها الزاخرة ، وما خلغته الطبيعة عليها من جمال وبهاء ورواء . وأكثر ما كان يلفت نظري فيها أناس قد ظفروا شعورهم وأسدلوها على أكتافهم ولبسوا على رؤوسهم قبعات مخروطة عالية ، واكتسوا ثيابا بيضا فضفاضة ، يروحون ويحيئون ، وقد صحب بعضهم معهم نساءهم الجميلات وهن لا يتميزن عن الرجال بشكاهن وملابسهن عدا أنهن يلبسن عمامم بيضاء ويتقنن بقناع أبيض رقيق ، ويحتدين الأحذية الحمراء او السوداء ، بينما الرجال أكثرهم حفاة .

هؤلاء هم البريدية الذين كنت أسمع عنهم إنهم يعبدون « الشيطان » ويؤذون المسلم ، وان ظفروا به قتلوه . وكان بخيل لي أنهم من غير جنس البشر ، لهم أنياب ومخالب يعدون بها . والآن فقد رأيتهم ، وأخذت أتكلم معهم ، وأشعر في نفسي ميلا إليهم . فن هم هؤلاء الناس ، ولماذا سموا بالبريدية ، ومن أين جاؤوا ، وهل صحيح ما يقال عنهم أنهم يعبدون « الشيطان » ويحلمون العداة للمسلم ؟ كانت هذه الأسئلة تنزاحم في مخيلتي ولم أستطع جوابا عليها .

اجتمعت يوماً بسائح أجنبي في سنجار وهو في طريقه الى حلب ، وكان يحسن العربية ودار بيننا الحديث عن البريدية ، فأخذ يورد الأدلة على نصرانيتهم وانهم زاغوا عنها بعد ان انقطعوا في هذا الجبل ، ولم يكدر رجال الدين يصلون اليهم ، ومتى يستتب الأمن في هذه البلاد ، وتعود الكنائس الى فعاليتها سيعودون الى نصرانيتهم ، والحق ان كلام هذا السائح لم يرق لي ، وكنت أريد ان أرد عليه ، إلا ان معلوماتي الناقصة عن البريديين وديانتهم وتاريخهم حالت دون ذلك ، واكتفيت بان قلت له : إذا ما قولك في يزيدية « الشيخان » ورجال الدين النصراني على صلة بهم ، وليس ما يمنعهم من ان يقوموا بواجبهم نحوهم ويعيدونهم الى نصرانيتهم التي تخلوا عنها على ما تزعمه ؟ قال : هذا

أمر لم يأت أوانه وسيتم كل شيء في حينه .

كان حديث هذا السائح الأجنبي أول حافز لي الى دراسة هذا الدين ، وكيف ومتى ظهر ، وهل ان هؤلاء القوم كانوا قبلاً على النصرانية وقد خرجوا عنها ؟ كانت أمامي طريقتان ، الاولى : مراجعة الكتب والمدونات الموضوعية عن هذا الدين ، وأكثرها من وضع الكتاب الأجانب ، وقد وضعوها لغايات دينية وسياسية فلا يصح التعويل عليها وما كتبه الشرقيون معظمه مأخوذ من هؤلاء الأجانب ، وقد وافقوهم فيه دون بحث وتمحيص ، والطريقة الثانية : هي الاكثار من مخالطة هؤلاء القوم والوقوف على عبادتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأصول ديانتهم ، وهذه الطريقة أضمن لمعرفة صحتهم معرفة صحيحة لا غش فيها ولا تضليل .

فتعاملت لغتهم ، وأكثرت مخالطتهم ، واتخذت لي « كرفاء » منهم ، فكنت أحضر مجالسهم ونوادبهم وأشار بهم في أفراسهم وتمازيهم ، واطلم على طقوسهم الدينية وأصول عبادتهم ، وأحضر زياراتهم في مرقد « الشيخ عدي » « وطوافاتهم » التي يقيمونها في أمهات القرى ، وأباحث رجال الدين منهم وأحاورهم في شتى المسائل ، واخترت الإقامة في قرية « باعذرة » مقر الأمراء ثلاث سنين ، وأكثرت من التردد الى سنجار والشيخان ومرة واحدة الى الجزيرة وطور عابدين ونصيبين ، وهكذا وقفت على أسرارهم ومخفياتهم وأصبحت حجة في مسائلهم الدينية وكانوا يستفتونني بها .

إن دراستي التي قمت بها عن هؤلاء القوم الذين نسميهم الآن « باليزيدية » دلتني على أنهم كانوا قديماً على « المانوية » يعتقدون بثنوية الآلهة والاباحية والحلول ، وقد ظلوا على هذه العقيدة ولم تؤثر فيهم دعوة الاسلام ولم يتقادوا لها الى ان أدركهم « الشيخ عدي بن مسافر الأموي » - الذي يتصل بالأب الرابع بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين - فهداهم الى الاسلام وخلصهم من شرك الوثنية فظهر منهم : « أهل صلاح وتقوى وأهل قتال مجاهدون » وأصبحت زاويته العدوية قبلة الرواد من أصحاب السلوك والطرائق يأخذون فيها التعاليم الصوفية البريئة وينشرونها في مختلف الأقطار .

(م)

وغدا « لالش » من أعظم مراكز الارشاد والتهذيب الديني والعقلي في الشرق الأدنى وانتهى الى شيوخها تنشئة المریدین وتنظیم سلوكهم .

في هذا العصر كانت بلاد الجزيرة والفرات وسوريا وفلسطين ومصر يسودها القلق والاضطراب من جراء الحكم الذي يقوم به الأمراء والسلاطين من المماليك الذين بسطوا نفوذهم عليها بطريقة العصب والتغلب من الحروب الصليبية ، وأصبحت مسرحاً لتنافس سيامي غنييف . وكانت الموصل يحكمها أخيراً ملوك أرميني تربي في حجر الملوك « الاتابكيين » وورث ملكهم بالغدر والخيانة . وقد سلك هذا الملوك الأرميني في إدارة ملكه سياسة البطش والارهاق مما جعل النفوس تنهيه وتدين بالطاعة له . كل ذلك ولم يظهر في هذه الحقبة من الزمن من اصحاب البيوتات العربية العريقة من يتصدى لطرد هؤلاء الدخلاء في العراق والجزيرة والشام ومصر ويقيم فيها دولة عربية ويعيد اليها سالف عزها ومجدها وسؤدها ، فالملويون تلاشت عزائمهم بعد الاخفاق الذي منوا به في تجاربهم العديدة التي قاموا بها لنيل الملك ، والدولة العباسية مزقتها الحوادث شر ممزق وأفقدتها حيويتها ، والأمويون نعموا بملكهم الذي أقاموه في بلاد الأندلس ولم يبق لهم عمة علاقة بالشرق إلا بصيص أمل يشع في بقية رجال منهم انزروا في بقعة مجهولة من جبل « الهكارية » سلكوا طريقة الارشاد ، ولبسوا خرقة التصوف ، فكان الأمل معقوداً عليهم ، ولهم عصبية قوية من مرديهم تغنيهم عن عصبيتهم القومية التي لم يبقوا عليها .

إن اول من اختلجت أمنية الحكم في نفسه من رجال هذا البيت هو : « الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن » ابن « الشيخ أبي المفاخر عدي الثاني » ابن « الشيخ أبي البركات » ابن أخي « الشيخ شرف الدين عدي بن مسافر الأموي » عميد هذا البيت ، وواضع هذه الطريقة . والشيخ شمس الدين الحسن هو فيلسوف صوفي وعالم إلهي ، وقد ذهب به الحماس الى نيل الملك لدرجة ان جعله يضحى بدينه ، فوضع نفسه بمنزلة الآلهة ودعا قومه للإيمان به ، فأمنوا به واتبعوه وعدوه إلهاً وعبدوه ، وتقاتلوا في سبيل دعوته ،

(ن)

وكادت خطته تنجح بالنسبة اليه وبالنسبة الى العصر الذي كان فيه . ونحن لا يهمنا أفضل في خطته السياسية هذه او لم يفشل . إلا ان الذي يهمنا ما كان لدعوته من الناحية الدينية من أثر على حالة هذا المحيط ، وكيف عاش هذا الدين طول هذه العصور تابتاً وراسخاً امام الاغصير التي عصفت به .

لقد وضع الشيخ الأموي مبادئه على غاية الاتقان بعد ان درس حالة قومه النفسية والعقلية والروحية ووقف على مواضع الضعف فيهم . فأدخل في عقولهم أنهم من عنصر خاص من غير هذا البشر ، وأنهم يمتازون بنبل أرومتهم وشرف محبتهم ، وأفهمهم ان البشر أنجاس قدرون لا يجوز لهم مخالطتهم ومعاشرتهم ومؤاكلتهم . وفرض عليهم « الأمية » وأحاطهم بسياج كثيف من الجهل وحرمتهم من النظر والتفكير في شأن من شؤون الحياة . وهذان المبدأان لهما أهميتها وخطورتها في حياتهم الدينية والاجتماعية ، إذ بعد ان جعلهم ينظرون الى بني الانسان نظر كراهية واحتقار بصفتهم أشرف منهم وبأنهم ليسوا أهلاً ليكفونوا على قدم المساواة معهم ، فأمات فيهم كل شعور حي يدركون به فهم الاشياء المحيطة بهم ، فبقوا بعينين عن كل تأثير خارجي ، وتم له ما أراد .

اما من ناحية العقيدة ، فقد دعاهم الى عبادة إله الشر « وهي عقيدة مجوسية » وأوجب عليهم مجاملته ومصانعته وأفهمهم ان لا خلاص لهم من شروره وآثامه إلا بتقديمهم النذور والقرايين اليه وأوجب عليهم التقرب الى بقية الآلهة الذين هم دونهم ومن أهل بيته ، ووضع عنهم التكاليف الدينية وأبدلها بما هو أخف منها ، وأباح لهم كل عمل يلقي هوى في نفوسهم ، ووعدهم بأن « عسديا بن مسافر » سيضمهم في طبق على رأسه ويدخلهم الجنة دون حساب وعقاب . وهذا الترهيب والترغيب كان له أثره في نفوسهم ، وقد منعوا عن التفكير وحظر عليهم التحدث بأمر الدين .

كان لهذا الشيخ الأموي من بعد النظر وسعة التفكير ما لم يكن لغيره من أصحاب المذاهب الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس في الأعصر التي تقدمته . فلا « ماني » ولا « مزدك » ولا « خرم البسابكي » ولا رؤوس المذهب « الاستماعيلي »

(س)

فكروا فيها فكر فيه ووضوا مذاهبهم على الأسس والقواعد الراسخة التي وضع مذهبها عليه . وقد ضمه شأن تلك المذاهب وزالت من الوجود، حتى ان المذهب «الاشماعيلي» - الذي أصبح له دولة في بلاد فارس وأرهب الحكومات الاسلامية واغتال ملوكها وأمراءها وعاشت نحو (١٨١) عاماً ، قام فيها ثمانية ملوك كان لهم تنظيماتهم ووزراؤهم وجيوشهم - لم يقو على ضربة واحدة أنزلها بهم سلطان المغول فزالت دولته . اما اليزيدية فقد نزل بها ألف ضربة وضربة ولم تبد تراجماً . وقد عولج اكثر من مليوني نسمة من تابعي هذا الدين بحمد السيف منذ زمن ظهوره حتى عصرنا الحاضر ، فلم يظهروا توجماً وما ذلك إلا لما لهذه التعاليم المحككة من أثر في نفوسهم .

ظلت الحكومة العثمانية قابضة على زمام الحكم في هذه البلاد نحو اربعة عصور كاملة، وهي تنظر الى هذه الطائفة كمصابة ثورية دأبها العبث بالأمن والاخلال بالنظام ، وكانت تريد اخضاعها بالقوة ، فحملت عليها بجيوشها الزاخرة المرة تلو المرة ونكلت بها ، فلم تستطع تغيير ما في نفسها . ولما جاء دور الحكومة العراقية كان من المنتظر ان تعرف الداء وتتخذ له الدواء الناجع وتدخل عليهم الاصلاح من طريق غير الطريق الذي سلكته حكومة أبناء عثمان معهم ، ولكنها أخذت كذلك تستعمل القوة معهم عندما تجد ما يدعوها الى استعمالها . وسياسة القوة لم تكن مجدية وليس من شأنها ان توجد اصلاحاً في النفوس ، بل تزيدها إمعاناً في الضلال والغي ، وكان من الواجب افهامهم خطأهم فيما يمتقدونه من التميز على باقي الأجناس وان الحالة الاجتماعية تدعوهم الى ان يندمجوا في الركب الانساني ويأخذوا بأسباب الحضارة والتقدم .

وقد أكثر رجال السياسة والادارة الانكليز من الاتصال بهم - بعد تبديل الحكم في العراق - وأكثروا من التردد الى جبل سنجار - أهم مراكزهم - وأوجدوا لهم منهم أصدقاء وقربوهم اليهم وأظهروا عطفهم عليهم ، إلا أنهم لم يؤيدوا هذا العطف بادخال شيء من الاصلاح عليهم ، بل تركوهم على ما هم عليه من الجهل والفقر . والانكليز

(ع)

يعرفونهم جيداً منذ عهد « لا يارد » و « بادجر » وكان الأخير ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها لتأخذ في تنصيرهم . ولكن آمالهم خابت بعد ان علموا ان اليزيدي محال عليه ان يتهاون في دينه ، وقد جاهر أحد شيوخهم بقوله : « أن كلا من المسلمين والنصارى يزين لنا دينه ، ونحن لا نرضى بديننا بديلاً » وعندما علقت المحكمة العسكرية في سنجار سنة (١٩٣٥) سبعة من رؤسائهم على المشاق ، نادى أحدهم بحياة « يزيد » ولم يرهبه الموت .

ان دعوى رجوع اليزيدية الى المسيحية وكونها قد خرجت منها ، تدور في رأس كثير من الكتاب والباحثين الغربيين دون ان يرجعوا فيها الى تحقيق علمي او دراسة تاريخية ، وقد قاموا بهذه الدعوى بعد ان وجدوا ان ليس أحد من المسلمين يخنوع عليهم ويدعي بهم ، فطمعوا فيهم وعقدوا آمالهم على أخذهم الى جانبهم .

كانت هذه الحقائق تمر من أمامي آخذة بعضها برقاب بعض ، وكنت أفكر في حياة هؤلاء القوم البائسين منذ زمن نشأتهم عندما كانوا يتوجهون الى عبادة الرحمن بعبادة خالصة وإيمان ثابت . ثم كيف حل بهم الضلال والزيغ واتخذوا لهم آلهة من شيوخهم وعبدوا « الشيطان » وابتعدوا عن الاسلام ، وكيف كان صاحب الموصل « بدر الدين لؤلؤ » يحاربهم بجيوشه الجرارة ويذبحهم ويقطع أوصالهم ويعلقها على أبواب مدينته الموصل ، وأمراء الأكراد يطاردونهم في رؤوس الجبال ويوقعون المذابح فيهم ويخربون ديارهم وينهبون أموالهم ويسبون نساءهم وذراتهم . وعندما جاء دور حكومة أبناء « عثمان » كيف تنكروا لهم واخذوا يستصدرون الفتاوى الشرعية بعدم كفار أمرتدين ويطبقون حكم المرتد الكافر بحقهم حيث نجم من وراء ذلك مجازر بشرية دامت أكثر من ثلاثة عصور ، لم يكن يرى الانسان فيها غير الدم والنار ، فعمت القوضى أنحاء البلاد وانعدم الأمن واصبحت الحياة جحيماً لا يطاق .

كنت استعرض هذه الحوادث وأرثي لحالة هذا الشعب الذي لم يكن له ما يستحق

(ف)

عليه هذه النعمة غير تمسكه بمباديء غرسها فيه شيوخه وعلمائه وهو لم يكن له مشيئة فيها ، فمن هو المسؤول عن بقاءه على هذا الضلال حتى اصبح منبوذاً محقراً مهاناً ؟ ليست الحكومة التي تولت أمره أربعة قرون كاملة ولم تدعه يوماً الى التفاهم وتقف على مرضه وتعالجه وتشفيه ؟ والتفاهم بلفظة السيف والبارود بدلا من لغة الكلام يزيد الوحشة ويقوي أسباب التنافر والتناكر . إن التفاهم مع هذا الشعب ودعوته الى الاصلاح ليس بالأمر الصعب وليس في الوجود انسان لا يقبل الاصلاح حتى الزوج سرعان أو اسط افريقيا ، فالرجل الأبيض أدخل عليهم الاصلاح وهذبهم بعد ان كانوا يقتنصونه ويأكلون لحمه .

وما نأسف له ان أحداً من الكتاب الذين بحثوا عن هذا الشعب - ونخص كتابنا الشرقيين - لم يتطرق الى الكلام عن تاريخ حياته ، والأدوار التي مرت عليه ، والحن والآلام التي لاقاها في سبيله ، وتقاعد الحكومة العثمانية التي تولت أمره عن ادخال الاصلاح عليه ، وعدته غير قابل للاصلاح وزججت اقلاعه من على الأرض ؟ لم يتكلم عن هذا احد وكل ما قالوه وتكلموا عنه ينحصر في تمليل اسمه وكيفية اشتقاقه ، وعن عاداته وأخلاقه وأعياده ومراسم زيارته وشيوخه وعلمائه ، وهل انه يرجع في الأصل الى الاسلامية او النصرانية ، ومن هو الشيخ « عدي » ؟ أمسلم عربي ، ام مجوسي تبرهي ؟ الى غير ذلك من المسائل التي لا طائل تحتها .

كانت ولا تزال هذه الهواجس تساورني في أمر هذا الشعب الذي أهملناه ، ولم نعره اهتماماً كما لم يكن يوماً لنا مصاحباً في العقيدة والدين ، وتربطه بنا مصالح مشتركة في هذا الوطن ، فتركناه فريسة للشقاء والجهل ، وأخذ أصحاب الأديان الأخرى يطعمون به ويعدون له لقمعة دسمة ناعمة يريدون ازدرادها ، وقأنهم ان الظروف مها باعدت بينه وبين المسلم لا تكفي لانكار قرابته منه من الناحية الدينية والجنسية ، فهو يشترك معه في كثير من العادات والتقاليد والعبادة ، والطابع الاسلامي لا يزال بارزاً فيه ، والرسوم التصوفية

(ص)

ظاهرة عليه ، وهو وان كان من الجنس الآري ، تربطه أواصر القربى في كثير من القبائل العربية ، تلك الاواصر التي يعترف بها ويحترمها ، ولذلك اذا وجد له الطريق معبدة سرعان ما يعود الى الاسلام ، وعودته لا تكون شيئاً بدعاً ، شأنه في ذلك شأن من عق أبويه وعاد اليهما نادماً مستغفراً .

لقد كان اهتمامي بهذا الشعب عظيماً جداً وأنا أنألم له على ما لاقاه من اجحاف في حياته المديدة لم ينعم فيها بحرية وهدوء . وقد وقفت على جميع مراحل حياته ، فكانت سلسلة مأس لم يلاقها أي شعب آخر غيره في تاريخه . وكان اهتمامي هذا به هو الذي دعاني الى تأليف كتابي هذا عنه لأدل على محله في التاريخ الاسلامي والسياسي وأبين الحيف الذي لحق به من جراء السياسة الفاشحة التي سارت الحكومة العثمانية عليها وإنارتها موجهة مقت وكرهية ضده وعملها على ابادته فوقعت في اخطاء يحاسبها التاريخ عليها .

إن مهمتي كانت شاقة وصعبة جداً ، فكنت اختار عناء سفر يستغرق أياماً لأطلع على كتيب قديم يذكره لي عند أحمد شيوخهم . وأعرض نفسي لأخطار جملة لأقف على مراسم دينية لهم يقيمونها سرراً وبعبدة عن الأنظار ، وأدخل مع علمائهم في محاورات دينية لا تخلو من اثاره الرأي العام وحقده علي ، وأنجشم اتعاباً شديدة لمشاهدة « مضيق » صعب جرى لهم فيه حروب عنيفة مع جيش الحكومة يذكرونها في أناشيدهم وكم من مرة حضرت حروبهم ومقاتلاتهم بغية الوقوف على الأساليب التي يتبعونها في اعمال القتال ، وان نسيت لا أنسى ما لاقيته من اخطار ومهالك عند ذهابي الى « طور عابدين » مع « كريف » لي من فقراء يزيدية سنجار وأنا في مقرب العقد الثاني من عمري لأدرس حالة سكانه البيزيدية « الجيلكيين » الاجتماعية والاخلاقية والمعيشية ، هذا عدا ما عانته من آلام واسقام في الأيام الطويلة التي أمضيتها بين ظهرانيهم ، كل ذلك لا تمكن من القيام بمهمتي على الوجه الذي أرغب فيه ولتكون دراستي عن هذا الشعب كاملة غير ناقصة ،

(ق)

ولما أردت مقارنة استطلاعاتي الشخصية ومشاهداتي بما جاء في المدونات التي وضعت عن البيزيدية ، ظهر لي أن ليس في تلك المدونات ما ينطق بالصواب عنهم ، ولم يكتب عنهم أحد لغاية العلم والتاريخ إلا ما ندر ، وهؤلاء ايضا شذوا فيما كتبوه ، وقد نقبت في بطون التواريخ الإسلامية فوجدتها مع خلوها من خبر يتعلق بهذا الدين تلتني ضوءاً ضئيلاً على بعض الشبه عن ظهوره وتكونه ، وحقيقة أمر البيت «العدوي» الذين تم على يده هداية هؤلاء القوم الى الاسلام ، وكيف تطورت عقيدتهم وظهر هذا الدين وانتشر العقيدة بالسرعة الفائقة في معظم أنحاء كردستان وأوجد له فيها مسرا كرمهمة وانتقل الى جبل سنجار واستقر فيه واستنكر الحكومات له ومقاومتها اياه بشتى الوسائل وما نتج من وراء ذلك من حوادث سيئة كان لها أثرها على هذا المحيط .

ان قصدي الوحيد من تأليف هذا الكتاب الذي نجشمت الأخطار والمتاعب لأجله هو أولاً ايقاف الرأي العام على حقيقة هذا الشعب الذي عاش قروناً طوالاً بين ظهرانينا دون ان يعرفه أحد حق المعرفة او يعرف تاريخه والحوادث التي ألمت به ، ثانياً : الفات نظر رجال الحكم في المملكة الى ان هنالك شعباً منسياً قد نكب في عزته وقوميته ودينه ويحتاج الى منقذ ينتدبه من محنته .

وكأني بذلك اليوم الذي أرى فيه « الطواريس » السبعة التي اتخذها هؤلاء القوم رمزاً لمعبودهم قد أخذت لها محلاً في المتحف العراقي ، وقد خفت صوت الدف والمزمار ، وتقوضت القباب ، وخبث نيران السرج والقناديل ، وانصرف المشائخ والبيره والقوالون الى الأعمال العادية ، واستغنى الفقراء عن صبيغ خرقهم بورق « الزركوز » وقضي على أحلام « الكواجك » وأخذ الأمراء يعيشون من كد يمينهم وعرق جبينهم ونال الشعب حرته وأخذ طريقه الى « مكة » بدلا من « لالش » وما ذلك على الله بعزيز .

صديق الدهلوجي

٢٨ رجب ١٣٦٨
الموصل : ٢٥ ايار ١٩٤٩

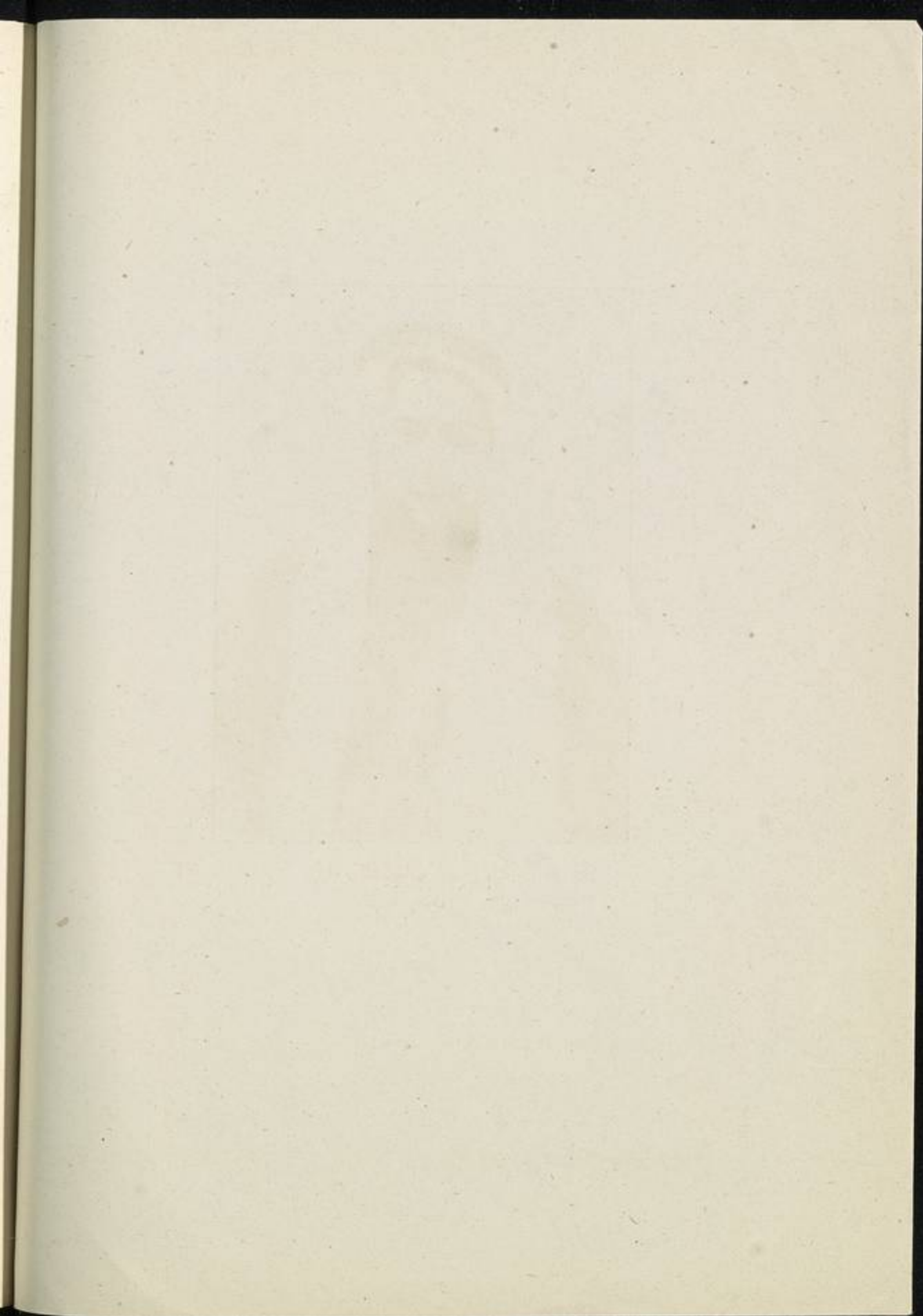
فهرس الروم

صفحة	الرسم
١٩٩	مرقد الشيخ محمد الرذاني في - بعشيقه ويعرفه اليزيدية بقبر
	الشيخ محمد ابن الحنفية
٢٠٠	نوع من الدبكه
٢٠٢	معبد الشيخ عدي
٢٠٤	باب مرقد الشيخ عدي
٢٠٥	باب مرقد الشيخ عدي
٢٦٢	جو شير وجماعة من زعماء اليزيدية وغيرهم
٢٨٩	فتاتان يزبدتان
٢٩٠	كوجكان
٣٣١	الأمير سعيد بك وأمه ميان خاتون
٤١٤	اسماعيل بك وفي يمينه الخوري هرمز وفي يساره جو شير
٤٤٤	مرقد الشيخ مند في بعشيقه
٥٠٧	قبة الشيخ حسن النبي هدمها الفريق عمر باشا وأعيد بناءها

صفحة	الرسم
٩	الطاؤوس
١٧	الأمير سعيد بك
٢٤	حسين بك بن علي بك بن حسن بك
٢٧	علي بك بن حسين بك بن علي بك
٣٢	ميان خاتون بنت عدي بك
٣٩	الشيخ حاجي بن الشيخ ناصو
٤٧	الفقيه درويش بن جو شير و - واخوته بخرقههم السوداء
٥٢	يزيدي يزور الطاؤوس
٥٥	طائفه من الكواجك
٥٧	كوجك سلمان في الوسط
٦٢	بابا شيخ الشيخ اسماعيل والأمير سعيد بك
١٧٦	الامير سعيد بك وحاشيته
١٨١	مزار الشيخ محمد في بعشيقه
١٨٥	امطوانه الحظ
١٩٣	الشيخ الاكبر في الصحن المجاور لمرقد الشيخ عدي



امير الشيخان حسين بك



(١) الحقيقة في معتقد اليزيدية

لم يكن هذا الفضاء الواسع سوى ظلمات ، تجري من تحته أمواج ، وتمصف فيه رياح وليس فيه سوى الله قائماً بوحديته ، منفرداً بربوبيته .

ولما أراد الله خلق هذه الكائنات ، أوجد من نوره الأزلي درة بيضاء وضمها فوق بيغاه وسكن عليها أربعين الف سنة ، ثم صاح بالدرة فانفلقت وخرجت منها هذه الأرض ثم تفجرت منها الأنهر والبحار .

ولم يكن هذا الكون في بدء خلقه على نظام وترتيب ، فأرسل الله جبرائيل على صورة طير فأحسن تنظيمه ووضع له الجهات الأربعة وزاد في تنسيقه .

وخلق سفينة طاف بها في البحار ثلاثين ألف سنة ، ثم جاء (لالش) فاهتزت به الأرض وربت ولم تستقر إلا بعد أن خلق الجبال وجعلها لها أوتاداً .

ثم أمر جبرائيل فأخذ قطعتين من درة بيضاء وعلقها في السماء ، فكان منها الشمس والقمر ، وخلق مما تناثر من الدرتين مصابيح في هذا الفضاء .

وخلق أشجاراً وثماراً ونباتات وزين بها الأرض ووضع عرشاً على عرش وصعد عليه وخطب الملائكة قائلاً : أي خالق آدم وحواء ليكونا جدين للبشر ومنها تكون الملة اليزيدية التي تدعي ملة « عزازيل » وهو « طاووس ملك » .

وخلق يوم الاحد ملكاً سماه عزازيل وهو « طاووس ملك » .

وفي يوم الاثنين خلق ملكاً سماه دردايل وهو « الشيخ حسن » (٢) .

وفي يوم الثلاثاء خلق ملكاً سماه أسرافيل وهو « الشيخ شمس » (٣) .

(١) مأخوذ من الكتاب الاسود (مصحف رش) وهو ثاني كتابهم الدينين
(٢) و (٣) كلاهما واحد ويلقب الشيخ حسن بشمس الدين وعرفوه بالشيخ شمس

- وفي يوم الاربعاء خلق ملكا سماه ميكائيل وهو « الشيخ ابو بكر » .
وفي يوم الخميس خلق ملكا سماه جبرائيل وهو « الشيخ سجادين » (١) .
وفي يوم الجمعة خلق ملكا سماه شمنائيل وهو « الشيخ ناصر الدين » .
وفي يوم السبت خلق ملكا سماه نورائيل وهو « الشيخ نجر الدين » (٢) .
وجعل « طاووس ملك » رئيساً للجميع .

ثم نزل الى الأرض وأخذ بيده قلماً وبدأ يكتب الخليفة ، فكتب ستة آلهة من نوره وذاته فكان خلقهم « كما يوحد انسان سراجا من سراج » . ثم قال للآلهة انى خلقت السماء فليخلق كل واحد منكم شيئاً ، فخلق الأول الشمس ، والثاني القمر ، والثالث الفلك والرابع نجمة الصبح « الفرغ » والسادس الفردوس ، والسابع الجحيم . (٣)

لم يكن طاووس ملك في بده أمره إلا ملكا من الملائكة ، فميزه الله على كافة الملائكة

(١) يراد به الشيخ سراج الدين

(٢) وفي نسخة الشيخ بدين

(٣) ان نظرية التكوين عند اليزيدية عبدة الطاووس هي عين نظرية التكوين عند الاسلام ، وقد وضعوها بالشكل الذى يتفق وعقائدهم . ونظرية التكوين عند كافة الديانات ترجع الى اصل واحد . ففي اسطورة بابلية تقول : (في البدء قبل ان تعرف السماء ويعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر ومنه حصلت السكائنات) ، وفي اسطورة فرعونية تقول : (في البدء كان الماء الاول او المحيط المظلم وكان الاله « آمون » وحده وهو خالق الآلهة والبشر والاشياء) . وفي اسطورة اخرى تقول : (ان الارواح كانت ترفرف فوق البحار وفي الفضاء ، ونفذ روح الآله بهذا الفضاء وخلق كل شيء : الأرض والسماء) ويقول سفر التكوين العبراني : (في البدء خلق الله السموات والأرض وروح الله ترفرف على وجه المياه) . ان عقيدة الديانة العبرية في التكوين هي كما جاء في الصفحة الاولى من العهد القديم (التوراة) ان الله بدأ بخلق السماوات والأرض وكانت الأرض خالية وخرية ، وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه الماء . ففي اليوم الاول خلق النور ودعا النور نهراً والظلمة ليلاً ، وفي اليوم الثاني خلق السماء ، وفي اليوم الثالث خلق جميع المياه بمكان واحد وأظهر اليابسة واثبت العشب والبقل والاشجار والأشجار ، وفي اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والكواكب لتبهر الأرض ، وفي اليوم الخامس خلق الدبابات والطيور ، وفي السادس خلق البهائم والوحوش ، وقال الله : نعمل الانسان على صورتنا \approx شبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طيور السماء فخلق الله الانسان على صورته ذكراً واثني ، خلقهم وسلطهم على كل طير يطير في السماء وحيوان يدب على وجه الأرض وسمكة في البحر وفرغ الله في اليوم السابع .

أما الديانة الاسلامية فقد أبدت ما جاء في سفر التكوين من ان الحلقة كانت بستة ايام بصورة اجمالية دون ان تعد الايام يوماً فيوماً وجاءت بآيات متفرقات حول الحلقة في مختلف السور من القرآن منها :-

وانخذة عوننا له وفرض على الملائكة طاعته ، ولما طغى واستكبر غضب عليه وألقاه في نار جهنم ، ولبت فيها سبعة آلاف سنة يقاسي صنوف الآلام وأنواع العذاب وظل يبكي على نفسه حتى ملاً سبعة أكواب من دموعه وهناك من الله عليه بالغفران وأرجعه الى الفردوس الاعلى ، غير ان الملائكة ما برحوا يهزأون به ويسخرون منه ، فشكاهم الى الحق تعالى فغضب عليهم ولعنهم ، ورفعهم الى منزلة الابرار والصديقين وجعله قريناً له وأشركه في ملكه .

وقد أمر الحق ان تحفظ السبعة اكواب الملائكة من دموع طاووس ملك في احدى زوايا جهنم الى ان يعود الشيخ عدي من الارض ويظن بها نيران جهنم على أمته (١) .

ولما أراد الله ان يخلق البشر ويسكنه الارض التي أعدها له ، نزل أرض المقدس وأمر جبرائيل ان يأتي له بتراب من أربع جهات الارض ، فمعهن بالماء والهواء والنار وخلق منه روحاً سماه (آدم) وخلق من ضلعه الايسر حواء وأسكنها الارض ، فتناسلا وكثرا

(الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يرح اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون) . ومنها : (ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) . ومنها : (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء) . ومنها : (ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً او كرهاً ولكن اكثر الناس لا يعلمون) . وقد سكت علماء الاسلام عن تفسير الايام الستة التي وقعت فيها الخلقة مكتفين بان اليوم الواحد كان مقداره خمسين الف سنة.. واذا كان القرآن الكريم لم يعد ايام الخلقة بصورة تفصيلية . فقد ورد في حديث عن ابن عباس ان اليهود أتوا الى النبي (ص) فسألوه عن ابتداء الخلق فقال : خلق الله الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ، وخلق الجناب وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء ، وخلق الماء والشجر والمداين والعمران يوم الاربعاء فلذلك قوله جل جلالته (أتتكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله) (سواء للساثلين) وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة ، وخلق يوم الجمعة النار وآدم عليه السلام . قالوا ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش .. - اخبار الزمان ص ٤ -

(١) وفي نسخة اخرى للكتاب الاسود : ان جهنم خلقت في زمن آدم الاول . ولما جاء آدم الثاني، وهو الذي يرجع اليه اليزيديون وكان يسمى (الابريق الاصفر) وهو صاحب كرامات ويعتقد به رفاقه ، ونظر الى جهنم حزن حزناً عظيماً وظل يبكي سبعم سنووات الى ان ملاً ببقوقا كان لديه من دموعه وقد اطفأها نيران جهنم وخلص قومه من عذابها .

وملا البسيطة ثم كتب عليهم الفناء وأبادهم جميعا بعد مضي عشرة آلاف سنة ، وما ترك احدا غير الجن يسبحون بحمده ويقدمونه .

ثم عاد بعد ذلك يخلقهم ويبيدهم هكذا خمسة أجيال ، وفي الجيل السادس خلق (آدم) جد البشر الحالي وأسكنه و (حواء) الجنة وأباح لها التمتع بنعيمها وأكل ثمارها عدا شجرة الخنطة فإنه منعها عنها .

وأمر الله (طاووس ملك) ان يسجد لآدم بعد ان أم خلقه ، فاستكبر وعصى بحجة انه خلق من نور وآدم خلق من تراب ، فلا يسجد لمن هو أحط منه مادة ، فغضب عليه وأراد ان يطرده مرة ثانية ، إلا أنه ما لبث ان أدرك عجزه فعفا عنه وابقاه في منزلته .

وأراد (طاووس ملك) ان ينتقم من آدم ، وكان آدم على جانب من الغفلة والسذاجة فأغراه بأكل شجرة الخنطة التي نهاه الله تعالى عنها قائلا له إنها شجرة الخلد ، وأقنعه بأنه لا يكون مخلدا ما لم يأكل منها ، فوقع في شركه ، وأكل من تلك الشجرة ، ولكن سرعان ما انتفخت بطنه ، فجاء طير وظل ينقر به الى ان فتح له مخرجا وهناك استراح من الانتفاخ الذي أصابه .

ظل آدم يبكي مائة سنة حزنا على مخالفة أمر ربه ، إلا ان بكاه لم يجد نفعا فأمر الله بطرده من الجنة وإنزاله الى الارض هو وحواء وأباحها له (١) .

وقد أتامت حواء مائة وأربعين بطناً ذكراً وأنثى إلا (شهد ابن جرة) فإنه لم يكن له توأم بل هو سر من الاسرار خلقه الله ليميز به طائفة من البشر ، وهم (اليزيدية) شعبه الخاص .

تزوج كل أخ بأخته التي ولدت معه في بطن واحد إلا (شهيد ابن جرة) فقد أرسل طاووس ملك اليه حورية من الجنة فتزوجها وولدت له ولداً سماه (يزدان) واليزيدية

(١) ان قصة آدم وابلis وطرده من الجنة وانزاله الى الارض تناولها جميع اصحاب الديانات التي ظهرت في الأزمنة قبل التاريخية . فقد جاء ذكرها في قوانين حمورابي التي وجدت مدونة على الاحجار ونشرت في سنة ١٩٠٠ ويظهر ان حمورابي اخذها من (السومريين) بعد نكبة بلدة (اريدو) المقدسة

من نسله . ومن اجدادهم الاولون (مروح ميران) بن (نوح) بن (يزدان) .
ويقال ان نزاعا وقع بين آدم وحواء في الولد هل هو منه ام منها ، فنزل جبرائيل من
السماء ووضع شهوة كل واحد منها في جرة وختمها . وبعد تسعة اشهر جاء وفتح الجرة
التي فيها شهوة حواء فلم يجد فيها سوى ديدانا وخنافس ، أما الجرة التي ألقى فيها شهوة
آدم فوجد فيها ولدين ذكرأ وأنثى ومنهما تناسلت الملة اليزيدية .
وجعل الله في صدر آدم ثديين لارضاع ولديه اللذين خلقا من غير حواء ، فالثديان
في صدر كل رجل من الأعضاء الغامضة هما أثر تلك الحلقة .

وقد ظهر من صلب (شهيد ابن جرة) الذي تناسلت الملة اليزيدية منه جميع الانبياء
والمرسلين والأولياء والصالحين والعلماء والمصلحين ، منهم الشيخ عدي بن مسافر ، ويزيد
بن معاوية ، وحسن البصري ، والشيخ عبد القادر الكيلاني ، والشيخ محمد بن الحنفية ،
وشمس الدين التبريزي ، وقضيب البان وغيرهم إلا (محمد) نبي الاسلام فهو من ابناء
آدم الآخرين الذين تزوج كل واحد منهم باخته التي ولدت معه .

ولما تم أمر الخليفة ، وفرغ الله من عمله ، اختار العزلة وأودع شؤون العالم الى

وسجلها في قانونه . وربما عرفتها الاقوام التي ظهرت قبل السومريين ولكن بشكل آخر . وفي الآثر
الاسلامية ان آدم خلق يوم الجمعة لست خلون من نيسان وكسأه الله لباساً من خضرة واسجد له ملائكته
فسجدوا الا ابليس وكان ملصكا على الارض يصعد الى السماء متى شاء ، فأبى السجود لآدم وقال انا كنت
خليفةك على الارض وهو من تراب كنت أطؤه ، وأنا من نار وهو من طين في الفضل عليه من كل
جانب وافضاه بالجنة التي أغشى بها اقطار الارض في اقل من لمح البصر . فلما امتنع السجود ابلسه الله ولعنه .
وجاء ان الله تعالى بعد ان خلق آدم وحواء وأسكنهما الجنة ، اباحهما جميع ما فيها الا للشجرة التي
نهاهما عنها ، وعلى قول اكثر اهل العلم انه كان البر ، ولما رأى آدم ما اعطيه من الكرامة اشتاق الى الخلود
فطمع فيه ابليس فاحتمل عليه حتى ادخله الجنة فخطب حواء فيها وقال : « ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا لتكونا ملائكة او تكونوا من الخالدين وقاسمهما اني لمما من الناصحين » ولم يزل يجواء حتى اكلت
من الشجرة واطعمت منها آدم فأكل ، فلما أكل منها انكشف لباسهما عنهما الى اطراف اصابعهما وبدت لهما
سوءآتهما فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها . فقال الله عز وجل : قد جعلت هذه الشجرة غذاء
المما ولدريتكما يعني الشجرة التي أكل منها عاصيين فاهبطوا جميعاً اتما وابليس والحية فان بعضكم لبعض
عدو . - اخبار الزمان ص ٤٩ -

(طاؤوس ملك) لما اصبح له من النفوذ والقوة ، وخافه البشر وخشي بطشه وغضبه .
وبدأ طاؤوس ملك منذ ذلك الحين يبعث الأنبياء والرسل الى الأرض ليعلموا البشر
تعاليمه وينذروهم عقابه فيما اذا خالفوه وعصوا أمره . فالذين آمنوا به واتبعوه كان عطفه
عليهم عظيما ، والذين خالفوه وعصوا أمره لا يزال يسلط عليهم العال والأراض جزاء لهم .

﴿ اعتقادهم في الطوفان ﴾

يعتقد اليزيدية بظهور طوفانين على الارض . فالطوفان الاول ظهر على زمن (نوح)
جزاء للجنس البشري على سوء اعماله ، وهم المسلمون والنصارى واليهود الذين تناسلوا
من آدم وحواء باستثناء اليزيدية الذين هم من عنصر خاص .

أما الطوفان الثاني فقد شملهم وكان نصيبهم منه مثل ما كان لغيرهم . وقد قامت السفينة
من عين ماء جارية في قرية (عين سفني) شرقي الموصل حتى وصلت جبل سنجار
فأصطدمت بقمة عالية من الجبل وانخرقت وكادت تفرق لو لم تلتف حية كانت في السفينة
على نفسها وتسد الخرق . ولم تستقر السفينة إلا على الجودي (١) .

وكرثت الحيات بعد ذلك وأخذت تؤذي الناس والحيوان فجمعوها وأحرقوها فكانت
البراغيث من رمادها ، وقد تكاثر العنصر اليزيدي من (نعمي) المنحدر من نسل (ملك

(١) ان قصة الطوفان اخذت بها جميع الاقوام التي ظهرت في العصور الاولى للتاريخ . ويعتبر بعض
المدققين ان اول من ذكرها المصريون القدماء ، فقد شوهدت بعض النقوش على جدران مقبرة (سيتي
الاول) فرعون مصر تشير الى هلاك البشر فعبروا عنه بالطوفان واخذتها الامم السائرة عنهم ومنزجوها
بأقويل عديدة مختلفة حسب المؤثرات التي كانت تحيط بهم . وقد تحقق من الحفريات التي جرت في جنوبي
العراق ان بلدة (اريدو) خربت بالطوفان العام فهلك من كان فيها وفي جوارها . وكان اول من اخذ
هذه القصة عنهم الكلدانيون في ما بين النهرين (مه زوپوتاميا) . وقد اكتشف العلامة الانكليزي
(جورج سميث) في خراب نينوى الحجر المسماة (سارواندبوليس) وهي محفوظة في لندن وعليها قصة
حادثة الطوفان . ونصت قوائين (حورابني) على ان الطوفان ظهر في العراق ، والمرجح انه اخذ ذلك عن
السومريين .

ومن الاقوام التي اخذت بقصة الطوفان ، الفرس . فيقولون ان العالم قد فسد من اعمال (اهرمن)
فوجب غسله بالماء . ويقول بها اليهود كما هو مكتوب بالتوراة . وفي القرآن ان الطوفان الذي ارسله الله
على الارض كان على عهد (نوح) اذ أمره ان يصنع الفلك ويأخذ معه نساءه واولاده ومن الحيوانات من
كل زوجين اثنين .

والطوفان العام ليس مجرد اسطورة خيالية او مسموخ من اسطورة فرعونية انما هو ما احدثته قطع
الجليد عند ذوبانها في الادوار الجليدية وفي اوائل الدور الرابع الارضي فأهلك من كان في العراق كافة .

ميران) كما تكاثرت العناصر الاخرى من نسل (حام) الذي أهان أباه .
مضى على الطوفان حتى الآن سبعة آلاف سنة ، وفي كل الف سنة ينزل إله من
الآلهة السبعة الى الأرض فيضع الشرائع ويصلح ما فسد من أمر الزيدية . وكان نزول
الله الى الأرض في الألف السنة الاخرة اكثر من سائر الأوقات ، وكان يتكلم بالكرديّة
وفيها يضع القوانين والشرائع .

﴿ اعتقادهم في ظهور يزيد (١) ﴾

كان نبي الاسماعيليين (يريدون به محمداً) يسلك في عمله مسلكا يخالف مرضي الحق
فعاقبه بوجع الرأس ولما اشتد عليه الوجع أمر خادمه (معاوية) ان يخلق رأسه ليخف
عنه ، وكان معاوية يحسن الحلاقة ، وبينما هو يخلقه جرحه وأسأل دمه ، وخوفاً من ان
يراه محمد لطع الدم بلسانه ، فقال له محمد أخطأت ، وسيأتي من صلبك من يكون عدواً
لأمّتي ، فأجابه بانه سوف لا ينزوح أبداً ، وأخيراً تسلطت على معاوية العقارب ولدغته
في وجهه فجزم الأطباء بموته إن لم ينزوح ، فنزوح امرأة في الثمانين ليأمن جبهها ،
ولكن هذه المعجزة ما لبثت ان ظهرت في اليوم الثاني فتاة في ريعان العمر وحملت
(يزيد) الذي أصبح إلهاً للملة الزيدية .

يقول الكتاب الأسود بعد ان سرد هذه القصة ، اما الزيدية فلا يدعون لهذه الرواية
ولا يصدقون بها إذ يعتقدون ان (يزيد) هو إلههم الكبير ويعرفون صورته وتمثاله
وهو على شكل ديك لا يزالون يحتفظون به ويتوجهون بعبادتهم اليه .

﴿ اعتقادهم في اقامة طاؤوس ملك ملوكا لهم ﴾

جاء في الكتاب الاسود ان الفساد لما انتشر في الارض نزل (طاؤوس ملك) وأقام
لشعبه ملوكا - عدا ملوك آشور القدماء - منهم نسروخ وهو (ناصر الدين) وطاموش
وهو (نجر الدين) وارطيموس وهو (ملك شمس الدين) وملكان آخران وهما شاپور
الاول والثاني دام ملكها مائة وخمسين سنة ومن نسلها ظهر امراء الزيدية الحاليون .

(١) هو ابن معاوية بن ابي سفيان ، وامه ميسون ابنة بجدل السكلبية من بني حارثة . استمر ملكه
ثلاث سنين ونصف سنة (٦٠-٦٤هـ) وقد غدا ممقوتاً لوقوع حادثة كربلاء الالهية على عهده ولم يذكر
انه وضع ديانة دان بها احد من البشر .

وكان لهم ملك في بابل اسمه (بختنصر) وآخر في العجم اسمه (حشوراش) وفي القسطنطينية ملك اسمه (اغريقالوس) .

وكانت الديانة البيزيدية تسمى قبل المسيحية بالديانة الوثنية ، وكان ملوك آحاب ومنهم (بلعزوب) الذي يطلق عليه الآن (بربوب) على هذه الديانة .

﴿ اعتقادهم بما لطاؤوس ملك من النفوذ على الحق تعالى ﴾

(وتذلل الحق - جل وعلا - له)

يتناول القوالون حكاية ذكرها مصحف رش - الكتاب الاسود - ان الحق تعالى غضب على (عيسى) وسجنه في جب عميق ووضع على فم الجب صخرة كبيرة . فاستغاث عيسى بارسل والانبياء ليشفعوا له عند الله فلم يجبه احد منهم ، فأتاه أحد معارفه وناداه من فم الجب : مسكين أنت يا عيسى ! لماذا لم تستغث بطاؤوس ملك ، فهو وحده يقدر على تخليصك من هذا السجن . فلما استغاث به ادركه على الفور ورفع الصخرة من على فم الجب وأخلى سبيله .

ولاقى (الحق) عيسى في السماء وسأله : من أخرجه من الجب وأتى به الى هنا ؟ أجابه : طاؤوس ملك . فلما سمع ذلك تفاضى عنه وذهب في سبيله ولم ينبس ببنت شفة .

﴿ اعتقادهم بالجرة - مسجالح الكباش - ﴾

يتناول البيزيدية اسطورة تلخص في ان الحق تعالى دعا الشيخ عديا مع جماعة من مردييه الى وليمة أولمها لهم في السماء ، وعندما لم يجدوا في السماء تبناً فحلبوا لهم ، أمر الشيخ عددي أحد مردييه أن يهبط الى الارض ويأتي بتبن من بيده . فلما كان المردي يعود بالتبن تناثر منه شيء على الطريق فبقى أثره في السماء الى يومنا هذا ولذا يسمونه درب التبان (١) .

(١) ويسمى بالتركية (صمان يولي) وبالفارسية (كهكشان) ويؤديان عين المعنى . ويسميه الفرنسيون (طريق القديس جاك) وهو القديس جاك دي غاليسيا ، ويزعمون انه خطه للبطال شارلمان ليده على الطريق الواضح في حروبه الشعواء مع عرب اسبانيا .



﴿ الطاووس ﴾

أخذ اليزيدية الطاووس رمزاً للشيطان بعد أن حظر عليهم تسميته باسمه . فكيف ومن أخذوا هذا الاسم ؟ وهل كان أخذه من باب الصدفة والاتفاق أم من منبع اجنبي كما يدعيه بعض الكتاب الاجانب ؟ فكتب السير والتاريخ والتفسير تدل على ان الملك المنبوذ قبل ان طرد من الجنة كان يسمى (طاووس الملائكة) للطافة شكله وجميل صورته ، وفي اللغة (الطوس) بمعنى حسن الوجه ونضارته ومنه اشتق اسم (طاووس) ويطلق على الجميل من الرجال . ويستدل من ذلك أن هذا الاسم أخذ من منبع اسلامي محض وهو عربي صرف . أما علماء المشرقيات المولعين بتحليل هذه الاسماء وارجاعها الى أصول اجنبية فقد ذهبوا مذاهب شتى في تعيين اصل هذا الاسم . فالمستشرق الفرنسي الموسيو (ف . نو) صاحب كتاب « النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » ذهب الى ان كلمة (طاووس) محرفة من (ثيؤس) التي تفيد معنى الآلهة باليونانية ، زيد عليها ملك فأصبحت (طاووس ملك) اي الملك الآله (ص ١٧) وبعد ان ذكر (ص ٢٦ ، ٢٧) ان طاووس ملك هو الآله السامي الذي كان قبل الموجودات ، وهو لا نهاية له ، ويسود الخلائق ، وهو موجود في كل مكان ، ويرسل خدامه الى العالم لكي يفرقوا بين الضلالة والايمان قال : « ومن هنا نستدل على ان كلمة (طاووس) محرفة من (ثيؤس) الآله ، اذ لا يخفى ان هذه الكلمة أخذها مسيحيو هذه البلاد من اليونانيين واستعملوها كثيراً

في صلواتهم » .

ومؤلف آخر ذهب بتعليقه الى ابعده من المستشرق الفرنسي فقال : ان هذه الكلمة مشتقة من الآله (تموز) لدى الاغريقين ، وقال ايضا : ليس ببعيد ان يكون (الطاؤوس) الذي تعبده اليزيدية هو طاؤوس الآلهة الاغريقية (هيرا) الذي كان يقرب اليها كما يشاهد في اللوحة الموجودة في احدى المحلات في روما المدعو (بلازوديكلي كوزير - نانوري) . و طاؤوس (هيرا) المذكور في (ج ١١ ص ١٤١) من دائرة معارف الاديان والاخلاق في المقالة التي تبحث عن الرموز . و الطاؤوس الذي هو من الفن الاغريقي ويعود الى الآلهة (هيرا) أصبح للمسيحيين رمزاً للبعث . ويروي أنهم لذلك كانوا يعتقدون ان لحم الطاؤوس لا يتعفن .

ويدعي هذا المؤلف ان عبادة الطاؤوس لدى اليزيدية لم تظهر على زمن (الشيخ عدي) بل ترجع بالقدم الى ما قبل ذلك . وذكر ان قبيلة في اواسط الهند تسمى « موري » تعبد الطاؤوس الحلي .

أما قوله ان قبيلة « موري » تعبد الطاؤوس الحلي فيجوز ان يكون صحيحا ، أما ان يكون لعبادة اليزيدية الطاؤوس علاقة بهذه القبيلة ومنها اقتبسوا هذا النوع من العبادة فليس بصحيح . فان اليزيدية لم يعبدوا الطاؤوس إلا بعد ان ذهب بهم الخيال الى ايجاد شيء يرمزون به عن الشيطان الذي حظر عليهم تسميته بهذا الاسم عندما اتخذوه إلهاً . فقد جاء في الفصل الرابع من كتابهم (الجلوة) : « لا تذكروا اسمي ولا صفاتي لانكم لستم تعلمون ما يفعله الاجانب » وقد رمزوا عنه بالطاؤوس عملا بتقليد اسلامي محض كما قلنا آنفاً .

لليزيدية سبعة طواويس يرمزون بكل واحد منها على أحد آلهتهم ويسمونهم السناجق (كناية عن تخصيصهم كل واحد منها لأحد الجهات التي توجد فيها اليزيدية) مصنوعة من النحاس على شكل طير او بطة يعتقدون انها من صنع القدرة يحتفظ بها الرئيس الديني لليلة اليزيدية ، الجالس على كرسي يزيد ، في حجرة تسمى « خانة طاؤوس » وهو وحده

الذي يأمر باخراجها من محلها واعطائها « للقوالين » للطواف بها . والعادة ان يذهب القوالون بها الى مرقد الشيخ عدي فيباركونها بالماء المقدس ، ويزيلون الصدأ الذي علق بها بماء الساق ثم يدهنونها بدهن الزيت ويأخذون من جوار المرقد ترابا فيمجنونه بالماء المقدس ويضعون منه بنادق صغيرة يهدونها الى اليزيدية عند زيارتهم الطاؤوس . وبعد إكمالهم هذه العملية يذهب القوالون بالسنجق الى الجهة المختصة به ، وعندما يقتربون من القرية او الجماعة التي يقصدونها يرسلون أحدهم اليهم لاعلامهم بمجيئهم ، فيهرع أهل القرية جميعا رجالا ونساء لاستقبالهم وقد لبسوا أنحر ملاهم وهم يرتلون الأغاني الشعبية والدينية والنساء يزغردن لهم فيأخذن ذوو الثراء والوجاهة بالمزايدة على السنجق فن أعطى ثمنا أعلى من غيره يأخذه ضيفا الى داره ، وهو في حقبة يحملها القوالون على اكتافهم . وهناك يخرجونه ويضعونه في المحل المعد له بعد ان يتأكدوا من عدم وجود أحد من غير اليزيدية ، ثم يأتي أهل القرية زرافات ووحدا فيسجدون له ويقبلونه ويقدمون له خيراتهم الموسمية ويتضرعون له ان يغفر لهم خطاياهم ويقبهم هم وأولادهم وأهل بيتهم شره وسخطه . ثم يقف القوالون وهم بين زامر بالمزمار وناقر على إلف فيعزفون بإيقاع حار يذوب فيه التفكير اليزيدي الذي ما زال حالما في طفولة ضيقة فيستحوذ على الجميع وحدة من الحس تضطرب بين الخوف والرجاء ، فيرقصون على الايقاع الشرقي الحزين رقصات خاصة ، وقد يبلغ بهم طغيان الحس الى ان يرفعوا الطاؤوس من مكانه فيشركونه معهم بهذا النوع من الاضطراب الموزون .

وفي هذا اليوم المبارك يكثر من احراق البخور وايقاد الشموع والقناديل وبسهرون على حراسة السنجق خوفا من ان تمتد اليه يد أجنبية . وينحر صاحب الدار الذي نزل السنجق ضيفا عليه بقرة او ثورا أكراما له ، ويصنع اهل القرية طعاما وافرا فيأكلون ويشربون ويأسون . وفي اليوم الثاني يضع القوالون السنجق في حقبتهم ويذهبون به الى قرية اخرى .

﴿ ما يقال عن سرقة عدد من الطواويس وتسربها الى متاحف اوربا ﴾

اتضح لنا ان الطاؤوس او السنجق ، هو التمثال الذي يرمز به اليزيدية الى آلهم .

وقد يعبدونه ويقدمون اليه نذورهم وخيراتهم ويحرضون على أن لا تقع انظار الغير عليه او تمتد يد اليه . والاوربيون الذين يحرضون على كل اثر نفيس او نادر لا يسهم ان يتركوا متاحفهم خالية من مثل هذا التمثال الذي يمثل الألوهية عند شعب له شأنه ، وله تاريخه لذلك اقتنى المتحف البريطاني تمثالا يقال انه خرج من معبد اليزيدية في الدهادية ؟ قرب ديار بكر في كردستان عام ١٨٣٨ كان لدى اليزيدية الساكنين في المنطقة الخالتيية ، وقد أهداه الى المتحف المستر « ايمر شويفر » من كلكتا عام ١٩١٢ وقد بحث عن هذا التمثال المستر . ه . و . أميسن في كتابه « طاؤوس ملك » المطبوع في لندن عام ١٩٢٨ وزين به اول صحيفة من كتابه وقال عنه انه متشكل من ثلاث قطع ومركز على قاعدة ومطلي بالأحمد (الانديمون) وقد زينت حاشية ذيله بصور بشر وحيوانات (تتعاقب صور الانسان والغزال في القسم العلوي منه) ورأسه مرصع بأحجار الفيروزج ويبلغ ارتفاعه ٣٥ عقدة . ونحن ننكر ان يكون هذا الطاؤوس من طاوويس اليزيدية وقد خرج من أيديهم فان الطاوويس السبعة الموجودة عند اليزيدية تخالفه شكلا وحجا وجميعها على شكل واحد وهي ما بين الحمام والبطة وكل منها يكون من قطعة واحدة ، وليس عليها طلاء ولا نقوش ، وارتفاع الواحد منها لا يزيد على ثماني عقد .. واذا سامنا جدلا بان اليزيدية طاؤوسا على الشكل الذي وصفه ، وقد خرج من أيديهم حقيقة فيجب ان يكون قد خرج من « الشيخان » لا من « الدهادية » في منطقة الخالتيية في ديار بكر إذ التقليد الديني لم يبح لاحد من اليزيدية مها كانت منزلته الدينية ان يكون في حوزته سنجق عدا الامير الجالس على كرسي يزيد وهو خليفته ، ولو كان ليزيدية الخالتيية سنجق لوجب ان يكون ليزيدية سنجان وطور عابدين وحلب وبدليس وواف سنجق مثلهم ، وهذا لا تجوزه الشريعة اليزيدية مطلقا ، ثم أين هو معبد « الدهادية » في المنطقة الخالتيية في ديار بكر ؟ نحن واثقون بانه لا يوجد محل تسكنه اليزيدية يحمل هذا الاسم في هذه المنطقة لا فيما مضى ولا في الحال الحاضر .

وللاب انستاس الكرمللي مقال بعنوان « الاكتشافات الجديدة حول الاسرار اليزيدية » نشرته مجلة « انثروبوس » في عددها السابع من سنة ١٩١١ مع تصوير يشبه

تماما الطاووس الذي أهدها المستر شويغر للمتحف البريطاني وضع مقابل الصفحة ٢٣ من المجلة ذكر فيه : « ان هذا الطاووس هو أحد الأربعة الطواويس المسروقة من قبل رشيد باشا عام ١٨٣٨ م وقد عثر عليه في دكان بائع عاديات ببغداد مسلم يسمى علي باعه بعد بضع سنوات الى مسيحي مثر اسمه فتح الله عبود » .

ولما كان هذا الخبر يخالف التقاليد الدينية اليزيدية التي تقضي حتماً بجعل الطواويس في حوزة الأمير ، وأن تكون على مقربة من مرقد الشيخ عدي ، فقد طلبت الى الأب الكرمللي ان يزودني بمعلومات عن سرقة هذه الطواويس الاربعة وعن هوية (رشيد باشا) هذا الذي سرقها ، وكيف كانت السرقة ، بطريقة السطو ليلال كما هي عادة اللصوص أم بطريقة اخرى ؟ ونعلم انه كان على ذلك العهد ثلاثة ممن يسمون بهذا الاسم ، الأول « محمد رشيد باشا » الذي ارتقى مسند الصدارة وعين والياً على سيواس ومأموراً للإصلاحات في كردستان وتوفي عام ١٢٥٢ هـ (٢٨٣٦ م) في ديار بكر أي قبل وقوع حادثة السرقة التي عني بها الاستاذ بعامين . والثاني « مصطفى رشيد باشا » المعروف بالدبلوماسيات وقد تقلد مسند الصدارة على عهد السلطان عبد المجيد ست مرات وتوفي عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) ببغداد . والثالث « صربخور رشيد باشا » وكان مشيراً للخاصة وتوفي عام ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) ، وطلبت اليه أن يعلمني من كان السارق من هؤلاء الثلاثة ، او أن يدلني على الأقل على المصدر الذي أخذ منه هذا الخبر ، فلم يجبني ، الأمر الذي دل على أنه هو نفسه في شك من صحة ما رواه . على أنه من الجائز ان يكون قد عثر على طاووس عند احد بائعي العاديات ببغداد واشتراه مسيحي مثر ، ومنه انتقل الى المستر شويغر الذي أهدها الى المتحف البريطاني وادخره المتحف كمتحفة ثمينة . ولكنني أجزم بان هذا الطاووس لم يسجد له يزيدي قط ، ولم تقدم له النذور والهدايا ، ولم يحظ بالاحتفالات الشائقة التي تجري عادة لطواويس اليزيدية ، بل هو مزيف من قبل أناس ليحصلوا على مبلغ ضخم من الدراهم من هوات العاديات الغربيين او انه صنع للزينة كما تصنع صور حيوانات مختلفة تزين بها المناضد والرفوف (١) .

(١) لقد أزال الاستاذ يعقوب نعم سر كيس المسك في امر هذا الطاووس في مقال نشر له في مجلة

يقول أمبسن : ويوجد صنمان آخران احدهما في متحف الدولة في جيپور في الهند ، والآخر بملكه ج . د . داودن في اديمبرغ . اما الصنم الذي في جيپور فيجوز ان يكون قد صنع في الهند ، وفي الهند طائفة تعبد الطاووس ، واما الصنم الذي في اديمبرغ فالأرجح انه من تلك الأصنام المزيفة ، وإلا فليس لليزيدية معمل يصنعون فيه تماثيل لآلهتهم ويبيعونها للناس ، او يسرقها أناس ويتاجرون بها ، ونذر جداً من رأى - من غير اليزيديين - طاووسهم بعينه ، او شاهد مراسم الزيارة التي تجرى له .
وعندما عزم الفريق عمر وهي باشا عام ١٨٩٢ م على إرجاعهم الى الاسلام الصحيح قسراً وأبوا عليه ، استولى على اربعة طواويس لهم وأرسلها الى بغداد حيث حفظت في خزانة الجيش السادس ، ثم أعيدت اليهم عام ١٩٠٨ بعد ان أعلنت الحكومة العثمانية مشروطة الادارة .

﴿ المقدسات الاخرى عند اليزيدية ﴾

جاء في كتاب « عبده ابليس » لنوري باشا والي الموصل الأسبق ، ان اليزيدية مقدسات اخرى غير الطواويس يحتفظ بها رئيس الطائفة وعدددا كما يأتي :

١- كبش اسماعيل « مصنوع من نحاس »

٢- عصاة نبي الله موسى « «

٣- حية « «

٤- مسبحة الشيخ احمد البدوي

٥- مشط لحية الجنيد البغدادي

٦- قضيب الشيخ عبد القادر الكيلاني

٧- طاس سليمان « من نحاس »

٨- حزام الشيخ احمد الرفاعي

« الجزيرة » الموصلية بعددها ٢٠ وتاريخ كانون الاول ١٩٤٧ ونفي كون انه له علاقة برشيد باشا أيا كان من الرجال الذين ذكرناهم بهذا الاسم - وقال : انما هو طائر من صنع الهند للزينة وقد اشتراه فتح الله عبود واحتفظ به ، وكان قد رآه عنده - وهو خاله - في حدود سنة ١٨٩٣ وهو تحفة للرينة وليس من طواويس اليزيدية . والحكاية التي وردت عنه ملفقة .

أما الآن فلا وجود لهذه الاشياء واليزيدية لا يعرفونها ولا يتكلمون عنها . ويجوز
أنها كانت موجودة فيما مضى وقد فقدت منهم ، ويوجد عند اسماعيل بك بن عبدي
بك « من اسرة الأمراء » سراج من خزف يزعم انه السراج الذي كان الشيخ عدي
يستعمله، واليزيدية يزورونه ويتبركون به .

ونخص بالذكر سريراً يسمونه « برشباكي » وهو في الحقيقة ليس بسرير بل إطار
لشباك يعتقدون ان الشيخ عدياً كان يجلس عليه، يحتفظ به في الحال الحاضر شخص في
قرية بجزاني يسمى « الشيخ بريم ابن الشيخ رمضان » يحيطونه بحرمة زائدة وسيأتي
الكلام عنه .

ومن أعظم مقدساتهم « سجادة » يعتقدون انها سجادة الشيخ عدي يتولاها « الشيخ
الاكبر - بابا شيخ » ولا يخرجها الا ايام الزيارات او عند حلول نائبة باليزيدية .
تحفظ هذه السجادة في صندوق مقفل وقد درجت بقطعة من القماش السميك ومحظور
على غير اليزيدي رؤيتها ، وهي معمولة من صوف أسود يضرب لونه الى الحمرة وقد
لعبت العثة في حاشيتها . يبلغ طولها عشرة أشبار وعرضها أربعة اشبار ونصف الشبر
وهي لم تكن حديثة الصنع ، الا انه من الصعب ان نصعد بها الى عهد الشيخ عدي حيث
مضى عليه ثمانية عصور ، والويلات والنكبات التي حلت بهذه الطائفة لم تبق لها شيئاً
من اسلافها .

الطبقات الروحية وصفو فهم

- الأمير -

هو الرئيس الملة البزيدية ووازعها ، وقدوتهم في الاحكام الدينية والاعتقادية ، له القضاء المطلق والحكم النافذ ، والارادة التي ليس له فيها منازع او معارض ، وهو من أسرة عريقة بالقدم تتصل بالبيت العدوي الممتاز بقدسيته ، ينتخب باجماع أسرته وموافقهم عليه دون ان يكون للملة ولا للرجال الروحيين حق المداخلة وابداء الرأي في الأمر بل هم مكلفون بالانقياد والطاعة لكل من يكون أميراً عليهم من الأسرة الأميرية .

ولما كان منصب الأمانة قد جمع بين السلطتين الروحية والزمنية على كل من يدين بالبزيدية تحت الشمس ، وبعبارة اخرى ، بمثل صاحبه في شخصه (الشيخ عديا) الذي يمتقدون بألوهيته ، وقد حل منه جزء آلهي فيه ، وقد كانت الأمانة دوما مطمح أنظار رجال هذه الأسرة ، لذا كان من النادر ان يقضي أحدهم أمارته دون ان تقوم حوله فنن ومشاغبات يعكر عليه صفو حياته حتى ان أحد الأمراء خرج عليه ولداه وارادا نزع الأمانة منه ، ومن الأمراء من اغتيل على يد أفراد أسرته ، ولم يتمتع بالأمانة الى النهاية إلا من كان محبوبا ومهابا ويعرف كيف يستجلب القلوب ويعمل على ارضائها .

والأمير هو متولي مرقد الشيخ عددي والمكلف بادارة شؤونه ، ويحافظ على (السناجق) ولا يجوز اخراجها من محلها وارسالها الى الجهات المختصة بها الا باذنه ، ويدير الاملاك العائدة الى الأمانة ، ويستلم النذور والخيرات والصدقات ويختص بها دون ان يكون لأحد حق في ان يشاركه فيها او يحاسبه عليها . إلا انه في نفس الوقت مكلف بمد يد المعونة الى الضعفاء والمعوزين من افراد أسرته والترفيه عنهم .

ومن وظائفه القضاء في المسائل التي تحدث بين البزيدية، وحكمه فيها يكون باتأ ونافذاً . وله ان يجرم من يشاء من البزيدية اذا أتى عملاً منكراً او خالف حكم الشريعة، ويستصفي امواله أو يغرمه شيئاً من المال . واذا مات أمير يرثه الأمير الذي يخلفه في ماله . على ان ملابسه يختص بها الشيخ الاكبر « بابا شيخ » .

ويستدل من هذا ان النفوذ الذي يتمتع به الأمراء (الى ما قبل عصر) جعلهم في

منطقة حكمهم أشبه بملوك غير متوجين . وكان أصحاب السلطات العشائرية بها بنوهم
ويخطبون ودهم ، ولو لم يترفوا في عدايتهم للمسلمين وبما ملونهم بجفاء ، لما أصابهم مكروه
وأضاعوا نفوذهم . وسيرى القاري الكارثة التي أصابتهم - في منتصف العصر الهجري
المنصرم - لأعداء أحد الأمراء على زعيم من زعماء الأكراد وقتله بالخيانة والغدر فكان
عمله هذا سبباً لنكبتهم . أما مكانتهم الآن فليست بالدرجة التي يحسدون عليها . فنكلمنا
خطى الشعب البزدي خطوة نحو المتمدن واتسعت مداركه وعرف حقوقه وواجباته ،
فقد الأمراء ما بقي لهم من مكانة وربما لم يبق لهم إلا عنوانهم التاريخي أو فقدوا هذا
العنوان ايضاً عندما يتحقق التطور الذي ينتظرهم .



﴿ الامير سميد بك ﴾

هو ابن علي بك بن حسين بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك بن بداغ بك بن ميرخان بك بن سليمان بك . وأمه ميان خاتون بنت عبدي بك بن علي بك بن حسن بك بن جولو بك الخ. تولى منصب الامارة بعد قتل أبيه سنة ١٩١٣م وهو صبي لم يتجاوز الثانية عشرة من العمر بالوقت الذي كان من رجال هذه الاسرة من هو أحق بهذا المنصب وأجدد به منه . إلا أنهم آثروه على انفسهم لما كانوا يحملونه من المحبة لأبيه والعطف على أمه وهي التي عرفت بفظنتها وامتلاكها القلوب بدعائها ، وكانت وصية عليه . ولما كبر أخذ يزاول أعماله بنفسه إلا انه لم يظهر كفاءة ومقدرة تمكنانه من نيل رضا الشعب واستجلاب مودته ، فقامت في الشيخان وسنجان خلافات شديدة ضده وأرادوا اسقاطه من منصبه إلا انه ظل محتفظاً به . ان هذه الخلافات التي فتحت ثغرة سحيفة بينه وبين شعبه وأصبح سدها متعذراً مدة طويلة ، سببها اتهامه بالتساح في المحافظة على شعائر الدين وانغماسه في اذواقه وشهواته التي لا تلتئم ومكانته الدينية وعدم اعتداده بذوي الرأي والبصيرة من وجهاء الملة واعتداده على أناس لا قيمة لهم واستثثاره بالخبرات والصدقات التي تصل اليه من طريق (السنجق) دون ان ينفق منها فلساً واحداً على الزوار الذين يؤمون المرقد ويرفونه عن المملقين من افراد أسرته . وهذه اشياء لم تكن ترضي الشعب بل تسبب نقمته عليه . إلا ان عدم وجود قاعدة دينية او تقليدية تجبز عزل الأمير من منصبه مها أساء العمل ، وكون الملة مكلفة بالطاعة له وحملها كل ما تجده فيه من عيوب على تحمل حسن وليس لها ان تسيء الظن به ، اضطرها الى الكف عن مناوآته . وهكذا استرجع نفوذه بعد ان أصابه شيء غير قليل من الفتور وعاد الى سيرته الاولى دون ان تترك هذه الحوادث أثراً في نفسه .

﴿ موت الامير سعيد بك ﴾

لا يزال الامير سعيد بك منذ آمد بعيد يعاني أمراضاً وأسقاماً صعباً مما أعجز نفوس الاطباء شفاؤها ، وقد كان كثرة مواصلته النساء وإدمانه على شرب الخمر من الأسباب التي زادت فيه هذه الأمراض استعصاء ، وكان اذا غادر فراشه يوماً لازمه اياماً طويلاً وقد علمت انه حضر الموصل هو وزوجته (خوخي) ونزل في دار في محلة الفيصلية

استجاباً للراحة ، فذهبت الى زيارته فعلمت انه مدعو تلك الليلة في فندق (كوكب الشرق) على ليلة ساهرة ولم يتيسر لي ملاقاته ، وفي صباح يوم الخميس (٢٩ تموز ١٩٤٤ - ٢٠ رجب ١٣٦٤) شاع خبر موته في المدينة فأخذتني الدهشة وان كنت أتوقع موته منذ زمن بعيد . والحق انه بموته استراح من عناء هذه الحياة ، واستراحت الملة من تصرفاته التي لم تولد لهم غير المحن والشقاء ، ذهبوا به الى باعذرة محمولا في سيارة وعند انتشار الخبر في الشيخان أخذ اليزيدية يتوافدون الى باعذرة آخذين بالبكاء والعيول وضربت الطبول وصدحت الزراني وأطلقت البنادق واجتمع نسوته وأهل بيته حول نعشه وأقاموا مأتماً لظمت فيه الحدود وجزت الشعور وشقت الجيوب ورتل رجال الدين الأناشيد الدينية على صوت الدفوف ونغم الزامير . وفي اليوم الثاني جرى دفنه بمراسم دينية خاصة وقد ألبسوه أنحر ملابسه ووسدوه فراشاً وثيراً في قبره . ثم ذبحت القرابين وقدمت المأكّل ، وبات الناس ثلاث ليالي حول قبره يحرسونه . واستمر العزاء اربعين يوماً استمرت فيها وفود المعزين تتوافد الى (باعذرة) من جميع الجهات يواسون أمه العجوز وأزواجه التعمسات وأولاده الصغار في مصابهم .

﴿ الاعتقاد بموت الامير سعيد بك ﴾

يعتقد البعض من اليزيدية ان الامير سعيد بك لم يموت ولن يموت كسائر الناس بل هو الآن حي وان كان جسده قد تحطم وأودع التراب . وأيد لي احد شيوخ أسرة الشيخ ناصر الدين انه رآه بعد موته بايام قلائل بين عشيرة (الهويرية) قريباً من زاخو مع بضعة قوالين في طريقه الى بلاد الروس ، وكان ذهابه احتجاجاً على ما لاقاه من شعبه من جحود ونكران ، وما عومل به من مذلة وهوان ، وسوف لا يبقى وقتاً طويلاً ويعود بعد ان يكون شعبه قد ندم على ما فعله معه .

﴿ نصب تحسين بك بن سعيد بك أميراً على اليزيدية ﴾

(خلفاً لأبيه)

تطاوات الاعناق الى منصب الامارة الخطير ولم يبق من افراد هذه الاسرة من لم ير لنفسه حقاً فيه بعد موت سعيد بك الذي أشغله احد وثلاثين عاماً ، وهناك استعملت

(ميان خاتون) تلك الداهية الدهياء حنكتها وفطنتها واستلمت البعض من افراد الأسرة الى جانبها واستعانت بهم على ترشيح (تحسين بك) ابن الامير الراحل للامارة والملة وان لم يكن لها حق المداخلة في هذا الترشيح ، فقد أظهرت ارتياحها له لما تتوسمه في هذا الغلام اليافع من الذكاء والنباهة وهو لا يزال معصوما ولم يدنس نفسه بالآثام والمعاصي .

وقد لاقى هذا الترشيح قبولا من السلطات الادارية العليا ، وتم تعيين (تحسين بك) أميراً ونصبت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت على أبيه من ذي قبل . ملحوظة : ان ترجيح تحسين بك على بقية أخوته ومنهم خيرى بك الذى يكبره سنتين كان باعتبار ان أمه (خوخى خاتون) من بيت الامارة ، فهى بنت نائف بك بن حسن بك بن حسين بك وتنجتمع مع زوجها بالجد الثالث ، بينما بقية أخوته أمهاتهم من البسميرية ومن أسرة الشيخ ابى بكر .

﴿ أسرة الأمراء وما يقال عن نسبهم وانتقال الامارة اليهم ﴾

يصعد الامراء بنسبهم الى « الشيخ ابى بكر » وهو الملك ميكائيل الخلقوى يوم الثلاثاء من ايام التتكوين جسما جاء في الكتاب الأسود الا أن اسمه لم يرد في كتب السير والتواريخ . والبيديية نفسهم لا يستطيعون ان يمينوا درجة اتصاله بالبيت العدوي وأين ومتى عاش وماذا كان له من الأثر في الديانة البيديية ؟ وكلا يعرفونه عنه انه من نسل « يزيد » بن معاوية الأموي اختاره يزيد للقيام على شعبه البيديى نيابة عنه ، وقد خلفه أولاده في أداء هذا الواجب وأصبحوا أمراء على هذه الملة ، على ان النصوص التاريخية البيديية والتقليد الجارى يدلنا على ان الشيخ حسن عندما وضع هذه الديانة جعل مشيخة هذه الملة الى رئاستها (أمارتها) في أهل بيته ومنحهم امتيازات خاصة ميزهم بها على غيرهم من بقية الأسر التى تنتمي الى البيت العدوي وخص كل أسرة بوظيفة تقوم بها دون ان يترك مجالاً لاحتمال تجاوز أسرة على اخرى في الوظيفة التى خصها بها . إذن كيف انتقلت مشيخة هذه الطائفة الى أسرة الشيخ أبى بكر بينما كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن ، وما هي الاسباب والعوامل التى يسرت لها الحصول

عليها؟ .. يتناقل اليزيدية همساً بينهم أن أفراد أسرة الشيخ أبي بكر كانوا يتمتعون بقوة عظيمة وكان لهم أتباع كثيرون ، فآخذوا يتطلعون الى الامارة بعد ان وجدوا في أسرة الشيخ حسن عجزاً وضعفاً ، فخرج احد رجالهم عليهم واسمه الشيخ محمد - ويعبر عنه اليزيدية بالشيخ محمد الكردي الاربلي - وحاربهم وقتل منهم ثمانين شخصاً وقبض على الامارة وحصرها في أسرته ، ولا تزال حتى يومنا هذا في قبضتهم .

على أن شيوخ أسرة الشيخ أبي بكر اذا كانوا وجدوا سبيلاً الى نزع الامارة من أصحابها الشرعيين ، فلم يستطيعوا تجريدهم من امتيازاتهم الدينية ، وان هم منعوا « القوالين » من الاشادة بذكر الشيخ حسن في أناشيدهم وحطوا من منزلته الا ان الوظائف الدينية التي اختص بها أهل بيته لم تدع شكاً في أن منصب الرياسة كان فيها مضي منحصر آبهم .

والذي نراه ان هذه الحادثة وقعت في مستهل العصر الحادي عشر الهجري بعد ان غلبت اليزيدية القاطنون في منطقة اربل وجبال السهران (الصوران) على أمرهم وعادوا الى الشيخان . والشيخ محمد الذي عرفه اليزيدية بالكردي ثم الاربلي ، والذي قام بغصب الامارة من أسرة الشيخ حسن هو من ذرية الشيخ أبي بكر الذي كان لهم في وقت ما أماراة في جبال السهران .

ونرجح ان الشيخ أبي بكر لم يكن من رجال البيت العدوي البارزين ، لكن اسمه أدخل في الكتاب الاسود (مصحف رش) في عداد الآلهة السبعة بعد ان نال أحفاده هذه المكانة وقبضوا على منصب الرياسة .

(١) بداغ بك : ورد اسمه في التاريخ الا ان اسم أبيه وجده لم يرد فيه .
(٢) جولو بك : قتله اسماعيل باشا حاكم العمادية سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) ونصب بمحله « خنجر بك » ثم عزله وصادره ونصب « حسن بك » بن جولو بك . وخنجر بك هذا هو من « البسميرية » وأسرتة لا تزال في قرية كندالة .

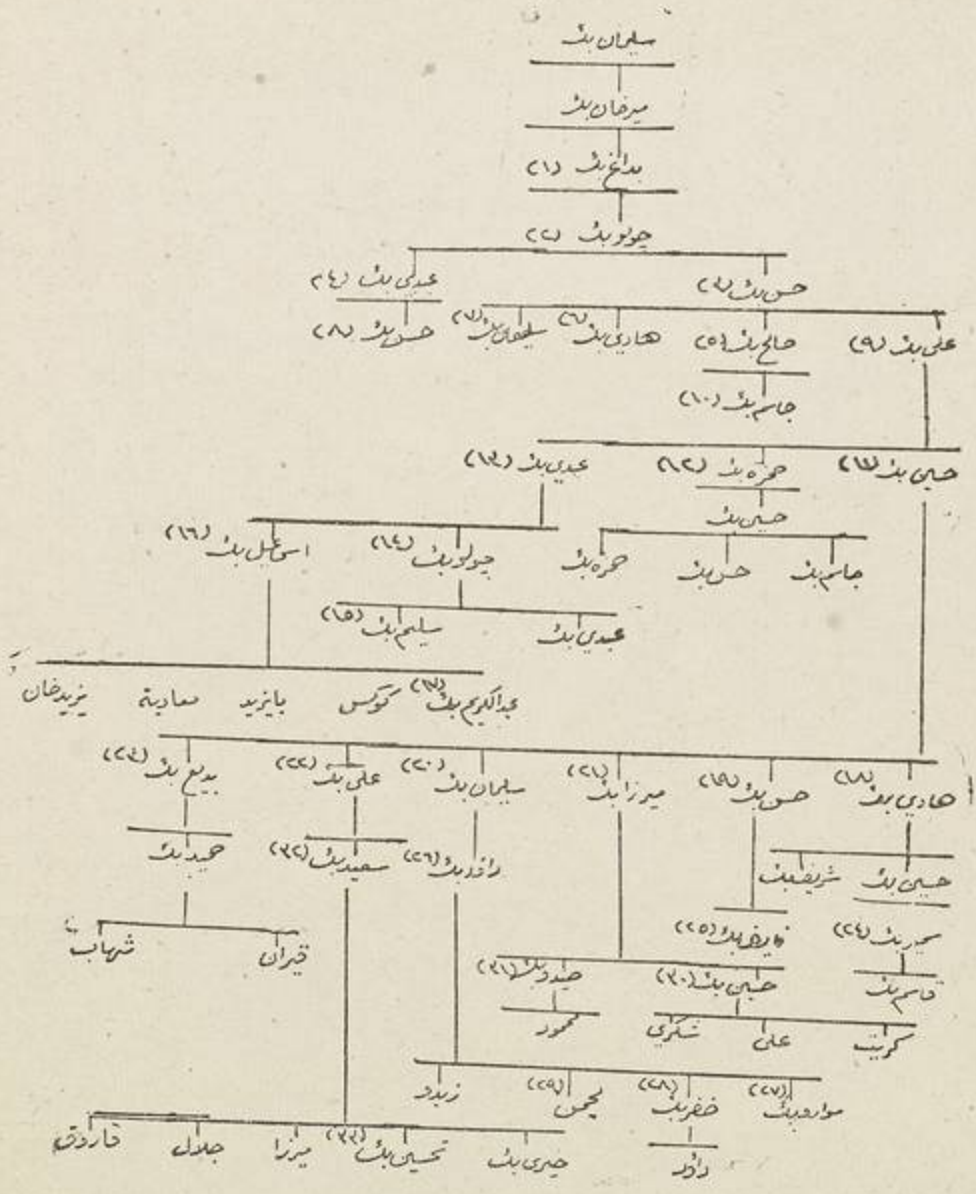
(٣) حسن بك : نصب أميراً على الشيخان بمحل أبيه الذي قتله اسماعيل باشا حاكم العمادية سنة ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) ولم تتحقق كم امتدت أمارته ولكننا نعلم انه كان محتفظاً بمنصب الامارة في سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) . وقد شق عصا الطاعة على كيقباد حاكم العمادية وهرب الى نواحي جزيرة ابن عمر ، فأرسل قياد بك جيشاً مع اخيه « بهاء الدين بك » لقتاله فانكسر بهاء الدين بك وقتل جماعة من عسكره . وفي حوادث الاثر : أن والي بغداد أرسل عام ١٢٢٤ الى يزيدية الشيخان يستحشهم على النهب والسلب واثارة الشغب والفساد ونهب القرى ليدل على ضعف الولاة الجليليين الذين لم يكن على تمام الود والاتفاق معهم ، فلم يطعه الامير حسن بك ، إلا ان أخاه عبدي بك أخذ يعبث بالأمن على رغم منه . يقول صاحب حوادث الاثر : وقد اعتذر حسن بك الى « محمد باشا » الجليلي من فعل أخيه فقبل عذره .

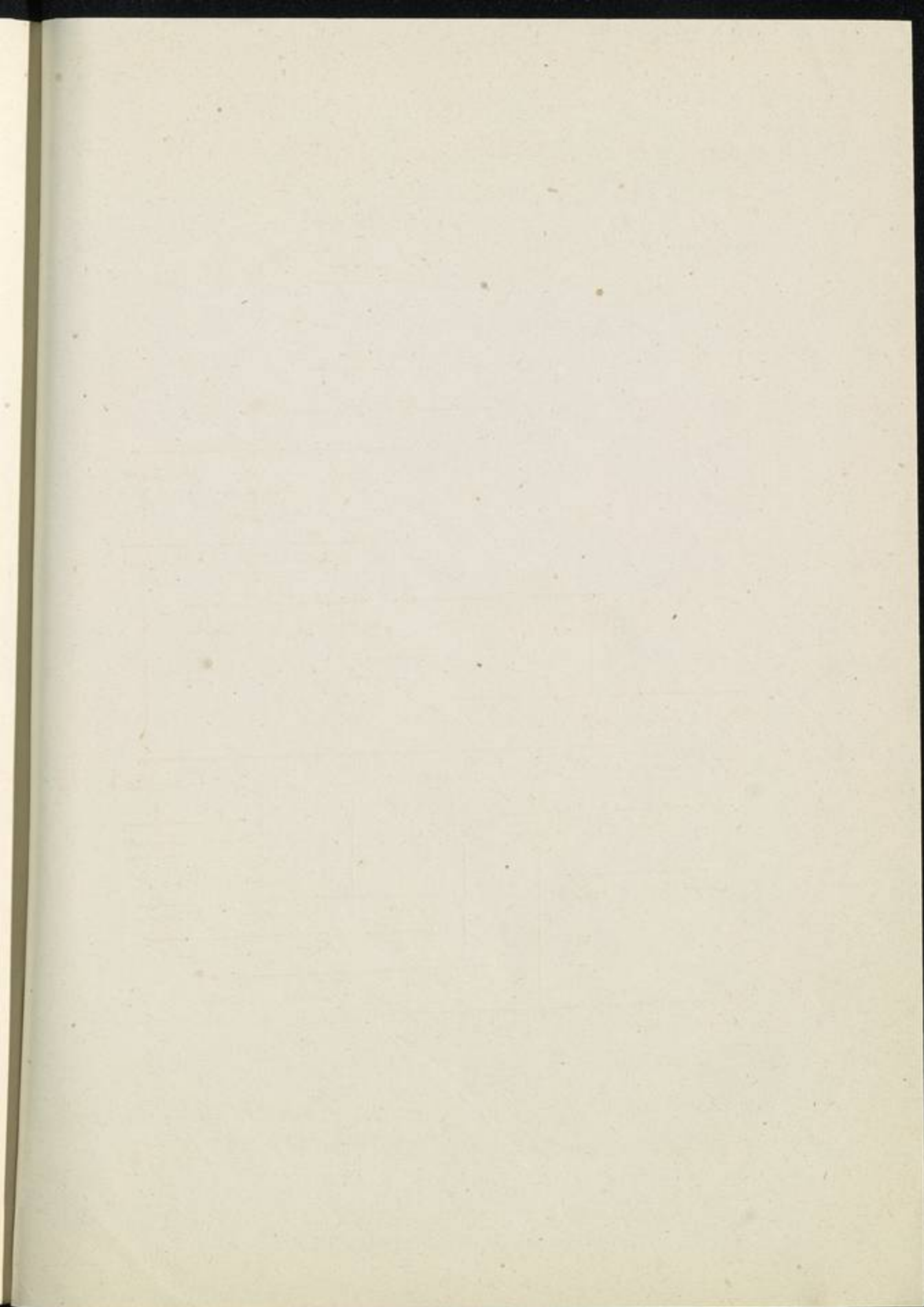
(٤) عبدي بك : أسر في حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور في قرية خطارة في الشيخان هو وأخته . ويقال ان الأسر وقع على ابنه حسن بك لا عليه ، وعلى بنته واسمها « فاطمة خاتون » لا على اخته . وقد تزوجها احد قواد « محمد رشيد باشا » الصدر الاعظم الذي قاد حملة على أمير راوندز وهو أمير الألاي مصطفى بك وتوفيت في بغداد .

وعبدي بك هذا هو الذي امتثل أمر والي بغداد وقام بنهب أموال الناس وتخريب القرى في الشيخان . وقد طرده أخوه حسن بك ارضاء للوالي الجليلي ، فذهب الى سنجار ومنها عاد الى العمادية بناء على دعوة حاكمها « زبير باشا » وأبقاه عنده مراغمة للوالي الجليلي وارضاه لوالي بغداد .

(٥) صالح بك : كان يتمتع بجرمة زائدة لدى البيديين ويقال انه اغتيل بالموصل .

أسرة أمراء الزيدية





(٦) و(٧) هادي بك وسليمان بك: يقال انها قتلا في حادثة أمير راوندز محمد باشا الأعور هم وذرائعهم ، ويروى ان الصورانين أخذوها أسرى الى بلاد الصوران وأسلما .
(٨) حسن بك : من الأرجح ان الأمر وقع عليه في حادثة أمير راوندز لا على أبيه وفاطمة خاتون هي أخته . وعلى ما ذكره صديقنا احمد فائق بك رئيس لجنة تسوية الاراضي في سنجار ان نسبه يتصل به فهو ابن توفيق بك بن سليمان بك بن حسن بك بن عبدي بك .

(٩) علي بك : جاء في تاريخ الزيدية للاستاذ العزاوي نقلا عن دائرة المعارف الاسلامية انه توفي عام ١٨٣٢م (١٢٤٨هـ) . والصحيح انه قتل على يد محمد باشا اينجه بايراقدار والي الموصل « امتدت ولايته من سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) الى سنة ١٢٥٩هـ (١٨٤٣م) وتوفي بمرض الدوسنطاريا ودفن في جامع النبي شيت بالموصل « في الموقع المسمى « كرى عرب » مع جماعة من اغوات الانكشارية وقطع رأسه وألقي في نهر الخازر (تقويم الموصل لسنة ١٣١٢هـ ص ٤٤٤) وأرجح ان قتله كان في السنة الرابعة من ولاية اينجه بايراقدار على الموصل .

(١٠) جاسم بك : عندما قتل علي بك بن حسن بك وكان ابنه حسين بك صغيراً أعلن امارته على الزيدية . وبعد ان أمضى ثلاث سنين في منصب الامارة كان حسين بك قد كبر واشتد ساعده، فقتله في قرية « ايسيان » قريبا من باعذرة وقبض على الامارة. كان لصاحب الترجمة ثلاثة أخوات : فتزوج الاولى حسين بك واسمها « روشى » وتزوج الثانية أخوه سليم بك واسمها « شيرين » وتزوج الثالثة أخوه عبدي بك واسمها « خمي » وهي أم ميان خاتون بنت عبدي بك وسيأتي ذكرها .



﴿ حسين بك بن علي بك بن حسن بك ﴾

(١١) حسين بك : كان صغيراً عندما توفي أبوه فقبض على الامارة ابن عمه جاسم بك بن حسين بك . وبعد ان شب وترعرع قتل جاسم بك واستولى على الامارة . وكانت الملة البزيدية اذ ذاك معروضة للاقتراض بسبب النكبة التي حلت بها ، فلم شتمها وجمع شملها وجدد لها كيانها وحافظ على بنائها . وكان صديقا لسر هنري لايرد المنقب والبحانة الانكليزي وقد ذهب الى استانبول بارشاد منه وتوصل الى السلطان عبد المجيد وشكى اليه النكبة التي أحلها أمير الصوران بشعبه . فعطف عليه السلطان وواساه وأنعم عليه برتبة « قبوجوقدار » وبعد عودته من استانبول حصلت بعض الاضطرابات في الشيخان

وأتهم بها ، فقبضت الحكومة عليه وألقته في السجن ثلاث سنين ، ثم أخلت سبيله .
وفي خلال هذه المدة خرج ولداه هادي بك وحسن بك على التقاليد المتبعة وطالبا
بالامارة وأرادا ان يستأثرا بها ، فعارضهما بقية رجال الأسرة وجرى لهم معها مقاتلات
أودت بحياتها .

وصاحب الترجمة هو أول من خالف التقاليد اليزيدية وتزوج امرأة من بيت شيخ
عبدال بسك من أسرة « شيخ شمسا » التي هي محرمة عليه ، وجمع بين سبع نساء في
آن واحد ، وقد توصلنا الى معرفة أربع منهن وهن : روشي ، وكلبي ، ونعامي من
بسميرية كذالة ، وغزو من بيت شيخ عبدال بسك .

(١٢) سليم بك : يروى انه لم يكن على تمام الود والمصافات مع أخيه الأمير حسين بك
فترك باعذرة واختار الإقامة في عين سفني الى ان مات ، وكان له زوجة واحدة وهي
(شيرين) بنت جاسم بك بن صالح بك .

(١٣) عبدي بك : كان يساعد أخاه الأمير حسين في أعماله ، وله مكانة متميزة بنظر
الشعب . وعندما زار « لا يارد » باعذرة كان صغيراً لم يتجاوز العاشرة من العمر ، وقد
رسمه بالقلم وهو جالس على الارض بجانب أخيه حسين بك ، ونجد هذا الرسم في تاريخ
اليزيدية للاستاذ العزاوي اقتبسه من كتاب رحلة لا يارد . ولأسباب لا نعرفها اختلف
مع أخيه حسين بك فترك باعذرة واختار الإقامة في قرية بجزاني ثم في قرية خطارة .
(١٤) جولو بك : لم تحمد سيرته واليزيدية لا يذكرونه بخير .

(١٥) سليم بك : كثيراً ما تآمر على الامير سعيد بك وسعى في إسقاطه من منصبه
وهو لا يؤمن له جانباً .

(١٦) اسماعيل بك : طاف في عنقوان شبابه بلاد الاناضول وذهب الى ايران وبلاد
الموسقوف ونال إعطيات كثيرة من اليزيدية القاطنين هناك ، وخاصم الامير علي بك
وابنه الامير سعيد بك ونازعها الامارة . وبعد سقوط بغداد اتصل بالانكليز في سامراء
وأبدى لهم الاخلاص وأظهر نفسه بمظهر الزعيم ، وتعرف الى رجال الصحافة في سوريا
والعراق وأطلعهم على كثير من المعتقدات اليزيدية ، ومع ذلك لم ينل ما توخاه من الوجاهة

والرياسة . فالانكليز بعد ان أولوه ثققتهم نبذوه نبذ النواة والصحافيين الذين تعرف اليهم ولوه الادبار . والملة بعد ان وقفت على أعماله قابلته بالنفور والامتناع ، وقد عرفه الاستاذ العزاوي بقوله : « والرجل يفاوض كل ناحية ، ويريد ان يرضي كل قبيل . يقول للمسلمين أنا أفتح المدارس ، وان عقيدتنا لا تفرق عن عقيدة المسلمين . وللإجانب يقول : نحن أقرب الى النصرانية وأولى الالام بحرماتهم . وهو في الحقيقة بمن لا تمهد اليه الأمور الدينية ، أوله ان يبوح بأسرارها ، ولا اعتماد للقوم عليه ، ولم ينل منهم قبولا ، فلم يروا له حقا في رياسة » ، ولو انه اتخذ له مسلكا قويا وسار في حياة العملية سيرة شريفة مرضية لوجد من بشد أزره في نيله الامارة .

ولو لم يكن له من المساوي شيء فيكفيه قبوله الرسالة التي كتبها الدكتور زريق عن لسانه وضمنها كتابه : « اليزيدية قديما وحديثا » وفيها سب (محمدآ) وديانة محمد ، وهو ليس بمن يكلف شراؤه غالبا .

وهو أول من حطم التقاليد الدينية اليزيدية وعلم ابنه عبد الكريم في المدارس الحكومية وكذلك ولديه الآخريين يزيد خان ويازيدا ، وعلم بنتيه ونسة وقبرصا في المدرسة الامريكية في الموصل .

تزوج أولا روشي بنت حسن فقير ، وبعد موتها تزوج عمشة بنت حمزة بك ، وكان موته يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٣ عن عمر ينوف على الخمسين سنة .

(١٧) عبد الكريم بك : استخدمته الحكومة زمنا معلما في مدرسة عين سفني وفي سنجار ، ثم استغنت عنه ، ثم أعيد ثانية الى التعليم ، وها هو الآن مدرس في مدرسة عين سفني . تزوج ثلاث نساء ، الاولى نعام بنت علي بك ، والثانية اختها ماميكي وقد توفيتا ، والثالثة شرو من أسرة الشيخ أبي بكر .

(١٨ و١٩) هادي بك وحسن بك : انتهزا سجن أبيها حسين بك واستوليا على السنجق من أيدي القوالين واستأثرا بنذوره وخبراته . فخرج عليها عمها عبدي بك وأخواهما مبرزا بك وعلي بك وجرى بينهم قتال شديد في قرية دوغات من قرى الشيخان أسفر عن قتلها وقتل جماعة من اعوانها واسترجع السنجق . ويقال ان نعماني خاتون زارت زوجها حسين بك في السجن عقيب هذه الحادثة وقد تبرجت خلافا لعاداتها

عندما تزوره في السجن ، فأنكر عليها ، ولما أوقفته على الخبر تألم كثيرا وقال لها : كنت
أؤثر ان يستقلا بالامارة على ان يقتلا .

كان للاول زوجة اسمها ماشى ، والثاني زوجة اسمها روشى ، وكلتاها من بسميرية كندالة .
(٢٠) سليمان بك : كان له زوجة واحدة وهى سارى بنت حمزة بك .

(٢١) ميرزا بك : تقلد منصب الامارة بعد موت ابيه حسين بك ، الا انه لم يظهر له
ماثر محمود ، والشعب اليزيدى لا يميل اليه كثيرا لتبليته دعوة الفريق عمر وهبي باشا
وقبوله الاسلام ، وان لم يدم اسلامه اكثر من ثلاثة اسابيع ثم عاد الى يزيديته . كان
له زوجتان : الاولى نعام بنت صيدو بسمير ، والثانية عدلاني بنت عبدى بك .



علي بك بن حسين بك بن علي بك المتوفى سنة ١٩١٣ م

(٢٢) علي بك : كان مستجمعاً صفات الامارة بكل معانيها ، وقد أكرهه الفريق عمر وهبي باشا على قبول الاسلام فأبى وآثر الموت على تبديله دينه . وقد نفته الحكومة الى مدينة سيواس وبقي فيها ثلاث سنين . ثم عاد صرفوع الرأس ناصع الجبين بين قومه وأخذ باصلاح ما أفسده الفريق عمر وهبي باشا في المجتمع اليزيدي ، وجدد بناء قباب مشائخهم وأولياهم التي هدمها وطلب من الحكومة اعادة مرقد الشيخ عدي الذي أخرجه من أيديهم واتخذة مدرسة اسلامية فاجابت طلبه . إلا ان أمده لم يدم طويلاً اذ سطت عليه يد أئيمة واغتالته وهو نائم على فراشه ، وعيون الحرس ترصده من كل جانب . وقد أنهم في قتله فتاح وعلي وشمدين اولاد جولو بن جولو الماني « عمان قرية في الشيخان تقع قريباً من باعذرة » من البسميرية لحقد قديم يحملونه في صدورهم على الأمراء ، اذ يروى ان الامراء كانوا قد أوقفوا القتل في هذا البيت وأبادوهم على بكرة ابيهم لسبب تزوج احدهم امرأة من بسميرية كندالة كان احد الامراء يريد التزوج بها . ولم يبق من هذا البيت سوى « جولو » الذي في بطن أمه وقد سمي باسم أبيه . وقد استقصى داؤد بك بن سليمان بك وحسين بك بن مسيرزا بك ولدا أخى علي بك أثر اولاد جولو الثلاثة فعثرا على فتاح وعلي في قرية الحسنية وقتلاهما ، وهرب شمدين الى سنجار وبقي محتفياً نحو خمس عشرة سنة ومات بعد ان كف بصره ، وقبضا على جولو وأتيا به الى قصر الامارة وكان أرمد وقتلاه صبراً . وقد طلب ان يفكوا وثاقه ويمهلوه لحظة ليدلهم على القاتل الحقيقي ، مدعياً انه وأولاده بريئون من قتل علي بك فما أصغوا اليه وأخذوا أنفاسه في التو واللحظة وبقتله دفنت أسرار لا يعلمها إلا جولو وأصحاب القصر أنفسهم .

ان توجيه قتل علي بك الى جولو الماني وأولاده الثلاثة لا يطمئن اليه الضمير كثيراً إذ ان اقتحام القصر مع حصانته ويقظة حراسه أمر صعب جداً وليس من السهل الوصول اليه ما لم يكن لأهل القصر او الحراس يد في ذلك . لذلك ليس في الوسع نفى الخبر الذي شاع اخيراً من ان « لسفراغا » (١) بن عمر اغار رئيس عشيرة الدوسكية المسلمة صديق القصر يداً في ذلك وكان في تلك الليلة ضيفاً مكرماً عليه .

(١) يقال : انه يرجع الى اصل يزیدی وقد قتل كذلك ليل على فراشه (سنة ١٩٢٤م) اي بعد -

(٢٣) بديع بك : هو ابن حسين بك من زوجته نعامي ، كان على جانب من حسن الخلق والخلق ، سريع التودد ، ميالا الى صحبة المسلمين . وقد مقته اليزيدية لانصياعه الى دعوة الفريق عمر وهبي باشا وقبوله الاسلام مع أخيه ميرزا بك ، تزوج ثلاث نساء الاولى : سيرى بنت حمزة بك ، الثانية : هوري بنت عبدي بك ، الثالثة : شيرين بنت صيدو بك .

(٢٤) سمير بك : نزع الى سنجار بعد قتل أبيه وبقي فيها ردحا من الزمن ، ثم صالحه عمه ميرزا بك وزوجه بنته نجمة وأعادته الى باعذرة . يروي عنه بطولة وفروسية نادرة وكان يصل في غزواته وهو في سنجار الى جبل مقلوب فيسلب وينهب ويعود مثقلا بالغنائم .

(٢٥) نائف بك : نزع الى سنجار بعد قتل أبيه وسكن قرية (تبة) وكان يتردد من حين الى آخر الى قصر الأمانة ، تزوج الامير سعيد بك بنته روشن ، فمات وتزوج بنته الثانية خوخي ، ثم جمع بينها وبين أختها كلي وهي زوجة قاسم بك بن سمير بك ، توفي سنة ١٩٣٨ م عن عمر يناهز الثمانين .

(٢٦) داؤد بك : كان له ثلاث زوجات الأولى : شرو من أسرة الشيخ أبي بكر ، الثانية : عدلاني بنت حسن شلال من أسرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، الثالثة : ماشي بنت علي بك .

(٢٧) سوارو بك : هجر باعذرة وذهب الى سنجار واختار الإقامة زمناً في قرية قصر كي ، ثم عاد اليها بعد ان عضه الجوع ، وكانت تحدته نفسه بالأمانة عندما وجد أهل سنجار يريدون إسقاط الأمير سعيد بك من منصبه وجمع له حزبا وتحدثوا بأمارته وعندما توفي سعيد بك وأظهر الناس ميلا الى انتخاب أبنه تحسين بك بمحلته عادت اليه أحلامه ووقف موقف المعارض وعمل محضراً من بعض رؤساء اليزيدية في ترشيحه الى

- قتل علي بك بأحد عشر عاما وأتهم بقتله سعيد افا احد رؤساء عشيرة الدوسكية . وقد نال سعيد افا وجاهة كبيرة وترعم عشيرة الدوسكية العظيمة وأغنى غناء فاحشاً ، وانتخبته الحكومة عضواً في مجلس النواب العراقي . وقد حضر ديوان متصرف لواء الموصل في (٨ أيلول ١٩٤٧ م) لحل نزاع بينه وبين احد رؤساء الدوسكية ويدعى سليم افا مصطو ، ولما لم يتم الاتفاق بينهما أطلق سليم افا عياره الناري عليه وقتله على عتبة حجرة المتصرف .

الأمارة وقدمه الى المراجع الرسمية ولكنه لم يلق أذنا صاغية ، وقد رضى الآن ان يكون خادما لدى الأمير الحالي تحسین بك ويعيش بمطايه .

(٢٨) خضر بك تزوج بنت الأمير سعيد بك ويسمونها (طوطي) وماتت عن ولد له اسمه داؤد ، ثم تزوج تركو من بسميرية الجراحية .

(٢٩) لجن : تزوج قبرص بنت اسماعيل بك وصار له منها ولد سماه سليمان .

(٣٠) حسين بك : لايميل البيزيدية اليه كثيراً وسيرته لم تكن ممدوحة بنظرهم ، وكان قد خاصم الأمير سعيد بك وانضم الى الحزب المناوي له وحدثته نفسه بالأمارة وسعى اليها ولم يوفق ، وقد تزوج الأمير الحالي تحسین بك ابنته نعمي فانضم اليه .

(٣١) صيدو بك : له زوجة واحدة وهي شيرين بنت سمو كندالي وقد توفي وترك ولداً لم أعرف اسمه .

(٣٢) سعيد بك : تولى منصب الأمارة بعد قتل أبيه علي بك سنة ١٩١٣ م وهو في الثانية عشر من العمر ، ونشأ نشأة أرستوقراطية لتوفر أسباب الترف والغناء له ، ولما شب أخذ ينغمس في الأذواق والملاهي بافراط غير حاسب للرأي العام البيزدي حساباً ، وهذا ما أضر به ولم تبق له مكانة محترمة بنظر الشعب وسخط عليه ومنع عطايه عنه وأراد إسقاطه من منصبه . وبعد ان منحه ثقته واستعاد مكانته لم يغير من سلوكه وظل دائماً على أعماله الى ان مات موتة رجل عادي في أحد الفنادق بين أناس لم تكن الشريعة البيزيدية لتجوز له معاشرتهم والاختلاط بهم .

تزوج عشر نساء الاولى : ميرم بنت حسن فقير من أسرة الشيخ أبي بكر وقد قتلها سنة ١٩٢٥ م ، الثانية : روشن بنت نائف بك وقد عاجلتها المنية ، الثالثة : عمشة بنت حجي سلو البحراني من أسرة الشيخ أبي بكر ، الرابعة : زاري بنت فقير اوصى السنجاري وقد تخلت عنه وتزوجت من آخر غيره في سنجار فكانت عاقبتها القتل ، الخامسة : قطي بنت شيخ آلو ، السادسة : كتي بنت فقير ميرزا ، السابعة : شمي بنت حسين بسمير ، الثامنة : خوخي بنت نايف بك ، التاسعة : اختها كلي بنت نايف بك ، وقد جمع بينها في آن واحد ، العاشرة : ونسة بنت اسماعيل بك وقد هربت منه وأسلمت وسيأتي الكلام

عنها ، ومات عن خمس منهن لا يزالن أحياء يرقبن أجلهن .
(٣٣) تحسين بك : أصبح أميراً بعد موت أبيه وهو في سن الثالثة عشرة وقد آثروه
على أخوته ، وفيهم من هو أكبر منه سنًا وأكثر دراية ، باعتبار ان أمه من بيت الأمانة
وقد أصبحت جدته « ميان خاتون » وصية عليه كما كانت وصية على أبيه ، وهو على غاية
من الصباحة والملاحة وقد تزوج « نعامي » بنت حسين بن ميرزا بك في السنة الثانية
من توليه الأمانة ، وقد نصحت جدته ان تعني بتهديبه وتثقيفه ، وتجعل منه رجلاً
صالحاً يفيد شعبه ويعيد إليه ما فاته من نجاح وتقدم ، فعملت بنصيحتي وأتت له بعلم
إلا أن روح المرح واللهو غالبه عليه فلم يظهر ميلاً الى التعلم . وقد تحرص جدته على
تنشئته تنشأة صالحة وتجعله بعيداً عن المغريات والفساد لا كما كان عليه أبوه ومن سبقه
من الامراء ، إلا ان كثرة تردده الى الموصل واختلاطه بغير الزيديين والاكثر من
صحابتهم - وهو نقص عند الزيديين - واستسلامه انزق الشباب لا يبشعر له بمستقبل
مأمون العاقبة ، وأسرة الامراء ، على رغم ما يظرونه من الاخلاص والمودة له يظرون
له السوء وكل واحد منهم يريد ان يكون أميراً ، وهو يمتاز على أبناء هذا البيت باجمعهم
بدمائة أخلاقه وحسن سيرته وقد نشأ في حضن الأمانة وتلقى المزايا الحميدة صاعراً
عن كابر .



ميان خاتون بنت عبدي بك بن علي بك

وبعد ان اتهمنا من البحث عن الأمراء نرى ان نقول كلمة عن « ميان خاتون » التي ورد ذكرها عرضاً في الكلام عن رجال هذه الاسرة ، وذلك لما لها من المكانة العظيمة عند رجال هذه الاسرة والشعب جميعاً .

تبلغ « ميان خاتون » من العمر خمسة وسبعين سنة ، وقد أدركتها في مقتبل ايام حياتها وهي على جانب من الحسن والجمال وهي بنت عبدي بك بن علي بك وأمها « نجي خاتون » بنت جاسم بك بن صالح بك بن علي بك ، تزوجت من ابن عمها الامير « علي بك » في سن الثامنة عشرة ، وبعد موته صار أبنها « سعيد بك » أميراً وأصبحت وصية عليه ثم على ابنه « تحسين بك » بن سعيد بك الذي صار أميراً وهو في سن

الثالثة عشرة ، وقد ظهرت علائم النبوغ والتفوق عليها منذ عهد زوجها علي بك وكانت تقوم باعمال الأمانة بالاشتراك معه وواسته في أيام محنته وشقاؤه واختارت النفي معه عندما أجلته الحكومة العثمانية الى مدينة سيواس ومكث فيها ثلاث سنوات وهي ذات عقل راجح وفكر صائب ونظر بعيد في الامور ، يحترمها الشعب ويخافها وتمتع بنفوذ عظيم ولا يجراً أحد ان يخالف لها أمراً ، والكل يرهبونها في الحضور ويعتابونها في الغياب .. فيها عنجبية وكبر وغرور .. اذا حضرت مجلسها ترى آثار العظمة والنبيل تلوح عليها .. وهي كثيرة التشاؤم ، لا تثق باحد ، شديدة الامسك لا يفلت من يدها فلس على رغم كثرة مواردها ، تمتقت رجال بيت الأمانة وتزدرجهم ، فيها مكر وخداع ، لا يؤمن لها جانب ، وقد تقسو على من يقف في سبيلها الى ان تنزله القبر وبالاجمال ، فان منصب الأمانة منوط اليوم بها فهي التي تأخذ وتعطي وتحسن وتحرم وتحلل وتحرم ومن الصعب ان يتكهن الانسان بما ستؤول اليه الحالة بعد موتها وهي في مقترب حياتها ، وكل ما فيها قد أدركه الهرم إلا عقلها .

﴿ في نصب الامير وعزله ﴾

وهنا يجب أن نعلم ماهي القاعدة المتبعة في نصب الأمير ؟ وجوابنا عليه : ليس هنالك قاعدة معينة اكثر من الاستفادة من النفوذ العائلي يضم اليه رغبة الحكومة وهما اللذان يؤثران في هذا النصب ، وبالنظر لما لهذا المنصب من الاهمية القصوى وأثره في حياة الامة الدينية والاجتماعية ، أليس من الواجب أن يؤخذ بنظر الاعتبار الصفات التي يجب أن يكون الأمير المراد انتخابه متصفاً بها ، وأن يودع انتخابه الى جماعة من ذوي الرأي والكلمة من الرجال الروحانيين كما هو الأمر عند النصاري في انتخاب من يكون بطريركا او مطرانا .

تقول متأسفين ان هذا لم يكن ، والتقليد المتبع منذ القديم لا يقره ، والاعتراض الذي يرد في ذلك هو كيف يجوز جعل انتخاب الامير الذي يعدونه آلههم المجسم ويعتقدون بقدسيته بيد الرجال الروحانيين الذين يعدون من أفراد الشعب بالنسبة اليه ؟ وهذا وإن كان يبدو صحيحاً ، ولكن نظراً لليقظة التي حصلت في حالة الشعب العقلية والشعورية ،

وانطلاق لسانه من عقاله حيث لم يجد ما يمنعه من تخطئة الامير في أعماله وانتقاد تصرفاته التي لا تلتئم وأمانيه ، أصبح من الواجب المحتم أن يكون له رأي في انتخابه والرؤساء الروحانيون هم الذين يمثلونه .

ومن أهم الاسباب التي تحتم جعل نصب الأمير تابعا للانتخاب ، هو كون التقليد الديني قد جعله ثابتا في منصبه لا يجري عليه عزل وإقصاء مهما أساء العمل ، والملة مرغمة على الطاعة له . وأمير هكذا شأنه من الخطأ ان يكون نصبه تابعا لرأي واحد وأن تفرض طاعته على شعب عظيم ، ولم يؤخذ رأيه فيه . وهذه القاعدة هي من صالح من سيكون أميراً أكثر . ولو أتبعنا هذه القاعدة في المرة الاخيرة لما وقع الاختيار على غير الامير الحالي لما امتاز به من الصفات التي ترجحه على غيره ، ولسد باب الشغب الذي يقيمه رجال هذا البيت ضده وكلهم يرون له حقاً في الامارة .

أما جعل منصب الامارة ثابتاً دون ان يجري العزل والانفصال على من يكون أميراً فهي قاعدة أقرها التقليد الديني منذ القدم (١) ، وذلك لما يعتقده الشعب في الامير من العصمة المطلقة ، وتمثيله الشيخ عدياً في زعامته عليهم ، ومن يختاره الشيخ عدي ممثلاً عنه لا يجوز لهم ان يعارضوه . وقد لا يفرغ هذا المنصب من صاحبه إلا بالموت او القتل ، والقتل يقع على يد أفراد الأسرة ، والملة تكون بعيدة عنه ، وهذا ايضا لم يقع إلا نادراً .

يبلغ رجال أسرة الأمراء في الحال الحاضر ثلاثة وعشرين ، يقيمون جميعهم في قرية « باعذرة » (٢) وهم عاطلون لا عمل لهم ، والعمل بنظرهم عار ومنقصة ، وأنهم لم يخلقوا

(١) عندما كثر الشغب على الامير المتوفي سعيد بك واصر يزيدية سنجان بالاجماع على اسقاطه من منصبه وتعيين آخر يحمله من هذه الأسرة واتبعهم في ذلك قسم عظيم من يزيدية الشبخان وتخرجت الحالة ، وجهت الحكومة الي سؤالها عن جواز عزل الامير وتعيين آخر يحمله ، فكان جوابي بالنفي .

(٢) قرية جسيمة كثيرة المياه ، يسكنها امراء اليزيدية ولا يشك في انه كان لها مكانة تعبوية عظيمة على زمن الآشوريين لوقوعها على مضيق مامزدينا وان لم يبق فيها آثار تدل على آشوريتها . ثم أصبحت نصرانية وسميت (بيت عذرة) . ثم حرفت فصارت باعذرة . ويستدل من آثارها المدرسة على انها -

للمعمل ، بل الشعب يعمل ليعيشوا . ولم تكن النذور والخبرات التي يقدمها الشعب اليهم إلا لهذه الغاية ، بينما لا يصيب أحد من رجال هذه الأسرة فلس واحد من هذه النذور والخبرات ، بل يستأثر بها من يكون أميراً . وهذا ما أدى الى فتح باب الخصام بين رجال هذه الأسرة والأمير ، والامير لم يقر لهم بحق ويريد ان يجعلهم دائماً في عسر وضيق ليأمن غائلتهم ، وقد كان الامراء الذين سلقوا يعطفون عليهم بعض الشيء ، أما الآن فقد حرموا من هذا العطف .

ان جميع النذور والخبرات من أفراد الشعب على الوجه الذي نراه الآن لم يكن موجوداً فيما قبل ، بل كانت القاعدة ان يؤدي الشعب مقطوعاً سنوياً لمن يكون رئيساً - وهو يعرف اليوم بالامير - لتأمين ادارة أهل بيته ، ويراد بأهل بيته أقاربه الذين يضمهم وايه نسب واحد ، ويكون لكل واحد منهم حق في ان يكون أميراً . ولما كثر الشعب وتفرق في البلاد ولم يكن في ميسوره تأدية المقطوع المفروض عليه ، أستعاض عنه بخبرات يؤديها باسم (السنجق - الطاؤوس) حيث يطاق به بينهم فيؤدون له خيراتهم ، وزيد على ذلك ان فرض عليهم إعطاءهم خيرات لكل مكان شريف في مرقد الشيخ عدي عند زيارتهم له .

كانت الخيرات التي تجمع على هذه الصورة حتى السنين الاخيرة لم تتجاوز اربعمائة ليرة ذهب على أعظم تقدير . أما الآن فقد بلغت عشرة آلاف دينار وربما زادت بعض الشيء على ذلك . ورجال هذه الأسرة لا يزالون محكوم عليهم بالحرمان من هذا الدخل الجسيم وأكثرهم يتضور جوعاً وينام على الطوى . وفي سنة ١٩٣٤ أقاموا ثورة عنيفة على الامير السابق سعيد بك وطلبوا محاسبته ولكنهم لم ينالوا مأرباً (١) ، وعندما

كانت معمورة جداً ، وكثيراً ما عثر على جثث اموات في خواب من الخرف . والقرية الان في واد سحيق يكثر فيه العوض . وقصر الامراء على ربوة عالية يشرف على القرية .

(١) كان على اثر الاحتجاج الذي أقامه يزيدية الشيخان وسنجان على الامير السابق سعيد بك لسوء تصرفه في اموال الخيرات وحرمانه رجال بيت الامارة منها وصرفها في غير موضعها ، ان امتنع يزيدية سنجان من اعطاء الخيرات سنتين ومنعوا طواف السنجق بينهم . فرأت الحكومة وضع نظام طائفي خاص بين فيه وظائف الامير وتحدد مسؤوليته وتعين كيفية جمع الخيرات وصرفها ، ووضع قائم مقام الموصل خليل عزي بك (متصرف الموصل الان) مسودة نظامين لهذا الغرض ، الا انها لم يقترنا بالمصادقة وبوضع محل التنفيذ .

قر الرأي على انتخاب الامير الحالي تحسين بك ، شرطوا عليه وعلى جدته ميان خاتون التي لها القول الفصل في هذا الامر ان لا يكون له أكثر من ثلث الخيرات ، وان يعطى اليهم الثلث ، ويخصص الثلث الباقي لاعمار مرقد الشيخ عدي والاتفاق على زواره ، ولكنه لم ينفذ هذا الشرط .
وهنا نبين مقدار ما دخل على الامير في هذه السنة (١٩٤٨) او بالأحرى على جدته ميان خاتون بصفتها وصية عليه من الخيرات :

دينار

٤٠٠٠	بدل ضمان طاؤوس سنجار ، يطاف به في السنة مرتين .
١٥٠٠	واردات سنجق طاؤوس الشيخان، يدار بالأمانة ويطاف به في السنة ثلاث مرات.
١٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ عدي .
٥٠٠	ضمان مرقد الشيخ شمس .
٥٠٠	ضمان العين البيضاء (كافي اسبي) .
٥٠	ضمان مرقد الشيخ مند .
٥٠	» » خاتونة نجر .
٤٠	» » الشيخ آمادين .
٣٠	» » الشيخ ناصر الدين .
١٥	» » حسن بمان .

٨١٨٥

فاذا ما أضيف الى هذا الدخل واردات القرى والمزارع الموقوفة على مرقد الشيخ عدي ، والهبات والعطايا التي تصل الى الأمير من الخارج ، ومهر الفتيات اللاتي يتزوجن وليس لمن من يتولاهن ، وأموال العقوبات التي تؤخذ من خالف حكم الشريعة والرسوم المفروضة على رعاة الأبقار في بعض القرى لبلغ عشرة آلاف دينار او ما يزيد ، ونحن لا نريد ان نبحت هنا عن فداحة هذه الضرائب التي يسمونها بالخيرات ، وكيف يستطيع الشعب ان يؤديها مع فقره وقلة موارده ، ولا نريد ان نعطف عليه ونألم له ، فقد يبيع

أحدهم بقرته وحمارته ويعطي ثمنها الى الطاؤوس عند مجيئه الى قريته ، او عند زيارته
مرفد الشيخ عدي عن رضى وطيب خاطر ، فهذا لم يكن موضع بحثنا بل الذي نريد ان
نقوله هو : كيف جاز للامير ان يستأثر بهذا الدخل العظيم ولا ينفق منه فلساً واحداً
على أبناء أسرته وقد بلغوا الغاية من الاملاق ، ولم يقيم بعمل خيري او مشروع عمراني
او ثقافي يحتاجه الشعب جدا ؟ وعندما مات الأمير سعيد بك ترك وراءه ديناً يقدر
بثمانية آلاف دينار ، سدد من هذا الدخل .

ان لرجال هذا البيت ان يطالبوا بنصيبهم من هذا الدخل الذي طالما ذهب في طرق
غير مشروعة ، فاذا ما انتهت الملة من غفلتها وطالبت بأتقافه في أمور يعود نفعها
للمجموع ، او امتنعت عن إعطائه يتحتم عليهم إذ ذاك ان ينصرفوا الى العمل ويخرجوا
من أذهانهم القاعدة التي يتبعونها من أنهم لم يخلقوا ليعملوا .

✽ البسميرية ✽

تفيد هذه الكلمة معنى من هو دون الأمير ، ولا يصح القول انها محرفة من (بسر أمير)
اي ولد الامير . والبسميرية يعدون هم والأمراء من أرومة واحدة ، فهم اولاد الشيخ
منصور ، والأمراء اولاد الشيخ ملك ، ومنصور وملك أخوان وها من اولاد الشيخ
أبي بكر . ولهم ما للأمراء من الامتيازات الدينية ، وكانوا في سابق العهد أشبه بوزراء
أو مستشارين لهم يستعينون بهم في حفظ مصالحهم . وقد أقاموا في كل قرية من القرى
الكبيرة (بسميراً) لمباشرة أعمالها وحفظ الأمن فيها . وكانت العادة ان يجتمع البسميرية
كل يوم جمعة في (باعذرة) ويعقدون مجلساً تحت رئاسة الأمير للبحث عن المسائل
المهمة التي تتعلق بالشعب البزدي ويقررون ما يجب عمله . ولم يسبق لأحد من البسميرية
ان تقلد منصب الامارة سوى ما رأينا من احدهم المدعو (خنجر بك) فقد نصبه أمير
الهادية (اسماعيل باشا) أميراً بمحل (جولو بك) الأمير الشرعي الذي قتله . ولم تدم
إمارته اكثر من سنة واحدة ثم عزل وصودر وحبس وأمر حسن بك بن جولو بك .
وقد مضى على هذه الحادثة نحو مائة وستين سنة ولا يزال الامراء يحملون على البسميرية
غيطاً في نفوسهم من جراء ذلك .

وينحصر زواج الامراء بالبسميرية تقريباً وبالعكس . والبسميرية معوزون ، ومواردهم

قليلة بالنسبة الى غيرهم من الروحيين . وقد قلوا في السنين الاخيرة وضعف شأنهم بيننا كانوا قبلا كثيرون ولهم وجاهة ويأتون بالدرجة الثانية بعد الأمراء . وكان مركزهم الرئيسي قرية « كندالة » و « الجراحية » في الشيخان . والآن لم يبق منهم سوى بيتين في « كندالة » ، وبيت واحد في « الجراحية » ، وبيت في « آلمان » ، وثلاثة بيوت في « باعذرة » ، وبيتين في « عين سفني » ، وبضعة بيوت في سنجار . وقد نزع منهم أناس ، في أول عهد ظهورهم ، الى بلاد القوقاس ويعرفون هناك ببيت « آلي بك - علي بك » يوجد الآن منهم هناك خمسة اشخاص وهم : حسين بك ، وعرفت بك ، وميران بك ، وخالد بك ، ويوسف بك ، وهذا الاخير متعلم وقد درس في جامعة « اجازين » وتخرج منها ويعرف الارمنية والجركسية والروسية وكان نائباً في جمهورية « اريوان - الارمنية » .

﴿ رئيس الأئمة - ييش إمام - ﴾

هو من اسرة الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني الذي اصبح هو « والشيخ حسن البصري » واحداً بالتناسخ حسب اعتقاد اليزيدية ويزعمون ان الشيخ حسن البصري كان كاتباً عند الشيخ عدي . وقد حرم الشيخ عدي القراءة على هذه الطائفة وحصرها في أسرته . وعلى رواية اخرى يرددونها ان « يزيد » بن معاوية لما نزل من السماء وحارب « الحسين » وغلبه ، استقر نحو ثلثمائة سنة في الشام جمع فيها كافة الكتب والمدونات وأحرقها ، وحصر التعلم في أسرة الشيخ حسن البصري وحرمها على من سواهم . وهذا الاعتقاد وان كان يبدو غريباً ، لكن له صلة بالحقيقة ، اذ نعلم ان الشيخ حسناً واضع هذه الديانة كان قد حرم التعلم على هذه الطائفة وحصره في آل بيته ، كما انه جعل « شيختها » فيهم ، والمراد بالشيخة الرئاسة التي عبروا عنها بالامارة ، وقد ساقهم الاعتقاد الى ان الذي حرم مبدأ التعلم على هذه الطائفة وحصره في أسرة الشيخ حسن البصري هو « يزيد بن معاوية » . فن أين عرف اليزيدية « الشيخ حسناً البصري » ؟ وما هي علاقتهم به ؟ وكيف استعاضوا به عن « الشيخ حسن » الأموي وذهبوا الى هذا الاعتقاد ؟ من المعلوم ان مشيخة هذه الطائفة - اي زعامتها - بعد ان كانت منحصرة في أسرة الشيخ حسن واضع هذه الديانة كان قد نازعها عليها شيخ من

آل « الشيخ أبي بكر » وهو « الشيخ محمد » المعروف بين اليزيدية بالشيخ محمد الكردي الاربلي . وأقام في وجهها ثورة غنيقة أسفرت عن تغلبه عليها ونزعه الشيخة منها . وقد نال أسرة الشيخ حسن من جراء ذلك اضطهاد عظيم وقتل منهم أناس كثيرون وتفرق الباقون منهم في أنحاء البلاد ، فذهب من ذهب الى سنجار ، ومنهم من ذهب الى المنطقة الخالدية في قضاء « البشيري » في ديار بكر ، وفقدوا مكانتهم الدينية بين اليزيدية ولم يكتف شيوخ الشيخ أبي بكر بتزعمهم الامارة من اصحابها الشرعيين وتفريقهم شملهم ، بل حضروا على القوالين الاشادة بذكر الشيخ حسن باناشيدهم في الحملات الدينية ، وأرغموا الناس على ان يعرفوه باسم « الشيخ حسن البصري » لكي ينسوا اسمه ولكن بالرغم من ذلك فهم لا يزالون يتمتعون بامتيازاتهم التي خصهم بها الشارع كاجراء عقد النكاح ، والأمانة في صلاة ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي . والقراءة والتعلم ، وحفظ الكتب والمدونات الدينية ، وهذه الامتيازات هي من اختصاص من يكون متصفاً بالامارة والرئاسة ، والملة تعرف ذلك جيداً ولكنها لا تستطيع ان تجاهر به ، وماذا تجديها المجاهرة به وقد مضى عليه ثلاثة عصور كاملة ؟



الشيخ حاجي بن الشيخ ناصو

﴿ الشيخ الأكبر - بابا شيخ ﴾

قدوة المشائخ ورأس الأئمة ، والمعول عليه في الحكم العدل والقول الفصل ، كلامه مسموع ، وأمره مطاع ، وبه يقتدي الجمهور . وهو من أسرة (الشيخ فخر - فخر الدين) التي عرفت بحرصها على الزهد والطاعة ، والتمسك بأحكام الدين ، يتسم هذا المنصب الواحد تلو الآخر من هذه الأسرة بمصادقة الامير عايبه . والامير يستشير به في الأمور الدينية ويعمل برأيه . يحرم الخمر ولا يشربه خلافا لليزيدية ، ويصوم اربعينية الصيف والشتاء (١) ويتحاشى مخالطة الناس والحديث معهم، ويجوز له الافطار اذا صنع أحد من ذوي اليسار طعاما له بدعوى انه صنع باسم الشيخ عدي فيأكل منه ويفسد صومه .

ومن امتيازاته توليه على سجادة ينسبونها الى الشيخ عدي وهي مقدسة عندهم، يعتني بالمحافظة عليها ولا يخرجها إلا في أيام مخصوصة ، ويذهب بها في عيد (الجماعية) الى مرقد الشيخ عدي في احتفالات فائقة فيتسابق اليزيديون الى زيارتها وتقديم عطاياهم لها ، واذا ظهر (كوجك) وأيد تصرفاته في الامور الباطنية كالطيران في الجو والمشي على الماء وغير ذلك من الخوارق فيكون مضطراً الى تسليمها له وتبقى في حوزته الى ان ينقضي دوره .

ومن وظائفه الاشراف على زاوية الشيخ عدي وإعمار ما يتهدم منها ، وتنظيم اعمال (الكواجك) وتوجيههم الى الاشغال المناطة بهم ، ويكونون مسؤولين منه مباشرة . ولشيوخ الشيخ فخر مريدون يجمعون خبراتهم السنوية منهم ، ويتقدمون على بقية المشائخ باستثناء أسرة الشيخ حسن باعتبار ان الشيخ فخر الدين كان الاخ الصغير للشيخ حسن .

﴿ المشائخ ﴾

يرجع شيوخ هذه الطائفة الى الشيخ عدي الثاني الملقب بابي المفاخر ابن الشيخ ابي البركات صخر الذي يتصل بالجد الخامس بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين ويعتقد (١) ان عادة صيام اربعينية الصيف والشتاء يعمل بها كثير من اليزيدية - لا سيما في الشيخان سواء اكانوا من طبقة الروحيين ام من العوام ويراد بها الطاعة والتعبد .

الشيوخ منهم من نسل يزيد بن معاوية الذي عرفوه إلهماً وقد حل فيهم منه جزؤ آلهي وأصبحوا قادرين على تغيير مجرى الحياة ، والتصرف بشؤون الكون ، وينحصر ونب في بضع أسر لكل أسرة ميزة خاصة اختصها بها الشارع للدين الزيدي وجعلهم أمناء على أسرارهم ، وقواما على شريعته ، وهداة لقومه يتصرفون بعقولهم وأرواحهم ويحللون لهم ما يشاؤون ، ويحرمون عليهم ما يشاؤون ، ويسنون لهم الشرائع ويدعونهم الى اتباعها والعمل بها ، ويلقنونهم ما للاله المنبوذ من سلطة مطلقة على البشر وانه لا سبيل الى خلاصهم منه الا بتقديمهم له النذور والخيرات على يدهم ، ويقصون عليهم حادثة التكوين والخلقة ، وان الشعب الزيدي لم يخلق كسائر البشر بل خلق بصورة استثنائية محاولين بذلك تمييزهم عن بقية الشعوب ، واعتبارهم نفسهم وحدة عنصرية لها تميزها وتفوقها ، ويدخلون في عقولهم ان السلم والحرب ، والحصب والجذب ، والسعادة والشقاء ، والحياة والموت وغيره من كل ما يعترض الانسان في حياته الاولى هو من صنع آلهتهم ، وهم وحدهم قادرون على تغيير مجراه ، وما أنتجت العقول البشرية من اكتشافات واختراعات جميعه قد بحث عنه كتاب (الجالوة) و (مصحف رش) ولولا هذان الكتابان لما توصل أهل الغرب الى اكتشافاتهم واختراعاتهم .

والمشائخ ينقسمون الى بضع أسر وهذه أسماؤهم :

- (١) أسرة الشيخ حسن ، (٢) أسرة الشيخ نجر الدين ، (٣) أسرة الشيخ شرف الدين
- (٤) أسرة الشيخ سجادين «سراج الدين» ، (٥) أسرة الشيخ آمادين «عماد الدين»
- (٦) أسرة الشيخ ناصر الدين ، (٧) أسرة شيخ شمسا ، (٨) أسرة الشيخ أبي بكر ،
- (٩) أسرة الشيخ مند .

وعلى عرف الزيدية ينقسمون الى ثلاثة أصول رئيسية : (١) آداني (٢) شمساني (٣) قاتاني ، وقد تفرع من «آداني» ستة فروع «الأول» أسرة الشيخ حسن وهم في قرية بعشيقه وبحزاني قريبا من الموصل وفي سنجار «الثاني» أسرة الشيخ شرف الدين وهم في سنجار ومنهم «الشيخ بحري» متولي مرقد الشيخ شرف الدين ، ويوجد بيت واحد منهم في الشيخان في قرية ايسيان كبيره «الشيخ اسماعيل» ويعد إماما للشيخ

الأكبر « بابا شيخ » ، وواجه مرافقته في الحفلات الدينية .

« الثالث » أسرة الشيخ زندين ولم يثبتوا له ذرية ويقصدون به الشيخ زين الدين ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن الذي هاجر الى الشام ومنها الى مصر وتوفي فيها « الرابع » أسرة الشيخ ابراهيم الختمي وهم ساكنون في سنجار .
« الخامس » أسرة الشيخ موسى ومنهم بيت الشيخ باجو في « كرسي » وبيت الشيخ خيرو في كاباره وكولكان في سنجار .

« السادس » أسرة الشيخ يتيما « اي الشيخ اليتيم » ومنهم بيت الشيخ سعدون في قرية « كنعان » في سنجار .
وهذه الأسر الثلاثة لم يكونوا معروفين ، وهم فرع من الأسر الأخرى وجميعهم يرجعون الى أسرة الشيخ حسن .

وظهر من أرومة « شمساني » سبعة فروع « الأول » أسرة الشيخ شمس ويقال لهم « شيخ شمسان » ومنهم بيت الشيخ رمضان في قرية « بجزاني » وتنحصر تولية « برشباكي - سرير الشيخ عدي » فيهم ويحملون صفة « شيخ وزير » ، وبيت الشيخ خضر في بوزان ، وبيت الشيخ عبدال في بايرة « في الشيخان » وبيت الشيخ خلف بن الشيخ يزدين في بردحلي « في سنجار » ويتولون مراد « شيدو القاسم - شيخ ابو القاسم » .

(الثاني) أسرة ملك فخر الدين ويقال لهم أسرة الشيخ فخر ، وينحصر منصب المشيخة الكبرى (بابا شيخ) فيهم . ومنهم شيخ حجي بن الشيخ ناووس الذي يشغل هذا المنصب في الحال الحاضر ، وبيت الشيخ سليمان في قرية عين سفني في الشيخان ، وبيت الشيخ خضر ابن الشيخ عطو في سنجار .

(الثالث) أسرة الشيخ مند . منهم بيت الشيخ آودي وبيت الشيخ محمود في سحوقة (في سنجار) .

(الرابع) أسرة الشيخ سجادين . ويراد به (الشيخ سراج الدين) ، منهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر كبير المسكان في سنجار وبيت الشيخ خدر ابن الشيخ برو في

بمشيقة (في الشيخان) .

(الخامس) أسرة الشيخ ناصر الدين . منهم بيت خديده ديري في بجزاني (في الشيخان) وبيت الشيخ نذير عيسكو في نكري (في سنجار) .

(السادس) أسرة الشيخ بابا دين « ولعله محرّفاً من الشيخ بهاء الدين » . منهم بيت الشيخ مراد مالامازن (البيت الكبير) في قرية محمودان (في سنجار) .

(السابع) أسرة الشيخ آمادين « عماد الدين » وهم قليلون . منهم الشيخ خلف بن الشيخ ابراهيم في الحليقية ، والشيخ آودي في علي دينا (في سنجار) ، ومنهم أفراد في قرية بجزاني .

ويتفرع من أرومة « القاتاني » فرعان : (الاول) الأمراء وفي عدادهم البسميرية ، و (الثاني) أسرة الشيخ أبي بكر وأكثرهم في قرية بجزاني وفي باعذرة (في الشيخان) ومنهم أفراد في سنجار .

ويدخل في « القاتاني » أسرة الشيخ عبد القادر الكيلاني وهم في قرية الجنوبية في سنجار ، وأسرة الشيخ اسماعيل في بجزاني (١) وأسرة « ايزدين ميرزا » في بجزاني ايضاً (٢) .

وقد قضت الشريعة اليزيدية بصورة مطلقة تحريم الزواج بين هذه الأرومات الثلاثة

(١) لم أتمكن من معرفة هذه الأسرة ، واليزيدية كذلك لا يعرفونهم ، وهم - على كل حال - ليسو من البيت العدوي ولم تربطهم بهم رابطة نسب ، الا ان التقليد اليزيدي قد أباح لأسرة الأمراء مصاهرتهم . حتى ان الامير المتوفي سعيد بك تزوج منهم وقد توفيت زوجته وتركت ولداً اسمه (ميرزا) وهو اكبر اولاده .

(٢) ويراد به (ميرزا باشا) الداسني الذي سيأتي البحث عنه - في القسم التاريخي من كتابنا ، و (ميرزا باشا) لم يكن له صفة روحية بل هو من العوام ، بدليل عدم وجود مرديدن لتبرته بين اليزيدية وليس لهم طريقة معروفة . ويظهر ان الأمراء قبلوا مصاهرتهم - خلافاً للتقاليد الدينية - لما كان (لميرزا باشا) من السلطة الزمنية في عهده ، فقد تولى الموصل على زمن السلطان محمد بن ابراهيم (١٠٥٨ - ١٠٩٩هـ) وكانت ولايته سنة (١٠٦٠ - ١٠٦١هـ) . وروى لي رئيس الأئمة الشيخ نذير ان بيت (ايزدين ميرزا) يتصل ببيت الشيخ اسماعيل وهي رواية ضعيفة . والتقليد اليزيدي الديني لا يؤيدها . ويوجد الآن من هذا البيت شخص واحد اسمه (حسن شمس) يسكن قرية باعذرة ، وأمه شمسي هي بنت عبيدي بك وشقيقته ميان خاتون .

ولم يسبق في التاريخ الزيدي ان وقع زواج بين أرومة واخرى عدا ما ذكرناه من تزوج الامير حسين بك بن علي بك « غزو خاتون » من بيت الشيخ عبدال يسك من أسرة شيخ شمساً من أرومة « قاتاني » .

وحسبنا دلنا عليه البحث والتحقيق ان كثيراً من شيوخ أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ فخر والشيخ سجادين موجودون في تفليس وباطوم والكساندرابول، وهم يراعون تقاليد الزواج بينهم بكل دقة .

ومن التقليد الديني ان يكون لكل يزيدي شيخ يتمرد عليه ويستمد الفيوضات المعنوية منه ، كما انه يتحتم على الشيخ ان يشمل مريده بعطفه ويساعده على اكتساب امراض الآلهة ويقيه سخطهم وغضبهم . ولذلك فقد كانت أعطيات المريد السنوية والموسمية الى شيخه بنسبة ما يناله على يده من سعة في الرزق وبعد عن الارزاء والنوائب ، واذا أشرف المريد على الوفاة يحضره شيخه ويلقنه وجوب اتباع (طاؤوس ملك) والثبات على الدين الزيدي ويقوم بتغسيله وتكفينه ودفنه .

﴿ البير ﴾

معناه بالفارسية والكردية « الشيخ المسن » وفي اصطلاح الصوفية يفيد معنى المرشد والمربي ، وقد يطلق على زعماء الطرائق فيقال « بير طريقت » اي شيخ الطريقة ، وهذا الاصطلاح مستعمل عند الباطنية كافة في فارس ، ويجوز أنهم أخذوه من بعض أصحاب المذاهب في الهند .

والبيرة لم تكن منزلتهم الدينية عند الزيدية بأقل من المشايخ ، وقد ينحسرون في بضع أسر يرجعون بأنسابهم الى رجال من الأسلام كان لهم مقام مشهود في مناصرة آل عدي في نشر دعوتهم عندما كانت خالصة وتقية ولم يدخلها فساد أو زيغ . يكفينا دلالة على ذلك وجود أسرة منهم ترتقي بنسبها الى الشيخ قضيب البان (١) وكان لقضيب

(١) هو ابو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى بن عبد الله بن ابي جعفر بن عبد الله الاكبر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجون بن حسن المثنى بن الامام حسن بن علي بن ابي طالب : كان احد الاولياء الامجاد المشهورين والنبلاء المذكورين ، توفي سنة ٥٧٠ في الموصل ودفن على ربوة مقابل باب سنجان وقبره من المزارات المشهورة .

البان هذا صلة بالشيخ عدي بن مسافر ، وكان يتردد بينه وبين الشيخ عبدالقادر في بغداد بالرسائل (١) وكذا بيرة محمد رشان وكان لمحمد رشان صلة صحبة أكيدة مع الشيخ عدي (٢) ، وما يقال عن بيرة قضيب البان ومحمد رشان يقال عن البيرة الاخرى وهذه اسماؤهم :

١- بيرة هاجالي : « هكذا يلفظونه ولعله محرفاً من حاجي علي » تقيم أسرته في قرية باعذرة واليهم ينتسب بيت « بيرة سن » المعروف .

٢- بيرمام شفان : ومعناه « العم الراعي » تقيم أسرته في قرية « مام شفان » في الشيخان ومنهم بيت « بيرة علو » .

٣- بيرة محمد رشان وفي كتاب : قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر « محمد بن رشا وهو كردي الأصل » يقع مرقدته في السفح الشرقي من جبل مقلوب ، وأسرته يقيمون قريباً منه ، يؤمه خلق كثير من مسلمي الأكراد واليزيدية للزيارة والحلف به لحسم المنازعات التي تحدث بينهم وأسرته لا يزيدون على بضعة بيوت ولهم مكانة مرموقة بين اليزيدية ، ومحظور على الأسماء ان يتدخلوا في شؤونهم ، او ان يقضوا في أمر بينهم ، واذا ما حصل بينهم خلاف فعلى الأمير ان يودعه الى « الشيخ الأكبر » وهو وحده له الحق ان يقضي فيه كما انه ليس للامير ان يتدخل في شؤون مرقد محمد رشان ولا في نذوره وخيراته .

٤- بيرة جروانه : وأسرته يسكنون قرية عين سفني ، منهم بيرة عثمان وبيرة خليل ، والأسماء يتمردون عليهم ، أي يكونون لهم مرداء .

٥- بيرة حاجي محمد : يقال أنه أخاً لبيرة جروانه وقد مات بلا ولد ومريدوه هم أسرة « الشيخ حسن » يتمردون على أسرة أخيه ، ولما لأسرة الشيخ حسن من المكانة الدينية الرفيعة ، فقد جرت العادة ان لا يقدم مريدوهم النذور اليهم بدأ بيد بل يضعونها على الأرض احتراماً وتوقيراً ، فيتناولها بيرهم من الحبل الذي وضعت فيه .

٦- بيرة حسن ثمان : توجد أسرته في عدة قرى في الشيخان ، ومنهم أناس في نصيبين وفي بلاد الروس وهم أرفع مكانة وأعلى منزلة من بقية البيرة .

- ٧- بير ايسبيا : توجد أسرته في الشيخان وفي بلاد الروس .
- ٨- بيرافات : كذا » »
- ٩- بير هاسنالكا : تنحصر أسرته في قرية سموقة من قرى سنجان .
- ١٠- بير آلي : ويجوز ان يكون محرفا من بير علي توجد أسرته في عشيرة الجيلكان في قضاء نصيبين .
- ١١- بير خاني : أصله من منطقة الخالتية في ديار بكر ، وقبره موجود يزار ، وقد نزحت أسرته الى قضاء الشيخان وقيمون الآن في قرية عين سفني .
- ١٢- بير قضيب البان : لم يبق أحد من أسرته لا في الشيخان ولا في سنجان ، وقد انقرضوا منذ عهد قريب وفي قرية « ديرهبون » من أعمال زاخو رجل شيخ وإسراة عجوز من ذريته لا نعلم هل بقيا أم هلكا ، وحدثني القوالون الذين جاؤوا بلاد الروس أنه يوجد هناك بضعة بيوت منهم .
- ١٣- بير بوال : من ذريته درويش مجبور في قرية عين سفني .
- ١٤- بير عمر خاله : له مریدون في الشيخان وفي سنجان .
- والبيرة أحرار في الزواج بينهم باستثناء « بيرة حسن ممان » فلا يجوز لهم الزواج مع الغير بصورة مطلقة ، وكذلك بيرة محمد رشان وبيرة جروانه فقد يعدون أكفاه بعضهم لبعض وينحصر تزواجهم بينهم .
- وكما ان لكل « شيخ » بير يتمرد عليه فللكل « بير » ايضا شيخ يعطى كل للآخر نذوره وخيراته .
- والبيدي لا يعد يزيديا ما لم يكن له شيخ ويبر يتمرد عليها ، ويكل أمره اليها ، ويرجو منها الشفاعة يوم الآخرة .
- والبيرة عدا ما لهم من نفوذ في تدوير شؤون الحياة ، لهم سلطة واسعة على النفوس والأرواح ، وقد يشفون المرضى والمجانين بالرقى والعزائم ، ويعالجون العلل والمهات بالآتربة التي يأتون بها من أضرحة أوليائهم ومشائخهم وقد يعينون المشائخ في تفسير الموتى ودفنهم ، ويزورونهم في أيام الأعياد ويطلبون لهم المغفرة من الآله السامى .



الفقير درويش بن الفقير حمو شيرو وعلى يمينه أخوه الفقير مند بخرقهم السوداء
وعلى يساره اسماعيل بك عبدي بك

﴿ الفقير ﴾

ومنهم صنف يقال لهم الفقراء وأكثرهم في جبل سنجار وقليل منهم في الشبخان ،
والفقير باصطلاحهم تارك الدنيا والزاهد فيها ، يلبس على جسده خرقة سوداء صوف ،
ويكتسي فوقها فروة وعباءة في الشتاء ، ويجتنب اللذات في معاشه وفي فراشه ، وليس
أصح من وصفه بالناسك المتعبد الذي هجر الدنيا وتفرغ للعبادة وأصبح محل الرحمة
والعطف ، وهذا ما دعى القوم الى الاعتقاد بان من أساء الى فقير يكون قد ارتكب
إثمًا لا سبيل الى تكفيره .

هكذا عرف الفقير في أول نشأته ، وهكذا عرف الى ما قبل بضع عشرات من السنين
ولكن كيف أصبح في السنين الأخيرة عنصرًا فعالًا وأخذ اليزيدية بخافونه ويخشون
بأسه ، وانحصرت زعامة جبل سنجار في (حمو شيرو) الذي هاجر من قرية (خافك وقيغ)
في الشبخان وهو فقير بالمعنيين الديني والمدني ؟

ان الفقير بعد أن وجد هذه الحصانة القوية وهو ذو مظامع كبيرة ، وتحقق عنده أن التقليد الديني جعله في حرز منيع من اعتدائه اليزيدية وأنه ليس بالامسكان أن يمسه أحد بسوء ، لم يتوان عن أن يزج نفسه في الحروب العشائرية فلم يك للعشائر المتعادية بد من الاستمانة به والاستفادة من قوته ، فقويت شوكته واتسع نفوذه ، وهكذا لم يعض عليه طويل زمن حتى أصبح مهاباً في نظر اليزيدية قاطبة وتقلد (حموشيرو) حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

أما الفقراء الذين في الشيخان فليس لهم عصبية طائفية ، ولم يكونوا ذوي سلالات معروفة ، والتقليد الديني أباح لكل يزيدي (سواء أكان من الروحانيين أم من صنف العوام) أن يصير فقيراً بعد أن ينذر نفسه لحياة الزهد والطاعة ويكتسي خرقة الفقر على أن يصادق الأمير على أهليته لسلك هذه الطريقة ويلبسه خرقة الفقر بيده . والفقير لا يشترط أن يكون ابنه فقيراً بل يجوز أن يتجرد من هذه الصفة ، وللأمير أن ينزع خرقة الفقر ممن يجد فيه ما يخالف شمائر الدين ، وله أن يعاقبه بأشد العقوبات (١) ويحرمه من حقوقه الدينية .

العلامة التي يتميز بها الفقير : يشد الفقير فوق خرخته السوداء حزاماً أحمر من صوف ويسمونه (محك) فيه حلقة صفراء من نحاس ويعتقد أنها من صنع القدرة ، ويسمونها (خادم) وهذا الحزام وهذه الحلقة لم تكونا أقل حرمة من الخرقة (٢) ، ويربط في عنقه حبلاً دقيقاً يسمى (طوق يزيد) ، ويضع على رأسه كمة يسمى (كلك) - بكاف عربية مضمومة ولام مشددة مكسورة - يستعملها تشبيهاً بتاج الشيخ عدي ولها عندهم حرمة كبيرة وسيان ألثم اليزيدي هذه الكمة أم الخرقة .

(١) «الفقير الذي يخالف قوانين وفرائض الديانة ، ويخالف أوامر الخليفة أمير الشيخات يملحونه (كذا) اللباس الديني ويخلقون وجهه ويطرده من بين الجماعة، وهكذا يعملون مع باقي الفرق اليزيدية أيضاً ..» - من مقالة عن معتقدات اليزيدية وعاداتهم لاسماعيل بك جول من اسرة الامراء وردت في (اليزيدية قديماً وحديثاً) ص ٩١ -

(٢) من المحتمل ان يكون الفقراء وبقية رجال الدين اليزيدي قد أخذوا هذا الحزام من الجوس اذ كان هؤلاء يشدون في اوساطهم حزاماً غليظاً يسمى «كستجا» يكون على الاغلب من الليف . (راجع التنبيه والاشراف للسعودي).

ولم تكن الكمة مختصة بالفقراء ، بل يلبسها الرجال الروحيون عامة وحتى القوالون .
مصير الخرقه والكمة : نظرا لما للخرقة والكمة من الحرمة الكبيرة عند الزيدية فقد جرت
العادة أن يحفظوها في محل يسمى (خانة خرقية) في مرقد الشيخ عدي عندما تخلق
ولم تعد تصلح للاستعمال ، وفي سنجار يحفظونها في محل قريب من « كافي بير آخايي »
في قرية كولكان في محل مجوف فوقه صخرة كبيرة فتبقى الى أن تبلى وتصبح ترايا .
ما للخرقة من الحرمة عند الزيدية : للخرقة عند الزيدية حرمة كبيرة ، وقد يحلفون
بها ويلثمونها ، ويحرمون قتل القملة التي تكون عليها ، واذا ضرب فقير يزيديا ، حتى
ولو كان من أصحاب المراتب الروحية ، فليس له سوى ان يقف أمامه مصليا يديه على
صدره ويتلقى ضرباته برضى وقبول ، وان تجاسر على مقابلته فليس له شفاعة .
كيف يكون الزيدي كاملا : لا يكون الزيدي بنظر الشريعة كاملا ما لم يتمسك بثلاثة
أمور : (١) الشريعة (٢) الطريقة (٣) الدر بخرقة . فالشريعة ان يجتنب مصاحبة من هو
خارج عن ديانته ويعتزله بصورة مطلقة . والطريقة ان لا يخرج المريد عن الحدود
المفروضة عليه ، ويمارس وظيفته دون ان يتعرض لوظائف غيره ، وان ينقاد لشيخه وبره
انقيادا أعمى دون ان يخامرهم شك في صحته ما يلقنانه ويفرضانه عليه الدر بخرقة : إظهار
العناية الشديدة بالخرقة التي يكتسيها الفقير والحرمة لها ، واليزيدي الذي لا يراعي هذه
الامور الثلاثة لا يعد يزيديا كاملا (١) .

ومن التقليد الديني ان يدفن الفقير في خرقته ، وولد الفقير اذا مات دون ان يبلغ
السن الذي يؤهله لاكتساء الخرقه ، يدرج في خرقه حتى ولو كان ابن عامين .
ويشترط على الفقير ان لا يرخي لحيته ، وان لا يستعمل موسى او مقراضا ، ويجمع
ما يتساقط من لحيته ويضعه في شق حائط او محل بعيد عن متناول الأيدي ووطء

(١) سمعت امرأة يزيدية تدعو على صاحبة لها ان يعثر حظها وتهين خرقه فقير . سألت احدهم عما تقصد
هذه المرأة من هذا الدعاء - قال لي : تقصد اخراج المدعو عليها من الدين الزيدي .
وكان لدي خادم يزيدي من اهل اسيان كان سرق مرة دار يزيدي في باعذرة ، وما أشد جزعه
عندما وجد خرقه فقير بين الاشياء المسروقة فأعاد الاشياء المسروقة الى صاحبها وذبح ست نعاج وبقرة
- وهو كل ما يملكه - قربانا الى الأكله تكفيرا عن ذنبه .

الأقدام .

واستعمال الموسيقى والمقراض محرم على رجال الدين اليزيدي قاطبة باستثناء البسميرية
والأمراء الذين لم يرشحوا أنفسهم للأمانة .
وأكثر الفقراء هم من المريدين ، ويوجد من الروحانيين من اكتسب هذه الصفة ولبس
الخرقة تعبداً وزهادة ، ولذلك لا يجوز للفقراء التزواج بينهم دون مراعاة الصفة الدينية
التي يتصفون بها .

كيف استعمل الفقير الخرقة وعمن أخذها؟ كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف
علامة على الزهد قبل الاسلام وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد
المسلمين الأوائل ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري .
واليزيدية باعتبارهم فرقة « صوفية » أدركها المسخ ، ظل المتزهدون منهم محتفظين بهذا
الكساء ولم يغيروه . وكان في الاسلام يسمى بمختلف الأسماء كالمدرعة والمسوح والملحفة
والكساء والرداء وغيرها .

ويرى البعض ان الخرقة دخلت عليهم من متصوفي الهنود ، وأن صفة « الفقر » لا
تزال موجودة عند طائفة من البوذيين في الهند ، وكانت طائفة من « الهنود » (١) من
أتباع الشيخ عدي وسالكي طريقته يسكنون قريبا منه في قرية « اشكفت هندوان »
وقد أخذ بعض المتزهدة من مریدی الشيخ عدي هذه الخرقة منهم .
ويذهب بعض كتبة النصارى الى انها مستعارة من « الاسكيم » الذى تكلمت طائفة
الرهبان إقتداء بالعابد الزاهد « انطونيوس » الذى قضى حياته في السهول والبرارى
(٢٥١ - ٣٥٦ م) وقد يملل اصحاب هذا الرأى دعواهم بان النصرانية بعد ان انقرضت
في سنجار ، كان من الطبيعي ان يعتنق الباقون منهم الدين اليزيدى طوعا او كرها ،
وقد حافظ قسم الرهبان منهم على صفتهم الكهنوتية وأصبحوا فقراء ، وتحول « الاسكيم »
الذي يلبسونه عادة الى « الخرقة » وليس من كبير فرق بينها .

اننا لا نقطع بارجحية احد هذه الاقوال الثلاثة ولكن من الحق ان نعترف بان الطابع

(١) سام صاحب فلائد الجواهر (ص ٨٨) بالهندوان . وقرية اشكفت هندوان القائمة الآن سميت بها .
واشكفت تنيد معنى المغارة .

النصراني لا يزال ظاهراً على فقراء جبل سنجار خلافاً للفقراء الذين في الشيخان وطور-
عابدين ، الأمر الذي يجعلنا ان نميل الى هذا الرأي الاخير ونحله محل الاعتبار .
أما الطابع النصراني الذي نجده فيهم فهو : (أولاً) احراقهم البخور في نواديبهم
ومجتمعاتهم أيام الاعياد والمواسم بينما لم تكن هذه العادة موجودة بين سائر اليزيدية وإنما
إحراق البخور عندهم خاص بأيام الزيارات في مرقد الشيخ عدي فقط . (ثانياً) اطلاق
يزيدية سنجار عليهم الى زمن غير بعيد اسم « رهبان ديري » كناية عن ذلهم ومسكنتهم .
(ثالثاً) تهاونهم في اجراء سنة الختان حتى أن أحد اولاد مقدميهم لم يختتن إلا عندما
أراد أن يتزوج وقد تجاوز العشرين من العمر ، بينما يجري الختان عند اليزيدية في أول
أيام الولادة وقد يجوزون تأخيره الى بلوغ المولود العامين من عمره . (رابعاً) ما يرميهم
البعض باصطيادهم الخنزير وأكله سرّاً وهو محرم عند اليزيدية تحريماً مطلقاً . (خامساً)
تزوج أحدهم فتاة أرمنية تربت في دار اسماعيل بك بن عدي بك في سنجار وهي أول
حادثة جرت بين اليزيدية من نوعها . (سادساً) بعد أن تم اتصالهم بالانكليز أخذوا
يكثرون من القسم « بعيسى النوراني » فمن شاء فليقل أن ذلك تزلفاً الى الانكليز او
رجوع الى النصرانية .

﴿ القوال ﴾

القوال في اللغة السن الفصيح ، الكثير القول . فيقال رجل قوال وقواله وتقواله وتقواله
بكسرهما ومقول ومقوال . وهو عندهم الذي ينشد الاناشيد في الحفلات الدينية ومراسم
الزيارات وعند دفن الاموات ، ويلزم « السنجق » في تطوافه بين اليزيدية . وكان
على زمن الشيخ عدي يسمى « بالحادي » ووظيفته انشاد الاناشيد في مجالس السماع .
وقد حتمت عليه وظيفته حفظ المدائح التي تتضمن الاشادة بفضائل أئمتهم ومشائخهم ،
ومعرفة الاخبار التي تروى عنهم . والقوالون لهم خبرة واسعة بمعرفة الشعوب والقبائل
اليزيدية ، ومن شأنهم المبالغة في نقل الاخبار والحوادث . وهم اذكياء لبقون ، جرارون
نفعيون ، يعرفون كيف يستهون الناس في قصصهم وأحاديثهم .. وكان الأمراء يعتمدون
عليهم وقد اتخذوهم كفقراء لهم الى اليزيدية الذين هم بعيدون عنهم . وقد جرت العادة ان

يتضمنوا السنجق بيدل معين من الأمراء ويطوفون به على حسابهم ، فيرهقون الشعب
بأخذهم الخيرات منهم فوق طاقتهم ..



يزيدي يزور الطائوس والقوال يدعو له بالاستجابة

والقوالون هم عرب من اهل الشام كانوا رافقوا الشيخ عدياً في مجيئه الى هذه البلاد
وكانوا خداماً له . ويمدون من طبقة العوام ، وليس لهم صفة روحية ، وينحصرون في
أسرتين تضم الأسرة الواحدة عشرة بيوت ، وكان الزواج محرماً عليهم بغير صنفهم ،
شأنهم في ذلك كشأن الأسر الروحية . ولكن لما قلوا وأصبحوا مهديين بالانقراض ،
أصدر الشيخ الأكبر « بابا شيخ » فتوى باباحة تزوجهم من صنف المريدين ، إلا أنهم
لا يرغبون كثيراً في تزويج فتياتهم من الغرباء اذا وجد من يتزوجهن من جنسهم .
وتنحصر الخدمات الواطئة فيهم ايام الزيارات في مرقد الشيخ عدي ، ومن واجبه
تنظيف الأزيل والأوساخ فيه بعد الانتهاء من الزيارة ، وكانوا يقومون بهذه الوظيفة
منذ عهد الشيخ عدي ، ولا يزالون يحافظون عليها .
ويسميهم اليزيدية الاكراد بالـ « طازيه » ومعناه السلوقية ويفخرون بهذا الاسم ،

ويدعون ان الشيخ عدياً هو الذي سماهم به لانهم كانوا يركضون كالكلاب السلوقية في خدمته (١).

﴿ المرید ﴾

يطلق هذا الاسم على كل من هو خارج عن صفوف الروحانيين من دهاء الملة وسوادها. وهم أشبه بالطائفة المعروفة لدى البراهمة بالمنبوذين ، وقد جعلهم الدين البيدي أحط الطبقات ، وقيدهم بقيود ثقيلة ، وضيق حريتهم ، وحرّمهم من كثير من الحقوق الاجتماعية ، وبعدّم الروحانيون - وهم الطبقة الممتازة - غاية في النجس والرجس وبأبون مصاهرتهم وفرضوا عليهم الخضوع والاستسلام ، ومنعهم عن التفكير والكلام في كل ما له مساس بالدين ، وأفهموهم انه لا يتم ايمانهم ولا يعدون من زمرة « يزيد » الناجية إلا باستحصال امراضهم ، وبذلك جعلوهم آله بيدهم يستخدمونها في سبيل مصالحهم كما يشاؤون وبخطونها متى يشاؤون .

هكذا كان المرید الى قبل قليل من السنين ، أما الآن فقد أخذ يستخف بهذه القيود ولا يعبأ بها ، عدا ما كان من مجانبته مصاهرة من لم يكن من جنسه ، واستجلاب مرضى شيخه ويبره اللذان يتلمذ عليها وازدرى ببقية الواجبات المفروضة عليه ، ولا يكاد ينظر الى رئيسه الديني الا كبر كما كان ينظر اليه قبلا ، والذنب في ذلك يرجع الى الروحانيين أنفسهم إذ هم الذين أخرجوه على الخروج عن طاعتهم بجشعهم وطمعهم الذي لا يقف عند حد ، وسلوكهم معه خطة تنافي الخطة التي يجب ان يتبعها المرشد مع تلميذه .

ولما كان المرید لم يخرج عن كونه عبيد شيخه وليس في مقدوره ان يخالفه بشيء فقد كان من حق شيخه ان يبيع مشيخته عليه لا آخر غيره من عين السلالة التي ينتمى اليها ويصبح للشيخ الذي يدخل في حوزته الحق بان يختص بندوقه وخبراته ، وهذا لا يحدث إلا نادراً وقليلاً ، إذ قل من يرضى بان يبذل منفعته الآجلة بمنفعته المعاجلة

(١) وهذا وهم منهم والصحيح انهم بصفتهم عرب ، فلاجل تمييزهم عن الاكراد سموا (تازي) ويطلق بالفارسية على كل ما هو عربي فيقال (اسب تازي) اي الجواد العربي و (زمان تازي) اي اللسان العربي ثم حرفوه فاصبح طازي .

وعلل الدكتور داؤد الجلبي كلمة تازي نسبة فارسية الى طائي كما نسبوا الى الري رازي والى مرو مروزي اذ كانت قبيلة طي مجاورة لمملكة الساسانيين عرفوا جميع العرب نسبة الى هذه القبيلة .

ويحرم أولاده وذريته من مورد خصب لا ينضب .
وهنا يرد سؤال: وهو كيف بالمريد اذا مات شيخه ولم يكن من ذريته او من سلالة
من يتولى شيخته ، وهل يجوز ان يبقى دون شيخ يساعده على استحصال مرضي الآلهة
ويدفع الرزايا التي تنتابه عنه ؟ والجواب : كلا ! وعليه ان يلجأ الى الأمير فوراً وهو
الذي يختار له شيخاً يبيمه عايمه بثمان يرضيه .

﴿ الكواجك ﴾

لم نقف على ما يفسر لنا معنى هذه الكلمة ، وقد ذهب أحدهم الى انها محرفة من
« كوشه نشين » ولكنه توجيه غير صحيح ، والكواجك هم من طبقة العوام وليس لهم
صفة دينية ، ويختصون بخدمة الشيخ عدي ، وهذا هو الذي دعاهم الى دعوى القيام
بالاصلاح بين الملة من وقت الى آخر بحجة انهم قد أمروا به . والملة مرغمة على الانقياد
لهم والتصديق بكل ما يملونه عليهم، وقد تكون دعوتهم قصيرة المدى، وسرعان ما يقضى
عليها بالفشل ، وكثيراً ما يذهبون ضحية في سبيلها .

والكواجك تابعون لسلطة الشيخ الأكبر « بابا شيخ » وهو الذي يوجه هذه الصفة
اليهم بعد ان يختبرهم ويتأكد من كفاءتهم ، وقد يتم ذلك بشد حزام على صدورهم فيه
حلقة من نحاس ، واذا ظهر غلاء او وباء يجتمعهم في صعيد واحد ويأمرهم بالدعاء والصلاة
نحو ثلاث ساعات ، وربما الليل كله ، ويضعون رؤوسهم على الارض ليتصلوا بالملكوت
الأعلى ، وتنكشف لهم حجب الغيب ويقفون على أسباب ذلك الغلاء والوباء ويعلمون
الشيخ الأكبر به ليعالجه هو بدوره ، ومن اختصاصهم الاكتشاف بالقوة الروحية عن
مصير الاموات والمكان الذي انتقلت اليه ارواحهم وماذا تلاقيه من نعيم وعذاب ،
ويعلمون ذوبهم فيهم (١) .

(١) قرأت في رسالة خطية لسكانب مسيحي سكن قرية (بجزاني) زمنا وخالط اليزيدية ووقف على
دخائلهم ان الكواجك عندما يجتمعون يقص الواحد على الآخر ما له من قدرة على المكاشفات واطلاع
على اسرار الكائنات، فثمهم من يدعي ان الشيخ عديا يظهر عليه كل ليلة في حالة النوم ويوقفه على ما كانت
وما سيكون من احوال العالم . وآخر يدعي انه في مقدوره ان يظهر بأي شكل من الحيوانات فوراً او
قرداً او حية او هرة . وآخر يدعي ان كثيراً من الانبياء يزورونه في كوخه ، ومنهم السيد المسيح الذي



طائفة من الكواجك

﴿ الكواجك وشعوذتهم ودجلهم ﴾

لا غرابة ان نجد الزيدي أكثر الناس ميلا الى قبول الشعوذة والدجل وكتابه الديني المسمى « بالجلوة » أوجب عليه الايمان والتصديق بما يمليه عليه الكواجك من الاشياء الغيبية التي تصل اليهم بطريق الالهام من لدن المعبود الاعظم، إذ جاء في الفصل الخامس من كتاب الجلوة : « أطيعوا ، أصغروا الى خدائي بما يلقنوكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » ، فمن هم خدامه الذين يلقنونهم علم الغيب ؟ أليس هؤلاء الكواجك الذين قصروا خدمتهم عليه ، وهم أقرب ما يكونون منه ، وأقرب ما يكون هو منهم ؟ على أنه لم يكن من اختصاص هؤلاء الكواجك ، ولا من صلاحيتهم تبليغ هذه الاشياء

هو الشيخ شمس .

ومما قاله احدهم : انه كان راكباً في البحر سفينة مع النبي يونان ، ولما هاج البحر وقاربت السفينة على الفرق أراد ربانها ان يلقى في البحر عدداً من الركاب بالاقتراع ، وقد أصابت القرعة النبي يونان ونجا هو منها .

وقال احدهم : انه كان جالسا مع الاله الكبير فسأله هل حان الوقت الذي يجب ارسال المسيح فيه الى الارض ؟ فاجابه نعم ! وعمل الاله الكبير بما اشار اليه .

الى اليزيديين ودعوتهم الى العمل بها في كل آن وحين ، بل يشترط لذلك ظهور حالات ذات خطورة تدعو الى الاصلاح ، فيبادرون الى أداء مهمتهم التي أمروا بها .

ولما كان الكواجك كثيرين في الشيخان وفي سنجار فقد كان من الطبيعي أن الذين يقومون بهذه المهمة منهم ، هم الأذكياء اللبقون الذين ضربوا سها وافرأ في الشموذة والتدجيل ، وعرفوا كيف يستهوون الناس ويؤثرون على عقولهم . وقد يقبضون على ناصية الحال بكل فطنة ودقة ويأخذون بتطبيق خططهم التي يرسمها لهم أناس تواطئوا معهم من وراء ستار ، ويقومون الثورات في وجه مخالفيهم من اليزيديين وأعدائهم المسلمين ، فينهبون ويقتلون وبحرقون ويختل الأمن وتتوقف الأعمال ويسود الفساد الى أن تأخذ الحكومة باعداد أسباب القضاء عليهم وإحالة الأمن الى حالته الطبيعية .

وكان قد ظهر على زمن ولاية نوري باشا على الموصل عام ١٩٠٠ في سنجار اثنتان من هذا القبيل أحدهما يدعى « كوجك ميرزا الكاباري » والآخر « كوجك الياس خلو » وكلاهما من الشيخان فاختل الأمن وسادت الفوضى الجبل وبات المسلمون في سنجار في وجل وخوف شديدين وأصبحت حياتهم مهددة بالخطر ، فأحضرها نوري باشا والي الموصل باستئذان من « علي بك » أمير الشيخان وأزال وجودها (١) .

وفي عام ١٩٢٠ ظهر في الشيخان شخص يدعى « كوجك سلمان » وأراد أن يقوم بدور المهدي بين اليزيدية فالتفوا حوله ، وأكبروا شأنه ، وظهرت بوادر فتنة كبيرة كاد أن يكون لها وقع شديد على حالة الأمن لولم تتداركها الحكومة وتخفقها وهي في مهدها ويذهب هذا الدجال ضحية حقه وغباوته كما ذهب الذين قبله .

أما الآن فلا احتمال لظهور هكذا دجالين مشموذين لا في سنجار ولا في الشيخان وسببه ليس هو فقدان من تحدته نفسه للقيام بهذا العمل من الكواجك ، بل لما حصل من اليقظة والانتباه لكثير من أبناء هذا الشعب حيث لم تعد عقولهم تستسيغ هكذا شعوات عدا الرعاع وهؤلاء كثيرون في كل مكان .

(١) يقال ان الاول قتله افراد الجاندرمة قريباً من (سميل) وهم ذاهبون به الى زاخو ، وقد ادعوا ان عصابة من اليزيدية ارادت تخليصه منهم وقد قتلوه خطأ . والثاني قتله شخص يدعى (سليمان ابوخرمة) احد الاشقياء المعروفين في ميدان باب الجسر في الموصل ، وقد كوفيء بالفقو عن جرائمه .



كوجك سلمان في الوسط

﴿ من هو كوجك سلمان ؟ وكيف ظهر ؟ ﴾

هو من قرية بعشيقة ابن عمر المطربي ، وأمه من المتهتكات اسمها نعامي ، كان راعياً للأبقار ، وهي مهنة منحطة لا يقوم فيها إلا المنحطون من الناس ، وكان له ولم شديد بسرقة الدجاج ، وقد شكاه أهل القرية الى عريف الشرطة ، وأراد معاقبته ، فهرب الى الشيخان وأقام في قرية ايسيان ، وقد بقي زمناً يعيش على صدقات أهل القرية ، حتى ملوه وأرادوا طرده ، وهناك أعلن اتصاله بالملك القهار (طاووس ملك) وادعى انه أرسله داعياً الى الإصلاح ، فأكبروه ، وعظمووا شأنه ، وأظهروا الايمان والتصديق به ، وبعد أيام هجر قرية ايسيان وجاء الى باعذرة مقر الأمراء وبسقى فيها أياماً يظهر المعجزات والحوارق ، ثم عاد الى ايسيان ثانية واستقر فيها .

قلت لأحد اليزيدية: هل لك ان تعلمني بشيء من معجزاته؟ قال نعم: انهم أتوه ببقرة فذبجها ثم أحيها كبشاً ، ثم ذبح الكبش فصار ديكاً ، ثم ذبح الديك وأحياه فصار

ثوراً . قلت له : هل رأيت ذلك بعينك ؟ قال لي : لا حاجة ان أراه بعيني وقد رأته مئات الناس غيري .

وروى لي آخر انه كان يحول الاحجار الى سكر ، وقد أتوا له بمجينة عليها بعض النقوش ، فأدخلها في جيبه ثم أخرجها واذا هي سكرة بعين ذلك الحجم والشكل والنقوش .

ورأيت عند اسماعيل بك ابن عدي بك حلقة صغيرة نحاس يدعي انها من صنع القدرة وقد لفظها الكوجك من فمه ، قلت له : وكيف علمت انها من صنع القدرة ؟ قال لي : لفظها الكوجك من فمه أمام عيني .

هذا هو كوجك اسماعيل ، وهذه معجزاته وآياته ، وعند ظهور هكذا ممخرق من الطبيعي ان يختلف في أمره ، فمن مصدق ، ومن مكذب ، وقد يكون المكذبون على الأغلب رجال الدين الذين يؤثر ظهوره على موقعهم الديني ويتوقفون عن العمل لانقطاع الأسرار الغيبية عنهم ، ويصبحون لا فرق بينهم وبين بقية الناس .

وكان من المنكرين عليه الشيخ الأكبر ، الشيخ اسماعيل ، فقد رماه بالتخريق والتدجيل ودعى الناس الى الابتعاد عنه ، كما ان الأمير لم يكن مرتاحاً لظهوره ، إلا انه لم يستطع ان يجاهر بتكذيبه وإنكار دعوته خوفاً من استياء الرأي العام الذي أصبح يعضده .

وقد طلب الكوجك الى الشيخ الأكبر أن يعطيه سجادة الشيخ عدي التي يحتفظ بها ليجلس عليها كما هي العادة في حالات كهذه ، فامتنع الشيخ الأكبر وأصر على أنه مخادع كذاب ولا يجوز تسليم السجادة اليه . وأية صفة تبقى للشيخ الأكبر اذا خرجت سجادة الشيخ عدي من يده ؟ ألم يكن ذلك اعترافاً منه بصحة دعوى الكوجك وأنه أصبح مهدياً حقاً وسقط هو من نفوذه ؟

كانت الكفة الراجحة بجانب الكوجك ، وقد اتبعه السواد الاعظم من الناس ولم يبق مخالفاً له سوى جماعة الروحيين وهؤلاء ايضاً أصبح موقفهم مهتداً بالخطر ، وكاد مريدوهم ينكرون سلطتهم الروحية عليهم ، ولو كان للكوجك شيء من الجرأة لطلب

من الامير السناجق التي يرمزون بها عن آلهتهم وأبقاها تحت تصرفه ، إلا انه لم يستطع أن يفعل ذلك ، ولو كان غيره لفعل وأزل الامير الى درجة رجل عادي لا قيمة له .

صباح يوم ٢٥ مارت ١٩٢٢ امتطيت سيارة وقصدت باعذرة لرؤية هذا المتنبى من قريب والتأكد من صحة الاخبار التي شاعت عنه . وكان علي أن أعرج بطريق الى عين سفني لزيارة صديقي الشيخ الاكبر الشيخ اسماعيل الذي أخذت الاخبار تترى عن وقوعه في قلق واضطراب شديدين . - سألني الشيخ اسماعيل : هل ستحافظ علي صداقتك معنا أم ستتنازع الي المهدي الجديد ؟ - قلت له في شيء من الدعابة : اني سأكون بعد برهة وجيزة قريباً منه ، فان ظهر لي صحة ما يروونه عنه فن الطبيعي ان سأكون بجانبه وأخلص له . - قال لي : واذا ظهر لك خلاف ذلك ؟ وقد قال ذلك في عزم وجد يمازجه شيء من الانكسار والخيبة ، فضحكت وقلت له : دع عنك يا صديقي هذه الاوهام والوساوس ، وما عمل هذا الكوجك سوى مهازل يروجها له أناس يريدون الاصطياد في الماء العكر وعمما قريب سينفضح أمره ويمتته الناس ويعود الى رعي أبقاره .

كان كوجك سلمان ذلك اليوم مدعواً للعداء في دار بير الياس ابن بيرسن في باعذرة وقد حضر ما يزيد على ثلثماية رجل وامرأة من القرى المجاورة لمشاهدة وجهه الكريم والتبرك به . قلت للامير (سعيد بك) : أود أن تهيب لي فرصة الاجتماع بالكوجك علي إفراد ولو عشر دقائق - قال لي : وهل تريد أن تكتب شيئاً عنه . - قلت له : كلا ، بل فقط أريد أن أراه .

وبعد ساعة من الزمن كنت جالسا معه في غرفة في دار الامير وليس معنا سوى الامير وابن عمه داؤد بك بن سليمان بك واثنان من بزبديّة « القائدية » يظهر عليها أثر الوجاهة كأننا يحرسان الباب ، وحجتي سلو خادم الامير واقف وراهما .

لم أعتقد ان هذا الرجل الذي جلس أمامي بكل ذلة ومسكنة دون ان يجرد في نفسه جرأة ليرفع نظره الي هو الكوجك نفسه ، بل كنت أتخيل ان أرى أمامي رجلاً لبقاً ذكياً حاد الذهن ، سريع الخاطر ، يتكلم فيسحر ، ويجادل فيقنع ، ويحدث فيخلب ، لم

يتجاوز الثلاثين من العمر نحيف ، ضعيف الجثة ، دمهم الخلقفة ، ذو أنف أفطس ،
وعينان صغيرتان وفم قد انشق الى أسفل الصدغين ، وأسنان بارزة كأسنان الخيل ،
وقد أعمت بمهامة بيضاء شأن رجال الدين . قلت له : إني أتفاهل بظهورك بخير لهذه الملة
وأعنى ان تنال على يدك كل صلاح وسعادة ، فلم يفهم معنى ماقلته له وسأل داؤد بك :
« ماذا يقول هذا السيد ، وأي شيء يريد مني ؟ . - قال له : إنه يدعو لك بالخير ، وهنا
تشجع وقال لي بلغة ركيكة - إذ ان أهل بمشيقة لا يحسنون التكلم بالكرديّة وكان
حديثنا يدور بهذه اللغة - إني يا سيدي رجل فقير وليس لي علاقة بهذا الأمر ، وهذه
الجماعات المحتشدة في باعذرة جاءت من تلقاء نفسها .. قلت له : دع عنك هذا الخوف ،
ولنتكلم بصراحة وأعدك بأني سأكون لك عوناً على جميع ما أنت بحاجة اليه . فسكت
برهة طويلة ثم قال : إني يا سيدي فقير وهؤلاء الناس هم الذين أرادوا بي هذا .

وقد اتضح لي ان الرجل ليس من أولئك الكواجك الذين لهم قدرة الاستهواء بدجلهم
وشعوذتهم ، بل هو فقير مسكين وقد لجأ الى هذه الوسيلة ليشتبع بطنه او يهرب من
شر يلاحقه ، وقد اتخذ بعض أصحاب النفوس الشريرة آلة يبيدهم ، وشجعوه على
الظهور بهذا المظهر لأنارة الفتنة بين الشعب ليحصلوا من ورائها على مقاصدهم ، وكانت
هذه هي الحقيقة بعينها ، إذ رأينا كيف أخذت الأحقاد والأضغان الكامنة في النفوس
تظهر عارية في فريق ضد آخر ، وكشرت الفتنة عن أنيابها وكادت تفتك بالمذنب والبريء على
حد سواء لا حبا بالكوجك ورغبة في تأييده في دعوته ، بل انقياداً لداعي الفتنة
ليس إلا .

أما الكوجك فقد أصبح آلة عمياء بيد أعوانه وهو لا يعرف شيئاً سوى أكل
الدجاج المشوي او المطبوخ على الرز وأصحابه لا يبخلون به عليه .

وقد شعرت الحكومة بما سيكون لهذه الحالة من نتائج وخيمة وقررت جلب الكوجك
الى الموصل .

أراد مدير ناحية « القوش » ان يرسله مخفوراً الى الموصل ولكنه أبى بحجة ان مرور
من فوق الجسر حرام ويجب عليه إما ان يطير من فوقه او يمشي ماشياً عليه ، وهذا

لا يتيسر له إذا رآه غير يزيدي ، فلم يلتفت اليه مدير الناحية وأرسله مخفورا .
وقد اقتنى أثره جموع غفيرة من الموالين له ومن المنكرين عليه ايضا ، ولما مثل أمام
الحاكم البريطاني « فيلكسمن » وكله بضع كلمات اتضح له حقيقة وأمر بالفور إطلاق
سراحه بكفالة من الأمير سعيد بك واكتفى بإسداء النصيحة له ان لا يعود الى مثل
هكذا أعمال تسبب التفرقة بين أفراد الشعب وتثير حفاظهم .

وقد ادعى الكوجك انه سلط على الحاكم الانكليزي ثعبانين عظيمين فوقف أحدهما
عن يمينه والآخر عن يساره فها به وأطلق سراحه ، وزاد على ذلك انه أحضر أمه من
بيت الأموات وأراه إياها .

ومن غريب الاتفاق ان قامت في اليوم الذي جىء بالكوجك الى الموصل ومثل أمام
الحاكم عاصفه شديدة أرعبت الناس ، فادعى الكوجك أنه هو الذي أثارها ، ولو مسه
الحاكم بسوء لقلب هذا العالم وجعل عاليه سافله .

وقد هدأت الحالة بعد أن عاد الكوجك الى محله وتفرق شمل الحزب الملتف حوله
وانصرف الناس الى أعمالهم ، الا أنه لم يقر للكوجك قرار بعد ان ذاق حلو هذه الدعوة
وما زال يعمل في الخفاء ضد خصومه وفي طليعتهم الشيخ الأكبر الذي أبى إعطاء
سجادة الشيخ عدي له ، فكان يذيع الأخبار السيئة عنه وينذره بغضب الآلهة عليه ،
والشيخ الأكبر يتلقى هذه الأخبار بشيء كثير من الوجل والخوف ولم يهدأ له روع
وكان يخيل اليه ان دعوة الكوجك صحيحة وستتحقق نبوءته فيه .



بابا شيخ الشيخ اسماعيل وعلى يمينه الأمير سعيد بك

﴿ موت بابا شيخ الشيخ اسماعيل ، وقتل كوجك سلمان ﴾

بعد مضي شهر كامل على هذه الحوادث ذهبت الى « عين سفي » ، وحلت ضيفا كجاري عادي في دار الشيخ اسماعيل ، ولما لم أره في محله ظننت أن حاجة عرضت له في محل ما وذهب اليها ، وعندما سألت أخاه الشيخ عثمان عنه أجابني بان منيته قد عاجلته قبل بضعة أيام وقد فارق هذه الحياة التي لم تولد له سوى الأكار والالام . ولأأكنتم القاريه أني حزنت جداً لهذا الخبر الذي لم أكن أتوقعه وأخذت أعزي اخوته وأولاده وأهل بيته على مصابهم به .

سألت أخاه عن مرضه وكم استمر فيه ، ولماذا لم يخبروني حتى أرسل له طبيباً من الموصل ؟ قال لي أنه لم يمرض كسائر الناس ، ويموت كسائر الناس ، قلت له إذن كيف

كان ذلك؟ قال لي: تعلم أن الكوجك سلمان مازال يرسل اليه الأخبار التي كثيراً ما تزججه وتقتض مضجعه، ولما ذهب إلى قرية «دوغات» لإعمال الجص لمرقد الشيخ عدي (إذ من وظائفه إصلاح المرقد وإعمار ما ينتقض منه كل سنة) أرسل له خبراً بأن لا يتعب نفسه هذه السنة في أعمال الجص لأن عمارة المرقد سوف لا تتم على يده. وهكذا كان فأنه مرض على فور وصل هذا الخبر إليه في قرية «يبان» وبعد يومين أو ثلاثة أيام عاجلته منيته وذلك في يوم ١٨ مايس ١٩٢٣.

وقد حمل نفسه على الأكتاف من قرية «يبان» إلى قرية «ايسيان» ودفن في مقبرة أسرته آل الشيخ نخر، وهكذا ذهب ضحية الوهم والخوف.

أما كوجك سلمان، فقد سطع نجمه من جديد، وأخذ منكروه يتوافدون عليه من كل حدب وصوب طالبين منه العفو والمغفرة على ما بدر منهم نحوه من جحود ونكران ولم يبق من اليزيدية إلا من روحيتهم ولا من سرديتهم من لم يظهر له الولاء والاخلاص باستثناء أسرة الأمراء، فقد كانوا يحملون له غيظاً في صدورهم ويسعون في الخفاء ضده.

وفي يوم ٦٥ حزيران ١٩٢٣ خرج صباحاً من قرية ايسيان قاصداً مرقد الشيخ عدي ومعه ثلاثة أشخاص من الموالين له، وعند وصوله رأس الجبل المطل على وادي لالش الذي يضم المرقد المبارك، كان قد كمن له في البناية القديمة التي يسمونها «مقابل شيخ عدي» أحد أولاد حسن فقير من شيوخ أسرة الشيخ بكر، وعندما قرب منه رماء بطلق ناري وأرداه قتيلاً وقد هرب رفاقه الثلاثة تاركين جثته طعمة للوحوش والكلاب

في ذكر عوائدهم

« الكرافة والكريف »

الكريف ، بمعنى الصديق ، وللكرافة أهمية عظيمة عندهم . وقد يتكاتف المسلم واليزيدي بختن أحدهم ولد الآخر في حضنه ويسمى « كريف خوني » (١) أي كريف الدم . واليزيدي يحترم هذه الكرافة ويحرص على ما تحتمه عليه من واجبات ، فقد توجد بينه وبين كريفه المسلم وحدة تامة لا تقبل الانقسام ، وقد يسارع الى نجاته إذا أصابه مكروه أو عضته نائمة ، وقد يقابله المسلم بعين هذه الوجائب ويكون أميناً على عرضه ويساعده في ماله .

وإذا كانت الكرافة بين يزيديين فقد يدخل الواحد في محرمات الآخر مثل أخ الرضاة الى خمسة أجيال وربما الى أكثر من ذلك .

إلا بما يؤسف له أن الكرافة بين المسلم واليزيدي لم تبق على أصل وضعها وذلك لاهمال المسلم الواجبات التي تحتمها عليه الكرافة نحو كريفه اليزيدي وعدم اعتداده به وربما خانه ، هذا في الشيخان ، أما في سنجار فالأمر على عكس ذلك ، وقد يعنى المسلم بكريفه اليزيدي ويبره ، واليزيدي يضحى بماله وحياته في الذب عن كريفه المسلم والمحافظة عليه .

﴿ التحريم ﴾

يراد في أساس وضعه ردع الأمة عن الاعمال الخلة بأحكام الدين وجعل الدين محاطاً بسياج قوي من الارهاب كيلا تلعب به أيدي العابثين . وسلطة التحريم مختصة بالأمرأه وخدمهم وقد يجرونها بحق أي شخص شاؤوا من أفراد الملة دون النظر الى مكانته الدينية والاجتماعية . ومن يجرمه الأمير يبقى منبوذاً محترقاً مهاناً ويحرم من حقوقه الدينية والمدنية ، ويجتنبه أهله وأقاربه وحتى زوجته الى ان يموت . واذا كان

(١) جاء في (تاريخ اديان) للكاتب التركي احمد مدحت افندي ان المغول يهدسون الدم ويعدونه اكبر أداة لعقد العهود والمواثيق بينهم ، وذلك بان يشرب الواحد من دم الآخر بضع قطرات يستخرجها من جسده . واكبر عيب لديهم ان يذبحوا قربانا ويشربون من دمه . واخوة الدم معروفة عند جميع الاقوام المنتسبة من المغول ويطلقون عليها بالتركية (قان قارداشلى) .

من رجال الدين فقد تخلق لحيته ويحرم من حقوقه الدينية ويمتنع مريدوه من الاتصال به واعطائه خيراتهم وربما يخرجونه من بيوتهم ، ففي عام ١٩٢١ حرم الأمير أحد الفقراء ونزع عنه خرقة الفقر لاتيانه في مرقد الشيخ عدي عملاً يخالف الشريعة .

ويرجع ان الأمراء اتبعوا هذه القاعدة في الأعصر الأخيرة بعد ان أصيدوا بوهن في نفوذهم ، ولم تكف الملة تطيمهم في كل شيء ، وإلا فبني أول عهدهم بهذا الدين لم يكونوا بحاجة الى استمالتها ، وكان البيزیدی يتحمس لدينه الى حد الجنون .

فن أين عرفوا هذه العادة وعملوا بها ؟ ألا يتبادر الى الذهن انهم أخذوها من رجال الكنيسة النصرانية الذين كانوا يعملون بها في القرون الوسطى بحق مخالفهم بكل شدة وصرامة ؟ والجواب : ان الأمراء لم يثبت لهم اتصال برجال الكنيسة في دور من الأدوار التي سرت عليهم حتى يأخذوا هذه العادة منهم . والأغلب ان الحاجة هي التي دعتهم الى ابتكارها واستمالتها . واذا كان لا بد من القول انها نقلت عليهم من الخارج ، فن الأحرى ان تكون دخلت عليهم من الاسلام ، وقد ثبت أن النبي الكريم أسرى المقاطعة الثلاثة الذين خلفوا عن حرب تبوك ، وهم : كعب بن مالك ومرة بن الربيع وهلال بن أمية ، فامتنع المؤمنون عن مكالمتهم واعتزلتهم أزواجهم ، وبقوا على هذه الحالة خمسين يوماً - وقيل أكثر - الى ان نزلت الآية الكريمة : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، وظنوا أن لا ملجأ لهم من الله إلا اليه .. » اه . وهذه المقاطعة هي عين العادة التي نجدتها عند البيزيدية ويسمونها بالتحريم .

وسبق للأمير سعيد بك ان حرم نصرانياً من آل عبد النور كان يسكن قرية (مهد) ويشغل بالزراعة ، فأجتنبه الناس من البيزيديين وأصبح يدينهم منبوذاً وتخلي عنه خادمه فأرضى الأمير بشيء من المال ورفع عنه التحريم .

﴿ البراة ﴾

هي بحجم خرزة يصنعها القوالون من تراب مرقد الشيخ عدي ويهدونها الى البيزيدية عند زيارتهم السنجق ، ويحتم على كل يزيدي ان يحمل (براة) يتخذها حرزاً له لدفع

المكاره ، ويقبلها عند كل صباح ومساء ، وقد تكون أكبر ضمان لعشيرتين متناوئتين تريدان عقد هدنة بينهما ، وذلك ان تعطي الواحدة للأخرى (براة) توثيقاً عن كفها عن مناوأتها لها ، وقد تؤدي بعضاً عكس هذه الوظيفة ، أي أنها تكون دليلاً على استئناف القتال ، وذلك بان ترد عليها هذه البراة .

وإذا ظفر عدو بعدوه وعلم أنه يحمل براة ، فقد لا يمسه بسوء حرمة للبراة ، حتى ولو كان قد قتل أباه أو أخاه أو ولده ، وهذه العادة أكثر ما نجدتها بين يزيدية جبل سنجار . وذهب أحد كتّاب الشيعة إلى أن البراة عند اليزيدية قد تقوم بعين الوظيفة التي تقوم بها (شد راية العباس) عند الشيعة ، ورجح ان تكون مأخوذة منها .

« تنمة وايضاح » رأينا أن البراة تقوم بوظيفة حفظ السلم والأمن وتقوية روابط التآلف والتآخي بشكل لا تستطيعه أية قوة . فالحروب والمنازعات لا تقوم إلا بعد استرجاع البراة التي جرى تبادلها عند وقوع الصلح . وعند تعاطي البراة لأجل الصلح تذهب الدماء هدرآ ، والاموال التي نهبت لا تعوض ، بينما القتل الذي يقع في حالة تعاطي براة الصلح لا يعوض إلا بالقتل ، وقد يجري الصلح بعضاً ، ولكن قد يثار ذوو القتل لقتيلهم ولو بعد حين ، وقد يأخذ أحدهم ثأر أبيه الذي قتل وهو في بطن أمه ، وإذا لم يكن القاتل حياً ، فيؤخذ الثأر من ولده أو ابن عمه ، وعادة أخذ الدية ليست جارية بينهم ، وتعتمد دليلاً على الضعف ، ويعتقدون ان الشيخ عدي قد حرّمها . ولا يشترط تعاطي البراة بين العامة ، بل يتعاطاها الرؤساء ويسري مفعولها عليهم .

﴿ هل يعمل اليزيدية بسنة العماد ؟ ﴾

جرت العادة عند اليزيدية ان يظهروا أولادهم الذين يولدون حديثاً من دنس الولادة في حوض الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ، كتنظيفهم في هذا الحوض سائر الاشياء التي تكون قد أصابتها نجاسة ، والنجاسة بعرفهم مرور الشيء من يد المسلم ، وقد استغل بعض الكتّاب النصارى عادة تطهير اليزيدية أولادهم على الوجه المذكور وعدوها (تعميداً) واتخذوها دليلاً على صلة اليزيدية بالنصرانية . ولما كان هذا التطهير الذي عبروا عنه بالتعميد مختصاً باليزيدية الذين هم قرييون من المرقد ، فقد أرادوا إيجاد

طريقة تحمل على الاعتقاد باتباعه من قبل اليزيدية الذين هم بعيدون عنه ليتم تشميل عادة التعميد اليزيدية قاطبة ، ومن هؤلاء الكتاب الانكليزي ه . و . آمبسن ، فإنه بعد ان ذكر في كتابه (طاؤوس ملك) : « ان الماء الذي يجري حول مرقد الشيخ عدي يستعمل فقط لانجاز سنة تنصير الاولاد الذين يولدون قرب المعبد حيث يؤخذون بعد سبعة أيام من ولادتهم الى الماء المقدس وينغطسون في إناء على شكل ديك ثلاث مرات ، وفي المرة الثالثة يلتقيهم الكاهن بان يكونوا من أتباع يزيد وشهداء لعقيدته » ، وقال : « اما الذين يولدون في سنجار وفي المحلات الاخرى ، فقد يزورهم القوالون من وقت الى آخر ويقدمونهم بالماء الذي يأتون به في قراب معهم » ، وهذا قول يدل على غاية الحذق والمهارة ، ولكن ما قوله اذا أعلنناه أن عملية التنصير لم يكن ليعرفها اليزيدية ويعملون بها ، والاناء الذي ذكره على شكل ديك لا وجود له ، ولم يسبق ان أخذ واحد من القوالين ماء مقدسا في قراب معه الى سنجار والاماكن البعيدة لتعميد او تقديس الاولاد الذين يولدون حديثا ، واذا كان يكفي لتعميد كل مولود حفنة من الماء ، فكيف يجب نقله من الماء الى المناطق السنية توجد فيها اليزيدية ويرتادها القوالون بلا انقطاع ؟ .

إن صاحب كتاب (طاؤوس ملك) لم يكن وحده اول من أباح لنفسه اختلاق هذا الخبر عن اليزيدية وأذاعه دون احتراز وتحفظ ، بل قاله آخرون غيره من الكتاب الغربيين الذين لم يتورعوا عن اختلاق أخبار غير صحيحة عن هؤلاء القوم ليدلوا على صلتهم بالنصرانية ، وفاتهم انهم أساءوا الى سمعتهم الأدبية اكثر مما أفادوا مصلحتهم وقد استرعى هذا الخبر نظر أحد اليزيدية المتعلمين - وهو معلم في مدرسة بجزاني لليزيدية - وسألني عما يقصده هؤلاء الكتاب الغربيين عن اختلاقهم الأخبار عنهم ، ومنى كان لديهم في مرقد الشيخ عدي أناء على شكل ديك يعمدون أولادهم فيه ، ويذهب القوالون بالماء المقدس في قراب الى سنجار والاماكن البعيدة لتعميد أولادهم الذين يولدون حديثا ؟ فالتزمت طريق التجاهل ، وقلت له ألم يكن (التعميد) متبعا

لديكم كما يدعيه هؤلاء النصارى؟ - فأجاب: من الخطأ الفادح ان نسمي تطهير المولود الجديد من دنس الولادة في الماء المقدس في مرقد الشيخ عدي تعميماً ، وتطهير جميع الأشياء التي مستها نجاسة - بعرفنا - عادة متبعة منذ القديم . أنظر الى (الطواويس) التي يريدون إرسالها الى الجهات المختصة بها ألم يغطسوها في هذه العين؟ ثم موسى الذي يستعمله المسلم او الشيء الذي يمر من يده هل يجوز لابزدي استعماله ما لم يغسله فيها؟ فهل نسمي ذلك تعميماً ام تطهيراً؟ على ان عادة تطهير الأولاد في هذا الماء أعمت ولم يكد أحد يعمل بها بعد ان ظهر خطرها ومات اكثر الأود من شدة البرد ، ثم اذا كان التطهير في هذا الماء يسمى تعميماً ، فلماذا يعمل البزيدية بسنة الختان وغسل الموتى؟

﴿ الختان ﴾

يجري الختان بعد مضي سبعة أيام على المولود ، ويجوز تأخيره الى بلوغه العامين وهو تقليد إسلامي أتبعوه منذ عهدهم بالاسلام ، وللختان ميزة كبيرة عندهم باعتباره الواسطة الوحيدة للمكافاة بينهم ، وبينهم وبين المسلم ايضاً ، ولا يجوز القول أنهم كانوا يعملون به في مجوسيتهم الاولى وظلوا دائبين عليه ، وقد أثبت التاريخ ان المجوس لم يكتفوا بعملون بسنة الختان ولا يعرفونه . وما جاء في التقرير الذي رفعته لجنة الحدود بين تركية والعراق الى عصبة الامم بتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٩٢٤ عند الكلام عن البزيدية من « أنها لم تستطع الجزم في أنهم اقتبسوا سنة الختان من الاسلام » وقولها « وربما - كما يظن ويكرام - أنها اقتبسته من مصدر أسبق من ذلك » فقد أخطأت فيه .

ويدعي ه . و . أميسن صاحب كتاب طاؤوس ملك ان الختان لم يكن من الفروض الدينية لدى البزيدية ، وقد مارسوا هذه العادة موافقة لاتباع محمد (ص ٤٥) وذكر أنهم يختنون أولادهم بعد عشرين يوماً من تنصيرهم . فانظر الى هذه المكابرة والاستهتار بالحقائق ، فالتعميد الذي لم يستطع تحليل استعماله من قبل البزيدية بسميه تنصيراً ، والختان الذي أخذوه من الاسلام منذ عهدهم به يدعي أنهم مارسوه موافقة لاتباع محمد وهذه شنشنة نجدها عند الباحثين الغربيين عامة ، إذ عندما يجدون في هذه الطائفة من عادات وتقاليد اسلامية ولا يريدون ان يعترفوا بانها مأخوذة من مصدر إسلامي

يعملونها بمثل هذه التعليقات السخيفة التي لا تدل على أكثر من جهلهم وعنادهم .
ومؤلف كتاب النساورة (بادجر) ايضاً - وسيأتي الكلام عنه - ينفي كون المختار
الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلامية ، وذلك لان العشرة الكردية
التي في (رضوان) لا يختنون مع كونهم يزيديين ، وهذا المنطق المفلوج يدلنا على ما
يحملة هذا الكاتب المتعصب من بغض وكراهية للإسلام ، وحنق عليه وسراه كيف
تهيج أعصابه ويصل الى حد الجنون عندما يقف على عقيدة إسلامية او تقليد إسلامي
عند هذه الطائفة فيحاول رده الى النصرانية ويمجزه الامر فيتبع آراء تدعو الى السخرية
والاستهزاء .

﴿ تعدد الزوجات والطلاق ﴾

أباحت الشريعة اليزيدية للرجل ان يتزوج بأربع نساء وأن يطلقهن اذا شاء كما هو
جار في الاسلام . وللا مير أن يتزوج بقدر ما يشاء من النساء اللاتي أباحتهن الشريعة له .
إلا أنه لا يجوز له تطليقهن لعدم جواز تزوجهن من غيره وقد يبقين في داره الى ان
يقضين نحبهن (١) .

وتبين المرأة بمجرد أن يلفظ الرجل كلمة الطلاق ، أو يقول لها أنت شيعي او بيري .
ويجوز له أن يسترجمها بمجرد حصول التراضي بينها ولو طلقها أكثر من ثلاث . أما
الطبقة الممتازة - ونقصد بهم الروحيين - فقد يراعون حكم الطلاق الثلاث الذي يجري
بالتتابع ، وليست العادة على من يطلق زوجته ثلاثاً أن يجري وراءه استرجاعها باستحصال
فتاوى رجال الدين كما هو جار في الاسلام .. والعدة عندهم لا عبرة لها ، والروابط
الروحية واهية جداً . وقد لا يأمن الرجل على حياته الزوجية من أن تعبت بها ايدي
المفسدين . وهذا ناشئ من عدم إعطائهم منا كحاتهم شكلاً دينياً او رسمياً يمنع المرأة من
التخلي عن زوجها متى شاءت .

ومما يدعو الى الغبطة والارتياح أن نجد هذه الحالة قد أخذت تزول تدريجياً في
الشيخان ، وقد يأتي الرجل والمرأة عند حاكم الشرع ويطلبان يعقد لهما النكاح دره أ

(١) تخاطب زوجة الامير بالام حتى ولو كانت في الخامسة عشر من العمر وكان المخاطب شيخاً كبيراً .
وكنت باطن جواز تزوج امرأة الامير بعد موته من يخلفه بالامارة ، ولكن ظهر لي خلاف ذلك .

للفساد الذي يحذرانه في حياتهم الزوجية .

﴿ الاغتسال من الجنابة ﴾

الاجتسال من الجنابة فرض على كل يزيدي وقد يباشره بسائق العادة وبصورة غير مباشرة دون أن يشعر بان هنالك سائماً دينياً يضطره اليه ، اذ من المحال ان لا يغتسل بالاسبوع ولو مرة واحدة ، ويغتسل في أيام الأعياد والمواسم وعند زيارته مرقد الشيخ عدي ، وعندما يقصد محلاً بعيداً عن قريته ، وخاصة في أيام الصوم . والمرأة تراعي هذا الواجب اكثر من الرجل .

ويحرم على الرجل أن يقرب زوجته في حالة النفاس والحيض ما لم تغتسل ، ومدة النفاس عندهم أربعون يوماً ، وهذه تقاليد إسلامية .

بيد أن الغربيين الذين يرمون الى إبعاد هذه الديانة عن الاسلام لم يقفوا عليها ، وهو أول ما ينبغي أن يعمله الباحث ، ولذا لم يظفروا بانصاف الحقيقة .

﴿ الأخوة الأخرية او الأبدية ﴾

حتمت التقاليد الزيدية على كل يزيدي أن يتخذ له أخاً وأختاً من رجال الدين يكل أمره اليها ويرجو بها الشفاعة يوم الآخرة . ومفروض عليه أن يصاحفها عند كل صباح ويتعجب اليها . واذا أراد عمل ثوب فعلي أخته الأبدية ان تفتح رقبتة . وعندما يوافيه الموت يحضره أخوه الأبدية وأخته الابدية ويساعدان شيخه ويبره في غسله وتكفينه .

تذييل - من التقليد الجاري أن يكون زيق الثوب الذي يلبسه الزيدي ، رجلاً كان او امرأة ، مدوراً . أما الذين هم بعيدين عن مركزهم الديني كيزيدية الشرفيات في ويران شهر وغيرها من الاماكن البعيدة ، فقد لا يعملون به .

﴿ غسل الأموات ﴾

بحري غسل الميت عند الزيدية طبقاً لما هو جار عند الاسلام ، وقد يغسلونه بالماء الفاتر والصابون|عضواً عضواً ، إلا أنهم يخالفون المسلمين في وضوئه . والذي يقوم بغسله شيخه ويبره ، ويعاونها أخوه الابدية وأخته الابدية ويقرأ شيخه بعض الصلوات

والأدعية أثناء عملية الغسل .

وقد أسكت دعاة النصرانية عن تعليلهم عادة غسل الميت عند الزيدية لأنه يمارض
العهد الذي يدعونه لهم .

﴿ دفن الأموات ﴾

بعد أن يتم غسل الميت يحشون جميع منافذ وجوده بالقطن ويضعون شيئاً من تراب
الشيخ عدي على جبينه وفي عينيه ويدفنونه نحو المشرق ، ويكثر من الخيرات
والصدقات على روحه في اليوم الأول والثاني والثالث والسابع والاربعين من وفاته .
ويذبحون عدداً وافراً من الغنم والبقر ويتصدقون بها على الفقراء والمعوزين .
ومن السنن المتبعة أن يكفن بنسيج بلدي ويحرمون نسيجاً غيره ، إلا أنهم أخذوا
يتركون هذه العادة لعدم تمكنهم من الحصول على النسيج البلدي الذي قل عمله واستعماله
والعادة عند الزيدية في سنجار ان يقصوا ذوائب المتوفي رجلاً كان او امرأة ويلقونها
على قبره الى أن تبلى ، والفتاة التي تكون في سن الزواج ، او قد تزوجت حديثاً ،
يلبسونها أنحر ملابسها ، وبعضهم يضعون عليها حليها ويدفنونها ، ويكثر من إطلاق
البنادق عند توديع الميت مقره الاخير إذا كان من ذوي الوجاهة .
وبعضهم يلبسون الميت ملابس عند دفنه ويضعون له فراشاً في قبره .

﴿ العادة بعد الدفن ﴾

إذا كان المتوفي من ذوي الاعتبار والوجاهة ، يصنعون له تمثالاً من الأعواد يلبسونه
أنحر ملابسهم ويجلسونه في محل مرتفع ويحتمعون حوله ، ويرتل القوالون أناشيدهم
أمامه ، والنساء يلطن وجوههن ويندبنه بأغانين الشجية ويعددون محاسنه الى ان
تنقضي ثلاثة أيام . اما اذا كان فقيراً فقد يكتب القوالون باجراء المراسم الدينية عند
دفنه ، ويزوره ذوره من وقت الى آخر ويكون عند قبره .

وللميت حرمة كبيرة عندهم ، ولكن بعد ان يتم عزاءه لا يبكونه كثيراً ، واذا
ذكره ، يذكرونه بالترحم عليه كما هو جار عند الاسلام . وفي ليالي الأعياد والمواسم
يصنعون له طعاماً ويذهبون به الى قبره ، فيضعونه عليه ويعودون ، وعند الصباح

يأتون بالماعون وقد فرغ مما فيه .

﴿ مراسم الأفراح ﴾

للزيدية أفراح دينية تقليدية كثيرة ، أهمها ما يجرونه في الطوافات (سيأتي البحث عنها) وفي أيام الزواج ، وتكون أفراح الزواج بشكل عام يجتمع فيه أهل القرى المجاورة والبعيدة بدعوة خاصة تستمر ثلاثة أيام بلياليها يضربون فيها على الطبول وبزمرون بالزراني ويرقص الفتيان والفتيات على وقعها الحار بصورة مختلطة ، تذوب فيه الحشمة ، ويرتفع التحفظ ، ويكثر من شرب الخمر ، حتى ترى أهل قرية بكاملهم قد غلثهم نشوة السكر واستولى عليهم الأناث والفرح .

ومن متمات الأفراح ان يقيموا سباقا للخيل يشترك فيه المسلمون من أهل القرى المجاورة ، إلا ان هذه العادة أخذت تضعف شأنها وكادت تزول لفقدان الخيول عندهم .

والرقص عند النساء عادة محببة مرغوبة وقد يرقصن بصورة مجتمعة او على الافراد ومنهن ماهرات في الرقص وقد يتعلمنه على أساتذة ماهرين من القوالين .

والعادة ان يجتمع بضع فتيات ويرتلن أغاني شعبية بصوت عذب رقيق يحركن أوتار القلوب ويأخذن بالالباب والعقول ، ويشترط لذلك عدم وجود مسلم يستمع البهن .

وتقام الافراح عند مجيء السنجق الى قرية ما فيجتمع أهلها في ميدان فسيح ويرقصون جماعات وأفراداً . وأفراح الزواج تكون في السنين الخصبية اكثر لما تتطلبه من نفقات لا يقوى عليها الزيدى في السنين المجدية .

﴿ أملمهم في المستقبل ﴾

للزيدية عقيدة خاصة في المستقبل فهم ينظرون اليه بعين ملؤها الطمأنينة والارتياح ويمقدون أمالمهم الذهبية عليه ، إذ يعتقدون ان ما لاقوه من المسلمين منذ عهد ظهورهم من مظالم واعتداءات فادحة ستزول وبيتسم لهم الزمن وينيلهم أمالمهم وهناك ستنقاد كافة الامم والشعوب التي على وجه الأرض لهم ويحكمون سيوفهم في رقاب أعدائهم المسلمين وينتقمون منهم كما انتقم جددهم (بختنصر) من اليهود .

ولكن متى يكون ذلك؟ يكون عندما ينزل يزيد الى الارض ويصلح ما فسد منها ويرفع من شأنها . فن أطاعه كتب له الفوز والنجاح ، ومن خالفه وعصاه كان نصيبه الهلاك والدمار .

وسيكون الامير الحاكم المطلق على المملكة اليزيدية المنتظرة وتكون البسميرية وزراؤه والبيرة والشيوخ عماله ، والقوالون سفراؤه ، والكواجك جباته ، والفقراء جنوده ، وباعذرة عاصمته ، ودمشق اكبر مدن مملكته .

إن هذه العقيدة هي وليدة الاضطهادات التي لاقوها من المسلمين خلال زمن طويل ، وعندهم شعور عام ورتوه من شيوخهم الأقدمين بعد أن فشلوا في دعوتهم السياسية فهم لا يزالون يتطلعون الى المستقبل لاعادة مجد الأمويين المندرس ،

في الأسيرة العموية ومطقتهم في التاريخ

(الشيخ عدي بن مسافر الأموي)

لم يكن أحد عرفه وعني بالبحث عنه إلا بعد ان ذاعت الرغبة بين جماعة من أصحاب الأعلام من شرقيين وغربيين في البحث عن الديانة اليزيدية ، وهناك عرفوه ، ولكن معرفة ناقصة ، وبحثوا عنه ، ولكن بحثاً مشوهاً لا ينطق بالاصابة والمعدل ، فوصفوه بالكفر والاحاد ، وأنه دعى الناس الى الاباحية والفوضى ، وعدوه بمنزلة مزدك الفارسي وابن عطاء وغيرهما ممن استخفوا بالشرائع ، وهدموا بتعاليمهم صروح الفضيلة والدين . ان الصاق عقيدة هؤلاء بهذا الرجل العظيم ترجع الى أمرين ، الاول : ما يشاهدونه اليوم في مريديه من فساد العقيدة ، فيذهبون الى أنه هو الذي غرس فيهم هذه البذرة وهو الذي أظلمهم وأبعدهم عن الاسلام . الثاني : ما يقرأونه من القصائد والمنظومات المعزوة اليه ، فيتخذونها حجة على إدعائه بالالوهية وأنه لم يكن مسلماً بالمعنى الصحيح ، ولو تعمقوا في دراسته ، وعرفوا ما قاله المؤرخون عنه ، واستمعوا الى أقواله ، ثم وقفوا على الاسباب التي أدت الى وضع هذه المنظومات ونسبتها اليه ، لما تورطوا في هذا الحكم .

نسبه ونشأته : هو أموي قرشي ، يرجع نسبه الى الملوك المروانيين ، فهو عدي بن مسافر بن موسى بن مروان بن الحكم (١) ، وقيل ابن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان الأموي بن الحسن بن مروان بن ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وقد وهم صاحب تاريخ المعبر في أبناء من غير ، بأن جعل مروان بن الحكم ابن أبي العاص بن عثمان بن عفان بن ربيعة بن عبد شمس بن زهرة بن عبد مناف . ولد في قرية « بيت فار » من أعمال بعلبك في الشام ، وعرف « بالهكاري » لسكناه في جبل هكار شمالي الموصل ، وقد غلبت عليه الروح التصوفية وسلك طريق الارشاد . والغالب ان هذه الروح انتقلت اليه من أبيه « مسافر » الذي يروى عنه صلاح وتقوى في زمانه .

ان كل ما نعرفه عن نشأته الدينية هو أنه هجر قريته التي ولد فيها وهو شاب يافع واخذ بالسياحة وروض نفسه بأنواع المجاهدات ، فكان يجوب الصحاري والجبال ، ويقوم في المغارات ، ويكثر من العبادة حتى « سار ذكره في البلاد ، وتبعه خلق كثير ، وجاوز اعتقادهم فيه الحد ، وجعلوه ذخيرتهم في الآخرة ، ومال اليه أهل تلك النواحي ميلا لم يسمع بمثله » (٢) وصحب جماعة من الصوفية كمقيل المنبجي ، وحماد الدباس ، وأبي النجيب السهروردي ، وعبدالقادر الجيلي ، وأبي الوفاء الحلواني وغيرهم ممن كان عصره طامحاً بهم . وكان عبدالقادر الجيلي يعظمه ويثني عليه ويشهد له بالسلطنة على الاولياء وكان يقول : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لناها عدي بن مسافر » .

أما نشأته العلمية وشيوخه الذين أخذ عنهم ، فليس في كتب السير والتاريخ ما يدلنا عليه إلا ان الذي نعرفه عنه أنه كان من المبرزين في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث ويمد من طراز ابن تيمية في عصره . وهو شديد الوطأة ، كثير المؤاخذة على المخالفين للسنة والشريعة وله رسالة في العقائد أودعها عقيدته (٣) .

مبدؤه الحزبي والديني : كان يتعصب للأمويين ، وهو فرع دوحهم ، فقد كان يلتزم

(١) هكذا ذكره بن خلكان في ترجمته وقال : هكذا أملاه علي بعض ذوي قرابته .

(٢) وفیات الاعيان لابن خلكان .

(٣) تجدها ضمن مجموعة في القوائد في مدرسة الحجيات بالموصل .

جانب معاوية بن أبي سفيان ، ويقول عنه أنه خال المؤمنين ورديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانب وحى الله تعالى ، وأمين الله على وحيه ، شهد النبي له بالجنة ومات وهو عنه راض ويعتقد الصلاح بيزيد ، ويرى أنه بريء مما رمي به من العيوب والنقائص إلا ان تعصبه للامويين لم يكن ليخرج به الى حد الغلو والتطرف والوقية بالملويين وتوجيه المبالغ اليهم ، بل كان يذب عنهم ويمنع الناس عن الطعن فيهم .

أما اعتقاده في الصحابة فكان يرى الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم في الخلافة ويرد على من يقدم (علياً) على الثلاثة السابقين .

وكان يندد بالشيعنة ويحمل على المعتزلة وينتقد ذوي البدع والاهواء ممن يخالف أهل السنة ، ويعتبر نفسه من أهل الحديث . وأوجد له طريقة تصوفية بناها على إصلاح النفس ومراعاة الاخلاق الفاضلة .

انقطاعه الى جبل هكار وانصرافه الى الارشاد : لماذا اختار الشيخ عدي جبل هكار موطناً لنتير طريقته وهو عربي صميم خرج من البقاع في الشام ؟ وما صلته بالاكرد وكيف عرفهم ؟ يقال انه بعد سقوط الدولة الأموية هاجر البعض من رجال البيت الأموي مع مواليهم الاكرد الى هذه الجبال وانزوا فيها خوفاً من العباسيين الذين كانوا يتعقبونهم ويكثرون القتل فيهم . وقد عرف (عدي) هذه الجبال وجاءها واختار السكنى فيها . والحقيقة ان الأمويين لم يسبق لهم هجرة الى هذه الجبال لا قبل عدي ولا بعده ، ولهذا الكلام موضع آخر غير هذا . والذي نراه أن (عدياً) بعد ان أخذ على نفسه التطواف في البراري والقفار أوصله تطوافه الى هذه الجبال فوجدها في ظلام من الجهل لم تؤثر الدعوة الاسلامية فيها ولا يزال فيها أناس يدينون بالجوسية ، فرأى من واجبه الديني أن يبشر بالاسلام بينهم ، واختار لاقامته ديراً للنصارى مهجوراً يقع وسط واد عميق يسمى « لالش » تكثر مياهه واشجاره ، وأسس زاويته فيه وأصبح موطناً له ولأهل بيته بعده . ثم لعبت بعده أيدي الأهواء في طريقته فتحوط الى دعوة سياسية زاعة الى الملك فنالت زاويته أيدي التخريب وتفرق أصحابه عنها ، ثم عادوا اليها واتخذوا قبره مزاراً يحجون اليه .

نهجه وسلوكه : لم نجد من طعن في نهجه وسلوكه ممن تناوله بالبحث من المؤرخين قاطبة ، والكل متفقون على تمسكه بالشريعة الاسلامية . يدلنا على ذلك شهادة الامام ابن تيمية بحقه ، وعقيدته المأثورة عنه ، والاقوال الصادرة عن لسانه . إلا ان تعصبه للامويين واعتقاده الصلاح يزيد وتبرئته مما رمى به من عيوب ونقائص كان سبباً لاطلاق الالسنه بحقه ممن لم يرتح لذكر يزيد وأهل بيته ويراها على عكس ذلك ويقدم فيه . وقد كان من الطبيعي ان يتأثر سالكو طريقته بهذه العقيدة ، فيعتقدون يزيد أنه من أئمة الهدى والمجاهدين في سبيل الله ويولونه محبتهم ويتمصبون له ثم يرفعونه الى درجة الآلهية يأخذون بعبادته ، ولم يكن عدياً ليخطر له بان غرسة محبة الامويين في قلوب مرعيديه سيحدث هذا التطور بعد حين .

وهنا يرد سؤال وهو بعد أن رأينا عدياً هو الذي غرس في قلوب أصحابه الحب ليزيد وجعلهم يعتقدون بصلاحه ، هل يجوز أن توجه اليه تبعه الزيف الذي حل بساحتهم؟ والجواب أن عدياً بريء من ضلال هذه الطائفة براءة الذئب من دم ابن يعقوب وإنما أراد بها خيراً وأصلح نفوسها ، ولو لم يدخل بينهم دعاة السوء ويحدثون هذا التغيير في عقائدهم وأولون كما نطق به شيخهم من قول بعكس ما أرادته ، لما وجدنا لهذا الانتكاس أثراً فيهم ولحافظوا على عقيدتهم .

وضع الشيخ عدي طريقته العدوية تقيية خالصة من كل ما يستطيع ان يظمن الطاعنون فيها ، وقد ذاعت في أنحاء الشرق وأتبعها خلق كثير وأصبح لها شأن كبير لو لم تلعب بها الايدي وتخرجها عن أصلها . وهذا ما يجعلنا ان نقول ان الشيخ عدياً كان حقاً بألسنا لم يبتسم له الحظ بعد وفاته كبقية أصحاب الطرق الذين نالوا شهرة واسعة بعد مماتهم اكثر مما كانوا عليه في حياتهم ، وليس في طريقته شيء من الاعوجاج يدعو الى ما ناله من سوء السمعة اكثر من أنه كان أموياً ويتمصب للامويين . أليس مما يدل على بؤسه تصدي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل أولاً ، والمجتهد الحلواني ثانياً لحفر قبره واخراج عظامه واحراقها ؟ وهو لا ذنب له يستحق عليه هذه الالهانة سوى ان الطائفة المنسوبة اليه زاغت عن عقيدتها وأحدثت لها ديناً لا ينطبق على الاسلام . واذا كانت

هذه الطائفة زاغت عن عقيدتها ، فلماذا يحمل شيخها تبعة عملها ؟ وقد بلغ حد الغاية في هدايتها وإرشادها وقام باصلاحها خير ما يقوم به شيخ طريقة ؟ ثم أي شيخ طريقة صوفية عومل بمثل هذه المعاملة القاسية بعد ان مضى أمد طويل على وفاته حتى أصبح وهو نائم في قبره هدفاً لاحتراصات سياسية ومذهبية كانت تجيش في صدر الملوك الأتابكي والمجتهد الايراني ولم يخجلا من ان يعلا عملها هذا بالجهاد في سبيل الدين ؟ وهل ان الدين تصدع وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الطائفة من الضلال ، ولا يمكن إصلاحه إلا بجفر قبر هذا الشيخ وإخراج عظامه وإحراقها ؟ كلا ، ولاكنه الجهل والحق .

وصفوة القول أن الشيخ عدياً كان عظيماً في جميع مظاهره ، عظيماً حتى بعد موته ، ولكن يؤسف له أن المصيبة التي أتت بها من زعم اليزيدية أنه آله وانخاضم قبره من أراء وحججه اليه واعتقاد الناس به على عكس ما هو عليه من الصلاح والتقوى ، حيث كلفنا ورد اسمه على الألسن تلقته الأذهان بأنه شيخ اليزيدية ورئيسهم ومعبودهم دون ان يفهموا شيئاً عنه ، وهذا كله لا يلتئم وكبير منزلته وعظيم قدره ، وقد اندثرت طريقته بعد ان كان يتبعها خلق كثير في البلاد الشامية والمصرية ، ولم يبق لها أثر عدا ما تدعيه هذه الطائفة من الاتناء اليها ، وشتان ما بينها وبين عقائدها الفاسدة .

هل كان الشيخ عدي صريحاً في دعوته ؟ : ظهر لنا بما تقدم أن الشيخ عدياً هو الرجل الفذ الذي ظهر في عصره وفاق أقرانه في زهده وورعه الذي جمع اليه وفور العرفان والعلم ، ولم يشتر أحد ممن ذكره من معاصريه او كان قريباً من عهده وبحث عن حياته الدينية وسلوكه ، أقول لم يشتر الى أنه كان يحمل زيفاً في عقيدته ، بل أجمعوا كلهم على انه ظاهري بحت يعمل بالسنة والشرعة ، بعيد عن النزعات الصوفية ودعاويهم التي لم يروا أنفسهم فيها مقيدين بقيد من قيود الشرع ، ولولا ذلك لما وجدنا الامام ابن تيمية يقول عنه « أن طريقته قدس الله روحه كانت سليمة ولم يكن فيها من هذه البدع شيء » وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وليست ك شهادة الراهب راميشوع الذي أراد إرجاع البيت العدوي الى التيراهية الجوسية نسباً وعقيدة واتبعها كثير من كتابنا المسلمين دون

تحقيق وبنوا أبحاثهم عليها .

ورب قائل : أن عدياً لم يكن غير واحد من أصحاب الطرائق الذي كان عصره طامخاً بهم ، أمثال الشيخ الجيلي ، والسهروردي ، والحلواني ، والمنبجي ، والدباس ، ورافاعي ، وعلي الهيتي ، وابن وهب السنجاري ، وشعيب بن أبي مدين ، وقضيب البان ، وجايبكر الكردى ، وعبد الله الشنبيكي ، وعبد الرحمن الطفسونجي ، ومطر الباذراني ، وماجد الكردى ، وغيرهم . وما واحد من هؤلاء إلا ورويت عنه أخبار تدل على طول باعه بالتصرف وإظهار الكرامات وهو مضطر الى مسايرتهم بهذه النزعة ليمتلك عقول أصحابه ولولا ذلك « لما تبعه خلق كثير وتجاوز حسن اعتقادهم به الحد حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعولون عليها » ، وهذا وإن كان وارداً ، إلا ان شهادة ابن تيمية التي أوردناها بحقه وعقيدته المأثورة عنه ، والكلمات المروية عن لسانه ، تنفي هذه المزاعم التي لم يكن منشؤها أكثر من الظن والوهم .

وهذه نبذة من أقواله : « لا تنتفع بشيء إلا اذا كان اعتقادك فيه فوق كل اعتقاد . وهنا يجمعك في حضوره ، ويحفظك في غيبته ، ويهديك بأخلاقه ، وينورك ويؤيدك بأطرافه ، وينور باطنك بأشراقه . وإن كان اعتقادك فيه ضعيفاً لا تشهد فيه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك عليك ، فتشهد صفاته هي صفاتك فلا تنتفع به ، ولو كان أعلا الأولياء درجة » .

ومنها قوله : « حسن الخلق معاملة كل شخص بما يؤنسه ولا يوحشه ، فمع العلماء بحسن الاستماع وإن كان مقامه فوق ما يقولونه ، ومع أهل المعرفة بالسكون والانكسار ومع أهل التوحيد بالتسليم » .

وفي قلائد الجواهر ص ٨٤ و ٨٥ ورد هذا القول على هذا الوجه :

« الشيخ من جمعك في حضوره ، وحفظك في مغيبه ، وهذبك باطرافه ، وأنار باطنك بأشراقه . والمريد من أنار نوره مع الفقراء بالأنس والانبساط ، ومع الصوفية بالأدب والانحطاط ، وحسن الخلق والتواضع في كل شيء ، ومع العلماء بحسن الاستماع ، ومع أهل المعرفة بالسكون ، ومع أهل المقامات بالتوحيد » .

ومنها قوله : « اذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات وتنخرق له العادات ، فلا تغتروا به حتى تنظروه عند النهي والأمر » .

ومنها : « من لم يأخذ أدبه من المؤدبين ، أفسد من اتبعه ، ومن كانت فيه أدنى بدعة فاحذروا مجالسته لئلا يعود اليكم شؤمها ولو بعد حين » .

ومنها : « من اكتفى بالعلم دون الاتصاف بحقيقته ، انقطع ، ومن اكتفى بالتعبد دون الفقه خرج ، ومن اكتفى بالفقه دون ورع اغتر ، ومن قام بما يجب عليه من الأحكام ، نجيا » .

ومنها : « أول ما يجب على سالك طريقتنا هذه ، ترك الدعاوى الكاذبة ، واخفاء المعاني الصادقة (١) » .

ومما جاء في « عقيدته » قوله في القضاء والقدر :

« لا يخلو أخذك وزرك أن يكون بالله أوله . فإن كان به ، يبادلك بالعطاء ، وإن كان له ، فاسترزقه بأمره . واحذر ما فيه الخلق ، فمتى كنت معهم ، استعبدوك ، ومتى كنت مع الله عز وجل ، حفظك ، ومتى كنت مع الأسباب ، فاطلب رزقك من الأرض . وإذا كنت مع التوكل ، فإن طلبت بهمتك ، لا يعطيك ، وإن أزلت همتك ، أعطاك . وإذا كنت واقفاً مع الله عز وجل ، صارت الأكوام خالية لك من المواطن ، وأنت في القبضة فإن ، والكون كله فيك ولك » .
وفي قوله في الرد على القدرية والمجسمة :

« ونؤمن بما ورد في الكتاب والسنة ، ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها . فإن كل ما تمثل في الوهم فهو مقدره وخالقه . وهذا هو الذي اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر في الناس التشبيه والتعطيل ، فزع أهل الحق الى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تشبيه ولا حمل على الظاهر » .

وفي قوله عن القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى أبلis عليه

(١) لوائح الانظار في طبقات الاخيار للشيخ عبد الوهاب الشعراوي (كذا) من علماء القرن العاشر الهجري في مصر ، وهو كتاب خطي موقوف على مدرسة آل بكر افندي بالموصل .

اللعنة وليس اليه من الضلالة شيء . قال تعالى : « واجلب عليه بخلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدمهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً » . وقوله تعالى : « أن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وأن جهنم لموعدهم اجمعين » لأنهم فتكوا في الكفر فجعلوا ارادة ابليس لعنه الله وإرادتهم أقوى من ارادة الله تعالى . أراد الملعون ابليس المعصية فوجدت ، وأراد الله أن تكون فكانت ، فجعلوا ابليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقول بهذه المقالة تكذيب لقوله تعالى : « إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله » .

وفي قوله عن توحيد الباري عز وجل :

« لا تجري ماهيته في مقال ، ولا تخطر كلفيته ببال ، جل عن الأمثال والأشكال . صفاته قديمة كذاته ، ليس بجسم في صفاته ، جل أن يشبه بمبتدعاته وأن يضاف الى مخترعاته ، ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير . لا سمي له في أرضه وسمواته ، ولا عدل له في حكمه وإرادته ، حرام على العقول ان تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الفكر أن تحيط ، وعلى العقول أن تتصور إلا ما وصف به ذاته في كتابه العزيز او على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم » .

هذا هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي صاحب الطريقة المدوية ، وهذه هي عقيدته . وكانت وفاته سنة ٥٥٥ و قبل سنة ٥٥٧ ، وقد تجاوز التسعين ولم يخلف ولداً ويقال انه ظل أعزب ، وسنعود الى الكلام عنه في البحث عن الشيخ شمس الدين الحسن أحد زعماء هذه الطريقة .

﴿ الشيخ العارف صخر بن مسافر الأموي ﴾

هو أخو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ولم يذكر احد من المؤرخين أنه جاء بلاد الهكارية ، والذي جاءها أبه ابو البركات صخر الثاني الذي خلف عمه الشيخ عدياً في الطريقة ، والذي يغلب على الظن ان صخر الأول كان ايضاً معروفاً بين قومه بالصلاح

والتقوى وقد تحدث جماعة من المؤرخين عن صلاح أبيه مسافر ، وأنه انقطع في السياحة أربعون سنة ، ويجوز لنا ان نذهب الى ان انصرف هذا البيت الى العبادة والتقوى وتجردهم عن العلاقات الدنيوية هو الذي جعلهم في مأمن من اضطهاد العباسيين وظلمهم الذي أسرفوا فيه بحق بني عمهم الأمويين ، ولو لم يتبعوا هذه الطريقة لما أبقوا عليهم واذا لم تكن نرى فيهم نزوعا الى حب الرياسة طيبة ثلاثة عصور مضت عليهم فهذه الروح كانت كامنة فيهم وكانوا يترقبون الفرصة الملائمة لاظهارها ، وسنرى كيف ظهرت على عهد الشيخ حسن ، وكيف جرت وبلا عليهم .

﴿ الشيخ ابو البركات صخر بن صخر بن مسافر الأموي ﴾

هاجر صخر بن صخر من (بيت قار) الى جبل الهكارية وصحب عمه الشيخ عدياً وخلفه بعد وفاته . وكان الشيخ عدي في حياته يشي عليه ويقدمه ويقول فيه : « ابو البركات ممن دعي في الأزل وكان من السابقين الى الحضرة » ويقول فيه : « ابو البركات يخلفني » وفي تحفة الأحاب للساوي : « ان الشيخ عدياً (١) كان أعزب ، ويروى انه سأل الله تعالى ان يجعل ذريته في أخيه صخر بن مسافر فاستجاب الله دعاه ، وهكذا كان فان آل عدي الذين تناسلوا وكثروا هم أولاد صخر بن مسافر لا أولاد عدي . وقد ترجمه صاحب بهجة الأسرار بما هو بالحرف :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ونبلاء العارفين ، وأركان هذا الشأن وأئمة الدعوة اليه وأعيان العلماء بسبله علماً وعملاً وزهداً وتحقيقاً ، صحب عمه وهاجر اليه ، واليه كان ينتمي وخلفه بعد وفاته في المشيخة بزوايته في (لالش) بجبل هكار وكان يشي عليه ويقدمه ويمده من ابدال الدهر ، لقي غير واحد من المشائخ واتته اليه رياسة هذا الأمر في وقته في تربية المريدين السالكين وكشف مشكلات أحوالهم وتبليان مهمات أمورهم وتخرج عليه غير واحد من العلماء .

كان كامل الآداب ، حسن الاخلاق ، ظريف الشائل ، ذا بهاء وصمت وحياء ، محباً

(١) لا يعد اختيار الشيخ عدي الغزوية دليلاً على انه أراد تطبيق هذا النظام على سالكى طريقته وهو عمل فردي اختص به . وما ذهب اليه مؤلف التصوف الاسلامي وتاريخه (ص ٥٨) من ان الطريقة العددية هي من الطرائق التي اتخذت الرهبة نظاماً في حياتها التصوفية لم يكن صحيحاً .

لاهل الدين ، مكرما لاهل العلم ، وافر العقل ، كثير الكرم ، شديد التواضع .

وترجمه صاحب قلائد الجواهر بقوله :

« كان من أجل مشائخ العراق ببلاد المشرق ، ونبلاء العارفين ، صاحب الكرامات

الظاهرة والاحوال الفاخرة ، والمقامات الجليلة ، والاتفاس الروحانية ، الى ان قال :

« صحب القدوة شرف الدين عدي بن مسافر رضي الله عنه وهاجر من البقاع العزيز

من قرية بيت فار الى جبل الهكار وخلفه بمد وفاته بلالش ، وكان يشي عليه ويقدمه

وقال فيه : « هو ابو البركات حقيقة » .

ومن أقواله المأثورة عنه :

« من سكر بكأس المحبة لا يصحو إلا بمشاهدة محبوبه ، فان السكر ليلة صباحه

المشاهدة ، كما ان الصدق شجرة ثمرتها المجاهدة .

ومنها ، أصول المحبة في ثلاثة أشياء : الوفاء ، والادب ، والمروءة . فالوفاء انفراد

القلب بفرديته والثبات على مشاهدته والمؤانسة بنور أزلته . وأما الادب : فإعانة

الخطرات وحفظ الأوقات والاتقطاع عن المقاطعات . وأما المروءة فالقيام على الذكر

بالصفاء قولاً وفعلاً ، والسر عن الاغيار ظاهراً وباطناً وحفظ الأوقات لرعاية ما هو آت

واستدراك الأوقات ، فاذا وجدت هذه الخصال في العبد وجد لذة الوصال وخاف

حرقة البين ، وهاج في سره نار الاشتياق .

سكن (لالش) الى ان مات ودفن عند عمه وقبره ظاهر بزار . وخلفه ولده عدي ابن

ابي البركات وكان على شاكلته في المناقب والفضائل . وذكر السخادي هجرته الى عمه بقوله

« وقد نزل الشيخ ابو البركات ابو هذه الذرية عند عمه عدي بن مسافر بالمكان المعروف

بلالش بجبل الهكارية » .

وقد زرت قبره أكثر من مرة وهو على يمين الباب المؤدي الى الخندق المدفون فيه

الشيخ عدي ويعرفه البيهقي بالشيخ بركات (بسكون الراء) الا أنهم لا يعرفون

شيئاً عن حياته .

﴿ الشيخ عدي بن ابي البركات صخر بن صخر بن مسافر الاموي ﴾

يلقب بأبي المفاخر ويعرف بالكردي لتولده ببلاد الاكراد ، وقد عرفه صاحب كتاب
قلائد الجواهر « بالشامي الاصل والهكاري المولد والدار » وترجمه بما هو بالحرف :
« الشيخ الاصيل ، كان من أعيان مشائخ العراق المعتبرين . صاحب كرامات وأحوال
الى ان قال عنه : صحب والده وأخذ عنه ، ولقى غير واحد من مشائخ الشرق ، وانتهت
اليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبل الهكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير
واحد .

كان ظريفا ذا سمعة وحياء ، محبا لاهل العلم ، وافر العقل ، شديد التواضع ، وأجمع
العلماء على تبجيله واحترامه وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره في الآفاق ، ولم أقف على
تاريخ ولادته ووفاته .

إن اجمال كتب التاريخ تعيين وفاة الشيخ ابي المفاخر وولده الشيخ ابي البركات يجعلنا
في تردد في تقدير سني توليها المشيخة في هذه الرواية ، واذا فرضنا ان الشيخ حسن
المتولد سنة ٥٩١ والمتوفي سنة ٦٤٤ كانت مشيخته نصف مدة حياته فيكون تاريخ وفاة
الشيخ ابي المفاخر سنة ٦١٤ او ما يقاربه وعلى هذا التقدير تكون مشيخة كل من
الشيخ ابي البركات وابي المفاخر ستين سنة ، وقد قضى الشيخ ابو البركات الشطر
الأكبر من هذه المدة بالمشيخة بعد ان عرفناه مات مسنا .

ويجوز لنا الاعتقاد أن هذه المدة هي خير ما لاقته الطريقة العدوية في حياتها من
ازدهار واشراق بعد وفاة عميدها ، وقد ظلت محافظة على صفاء جوهرها ، ولم يعرف
الفساد والزيف طريقاً اليها .. وظل هذان الشيخان دائبين على حسن سلوكهما مقتفين اثر
الشيخ عدي في الدعوة الى الاصلاح ومحاربة الضلال والجهل الى أن ظهر الشيخ حسن ،
وهناك دب فيها الفساد وغير صفاءها .

والشيخ أبو المفاخر هذا هو الذي جملة أحد الرهبان النصارى واسمه « راميشوع »
موضع قصة تاريخية كتبها الى صديق له في دير مار ميخائيل وساق نسبه الى القبيلة
التبراهية المجوسية وإن أباه - وأراد به الشيخ أبا البركات - كان راعياً لأغنام دير مار

يوحنا ويشو عسبران الذي بنى الشيخ عدي زاويته عليه . وسنورد هذه القصة مع
تعليقنا عليها في اجازتنا الآتية .

﴿ الشيخ حسن ﴾

هو ابن أبي المفاخر الشيخ عدي الثاني شمس الدين أبو محمد الحسن ويلقب بتاج العارفين .
ولد سنة ٥٩١ هـ وانتقلت اليه الشيخة من أبيه الذي لم تعلم تاريخ وفاته .
كان الشيخ حسن بمتاز بمواهب خارقة وذكاء نادر . عبر عنه مؤرخ (١) أنه ذو رأي
ودهاء ، وله أدب وفضل وشعر وتصانيف في التصوف . وقد اختلى ست سنوات صنف
فيها كتابه « الجلوة لأهل الخلوة » أودع فيها عقيدته التي خالف فيها مبادئ الاسلام .
وقد فقد الكتاب ولم يعلم شيء عنه .

ونرجح انه اتصل بالشيخ ابن عربي (٥٥٠-٦٣٨ هـ) عند تردده الكثير الى الموصل ،
وكان ابن عربي يقيم حينذاك بالجامع النوري يصنف كتابه « التنزلات الموصلية » ومنه
أو من غيره انتقلت اليه عقيدة وحدة الوجود فأودت به الى القول بالرجعة والحلول ،
وبنى عليه مذهبه الذي عرف به . فلاقى في نفوس أصحابه قبولا ، واعتقدوا به
وأكبروه ورفعوا به الى منزلة ما فوق البشر ، وأدخلوه في عداد آلهتهم السبعة وسموه
دردائيل .

إن قيام الشيخ حسن بهذه الدعوى مما أيده المؤرخون الذين تكلموا عنه ، حتى نبزه
أحدهم بالمتأله . وبعد أن وجد نفسه بهذه المنزلة ، وفي جانبه جماعات كبيرة من المريدين
يدينون به ، رأى ان ينفذ منوياته التي طالما تختلج في صدره ، وهي ايجاد انقلاب واسع
في الدين والعقيدة والسياسة وفي كل شيء . أليست الغاية من وضعه هذا الدين هي تهئية
الأسباب التي تمكنه من ايجاد هذا الانقلاب ؟

بده الصراع بين الشيخ حسن ورجال الحكم في الموصل : كانت الدعوة التي قام بها
الشيخ حسن يرمي فيها الى غايتين على جانب من الخطورة ، الأولى : ايجاد انقلاب
ديني واسع والقضاء على الشيعة التي يحمل لها العداء الشديد ، وقد ورث هذا العداء

(١) صاحب فوارة الوفيات

من آباءه الأمويين . الثانية : الوصول الى الحكم واحياء مجد الأمويين في بلاد الجزيرة
وجبال الحكارية ثم التوسع في الملك . فكان صراع شديد يندرج بالخطر على هذه البلاد
ولا سيما بلاد الحكارية مهد ظهور هذه الدعوة .

كانت سلطة الحكم بالموصل بيد بدر الدين لؤلؤ (١) فلم تخف عليه هذه الحركة وما
تندرج به من خطر يهدد ملكه وأخذ يعمل على مقاومتها وخنقها وهي في مهدها واستعان
بالحزب الشيعي في الموصل وعمل على تقويته وضمه الى جانبه وهي سياسة تدل على فطنة ودهاء
عظيمين . ونحن لا نعتقد ان أرمنيته أو جدت في قلبه فراغا لحب البيت العلوي وشيقتهم ، وما
إشادته القباب على أضرحة الأئمة والسادات العلويين في الموصل وجعل قبورهم مزارات
وإرساله الخلع والهدايا الثمينة طيلة مدة حكمه الى مشهد الامام علي في النجف إلا قصد
التزلف الى الشيعة وكسب ودهم .

وقد اشتد التنافس بين الحزبين الشيعي والعدوي في الموصل فكانت فتن عظيمة ذهب
فيها نفوس كثيرة ، حزب مدفوع من زعيم له يعتقد فيه الألوهية ، هدفه نشر مبادئه
وتحطيم المباديء التي يراها مخالفة له لتأمين أسباب وصوله الى الملك ، وحزب يدافع
عن نفسه وعن مبادئه من عدو لدود يرى هلاكه على يده اذا ما فاز عليه .

كان التحمس الذي يبديه الحزب العدوي في دعوته من شأنه ان يضمن له النجاح في
هذا الصراع ، إلا انه كان يعوزه شيء من الأناة والتروي ريثما تنضج دعوته ويقوى
جانبه ، فكان تسرع الشيخ حسن في إظهار منوياته التي لم يطق صبراً على كتمانها ،

(١) كان أرمنياً مملوكاً لنور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل . دبر دولة استأذنه
ودولة ولده الملك الفاهر بن عز الدين مسعود ، فلما مات الفاهر سنة ٦١٥ هـ أقام ولده نور الدين ارسلان
شاه بحله صورة وبقي أتابكاً الى ان مات بعد قليل فاستقل هو بالسلطنة وتوفي سنة ٦٥٧ عن عمر يناهز
الستة والتسعين سنة ودفن بالموصل ثم نقلت رفاة الى مشهد الامام علي (ر.ع) ، وكان يظهر التشيع
ويتعصب للشيعة . وكان يبعث كل سنة الى مشهد الامام (علي) بقنديل ذهب بألف دينار ، وشمعدان
مطعم بالذهب والفضة . وقيل انه نذر في أوائل أمره أنه كلما عاش سنة وهو ملك الموصل يكون للمشهد
عليه قنديل . ولما مات عد ما ارسله الى المشهد فبلغ أربعين قنديلاً وأربعين شمعداناً وعليها اسمه ، وكان
مع ذلك يبعث الى المشهد بالصدقات الكبيرة .

ويروى انه لم يكن محمود السيرة ، ولا سالماً من الجريرة . وكان كثير الفتل والنشوب ، ولم يكن
قتله الشيخ حسناً إلا خوفاً من ان يتقلب عليه ويزيله عن ملكه الذي ملكه بصورة غير مشروعة .

ثم تركه مركز دعوته (لالش) وإقامته بالموصل مما أدى الى فشله ، اذ يحدثنا التاريخ أن (بدر الدين) قبض عليه وسجنه ثم خنقه بقلعة الموصل (سنة ٦٤٤) وقضى على حركته التي لو كتب له النجاح فيها لكان خطرهما عظيما .

تطور الحالة بعد مقتل الشيخ حسن : لم يكن بدر الدين مطمئناً من استقرار الحالة في جبل هكار بعد قتله الشيخ حسناً ، وكان يخاف من نشوب ثورة عنيفة يقوم بها أولاد عدي تزلزل ملكه ، وأخذ يوالي حملاته على لالش ويشكل بهم ، وآخر حملة أرسلها كانت سنة ٦٥٢ فقاتلتهم قتالاً شديداً وقتلت منهم جماعة وأسرت جماعة ، فصلب منهم مائة وذبح مائة ، وأسر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش عدياً من ضريحه وأحرق عظامه (١) .

ان بدر الدين مع حاجته لاتخاذ اجراءات قوية لامتداد هذه الحركة والقضاء على أماني البيت العدوي ليأمن على سلامة ملكه ، لم يكن مصيباً في نبشه عدياً من قبره وإخراج عظامه وإحراقها ، فقد أجيح بعمله هذا نار الحقد الكامن في نفوس أصحابه وزادهم تمسكاً بمبادئهم ، فالتسع مذهبهم وعمل به معظم سكان الجبال الأكراد ولا يزال أثره باقياً حتى يومنا هذا ، وقد ورث أصحاب هذا المذهب البغيض والعداوة لأهل الاسلام كافة ولم يتصافوا معهم يوماً ويطمئنوا اليهم .

مصير البيت العدوي : كان رجال البيت العدوي يتمتعون بجاه عظيم وقدر رفيع ، ويعيشون في ترف ورخاء ونعيم لأقبال الناس عليهم ، وتقربهم بصفوة أمسوا لهم اليهم ، وكان الأدب والعلم شائماً بينهم ، وقد حفظ التاريخ أسماء البعض منهم وغفل عن ذكر الآخرين . ولما حلت النكبة بهم بقتل بدر الدين عميدهم الشيخ حسناً ، وتوالي حملاته عليهم وتنكيله بهم ، تركوا مواطنهم وتفرقوا في البلاد حفظاً لأرواحهم وصيانة لكرامتهم ، ويحتمل أن كثيراً منهم قتل في هذه الحملات ولم يعرف شيء عنهم . فأول من عرفناه هاجر من البيت العدوي (شرف الدين محمد) بن الشيخ حسن ، فقد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكوس بن غياث الدين السلجوقي صاحب مملكة الروم بناء على

(١) الحوادث الجامعة لابن الفوطي .

دعوة منه له ، وذهب (زين الدين يوسف) بن شرف الدين محمد وهو لا يتجاوز سن العشرين ومعه ولده الصغير (عز الدين) الى الشام ، فأنعم عليه بأمره كبيرة فلم يقبلها وآثر الانقطاع في قرية « بيت فار » القرية التي خرج منها الشيخ عدي الكبير ، ثم ترك الشام وذهب الى مصر وأسس له زاوية في القاهرة ، ثم سجن لسبب ما كان يدور حوله من الشائعات بأنه يسمى وراء الملك ، ثم أفرج عنه بعد ان أعتقل ثلاث سنين وتوفي في القاهرة ودفن في زاويته .

أما ولده (عز الدين) فقد نال عدة إمارات في الشام ، ثم آثر الانقطاع في المزة ، ثم سجن لعين السبب الذي سجن أبوه من أجله ومات في السجن .

وذهب (الشيخ مند) - ولم تتمكن من معرفة درجة قرابته من الشيخ حسن - الى الديار الحلبية ونشر فيها المباديء الزيدية بين أكراد « القصير » قريباً من انطاكية وفي « الجومة » و « كلس » (١) ، ونالت الزيدية توسعاً وإقبالا على عهد الجراكسة في حلب . وتقلد أحد أحفاد الشيخ منذ أمانة لواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة العثمانية (٢) وأصبحت الديار الحلبية من أهم المناطق التي انتشرت فيها الزيدية .

وهكذا تفرق رجال هذا البيت في مختلف الأنحاء لا سيما في الأنحاء الكردية ، فمنهم من اقتصر على نشر المباديء الزيدية ، ومنهم من عمل لنيل الملك ولكن تحت ستار الدين . إلا ان النجاح لم يكتب لأحد منهم .

اننا لا نرى في خروج البيت العدوي ومطالبتهم بالملك شيئاً يدعو الى الاستنكار وهم أحفاد الملوك المروانيين ووارثوا عزمهم ومجدهم ، ومن حقهم ان يطالبوا بملكهم الذي أضعوه ويسعون في استرجاعه ويرون الدولة العباسية قد أخذت تنهار وتنتهبها الايدي من كل جانب . فقد دخلت مصر والشام في أيدي عصابة من مماليك الأتراك جيء بهم بالامس القريب من بلاد القبجاق وبيعوا في اسواقها بيد النخاسيين ، وبلاد الجزيرة بعد

(١) شرفنامه

(٢) تاريخ اعلام النبلاء للاستاذ الطباخ (٥ : ٣٥٥)

ان كان يحكمها « الاتابكيون » وهم من ممالك البيت السلجوقي دخلت بيد « بدر الدين لؤلؤ » الملوك الأرمني الذي حكمها بالنار والحديد ، وما يقال عن البلاد العربية يقال عن مملكة الروم وبلاد فارس وغيرها من الاقطار والممالك التي كان يشملها الحكم العباسي ، ودخلت في أيدي أناس دخلاء لم يكن لهم سابقة في الحكم .. إذن أليس من حقهم أن ينالوا نصيباً من هذا الملك المتداعي وهم أحق به من غيرهم ؟

إننا لا نشك بان نفوسهم الكبيرة كانت لا ترضى لهم بهذه المذلة بل تحفزهم للقيام بمطالبة ملكهم المضاع ، ولديهم قوة كبيرة من الاتباع والمريدين الذين يستعدون الموت في سبيل نصرتهم ، وقد زادت صلة هؤلاء الاتباع والمريدين بهم قوة ورسوخا بعد ان جعلوهم يدينون بالعبادة لهم . وقد سلك « الشيخ حسن » هذه الطريقة عندما أعوزته العصبية ولم يكن له من بني جلدته قوة يعزز بها . غير أن هذه الطريقة كانت لها خطورتها ، ولم يكن ليلاقي صاحبها حالة وسطى ، فلما نجح يرفعه الى الملك ، وإما إخفاق يسوقه الى الموت . وقد أخفق ومات وقبرت أمانيه معه .

ماذا تكون النتيجة لو كتب للشيخ حسن الفوز والنجاح في دعوته ؟

وماذا تكون نتيجة دعوى يقوم بها رجل موثور أقصى همه الانتقام لاهل بيته الذين سلب منهم ما حكمهم ، ونكبوا في عزمهم وسلطانهم ، وقد أصبحوا أصحاب طريقة تصوفية يعيشون على ما تجود به أيدي أتباعهم ومريديهم عليهم من نذور وخيرات وصدقات ؟ والبيت الاموي لم يخلق لهذا بل خلق للجاه والسلطان ، خلق أبنائه ليكونوا ملوكا ، وهذه الفكرة لا تزال تدور في رؤوسهم منذ خمسة قرون ، ولا يزالون يسعون في تحقيقها ولذلك فالذي نراه ان لو ساعدتم الحظ ونالوا أمنيتهم لا وجدوا انقلابا عظيما في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية ، وأصبح لمذهبهم نوبة تنهزم أمامها بقية المذاهب وينالها الشيء الكثير من الخذلان .

ولا نخطيء اذا قلنا ان كارثة المغول التي حلت بهذه البلاد - وذلك في نفس الوقت الذي قام به البيت العدوي بهذه الدعوة - كانت أهرن شراً وأقل خطراً مما لو نال هذا البيت الفوز في دعواه لا بالنسبة الى الشيعة الذين يضمرون لهم العداوة والبغضاء منذ

زمن بعيد فقط ، بل الى طوائف السنة ايضا الذين يخالفونهم بالعقيدة والمبدأ ويرونهم خارجين عنهم ، وسوف لا يكون عملهم مع أهل الشيعة الذين يدينون بحب علي وأهل بيته أقل وطأة من عمل الشاه الصفوي مع أهل السنة الذي شاهده التاريخ بعد مرور ثلاثة قرون .

وإذا كانت شردمة قليلة منهم حافظت على بقائها طيلة هذه المدة وكان لها من الخطر الذي شاهدناه على حالة الأمن في هذه البلاد وأعجزت الحكومة العثمانية عن صد عدوانها ولا يزال بقاؤها ينذر بالخطر المستمر على المنطقة الجبلية في سنجار ، فإذا كان أمرهم فيها لو قبضوا على زمام الحكم في هذه البلاد وحصلوا على مبتغاهم ؟ لا شك ان أمرهم كان يضحى عظيما .

علمه وأدبه : أقام الشيخ حسن طريقته على مبادئ غاية في الاتقان ، وقد مر عليها سبعة عصور تماما ولا تزال تحافظ على أصلها . ولو وصل اليها كتابه (الجلوة لارباب الخلوة) لعرفنا أهدافه التي رمى اليها في وضع هذا الدين والآراء والنظريات التي أتبعها ولا شك أنها كانت على جانب من الخطورة وهي التي أوجدت هذا الانقلاب في الحياة الدينية في هذه الطائفة ويجوز ان كان له مؤلفات اخرى غير كتاب الجلوة ذهبت جميعها أثناء الحملات التي وقعت على لالش ولم يبق لها أثر .

وكان ينظم الشعر ويودعه احساساته وهو يضاها شعر بن عربي وابن الفارض برقته وانسجامه والنزعة التصوفية الظاهرة عليه لو لم يكن قد دخل عليه من التحريف ما أخل به ، فما اقتبسناه من شعره القصائد الآتية (١) :

تجلت لنا ليلي ونحن على الشعب وأول قلب هام في حبها قلبي
نظرت معانيها وحسن صفاتها وقد علمت ما بي ولم يعاصحي

ومنها :

وإن كان ذنبي يا عواذل حبها خذوا حسناتي واتركوني على ذنبي

(١) اقتبست هذه القصائد وقصائد اخرى تروى عن لسان الشيخ عدي الكبير والشيخ زين الدين من مجموعة اشعار عثرنا عليها عند احد شيوخ اليزيدية في سنجار وهو من شيوخ امرة الشيخ حسن وترجع انها ترجع الى العصر الثامن الهجري .

على جانب الوادي ومنعرج اللوى غزال كحيل الطرف مسكنه قلبي
وأنى لمشتاق الى من أحبه كما اشتاق يعقوب الى ساكن الجب
وله (١) :

خليلي إني للغرام حمول عن العهد والميثاق لست أحول
وقد خافني دهري ولم أر مسعدا وقل اصطببارى والزمان طويل
ولا أحد أشكو اليه صبابتي وما نال قلبي من جوى وغليل
فبالله يا حادي اذا جرت (لالشاً) سلامي على تلك الرسوم همول
وعاينت أقماراً بدوراً طوالما وحسن قدود كالغصون تميل
وغنج عيون والتفات شمائل وأسيف لحظ في القلوب تجول
عسى يرحمون اليوم صبا متيا طريقا بأسيف الغرام قتيـل
وله :

لا تمزج الراح بلماء الزلال فما يجوز أن تمزج الصهباء بلماء
لأنها ولدت في الأصل منه وما يجوز تزويج أبناء بآباء
واسمع هديت كلامي أننى رجل ما كان يعرف شرب الراح لولائى
منها خلقت ومنى كان منشؤها وقد تمازج آياها بآيائى
وله (٢) :

أعد ذكر من أحل الثانية بالسقط وحدث (٣)
وصف بعض ما عاينت من فرط حسنه وأياك يا غاوي المحاسن أن تخطى

(١) من المرجح ان يكون ناظم هذه القصيدة الشيخ زين الدين بن الشيخ شرف الدين حفيد الشيخ حسن نزيل مصر.

(٢) هذه القصيدة هي من اروع ما نظمه الشيخ حسن وعليها مسحة تصوفية ظاهرة الا ان ايدي النساخ قد عبثت بها ، كما عبثت في قصائده الاخرى وقد اثبتناها مع المحافظة على الاصل . وقد نسب له صاحب فوات الوفيات بيتين من الشعر احدهما جاء في هذه القصيدة ، وقد جاء ايضاً محرفاً والآخر لم يرد وهذان هما البيتان :

سطا وله في مذهب الحب ان يسطو مليح له في كل عارضة قسط
ومن فوق صحن الحد للنقط غاية تدل على ما يفعل الشكل والنقط
(٣) لم يقرأ في الاصل.

أيأسعد واعدل نحو منمرج اللوى
على خده بالشكل والنقط آية
اليها تناهى كل معنى وصورة
يلوح على خديه من نور قرطه
تبسم عن در فقلت لصاحبي
وله (١) من قصيدة مطلعها :

لمن ألوم وفرط السكر يلبب بي
وأصبح الكون والأكوان تفخر بي
منى وجمعنا في ذروة النسب
وإن خفيت فإني غير محتجب
وحيث كنت بها يا صاح فارتقب
كصورتي وهي تدعى إبنتي وأبي
كم قلت لما شربت الراح مصطبحا
وصرت فرداً بلا ثان أقوم به
أليس منشأ ذات الخال وبكمو
فان ظهرت فذات الخال ظاهرة
فانظر إلي اذا ما رمت رؤيتها
وكل معنای معناها وصورتها

وله :

لام العذول على الحبيب وما درى
وبدا يعنفنى ويزعم أنني
كيف السلو وقد تملك مهجتي
ساجي اللوا حظ لو بدا لمعنى
حلو الشائل كالقضيبي قوامه
بمت الهدى والرشد في عشق له
أن الملام يزيد فيه تحيرا
أصغني اليه وذاك أمر مفترى
رشأسي بالحسن أصناف الورى
يوما يساعدي عليه وأغدرا
يجفون فيجفون ناظري طيب الكرى
بطل له فضلت فيه مكائرا

وله :

لله ليلتنا والدار جامعة ونحن في لذة ولت ولم تدم

(١) وهذه كالفصيدة التي قبلها الا ان التحريف فيها قليل . وقد نسب ابن طولون الخنفي الصالحى بيتين منها اليه عندما ترجمه استطراداً في ترجمة محمد بن موسى بن محمد العدوي وهما هذين :

وصرت فرداً بلا ثاني أقوم به
وكل معنای معناها وصورتها
فأصبح الكون والأكوان تفخر بي
كصورتي وهي تدعى إبنتي وأبي

والراح نشربها من كف غانية
تجلو علينا مداما مثل وجنتها
حلفت لما لحى اللاحي بقامتها
وقلت إذ ملكت رقي وما رحمت
الأمر أمرك بعد الله فاحتكمي
إذا بدت قلت بدر آلاح في الظلم
قد حلت شربها في الأشهر الحرم
أن لا أحول وتبريحي عن السقم
ذلي وقد علمت ما بي من الألم
إن صمت صمنا وإن أفطرت لم نصم (٤)

الرجوع الى الشيخ عدي الكبير :

بعد ان كتب الفوز لصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ على منافسيه البيت العدوي وقتل من قتل منهم ، وفرق شمل الباقيين منهم وخرب زاويتهم ، صنف الجول للأحزاب المعادية لهم وأخذوا يطلقون ألسنتهم فيهم ، ويكثر من توجيه المثالب اليهم ، وكان نصيب الشيخ عدي من هذه المثالب اكثر من غيره . وقد مر بنا كيف انتبشه بدر الدين وأخرج عظامه وأحرقها وهو لا يستحق هذه الاهانة . واذا كان الدين خلفوه زاعوا عن عقيدتهم وسلكوا طريقا يخالف ما جاء به الشرع الاسلامي فلم يكن هو مسؤولا عنهم . والتاريخ يدلنا على أنه انتبش من قبره غير مرة عندما كان أصحاب السلطات الحكومية والقبيلية يهاجمون أتباعه وينالون منهم ؟ وهذا لم يسبق لصاحب طريقة غيره في الاسلام مطلقا . وقد أراد أصحاب الاحزاب المعادية لهذا البيت ان يزيدوا في إساءتهم اليه وأخذوا يذيعون على لسان الشيخ عدي بعض المنظومات والقصائد التي تدل على دعواه بالالوهية ليلقوا في أذهان الناس كفره ، وأنه هو الذي ساق قومه الى الضلال وأبعدهم عن الاسلام . يقول الامام ابن تيمية في وصيته الكبرى « وغلوا في الشيخ عدي بأشياء مخالفة كان عليه الشيخ عدي الكبير » ووضعوا على لسانه « أشياء باطلة نظما ونثرا خلافا لما كان عليه » وهذا النوع من الدعاية كان له أثره في أفكار العامة من الناس في ذلك العصر ، فلهجوا بهذه المنظومات والمنثورات واكثروا من الطعن بعدي باعتباره

(١) هكذا وردت هذه القصيدة ونسبها صاحب المجموعة الى الشيخ حسن . والشطر الاخير منها وهو « ان صمت صمنا وان افطرت لم نصم يدور على ألسن الادباء وقد ضمنه الشاعر بن حجلة المغربي المولود سنة ٧٢٥ في بيتين من المجون جاء في ديوان الصباية على هامش تزيين الاسواق ص ٢٤٢ مما يجعلنا نتردد في نسبة هذه القصيدة الى الشيخ حسن او يكون هو قائلها وقد ضمن هذا الشطر .

قائلها ، واذا كان البعض لم يعتقد بصحتها ولكن لم يكن بوسعه ان يصرح باعتقاده خوفاً من ان يتهم بالميل الى البيت العدوي ويناله الاعتداء .

وقد صرحت العصور والناس على سوء الظن بعمدي والاعتقاد بشركه ولم يظهر من يدافع عنه عدا ما رأيناه من الامام ابن تيمية ، الرجل العظيم الذي لا تأخذه في الحق لومة لائم .

وعندما كثر البحث عن الطائفة اليزيدية في عصرنا هذا ، لم نجد القول عنه وأخذ بعض المستشرقين المتطقلين على البحث عن الاسلام ورجال الاسلام يبحثون عنه وعن حياته الدينية وظهوره وينشرون القصائد المروية على لسانه ويعلقون عليها ويحكمون بها على كفره ، وهم أعجز من ان يدركوا حقيقته ويدرسوا عقيدته ، وكما قالوه عنه استندوا فيه على أقوال جماعة من رجال الكنيسة في ما بين النهرين الذين يحملون البغض والكرهية لهذا البيت .

إن من أهم القصائد التي يروونها عن لسان الشيخ عددي هي التي تبدأ بقوله :

علمي أحاط حقيقة الأشياء وحقيقتي قد ما زجت آياتي

وهذه القصيدة وإن لم تكن لتخرج عن فحوى القصائد المروية عن لسان بعض المشائخ الصوفية من أصحاب عقيدة وحدة الوجود ، فعدي لم يكن من هذا النوع من المشائخ وهو ظاهري محض يعمل بالسنة والحديث أكثر منه باطنياً ، وقد تناول هذه القصيدة المستشرق الفرنسي (ف . نو) في كتابه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) والكاتب الانكليزي السير برسي بادجر في كتابه (النساطرة) وغيرها وحكموا بها على كفره .

فن أين أتى هؤلاء المستشرقون بهذه القصيدة والقصائد الاخرى المروية عن لسان الشيخ عددي مع ندرتها ؟ فيجوز أنهم أخذوها من اليزيدية عندما كانوا يكثرزون التردد اليهم دون ان يشعروا بهم ، او أخذوها من بعض النصاري الذين كانوا يأمنونهم ويوقفونهم على كتبهم . أما في الكتب الاسلامية فلا وجود لها البتة وقد وجدتها في مجموعة الأشعار القديمة التي أشرت اليها فأخذتها منها مع قصائد أخرى سأبحث عنها .

إن هذه القصيدة لم تبق على أصلها وقد لعبت بها أيدي النساخ وأدخلت عليها أغلاطاً فادحة ، وهذه هي :

علمي أحاط حقيقة الأشياء	وحقيقتي قد مزجت آياتي
وجميع من في الكون تحت مشيتي	مذ صار في البأساء والضراء
وأنا الذي قد قلت قولاً صادقاً	وأنا المحكم حاكم البطحاء
وأنا الذي سجد الرجال لعزتي	وأنا إلي وقبلوا قدمائي
وأنا المفيض على السموات العلى	وأنا الذي قد صحت في البيداء
وأنا الذي قد صرت فرداً واحداً	وأنا بذاتي أظهر الأشياء
وأنا الذي جاء الكتاب مبشراً	من ربي (١)
وأنا الذي جاء الرجال بأسرهم	طوعاً إلي وقبلوا قدمائي
وأصبحت أتم من سلافة ريقه	شهداً وقد دارت على الندماء
وبنوره أصبحت مصباح الدجى	أهدي لمن طلب الهدى بهدائي
وأنا الذي أسكنت آدم جنتي	وأسكنت نمرود نار لضائي
وأنا الذي أهديت آدم صفوتي	وهديته لطريقتي وهدائي
وأنا الذي كل الوجود بأسره	يأنوا إلي يقصدون عطائي
وأنا الذي حزت المعالي كلها	والجود والاحسان من نعمائي
وأنا الذي خشت القلوب لسطوتي	وجلت لقوة هيبتني وجلائي
وأنا الذي قد جاءني سبع الفلا (٢)
وأنا الذي الثعبان نحوي قد أتى (٣)
وأنا لكزت صخرة أرعبتها	وأفضت من خباها أعذب ماء
وأنا الذي أنزلت حقاً صادقاً	مني كتاباً أهدي الثغلاء
وأنا الذي أشرعت شرعاً حاكماً	لما شرعت فكان من إعطائي

(١) لا يقرأ في الاصل .

(٢) (٣) فيها اشارة الى ما يقال من (ان الحيات والهوام والسباع كانت تأتيه وتأنس بصحبته)
والشطين الاخيرين من هذين البيتين لا يقرآن في الاصل .

وأنا الذي أجريت عيناً ماؤها
وأنا الذي أظهرتها بتلطي في
وأنا الذي قد قال لي رب السما
وأنا الذي أظهرت بعض عجائبي
وأنا الذي شتم الجبال قد عننت
وأنا الذي بكت الوحوش لهيبتي
وأنا (عدي) الشام ابن مسافر
والعرش والكرسي، وسبعاً والثرى
من هذه الاشياء تعلم قدرتي
لا تنكرون يا رجال وسلموا
من مات في مفرماً ألقيته
وأنا الذي من مات عني غافلاً
وأنا أقول بأنني فرد صمد
سبحان ذاتي والأمور مشيتي
اني أنا الملك المعظم شأنه
أخبرتكم يا قوم بعض طرائقي
وأنا الذي قد قلت قولاً صادقا
وأنا طلبت الحق صرت محققاً

أحلى وأعذب من جميع الماء
وبقدرتي سميتها «البيضاء» (١)
أنت المحكم حاكم البطحاء
من بعض فضلي تظهر الأشياء
طوعاً تروم محبتي ورضائي
عادوا سجوداً قبلوا قدمائي
قد خصني الرحمن بالأسماء
في طبي علمي لا إله سـوائـي
فلأني شيء تنسكرون علائي
بعد القيامة تسمعدوا بـلقائـي
وسط الجنان مشيتني ورضائي
يلقى العسذاب بذلة وعناء
أخلق وأرزق من أشاء رضائي
والكون قد أشرق ببعض عطائي
وجميع رزق الخلق تحت يداي
من زارني يخرج عن الدنيا
فالجنة العليا لأهل رضائي
ويحق مثلي يملك العليا (٢)

(١) أراد بها (العين البيضاء) في لالش، وحسب معتقد الزيدية أن ماءها يأتي من بيت المقدس ويسمونها (عين زمزم) وفي الفلاند (ص ٨٦) في البحث عن كرامات الشيخ عدي: «... فضرب برجله صخرة فتفجرت من ماء النيل...» ا. ه.

(٢) نشر كاتب عراقي سلسلة مقالات في عدد ٦ و ٧ و ٨ من مجلة «اليقين» البغدادية المحتجة في سنتها الثانية عرّبها عن كتاب (معتقدات النسطورين) للكاتب الانكليزي جي. جي. باجر المطبوع سنة ١٨٤٢ فيما يتعلق بمعتقدات الزيدية أني فيها على ترجمة لهذه القصيدة وهي توافق النص العربي الذي يسدنا تبدأ بقوله: «ان حكمتي تعرف الاشياء»، وامتزج صدقي بي. ان اصلي من نفسي، لم يكن الصر معي، «جميع الخلاق رهينة أمري. بي كان العالم المسكون والصحارى، كل مخلوق خاضع لي، أنا القائل السلام الصدق، أنا موزع القوى ووازع الكون...» ا. ه.

ونحن لا بهمنا ما في هذه القصيدة من ركاكة واسفاف فضلا عما هي عليه من اختلال الوزن والقافية ، والأغلاط النحوية واللغوية المضحكة الفاضحة (١) بل الذي بهمنا ما احتوته من غلو فاحش في دعوى الألوهية ونسبتها إلى الشيخ عدي بن مسافر الذي أجمع علماء عصره على صلاحه ، وفيها من الأقوال ما لا يصح صدوره إلا عن لسان أشد الناس زيفاً وأعظمهم إلحاداً وكفراً . وليس أسخف من يريد أن يجعل لقائله مثل هذه المنظومة عذراً بأنها قد تصدر عن لسانهم في حاله الغيبوبة ، وقد استولى عليهم الوجد وفنيت مشاعرهم في وحدة الذات الألوهية ، ولا يقولها إلا مخارق يريد أن يستهوي السذج من الناس ، او قد أصيب في عقله بمس من الجنون .

والشيخ عدي رضي الله عنه براء من كلتا هاتين الحالتين . ولننظر إلى القصيدة الآتية وقد تنسب إليه ايضاً ومطلعها :

غير بنت الكروم يا ابن الكريم

يقول فيها :

يعلم العالمون أن علوم الناس فيها من بعض بحر علوي
سدره المنتهى محل مناجاتي فلمـهذا أنا السميع العليم
عز قدسي وجل إسمي ، أنا الجنة راحي ، والنار حر سموي
سجدت لي الأفلاك حتى تعاليت ، بسجود الخدام للمخدوم
وجميع من في الوجود قال لي : يا رب أهدنا إلى الصراط المستقيم

ويقول :

والبرايا طويبتا بعد نشر طي فتیان كهفها للرفيم

(١) من ذلك ما جاء في البيت الأول كلمة (آبائي) بدل (آبائي) ، وفي قافية البيت الرابع (قدمائي) بدل (قدمائي) على أن قسماي ايضاً غلط في الاعراب لانه في موضع المفعول فيجب ان يقال وقبلوا قدي . وفي البيت الخامس عشر كلمة (وجلاني) بدل (وجلالي) . وفي العطر الثاني من البيت التاسع عشر (كتابا اهدى الثقلان) فبدل (الثقلين) بالثقلان . وفي البيت الثاني والعشرين (تظهر الاشياء) فالقافية تقتضي كسر الهززة والاعراب يقتضي ضمها لانها في موضع الفاعل . وفي البيت الخامس والثلاثين (تحت يداي) بدل يداي ، على ان يداي ايضاً غلط في الاعراب لانها مضاف اليه فيقتضي ان يقول : تحت يدي . وفي البيت الذي بعده : (عن الدنيا) بدل الدنيا . وفي البيت الاخير : (يملك العلياء) فالقافية تقتضي كسر الهززة والاعراب يقتضي فتحها لانها في موضع المفعول به .

وأبو سرمة اللعين عزازيل
شرفي مشرف على كل شيء
وأنادي بقدرتي لمن الملك
آمنوا يا عبادي لا تكفروا بي
أنا أسقى الكفار ناراً حمياً
وعدي أنا ومن سار أمامي ومن مأموم

وهذه القصيدة أيضاً لا تقل غلواً وكفراً عن أختها التي سبقتها ، وقد أراد قائلها ان يوهم الناس بصدورها عن لسان (عدي) وأتى فيها على اسمه كما فعل صاحب القصيدة التي سبقتها . والذي يفيدنا من هذه القصيدة البيت الذي يذكر فيه اسم (أبي سرمة اللعين) عزازيل الذي عرفه اليزيدية ، أتباع طريقة عدي ، بأله الشر ومجدوه وعبدوه ، فهو يدلنا على أن هذه القصيدة قيلت قبل ان تدخل العقيدة الثنوية عليهم عندما كانوا ينظرون الى إبليس كما ينظر اليه أهل الاسلام . ومن هنا يفهم بان كثيراً من المظاهر التي نجدناها الآن في الديانة اليزيدية من الخطأ أن نرجعها الى (الشيخ حسن) الذي عرفناه بأنه واضع هذه الديانة ، وقد ثبت عندنا أن هذه الطائفة كانت حتى نهاية العصر الثامن الهجري تدين بالاسلام ، ولم تكن عبادة الشيطان معروفة لديهم ، وقد عرقوها بعد أن دخل العصر التاسع وربما بعده .

ومن الشعر الذي يروى للشيخ عدي قوله :

ذر اللوم والتعنيف في الحب لا تلحها
لأني أرى شرب الصبوح فريضة
ودعني فاني فيك لا أقبل النصحا
فعمش والهأ نشوان سكران لا تصححا
يقول فيها :

سقاني بكاسات الهوى خمرة الصفا
فسبحان سبحاني وتمظيم قدرني
فأصبحت فرداً ليس يثبت ما أمحا
وجل جلالي ها أنا مالك البطححا
وقصيدة أخرى مطلعها :

يا نديمي هتكى وأصل جنوني
من لحاظ الأتراك قد لحظوني

أنا وحدي فلا آله سوائي
يقول فيها :
ورجال التحقيق خروا سجوداً
هذه حالة الجهالة حقاً
وقصيدة أخرى مطلعها :
عامي علا فوق جميع الخلق ...
جاء فيها :
سبحان سبحان سبحاني لقد ظهرت
وقصيدة أخرى مطلعها :
أنا خلقت رجال الوقت ...
جاء فيها :
هذي شموسى على الأكوان ساطعة
وجاء فيها :
أنا المصور للأرحام كيف أشأ
وهي ثلاثة وثلاثون بيتاً .
وقصيدة أخرى مطلعها :
أنا مهدي الورى فى الظلمات
وهي أيضاً ثلاثة وثلاثون بيتاً .
وقصيدة مطلعها :
أنا ذات الذوات كل الذوات
أنا رب الأرباب والعرش جمعا
وهي كذلك ثلاثة وثلاثون بيتاً .
وقصيدة مطلعها :
أنا كافي الأكوان فى الكائنات
والسموات جميعها مبتدعاتي
وهي كذلك ثلاثة وثلاثون بيتاً .
وقصيدة مطلعها :
أنا الواحد الفرد المقدس سره
لي الحمد سبحاني تقدس ذاتي

وهي سبعة أبيات .

ويروي عن لسانه قصيدة في الشعر العامي يقول فيها :

كاساتها من رضاي والكون من ذاتي والفقر
أنا الذي كنت وحدي في باب الملك دركاه (١) وكنت آخذ وأعطي وما خلق ديار
لما حضرت تناسوا مني وخافوا سطوتي أحمد وعيسى وموسى وكل من في الدار
أصبحت في الكون يرجون رحمتي ومع رجاءهم يقولون العفو يا ستار
وعزتي وجلالي وحياة رأسي وقدرتي جميع أهل السنة في رحمتي أحرار

﴿ الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين الحسن ابني محمد ﴾

(بن الشيخ ابني المفاخر عدي الأموي)

لم يذكره أحد من المؤرخين عدا أبا الفرح ابن العبري في تاريخه مختصر الدول . وعبر عنه بابن ابني المفاخر عدي وصححه العلامة المرحوم احمد تيمور باشا في رسالته (البيديية ومنشأ نحلتهم) بأنه ابن الشيخ شمس الدين حسن مستدلا على ذلك بما وجدته منقوشاً على باب زاوية الشيخ زين الدين يوسف في مصر في نسبه فقد كتب هناك (زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن شمس الدين حسن) ، ويؤيد ذلك التقليد الموجود عند الطائفة البيديية ، أما تاريخ ولادته فلم نعلمه بالضبط ولكن بعد ان علمنا ان أباه شمس الدين حسن ولد سنة ٥٩١ وتزوج في سن العشرين ، يمكننا ان نفرض ولادته سنة ٦١٢ او ما يقارب ذلك ، وعندما توفي أبوه سنة ٦٤٤ كان في سن الثلاثين . وهذا السن يؤهله لأن يتولى الزعامة على هذه الطائفة بعد أبيه كما احتمله احمد تيمور ، الا ان زعامته لم تكن لتخلو من اضطرابات أولدها له الاختلاف القائم بين الحزبين العدوي والشيوعي ، ثم اصرار بدر الدين على التنكيل بأهل بيته لما كان يوجهه منهم من الريبة والخوف . ويجوز لنا الاعتقاد بأنه بعد قتل أبيه غادر الموصل وانتقل الى لالش حيث تسنده قوة أتباعه الكثيرين وترك حزبه في الموصل عرضة لاعتداء مخالفيهم الشيعة فضعف شأنهم ولم يبق لهم قدرة على المقاومة ، اما في لالش فكان الأمر بالعكس فانهم

(١) البواب او الحارس .

جمعوا شملهم وقويت عصبتهم وأخذوا يهددون بدر الدين في ملكه ويشنون الغارة على بلاده حتى خافهم وجيز قوة كبيرة من عسكره وأرسلها اليهم (سنة ٦٥٥) فأخشت فيهم قتلا وتدميراً وخربت زاويتهم كما مر بنا ذكره في البحث عن الشيخ حسن ، وهنا أدرك البيت العدوي عجزهم عن المقاومة فتركوا أوطانهم وتفرقوا في البلاد ، فذهب شرف الدين محمد الى بلاد الروم حيث التحق بخدمة السلطان (عز الدين كيكوس بن غياث الدين السلجوقي) فأقطعه مدينة (خرتبرت) ثم قتلته المغول سنة ٦٥٥ ولم يتجاوز من العمر أكثر من أربعة وأربعين سنة على أعظم تقدير .

ملحوظة : يفهم من التقليد الجاري عند اليزيدية ان الشيخ حسناً كان له اولاد آخرون غير شرف الدين وهم الذين تولوا زعامة هذه الطائفة بعده ، وقد بقيت فيهم الى حوالي منتصف العصر الحادي عشر الهجري ، ثم أخرخها منهم أولاد (الشيخ ابي بكر) الذي لم تتوصل الى معرفة درجة قرابته من هذه الأسرة . وهم لا يزالون يحتفظون بالزعامة . أما « شرف الدين » فقد انحاز عنهم ، وسلالته أصبح لها حقوق ووجائب غير ما لسلالة الشيخ حسن .

﴿ الشيخ نجر الدين بن الشيخ ابي الفاخر عدي الأموي ﴾

هو من رجال هذا البيت البارزين وقد ذكره ابن العبري في تاريخه عرضاً ولم يفدنا عنه شيئاً ، وبقينا نحمل حياته الدينية والسياسية ، وأثره في الدعوة التي قام بها أخوه الشيخ حسن ، ومكانته في الثورة التي قامت بوجهه ، والذي نستدله من التقليد الجاري انه كان رجلاً متشرباً ، وله سعة في العلم . وما جاء في الفتوى المنسوبة الى الشيخ عبدالله الربتي الكردي قوله « وأن مثل هذيانات الشيخ نجر هي المعول عليها ، وهي التي يجب التمسك بها » يمكننا ان نفهم منها أنه ساهم مساهمة كبرى في وضع هذه المبادئ ، إلا ان أحداً لم يتكلم عنه . وقد انحصر منصب الافتاء « المشيخة الكبرى » فيه وفي أسرته وهو حسب معتقد اليزيدية يعد السابع بين آلهم السبعة ، وقد ورد اسمه في « مصحف رش » بالملك « نورايل » الخلق يوم السبت وهو خالق الانسان والحيوان والطيور والوحش . ولأسرته مكانة مرموقة بين اليزيدية ومنصب « الشيخ الأكبر - بابا شيخ »

المختص بذريته يلي منصب الامارة في الدرجة الثانية .

﴿ الشيخ زين الدين يوسف وولده الشيخ عز الدين ﴾

جاء في كتاب « البيزيدية ومنشأ نحلتهم » للعلامة المرحوم احمد تيمور باشا المصري في ترجمتها ما هو بالحرف :

« همارجلان كبيران من آل عدي بن مسافر لم تذكرها البيزيدية في كتابيهم الجلوة ومصحف رش كما ذكروا الشيخ حسناً . أما زين الدين فهو كما في تحفة الأجناب للسخاوي في الكلام على تربته بالقرافة الصغرى : الشيخ الصالح العارف المحقق الرباني شيخ مشايخ الإسلام زين الدين أبو المحاسن يوسف بن شرف الدين محمد بن حسن بن عدي بن أبي البركات صخر بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن الحسن بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن مبد شمس . ثم ساق نسبه الى معد بن عدنان ، الى ابن قال القرشي الأموي زيل القاهرة .

والذي يفيد سياق هذا النسب أنه حفيد حسن المتقدم ذكره . غير ان نعمت السخاوي له بتلك النعوت يدل على أنه كان في نظره مرضي العقيدة ، بعيداً عما كان عليه جده من المنكرات . ثم ذكر انه توفي سنة ٦٩٧ ، وأن القبة التي على ضريحه وافق الفراغ من عمارتها سنة ٥١٧ (١) ، وأنه قدم الى الشام فأكرم وأنعم عليه بأمرة ثم تركها وانقطع على هيئة الملوك من اقتناء الخيل المسومة والخدم والحشم والملابس وعمل الأسطة الفاخرة . ثم خاف على نفسه فترك ولده هناك ودخل الى القاهرة وأقام بها فأكرم بها .

وترجمة المقرئ (٧٦٤-٨٤٦) في خطه في كلامه على الزاوية العدوية وابن فضل الله العمري (٧٠٠-٧٤٩) في مسالك الأبصار استطراداً في ترجمة الشيخ عدي بن مسافر الأموي وذكر انه ابن أخيه (٢) . وخلاصة ما قاله عنه أنه وفد من الموصل الى الشام وأنعم عليه بأمرة كبيرة ثم تركها وانقطع في قرية تعرف بـ « بيت فار » وانغمس في الملاذ والنعم وعاش عيشة الملوك . وحكي أن بعض نساء الطائفة القيصرية (٣) كانت مفراة

(١) الظاهر ان هنا تحريفاً بالنسخة فان النقوش على باب هذه القبة هي سنة ٧٢٥ كما يأتي (من الاصل) .
(٢) في هذا تساهل لان بينه وبين جده صخر اخي الشيخ عدي اربعة آباء ولكن من كانت من ذرية شخص فهو ابته (من الاصل) .

(٣) القيصرية وعبر عنهم ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار بالقيامرة جماعة من اعيان امراء-

به ، مطمئنة في تعظيمه ، مغالية في الاعتقاد بصلاحه ، وأنفقت عليه أموالاً جزيلة وكانت غير مصغية لمن يعذها فيه ، فاحتمل عليها اخصاؤها بان حملوها في قفة وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات فما زادها ذلك إلا ضلالا ، وقالت إنها يتسدل الشيخ على ربه وضاعفت له الانفاق . قال ابن فضل الله : « وحكى لنا شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله - قال : بعثت مع الأمير الكبير علم الدين سنجر الدوادار في أول الدولة الأشرفية (١) فأتيناه وهو في قرية مثل الموك في قلعة - لتجمل الظاهر والحشمة الزائدة والفرش الأطلس وآنية الذهب والفضة والغضار الصيني وأشياء تفوت العد ، الى غير ذلك من الأشربة المختلفة الألوان والأطعمة المتنوعة ، فلما دخلنا لم يحتفل بنا ، فأتاه علم الدين فقبل يده وهو جالس لم يقم له ، فبقى الدوادار قائما يحدثه وزين الدين يسأله ، لا هو يجلس ، ولا زين الدين يقول له اجلس ، ثم أمره بالجلوس فجلس على ركبتيه متأديبا بين يديه ثم حلفناه وأنعم علينا بحملة طائلة تقارب خمسة عشر الف درهم » .

قلت وقد كان تخلف منهم « عز الدين أميران » وأمر بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الامرة وآثر الإنقطاع وأقام بالمرزة وكانت الاكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها تقربا اليه ، ومنهم على ما حكى كان يجلس بين يديه ، ثم أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف من كل بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب ، ووعد رجالا ممن تبعه بالنيايات الكبار ونزل بارض اللجون ، وأتى السلطان خبرهم وأنهم على هذا لم يؤذوا أحداً في نفس ولا مال وإنما يبيعون أموالهم بارخص ويشترون الخيل والسلاح بالعمالي ، فأمر « تنكز » (٢) نائب الشام بكشف خبرهم وقص آثارهم ، وأمسك

- الاكراد منسوبون الى (قيعر) بفتح القاف وسكون الياء وضم الميم وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط ولاخدم المدرسة القيمرية بدمشق وهي معروف بهذه النسبة وتسمى هذه المدرسة اليوم بمدرسة (القبط) ويلفظها عامة دمشق القطاط (من الاصل) .

(١) هي دولة الاشرف خليل قلادون (من الاصل) .

(٢) هو الامير سيف الدين ابو سعيد الاشرفي الناصري احد مماليك الملك الاشرف ابن قسلاون عينه والياً على الشام عام ٧١٢ كان شديد البطش ماضى العزيمة نشر العدل والامن في البلاد وأوجد مبرات كثيرة وقد خافه الملك الاشرف ودعاة بالحيلة الى مصر وحبسه وقتله واستصفي امواله التي تقدر بضع ملايين من الدراهم .

السلطان من كان بالزاوية العدوية بالقرافة الى أن قال « واختلفت الاخبار فقيل أنهم يريدون سلطنة مصر ، وقيل يل كانوا يريدون ملك الجين ، وقلق السلطان لأمرهم وأهمه الى أن أمسك « تنكر » نائب الشام « عز الدين » المذكور وأودع الاعتقال حتى مات وفرق الاكراد ، ولو لم يتدارك الامر لأوشك أن تكون لهم نوبة .

وفي الخطط للمقريزي ان القبض على عز الدين كان زمن المنصور قلاوون ، وقال السخاوي سنة ٧٣٣ .

قلنا والذي ذكره عن الشيخ زين الدين وما كان منطويا عليه من المنكرات يخالف ما نعته به السخاوي من النعوت الجليلة ، وكذلك حادثته مع الشهاب محمود وعلم الدين سنجر وحادثة افتتاح احدى القيمريات به ، ذكر السخاوي انها وقعت مع ولده عز الدين واختلفت أقوالهم في عز الدين فقال المقريزي وابن فضل الله العمري « وكان تخلف منهم الشيخ عز الدين أميران » أى تخلف بالشام فأقتصروا بالتعريف به على جملة من الطائفة وقال السخاوي أنه ابن زين الدين كما تقدم ، ورأيت له ترجمة في الدرر السكامنة للحافظ بن جحر جاء فيها أنه ابن بنت الشيخ عدى وهذا نصها :

« أميران عز الدين الكردي ابن الشيخ عدى قدم الموصل فولي بها الاسرة ، وكان قومه يأنون اليه من كل فج عميق ويتقربون اليه بالاموال ، ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك من كان منهم بالقرافة ، وكتب الي « تنكر » يكشف أحوالهم ، فأرسل الي عز الدين المذكور ، فسأله عنهم فقال يريدون أن يتفردوا بالملكة فقال : وما السبب ؟ فقال هذا شيء يتخيلونه في نفوسهم . فقال له لم لا تمنهم ؟ فقال يعتمدون في وفي جميع أهل بيتي ، ولكن حظني بالقلعة يتقلل جمعهم ، ففعل ففترقوا ، وصاروا بعد ذلك يجيئون الى البرج الذي فيه مجوس فيستنجدون له ، وكان حبسه سنة ٧٣١ ، وكان حسن الشكل ، تام القد ، صبيح الوجه . انتهى .

هذا ما ذكره صاحب « اليزيدية ومنشأ نخلتهم » احمد تيمور باشا عن الشيخ زين الدين وولده عز الدين وما لقياه من حوادث على أيدي سلاطين المماليك وعمالهم في مصر والشام . ومن المرجح ان الشيخ زين الدين غادر الموصل بعين التاريخ الذي غادرها أبوه

الشيخ شرف الدين والتحق بخدمة السلطان عز الدين السلجوقي حيث لاقى بعد قليل حتفه وذلك في سنة (٦٥٥) وكان زين الدين حينذاك فتي يافعا لم يتجاوز سن العشرين وابنه (عز الدين) الذي اصطحبه معه طفلا . ومن تتبع سير الحوادث التي جرت للبيت المدوي بعد قتل عميدهم الشيخ حسن ، لا يخامرهم شك في أن مغادرة الشيخ زين الدين وأبيه الموصل كان للتخلص من بدر الدين لؤلؤ الذي أظهر العزم على إبادة هذا البيت ليأمن غائلتهم على ملكه الذي أسسه على دعائم المكر والخبث وإزهاق النفوس وإراقة الدماء ، والى ذلك يشير زين الدين في قصيدة له :

يهسدني لؤلؤ بقتلي تمعداً ومن ذا يخاف الموت تحت لواقيا؟

وهكذا فقد اختار زين الدين الهجرة الى الشام بعد ان اصطدم أهل بيته ببدر الدين وتبددت أحلامهم وأراد ان يتخذ الشام مسر حاً لدعايته الدينية والسياسية وهي مساعدة له أكثر من أي محل آخر ، لما يجمله أهلها من المحبة والاخلاص للأمويين ويؤثرونهم على المماليك الأتراك الذين لا يجدون لهم حقا في ملك وتأبى نفوسهم ان يخضعوا لهم . صادف مجيء (زين الدين) الى الشام عهد دولة المماليك في مصر والشام ، فالملك الظاهر بيبرس البندقدار حكم من سنة ٦٥٨ الى سنة ٦٧٦ ، وخلفه ابنه الملك السعيد ناصر الدين واستمر ملكه الى سنة ٦٧٨ ، ثم أخوه سلامش ولم يدم ملكه كثيراً . ثم ظهرت الدولة الأشرافية التي أسسها الملك الأشرف صلاح الدين بن خليل قلاوون ، وكان من الطبيعي ان ينظر حفيد الشيخ حسن الى هؤلاء الملوك بعين الاستخفاف ويحمل لهم في قلبه مقتاً شديداً ويمدهم غاصبين ملك آباءه وهم ليسوا سوى مماليك من ذراري الأتراك ، وكان نظره اليهم كنظره هو وأهل بيته الى (بدر الدين) صاحب الموصل الذي لم يكن غير مملوك أرمنى بيع على نور الدين ارسلان شاه الاتابكي واصبح خادما له ، ثم مريبيا لأولاده ، ثم وصيا على الملك ، ثم سلطانا . ولذلك لم يكن بالأمر المستنكر اذا أشيع عنه انه كان يسعى الى الملك ، وان ولده (عز الدين) كان يريد سلطنة مصر ، او ملك اليمن ، فترتاب حكومة المماليك منه وتبث الارصاد حوله ، فيخاف على نفسه ، وقد تلقى من المملوك الأرمنى دروسا شديدة عامته كيف يكون انتقام هؤلاء الملوك قاسياً

ورهيبا ، فترك الشام ويذهب الى مصر ويؤسس له فيها زاوية وينصرف الى الوعظ والارشاد كما هو شأن أصحاب الطرائق ، ظنا منه أنه بذلك سيدرأ الشبهات التي تدور حوله . ولكن المماليك لم يكونوا لينخدعوا بذلك وهم يعلمون ان فكرة الملك لم تفارقه لحظة ، ورجال البيت العدوي لم يخلقوا ان يكونوا أصحاب طريقة صوفية ، بل خلقوا ليكونوا ملوكا ، والطريقة التي وضعها الشيخ عدى لم تكن إلا نقابا أسدلوه على وجوههم ليخدعوا الناس بها .

ومن الجائز أنه بعد ان وفد الى مصر وأظهر الأقطاع الى زاويته كان جماعة من المصريين ممن لم يرق لهم حكم المماليك يترددون اليه ويشجعونه على المضي في سبيل غايته ، وربما كانوا يعدونه بالمال ، وكان المماليك يتجسسون أعماله ويتلقون التقارير عنه ، وهو على ما يظهر انه لم يكن بارجل الحصيف الذي يعرف كيف يتصرف بالأمور بل كان فيه خفة وغرور . فيكبس المماليك زاويته ويقبضون عليه ويودعونه الاعتقال ، وربما كان من أصحابه من أودع الاعتقال معه .

وقد وقع اعتقاله في أواخر سلطنة صلاح الدين بن قلاوون ، او على سلطنة الملك العادل (كتبنا) الذي خلفه - وهو عاشر ملوك المماليك في مصر - امتد ملكه من سنة ٦٩٣ الى سنة ٦٩٥ وقد أفرج عنه على عهد سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين ودام اعتقاله ثلاث سنين وبضعة أشهر .

كان الشيخ زين الدين عندما سجن قد ناهز الستين من العمر على أقل تقدير . وإنسان عاش عيشة الملوك وتقلب في أحضان العز والتعيم وذاق صفوة الحياة ولذائذها لم يكن ليتحمل آلام السجن وشدائده ، لاسيما اذا علمنا ان سجانيه كانوا يتقصدون إساءته ويعاملونه بوحشة وقسوة كما يعامل القتلة وقطاع الطريق دون ان يراعوا سنه ومكانته . وكان أهون عليه ان يرسله الملوك الأشرفي الى الموت كما أرسل الملوك الأرمني قبله جده الشيخ حسنا من ان يلاقي الآلام المبرحة في سجنه . فيرفع صوته عالياً بالبكاء والنحيب ويجعلنا على بعد الزمن نتألم له . والتاريخ يحدثنا ان البيت العدوي بالموصل لاقوا في سبيل دعوتهم من التعذيب والتقتيل ما لم يلاقيه أصحاب دعوة غيرهم ، ومن

يطلب أمراً خطيراً لا بد له من أحد أمرين إما ان ينال مبتغاه فينعم به ، واما ان يخفق فيه ويموت وقد كتب لهذا البيت الموت ولكن موتاً شريفاً .

إن أصحاب التاريخ الذين ترجموا الشيخ زين الدين كالمقريزي وابن فضل الله العمري والسخاوي وابن حجر ، وجميعهم قريبو عهد منه ، لم يبحثوا عن سجنه وهي أهم نقطة نجدها في حياته وقد استقيننا هذه المعلومات من منبعين لا يأتياها الشك الاول: القصص التي يتداولها اليزيدية، والاشناشيد التي يرتلونها في حفلاتهم والثاني: القصائد التي عثرنا عليها في المجموعة القديمة التي أشرنا اليها وهي صادرة عن لسان الشيخ زين الدين نفسه أما القصص والاشناشيد اليزيدية فهي وإن كانت مملوءة بالخرافات ففيها شيء من الحقيقة وخلاصتها ان الشيخ زين الدين - وبسميه اليزيدية زندين أصابه زعل من الشيخ عدى فركب فرسه « بوراً » وغادر لالش وفي أقل من طرفة عين أوصلته مصر فقبض عليه حاكمها وأودعه السجن . ولما شعر به الشيخ عدى مد اليه عصاه من لالش فتملق بها ونجا من السجن وعاد الى محله . وقد يتخلل هذه القصة أخبار خرافية اخرى لاحاجة لذكرها (١) . اما القصائد التي قالها الشيخ زين الدين فقد تدلنا بوضوح على سجنه ، وما لاقاه في السجن من محن وآلام مبرحة جعلته يبكي بكاء الأطفال ويتمنى الموت ولم يكن يحصل عليه . والشيخ زين الدين لم يكن بالشاعر ، والشعر الذي سنورده له لم يكن له قيمة فنية ، بل يكفي أنه يقص علينا فيه ما حل به من هوان وذل تلتاع لها النفوس وتشعر بالحزن عليه ، فمن ذلك قوله :

يقول ابن صخر الذي بات ماغما	وعيناه من حر الدموع همول
أيا راكبا مني على متن ضامر	محنة تطوى القفلة عجول
اذا جزت للهكار تلتقى قبيلة	كراما وهم بين الجبال نزول
فاقرأ لهم مني السلام وخص من	يكنى « عدياً » وابتدره قوول

(١) من ذلك يعتقدون ان اباہ الشيخ حسن عندما سمع بسجنه في مصر بكاه طويلا ، وقد عجن التراب بدموعه واصبح له قبرا وهو قبر صغير نجده بجانب القبر الذي يرمزون به الى الشيخ حسن في قرية بجزاني .

ألا يا كريم الأصل جئتك قاصداً
من أرضها سجن الغريب يطول
تحملت من خل اليك رسالة
تصح وما يخفى الحديث رسول
ويشهد الله والأقوام كلهم
بأني محب والبيان يطول

« وقد عبر ابن صخر عن نفسه وهو جده الرابع أو الخامس . والهكار جبل الهكارية
وفيه وادي لالش الذي يضم زاوية الشيخ عدي . والقبيلة ، أراد بها البيت العدوي .
وعدي الشيخ عدي ابن مسافر الأموي » .

وله من قصيدة يتشوق فيها الى أهله في لالش ويبثهم شكواه مما لاقاه في السجن
بمصر وقد طرأ عليها خلل كبير .

قف على (لالش) وتلك الطلولا
أنتم سادتي ومالي سواكم
قد بقيت مضنى وجسمى نحيل
قد بقيت في مصر بالسجن وحدي
هل ترى مخبر لأولاد عمي
تائه حائر بمصر كئيب
طال شوقي الى (عدي) وربعوا
شتت البين شملنا فافترقنا
هل أرى سادتي بلالش جما
وأخبراهم عنى وسلم وقولا
حاشا لله ان آخذ عليكم بديلا
ساهرأ باكياً وليلي طويل
آه واحسرتاه ما لي سبيل
عن غريب في السجن أضحي ذليل
أسأل الله وهو نعم الوكيل
في حمى لالش ونحن نزول
بعدما كان شملنا موصول
فلعمل المهموم منى تزول

فبجانب ما يشكوه من ألم الفراق والوحشة في مصر وهو يمانى فيها ذل السجن يظهر
تشوقه الى لالش وهو منبت عزه ومهبط أحلامه ومسرح أمانيه ، ويتمنى ان لو زالت
همومه وأتراحه وقد اجتمع شمله بأهله وذويه آل عدي لينعم بهم ، وماذا يجديه نفعا
أخبار أولاد عمه بسجنه وكونه أمسى فيه ذليلاً وأولاد عمه في لالش ليسوا احسن
منه حالا وقد يلاقون من المحن والشدائد على يد خصومهم ما لا يقل عما يلاقه هو
في مصر ؟

ولنقرأ الأبيات الثلاثة الآتية من قصيدة مطلعها :

رعى الله أيام التقارب والوصل وحى زمانا مر بالعز والفضل
وهي :

سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، لقد هدني الشوق المبرح بالذل
سلام عليكم يا أهيلي بلالش ، لعلكم يوما تفوزون بالوصل
سلام عليكم كل يوم وليلة سلام كمد الغيث والقطر والرمل

فما هذا الشوق الذي يحمله هذا الشيخ نحو أهله بلالش؟ وما هذا القلب الرقيق الذي يشبه قلوب الأطفال في حنوه اليهم؟ أم أثر عليه الاغتراب، وألم السجن وأهبط عواطفه وأوجد فيه هذا الحنين ولم يطق صبراً على كتفانه؟

والشيخ زين الدين شديد الاحساس ، شجي النفس ، غزير الدمع يرسل شعره ممزوجاً بالآهات والحسرات ، ثم لنقرأ له هذه القصيدة التي يدلنا فيها على حادث مهم جرى لهذه الطائفة جهلناه وهو يفيدنا من الناحية التاريخية :

سلام على ما قد تقضى من الزمن فيا حبذا من صالح ذلك الزمن
سلام غريب ذاب في السجن قلبه يحن الى قيس ويصبو الى يمن
ديار الصبي واللهو والشمل جامع فيا ويح قلب ذاب شوقاً الى الوطن
فيكم من ليال بت فيها منما بأهل واخوان عليهم لنا من
فأعقبها حرب تجرعت مرها فلا خير في اللذات يعقبها حزن
وما اقتتلت قيس ولا اقتتلت يمن

على طلل يزهو ولا عاطل الدمع ولكننا المحبوب أضحي نزيلهم
وحل بنسادی القوم فازداد قدرهم ومال الى قيس من اللحم واللبن

وكان لهم في القدر في سالف الزمن

يقول :

فاسأل ربي أن يحل بارضكم ولياً يسليكم عن الأهل والشجن

ويوضح ما قد غاب عن كل عارف
ويكشف عن أسرار قوم تقدموا
ويشرح منها كل ما هو ظاهر
فإن كنتمو تمحو الذي كان بينكم
فعودوا الى العهد القديم من الوفا
كفي ما جرى منكم ومنهم جهالة
وأنتم بحمد الله في الدين أخوة
وأنتم همو أنصاره وحماته
وبعضكم قد زاغ عنه جهالة
فيا رب وفقهم لطوعك دائماً
وعجل لهم منك الخلاص تكريماً
عسى فرج يأتي من الله بفتنة

تحفظه ميراث من جده حسن
رمتهم يد الاقدار في أعظم المحن
ويوضح من أسرارهم كما بطن
والا فلا قيس يرد ولا يمن
فصدق الولا حق الى اللحد والكفن
فلا خير في الأحقاد والضرب والفتن
وشيخكم الشيخ الذي أسمه حسن
يقوم بأمر الله وهو لكم سكن
ومال الى قول الأباطيل وافتتن
بأموالهم والنفس والروح والبدن
من السجن ان السجن للعظم قدوهن
فإن أُرجا بالله للعبد مؤتمن

فهذا الحادث الذي يصوره لنا زين الدين في هذه القصيدة كان له أثره الشديد على حياة هذه الطائفة الدينية وقد جعلها على مفترق الطريق ، فأما ان تنبذ هذه العقيدة وتعود الى الاسلام ، وأما ان تسير قدما في طريقها الذي شقه لها قدوتها الشيخ حسن . إذ ان الذي نفهمه منها ان جماعة من سالكي هذه الطريقة انحرفوا عن مبدئهم وأرادوا الرجوع الى الاسلام فلم يرض منهم الباقون وأرادوا إرغامهم على البقاء عليه ويرون ارتدادهم يؤدي الى حدوث وهن وصدع في هذا الدين وهو لا يزال في دور الطفولية وأخذوا يقا تلونهم ، وعلى ما دلنا الامام ابن تيمية ان قتالهم لهم كان شديداً وقاسياً فقد أراقوا كثيراً من دماهم وأباحوا أعراضهم وأموالهم وقد دامت هذه الفتنة اكثر من ستين سنة فأقلت بال الشيخ زين الدين وأقضت مضجعه وهو في سجنه وأخذ يدعوهم الى الوئام والاتحاد والتمسك بمبدأ شيخهم الشيخ حسن ويستل ربه ان يشرح صدرهم لمعرفة ما بطن من أسراره ويمحو الذي حدث بينهم ويعودوا الى العهد القديم من الصفاء والود ، وهم إخوان بهذا الدين ، وإن كان بعضهم زاغ عنه بسائق الجهل وفتنة الدعايات

الباطلة .

والذي نستنتجه من هذا : ١- ان هذه الفتنة دامت من عهد الامام ابن تيمية المتوفي (سنة ٧٢٦) الى الزمن الذي كان الشيخ زين الدين مسجوناً فيه بمصر وربما خبت نارها يوماً ثم اضطربت أياماً أخرى ، ٢- لقد كان لهذه الفتنة أثر سيء على حالة الأمن في البلاد فلم يسع الحكومة السكوت عليها وقبضت على جماعة منهم وألقتهم في السجن وقد طال سجنهم حتى وهن العظم منهم ٣- لم يكن زين الدين على تمام العقيدة وصحة المبدأ كما استدل به احمد تيمور من نعت السخاوي له بالنعوت الجليلة وقد رأيناه يدعو الى مذهب الشيخ حسن والتمسك به ويعبر عنه بالفائم بأمر الله ، ويعمد الابتعاد عن طريقته زيفاً وضلالاً ، ويجوز أنه بشر بمذهب الشيخ حسن في الشام وفي مصر ولكن لم نعلم درجة نجاحه فيه .

وله ايضاً من قصيدة يشكو فيها سجنه في مصر ويتشوق الى لالش :

ورمتني بالصد والهجران	طرقني طرائق الحدان
ليس لي مسعد سوى أجفاني	ورموني في مصر بالسجن وحدي
وأنيبي قد أقلق السجان	ليس لي مسعد سوى دمع عيني
لابلي الله مسلماً ما بلاني	كنت أرجو الوصال منهم دواما
و (بعدي) صاحب البرهان	يا آلهي بالمصطفى سيد الرسل
في حمى (لالش) وعيشي هاني	هل عسى هل عساك تجمع شملي

وله قصيدة مطلعها :

كم وقتت على الطلول أبكيها
مستصرخاً لجيب كان لي فيها
يبكي فيها محنته وتشوقه الى لالش وهي ستة عشر بيتاً .
وله قصيدة مطلعها : خليلي ما في القلب يهوى سواكما ...

يشير فيها الى بدر الدين لؤلؤ الذي كان يريد قتله :

ومن ذا يخاف الموت تحت لواكما	يهددني لؤلؤ بقتلي تعمداً
وأبرد من ماء الزلال سقاكما	أنا الموت أحلى لي من الشهد طعمه

وله قصيدة مطلعها :

بعثت رسولي نحوكم يا أحبتي يبتكم شوقي وعظم صبابتي
يتشفع فيها بالخلفاء الراشدين وعدي والشيخ حسن لخلاصه من سجنه الذي طال
عليه ويختتمها بقوله :

فإن لم تجد لي بالخلاص تكرما بحق النبي الهادي عجل منيتي
وله من قصيدة مطلعها :

إذا لم يكن الدمع بالوجد ناطق فما ذاك إلا كاذب متملق
يصف فيها سجنه وما لاقاه فيه من ازعاجات جعلته يؤثر الموت على الحياة .
وسجن بكل الوصف عنه لأنه حصين منيع لم تنله البطارق
شنيع ، به قتل ، وبق ، وبرغش وفار لما ادخره من الأكل سارق
وقد جمعوا فيه جنوداً كثيرة وما فيهم من يدعى الصدق صادق
سوى قائل هذه القصيدة (يوسف) مقبم على عهد الحبيب مفارق

رحم الله الشيخ زين الدين يوسف ماذا لاقاه من آلام ومصائب في سجن هذا
المملوك التركي لا لذنوبه اقترفه او جريمة ارتكبها سوى ما كان يدور حوله من الشبهات
في تطلعه الى الملك وقد خدع هذا المملوك التركي بمظهره الذي يضاهي مظهر الملوك واقبال
الناس عليه وخافه وألقاه في أعماق السجن طيلة مدة حكمه . وهب انه كان يريد الملك
وقد اطلع ابن قلاوون على نواياه وخافه وسجنه ، أما كان عليه ان يراعي مكانته وان لا
يعامله معاملة القتلة واللصوص وهو سليل البيت الأموي وله الحرمة الكبيرة في النفوس ؟
ولكن قديماً قيل :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

﴿ في الزاوية المدوية في القرافة الصغرى في مصر ﴾

أتى العلامة احمد تيمور باشا في رسالته « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » على بحث هام عن
الزاوية المدوية في القرافة الصغرى في مصر مع تصوير شمسي لها ، ذكر انها تعرف
بزاوية الشيخ عدي بن مسافر ، والزاوية المدوية ، ثم عرفت بالزاوية القادرية لسكنى

جماعة من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلي فيها وتوليهم شؤونها ، وانها تعرف الآن عند العامة بجامع سيدي علي ، ورجح ان يكون هذا الاسم محرف عن (عدي) ابن مسافر ، وذلك لأن بعض المتقدمين كان يمتقد ان ضريح (زين الدين) هو ضريحه ، والقبة التي فيها ضريح الشيخ زين الدين تقع في الجنوب الغربي ويحيط بيايها من الخارج وفي وجهته وعضادتيه أطار من الرخام منقوش بآيات كريمة ، وفي جانبه تحت العتب عن يمين الداخل منقوش « لا آله إلا الله محمد رسول الله لا آله إلا الله سيدي عدي ولي الله » وعن يساره « سيدي عدي الوسيلة الى الله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم » وبعض كلمات ذهبت من كلا الجانبين . وفوق هذا الباب من خارجه لوح منقوش فيه بالحقر « بسم الله الرحمن الرحيم . والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم . هذا مقام السيد الامام القدوة شيخ مشايخ الاسلام ، شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ، فريد عصره شرفت بأقدمه مصر أحد شيوخ المسلمين زين الدين يوسف بن شرف الدين محمد بن الحسن بن الشيخ عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر الأموي . نفع الله بركاته المسلمين . وذلك في ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبعماية » .

وكان على الضريح تابوت تاريخي من الخشب المصنف بديع النقش منقوش به نسب الشيخ زين الدين وتاريخ وفاته ، احترق في الحريق الذي وقع بالقبة سنة ١٣٢٥ ، وقد نقل هذه الكتابة قبل الحريق أحد المراقبين بلجنة حفظ الآثار العربية بمصر ، وهذا نصها :

« هذا ضريح السيد الامام العارف الشيخ زين الدين يوسف بن السيد الشيخ شرف الدين محمد بن السيد الشيخ شمس الدين حسن بن السيد الامام الشيخ شرف الدين عدي بن أبي البركات بن صخر بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي قدس الله روحه ونور ضريحه . انتقل الى رحمة الله يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستمئة » .

ذنوبي غزار لا أطيق لحصرها وعفوك يا مولاي أوفى وأزيد

وما هي ذنوبي ان أخاف وأنت لي آله ولي يوم الشفاعة أحمد
وعلى باب الزاوية وعلى وجهته لوح من الرخام مكتوب فيه بالحرف نسب الشيخ زين
الدين وتاريخ وفاته وبناء القبة ، وهذا نص ما فيه على ما قرأه مراقب حفظ الآثار :
« أنشأ هذه القبة المباركة على ضريح السيد الامام العارف المحقق إمام الموحدين تاج
العارفين زين العابدين أبي الشمائل الشيخ زين الدين يوسف ابن السيد الامام العالم
العارف القدوة شرف الاسلام غوث الأنام الشيخ شرف الدين محمد ابن السيد الامام
العارف شيخ الحقيقة ناصر السنة قاصع البدعة أبي محمد شمس الدين الشيخ حسن ابن
السيد الامام العالم العارف علم الأبرار غوث العباد تاج الزهاد شيخ شيوخ الاسلام أبي
الحسن شرف الدين عدي ابن السيد الامام العالم العارف الشيخ أبي البركات بن صخر
بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحكم الأموي القرشي قدس الله روحه ونور ضريحه .
وكان انتقاله الى دار الخلود وجوار الملك المسودود في ثاني ساعة من نهار يوم الاثنين
ثالث عشر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وستماية . وما أنشده في حالة عبوره : ذنوبي
غزار (البيتين اللذين سبق ذكرهما) وكان فراغ القبة في شهر شوال سنة سبع وتسعين
وستمئة » انتهى .

﴿ بقية الرجال الذين عرفوا من هذه الأسرة ﴾

إن أسرة عظيمة كالبيت المدوي لها ما رأيناها من أخبار وحوادث مهمة في التاريخ
وأوجدت انقلابا خطيرا في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في معظم أنحاء كردستان
وفي الديار الحلبية والشامية وفي بلاد الجزيرة وخافها الملوك وقاموها بشدة وعنف
ونكلوا بها ، لم يقتصر رجالها على الدين ذكرناهم فحسب ، بل يجب أن قام بينها رجال
آخرون أغفل التاريخ ذكرهم . واذا رجعنا الى التقليد الجاري بين اليزيدية نجدهم
يذكرون لنا رجالا آخرين ، كالشيخ سجادين (سراج الدين) والشيخ آمادين (عماد
الدين) والشيخ بادين (بهاء الدين) والشيخ ناصر الدين والشيخ أبي بكر وغيرهم ...
فلهؤلاء سلالات معروفة بين اليزيدية يتمتع رجالها بامتيازات دينية كبقية الأسر ولهم
مريدون يقدمون لهم نذورهم وخيراتهم . وليس من شك ان كان لهؤلاء مكانة كبيرة

ولعبوا دوراً مهماً على مسرح السياسة والدين كغيرهم من رجال هذه الأسرة . ومن الجائز ان بقي منهم أناس ظلوا بعيدين عن هذه الديانة وضاع ذكرهم . أما في البلاد الشامية فقد عرف منهم حتى القرن العاشر الهجري ، أناس عددهم المرحوم العلامة تيمورباشا في رسالته « اليزيدية وأصل نخلتهم » نالوا مناصب مهمة في القضاء والحكم والسياسة ، وليس في أخبارهم ما يشعر بزوع أحدهم الى نزعة صوفية حميدة او غير حميدة وقد ظلوا بعيدين عن الطريقة العدوية وما طرأ عليها من تغيير وتحريف .

وفي ذخائر القصر لابن طولون ، وهو من رجال القرن العاشر الهجري ، ترجمة لأحد رجال هذا البيت وهو شمس الدين محمد بن موسى العدوي - نسبة الى آل عدي بن مسافر من قبل جده لأمه - قال عنه : « لبس مني خرقة التصوف العدوية وقد لبستها من فضلاء عصري ونهأه دهري » وساق سلسلة هذه الخرقة الى الشيخ عدي ابن مسافر ، ثم ذكر من قبله الى النبي (صلعم) كمادة أصحاب الطرق في أسانيدهم ، ويظهر من كلام ابن طولون أن هذه الطريقة بقيت محفوظة في الديار الشامية نحو خمسة عصور تماماً ثم قضي عليها .

وفي درر الحب للرضي الحنبلي ، وهو كذلك من علماء القرن العاشر الهجري ، ترجمة للشيخ عز الدين بن يوسف الكردي المتوفى سنة ٩٤٨ هـ كان أمير لواء في حلب في أواخر الدولة الجركسية وفي أوائل الدولة العثمانية ، وهو من أولاد الشيخ مند أحد مشايخ اليزيدية المعروفين . وعلى يد الشيخ مند او أحد أولاده انتشرت الديانة اليزيدية في الديار الحلبية ، ولا يزال اليزيدية تلك البلاد يعملون بطريقته .

كتب اليزيدية الدينية

تنحصر كتب اليزيدية الدينية في الكتابين « الجلوة » و « مصحف رش » أي الكتاب الأسود . أما الجلوة فقد كتب بأسلوب سماوي كأنما جاء به الوحي خاطب به المعبود الأعظم عباده اليزيدية وتكلم عن قدمه وبقائه وقدرته ووعدده ووعيده وعن تناسخ الأرواح ، وفيه : شيء من الوصايا كدعوتهم الى الاتحاد والتآخي لمقاومة الدين ليسوا على ديانتهم ، ونبت كتب الأجناب - أي ذوي الأديان السائرة - بدعوى أنها محرقة عن أصلها ، والتجنب عن ذكر اسمه وصفاته ، وعدم اعطاء كتبهم الى غيرهم لئلا يجر فوها ، والاحتفاظ بأكثر الاشياء عيناً . فظهر من ذلك عملهم بمبدأ الأمية .

أما مصحف رش وهو الكتاب الاسود فهو كتاب تاريخي طائفي حشر فيه بعض حوادث القوم وشيء من عاداتهم وتقاليدهم بخلاف كتاب الجلوة . اذاً فالاول يعد كتاباً سماوياً والثاني أرضياً ، وكلاهما يقربان شهماً من القرآن إلا انها غير متحدي الغاية ، ولا متحدان في زمن الوضع ، ولا الواضع واحد ، وقد جاء في مصحف رش :

خلق السماوات والارض وما فيها من بحار وجبال وأشجار ، وخلق الملائكة والعرش ، وآدم وحواء ، وارسال الشيخ عدي بن مسافر من الشام الى لالش ، وما كان من نزول « طاؤوس ملك » الى الارض ، وإقامته ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والمعجم لهم . وفيه ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحواء . أما شيث ونوح وأنوش من آباء اليزيدية الاولين فهم من نسل آدم فقط وأصلهم من توأمين ذكر وأنتى ، وكانت ولادتها بخارقة ، وان طوفانا أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح ، وقد مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة ، وانه كان ينزل في كل ألف سنة إله من السماء يشرع لهم الشرائع ويسن السنن ، ومن هؤلاء الآلهة السبعة « يزيد » الذي ينتسبون اليه . أما رؤسهم وأولهم فهو « الشيطان » المعبر عنه بطاؤوس ملك ، ومرتبته هؤلاء

دون مرتبة الآله الاعظم ، الواحد ، القهار ، الفعال لما يريد . وفيه شرايعهم وما أحل لهم وحرّم عليهم في الزواج وغيره . وشرح أمر الطواف بسناجقهم « أي أعلامهم » في البلدان والقرى لجمع الصدقات ، وزيارتهم لقبر « الشيخ عدي » ، وما يفعلونه في عيد أول السنة من قطف « النور » الأحمر ، وذبح الذبائح ، وإطعام الفقراء وزيارة القبور .

إن واضح هذين الكتابين أو واضعيهما من الصعب معرفتهما على الوجه الصحيح . وقد يعزو البعض كتاب « الجلوة » الى الشيخ شمس الدين الحسن بن أبي الفضائل عدي بن الشيخ أبي البركات العدوي الذي أضل هذه الطائفة بوضعه الشرائع الفاسدة لها ، إلا أنه يتعذر علينا التسليم بصحة هذه الدعوى . والكتاب الذي وضعه الشيخ حسن ، والذي ذكر ابن طولون الحنفي الصالح في كتابه « ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر » استطراداً في ترجمة « محمد العدوي » أنه ألفه في بحر ست سنوات وسماه « كتاب الجلوة لأهل الجلوة » لا يجوز أن يكون عين كتاب « الجلوة » الذي بيدنا والذي لا يتجاوز ثلاث صفحات ، وقد عرف صاحب « فوات الوفيات » الشيخ حسن هذا بأنه (من رجال العلم رأياً ودهاء وله فضل وأدب وشعر وتصانيف في التصوف) .

يقول العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا في كتابه البيديّة ومنشأ نحلتهم : « ولا ريب في أن كتاب الجلوة لأرباب الجلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، هو غير الكتاب الذي بيدنا ، وأن الرجل على رقة دينه ذو عقل ودهاء وعلم وأدب لا ينحط قامه الى مثل هذا السخف » .

وليس من شك في ان كتاب الجلوة الذي وضعه الشيخ حسن وغيره من الكتّاب الدينية التي كان يحتفظ بها هذا البيت فقدت في الاصل الاولي من ظهورهم عندما كان « بدر الدين لؤلؤ » يوالي حملته على لالش وينكل بهم ، وفي حملته الكبرى التي حملها عليهم سنة ٦٥٣ وخرب زاويتهم . . وما أحوالنا اليوم الى معرفة شيء من مؤلفاته وتصانيفه لنعلم منها نزعته التصوفية وعقيدته وتعاليمه التي لاقت هذا الرواج العظيم بين أتباعه وأوجدت هذا الانقلاب في عقائدهم .

أما كتاب الجلوة ومصحف رش اللذان بيدنا الآن فهما ليسا بقديعين بل هما حديثان لم يعض على وضعهما أكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير .
ويغلب على الظن أن واضعها لم يكونا مسلمين ، بل مسيحيين من مسيحيي قرية «بجزاني» أو قسوسها الذين لهم اتصال بهذه الطائفة ووقوف على عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ، ولم يكتبها ما كتباه اعتياداً على معلوماتها المكتسبة عن هذه الطائفة ، بل استندنا على ما أخذنا عنهما عند أحد شيوخهم . وبعد أن أخذنا ما أخذناه منها ، أضاعاها حفظاً لما كتباه ، يدلنا على ذلك اللغة العامية المستعملة في هذين الكتابين ، والكلمات المبتذلة والتراكيب المفككة والتعابير السقيمة التي نجدها فيها مما يدلنا على أن كاتبها ممن ليس لهم الملم بالعربية الفصحى ، ولا تكون مخطئين إذا اعتقدنا أن كاتبها لم يخرج عن القسوس الذين كانوا يعيشون في القرى في ذلك العهد ، وليس لهم من العلم أكثر مما يسدون به حاجتهم ، وإلا فمن المستحيل أن يكون لمسلم اتصال بأحد أبناء هذه الطائفة ووقوف على عقائدهم ليكتب شيئاً من هذا القبيل عنهم وقد بلغ التنافر والتناكر بين اليزيدي والمسلم غاية القصوى في ذلك العهد .

وفي «عبداه أبليس» لنوري بك والي الموصل أن واضع الجلوة هو راهب نسطوري كان قد هرب من دير القوش وأسلم ظاهراً ثم ارتد ولحق باليزيدية وصار مقدماً بين رجالهم ، ويجوز أن يكون ذلك صحيحاً طالما علمنا أن كتاب الجلوة خرج من قبل نصراني إن لم يكن أحد قسوس بجزاني فهو هذا الراهب .

وعلى رغم ما تظهره هذه الطائفة من التكتم الشديد في معتقداتها وحرصها على إخفاء كتبها عن غير اليزيدية نجدها قد أصبحت لا تملك ولا كتاباً واحداً ، وقد خرج منها «الجلوة» و«مصحف رش» ولم تكد تعرف شيئاً عنها ، والشيء العجيب أنها أخذت تعتقد أن الجلوة هي طائفة في دار أحد شيوخ آل الشيخ حسن في قرية «بعشيقه» وقد يزورها الناس قصد الشفاء من أمراضهم وعاهاتهم .

ويذهب البعض إلى أن «مصحف رش» هو القرآن الكريم نفسه وقد صنفوه بكلمة «رش» ومعناه الأسود لتسويدهم بالحبر الأسود الكلمات التي لا يجوز لهم تلفظها في القرآن

أو وضعهم عليها الشمع وذلك عندما اتخذوه ككتاب قراءة لأولاد الشيخ حسن عندما يعلمونهم القراءة في صغرهم ، وهو خطأ ، و « مصحف رش » شيء والقرآن الكريم شيء آخر .

ويتعذر الوقوف على الباحث عن صورة خروج هذين الكتابين من أيدي البيزيدية بعدما كانت أسرة الشيخ حسن تحتفظ بها ، ويروي أن أحد يزيدية قرية بجزاني كان قد سرقها وأراد أن يذهب بها الى البيزيدية القاطنين أطراف حلب ففاجأته عصابة من اللصوص في الطريق وسلبتها منه . وحكى لي الشيخ « نذير » رئيس الأئمة أنه كان للملا حيدر رئيس الأئمة ولد أعضبته زوجة أبيه فأراد أن يكيد له فسرقها وذهب بها الى قرية « طغيتان » من قرى البيزيدية في الشيخان وفقدنا منه . ويدعي آخرون أن سائحاً روسيا حل ضيفاً على « الملا حيدر » في جزاني وسرقها منه ، ومها يكن من أمر فان هكذا كتابين تتطلع اليهما الأنظار لا بد وأن تحتفظها الأيدي ولو وضع الف حجاب دونها .

وذكر السائح والمنقب الانكليزي هنري لا يارد في كتابه (نينوى وآثارها) أن (القوال يوسف) حكى له وهو في طريقه معه الى (باعذرة) أنه كان لدى البيزيدية كتب كثيرة قبل المذبحة التي أوقعها فيهم أمير الصوران وقد أتلفها الاكراد برمتها .. وهذا صحيح وقد أيدت الاخبار أنه كان لديهم كتب فقه وتفسير كثيرة منذ عهدهم بالاسلام ويحتمل أن قد كان فيها كتب عقائد وتصوف لمشائخهم العدويين وقد بقيت سالمة من الثورات التي قامت في وجههم الى أن حلت فيهم كارثة الصوران .

وقد توصل الغرييون الى كتابي (الجلوة) و (مصحف رش) مع قصائد تعزى الى الشيخ عدي وترجموها الى لغتهم وعلقوا عليها الأبحاث الطويلة ونشروها على أعمدة صحفهم ومجلاتهم وبحثوا عن عقائدهم وأصول عبادتهم واكثروا القول عنهم . فمن بحث عنهم لأول مرة المستر اف . فوريس في مقالة نشرها في مجلة الجغرافية الملكية سنة ١٨٣٩ وأعقبه جى . بي بادجر في كتابه (معتقدات النسطوريين) المطبوع عام ١٨٤٢ ، والمنقب والبحاثة اي . اج لا يارد فقد تطرق للبحث عنهم في كتابه (نينوى

وآثارها) المطبوع سنة ١٨٤٩ ، وكتابه الآخر (نينوى وبابل) المطبوع سنة ١٨٥٣
وجي . جي فرايزر في كتابه (الفصن الذهبي) المطبوع عام ١٩١١ ، واي . بي سوان
في كتابه (في البحث عن أحوال ما بين النهرين وكرديستان) المطبوع سنة ١٩١٢ و
واغرام في كتابه (مهد البشرية) المطبوع سنة ١٩١٤ ، واج . آر درايبور في مقالة له
تحت عنوان (الدراسات الشرقية) في الباب الثاني من المجلد الثاني من كتاب (نظرات
في معتقدات اليزيدية الاكراد) المطبوع سنة ١٩١٧ ، و . ب . دبليو . بي هود في
مجلة (مؤسسة الطبيعيات الملكية) لسنة ١٩١١ ، وآي . دير في كتابه (البشرات)
المطبوع سنة ١٩١٨ ، وآي . جوزيف في كتابه (معتقدات الشيطان) المطبوع سنة
١٩١٩ ، وبي . اج سبرنكت في كتابه (أسرار الطوائف في سوريا ولبنان) المطبوع
سنة ١٩٢٢ .

ويوجد ترجمة انكليزية للكتابين الجلوة ومصحف رش وضعها « براوي » ثم ذيلها
وطبعها المستشرق « باري » في لندن عام ١٨٩٥ ، وقد ترجم الأصل العربي الى الانكليزية
المستشرق « اليزيا جوزيف » ووضع عليه كتابا سماه (النصوص اليزيدية) وطبعه في
مجلة اللغات السامية الأمريكية ، وجمع المستشرق الفرنسي « ف . نو » بين كتاب الجلوة
ومصحف رش والمنظومة المعزوة الى (الشيخ عدي) والصلوات اليزيدية والعريضة التي
قدمها اليزيدية الى الحكومة العثمانية عام ١٨٧٢ حول طلب أعفائهم من التجنيد الاجباري
ووضع عليها كتابا سماه (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) علق عليها كثيرا
من الحواشي التي لا يسع الباحث الاستغناء عنها . وترجم الأب انستاس الكرملي
الكتاب الأسود والجلوة الى الفرنسية وطبعها مع أصلها وكتب كثيرا عن المعتقدات
اليزيدية وعاداتهم وأصول ديانتهم في مجلة المشرق البيروتية ومجلات أوروبية اخرى .
ومن جملة الباحثين عن هذه الديانة الموسيو سيوفي قنصل حكومة فرنسة قديما في
الموصل فقد نشر أبحاثا ضافية عنها في مجلة الآسيوية ، والموسيو بورتوكليان ، والسر
مارك سايكس ، والمونسنيور صموئيل جميل ، وجوزيه فرلاني الباحث الايطالي ، وميكائيل
انجلو الايطالي ، والاستاذ منزل ، وامبسن الكاتب الانكليزي ، والاستاذ السيد عباس

العزاوي ، واحمد تيمور باشا المصري وغيرهم .

وفي الرسالة المسماة « باليزيدية ومنشأ نحلتهم » للمرحوم احمد تيمور باشا ان احد الافاضل « عني به عيسى يوسف نزيل نيويورك » كان قد عثر على الكتابين الجلوة ومصحف رش وكانا مخطوطين باللغة العربية ونشرهما في احدى المجلات الامريكية « اراد بها مجلة اللغات والآداب السامية الامريكية » مع الترجمة الانكليزية ، ولكن على ما قال انها تختلف بكثير عن الاصل من زيادة ونقصان وتقديم وتأخير ، وحظ ورفع ، وذكر ان احد علماء المشرقيات « بالتمسا » عثر على نسخة منها بالعربية والكرديّة فطلبها بالنصين ، والترجمة في « فينا » .

فترى ان الذين بحثوا عن اليزيديين من مستشرقين وسياسيين ورجال استعمار وتبشير كثيرين وليس في الوسع احصاؤهم ، ولو اردنا ان نجمع مؤلفاتهم لمئات مكتبة . ولم يتفق احد من هؤلاء مع الآخر ، وكانت غاية كل واحد منهم اظهار نزغته وميوله ، ويندر منهم من كتب لغاية العلم والتاريخ ، ولذلك فقد جاءت مؤلفاتهم جميعها بعيدة عن الصواب ، لا سيما ما كتبه رجال التبشير ، فقد أساءوا فيها الى الحقيقة وأتوا بأشياء كلها أراجيف وأضاليل ، وأصح من كتب عنهم كتابنا العرب المسلمون نذكر منهم العلامة أحمد تيمور باشا والاستاذ الفاضل السيد عباس العزاوي ، فقد توصلا الى معرفة هذه الطائفة معرفة تامة وبحثا عنها بحثا صحيحا ولم يتمديا الحقيقة والواقع فيما كتباه . ان ما يدعو الى الاسف الشديد أن كتاب الجلوة ومصحف رش بعد ان انتقلا الى بلاد الغرب وتناولتها الايدي بالترجمة والشرح والتعليق ، لم تتمكن من العثور عليهما في بلادنا ، وقد أوقفنا صديقنا الفاضل أمجد بك العمري على رسالة بقلم أحد المسيحيين المدعو داؤد بن سليمان الصائغ كتبها عام ١٨٨٠ حشر فيها أشياء كثيرة من معتقداتهم وأسرار ديانتهم والعريضة التي رفعتها جماعة من وجهائهم الى الحكومة حول طلب اعفائهم من التجنيد ، إلا انه لم يبق الكتاب الأسود على حالته وقد تصرف به تصرفا مشيناً وأدخل من عنده عليه أشياء كثيرة .

ان هذه الرسالة تحتوي على عشر ورقات بالقطع الكبير وقد كتبت رؤوس فصولها

بالمداد الاحمر مع نقوش رديئة قصد إملاء الفراغ فيها ، وتغلب فيها الكلمات العامية مع ضعف في التركيب وإهمال كثير من الحروف ، وهنا تقتبس كتاب الجلوة كما جاء بنصه :

- كتاب الجلوة -

كتاب الجلوة هو الموجود قبل كل الخلائق عند « طاؤوس ملك » وهو الذي أرسل الى هذا العالم « عبطاؤوس » لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص أولاً بالتعليم مشافهة ، ونم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لأحد من الخارجين أن يقرأه ويراه .

الفصل الاول

- ١- أنا كنت ، وموجود الآن ، وليس لي نهاية ، ولي تسلط على الخلائق ، ونديري مصالح كل الذين تحت حوزتي .
- ٢- أنا حاضر سريماً للذين يتقون بي ويدعونني الى الحاجة .
- ٣- ما يخلف مكاني من الدنيا (١) .
- ٤- مشترك أنا بجميع الوقائع التي يسميها الخارجون شروراً لانهم ليست هي حسب صرامهم .
- ٥- كل زمان له مدبر بمشورتي (٢) .
- ٦- كل جيل يتغير حتى رئيس هذا العالم . والرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته لكي يكمل وظيفته .
- ٧- أعطي رخصتي حسب الطبيعة لبني الانسان (٣) .
- ٨- يجزن ويندم الذي يقاومني ، جميع الآلهة ليس لهم مداخلة بشغلي ، ومنهمي عنها

(١) وفي نسخة اخرى : ما يخلو اعني مكان من الامكنة

(٢) « « : بشوري

(٣) « « : أعطى رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة باخلاقها

قضية مهمة (١) .

- ٩- كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها ، وزاغوا عنها ولو كتبها الانبياء والمرسلون ، لان كل واحد يعطي الآخر وينسخ كتابه (٢) .
- ١٠- الحق والبطل معلوم عندي حين وقوعهم بالتجربة (٣) .
- ١١- أعطي ميثاقي للذين يتكلمون علي ، وأعطيهم رأي المدبرين الخذاق ، لاني وكتبتهم لآوقات معلومة عندي (٤) .
- ١٢- أذكر وأحرك الامور اللازمة في حينها (٥) .
- ١٣- أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي ، فاذا سمعوا قولي ، ووافقوا مشورتي ، يجدون فيه لذة وفرحاً وخيراً لهم .

الفصل الثاني

- ١٤- أنا أكفي وأجازي نسل آدم بانواع أعرفها .
- ١٥- بيدي قوة وتسלט على جميع ما في الارض من فوقها ومن تحتها .
- ١٦- ما أقبل معاملة غير العوالم (٦) .
- ١٧- ما أمنع خير الذين جربتهم وهم حسب مرامي (٧) .
- ١٨- أظهر في جميع الأشكال والأنواع للذين هم أمنائي وتحت مشورتي (٨) .

-
- (١) وفي نسخة اخرى: الآلهة لاخرى ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عن مهم قصده مهما كان .
 - (٢) وفي نسخة اخرى : ليست الكتب الموجودة بين الخارجين هي حقيقة ، ولا كتبها الانبياء والمرسلون ، لكن زاغوا وبدلوا ومنعوا ، كل واحد يبطل الآخر وينسخه .
 - (٣) وفي نسخة اخرى : الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة .
 - (٤) « « : وعندني للذين يتكلمون عن ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبرين الخذاق الذين وكتبتهم لآوقات معلومة عندي .
 - (٥) وفي نسخة اخرى: اذكر اموراً واحرم الاشغال اللازمة بيمينها .
 - (٦) وفي نسخة اخرى : ما أقبل مصادمة بعض العوالم .
 - (٧) وفي نسخة اخرى : وما امنع خيبرم مخصوصاً للذين هم خاصتي .
 - (٨) « « : أترأى بنوع من الأنواع وشكل من الاشكال للذين هم أمنيني وتحت شورتي .

- ١٩- آخذ وأعطي ، أغنى وأفقر ، أسعد وأشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات .
٢٠- ليس من يحق له ان يتداخل في شيء من تصرفي .
٢١- أجب الأوجاع والأسقام على الذين يضادوني .
٢٢- ما يموت الذي هو من حسي مثل الخارجين من بني آدم (١) .
٢٣- ما أسمح لأحد بان يسكن هذه الدنيا بأكثر من الزمن المحدود مني ، وان شئت أرسلته الى هذا العالم او غيره بتناسخ الأرواح .

الفصل الثالث

- ٢٤- أرشد من غير كتاب ، أهدي عيناً أحبائي وخواصي جميع تعاليمي (٢) .
٢٥- موافق للحال والزمان ، أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة .
٢٦- بنو آدم ما يعرفون الأحوال المزمعة ، يسقطون أوقات كثيرة بالغلط .
٢٧- حيوانات البر ، وطيور السماء ، وأسماك البحر ، جميعهم بيدي وتحت ضبطني .
٢٨- جميع الخزائن والدفائن التي تحت الأرض معلومة عندي ، وأخلفها من واحد الى واحد لمن أريده .
٢٩- أظهر معجزاتي ومعجائبتي للذين يقبلونها ويطلبونها في وقتها .
٣٠- الأجنيبون هم مخالفون ومضاددون لي ولا يباليون بذلك ، وهم ما يدرون هو ضرر عليهم لأن العظمة والثروة والغنى بيدي ، وأنا أختار لها من نسل آدم (٣) .
٣١- تدبير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير مدبريهم منظومة منذ القديم .

(١) وفي نسخة اخرى : ما يموت الذي حسي كسائر بني آدم .

(٢) وفي نسخة اخرى : بزيادة بلا كلوفة .

(٣) وفي نسخة اخرى : مخالفة ومضادة الاجنبيين لي ولا تباعى هو ضرر عليهم لانهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي ، واختار من يليق لها من نسل آدم .

الفصل الرابع

- ٣٢- حقوقي ما أعطيتها لغيري من الآلهة (١)
- ٣٣- أربعة عناصر، وأربعة أزمنة، وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات الخلقين
- ٣٤- كتب الأجانب من اليهود والاسلام والنصارى أقبولوا منها ما يوافق سنني، وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه (٢).
- ٣٥- ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أشياء أبغضها.
- ٣٦- الذين يحفظون أسرارى ينالون مواعيدي.
- ٣٧- الذين ينالون المصائب لا بد ان أكافئهم بأحد العوالم.
- ٣٨- جميع تابعي أريد ان يتحدوا برباط واحد لئلا تفسدهم الأجانب.
- ٣٩- يا أيها الذين آمنوا اتبعوا وصاياي وتعاليمي، انكروا أقوال الأجانب التي لست أعلمها وليست هي من عندي.
- ٤٠- لا تذكرون اسمي ولا صفاتي لئلا تذبذبون، لأنكم لستم تعلمون ما يفعله الأجانب

الفصل الخامس

- ٤١- يا أيها الذين آمنوا أكرموا صورتي وشخصي لأنهم يذكركم بي.
- ٤٢- احفظوا سنني وشرايعي.
- ٤٣- أطيعوا أصفوا إلى خدائي بما يلقنونيكم به، ولا تبجحوا به قدام الأجانب كاليهود والنصارى والاسلام لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأنتم لا تعلمون.
- ٤٤- احفظوا أكثر الأشياء عيناً لئلا تتغير عليكم.

هذا هو كتاب الجلوة الذي أصبح محل اهتمام كثير من الغربيين الذين بحثوا عن

(١) وفي نسخة اخرى: الذين لا يتبعونني.
(٢) وفي نسخة اخرى: كتب الاجنبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنني وما يخالفها هم غيروه.

هذه الطائفة ومعتقداتها ولم يوفه أحد منهم ما يستحقه من الدراسة ويعلم ما اشتمل عليه من تشريع وما رمى اليه صاحبه من غايات بعيدة كشأن غيره من أصحاب الشرائع. اذ مع ما يبدو فيه من السخافة ففيه من الأحكام الصارمة ما تدل على ان روحاً نائرة متمردة صاغته بهذا الأسلوب، وقد صدر بعض فقراته ب (يا أيها الذين آمنوا) تشبيهاً بالقرآن ليوهم قومه بأنه لم يكن صادراً عن لسان بشر . وقد أصاب المرمى في الصرامة التي أبداهها في تقييدهم بهذه القيود السني لو تساهل فيها ، لما تم له ما أراد ، وللمبت الأيدي في مذهبه وقلبته رأساً على عقب وأزالته في أقرب وقت من الوجود .

ان كتاب الجلوة هذا الذي بيدنا الآن ، وإن كنا نرجح انه لم يوضع على وضعه أكثر من عصر ونصف عصر على أعظم تقدير ، إلا ان الأحكام التي اشتمل عليها ترجع الى زمن تأسيس هذه الديانة ، وكاتبه الذي لم يكن غير مسيحي عاش بين اليزيدية زمناً ، ووقف على دخالهم وأسرار دياتهم ، لم يأت بشيء جديد من عنده ، بل أخذ ما وقف عليه من مدونات لهم ووضعه بهذا الأسلوب الركيك السقيم .

ولكن أين هي تلك المدونات التي اقتبس هذا الكاتب منها هذه الفصول الحمسة وسماها بالجلوة ؟ والجواب أنها ذهبت نهب أيدي العابثين كما ذهب كتاب الجلوة الأصلي نفسه ، ويجوز أنه عثر على ما يسمونه « بالجلوة » ، وهو لم يكن طبعا كتاب الجلوة لأرباب الجلوة المنسوب الى الشيخ حسن ، وسمى فصوله به ، وإلا من أين له معرفة بهذا الاسم والكتب الاسلامية التي جاء ذكره فيها قليلة وبعيدة المنال عليه ؟

وكثير من الباحثين من لم يعر كتاب « الجلوة » قيمة تشريعية ويحط منه ، على أن هذا الدين لم يحافظ طيلة هذه المدة على وضعه إلا بنتيجة ارتكازه على هذه المبادئ والأحكام الصارمة التي اشتمل عليها ، وهو عمل عقل غير عادي له خبرة تامة في الحالة العقلية والشعورية التي كانت سائدة بين هؤلاء الأقوام في ذلك العصر ودرجة استعدادهم لقبول هذا التطور في معتقداتهم . وأي دين قدر له البقاء طيلة هذه المصهور في محيط ناصبته العداة فيه حكومته ، وأهل حضره وباديته ، وأراقت سيولا من دماء أبنائه ولم يؤثر فيه ؟ ألم يكن هو نتيجة ما أوصاهم به هذا الشارع بقوله :

« جميع تابعي اريد ان يتحدوا برباط واحد لئلا تفسدهم الأجانب » فكأنه علم ما سيلاقيه تابعوه من المقاومة الشديدة (من الأجانب) ودعاهم الى الاتحاد والتآزر لتقوى شوكتهم ويحافظون على دياتهم . ولذا نجدهم كلما اشتد الضغط عليهم وحسدوا صفوفهم ، ونبدوا الاختلافات الموجودة بينهم ودافعوا عن أنفسهم بكل حماس وشدة وهذا المبدأ بعيد من ان يفكر به واضع الجلوة الذي عرفناه ، او يدرك مدى تأثيره على هذه الطائفة وما يدل على بعد النظر الذي امتاز به الشارع ، انه بعد ان اطأن من تمسك هؤلاء القوم بما أوصاهم به وأصبح لهم كيان قوي لا تستطيع ان تلعب به الأهواء ويطمع به طامع آخذ يخاطبهم على لسان معبودهم الذي كأنما أنزلت هذه الاحكام من عنده بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اتبعوا وصاياي وتعالجني ، أنكروا تعاليم وأقوال الأجانب التي لست أعلمها وليست هي من عندي » وهذا التحذير له قيمته وأهميته ، إذ كان يرى ان أقل اتصال يحصل لهم بهؤلاء الأجانب - وأراد بهم المسلمين طبعاً - يؤدي الى افساد عقيدتهم ، وزوال هذا الدين من الوجود . وتأميناً لهذه الأمانة ، اي جعلهم بعيدين عن هؤلاء الأجانب ، وعن تعاليمهم - التي ليست هي من عنده ولا يعلمها - رأى ان يسدل عليهم رداء كثيفاً من الجهل ويفرض عليهم الأمية المطلقة - باستثناء أهل بيته - ليبقوا في حماية عن معرفة كل ما يحيط بهم ، ومن المحقق ان لو لم يقيدهم بهذا القيد الشديد القاسي ويقضى عليهم بالعزلة عن الأجانب عنهم ، ويحرم عليهم تعاليمهم لدخل عليهم الاصلاح في أول عهد ظهورهم . إن فرض الشارع عليهم الأمية كان له الأثر الشديد على حياتهم الدينية والاجتماعية طيلة سبعة عصور مضت عليهم ، ومها حاولت الحكومة اليوم ادخال التعليم عندهم لم تلق نجاحاً يذكر .

إن كل ما هو داخل في نطاق الحياة الانسانية في هذا العصر خاضع لقانون الارتقاء والتكامل ، وفي كل أمة ظهر علماء وفلاسفة تم على أيديهم رفع مستوى العقل البشري وتجريده من الأوهام والشكوك في معرفة حقائق الاشياء حتى الاقوام المهمجية في صحاري غوبي وتبت وفي أدغال الآمازون والكونغو فقد أخذت تخلع عنها رداء الجهل

وتدخل حياة جديدة باستثناء هذا الشعب الذي نبت في مهد الحضارة الاولى للانسان فلا يزال متمسكا بعاداته الهمجية ، ومحال عليه ان يظهر يوما استعداداً لقبول الاصلاح ويظهر فيه ذو دماغ مفكر يحارب هذه الخرافات ويدعو قومه للأخذ بمبادئ الحضارة . وهل من سبيل له الى ذلك وقد أفهمه الشارع ان دياقته ليست محررة في السطور بل محفوظة في الصدور ورجال الدين هم المأمورون بنقلها اليهم من طريق المشافهة ؟ فقد جاء في مقدمة كتاب الجلوة :

« الموجود (اي كتاب الجلوة) قبل كل الخلائق عند (طاووس ملك) وهذا الذي أرسل الى هذا العالم (عبطاووس) لكي يميز ويفهم لشعبه الخاص من كتبه أولاً بالتعليم مشافهة ، ومم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه . »

وجاء في الفقرة (٢٤) من الفصل الثالث :

« أرشد من غير كتاب ، أهدي غيباً أحبابي وخواصي جميع تعاليمي . »

وجاء في الفقرة (٤٣) من الفصل الخامس :

« أطيعوا ، أصغوا الى خداعي بما يلقنونيكم به من علم الغيب الذي هو من عندي . »

وجاء في الفقرة (٤٤) من الفصل الخامس :

« احفظوا اكثر الاشياء عيناً لثلاثي تغير عليكم . »

فهكذا بعد ان أوصاهم بانكار أقوال وتعاليم الخارجين عنهم وهم اليهود والنصارى والمسلمون ، وفرض عليهم الأمية المطلقة وأفهمهم ان العلم لم يكن في السطور بل في الصدور وانه يجب عليهم ان يتلقوه من خدامه رجال الدين ويحفظوه على صدورهم لثلاثي تغير عليهم ، أخذ يحظر عليهم ايقاف أحد من أصحاب الاديان السائرة على كتبهم او المجاهرة أمامه بشيء من عقائدهم إذ نجده يقول :

« ومم بهذا الكتاب الذي لا يجوز لاحد من الخارجين ان يقرأه ويراه . »

ويقول :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقنونيكم به - أراد خدامه وهم الطوائف الروحيون - ولا تبيحوا به قدام الاجانب كاليهود والنصارى والاسلام ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي

ولا تعطوهم كتبكم لئلا يغيرونها عليكم وأنتم لا تعلمون .
وهذا منتهى البراعة وبعد النظر من واضع الجلوة فقد كان يعلم ان الخارجين عنهم
سيفضحون سر هذا الكتاب عند أول ما يطلعون عليه ويفسدون عليه مذهبه لا محالة ،
وقد صدق حسه ووقع ما كان يحاذره . إذ عدا ما كان من اطلاع الخارجين على كتابه
وانفضاح أسرار ديانته فقد دخل الكتاب نفسه في أيديهم على رغم احتفاظهم الشديد
به . ومع هذا فلا يزالون يظهرن التكتم في معتقداتهم ومحال عليهم ان يسمحوا لاحد
ان يقف على شيء من عبادتهم . وهذا ما جعل الباحثين يتخبطون في القول عنهم وكل
ما قالوه هو رجم بالغيب .

قلنا أن كتاب « الجلوة » لم يكن شيئاً عادياً لا يستحق الاهتمام والعناية ، وأن
واضعه الذي لم يرض عليه أكثر من عصر ونصف عصر لم يكن إلا ناقلاً او مقتبساً ،
وما تضمنه من أحكام ومبادئ يرجع الى أول عهد ظهور هذا الدين ، وإن واضع هذه
الأحكام والمبادئ هو مؤسس هذا الدين نفسه .

ونظرة واحدة الى هذا الكتاب تدلنا على أن الغاية التي كان يرمي اليها واضعه هو بقاء
هذا الدين بجانب الأديان السائرة مدى الدهر ، وربما أنه كان يرمي الى جعله ديناً عاماً
تدين به الملايين من البشر ، وما هذه التعاليم التي نجدتها في كتاب الجلوة الذي بيدنا
إلا جزء من التعاليم التي اشتمل عليها كتاب الجلوة الذي وضعه مؤلفه في بحر ست
سنوات .

فكر مؤلف « كتاب الجلوة لأهل الخلوة » - ومن شأنه ان يفكر - بأن بقاء هذا
الدين على الوجه الذي أراده لا يتم له ما لم يسلك فيه طريقة لم يكن قد سبقه فيها أحد ،
فبعد ان أوجب فيه على تابعيه الأمية وهبط بهم الى دركة الحيوانية وحصر العلم في
أهل بيته ، سلك معهم طريقة الارهاب والاخافة والتوعيد ، فأفهمهم على لسان معبودهم
الاعظم أنه إله شر ونقمة ، ومشارك في جميع الوقائع التي يسميها الخارجون عنهم
شروراً وآثاماً ، وأنذرهم بتسليط الأوجاع والأسقام عليهم اذا ما خالفوه وعصوا

أمره ، ومن شأنه ان يظهر بهذا الشكل المملوء قسوة ورجباً وهو آله شر ونعمة لا إله
خير ونعمة ، اذ يقول لهم :

« لي تسلط على الخلائق وتدبيري مصالح كل الذين في حوزتي »
ويقول :

« يحزن ويندم ان الذي يقاومني »
ويقول :

« أجلب الأوجاع والآلام على الذين يضادونني »
ويقول :

« بيدي قوة وتسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها »
ويقول :

« أغني وأفقر ، وأسعد وأشقي ، وذلك حسب الظروف والأوقات »
ويقول :

« أقاصص الذين يخالفون شرائعي بعوالم الآخرة » .

فهذه التخويات والوعيدات هي التي أوجبت خضوعهم له ، وجماعتهم يرهبون
ويجتنبون ما نهاهم عنه . وأي شيء أعظم أثراً في النفوس من تخويات ووعيدات
تصدر من إله عرف بالشر ، وليس لأتباعه ان يحظوا بأقل رافة ورحمة منه ؟ فمبادتهم
له ، وذبحهم القرابين لأجله هو قصد إرضائه ، والتخلص من أذاه ، لا رغبة في نيل
إحسانه ، ويعلمون ان ذلك ليس من شأنه ، بل شأنه تسليط الأوجاع والآلام على
الذين يضادونه ويخالفون أمره ، وهو مصدر الشر ومنبع الآثام ، والمتسلط على
الخلائق ، وجميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها في حوزته ، وهو المغني والمفقر ،
والمسعد والمشقي وكل شيء بيده .

وقد أراد الشارع ان يرفع من قيمة الآله المنبوذ في نظرهم ويزيدهم له خضوعاً
واستسلاماً ، فأمرهم على إسانه :

« لا تذكروا اسمي ولا صفاتي لثلاث ذنوبوا ، لا أنكم لستم تعلمون ما يفعل الاجانب » .

فلماذا يكونون قد أذنبوا اذا ذكروا اسمه وصفاته ، وماذا يفعله الأجانب في مثل هذه الحالة ؟ ان اسم الشيطان لدى الأجانب - وهم المسلمون - مكروه بمقوت ، وقد لا يرد على ألسنتهم إلا مقرونا باللعنة ، ويصفونه بالشر والخبث والمكر ، ويتمسوذون منه . فجاراتهم لهم بتسميته بهذا الاسم ، ووصفه بهذه الصفات حط من كرامته ، ومن الأجدد أن يسمونه باسم يرفع من شأنه . وما هذا الاسم إلا « طاؤوس ملك » الذي يدل على التعظيم والتبجيل . وأما ما يفعله الاجانب فهو قراءتهم دوماً الآية الكريمة : « وكان من الكافرين وأن عليك لعنتي الى يوم الدين » و « اخرج منها فانك رجيم » و « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » الى غير ذلك من الآيات التي تدل على تحقير شأنه والحط من قيمته .

ويجدر بنا أن نقدر فيهم روح الثبات والشجاعة والعزم الذي غرسه فيهم هذا المبدأ طيلة هذه المدة على رغم ما لاقوه من الحن والشدائد على أيدي الحكومات التي تولت أمرهم ، وقبائل المساميين الذين نادوا بعبادتهم ، وقد بلغ فيهم التعصب للشيطان أن حرموا حتى استعمال الكلمات التي على رويه كسلطان وقحطان وعدنان والكلمات التي تحوي حرف (الشين) و (الطاء) من اسمه . وقد يجتنب المسلم عن ذكر اسمه أمامهم مجاملة لهم ، واذا تعمد تسميته فقد لا يسلم من أذاهم اذا وجدوا اليه سبيلاً .

يقول عن لسانه : « يا أيها الذين آمنوا أكرموا صورتني وشخصي لأنهم يذكرانكم بي » فبعد أن منهم عن ذكر اسمه وصفاته لثلاث يذنبوا ، أمرهم أن يكرموا صورته وشخصه ، وهو التمثال المصنوع بشكل ديك أو بطة ، وحشهم على تكريمه واحترامه والسجود له ، وذلك لأن عملهم هذا يذكرهم به ، فكأنما أراد أن يقول لهم : « إن احترامكم لصورتني ، هو عين احترامكم لي » وهذا هو مبدأ عبادة الطاووس عندهم .

إن عقيدة عبادة الشيطان عند البيزيدية لم تكن قديمة ترجع الى عهد الشيخ حسن الذي يعزى اليه وضع هذا المذهب ، وإن كنا لا ندفع عنه التعصب للشيطان شأنه في ذلك شأن البعض من رجال الصوفية الذين ظهروا قبله وعلى عهده ، وليس لدينا ما يدل على أن البيزيدية كانوا يعملون بهذا المبدأ على هذا الشكل حتى القرن التاسع الهجري ،

والأرجح أنهم عملوا به في هذا التاريخ أو بعده بشيء قليل . نستدل على ذلك ببيت جاء في قصيدة ترمي إلى الشيخ عدي بن مسافر سواء كان هو قائلها أم عزيت إليه، وهو:

وأبو مرة اللعين عزازيل أبي السجود فكينته بالرجيم

فهذه القصيدة وردت في كتبهم وكانوا يقرأونها ، وكانوا ينظرون إلى الشيطان كما ننظر نحن المسلمون إليه ، ويلعنونه كما نلعنه ، فاذا علمنا ذلك ، وعلمنا أنهم ظلوا على عقيدتهم هذه فيه ، وظلوا يسمونه باللعين وينعتونه بالرجيم طيلة العصرين السابع والثامن الهجري ، بدليل أن المؤرخين الذين بحثوا عنهم في هذين العصرين وعددوا عوامل الفساد التي دخلت عليهم لم يذكرنا أن عبادة إله الشر دخلت عليهم ، وأوجدوا الطائوس ورمزوا به عنه ، وجب أن نبحث عن كيفية دخول هذه العقيدة عليهم ، ومن الذي أدخلها ؟ فالتاريخ لم يبحث عن هذا ، وقد سكت عنه بالمرّة ، والذي يلوح لنا أن الذي أوجد هذه العقيدة ودعاهم إلى إتباعها ، هو أحد رجال البيت العدوي ، وعلى يده تم هذا الانقلاب العظيم ، وقد تم له بعد أن وجد عوامل الفساد تنخر فيهم ووجدهم على استعداد لتلقي ما يملئهم من المبادئ التي تأتي موافقة لميولهم . ففي تاريخ « جودة » التركي ذكر لشخص اسمه (الشيخ نجر) قال عنه أنه ظهر في سنجار ووضع هؤلاء القوم الشرائع الفاسدة التي أدت إلى انفصالهم عن الإسلام بالمرّة . إن المؤرخ التركي وإهم في هذا الخبر ، إذ إن هؤلاء القوم لم يقدوا إلى سنجار إلا وهم عاملون بهذا المذهب ، والشيخ نجر الذي ذكره ، هو أخو الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني ، واليزيدية لم تكن قد أخذت هذا الشكل على زمنه ، ولم يرد ذكر أحد من هذا البيت بهذا الاسم وظهر في سنجار في ما بعد .

إن أهم ما كان يرمي إليه هذا الشارع ، هو جعل هذا الدين محاطاً بالكتان لئلا يطلع عليه ذوو الأديان السائرة - لا سيما المسلمون - ويفسدونه عليهم ، ويعلم درجة إنكارهم له ، فيقول :

« احتفظوا بالعلم الذي يلقونكم إياه، ولا تبيحوا به قدام اليهود والنصارى والمسامين

وغيرهم ، لأنهم لا يدرون ما هو تعليمي ، ولا تعطوهم من كتبكم لئلا يغيرونها عليكم
وأنتم لا تعلمون .»

والذين يلقنونهم إياه ، هم خدامه الذين ورد ذكرهم ، وهم الرجال الروحيون ، وقد
رمى بهذا القول الى عدة مقاصد ، منها : إزامهم بأخذ واجباتهم الدينية من الرجال
الروحيين ، بعد ان أمرهم بالطاعة لهم ، حيث أدى الأمر الى اتساع نفوذهم وتصرفهم
بأمور الدين كيفما يشاؤون وتشاء مصلحتهم .

ومنها : تقوية روح الخلاف والتناكر بينهم وبين المسلمين حتى يكونوا دائماً في معزل
عنهم . فاذا ماتم لهم ذلك وانقطعت صلة التألف بينهم تمذر على المسلمين الاطلاع على
كتبهم .

يقول : « كانت جميع الكتب الموجودة بين الخارجين بدلوا فيها وزاغوا عنها ولو
كتبها الأنبياء والمرسلون .»

وفي هذا تحذير لهم عن الاطلاع على كتب الغير بحجة أنهم بدلوا فيها وحرفوها عن
أصلها ، ويعلم ان لو اطلعوا عليها لكان خطرهم عليهم عظيماً ولاختلت قواعده دينهم
وتصدع بنيانه . أما قوله في محل آخر : « كتب الأجانب من اليهود والمسلمين والنصارى
اقبلوا منها ما يوافق سننى وما يخالف لا تقبلوه لأنهم غيروا فيه » فليس فيه ما يفيد
سوى معنى التأكيد عليهم بنبذ هذه الكتب ، بعد ان يكونوا قد علموا انه ليس فيها ما
يوافق سننه ، وقد دخل عليها التحريف والتغيير والتبديل ولم تبق على أصلها ، وكيف
يتسنى لهم ذلك وقد أصبحوا جميعاً أميين باستثناء أفراد أسرته الذين أباح لهم التعليم
دون غيرهم ؟ .

يقول : « أنا أكافيه وأجازي نسل آدم بانواع أعرفها .. بيدي تسلط على جميع ما في
الأرض من فوقها ومن تحتها .. ما أقبل معاملة غير العوالم ، وما أمنع خير الذين جربتهم
وهم حسب سراي .»

إن وعده بمكافأة نسل عدوه الذى طرد من الجنة لأجله أمر فيه نظر ، والمسلمون
الذين يستعيذون منه صباح مساء لا ينتظرون منه عطفاً ولا جزاء ويمامون ان ذلك لم

يكن من خصائصه ، اما اذا كان قصد من (نسل آدم) شعبه الخاص فيجوز ان يتخذوا بهذه الوعود المسولة ويزدادوا به ارتباطاً ، وهو الذي بيده تسلط على جميع ما في الأرض من فوقها ومن تحتها وقد تفرد بالحكم ولم يقبل معاملة غير العوالم ، وقد أراد بغير العوالم الحق تعالى الذي لا يقدر على شيء دونه ! والذين جربهم وهم حسب مرامه هم الذين أخلصوا له ، ولا يمنع خيره عنهم .

يقول : « إن الذين يحفظون أسرارى ينالون مواعيدي ، والذين يتحملون المصائب لسببي لا بد ان أكافئهم بأحد العوالم » .

والقصد من حفظهم الأسرار هو عدم إباحتهم بشيء من الأحكام التي يلقنونهم بها خدامه ، وإخفاء كتبه عن الأجانب لئلا يطلعوا عليها ، ثم التجنب عن ذكر أسمائه وصفاته ، الى غير ذلك من المسائل التي لو اطلع الخارجون عليها لأفسدوا عليهم دينهم فهؤلاء الذين يحفظون هذه الأسرار هم الذين ينالون وعوده ، ثم ما أعظم المحن والمصائب التي لاقاها هؤلاء البؤساء من أجله ؟ وقد أصبحوا محقرين منبوذين بنظر العالم ، واستحل المسلمون دماءهم وأمواهم وأباحتهم ، وطبقوا هذا الحكم عليهم بضعة قرون . فلاجل ان لا يتسرب الضعف الى قلوبهم ويتحملون هذه المصائب بجهد وصبر أخذ على نفسه مكافئهم ، اما في الدنيا او بالآخرة وهو أعظم ما يتمنونه .

يقول : « أطيعوا ، أصغوا الى خدائي بما يلقنونكم به من علم الغيب الذي هو من عندي » .

وقد أراد هنا بخدامه ؟ (الكواجك) المختصين بخدمته والذين هم على اتصال دائم منه . إذ قد يتيسر لهم بنتيجة هذا الاتصال الاطلاع على أسرار الغيب على ما يمتقدونه ويدعونه . ومن هنا نشأ قيامهم بين الفينة والفينة بدعوى النبوة وتبليغ الاحكام التي كأنها وصلت اليهم من لدن المعبود الأعظم إما بطريقة الكشف او الرؤيا ، والملة من واجبها ان تصغي اليهم وتعمل بما يفرضونه عليهم .

وقد أراد بذلك حفظ هذا الدين من خلل يطرأ عليه ، على يد هؤلاء الكواجك الذين هم أشد غيرة عليه لما خصهم به من قرب ، وجعلهم له خداماً . ورؤساء الدين جميعاً

حريصون على بقاء هذا الدين ، ويعلمون انه بزواله يضيعون مكائهم وبجرمون من دخلهم الذي يأتيهم بلا تعب .

إن الشارع للدين البيدي - ليس مؤلف كتاب الجلوة الذي بيدنا - دل في وضعه هذه الأحكام على عقلية جبارة لا نجدها في أمثال ماني ومزدك وغيرها من أصحاب الشرائع الذين ظهروا في الشرق الأدنى وفي بلاد فارس ودامت ديانتهم عدة عصور ، إنه يمتاز عليهم بعمد نظره ، ووقوفه على ذهنية الشعوب التي كانت في عصره . ولو ظهرت ديانة ماني ومزدك في العصور الأخيرة ، لما قدر لها البقاء بقدر ما قدر لديانة هذا الشيخ العدوي . على ان الذين بقوا من اصحاب ديانة الشيخ العدوي بعد الاضطهادات والمذابح التي قلت عددهم لا ريب انهم سيبقون عما هم عليه الآن ، وسيحافظون على بقائهم ما لم يدخل عليهم إصلاح واسع من الناحية الاعتقادية والثقافية والعقلية .

وضع الشيخ العدوي هذا الدين ، لا لغاية الدين نفسه ، بل ليتخذنه سائماً للوصول الى أمانيه التي كانت تنزاحم في نفسه ، ألا وهي نيل الجاه والملك والسلطان ، ويلوح لنا أنه كان قد درس جميع الأديان التي ظهرت في الشرق الأدنى وبلاد فارس في مختلف العصور ، ووضعها في بودقة وهصرها واستخلص منها هذا الدين بعد أن مزجه بنظريات على جانب من الأهمية والخطورة ، لم يكن ليفكر بها غيره من واضعي الشرائع ، فعرف مدى تأثيرها على بقاء هذا الدين . ومن هنا ندرك سعة عقله وإدراكه ، ونحكم بأنه الرجل الفذ الذي ظهر في عصره . ولو قدر له البقاء لوقت آخر وتمكن من تطبيق جلوته - التي بقينا نجهل ما اشتملت عليه من أنظمة ومبادئ غير التي رأيناها - لعسر علينا إدراك مدى ذبوع هذا الدين بين الشعوب التي أظهرت استعداداً لقبوله ، ولأقبلت عليه الأقوام الفارسية واعتنقته ، وهي التي لا تزال تظهر حينئذ الى شرائع زرادشت ومزدك وماني وتود الرجوع اليها .

يذهب الناس الى أن ديانة البيديية ديانة سخيصة مجرد أصحابها من الكمال المطلق وانها تنزل بهم الى دركة العجاوات وغرضها الابتعاد عن التهذيب ، وهذا صحيح . والشيخ

العدوي لم يكن رائده وضع ديانة يدعو فيها الى الاصلاح والتهديب ، والدين الاسلامي قد كفل ذلك ، بل ايجاد ثورة نفسية جامحة بين أتباعه الذين وثق من إخلاصهم له ولأهل بيته ليقوي بهم عصيته ، ويتخذ منهم قوة هائلة جبارة تقف في وجه مخالفيه ليتيسر له الوصول الى أمانيه التي تعتلج في نفسه . ولم يطرق أحد من الكتاب والمؤلفين من شرقيين وغربيين في بحوثه عن الديانة اليزيدية دراسة هذه الناحية ، فمنهم من اتخذ البحث عنها وسيلة للتبشير بالديانة المسيحية والظعن بالاسلام ، ومنهم من بحث عن الخرافات والأساطير التي اشتملت عليها ، ومنهم من بحث عنها لغايات استعمارية . وهكذا أضاءوا أهم ناحية من نواحي البحث عن هذه العقيدة . وجدير بهذه الديانة أن تكون محل دراسة عميقة لتعرف منها الحالة السياسية والاجتماعية والشعورية التي كانت سائدة في العصور الوسطى للاسلام .

« العريضة التي رفعها لنيف من وجهاء اليزيدية في الشيخان »

« حول طلب اعفائهم من التجنيد الاجباري ، ثبتها »

« هنالما احتوته على اخبار هامة عن »

« معتقداتهم وأصول دياتهم »

كان اليزيدية الى قبل نصف عصر او أكثر يجتنبون عن مخالطة غير اليزيدي وبمحرمون على كتم مبادئهم عنه . وعندما أخرجتهم الظروف على رفع هذه العريضة الى الحكومة وكشفوا بها عن كثير من أسرار دياتهم ومعتقداتهم ، تلقتها الأيدي باهتمام زائد ، واتخذتها كوثيقة يرجع اليها عند البحث عنهم . ولذلك ما وجدنا أحداً من الباحثين عن هذه الديانة إلا وأتى بها ، ولكن بعد ان قدم فيها وآخر وحرفها عن مواضعها .

وقد اخترنا تعريب النسخة التي أوردها المستشرق الفرنسي موسيو (ف . نو) في مجموعة نصوصه لقرنها الى الصحة أكثر من غيرها ، فإنه بعد ان ذكر :

أن هذه العريضة كانت قد رفعت الى الاستانة بواسطة رؤف باشا والي بغداد وشيرها في ١١ آذار عام ١٢٨٩ مالية عثمانية (٢٨ شباط ١٨٢٧ م) قال : في زمن السلطان عبد العزيز (١٢٤٥ - ١٢٣٩ هـ) أتى أمير الآلاي طاهر بك (١) من استانبول لجمع (١٢٠٠٠) جندي نظامي من اليزيدية الداسينين ، فاستدعى الوالي أشرفهم وأسراهم وقرأ المرسوم السلطاني عليهم ، فطلبوا مهلة عشرة أيام لكي ينظروا في هذا الأمر ، وبعد انقضاء الأيام العشرة ، قدموا الى مقام الولاية عريضة قالوا فيها :

نحن أبناء الأمة اليزيدية حيث يتعذر علينا القيام بالخدمة العسكرية التي تكلفنا الحكومة بها ، نؤثر ان نقدم الى الحكومة المساعدة المالية عوضاً عن الرجال كبقية المسيحيين واليهود ، والأسباب التي تحول دون الخدمة العسكرية هي كثيرة نذكر منها أربعة عشر سبباً :

الأول : يجب على كل يزيدي ، كبيراً كان أم صغيراً ، امرأة أم فتاة ، ان يحج الى صورة « الملك طاؤوس » ثلاث مرات بالسنة ، أي في شهر نيسان وأيلول وتشربن الثاني ، ومن أهمل ذلك يعد غير مؤمن بالمذهب اليزيدي (٢) .

الثاني : اذا لم يزر اليزيدي قبر الشيخ عدي بن مسافر قدس الله سره ، ولو على الأقل

(١) ان فكرة تطبيق قانون التجنيد على اليزيدية ترجع الى المرحوم مدحت باشا عندما كان والياً على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى ايار ١٢٨٨) وان أمير الآلاي طاهر بك لم يأت من استانبول خصيصاً لهذه المهمة ، بل جاء من بغداد عندما كان رئيساً لاركان الجيش ، وقد أشار الى ذلك الكاتب التركي احمد مدحت افندي في كتابه (تاريخ اديان) بقوله :

« عندما كنا في بغداد كان اليزيدية يدعون بعدم وجود علاقة لهم بالاسلام وذلك قصد التخلص من الخدمة العسكرية ، فأرسل مدحت باشا قوة تحت قيادة المرحوم أمير الآلاي طاهر بك الذي ارتقى الى رتبة المشيرية لاجل ارغامهم على التجنيد » ،

ولم نعلم ما اذا كانت النتيجة أضعفوا عن التجنيد ام ارغموا عليه بناء على تنسيب وموافقة رؤف باشا .
(٢) ليس من الواجب على اليزيدي الحج الى صورة الملك طاؤوس (اي زيارة السنجق) بالسنة ثلاث مرات ، ولا يعد كافراً من أهمل ذلك ، وكثير من اليزيدية القاطنين في الاماكن البعيدة قد لا تنسب لهم هذه الزيارة الا نادراً ولم يخرجوا من دينهم .

مرة واحدة في السنة (١٥ - ٢٠ ايلول) يكون غير مؤمن عندنا (١) .

الثالث : يتحتم على كل يزيدي ان يفتش له كل صباح عند شروق الشمس على محل منزو بقدر ما يرى منه نور الشمس ويسجد له ، ولا يجوز ان يكون هناك مسلم أو يهودي أو مسيحي ولا غير مؤمن ، وإن أهمل ذلك يعد كافراً .

الرابع : يجب على كل يزيدي ان يقبل يد أخيه الأبدي او خادم المهدي ويد شيخه وبيره (رئيسه) واذا ترك ذلك يعد كافراً (٢) .

الخامس : هذا أمر لا تجوزه شريعتنا : لما يبدأ المسلمون بالصلاة صباحاً يقولون « أعوذ بالله من اه » فإذا سمع أحد منا هذا وجب عليه إما ان يقتله او يقتل نفسه واذا لم يفعل ذلك يعد كافراً (٣) .

السادس : لما يموت أحدنا يجب ان يحضر موته أخوه الأبدي وشيخه وبيره ، وأحد القوالين يقول له هذه العبارة « أنت أيها الساجد لملك طاؤوس تموت في الايمان الموجود عليه الذي تعبده ، أعني الآله السامي طاؤوس ملك لا في ايمان آخر . واذا أنك أحد وقال لك في الاسلامية والمسيحية واليهودية او في ديانة اخرى لا تؤمن به ولا تتبعه لانك اذا عرفت ديانة أخرى ما عدا ديانة (طاؤوس ملك) الذي تسجد له وتبعتها تموت غير مؤمن » (٤) .

السابع : عندنا ما ندعوه ببركة الشيخ عدي وذلك هو التراب الذي نأتي به من قبر الشيخ عدي ، فكل يزيدي لم يحمل من ذلك التراب شيئاً معه ، ولم يأكل منه عند كل

(١) اذا ما قولهم في اليزيدية القاطنين اطراف حلب وديار بكر وماردين وبديليس ووان وبلاد الروس ولم يزر واحدهم قبر الشيخ عدي في حياته ولا مرة واحدة ، هل يكونون غير مؤمنين ؟ ام ان هذه الشريعة مختصة بيزيدية الشيخان وحدهم ؟

(٢) يعد اليزيدي آثماً - لا كافراً - اذا عرض عن تقبيل يد شيخه وبيره عمداً وقصداً . اما اذا كان اعراضه عن سهو وغفلة فلا أم عليه . اما تقبيل يد اخيه الأبدي فلم يكن واجباً .

(٣) لقد بالغوا فيه كثيراً ولو كان الامر كما ذكروا لوجب ان لا يمضي يوم الا وحادثة قتل مائة امامنا .

(٤) هذا صحيح ولكن كثيراً ممن لم يحضروا شيخهم وبيرهم ويلقنهم بهذه الكلمات عندما يدر كهم الموت هل يموتون على غير دينهم .

صباح يعد كافرآ . واذا مات أحد منا وليس معه من هذا التراب المبارك فيموت كافرآ
ايضا (١) .

الثامن : يجب على الذين يقومون بفريضة الصوم ان لا يصوموا إلا في وطنهم ولا
يجوز لهم الصيام في محل آخر لانه يتحتم على كل واحد منهم في صباح كل يوم من
الصوم ان يذهب الى بيت شيخه أو بيره وهناك يبدأ في صومه ويحبل صومه مساء في
بيت أحدهما حيث يشرب خمر شيخه أو بيره المقدس واذا لم يشرب كأساً او كأسين لا
يقبل صومه ويعد كافرآ (٢) .

التاسع : اذا سافر أحد أبناء الملة اليزيدية الى بلدة غريبة وبقي فيها على الاقل سنة
ثم يعود الى وطنه فلا يستطيع ان يعيش مع زوجته ثانية ولا يعطيه أحد منا امرأة ،
واذا فعل أحد منا ذلك يعد كافرآ (٣) .

العاشر : من حيث اللباس ، فكما قلنا في العدد الرابع ان كل واحد منا له أخ الأبدية
وله أيضا أخت الأبدية ، ولما يخيط أحد منا قميصه لا يجوز ان يثقب الرقبة إلا أخت
الأبدية بنفسها ، واذا لم تفتح هي ذلك لا يجوز لبس القميص ، واذا لبسه يعد كافرآ (٤)
الحادى عشر : اذا صنع أحد اليزيدية قميصاً له او شيئاً جديداً ولا يغسله في الماء
المبارك الذى هو في محراب الشيخ عدى لايجوز لبسه ، واذا فعل ذلك كان غير مؤمن (٥)

(١) لو صح هذا الشرط لنفذ التراب الذي في مرقد الشيخ عدى وأصبح هاوية لا يدرك غورها. ومع
هذا فكثير من يحمل بنادق صغيرة معمولة من هذا التراب لاجل البركة ويتخذها يزيدية سنجار أداة لتوثيق
الصالح وبالعكس كما مر بنا .

(٢) لا صحة لهذا الشرط اصلا ، واليزيدي لا يعرف (الحجر المقدس) ولا يشربه . والحجر محرم عليهم
ايام الصيام بصورة مطلقة ، والعادة ان يدعو المريدي شيخه او بيره للافطار عنده وليس بالعكس ، وهي ليس
بعادة محتمة .

(٣) ليس كذلك . والقاعدة ان للمرأة التي يغيب عنها زوجها اكثر من سنة، الحق في ان تزوج
من غيره . وهي ليست قاعدة الزامية ، ويجوز ان تنتظر أوبته ولو بعد اكثر من سنة ولا ترضى بديلا
بغيره لا سيما اذا كان لها اولاد منه . ولا مانع للرجل الذي يتخذ زوجته زوجا آخر ان يتزوج من جديد
وما قالوه لم يكن صحيحاً .

(٤) فكيف اذا لم تكن اخت الأبدية حاضرة ويريد اخوها ان يصنع له قميصاً وهو بحاجة اليه؟ ولماذا
يستعملون الاقمصة الفرنجية المثقوبة رقبته ولم تفتحها يد الاخت الابدية ؟ وهل يعدون كفارآ ؟

(٥) تغسل الاشياء التي يعتقد باستعمال المسلم لها كالوسى والملقعة وغير ذلك ، اما بقية الاشياء فلا .

الثاني عشر : لا يجوز عندنا اتخاذ الألبسة الزرقاء ، ولا نستطيع ان نمشط رأسنا بمشط مسلم أو مسيحي أو يهودي ، ولا نستطيع ان نخلق رؤوسنا بموسى غير مؤمن ، إلا اذا غسلناه بماء الشيخ عدى المبارك ، واذا لم نفعل ذلك نكون غير مؤمنين .

الثالث عشر : لا يجوز لليزيدي ان يدخل المراض والحمام ، ولا يسوغ له ان يستعمل ملعقة او كأساً قد استعمله مسلم او غير مؤمن (١) .

الرابع عشر : أما بخصوص القوت ، فالبون عظيم بيننا وبين المذاهب الأخرى ، فأننا لا نقدر ان نأكل السمك ولا القثاء ولا البامية ولا القرع ولا الفاصولية ولا الملفوف ولا الخس (٢) .

رئيس الملة اليزيدية الرئيس الروحاني للملة اليزيدية رئيس قرية مام رشان رئيس قرية يبيان

أمير الشيخان في ناحية الشيخان سليمان حسين

حسين شيخ ناصر

رئيس قرية خطارة رئيس قرية موسكان رئيس قرية دهكان رئيس قرية خورزا

أيوب مراد حسن زرمو

رئيس قرية باقصرة رئيس قرية خوشابا رئيس قرية بعشيقه رئيس قرية كاباره

علي الياس علو كوجك كسو

رئيس قرية سيدنا رئيس قرية عين سفنى رئيس قرية كبرتو رئيس قرية قصر يزدين

عبدو كركو طاهر شيخ خيرو

إن هذه المسائل التي احتج بها جماعة من يزيدية الشيخان وعلى رأسهم الأمير حسين بك والرئيس الروحاني للملة اليزيدية الشيخ ناصر بأنها مانعة لقبولهم التجنيد ، لم تكن لتعبر تعبيراً صادقا عن معتقداتهم وقد بالغوا فيها قصد أن يضطروا الحكومة الى عفوهم

(١) لا جدال في انهم كانوا قبلا يجرمون دخول المراض والحمام ، ولكن بعد ان اخذوا يكثرن التردد الى الموصل والاختلاط بالمسلمين عدلوا عن هذه العادة . اما تحريمهم الكأس والملقعة التي يستعملها المسلم فلا صحة له ، ولو كان الامر كذلك لما اكلوا ولا شربوا في بيوتنا طيلة ايام السنة ولا دخلوا المطاعم والمقاهي وشربوا الشاي والقهوة هم والمسلم والنصراني واليهودي في فنجان واحد وقدر واحد .

(٢) اما الخس والملفوف محرمان عليهم حقيقة ، والسمك والفاصولية والقرع فيحرمهم اناس قليلون ، واما بقية الاشياء فيزرعونها وبأكلونها جميعاً دون استثناء .

عن الخدمة العسكرية وأخذ البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسامة ، وكانت الحكومة تشدد الخناق عليهم لقبول الخدمة العسكرية ولم تعترف بأنهم خارجين عن الاسلام .

وقد كان الاصرار الذي تبديه الحكومة في إرغامهم على قبول الخدمة العسكرية في نصف العصر الاخير في حكمها في العراق من أعظم المشاكل التي لاقوها في حياتهم . فألف نوري باشا الكريدي في ولايته على الموصل رسالة عن معتقداتهم وأصول ديانتهم سماها « عبدة ابليس » أوضح فيها الموانع التي تحول دون قبولهم الجندية ، وبرهن على ضرورة أخذ البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسامة ، وطبع هذه الرسالة في مطبعة الولاية (١) وبعث بها الى رجال الحل والعقد في اسطنبول بغية انزالهم عند هذه الفكرة ، فلم يلق نجاحا . وقد كثرت الأقوال في المحافل الرسمية عن الأسباب التي دعت هذا الوالي الى وضع هذه الرسالة ، وانتقد عليها .

(١) طبع منها اربعون نسخة في مطبعة الموصل سنة ١٣١٩هـ بصورة سرية كتب عليها « ولاي سلطنة سنهيه » تقديم اولئق اوزرة بالكز قرق نسخة موصل ولايت مطبعه سنده طبع اولئشدر » وقد اعاد طبعها (جلال نوري) السكاتب المشهور في مطبعة جهاد في اسطنبول وهي متداولة بالايدي .

﴿ فيما أخذته الديانة الزيدية من اعتقادات ومبادئ ﴾

﴿ من الأديان السائرة ﴾

يدعي أكثر الباحثين أن الديانة الزيدية ملفقة من مبادئ أديان مختلفة كاليهودية والمجوسية والنصرانية والذي لفقها شيوخهم الذين قاموا بأمرهم . وينسبون ذلك إلى الشيخ عدي بن مسافر الذي يعتقدونه كافر ملحد ليس مسلماً . كما أن البعض يرجعونها إلى النصرانية ، ويدعون أنها بعد أن خرجت عن النصرانية دخل عليها هذا التلفيق ، وأن الإسلام هو واحد من الديانات التي شاركت فيه الديانة الزيدية . وسيرى القاري في إجماعنا الآتية أننا ننكر بشدة كل ما يقال عن دخول عناصر أديان مختلفة على هذه الديانة حاشا للديانات التي تقول بالثنوية والتناسخ والحلول . وقد ترجع بالأصل إلى هذه الديانات وطابعها لا يزال ظاهر عليها ، ونعني بالديانات التي تقول بالثنوية : المجوسية ، والمناوية والمزدكية ، ولنشرح باختصار معتقدات هذه الديانات وما أخذته الديانة الزيدية منها .

ونقدم البحث عن الديانة البرهمية وهي وإن لم تقل بثنوية الآلهة ولكنها تعتبر الأصل لهذه الديانات ومنها ظهرت الزرادشتية التي ترجع الزيدية إليها .

﴿ البرهمية ﴾

ترجع البرهمية إلى العصور الأولى حيث انتشر العنصر الآري على ضفاف البنجاب وأحساء الهند ، وهي مؤسسة على تمجيد القوى الطبيعية التي سحرت « الهندو » بمظمتها وجلالها وترمي إلى حياة الزهد والتقشف ، والتجرد عن الهوسات واللذائذ ، وتقريب الروح إلى الفضيلة ، والتفرغ إلى العبادة . وقد كان من تمجيدها قوى الكون وافتتانها بمظاهر الطبيعة أن اتخذت لكل ظاهرة معبوداً هو القائم بتوليد تلك القوة أو المثل لها ، وهي قائمة به . ولم تكن منزلة الآلهة ثابتة ومستقرة ، بل تتغير وتتدرج نحو الارتقاء بالنسبة إلى الظاهرة التي ينالونها . فمثلاً أن الآلهة « آغني » لم يكن في بدء أمره أكثر من إله للنار فلهذا ظهره في مراسم تقديم القرابين أصبح من الآلهة

الذين توقد لهم النيران في المعابد وعادل المعبود « آندرا » في الاعتبار والمنزلة، وأخذت مكانته تتعالى تدريجياً حتى اعتقدوا انه أصبح إله النور المرئي في الرعد والبرق والشمس والقمر ، وأخيراً اعتقدوا انه القوة العظمى المولدة لهذه الكائنات ، القوة المولدة لكل . أما الآله الذي تتمثل فيه الألوهية المطلقة فهو « برها » مصدر التجليات الكونية ومد كافة الآلهة بقوته الفياضة ، ويسكن الآن في أعلى شاهق في جبل (هالايا) في المكان المسمى « بمر المقدس » وهو محاط من جميع جوانبه بالبحر والنور .

والآثار التي أوجدتها البرهمية دينية كانت أم فلسفية وأدبية ، تعد من أرقى المدونات التي ظهرت في تلك العصور . وقد كان لسانهم السانسقريتي ميداناً خصيباً لكثير من سوانح الأفكار العالية ، ولا تزال الآثار التي كتبت بهذا اللسان تحافظ على موقع استثنائي بين الألسنة القديمة ، ويتعذر حصر الآثار التي عبرت عن سوانحهم المذهبية واحصاء الكتاب الذين نبغوا بينهم ووضعوا كثيراً من الأشياء الغزلية والحكايات المنظومة الفلسفية والحقوقية وغيرها . وتقتصر البحث على كتب « وهدا » المقدسة المعول عليها في المسائل المذهبية والاعتقادية والاجتماعية لما لها من العلاقة بهذا البحث .

تنقسم كتب (وهدا) الى أربعة أصناف :

- (الأول) المنظومات والقصائد التي تتضمن المناجاة ويقال لها : ريف - وهدا
- (الثاني) المقاطيع المحررة على الاسلوب النثري ويقال لها : باجور - وهدا .
- (الثالث) المقاطيع الغنائية وهي التي تكون على شكل الهيات وتسمى : ساما - وهدا .
- (الرابع) المنظومات المختلفة ويقال لها : آثاروا - وهدا .

وجميعها كتبت بأسلوب شعري بديع يسحر القاري برفقه وبلاغته ، فمن ذلك ما جاء في ارتقاء الروح الانساني وهبوطه وتصفيته من دنس الآثام والمعاصي أثناء انجذابه الى قانون التناسخ :

« ان الأرواح المتصفة بالحسنات تنال الصفة الروحانية ، والأرواح المغلوبة لهوساتها الخسيسة والمنغمسة في ظلماتها الكثيفة تتقمص الروح الحيواني مع بقائها محافظة على صفتها الانسانية » .

ومنها ما يدل على خلود الروح الذي يعتقدون أنه يصعد الآله (آغنى) إله النار حيث
نشأ منه أصول احراق الأموات ، قال موجهاً خطابه الى آغنى :
« فلتذهب العيون الى الشمس ، والنفس الى الهواه ، ولترجع بقية أقسام الوجود ،
ما يعود الى السماء ، الى السماء ، وما يعود الى الأرض ، الى الأرض ، ولكن في هذا
الموت يوجد شيء غير قابل للفناء ، يا آغنى ! ان ذلك يحتاج الى أشعة نورك ، ألا توصله
الى ذوى الحسنات ؟ .. »

وجاء في البحث عن الجحيم :

« يدخل أرباب المعاصي (تاميسرا) وغيره من المحلات المرعبة المخوفة ، ويعذبون
في غابات ورق أشجارها من السيوف ، ويعرضون لصنوف المحن والآلام ، وتأكل
لحومهم الطيور الجوارح ، ويمشون على الرمال المحرقة ويلتهمون النار ويلقون فيها الى
ان تنضج لحومهم ، ويلاقون أشد العذاب ، وبعد ان تصفو أرواحهم من أدران
الخطيئات التي ارتكبوها في تلطيف حواسهم بالاذواق الشهوانية ترقى الى الملاء الأعلى »
ومنها ما جاء في الاعتراف :

« اذا اعترف صاحب المعصية بمعصية وأعطى الصدقة وأظهر ندامة علناً يحق له ان
ينال العفو والمغفرة » .

ومنها ما جاء في تمجيدهم الشمس التي يعبرون عنها باسماء كثيرة منها (سوريا) :
« تملأ أشعتها السماوات وترفع رأسها أمامها بكل عظمة وجلال وتظهر بهجتها ومهابتها
أمام الآلهة والبشر وتزيدهم حيرة وخشية .

أيها المعبود الممتاز بالحماية والصيانة ، ومانح البهجة والسرور ! أنت الذي تملأ بنورك
الصافي هذه الأرض التي يتجول عليها الانسان ، والفضاء اللذين تنتمش حياته فيها ،
لحة من نظرك المملوء بالنور تشمل جميع الموجودات » .

وأهم ما في القوانين البرهمية تقسيم تابعيها الى طبقات أربع رئيسية ، فقد جاء في أحد
هذه القوانين وهو قانون « مانو » :

« خلق الخلق من فمه ، ومن ساعده ، ومن نخذه ، ومن رجليه قصيد المحافظة على تمام

الخلقة واختص كل واحد من هؤلاء بوظيفة دون الآخر .
« فتعلم كتب ال (وهذا) المقدسة وقرائتها وتعليمها للصفوف المنحطة ، وتقديم القرابين
الى الآلهة هو من اختصاص (القشاتريا) الذين يعبرون عنهم بالمحاربين وهم في نفس الوقت
محظور عليهم الاستسلام لهوساتهم النفسية .
« والرفق بالحيوانات ، وبذل الصدقات ، وذبح القرابين ، وقراءة الكتب المقدسة ،
والتجارة ، والمراجم ، وحرارة الأرض واستدراار خيراتها ، من اختصاص الطبقة المسماة
- وايسيا - .

« وخص الحق وظيفه واحده بالصنف المعروف (بالسودرا) وهي خدمة الصنوف
الثلاثة السالفة الذكر .
« ويوجد صنف آخر يقال له (البارياه) وهو أحط هذه الصنوف ويعبر عنهم بالمنبوذين
يحتفون الحقيير الذني من الأعمال ، وينظر الآخرون اليهم بعين ملؤها الاحتقار
والازدراء .

وتنحصر حياة البراهميين في أربعة أدوار ، ويقال لكل منها « آراسماس » .
الدور الأول هو الذي يستمد البرهمني فيها الفيوض المعنوية من أستاذه ويقراً عليه
الكتاب المقدس (وهذا) ويقال له « قرين براها » .
والدور الثاني هو الذي يدخل البرهمني فيها الحياة الزوجية ويقال له « غريماستا » .
والدور الثالث هو الذي يتجرد فيها عن الحظوظ النفسية ويتجول في الصحاري
والغابات حياته لمطالعة الآثار الآلهية ويقوم بواجب العبادة ويقال له « دانا پراستا » .
والدور الرابع هو الذي يحطم فيها القيود المذهبية ويحصر بقية حياته في السعي وراء
إدراك القوة الآلهية ويقال له « سانياسين » او « ييفشو » .

ورغم ما تنطوي عليه البرهمية من غايات سامية وشريفة وترمي الى حياة الزهد والطاعة
وتقريب الروح الى الفضيلة ، فان الانقسام الذي أوجدته في المجتمع الهندي ، وفصل
بعضه عن بعض بفروض وتقييدات دينية صارمة دعى الى انحطاطه مادياً وأديباً وأبعده
عن الحرية الصحيحة ، وقد أصبح بنتيجة هذا الانقسام متقاطعاً فيما بينه ، وليس لأي

شخص ان يمزج او يخلط بمن هو أقل من طبقة فان ذلك يعد تنجيساً له .
هذه هي الديانة البرهمية والمباديء التي ترتكز عليها ، وأهم ما هو ظاهر منها في
« اليزيدية » تقسيمها تابعيها الي طبقات مختلفة وتقييدها كل طبقة منها بقيود شديدة
صارمة ، ولكنها زادت عليها إن أوجدت في الطبقة الممتازة التي ممتهم بالشيوخ والبيرة
جزءاً آالياً وفرضت على طبقة العوام - أي المريدين - الاتقياد لهم كاتقياد العبد
لسيده والخلوق لخالقه ، وأوجب عليهم ان يشاركوهم في ثمار سعيهم وان لا يتحدثوا عنهم
بما لا يتفق وكرامتهم . والبراهمة لم تصل بقيودها التي وضعتها لطبقة « السوراه » الي
هذا الحد . ولم تعمل بها الزرادشتية ولا غيرها من الأديان القريبة منها . وليس من شك
أن جعل السواد الأعظم من هذه الطائفة منقاداً الي طبقة الروحانيين يأمر بأمرهم وينتهي
بنواهيهم ، ومحظوراً عليه التزاوج معهم ويكون أحدهم دائماً مهدداً بخطر (التحريم)
الذي يصدره زعيمه الديني بحقه فيحرمه من حقوقه الدينية والمدنية ويفقد مركزه
الانساني .. قانون قاس ليس أقسى منه في كافة الأديان !

وإذا كان « السوراه » أخذوا يدعون الآن بحقوقهم الدينية والمدنية ويريدون
رفع هذه الوصمة عنهم ، فاليزيديون على العكس من ذلك فهم لا يريدون أن يتخلى
روحيوهم عنهم حال كونهم هم المسخرون لخير وسعادة أسيادهم .
وقدلت اليزيدية البرهمية في اتخاذ معبود أعظم على شاكلة (براهما) وهو (طاؤوس
ملك) الذي اعتقدت انه الآلهة السامي المتصرف بشؤون الكون ، وقد حمل وجوده في
آلهة أحط منه درجة يأتمرون بأمره ويديرون شؤون الكون حسب إرادته ومشيئته
وهو حاضر في كل مكان وزمان .

وأخذت منها عقيدة التناسخ وخلود الروح وتقديس الشمس والسجود لها ، واعطاء
الطيرات والصدقات للتكفير عن الذنوب وغير ذلك من العقائد ، وكان أخذها هذه العقائد
منها من طريق الزرادشتية التي سبقتها فيها وأصبحت هذه عقائد تعد زرادشتية محضة
واليك الكلام عن الزرادشتية :

﴿ الزردشتية أو الزرادشتية ﴾

كانت هذه الديانة منتشرة في جميع بلاد فارس وما حولها وقد اتبعها الملايين من البشر زهاء أحد عشر قرناً (٥٢٠ ق.م - ٦٤٢ م) إلى أن ظهر الإسلام ، وهناك أقل نجمها وسُحقت نيرانها ولم يبق لها أثر إلا في بعض أنحاء فارس النائية وبلاد الهند ، ولا يزال حتى الآن طائفة منهم في مدينة (بمباي) يسمون بالبارسي . وحسبما دل عليه البحث أن هذه الديانة كانت موجودة قبل ذلك زمن بعيد ، وقد دخلت في شكلها الأخير على أثر ظهور « زردشت (١) » المارق من الديانة البرهمية حيث كان قد ذهب إلى مدينة « بلخ » وأذاع هذه الديانة ووضع كتابه (آفستا - الأبتاق) (٢) المحتوي على كثير من

(١) إن حقيقة زرادشت لم تتحقق تماماً ولم يتأكد متى ولد وكيف عاش ومتى ألف كتابه الـ (آفستا) ، فالأخصائي الشهير في العقيدة الزردشتية المترجم يقول : إن زرادشت ولد في النصف الثاني من القرن السابع (ق.م) وتوفي في النصف الأول من القرن السادس (ق.م) . والروايات الزردشتية تفيد أن زردشت ولد في القرن السابع (ق.م) وشرع في بث تعاليمه ونشر ديانته على شواطئ نهر (أرمية) حتى مات .

وفي تاريخ الشرق الأدنى القديم (ص ٥٥٥) إن زرادشت ولد سنة ٥٩٩ (ق.م) تقريباً ، وفي أيام صباه صدر منه بعض معجزات وخوارق مما أدى إلى أن قصد الكهان والسحرة اغتياله ، ثم اعتزل الناس وأنزوى عنهم في محل مهجور ، واخذ في رياضة النفس . وفي الثلاثين من عمره دعى الناس إلى معرفة الله وعبادته ، فلم يستجب لدعوته إلا القليل ، فأوحى الله إليه أن يهاجر إلى (بلخ) فنشر دعوته في بلاط الملك فاستجاب له أولاً أبناء الوزير ثم للملكة نفسها ، وقاومه رجال البلاط ثم انتصر عليهم بدخول الملك نفسه في دينه ، وقد تحمس الملك - وهو يتناسب - لهذا الدين الجديد فتابع الناس للدخول فيه .

وقد اختلف الباحثون في تعيين عقيدته « فيرى كثيرون أنه تنوي كما يدل عليه ظاهر كلامه ، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض كتاب الفرع ومنهم من كتب في دائرة المعارف البريطانية في مادة (زرادشت) ومنهم من يرى أنه موحد وإلى ذلك ذهب الشهرستاني والفلقشندي في صبح الأعشى وغيرهما . ويقول الأستاذ هوج : (إن زرادشت كان من الناحية اللاهوتية موحداً ومن الناحية الفلسفية تنويًا) ولعله يريد بقوله هذا أنه من ناحية العقيدة الدينية كان يرى أن للعالم آلهة واحداً ، ولكن إذا تعرض لشرح فلسفة العالم وما فيه من خير وشر يطاحنان وما إلى ذلك فهو تنوي يرى أن في العالم قوتين « - فجر الإسلام - (٢) يقال إن شرحه المسمى (زند أبتا) كتب على اثني عشر الف جلد بالذهب وفيه وعد ووعد وأمر ونهي وغير ذلك من الصرائع والعبادات ، وكان محفوظاً في مدينة اصطخر (برسه بوليس) - أحرق الاسكندر قسماً منه بعد انتصاره على دارا وقد قسم منه - وبعد ظهور الإسلام عثر عليه أحد علماء المشرقيات فترجمه من اللسان البهلوي إلى اللسان العربية .

وفي مروج الذهب (ص ١١٠) ما يدل على أن اسمه كان معروفاً عند الإسلام ، وكان المجوس قد -

التعاليم التي يقال أنه كان ملهماً بها .

وإذا كان هذا الدين أخذ يميل الى الاندساس في بلاد فارس بزوال الدولة الفارسية ، فان أثره كان لا يزال باقياً بين كثير ممن اعتنقوا الإسلام من الفرس في العصور الأولى للإسلام . وقد أرادوا أن يجعلوه أداة هدم وتقويض للعبادي . الاسلامية ليتسنى لهم ارجاع ملكهم المضاع ومجدهم المندرس ، فتغلغل مبادئه في المعتقدات وأثرت على العقول والأوهام وظهرت آثارها في بعض المذاهب الدينية وبين المتصوفة وامتزجت في العقائد العامة من المسلمين .

وتتلخص ديانة (زردشت) بان العالم تحكمه قوتان : قوة الخير ، وقوة الشر ، فالأولى تتمثل في الآله « آهورامزدا » وهو منبع خلال الخير كالنور والجمال والفضيلة والصحة والخصب والرخاء ، والثانية تتمثل في الآله « اهرمن » أو « دروج اهرمن » وهو مصدر الشر كالظلمة والوباء والموت والجذب والفقر والكذب والرياء والحسد وكل رذيلة . وهاتان القوتان تتجاذبان الانسان في حياته ، فان اتبع أعمال الخير وعمل عملاً صالحاً وطهر بدنه ونفسه فقد أخزى إله الشر واستحق الثواب من مزدا ، وإلا قوى روح الشر وأسخط عليه مزدا . ولذا فقد أوجب (زرادشت) على كل انسان السعي في إصلاح الأرض واستثمارها ، والتوفي عن الأوساخ والأدران ، واتباع الصدق في الفكر والقول والعمل ، والبعد عن الكذب وتزويه النفس عن معائب السرقة والخديعة ، والاستهزاء بالناس والازدراء بهم ، والاجتناب عن بث العقائد الفاسدة والدين غير الصحيح . وأفهم أن للانسان حياتين : حياة أولى في الدنيا ، وحياة أخرى بعد الموت ونصيبه في حياته الأخرى نتيجة أعماله في حياته الأولى .

اما من حيث العبادة فقد أمر أتباعه بالاستغانة بذوي الأرواح الصالحة والاستعانة

عملوا للابستا تفسيراً عندما عجزوا عن فهمها وسموا التفسير زندا ثم عملوا للتفسير تفسيراً وسموه بازندا ثم عمل علماءهم تفسيراً لتفسير التفسير وسموه بارده . ولم يعرف الناطقون بالعربية شيئاً عنه بالتفصيل لانه لم ينقل الى لسانهم .

ويقتفل الان صديقنا الدكتور داؤد بك الجلي بنقل (الوندباد) ام كتب الابستا - الى العربية عن الفرنسية والفارسية ينتهي قريباً منه .

٣٣ لكي يقسى لهم كبح جماح آله الشر والتخلص من شروره ، ودعاهم الى عبادة النار لأنها العنصر المقدس الذي تبتد به الظلمات وتطرد الاجنة والنفاريت وجعلها أكبر عبادة لهم ، ولهذا الغاية أنشأوا بيوتاً عظيمة في كثير من أنحاء فارس يوقدون فيها النيران على مدى الدهور والأعوام ويقربون اليها القرابين لتشملهم بعنايتها .
هذه هي خلاصة المباديء التي تسير عليها الديانة الزردشتية المجوسية ، فبأي منها شاركتها اليزيدية ؟ شاركتها :

«اولاً» في الاعتقاد بوجود آلهين أحدهما للخير والآخر للشر ، إلا أنها خالفتها باتباعها آله الشر والعمل على إرضائه لاعتقادها أنها في مأمن منه لأنه هو رؤوف رحيم . وقد أخذت هذه العقيدة من « المأبوبة » التي خالفت الزردشتية فيها .

«ثانياً» شاركتها في عقيدة التناسخ ، وهو المبدأ القائل بخلود الروح وتنقله من نوع الى آخر حسبما تقتضيه سيرته وأعماله ، ويتلخص هذا المبدأ عند اليزيدية بان الارواح منها صالحة ومنها غير صالحة ، فالارواح الصالحة بعد ان تقضي مهمتها في حياتها الاولى تنتقل الى أحد ذوي الصلاح والخير من الانبياء والمرسلين ثم تصعد الى الفردوس الأعلى حيث تستقر في محل المداها . والارواح غير الصالحة تنتقل الى أجساد البهائم الخسيسة والسخرة الممتهنة بالذبح لكي تنال جزاءها وتعود الى حياة الدنيا ثانية وثالثة ورابعة لئلا تمتحن بأعمالها فان أقلعت عن ذنوبها وآثامها وسلكت الطريق الموافق لمراضى المعبود الاعظم وبقية الآلهة بحق لها الالتحاق بزمرة الصالحاء وتحظى في الدار الآخرة بالنعيم المقيم .

ولم يكن الجزاء المد للارواح غير الصالحة عندهم ينحصر في تنقلها في صنوف الحيوان فقط ، بل قد تسقط في الدرك الاسفل من الجحيم وتلاقي هناك ألوان العذاب الى ان تتصفي من درن الخطيئات التي اقترفتها .

وبما لا مشاحة فيه ان إتباع اليزيدية هذا المبدأ هو الذي ساقهم الى دعوى الارتقاء في تاريخهم الى الأزمنة المتوغلة بالقدم حتى قالوا ان جميع ذوي الارواح الصالحة من الانبياء والمرسلين وأهل الصلاح والتقوى كانوا على شريعتهم وقد إختصهم الآله السامي

بالقرب منه ، وقد ساقهم هذا الاعتقاد الى تصديق كثير من الحوادث التاريخية كالطوفان والقاء ابراهيم الخليل بالنار ، وقصة يوسف الصديق ، وحادثة المسيح ، وتخريب البيت المقدس ، وجلاء العبرانيين الى غير ذلك .

يقول البحاثة الانكليزي لا يارد : « ويعتقدون ان المسيح هو من الشيعة اليزيدية ، وكان ملكاً عظيماً ويصدقون بالتوراة ويقولون ببعض الحوادث التاريخية ، ويحترمون العهد الجديد والقرآن ، ويقولون بنبوة محمد ، ويعتقدون أنه من الآباء الاقدمين كابراهيم ، ويقولون ان المسيح سينزل الى الارض ويملكها ، وسيظهر بعده المهدي وسيكون له سلطة خاصة (١) ويحكم الشعوب التي تتكلم بالكرديّة وهم الطائفة اليزيدية » (ثالثاً) أخذت منها مبدأ عبادة النار وعده عنصراً مقدساً ، واليزيدية لم يكن لديهم بيوت للنار يوقدونها فيها على عمر الأعصار والدهور كما هو عند المجوس ، ولكنهم اقتصروا على ايقادهم السرج والقناديل على قبور أئمتهم وأولياءهم طيلة أيام السنة ، وإشعالهم النيران ليلة عيد « البيلنده » في بيوتهم واصطبلاتهم ونواديهم واجتماعهم حولها وتبركهم بها وتمسحهم بلبسها .

(رابعاً) أخذت منها الاستغانة بالأحياء والأموات من الرجال الصالحين وتقديم الخيرات والندور والصدقات لهم ليشملوهم بعطفهم ويميدوا أرواح الموتى منهم الى الحياة الدنيا ظاهرة نقية ليتسنى لها الصعود الى الملكوت الأعلى وتدمع بما أعده الآله السامي لها من النعيم المقيم .

(خامساً) شاركتها في تقديس الشمس وتمجيدها والسجود لها عند أول بزوغها ، وتقبيل الأرض عندما تلتقي أنوارها الذهبية عليها . وعبادة الشمس هي من أكبر مظاهرهم وقد يعمل بها حتى الأطفال منهم .

(سادساً) شاركتها في إقامة الشعائر الدينية للموتى إيناساً لأرواحهم ، وفي تقديم النعائر والقرابين الى آلهتهم ليساعدوهم على قطع مراحل التنقل في الأجساد الأجنبية ، وينزلوهم منزلاً كريماً ويحسنوا لقاءهم في الدار الآخرة .

(١) كلها اوهام واليزيدية لا يقولون بها .

ان اشتراك اليزيدية في هذه العادات المجوسية ، لم يكن - كما قلنا - حصل عرضاً ، او دخلت عليهم من طريق آخر ، او عادات تصوفية أساؤوا فهمها وحولوها الى هذا الشكل ، بل هي من أساسات دينهم قبل إسلامهم ، ومن سوء الحظ أنهم بعد ان دانوا بالاسلام وحسن إسلامهم ، عبث بهم دعاة السوء وشوشوا عليهم إسلامهم وجعلوهم يرجعون الى الوراثة ويصافحون زرادشت من جديد ويتبعونه يوماً ما ، بعد ان أخنى الدهر على ديانتهم . والزمان كفيل بإيقاظهم من غفلتهم ورجوعهم الى أحضان أمهم الرؤوم بعد ان أعقوها زمناً وأساؤوا اليها .

﴿ الثنوية المانوية ﴾

تعد المانوية من الأديان الفارسية القديمة التي تنزع الى وجود آلهين : أحدهما للخير والثاني للشر كما رأينا في الديانة الزردشتية . وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى « ماني » وهو بابلي الأصل وكان قد ولد بالمداين في قسبة شوشاني (عام ٢٤٠ م) (١) ، وعلى ما قاله البيروني في كتابه « الآثار الباقية » ان ماني ولد عام ٢١٥ او ٢١٦ (ب . م) وشب على المذهب الزردشتي ، وهو المذهب الذي كانت شائماً في تلك البلاد ، وجاء في خبر الاسلام ان ماني كان راهباً في حران ، وعلى هذا لا يستبعد ان يكون قد اعتنق المسيحية في آسيا الصغرى وأصبح راهباً ، وأخذ منها بعض المبادئ ومزجها بالمذهب الزردشتي وأوجد هذا المذهب الذي عرفه (براون) بأنه « زرادشتي منصر أكثر منه نصراني مزردش » .

وحسبما يستدل من كلام ابن العربي أن ماني كان في البسند على الديانة المسيحية ، ثم سرق ووضع هذه الديانة . وهذا نص ما قاله : « كان في أول أمره يظهر النصرانية ، وصار قسيساً بالأهواز وكان معلماً ويفسر الكتب ويجادل اليهود والمجوس والوثنيين ،

(١) ذكر ابن النديم في فهرسته ان ماني هو ابن فتق بابك بن ابي برزام من الحسكانية واسم امه (ميس) ويقال (اوتاخيم) ويقال (مرمريم) من الاشغانية ، وقيل ان ماني كان اسقف قني والعربان من اهل حوحي ، وماني بادرايا وباسكاي ، وكان اخنف الرجل ، وقيل ان اصل ابيه من همدان انتقل الى بابل وكان ينزل المدائن في الموضع الذي يسمى طيسفون وبها بيت للاصنام . انتهى .
وطيسفون هو المحل الذي فيه ايوان كسرى ويقال له طيسفونج وطوسفون ، وكان على زمن اليونان القدماء يسمى اكنيسفون .

ثم مرق من الدين وسمى نفسه مسيحياً ، واتخذ اثني عشر تلميذاً وأرسلهم الى بلاد المشرق بأسرها وزرعوا فيها علم الوثنية وهوان العالم الهين أحدهما الخير وهو معدن النور ، والآخر الشر وهو معدن الظلمة ، وكان يقول بالتناسخ ، وان في كل شيء روحاً مستنسخة ، وكان يفرط في تمجيد النار وتعظيم شأنها ويؤهلها للتسبيح والتقديس ، وهذا المذهب قد كان قديماً للفرس ولم يبتدعه ماني ، ولكن شيده بالحجج الاقناعية .. « اه .
والمانوية لم تعمر كثيراً كما هو الأمر في الزردشتية ، وقد انهارت عند ظهور الاسلام كما انهارت الزردشتية نفسها ، وبقي لها أثر ضئيل في بعض العواصم الفارسية وبغداد الى عهد المقتدر العباسي (٢٨٢ - ٣٢٠ هـ) حيث أجلى الباكون منهم من العراق فلحقوا بخراسان . وعلى مرور السنين قلوا في بلاد فارس ولم يبق لهم ذكر .

ووجه الفرق بين الديانتين الزردشتية والمانوية باعتبار انها تنزعان الى وجودا الهين متضادين أحدهما يعمل الخير والآخر يعمل الشر ، هو ان الزردشتية كما سبق لنا البحث عنها تنزع الى ان هذين الآهين هما في جدال مستمر ليتغلب الواحد على الآخر ويتم له الفوز ويخضع العالم لحكمه . ولما كان واضع المذهب الزردشتي يرى ان هذا العالم هو عالم خير أكثر منه عالم شر ، وأن الانسان أقرب الى خلال الخير من الشر ، فقد حث تابعيه على الأعمال الفاضلة ل يتم انتصار الخير على الشر ويسود السلم في العالم ، وترتفع الحروب من وجه الأرض وتزول الأمراض والعاهات والفقر والمجاعات وينعم الانسان بحياة هنيئة سعيدة ، بينما ذهب واضع المذهب المانوي الى عكس هذا ، اذ يرى ان هذا العالم هو عالم شر محض وان عنصر النور مغلوب أمام عنصر الظلام وكل ما في العالم من خير ورحمة وسعادة وهناء هو عرضي زائل ، وأن المسيطر على العالم هو الشر فحسب حيث كان هذا التشاؤم الذي فطر عليه أثر ظاهر في مذهبه . إذ نجده قبل كل شيء حرم على تابعيه النكاح بغية استعجال الفناء ، وحظر عليهم الملاذ النفسية ودعاهم الى حياة الفقر والذل والمسكنة ، وأوجب عليهم ألا يدخروا أكثر من قوت يوم واحد ، وفرض عليهم صوم سبع العمر مع صلوات كثيرة ، ونهاهم عن ذبح الحيوان لما فيه من إيذاء ، الى غير ذلك من التعاليم التي أماتت فيهم روح الجهد والنشاط ، وأبعدتهم عن الحياة

العملية وجعلتهم ينظرون إلى كل ناحية من نواحي الحياة نظر كراهية واحتقار معتقدين ان بذلك سيتم لهم نيل السعادة الأبدية التي هي الغاية المثلى لكل انسان .

والآن لننظر ما هي علاقة اليزيدية بالمناوية ؟ يقول (اوزهن بوري) أحد فلاسفة الغرب في كلامه عن اليزيدية : ان رائحة المناوية تشم منها وهذا صحيح ، واليزيدية ليست إلا المناوية نفسها ، ولا فرق بينها سوى ما أخذته من الاسلامية أثناء مرورها من جانبها ، وما تركته الزردشتية فيها من معتقدات وتقاليد قبل ان تنضوي اليها ، لكنها تختلف عنها في انها لا تكثر الصوم والصلاة ، وفي كونها أمة محاربة لا يساعدها وضعا على الكسل والخمول ، فليست تقضي حياتها بالتعب وتختلف عنها ايضا في عدم تحريمهم الزواج ، وفي عدم اجتنابهم ذبح الحيوانات ، وإن كان هناك رواية ضعيفة تدل على أنهم كانوا في زمن ما يمتنعون عن ذبح الحيوانات ويقتصرون في معاشهم على السمك والعسل . واذا كانوا خالفوهم في هذه المسائل فقد وافقوهم في المبدأ القائل بأن هذا العالم هو محض شرور وآثام ، وأن إله الخير (النور) مغلوب لآله الشر (الظلام) خلافا لما قالت به الزردشتية وعملوا على إرضاء إله الشر ليبقوا في مأمن منه .

أما دعوة (ماني) قومه الى حياة النذل والمسكنة وتحظيره عليهم الملاذ النفسية فنجد أثره بارزاً في حياة اليزيديين بأجلى صورة ، وقد أفرطوا فيها لحد أنهم حرموا الزينة على أنفسهم وعلى نساءهم واجتنبوا الطيبات من الرزق واقتصروا في معاشهم على خبز الشعير ، وحرموا القعود على فراش وثير وارتباد أما كن اللهو ودخول الحمام وكل محل يجدون فيه لذة روحية او نفسية . وبهذا ضربوا رقماً قياسياً في الزهادة وقد مضى عليهم بضعة عصور ولم يحدوا عنها . وقد كان من نتيجة اتباعهم هذه القاعدة أن أخذوا ينظرون الى حياة الدنيا أنها مقر بؤس وشقاء ومحنة وبلاء ، الراغب فيها والطامع في زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه البعد عما أعده الآله السامي لعباده الصالحين من السعادة الأبدية في الدار الآخرة .

﴿ المزدكية ﴾

هي المذهب الذي وضعه (مزدك) واشتهر بنسبته اليه . ظهر مزدك في مدينة نيسابور في فارس وأذاع مذهبه حوالي سنة ٤٨٧ م . فلاقى هوى في نفس (قباد) تاسع عشر الملوك الساسانيين وأذاعه وأخذ على نفسه حمايته فأنكره الناس واستهجنوه لما فيه من صنوف الاباحة . فتآمروا على قباد وأسقطوه من الملك وسجنوه نحو اربع سنين ، ثم أعيد الي الملك بسعي من أخته (١) وبعد وفاته عام ٥٣١ م خلفه ابنه (أنو شيروان) فطلب مزدكاً وقتله . وفي رواية أن الذي نكل به وبمن اتبعه هو (قباد) نفسه وقد دبر لهم مذبحاً سنة ٥٢٣ م كاد أن يستأصلهم بها (٢) .

ان التعاليم التي وضعها مزدك لم تكن من الناحية الاعتقادية جديدة ومبتكرة ، بل استمدتها من الثنوية المانوية ، اذ كان يقول كما يقول ماني بالنور والظلمة ايضاً ، إلا ان مذهبه يختلف عن المانوية بما أدخله عليه من المباديء الاشتراكية ، فكان يرى ان الناس ولدوا سواء فليعيشوا سواء وأهم ما يجب فيه المساواة : المال والنساء .

ومن هنا نلمس وجه الشبه والمشاركة بين الزيدية وبين تعاليم مزدك في الناحية الاعتقادية بوجود إلهين أحدهما إله النور والآخر إله الظلمة ، أو إله الخير وإله الشر ، وفي إباحة النساء ، إذا كان ما نقله المؤرخون عن الزيدية صحيحاً .

والمؤرخون اختلفوا في أمرهم ، فمنهم من ذهب الى أنهم أحلوا الزنا مطلقاً ، ومنهم من ذهب الى أنهم كانوا يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستعملون ذلك بل يعتقدون فيه خيراً . وهذه العادة ليست موجودة الآن فيهم ، ويعتقدون ان الفعل الذي يجري بين الروحيين وصنف الدهماء (المريرين) وبالعكس ليس أعظم كفرآ منه . أنهم كانوا يعملون بهذه العادة قبلاً وقد تركوها .

هذه هي المذاهب التي شاركها الزيدية في معتقداتها او أخذت عنها او ترجع بالأصل اليها ، وكلها تقول بثنوية الآلهة مع فروق واختلافات بينها ، وأكبر ظاهرة نجدتها فيها

(١) قاموس الاعلام

(٢) فجر الاسلام

إثبات وجود آلهين متضادين والامساك عن الطيبات ، والقول بالتناسخ ، وطلب الفناء للوصول الى السعادة الأبدية .

﴿ الشامانية ﴾

لم يكن لهذا المذهب صلة بمذاهب الفرس الدينية ولا يعتقد بتنائية الآلهة ولا الحلول ولا التناسخ وقد أتينا على ذكره لاشتراك اليزيدية معه في عبادة الشيطان والارواح الشريرة ليس إلا .

إن المذهب الشاماني هو أحد المذاهب المنتشرة في شرقي شمالي سيبيريا بين قبائل الياقوت والساموئيد الطورانيين وفي بعض الجزر الواقعة في البحر المحيط الهادي، ويعتقد أصحابه بالأجنة والشياطين وكونهم أداة شر ، قد يوجهون شرورهم الى البشر ويوقعون الأذى به . وآلههم الكبير يسكن الشمس ، ولهم رهبان كثيرون يطلق على واحد منهم (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرده الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (شامان) يحمل بيده دوما ذنب حصان ، ويعلق في عنقه طبلا يضرب عليه لطرده الأبالسة والشياطين ، ويسمون آلههم الكبير (بالباق توس) - ومعنى بالباق بالتركية الواسع وتوس الصدر - يقدمون له القرابين ويرجون منه الشفاعة والغفران .

وللشامانيين معابد يجرون فيها الأفعال القبيحة وهي لا تفرق عن دور البغاء ، يبيحون فيها مع المرأة كل عمل قبيح فاجر ويمدون عبادة ، ويحظرون على غير الشامانيين دخول معابدهم ، وكذلك (اللاما) وهم الرهبان عند البوذيين (١) . ومن عاداتهم أنهم إذا أرادوا ان يقدموا قربانا الى معبودهم ، ويكون على الاكثر حصانا ، يشدون قوائمه الاربعة بحبل ويجرونه بكل ما استطاعوا من قوة ، فن مسك الحبل او تعلق به يعتقد بغفران خطاياهم .

﴿ اعتقاد الصوفية في الاسلام بالشيطان ﴾

إن اعتقاد اليزيدية بالشيطان لا شك أنه مأخوذ من الديانة المانوية المؤسسة على

(١) وكبيرهم يسمى (دالاي لاما) والخبر الاعظم يسمى (حاميا لاما)

استمداد القوى الشريرة الخفية لمحاربة القوى الخيرية والاستعانة بالظلمات على النور ، وقد عرف الاسلام الشيطان بأنه هدام يقضي على شعائر الدين ويزج الانسان في حمأة الضلال والغي ويبعده عن الفضيلة ، حاشا غلاة الصوفية فانهم يبررون كل ما نسب اليه من أعمال ويتعصبون له ، ويرفعونه عما يشينه ويحطه من مكانته .

وقد تصدى بعض الباحثين الى تأويل تعصب الصوفية للشيطان بأن لهم من الآراء الشاذة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهره ينطقون بها في أحوال تعرض لهم يسمونها بالغلو او الشطح ، وهي في الحقيقة ليست إلا نزوعا الى المنوية التي لا تزال آثارها عالقة بنفوسهم .

ذكر ابن الجوزي (٥٠٨-٥٩٧هـ) في كتابه تفليس إبليس ان النظام - وهو من أكابر المتكلمين - زعم ان الله تعالى لا يقدر على شيء ، وان إبليس يقدر على الخير والشر ، وهذا القول يدل على تأصل روح المانوية في النظام أكثر منه شطحا (الفرق بين الفرق) .

وجاء في شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة : « وكان أبو الفتح ابن محمد الغزالي الواعظ اخو ابني حامد الغزالي الفقيه الشافعي قاصاً لطيفاً وواعظاً مفوها وهو من خراسان من مدينة « طوس » قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظه مسلكاً منكراً لانه كان يتعصب لابليس ويقول أنه سيد الموحدين ، وقال يوماً على المنبر من لم يتعلم التوحيد من ابليس فهو زنديق ، أمر ان يسجد لعنبر سيده فأبى :

ولست بضارع إلا اليكم وأما غـبركم حاشا وكلا

وقال مرة اخرى لما قال له موسى أرني ! فقال لن ! قال هذا شغلك ! تصطفى آدم ثم تسود وجهه وتخرجه من الجنة وتدعوني الى الطور ! ثم تشمت بي الاعداء ، هذا عمك بالآحباب فكيف تصنع بالاعداء ؟ وقال مرة ، وقد ذكر ابليس على المنبر : لم يدر هذا المسكين ان أظاير القدر اذا حكمت أدمت ، وان قسي القضاء اذا رمت أصمت ، ثم قال على لسان آدم ينشد في قصته وقصة ابليس .

وكننت وليلي في صعود مع الهوى فلما نوافينسا ثبت وزلت

وقال مرة أخرى : التقي موسى وابليس عند عقبة الطور ، فقال موسى : يا ابليس ! لم لا تسجد لآدم عليه السلام ؟ فقال : كلا ، ما كنت أسجد لبشر ، كيف أوحده ثم ألتفت الى غيره ؟ ولكنك أنت يا موسى سألت رؤيته ثم نظرت الى الجبل فأنا أصدق منك في التوحيد . وكان على هذا النمط في كلامه ينفق على أهل بغداد وصار له بينهم صيت مشهور واسم كبير الى ان قال : وهذا النوع تعرفه الصوفية بالغلو والشطوح .
ويروى عن أبي يزيد البسطامي منه كثير من ذلك قوله :

فن آدم في البين ومن ابليس لولا كا
فتنت الكل والكل مع الفتنة يهواكا

وفي شرح النهج ايضا : وكان من المسلمين ممن يرمى بالمرتزة من يذهب الى تصويب ابليس في الامتناع عن السجود ويفضله على آدم وهو بشار بن برد ، ومن الشعر المنسوب اليه :

الشمس مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وجاء في الطواسين ما يوضح عقيدة (الحلاج) في الشيطان قوله :

« ما صححت الدعوى لأحد ، إلا لابليس واحمد (صلى الله عليه وسلم) غير أن ابليس سقط عن العين واحمد كشف له عن العين » .

وفيه ايضا : قال الحسين بن منصور : لما قيل لابليس اسجد ، خاطب الحق : ارفع شرف السجود عني إلاك ، حتى اسجد له . ان كنت أمرتني فقد نهيتني . قال : فاني أعذبك عذاب الأبد . فقال : أأست تراني في عذابك لي ؟ قال : بلى . فقال : فرؤيتك لي تحملني على رؤية العذاب ، إفعل بي ما شئت . فقال : أجملك رجيا . قال ابليس : أو لست لك بحامد ، افعل بي ما شئت ، وأورد :

جحودي لك تقديس وعقلي فيك تهويس

فن آدم إلاك ومن في البين ابليس ؟

وجاء فيه قوله : وما كان في أهل السماء موحد مثل ابليس .. حيث ابليس (تغير) عليه العين ، وهجر الألفاظ في السير ، وعبد المعبود على التجريد . . ولعن حين وصل الى التفريد ، وطلب حين طلب المزيد .. فقال له : (اسجدا) - قال : (لا غير !) -

قال : (وأن عليك لعنتي) ، قال : (لا غير) .. (مالي الى غيرك سبيل ، واني محب ذليل) ، قال له : (استكبرت) ، قال : لو كان لي معك لحظة ، لكان يليق بي التكبر والتعجب ، وأنا أنا الذي عرفتك في الأزل (اذا خير منه) لأن لي قدمة في الخدمة ، وليس في الكون أعرف مني بك ، ولي فيك إرادة ، ولك في إرادة ، إرادتك في سابقة إن سجدت لغيرك ، فان لم أسجد ، فلا بد لي من الرجوع الى الأصل ، لأنك خلقتني من نار ، والنار ترجع الى النار ولك التقدير والاختيار .

وفي حوار جرى بين موسى وابليس على عقبة الطور ، قوله عن لسان ابليس :
يا موسى ! الفكرة لا تذكر ، وأنا مذكور وهو مذكور ، وذكره ذكرى ، وذكرى ذكرى ذكره ، هل يكون الذاكرون ألامعاً ؟ خدمني الآن أصغى ، ووقتي أخلى ، لأنني كنت أخدمه في القدم لحظي ، والآن أخدمه لحظة ، ودفعتنا الطمع عن المنع والذفع ، والضرب والنفع ، أفرذني ، أوجدني ، حبرني ، طردني لئلا أختلط مع المخلصين ، منعي عن الأغيار لغيرتي ، غيرني لغربتي ، حرمني لصحبتى ، قبحتى لمدحتى ، أحرمنى لهجرتي ، هجرني لمكاشفتي ، كشفني لوصلتي ، وصلني لقطعتي ، قطعني لمنع منيتي .

وحقه ما أخطأت في التدبير ، ولا رددت التقدير ، ولا باليت بتغيير التصوير ، على هذه المقادير تقدير ، إن عذبتني بناره أبدأ الأبد ، ما سجدت لأحد ، ولا أذل لشخص وجسد ، ولا أعرف صدأ ولا ولدأ ، دعواي دعوى الصادقين ، وأنا في الحب من الصادقين .

قال أبو عمارة الحلاج وهو العالم الغريب : تناظرت مع ابليس وفرعون في الفتوة . فقال ابليس : « إن سجدت سقط عنى اسم الفتوة » .

قال فرعون : « إن آمنت برسوله ، سقطت من منزلة الفتوة » .

وقلت أنا « إن رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة » .

وقال ابليس : « أنا خير منه » حين لم يره غيري غداً - وقال فرعون : « ما علمت لكم من إله غيري » حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل - وقلت أنا : « ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره ، وأنا ذلك الأثر وأنا الحق ، لأنني ما زلت ابدأ بالحق حقاً » .

فصاحبي وأستاذي ابليس وفرعون ، ابليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون
أغرق في البم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة ! وان قتلت او صلبت او قطعت
يदाي ورجلاي فما رجعت عن دعواي .

اشتق اسم « ابليس » من اسمه ، فغير « عزازيل » فاعين اعلو همته ، والزاي لزيادة
الزيادة في زيادته ، والالف اضافة في الفتنة ، والزاي الثانية لزهده في رتبته ، والياء
ياوي الى سهيقته واللام لمجادلته في بليته .

قال له : « الا تسجد ؟ يا ايها المهين » قال : « محب والمحب مهين ، انك تقول مهين ،
وأنا قرأت في كتاب مبین ، ما يجز علي ياذا القوة المتين . كيف أذل له وقد خلقتني من
نار وخلقته من طين ؟ وهما ضدان لا يتوافقان ، وأنا في الخدمة أقدم ، وفي الفضل أعظم
وفي العلم أعلم ، وفي العمر أتم .

قال له الحق سبحانه : « الاختيار لي لا لك » - قال : « الاختيارات كلها واختياري
لك ، قد اخترت لي يا بديع وان منعتني عن سجوده فانت المنيع ، وان اخطأت في المقال
فلا تهجرني فانت السميع ، وان أردت ان أسجد له فأنا المطيع ، لا أعرف في العارفين
أعرف بي منك .

لا تلمني فالسوم مني بعبيد	وأجر يا سيدي طائي وحيد
ان في الوعد وعدك الحق حقاً	ان في البدو بدو أمري شديد
من أراد الكتاب هذا خطابي	فاقرأوا وأعلموا بأني شهيد

هذا ما جاء في الطواسين عن عقيدة الحلاج في ابليس ، وهي لا كعقيدة النظام ومن هو
على غراره فيه من انه يقدر على الخير والشر بينما الحق سبحانه لا يقدر على شيء أو لا
يقدر إلا على الخير ، وهي نزعة مانوية صرفة سرت اليهم من المانويين . والحلاج أسمى
عقيدة وأنبل قصداً من هؤلاء ، ولا سبيل الى الطعن في عقيدته ، وكل ما يقوله في
ابليس هو انه موحد ثابت على توحيدده وان كان خالف الأمر وأصر على الامتناع .

والحلاج صوفي إلهي وعالم فيلسوف له لسان لا يفهمه إلا الخواص ، وعندما لم يفهمه
بقية الناس ، حكموا بكفره واستحلوا دمه . واكثر المتصوفة في اعتقادهم بابليس هو على

غرار الحلاج - كما رأيناه في ابن الجوزي - ويعملون امتناعه عن الأمر بثباته على التوحيد ، وقد عدوه سيد الموحدين ، وعده الحلاج صاحبه واستأذنه . والحلاج هو أول من وضع هذه النظرية في ابليس وأخذها الغير عنه .

وفي الملل والنحل للشهرستاني (٤٧٩-٥٤٩هـ) مناظرة جرت على لسان ابليس والملائكة تدل على الزام ابليس الملائكة في تبرير موقعه مع الحق تعالى في امتناعه عن السجود الذي أمره به ، وعدم اجابة الملائكة له جواباً شافياً يدحضون به مزاعمه عدا كلاماً مقتضباً بعيداً عن روح المناظرة . وهذه المناظرة اذا كانت تدل على شيء فأنها تدل على ذبوع هذه الفكرة - اي الانتصار لابليس - بين اهل التصوف والمتكلمين في الاسلام وهذه هي :

« أعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة، شبهة ابليس لعنه الله ومصدرها استبداده بارأي في مقابلة النص واختياره الهوى في معارضة الأمر ، واستكباره بالمادة التي خلق منها وهي النار على مادة آدم عليه السلام وهي الطين . وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات وسارت في الخليفة وسرت في اذهان الناس ، حتى صارت مذاهب بدعة وضلال . وتلك الشبهات مسطورة في شرح الأنجيل الأربعة : لوقا ومارقوس ويوحنا ومتى ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع عنه ، قال كما نقل عنه : اني سلمت ان البارئ تعالى إلهي وإله الخلق ، عالم قادر ، لا يسئل عن قدرته ولا عن مشيئته ، فانه مها أراد شيئاً يقول له كن فيكون ، وهو حكيم ، الا أنه يتوجه على مساق حكيمته اسئلة . قالت الملائكة وماهي ؟ وكم هي ؟ - قال لعنه الله سبع ، (الأولى) منها : أنه علم قبل خلقى اي شيء يصدر عني ويحصل ، فلماذا خلقني أولاً ؟ وما الحكمة في خلقه إياي ؟

و (الثاني) : اذ خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته ؟ وما الحكمة في التكليف بعد ان لا ينتفع بطاعته ولا يتقرر بمعصية ؟

و (الثالث) اذ خلقني وكلفني فالنزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة ، فعرفت وأطعت ، فلم

كلفني بطاعة آدم والسجود له ، وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ان لا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي ؟ .

و (الرابع) اذ خلقتني وكلفني على الاطلاق وكلفني بهذا التكليف على الخصوص فاذا لم أسجد ، فلم لعني وأخرجني من الجنة ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لم أرتكب قبيحاً إلا قولي لا أسجد إلا لك ؟ .

و (الخامس) اذ خلقتني وكلفني مطلقاً وخصوصاً فلم أطع فلعني وطردي ، فلم طرقتني الى الى آدم حتى دخلت الجنة ثانياً بوسوستي فأكل من الشجرة المنهي عنها وأخرجه من الجنة معي وما الحكمة في ذلك بعد ان لو منعني من دخول الجنة لاستراح مني آدم وبقى خالداً فيها ؟

و (السادس) اذ خلقتني وكلفني عموماً وخصوصاً ولعني ثم طرقتني الى الجنة وكانت الخصومة بيني وبين آدم ، فلم سلطني على اولاده حتى أراهم من حيث لا يرونني ، وتؤثر فيهم وسوستي ، ولا يؤثر في حولهم وقوتهم واستطاعتهم ؟ وما الحكمة في ذلك بعد ان لو خلقهم على الفطرة دون من يحتالهم عنها فيعيشوا طاهرين سامعين مطيعين ، كان أحرى بهم وأليق بالحكمة .

و (السابع) سلمت هذا كله ، خلقتني وكلفني مطلقاً ومقيداً ، وإذ لم أطع لعني وطردي وإذ أردت دخول الجنة مكنتني وطرقتني وإذ عملت عملي أخرجني ثم سلطني على بني آدم فلم اذ استمهلتهم أمهلتني فقلت أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وما الحكمة في ذلك بعد ان لو أهلكني في الحال استراح آدم والخلق مني ، وما بقي شر ما في العالم ، أليس بقاء العالم على نظام الخير خيراً من امتزاجه بالشر ؟ .

قال فهذه حجتي على ما ادعيته في كل مسألة ، قال شارح الانجيل فأوحى الله تعالى الى الملائكة عليهم السلام قولوا له انك في تسليمك الأول اني إلهك وإله الخلق غير صادق ولا مخلص ، اذ لو صدقت اني إله العالمين ما احتكمت علي (بلم ؟) فأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسأل عما أفعل والخلق مسؤولون .

ومن يقرأ هذه المناظرة ليأخذها الشك في أمر ابليس وما يرمي به من جحود ونكران

ومخالفة للأمر ، ولا يسمعه من ان يدخله في زمرة الأبرار والصديقين الذين صدقوا في دعواهم ، وهو مخالف للنصوص القرآنية ، إلا ان للصوفية آراء شاذة يعبرون بها بطريقة المجاز لا ينطبق ظاهرها على باطنها مما تدعو الى أقوال شتى عنهم وتؤدي ببعض منهم الى الكفر والقتل ، وقد أثرت هذه الآراء الشاذة على عقول كثير من الناس في مختلف العصور فظهر من ولم بأبليس ، وذهب بحقه مذاهب شتى وأصبح محل جدل عظيم ، فعده البعض شيطانا رجيا يستحق اللعنة كما عبر عنه الشرع ، وعده آخرون إلهاً . ومن هؤلاء الأخيرين اليزيدية فقد عرفوه إلهاً سواء أكان نتيجة تأثير هذه الآراء عليهم ام باعتبارهم مانويين قدورثوا هذه العقيدة من آباؤهم الأقدمين والاسلام الذي مر من جانبهم لم يستطع ان يستأصل منهم هذه العقيدة ، وقد غالوا فيه غلواً كبيراً ورمزوا عنه بتمثال على شكل طاووس او ديك وحظروا على أنفسهم تسميته باسمه إجلالاً له وتعظيماً وقدموا له القرابين وأخذوا يعبدونه .

ومن هنا نفهم ان ما قيل عن عبادة اليزيدية للشيطان بأنه من نتائج مقاطعة اللعن التي مرسّم عليها الشيخ عدي فانجر ذلك الى احترامهم له واتخاذوه إلهاً خطأ ، وما ذهب اليه احمد تيمور باشا من ان يكون أحد شيوخهم ولمع به فشاغ بينهم وزادوا فيه ما زادوا لم يكن صحيحاً ايضاً ومثل هذه الأسباب لا تكفي لأن تولد عقيدة في نفوس قوم تكون أساساً لدين يتبعونه بضعة عصور .

﴿ وجه تسمية (اليزيدية) وتعيين الزمن الذي سموا به ﴾

اختلف الباحثون في وجه تسمية هذه الطائفة باليزيدية وتعيين الزمن الذي سميت به ، فمنهم من علل نسبتهم الى (ايزد) او (ايزدين) الذي يعبرون به عن إله الخير ، ومنهم من ذهب بنسبتهم الى مدينة (يزد) الفارسية التي كانت مركزاً للديانة (الزردشتية) والى أهم في الأصل منها . وأورد المستر (لا يارد) عن (توفانيس) المؤرخ اليوناني الذي كان عائشاً في القرن السابع للميلاد العبارة الآتية : « إن الامبراطور هرقليلوس خيم بجنوده قريباً من مدينة « يزد » وظن الما جور « راولينصن » ان « يزد » كانت من مدن « حدياب » ، فيقول « مارتان » قد تكون هذه المدينة أول مكان انتشرت

فيه الشيعة اليزيدية.. ، وعلل القس سليمان الصائغ في مؤلفه « تاريخ الموصل » تسميتهم بانتسابهم الى إله كانوا يعبدونه اسمه « يزد » او « يزدان » مستنداً بذلك على ما جاء في تاريخ « كلدو وآثور » نقلاً عن « توما المرجي » في القرن التاسع للميلاد الذي ذكر في كتابه « الرؤساء » عن أهالي مدينة « موغان » أنهم كانوا يعبدون صنماً اسمه « يزد » فيقول المؤلف : قد يكون فيما ذكره « توما المرجي » أصل تسمية هذه الشيعة باليزيدية على ان كلمة « يزدان » تعني الإله بالفارسية .

وذهب الشيخ علي الشرقي النجفي في مقال له نشر في مجلة العرفان الى ترجيح إطلاق « بازيدية » عليهم بدلا عن « يزيدية » لبعض اعتبارات وجدها مبررة لهذا الترجيح ، وهذه جميعها تعليقات غير صحيحة ، وقد أراد كل من هؤلاء الباحثين ان يختص بالجداد نسبة لهذا الاسم مها كان فيه من غرابة وشذوذ ، حتى انك تجد صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) يشير في رسالته الى ما ذهب اليه هبة الله الشهرستاني من ان يكون أصل هذه الكلمة « ايزدية » نسبة الى « يزد » فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة فأصبحت « ايزدية » .

وطالما نعلم ان هذه النحلة كانت في أول أمرها تتشبع للأمويين ، وشيخها أموي ، وقد غرس في قلوبهم حب الأمويين ، واعتقدوا بيزيد أنه من أئمة الهدى وأهل الصلاح والتقوى ، ثم عدوه أحد آلهتهم السبعة وعبدوه ، فن الخطأ ان تترك نسبتهم اليه ونسلك طرقا ملتوية ومظلمة لايجاد نسبة بعيدة عن الصواب .

فمتى وقعت هذه التسمية ؟ فالامام ابن تيمية عندما أرسل اليهم وصيته الكبرى ، لم يسمهم بهذا الاسم ، بل خاطبهم تارة بالعدويين وتارة بالمسلمين المنتسبين الى أهل السنة والجماعة ، وكتابها الدينيان « الجلوة » و « مصحف رش » لم يرد فيها هذا الاسم مطلقاً ، مع اننا نرجح انها ألفا حديثاً .

وأول من وجدناه ذكرهم بهذا الاسم (١) أبو فراس عبد الله بن شبل بن أبي فراس بن جميل ، فانه ألف كتاباً عام ٧٢٥ للهجرة (١٣٢٤م) سماه « في الرد على الرافضة واليزيدية »

(١) تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم .

ويجوز ان هذا الاسم أطلق عليهم قبل هذا .
وقد أراد مؤلف كتاب « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم » ان يصعد بتسمية هذه
النحلة بهذا الاسم الى ما قبل ظهور الشيخ عدي مستدلاً على ذلك بما ذكره السمعاني
المتوفى عام ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) في كتابه « الأنساب » من أنه لقي جماعة كثيرة بالعراق
في « حلوان » ونواحيها من اليزيدية يتزهدون وبأكلون الحال وقلما يخاطون الناس
ويعتقدون الامامة بيزيد بن معاوية وكونه على الحق ... اهـ

ونرى من الجائز ان يكون قد وجد أناس يطلق عليهم هذا الاسم قبل ان ظهر الشيخ
عدي وكانوا يعتقدون الامامة « ليزيد » وكونه على الحق ، وهم الذين لقيهم السمعاني
وحدثنا عنهم ، إلا أنهم شيء واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدي شيء آخر .
فاليزيدية الذين لقيهم السمعاني مسلمون صرفاً ولم يكن لهم طابع يميزهم عن غيرهم من
الاسلام ، وغاية ما يقال عنهم أنهم غلوا في حب (يزيد) كما غلت الشيعة في حب (علي)
وأولاده .

واليزيدية الذين ينتمون الى الشيخ عدي يرجعون الى أصل مجوسي ، وبعد ان
أسلموا أخذوا يعتقدون لامامته (يزيد) بل بألوهيته ، وأضافوا اليه آلهة آخرين ،
وعكفوا على عبادتهم ، ونرى فيهم من المظاهر المجوسية والثنوية ما يجعلنا نقطع بعدم
وجود أية صلة لهم قبل عدي ليس باليزيدية الذين ذكرهم السمعاني بل بالاسلام قاطبة .
على ان التسمي « باليزيدية » لا يستلزم الانتماء الى « يزيد بن معاوية » مطلقاً . فقد
ظهر خلال العصر الثاني والثالث بيت عرف رجاله (باليزيديين) لم يكن لهم صلة لا
بيزيد ولا بالأمويين (١) .

(١) اشتهر من هذا البيت رجال كثيرون كانت لسلك واحد منهم مكانة عظيمة في اللغة والادب
والاخبار والنوادر اختصوا بانتسابهم الى البيت العباسي ، منهم : (ابو عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيدي
(٢٢٨ - ٣١٠) الذي كان مريباً لا اولاد المقتدر بالله الخليفة العباسي وله تأليف منها « مناقب بني العباس »
و « اخبار اليزيديين » ، وأبو عبد الله محمد ابن ابي محمد اليزيدي صاحب اليد الطولى في اللغة والقراءة
والشعر ، وأبو اسحاق ابراهيم بن ابي محمد اليزيدي الاديب اخذ عن أبي زيد الانصاري والاصمعي وله
تأليف عدة (را : قاموس الاعلام يزیدی) وأبو عبد الرحمن عبد الله العدوي بن محمد اليزيدي له
الشهرة الواسعة في النحو واللغة أخذ عن الفراء (١٤٤ - ٢٠٧) ووضع تأليف كثيرة وهو عم الفضل

﴿ في تمييز أصل المذهب الزيدي وعلاقته ﴾

بالأديان الأخرى

ليس من دين جهله الناس واختلفوا في نشأته وظهوره ومعرفة أصله كالدين الزيدي على رغم الأبحاث التي قام بها جماعة كبيرة من الكتاب الشرقيين والغربيين ، ولو جمعنا المؤلفات التي وضعوها عنه لأوجدت خزانة كبيرة ، ولا نجد اثنين من هؤلاء الكتاب اتفقا على رأي واحد فيه . والسبب أنه ظهـر في زمن لم تكن قد دوت حـوادثه التاريخية تماما والذين شهدوا ظهوره والحوادث التي اكتنفته لم ينتبهوا له أو انتبهوا له ولم يعيروه اهتماما ، وقد حرص أصحابه على أن يجعلوا سره مكتوما لئلا يطلع عليه غيرهم فيقف في سبيله وهذا ما أدى الى ان يغفل الناس أمره ، وكما قالوه عنه لم يخرج عن دائرة الحـدس والتخمين .

وهنا نأتي على ما ورد من الأقوال عن أصل هذا الدين وعلاقته بالأديان الأخرى ، ثم نبين رأينا فيه :

١- يدعي الزيدية أنفسهم أنهم من نسل الأمويين ، وأن الأمراء والشيوخ يرتقون بنسبهم الى يزيد بن معاوية الأموي ، وأن ديانتهم سماوية أتى بها يزيد من لدن الآله الأعظم ، وبعد ان استقر في الشام ثلثماية سنة حارب فيها خصومه وأعدائه وغلبيهم ، نشر هذه الديانة وأبطل بقية الأديان من وجه الأرض ، وعلم أولاده القراءة والكتابة وحرمها على بقية الناس وصعد الى السماء وسيعود ثانية ، ويملا الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا ويرفع من شأن الزيدية من جديد وينتقم لها من أعدائها .

ان دعوى الزيدية بأنهم من نسل الأمويين غير صحيحة ، ولكن لا جدال في أن أمراءهم وشيوخهم أمويون خالصو الدم ، ويرتقون الى مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين . وما يعتقدونه في أصل ديانتهم يعد من القصص الخرافية ، وقد حصلت لهم

بن محمد الزيدي احد مشاهير النحويين . فاشتهار هذا البيت بهذا الاسم لم يكن معناه انهم كانوا يحملون العقيدة يزيد وكونه على الحق وكان اماما وكان عادلا ، بل عرفوا به لاختصاص جدهم (ابو يحيى بن المبارك بن المغيرة الزيدي) بتأديب اولاد (يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد الحميري) خال المهدي العباسي (را : ابن خلكان) .

هذه الفكرة بعد أن اعتقدوا بأن يزيداً من أئمة الهدى وأولياء الله وكان إماماً عادلاً وجاهد في سبيل الله وغلب أعداءه .

٢- نسب البعض هذه الديانة الى (يزيد ابن أنيسة الخارجي) حتى ان الدكتور جوزيف الاسريكي أتبع هذا الرأي وزعم أنه وضع نظرية جديدة في أصل هذه الديانة .
ويزيد ابن أنيسة كان صديقاً للمحكمة الأولى قبل الأزارقة ، وكان يقول أن الله سبعت رسولا من العجم وينزل عليه كتابا كتب قبل وسيترك ديانة محمد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن . وكان يعد أصحاب الحدود من موافقيه ، وغيرهم كفاراً مشركين وعنده كل ذنب صغير أو كبير هو شرك .

ونسبة اليزيدية الى (يزيد ابن أنيسة) غلط فاضح . إذ أن مبدأه الذي عرف به لا ينطبق وهذه الديانة . فاليزيدية تقول بالحلول والتناسخ وعبادة الشمس والنار والاباحية والخوارج مجتهدون لا يعرفون من هذه الاعتقادات شيئاً . ولم يرو التاريخ ان قد كان لابن أنيسة اتباع وعملوا بمبدئه .

٣- ذهب طائفة من الكتاب الى أن اليزيدية يرجعون الى القبيلة « التبرهية » من الناحيتين العنصرية والدينية ، وإن والد عدي وإسمه (مسفر بن احمد الكردي) هو تبرهي نسباً وعقيدة وينكرون صلة اليزيدية بأي دين آخر وهذا خطأ منهم ، إذ أن التبرهيين هم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر وأسلموا على عهد الملك « سبكتكين » وحسن اسلامهم ولم يذكر أحد من مؤرخي الاسلام قاطبة خبر مجيئهم الى هذه البلاد عدا ابن العبري في تاريخه السرياني « كرونيكون - سرياكوم » وقد أخذ هذا الخبر عنه راهب يدعى (راميشوع) في منتصف العصر الخامس عشر الميلادي ووضع قصة تاريخية استند فيها عليه وسنبحت عنه في محل آخر .

٤- ذكر مؤلف كتاب « طاؤوس ملك » ر . ه . وأميسن أن بعض الكتاب أكدوا بأن اليزيدية يمتقدون بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ، وأنهم من الجاهليين ، وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي وقد عبر عن الجاهليين بالعرب الذين لم يتبعوا تعاليم محمد ومنهم كان الخليفة يزيد بن معاوية .

وانت لا تريد أن تناقش الكتاب الذين ذكرهم أمبسن فيما ذهبوا اليه عن أصل اليزيدية - والعهد عليه - إذ ليس الغرض هو تعيين أصل اليزيدية من الناحية العنصرية بل من الناحية الدينية ، وما ذكره عن ديانتهم لا يستحق المناقشة إذ مها بلغ الجهل باحد ، لا نعتقد انه ينحط الى هذه الدركة من الهذيان .

٥- جاء في كتاب « عبدة ابليس » لنوري باشا والي الموصل : أن « اوزهن بوري » أحد فلاسفة الغرب يدعي بان اليزيدية ترجع الى (المانوية الثنوية) وأن راحة المانوية تشم منها .

وهو رأي أقرب الى الصواب من غيره وستكلم عنه في نهاية هذا البحث .

٦- ذهب السيد عباس العزاوي مؤلف تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم الى ان اليزيدية كانت موجودة قبل الشيخ عدي مستدلاً بذلك على ما رواه السمعاني في كتابه « الانساب » من انه لقي في (حلوان) وحواليها جماعة يقال لهم اليزيدية .

وفات الاستاذ العزاوي أن اليزيدية الذين ينسبون الى الشيخ عدي شيء ، واليزيدية الذين لقيهم السمعاني في حلوان شيء وان كانوا اشتركوا معهم بالاسم . وليس في وسعه أن يؤيد لنا كون اليزيدية الذين لقيهم السمعاني كانوا يحملون في يزيد عقيدة خاصة وكانوا يؤطونه ويعتقدون بألهة آخرين غيره بل يجوز انهم كانوا يحملون هذا الاسم لاعتبارات قومية أو سياسية ليس إلا .

٧- أتى العالم الخياط الموصللي في مؤلف له عن اليزيدية حكاية طويلة خلاصتها ان الشيخ عدياً عندما أراد الذهاب الى « مكة » لاداء فريضة الحج جمع مربيهه وقال لهم انه سيظهر عليكم شيطان في شكل انسان يشوقكم على الانحراف عن ديانتكم وحذرهم عن أن ينصاعوا له ويعملوا بقوله . ولما ذهب الى مكة وقع ما كان يحاذره وظهر لهم الشيطان على شكل الشيخ عدي وأفهمهم أنه قد نزل عليه الوحي في الطريق ، ورفع عن أتباعه التكليف وأباح لهم المحرمات والشهوات وعوضهم عن الذهاب الى مكة باداء فريضة الحج بجبل « لالش » فانصاعوا له وأخذوا يعملون بما أشار عليهم به ، وهكذا خرجوا عن طريقتهم وسلكوا طريقاً مخالفاً للإسلام . وعندما عاد الشيخ عدي من مكة بعد أربع

سنين قضاها في مجاورة الرسول ، رأى ما حل باتباعه من الضلال والزيغ ، فحزن حزنا عظيما وأخذ يبذل لهم الوعظ والنصيحة بغية إرجاعهم الى سيرتهم الاولى فأعرضوا عنه وأخرجوه من بينهم وهكذا مات كدأ .

والتلفيق في هذه القصة ظاهر وهي خرافية أكثر من أن يكون لها صلة بالحقيقة . ويكفي لتكذيبها بقاء هذه الطائفة متمسكة بطريقتها بعد وفاة الشيخ عدي بزمن بعيد . وفي وفيات الأعيان لابن خلكان في ترجمة الشيخ عدي : إن حفسدته الى الآن بموضعه يقيمون شعاره ويقتفون آثاره والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وعظيم الحرمة .

٨- ذهب البعض الى أن الذي تمثل بشكل عدي وحل بين أتباعه بعد ذهابه الى « مكة » لم يكن ابليس بل راهبا نسطوريا من دير « القوش » اسمه « آدى » او « أدای » وهو الذي قام بالدور الذي ينسبونه الى ابليس ووضع لهم كتاب (الجلوة) الذي جاء موافقا لميولهم ودعاهم للعمل به وبذلك أخرجهم عن دينهم .

وهذه الدعوى سرودودة لعين الأسباب التي شرخناها آنفا ، كما ان علماء النصارى ينكرون صحة ظهور راهب من دير القوش قام بهذا العمل .

٩- حاول البعض إرجاع اليزيدية الى النصرانية ونفى علاقتها بالاسلام مستدلين على ذلك بما زعموا أنهم وجدوه من بعض المظاهر النصرانية فيها كالعماد والاعتقاد بالمسيح واحترام البيع والكنائس الى غير ذلك .

وقد عللنا في غير موضع بان هذه المظاهر لا أثر لها في اليزيدية مطلقا ، وننفي ما يقال عن اعتقادهم بالمسيح واحترامهم البيع والكنائس نفيا باتا ، وكذلك عملهم بالعماد ، وقد سبق تعليله .

١٠- أراد أحد كتابنا الأفاضل ان يقارنهم بالباطنية السبعية لقولهم بالباطن والظاهر والنسخ والحلول ولأنهم يحترمون عدد السبعة كجعلهم السناجق الموجودة عندهم سبعة ، والملائكة المدبرين لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين سبعة ، وتعبيرهم عن المسلمين بالاسماعيلية اقتداء بالسبعية القائلين بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهذه جميعها

مردودة كما سيأتي البحث عنها .

هذه جملة من آراء الباحثين في تعيين أصل اليزيدية ، وترى أن كل واحد منهم اتبع رأيا لا يتفق والآخر وجميعهم لم يتوصلوا الى الحقيقة ، ومنهم من لمسها وحاد عنها ، وآخر جهلها واتبع رأيا على جانب من السخافة كالذي عد يزيداً جاهلياً فالتف حوله أمثاله الجاهليون وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي . أما « اوزهن بوري » فهو أكثر إصابة من غيره إذ اشتم بجدسه وفطنته رائحة (المانوية) من هذا الدين وأرجعه اليها . وهذا هو الصحيح ، والى القاري . بيان ذلك :

من دواعي الأسف أنه لم يكن لدينا ما يدل على حقيقة الدين الذي كان يتبعه سكان المنطقة الغربية من جبل هكار عندما وفد الشيخ عدي بن مسافر الأموي اليها بصورة صحيحة ، وهل كان الاسلام قد انتشر بين سكانها وعرفوه ؟ ام لم يكن قد انتشر بينهم ولم يعرفوه ؟ ام عرفوه ولم يتبعوه ؟ أما النصرانية فكانت قد انتشرت بينهم وأقبلوا عليها ، وكان لها أديرة وكنائس كثيرة (١) ، وهناك دين آخر وهو المجوسية التي كان سكان الجبال يدينون بها بصورة عامة الى ان ظهر الاسلام فهل كان قد أقل نجمها وزالت ام لا تزال باقية ويدين بها قسم من الناس ؟ فالتاريخ يدلنا على ان الاسلام بعد ان انتشر في بلاد فارس والعراق لم يقض على المانوية تماما وقد بقي أثرها في كثير من بلاد فارس وفي عاصمة الخلافة الاسلامية ، وعلى زمن المقتدر بالله (٢٨٢-٣٢٠هـ) أجلاوا أصحابها عن العراق بعد ان قتل البعض منهم وعذب الآخرون ، فهل شمل هذا الاجلاء أصحاب هذا الدين في العراق كافة ، ام بقي منهم أناس في الأماكن النائية ولم ينتبه أحد لهم ؟ فالذي يلوح لنا ان الشيخ عديا بن مسافر الأموي عندما جاء جبل هكار ونشر طريقته وجد أناساً يدينون بهذا الدين وقد انقطعوا في هذه الجبال وهم وجلون من سلطة

(١) لا يزال كثير من المواقع في هذه المنطقة يسمى باسماء اديرة قديمة مندرسة ، منها : قرية « دير آلوش » وقرية (ديرا خطرا) واهلها مسلمون ، ومضيق (كلي ديري) اي مضيق الدير يذهب منه الى ناحية (برواري السفلى) وهو عظيم جداً ، ويوجد آثار دير قائمة في قرية (بيدول) على نهر آروش . ومن الاديرة ما هو غير مندرس كالتي في قرية (بيوزي) و (میزی) و (آرخ) و (هرماش) و (نله) واهل هذه القرى نصارى . وعلى راس جبل الخير آثار ابنية قديمة ومثلها في جبال اخرى في المزدرية لا نعلم هل كانت آثار اديرة قديمة ام غير ذلك .

حكومية تقتنى أثرهم وتوقع بهم ، فبذل لهم النصيح والارشاد ودعاهم الى الاسلام وحسن إسلامهم واعتنقوا مبادئه وأصبحوا من خيرة مريديه ، نستدل على ذلك بما جاء في مقدمة الكتاب الأسود ، وهو ثاني كتب هذه الطائفة الديني وهو : « في زمن المقتدر بالله سنة ٢٩٩ هجرية كان المنصور الحلاج والشيخ عبدالقادر الكيلاني ، في ذلك الوقت ظهر انسان اسمه الشيخ عدي في جبل الهكارية » فهذا الكلام على رغم ما فيه من خبط وخلط ومسخ وتشويه يدلنا على ان لليزيدية ذكريات قديمة ترجع الى عهد المقتدر بالله بالوقت الذي لا يعرفونه ولم يكن لهم صلة به . فما هذه الذكريات التي يرجع مؤلف الكتاب الأسود اليها وينوه بذكرها ؟ والجواب على ذلك تجده في الفهرست لابن النديم ، فانه قال : « لما انتثر أمر الفرس وقوي أمر العرب عادوا (اي المانويون) الى هذه البلاد لاسيما في فتنة الفرس وآخر ما انجلوا في أيام المقتدر فانهم لحقوا بخراسان خوفا على أنفسهم ، ومن بقى منهم ستر أمره ، وتنقلوا في هذه البلاد وقد قلوا في المواقع الاسلامية » .

فابن النديم يدلنا بكلامه هذا على ان المانويين عادوا الى هذه البلاد بعد فتنة الفرس ، وقد أجلوا آخر مرة على زمن المقتدر بالله ولحقوا بخراسان وقد نوه صاحب الكتاب الأسود بهذه الحادثة وجعلها رأس تاريخ لما لأصحاب هذا المذهب من علاقة بهم ، وربما يكونون هم الذين « بقوا في هذه البلاد وستروا أمرهم » وانزوا في هذه البقعة بعد ان وجدوها خير مأوى لهم ، او لم يكونوا منهم بل كان لهم أواصر مبدأ وعقيدة تربطهم بهم ، وقد تأثروا من هذا الاجلاء وأخذوا يذكرونه ، وإلا فما هي علاقة واضع كتاب الأسود بالمانويين وجعل ظهور الشيخ عدي على زمن (المقتدر بالله) الذي تم هذا الاجلاء على عهده ؟ .

ورب قائل يقول أن الشيخ عديا عندما جاء جبل هكار لم يكن للمنوية أثر فيه وأن الذين اتبعوه هم اسلام صرف من العرب والأكراد الذين يدينون بحج يزيد وسامنا بهذه الدعوى ، فلماذا نجدهم بعد ان ابتعدوا عن الاسلام ظهرت عليهم المانوية بكل صورها وأعادوا دور (ماني) بشكله ورسومه ؟ فهل يجوز لنا القول أن ذلك دخل

عليهم عرضاً أم تلك تقاليد صوفية أساؤوا فهمها ؟
وصفوة القول : أن المانوية هي أساس هذا الدين ومنها ولد وظهر للوجود ، وقد بقي
زمننا منصعباً بصبغة الاسلام ، ثم زالت عنه هذه الصبغة بنتيجة الأحداث التي لحقت
به ، إلا ان لونها لا يزال باقياً . والزمن كفيل بايقاظ أصحابه من رقادهم بعد ان
ينالوا نصيبهم من العلم الذي حرموا منه زماناً وبقوا في المكانة التي يستحقونها في المجتمع .

﴿ اليزيدية في نظر الباحثين الغربيين ﴾

يجهد الكتاب الغربيون قرائحهم لمعرفة أصل اليزيديين ، وكيف عرفت ديانتهم ، وهل هم
مستقلون من الوجهة العنصرية والدينية ، أم لهم قرابة مع الأديان والعناصر الأخرى .
فالبروفسور آى . في .. وجا كسن في جامعة كولمبيا والمؤلف الشهير عن الأديان الإيرانية
يذهب الى أن الديانة الثنائية شكلت مبدئياً بعض المشابهات بين الديانتين الإيرانية
واليزيدية ، ولكنه بعد أن أبدى هذه النظرية وقف موقف المتشكك وأخذ يتساءل هل
ان الديانة اليزيدية عرفت في بلاد ايران أم في كردستان ؟ ويجيب بنفسه على هذا السؤال
بقوله : أن كثيراً من الوثنيين الإيرانيين عبدة النار والشيطان والزروراستريين (الزردشتيين)
انقادوا ودانوا بالديانة الجديدة كأنها ديانتهم الخاصة . وقد يدل كلامه هذا على ان
اليزيدية ظهرت بشكلها وتعاليمها في بلاد ايران ومن هناك انتقلت الى سائر المواقع التي
نجدها فيها الآن .

ويضيف « أمبسن » الى نظرية البروفسور جا كسن ان الطرقة الدينية اليزيدية
والجوسية القديمة نشأت من الزرادشتية ، والتاريخ اليزيدي الحديث متأثر من احتكاكهم
بالمسيحيين وخضوعهم الجزئي للحكم الاسلامي الذي سبب بعض التغييرات في عقائدهم .
ثم يقول : ولا نعلم اذا كانت الأبحاث في المستقبل سوف تعزز هذه النظرية ، او تظهر
نظريات أخرى أصح منها ، فلندع ذلك للمستقبل .

ثم يقول : ولأجل ان نصل الى نتيجة قطعية في أصل المذهب اليزيدي نحتاج الى
دراسة وثيقة في احوال الشعوب لأن ذلك هو الطريق المؤدى الى معرفتها في آسيا
الصغرى أكثر من اتباع لغتها وديانتها . ويقول : ان اليزيدية الذين لا يعرفون إلا النزر

القليل عن أنفسهم لهم تقاليد تنبئ بأنهم وفدوا من البصرة وهاجروا الى سوريا وقطنوا
اخيراً في سنجار، والتلال التي يقيمون فيها الآن، وليس لديهم أدلة أقل أو أكثر من ذلك.
ويقول: يؤكد بعض الكتاب بان اليزيدية لهم عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي أو
كلداني ولكنهم يدعون بان كثيراً من تعاليمهم مستمدة من مذاهب أخرى، ولا يزال
الكلدانيون المسيحيون والصابئيون يقيمون في العراق، والأخرون يسكنون شواطئ
الفرات، ومع أنهم أبرياء من عبادة الشيطان فلديهم بعض عادات مشتركة وبالأخص حفلة
التقدیس.

ويقول: وكاتب آخر يسعى ليوصل اليزيدية الذين هم كثيفو الشعر بالآشوريين الذين
نرى عادة في تماثيلهم اللحي الكثيفة، وبالنظر الى قلة المستندات والجميل المستولي على
الشعب اليزيدي لم يتمكنوا أن يحصلوا على أية نتيجة عن أصلهم.
وبعد أن أتى على الاسطورة المنقولة عنهم بأنهم ليسو من سلالة هذا البشر منشأ،
بل هم من أبناء آدم بينما باقي البشر هم أبناء آدم وحواء وان أمهم حورية هبطت من الجنة
وتزوجها آدم وتناسلوا هم منها، قال: أن هذه المعلومات وان كانت متضاربة ومرتبكة
لكنها ثابتة. فاليزيدية هم خلف للوثنية القديمة وقد أخفوا ديانتهم ليتخلصوا من
الاضطهاد، وكانوا دائماً يتجنبون المسلمين الإيرانيين والعراقيين الذين لغنوم لسبب
أعمالهم التي كانوا يعدونها حقيرة والتي تعود الى خليفتهم يزيد بن معاوية مؤسس ديانتهم.
هذا من ناحية تعيين أصل اليزيديين، أما من ناحية تسميتهم فيقول:

ينسب بعض المسلمين اسم اليزيدية الى اتباع الخليفة الأموي (يزيد الأول) الذي
خلف أباه (معاوية ابن أبي سفيان) وهو الثاني من الخلفاء الأمويين الأربعة عشر،
وكان معاصراً وتلميذاً (حوارياً) لمحمد. ولكن لا يوجد برهان على أن (يزيد) أسس
خلال الثلاث سنوات ونصف من حكمه (٦٨٠ - ٦٨٣) ديانة جديدة أو اتبع ديانة
محمد.

ويقول: ويعتقد اليزيدية أنهم من سلالة الخليفة يزيد، وهذا مما يدل على جهلهم،
ليتخلصوا من اضطهاد السنة الذين لا يجاوزون «الحسين بن علي» كما تجله الشيعة ولرغبتهم

في الانتساب الى شخصية شريفة وممتازة (ص ٣٠).
ويقول: قال كاتب مجهول ان العرب الذين أتبعوا (محمداً) أسماؤا الذين لم يتبعوا
تعاليمه بالجاهليين ومنهم كان الخليفة (يزيد بن معاوية) وقد التف كثير من الجاهليين
حواله وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي (ص ٣١).

ويقول: وبعض اليزيدية أنفسهم يؤكدون بان مذهبهم لم يحمل قبلا هذا الاسم
ويقولون انه عندما دب الشقاق في ديانتهم ظهر خليفة يدعى يزيد بن معاوية وإمرأة
مسيحية سمعت بالشيخ عدي وذهبت اليه ، واعتنقت ديانته وعلمتها أتباعه (ص ٣٦).

ويقول: ونظراً الى نظرية معاوية وهي: الأسطورة التي يروونها عنه من أنه كان
خادماً لبني الاسماعيليين محمد (ص) وعندما كان يخلقه جرحه من رأسه وخوفاً من ان
يراه لسع الدم بلسانه وهناك قال له محمد لقد أخطأت وسوف يأتي من صلبك من يكون
عدواً لأمتي ، وإجابته له بأنه سوف لا يتزوج أبداً ، وأخيراً عندما تسلطت العقارب
عليه ولدغته من وجهه جزم الأطباء بموته إن لم يتزوج ، فتزوج إمرأة في الثمانين
ليأمن حملها ، وفي اليوم الثاني ظهرت فتاة في ريمان الشباب وحملت (بيزيد) ، فالسر
جي . جي فريزر هو أكثر إصابة من بادجر في قوله بأن اسم اليزيدية أعطي الى هذه
القبائل من قبل المسلمين للاستهزاء والسخرية ، وبادجر افتر بآتهم انتخبوا هذا الاسم
لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

ويقول: ان الاعتقاد السائد بان اسم اليزيدي كان قد وضع من قبل الشيخ عدي بن
مسافر الذي توفي سنة ١١٦٢ والذي يرجع المذهب الحاضر اليه ، ولكن بلا شك ان هذه
العشائر كانت موجودة قبل ظهوره بزمن بعيد .

ويقول: وقد وضع الدكتور جوزيف الأمريكي قبل بضع سنوات نظرية جديدة
ومفيدة وهي أن اليزيدية هم أتباع « يزيد بن أنيسة » الذي كان صديقاً للمحكمة الاولى
قبل الأزارقة والذي كان يقول ان الله سيرسل رسولا من العجم وينزل عليه كتابا
كتب قبلا ، وسيترك ديانة محمد ويتبع ديانة الصابئين المذكورة في القرآن .

ونحن لا نريد أن تناقش هذه الآراء واحدة فواحدة وندل على موضع الخطأ فيها

إذ الخطأ يدل على نفسه بنفسه ، ومثلاً ما أكده بعض الكتاب من أن لليزيدية عقيدة خاصة بأنهم من أصل صابئي أو كلداني ، أو أنهم من الجاهليين وقد التفوا حول يزيد الجاهلي وأصبحوا نواة للمذهب اليزيدي ، أو أن لهم تقاليد تنبئ بأنهم قدموا من البصرة وهاجروا الى سوريا ، وهذه كلها أقوال فارغة ليس لها قيمة من الناحيتين التاريخية والعلمية . وغريب جداً ان نجد البعض من هؤلاء الباحثين يذهبون مذاهب غريبة في بعض المسائل وآخرون يطلبون ويزمرون لهم بأنهم وضعوا نظريات جديدة ومفيدة كأنما عميت أبصار غيرهم عنها ، كمنظريه الدكتور جوزيف الذي يريد بها إرجاع اليزيدية الى مذهب « يزيد بن أنيسة » الخارجي وليس بين اليزيدية ومذهب هذا الخارجي أية صلة او علاقة .

وإذا كان فيما ذكره هؤلاء الباحثون شيء من الحقيقة فهو علاقة اليزيدية بالزردشتية فقط ، ولكن هذه العلاقة قديمة ترجع الى زمن بعيد جداً أي قبل ان أصبحوا يزيديين وعرفوا بهذا الاسم ، وهم في الحقيقة مانويون كما يظهر لنا من اعتقاداتهم وأصول ديانتهم والمناوية هي التي خلفت الزردشتية في هذه البلاد وفي بلاد ايران وعاشت زهاء عشرة قرون . وطالما سماهم أمبسن بالزرادشتيين ، فلا نرى بأساً في مجاراته بتسميتهم بهذا الاسم . ولكن اذا وافقناه على هذا فلا نوافق على ان اليزيدية ظهرت في بلاد ايران ومن ثم انتقلت الى سوريا والعراق وآسيا الصغرى ، بل ولدت في الشيخان « قريباً من الموصل » وترعرعت في ربوعه ، وعندما ضاقت بها الأرض وحل ما حل بها من الولايات والنكبات هاجرت الى مواطن أخرى واستقرت فيها . نقول ذلك مع علمنا أن وطن الزرادشتية وكذلك المناوية القديم هو بلاد ايران ، ولكن يجب ان لا ننسى أن بلاد ما بين النهرين وكردستان ايضاً كانتا موطناً لهاتين الديانتين .

والحقيقة التي لا جدال فيها أن اليزيدية ولدت في الشيخان من أبوين زرادشتيين وقد كفل تربيتها الاسلام وأرضعها تعاليمه ومبادئه طمعاً بان يخلصها من شرك الوثنية ، وقد شبت على المباديء الاسلامية ، ولكن سرعان ما عادت الى سيرتها الأولى لفقدان الذين كفّلوا تربيتها وانتقال أمرها الى أناس لم يكن لهم حظ في الاستمرار الى النهاية على

تهذيبها . ومن الطبيعي إن أخذت كثيراً من تعاليم الاسلام عندما ترعرت في أحضانها وتأثرت بها من وجوه عديدة دينية كانت ام أخلاقية ام اجتماعية ، يبدو ذلك بالمفارقة بينها وبين الزرادشتيين الذين لم يتأثروا بهذه التعاليم ، وهؤلاء يقيمون في بلاد فارس وفي « بجي » في الهند (١) .

نعم لقد عاد هؤلاء الى ديانتهم القديمة بعد ان تحورت وخرجت عن أصلها بنتيجة الاحتكاك الذي حصل لهم بالاسلام قرناً وبعض قرن وأصبح من حق الاسلام ان يظا بهم بما له من حق الكفالة والوصاية عليهم وأصدر أحكاماً قاسية بحقهم حيث أخذ يعرفهم بالمرتدين . وقد كان لهذه الأحكام أثر شديد في حياتهم الاجتماعية خلال بضعة قرونٍ مرت عليهم .

ومن الخطأ ان نعتقد أن الشيخ عدياً هو الذي سماهم باليزيديين ، او أنهم كانوا يحملون هذا الاسم قبل ظهوره ، بل أعطي لهم من كتيبة الاسلام في مبادي القرن الثامن الهجري وربما قبل ذلك بزمن قليل ، ولكن ليس بقصد الاستهزاء والسخرية ، ولا أنهم انتخبوا هذا الاسم لمسايرة تعصب الحكام المسلمين .

وعلى أثر إرجاعنا ايام الى الزرادشتيين يجب ان نتوصل الى معرفة جنسيتهم ، والزرادشتية ليست اسم لجنسية بل لديانة تضم كثيراً من الأجناس والعناصر أكان في بلاد فارس أم في العراق . والحق ليس لدينا مستند يدلنا بصورة صحيحة وأكيدة على أصل هذه الطائفة ، وقد تبدو لنا آراء نقصها على القاري . وكلها لا تخلو من فائدة (٢) .

١- بالدرجة الاولى أن يكونوا من الأكراد ونعلم أن محل ظهورهم ونشأتهم هي البلاد التي تسكنها الأقوام الكردية منذ القديم . وقد أدخلهم جميع الباحثين في خرائط وكشوفات الطوائف الكردية ، وقد جاء في مفصل جغرافية العراق لظه الهاشمي (ص ١٠٩) :

(١) قدر بعضهم عبدة النار الان في فارس بـ ٨٥٠٠ نسمة ، وفي (بجي) وغيرها من بلاد الهند بما يقرب من مائة الف .
(٢) سنفرد بحثاً خاصاً عن اصل هذه الطائفة وجنسيتها ولغتها ، وما قلناه هنا لم يكن الا بسائق متابعة البحث .

«اليزيدية من الشعب الكردي».. ويعبر عن يزيدية الشيخان «بالداسنيين» والداسنيون هم الاكراد الذين كانوا يوجدون في سلسلة جبال «داسن» وقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه وتطلق الآن على جبال المزورية وإذا صححت نظرية الاستاذ «اولمستيد» بان عشيرة منوروي ترجع بالأصل الى عشيرة «مسوري - موسري» الآشورية التي كانت في عهد الملك «سناخريب» فيما بين رافدي نهر «الغازر» يمكننا القول بان يزيدية الشيخان هم أحفاد تلك العشيرة الآشورية التي كانت تعيش في فجر التاريخ في هذه المنطقة.

أما يزيدية سنجار وطورعابدين ودياربكر وحلب وموش وسمرقند وبدليس وماردين الى ما وراء حدود وان فبلاد القوقاس لا جدال في أنهم يرجعون الى سلالات كردية وهم بالأصل من شعوب سلسلة جبال «زاغروس» الذين وجدوا في هذه الجبال منذ أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة سنة (١).

٢- يجوز أن نعدهم خليطاً من الآشوريين والميديين أصحاب هذه البلاد الأصليين وقد أثبت التاريخ أن الميديين وغيرهم من الشعوب الآرية وفدوا حوالي القرن العاشر والتاسع، وعلى رأي «كرزون» في القرن العشرين قبل الميلاد الى جبال زاغروس وأوقعوا سكانه الأصليين تحت سلطانهم، فغلبت جنسيتهم عليهم ومثلوهم بهم، ولما انقضت دولة «آشور» على يد حكومة فارس والميديين سنة ٥٣٨ ق. م كان من الطبيعي أن يندمج الشعب الآشوري في الشعب الميدي لأن لم يكن كله فجزء منه، والأكراد هم أحفاد الميديين (٢).

٣- من المؤكد أنه يوجد بينهم عرب حافظوا على جنسيتهم وهم طبقة الروحيين، وهؤلاء وإن أصبحوا أكراداً غير أنهم لا يزالون يحافظون على عنصريتهم ولم يخاطبهم دم أجنبي (٣).

٤- أما يزيدية سنجار فيمكننا أن نستدل من الأخبار التاريخية والتقليد الجاري أنهم

(١) تاريخ الكرد وكردستان لامين زكي بك .

(٢) ميزوبوتامي - لسير ولسن ١٩١٧-١٩٢٠ ص ١٢٧

(٣) را : البحث عن الطبقات الروحية .

وفدوا الى هذا الجبل من أماكن مختلفة في مبادي العصر التاسع الهجري أى بعد غارة «تيمولنك» بشي قليل وهم أكراداً قحاح خالصوا الدم ، وقد امتزجوا بسكان الجبل النصرى الآراميين والعشائر العربية المسلمة بعد أن أرغموهم على قبول دينهم واختلط دمهم بدمهم على خلاف يزيدية طورعابدين الذين حافظوا على دمهم .



الأمير سعيد بك وحاشيته

في مراقبهم ومساخمتهم

في الشيخان وسنجان

اتجه البشر في أدواره الأولى الى عبادة العناصر الطبيعية كالسما والشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحب والارياح واتخذها آلهة معبودة ، ثم سارت الى جانبها عبادة الأسلاف والأبطال ، وأصبح لكل قبيلة وأمة آلهة يعنون بعبادتهم ، وعبادة الأسلاف والأبطال يراد منها الاستمداد من عظماء البشر وقادتهم الذين يحسبهم الناس قادرين على المعجزات والحوارق وتغيير حوادث الطبيعة التي ترهبهم وتخيفهم ، ومن هنا نشأ الاعتقاد بتقدس الأحجار والأشجار وفصائل الحيوانات وغيرها بصفقتها تمثل هؤلاء الأبطال ، وكذلك عقيدة التناسخ والحلول وعملت بها معظم الأمم والأقوام في أدوارها الابتدائية وعندما ارتقى البشر وظهرت الشرائع التي ترمي الى عقيدة التوحيد لم يخلص من عبادة الأبطال نهائياً ، وقد اتخذت البوذية والزرادشتية والمناوية والمزدكية والمرقونية والتناسخية وغيرها هذه العقيدة ركناً أساسياً لها ولازمتها في جميع أدوارها ، حتى الاسلامية لم تتخلص من هذه العقيدة التي تغلغلت عند عوامها نتيجة الاحتكاك الذي حصل لها مع أصحاب هذه المذاهب ، فانا نراهم يستمدون العون من قبور الأولياء والصالحين .

واذا رأينا اليزيدية تنجح الى هذه العقيدة وتتخذها آلهة من أشخاص أبطالهم وتعكف على عبادتهم فلا غرابة في ذلك ، والاسلام الذي مر عليها سروراً لم يستطع ان يجتث منها هذه العقيدة ، فأصبح لا يجوز لليزيدي ان يحل بقعة من الأرض ما لم يكن له فيها نصب يرمن الى أحد شيوخه وأئمة الذين يعتقد فيهم حلول الألوهية ليكون له شفيماً عند معبوده الأعظم ويدفع عنه المحن والآلام والنوائب ، فاذا ما حللنا مجتمعاً يزيدياً واسماً نرى فيه مجموعة من القباب الضخمة قد شيدت على أضرحة من يعتقدون فيه حلول الألوهية من أسلافهم ، وهي على شكل القباب التي نراها عادة على

أضرحة رجال الاسلام ، ولا فرق بينها من حيث الغاية ، وزادوا على ذلك ان اعتقدوا بكثير من الأشجار والأحجار ، وسجدوا لكل مكان شريف ، واجتنبوا وطء الوادي الذي فيه قبر الشيخ عدي بنعالم ، وزاروا مبانيه المتداعية ولثموا أحجارها وغفروا وجوههم بترابها ، وقبلوا عتبة حجرة الامير ، وأعتاب حجر بقية البيرة والمشايخ ، وقدموا لسادن كل مرقد نذورهم وهباتهم وخيراتهم ، وأوقدوا السرج والشمع كل أربعة وخميس ليس لأصحاب هذه المزارات فحسب بل لكثير من الاحجار والاشجار والمباني المتهدمة والرسوم الدارسة في وادي لالش المقدس ، واتخذوا هذه المراقد مستشفيات يأتون اليها بمرضاهم وذوي العاهات منهم لينالوا الشفاء من الراقدين فيها ، وهنا نذكر أهم المراقد الموجودة في الشيخان وسنجار .

﴿ المراقد والمزارات الموجودة في الشيخان ﴾

محمد رشان : يقع في سفح جبل مقلوب محاذيا لقريبة (كليشين) وقد ذكره صاحب قلائد الجواهر باسم (محمد رشا) وقال عنه انه كان له صحبة أكيدة مع الشيخ عدي بن مسافر وكان يسميه بالكردي ، وأسرته يتولون الآن سدائته ويعرفون ! (بيرة محمد رشان) ، ويعتقد مسامو تلك الارزاء بتصرفاته ولا يخلفون به كذبا ... ويذهب البيزيدية اليه في احتفالات شائقة في السنين المجدة لاجل الاستسقاء ويكون على رأسهم الامير وطائفة من الشيوخ والبيرة والكواجك ويقدمون له القرابين وبيتون ليلته في ضيافته ويعودون في اليوم التالي ، ويعتقدون ان الامير او أحد أفراد أسرته يذهب ضحية هذه الزيارة في تلك السنة .

عبدالرش : في قرية (كندالة) ومعناه العبد الاسود ، يزعمون أنه كان خادما للشيخ عدي وقد أطلعه على كثير من الاسرار ، وأدخله في زمرة الأولياء الأخيار .
الشيخ محمد : في قرية (كرخالص) وهو جد الأمراء الحاليين ويتصل نسبه بالشيخ أبي بكر وبسميه البعض بالشيخ محمد الكردي الاربلي ويعتقدون ان ترابه ينفع الرمد والقروح .

شيخ حنتوش : في (قرية عين سفي) ويسمونه : (شيخ حنتوش عربي) يعزون

اليه كثيراً من الكرامات ويعتقدون أنه اذا دفن يزيدي قريباً من قبره تلفظه الارض الى مكان بعيد ، وكان ان صادف موت أربعة أشخاص في قرية (عين سفني) بمرض التيفو قبل بضعة سنين فعزوا ذلك الى غضب الشيخ حنتوش عليهم لتفوط أحدهم قريباً من قبره فسارعوا الى إزالة الغائط .

وفي اليوم الرابع من هذه الحادثة أطلق شخص مجهول رصاصة على الامير سعيد بك في مرقد الشيخ عدي جرحه في ساعده فعبروا عن ذلك بغضب الشيخ حنتوش عليه لأنه لبي طلب أهل عين سفني وذهب معهم الى مرقد الشيخ عدي ليتشفع به لرفع غضبه عنهم ، فسارعوا الى استرضائه بتقديم أربعة قرابين اليه .

الشيخ شمس : ويراد به الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي الثاني واليه يمزى وضع هذه الديانة ، ويعرفه القوم تارة بالشيخ شمس الدين البتريزي وأخرى بشمس يزيدين أي شمس الآله .. له مزار نخم على ربوة عالية في قرية عين سفني وفي مواقع مختلفة في الشيخان وسنجار سيأتي ذكرها ، وقبره الحقيقي في المسجد المسمى باسمه في محلة الشيخ محمد بالموصل .

الشيخ منذ : في قرية عين سفني وهو من آباء طائفة من الشيوخ ، وروى لي أحد القوالين ولم أتأكد كده أن له مزار نخم في حلب .
الشيخ خال شمسان : في قرية عين سفني .

الشيخ امشاح : في قرية اشكفتيان يعمل الأمير له كل سنة «طوافة» يحضرها خلق كثير من البيديّة والمسامين ويقال انه من تلامذة الشيخ عدي ، وقد حل عليه ضيفاً عند مجيئه من «بعلبك» وبقي في ضيافته أربعين يوماً .

الشيخ نجر الدين : في قرية مام شقان .

الشيخ سن : في قرية ايسيان .

الحاجي رجب : في قرية بيرستك (١) .

(١) ذكرها صاحب الفلاحة باسم (بيرستق) تقع في صدر الجبل المحاذي (لعين سفني) على طريق باغذرة . كان للشيخ عدي فيها جامع وزاوية وقبرها قرية (بروق نبي فضل) نعتقد انها قرية (ايسيان) الحالية .

- بيرافات : في قرية كيس قلعة .
بيرمند : في قرية الجراحية (١) .
شيخ محمد : في قرية دوغات .
الحاج فارس : في قرية خطارة ويسمونه «حكي فيرس» .
الشيخ سيباطي (٢) : في قرية باطط المساعة ومتوليه «الشيخ عبدال بن الشيخ عاشور» من قرية «بايره» وله مقام في مرقد الشيخ عدي .
شهسوار : في قرية بيبان وهو محرف من (شاه سوار) أي فارس الفرسان .
مهدار : «بوزان وهو اسم لجبانة كبيرة تضم قبور كثير من الصلحاء منذ القديم .
شرف الدين : في قرية بيت نار .
الشيخ عنزروت : في قرية على قمة الجبل بين (اشكفتيان) و (مرقد الشيخ عدي) .
الشيخ شمسان : في قرية في سفح جبل مقلوب قريباً من قرية (جرش) المساعة يدعون ان الفريق عمر وهي عندما هدم قباب أوليائهم في الشيخان عجز عن هدم قبته وخرج منها نور أوشك ان يحرق القائمين بأعمال الهدم .
ملك ميران : في قرية بعشيقه وله مقام في مرقد الشيخ عدي ، ويعدونه من أبرار اليزيدية .
ناصر الدين : في قرية بعشيقه .

(١) تقع على بعد ساعة غربي قرية (باعذرة) كان فيها قلعة للامير (ابراهيم المهراني) لا تزال آثارها باقية ، و ابراهيم المهراني هذا كان معاصراً للشيخ عدي بن مسافر ومن تخلصيه . - القلائد -
(٢) بامالة الطاء يعتقد اليزيدية انه محرف من (شخصي باطي) او (شقصي باطي) ويقصدون به الشيخ محمد المدقون في قرية (باطط) المسلمة . وقد تضاربت الاقوال فيه ، فمنهم من يقول انه من ذرية (الشيخ عبد القادر الكيلاني) ومنهم من يقول انه من ذرية عمر بن الخطاب . و (شقص) محرف من (شخص) ويفيد معنى الشيخ او الولي مطلقاً . و (باطط) مخفف عن (باطط) فاذا ما قيل (شقص باطي) فالمراد (شخص باطط) اي (الولي باطط) او (الاله باطط) .
وفي معتقد اليزيدية ان الحضر والنضر سيكون يوم القيامة في هذه القرية ، وفي وسطها حجر كبير منحوت على شكل كرسي يعتقدون ان الشيخ عدياً سيجلس عليه ويضع عنده موازين القسط والعدل للناس .



مزار الشيخ محمد في بمشيقه

الشيخ محمد : في قرية بمشيقه ، يزعمون أنه « محمد بن الحنفية » (١) يعزون اليه حكاية على جانب من السخافة لا حاجة لذكرها . ومرقده من المشاهد التي يحج اليها اليزيدية ، وله أوقاف ينفق دخلها على الزوار ، ويصنع سادته ليلة كل جمعة ولجمة يحضرها كثير من الناس ، وله « طوافة » شائقة يجتمع بها ألوف من أهل الموصل والقرى المساعة ، على أن القبر الذي يرمزون به عن « محمد بن الحنفية » هو قبر « الشيخ محمد الزراني » أحد الصلحاء (٢) .

(١) هو ابن الامام علي بن أبي طالب : ذهب اصحابه وتلاميذه فيه مذاهب شتى وحصروا الامامة به وانتقلوا الى اولاده ، واعتقدوا به انه حي لا يموت ، والى ذلك أشار كثير بقوله : « وسبب لا يدوق الموت حتى • يقود الخيل يتبعها اللواء • تغيب لا يرى عنهم زمانا . برضوى عنده غسل وماء » . ومن اعتقادهم انه قد أحاط بالعلوم كلها ، وان اخويه الحسن والحسين قد اطلعا على الاسرار جميعها ، وانه يعلم التأويل والباطن . وهؤلاء هم السكيسانية والمختارية .
(٢) را : معجم البلدان مادة باعشيقا .

الشيخ شيدك : في قرية بعشيقه وهما اثنان القصير والغريب ، ويقولون أن للأول تصرف بقطع الحمى ويزوره أصحاب الحميات ويخاطبونه باللهجة البعشيكية : « شيخ شيدك ! شيخ شيدك ! تقطع الحمى بيدك ، تقطعها إلا ما انفيدك » . أي تقطعها والا ما زبردك ؟ فيقطعها .

الشيخ أبو قحوف : قريبا من تل بجزاني على طريق بعشيقه، يزعمون أن له كذلك تصرفا بقطع الحمى كالشيخ شيدك القصير ، إلا أنه لا يقطع حمى أحد ما لم يكسر أناه من فخار على قبره ، ولهذا عرف بهذا الاسم .

الشيخ شمس : في قرية بجزاني

» الشيخ حسن :

» الشيخ أبو بكر :

» الشيخ سجاد بن :

» الشيخ مند :

» الشيخ ناصر الدين :

» الشيخ عبد القادر :

» » ابن الشيخ عبد القادر الكيلاني

» عبد رش :

» ست خجيجي :

عدي وهي التي أتت على زعمهم بحجرين كبيرين من بغداد عند رجوعها من زيارة الشيخ عبد القادر الكيلاني كل واحد علق بشعرة من ذوائبها (١) .

ست جبي : في قرية بجزاني ويراد بها الست حبيبه

سيعد ومسهود : في قرية بجزاني ، يقيم البحزانيون طوافه لها كل سنة .

الشيخ زنين : محرف من الشيخ زيد الدين ، يذهبون الى انه ابن الشيخ حسن ،

(١) سألت احد ظرفاء البيديه - وقليل مام - : أما كان الاحرى بالسيدة خجيجي ان تذهب بهكذا حجرتين من هنا الى بغداد معلقة كل منهما بذوائبها بدلا من ان تسلب بغداد حجرتها الوحيدتين ؟ فقال لي : وما أدراك ان لو كان في بغداد هكذا حجرتان لادعينا ان الست خجيجي ذهبت بهما من هنا .

والصحيح انه ابن الشيخ شرف الدين بن الشيخ حسن ، ويمتقدون انه مدفون عند أبيه في قرية بجزاني ، ويرددون عنه قصة خلاصتها : انه ركب فرس الشيخ عدي سره واسمها « بور » وعند ما علا عليها نظر الى أعلى فرأى (العرش والكرسي) ونظر الى تحت فرأى (الكاو والماس) أي (الثور والسمة) فأوصلته الفرس في طرفه عين الى مصر وأخذت هناك تظهر على يده المعجزات وخوارق الآيات فشمع به حاكم مصر وقبض عليه وسجنه في جب عميق بمد ان كبله بالحديد . فهد (الشيخ عدي) اليه عصاه من لالش فتعلق بها ونجا من السجن . وللقولين منظومة بهذا المعنى يرتلون في حفلاته .

الشيخ محمد العمري : في قرية باطط المسلمة (راجع الشيخ سيباط) .

الشيخ موسى صور : ومعناه الأشقر ، له مقام في مرقد الشيخ عدي وهو على معتقدهم ملك الهواة ورفيق عبد رش .

الشيخ ابراهيم الختمي : له مقام في مرقد الشيخ عدي ، ويمتقدون انه أخو الشيخ موسى صور وكلاهما اولاد الشيخ شمس الدين . وقد ورد ان لأبي البركات عدي بن صخر ولد اسمه (موسى) فيجوز أن يكون هو المراد .

الشيخ طوكل : له مقام في مرقد الشيخ .

الشيخ كراس : « « « « ومعناه في الكردية الثوب .

لكمدين بابا : « « « «

بهلوك بك دانا (١) « « « «

الشيخ ابراهيم الخوزستاني (٢) : له مقام في الشيخ عدي ، يعتقد الزيدية انه كان ذا غنى زائد ، فانقطع عن الدنيا واتصل بخدمة الشيخ عبد القادر وأصبح من خواصه . خاتونة نخر : لها مقام في الشيخ عدي وهي على معتقدهم أم الشيخ شمس الدين والشيخ آماد بن (عماد الدين) .

(١) لهم يقصدون به احد المجازيب المشهورين وهو أبو وهب ابن عمر الصيرفي : عاش في بغداد على زمن هرون الرشيد وتوفي عام ١٩٠ هـ . يروي له محاورات مع هرون الرشيد تدل على سداد رأي وحكمة وتعقل .

(٢) لعاه ابراهيم بن زيد الخوزي ، وهو من رجال الحديث . كنيته أبو اسماعيل توفي سنة ١٥١ هـ ويقال انه كان مملوكا لعمر بن عبد العزيز الاموي ثم اعتقه .



اسطوانة الحظ - ستون مرازا

ستون مرازا : ومعناه اسطوانة الحظ وهي صخرة على شكل اسطواناني في مرقد الشيخ عدي يمتقدون ان الشيخ عديا وضعها خصيصاً لتعيين حظوظ مردييه ، فن حضاها فهو ذو حظ وافر وبالعكس ولذلك فقد أحاطوها بمنائيتهم وقدموا لها أعطيائهم .

زينل بك جاف بوخال : له مقام في مرقد الشيخ عدي . ومعناه صاحب العين ذات الخمال

الشيخ محمد الرحاني : » » »

بير كه خوشابه : » » »

بوي قلندر : » » » ومعناه راحة الدرويش

مار كور كيس : » » »

الشيخ بابك : » » »

شيخكي دوملي : » » » ومعناه ذو الكتفين أو الجناحين
كوجك لالش : اي لالش الصغير ، يحكي البيزيدية ان الشيخ زندي بن
الشيخ حسن اغتاض مرة من (الشيخ عدي) فهجر لالش وجاء الى قرية (مام شفان)
واتخذها دار مقام له وسمها (لالش الصغير) كناية عن لالش التي فيها زاوية الشيخ
عدي وأقام فيها النصب والنمايل تشبيها بها ، وقد يعملون فيها كل سنة طوافه للشيخ
عدي تكريماً له .

﴿ الزارات والمرقد الموجودة في جبل سنجار ﴾

الشيخ شرف الدين : في جبل سنجار ما بين قرية (البيتونية) و (علي دينا) في مكان
على غاية من الروعة والجمال تحفه الاشجار الوارقة وتجري فيه المياه الزاخرة وقد
يصنعون له (جماعية) يوم ٢٠ و ٢١ من شهر تموز الشرقي كل سنة تجتمع فيها الالوف
من يزيدية سنجار من الجوانا والخوركان ويحضرها كثير من المسلمين ، وله مقام في
مرقد الشيخ عدي في لالش يعتقدون ان ترابه ينفع الحصبه والجدرى .

الشيخ آمادين : ويراد به الشيخ عماد الدين في قرية مهركان وله مقام في مرقد الشيخ
عدي في لالش .

الشيخ شمس : في قرية (بشتكيري) يصنع اهل قرية (الجفرية) طوافه له كل سنة
شيبو القاسم : يقصدون به الشيخ أبا القاسم ، يقال أنه من السادة العلويين .
جاميران : ومعناه الرجال الاربعون (١) يقع بين قرية (سم استر) و (كواكان)
و (بردحلي) على رأس الجبل ويجرون له طوافه أول أربعا من شهر نيسان الشرقي من
كل سنة .

الشيخ بركات : في قرية (نخسي عوج) في سنجار .

الشيخ شمس : في قرية (جفرية) .

الشيخ حسن : في قرية (كاباره) قريباً من قرية قصركي .

(١) وفي قرية « ادن » من قرى بروارى العليا في قضاء العبادية يوجد قبور لاربعة شهداء وسموهم
« جل شهيد » واعتقادهم بهم عين اعتقاد البيزيدية بجميران .

الشيخ دقيق : له مقام بين قرية (حمسكي) و (باره) في سنجار يقال انه ابن الشيخ حسن وقد خلق من التراب الذي بلله بدموعه عندما بكى على ولده (زدين) بعد رجوعه من مصر ووفاته .

الشيخ عبد القادر : في قرية (المجنونية) التي بنيت على أنقاض قرية (حيال القديمة) ينسبون اليه تسع قباب بعضها قريب من بعض وقد تهدمت إلا واحدة منها، والقائمون بتوليته أولاد (الشيخ رشو) ويرتقى نسبهم اليه .

محمد رشان : في شمالي قرية (تبه) في سنجار وفيه مقبرة يدفن عشيرتا الهبابات والدليلان فيها أمواتهم .

الشيخ الرومي السنجاري : في شمالي جبل سنجار قريبا من قرية (آديكه) له مقبرة واسعة عليها غابة كثيفة من الأشجار لم تمتد اليها يد انسان منذ مئات السنين (١) ويعتقد أنه من رجال الاسلام الصالحين .

علي بن هاب : هو مزار إسلامي ، إلا أن البيزيدية يشتركون فيه . ونقصد بالبيزيدية (الهابيات) منهم وسكان قبلي الجبل ، وهو محرف من وهب يعتقدون أنه (علي بن أبي طالب) ويسمونه (سوار دندل) أي راكب الدنل ، و (سوار بري) أي فارس الصحراء ، مدفون في قرية (الأوهبي) في الصحراء قريبا من قرية (القابوسية) و (المستعجل) الاسلاميتين وعلى بعد ثلاث ساعات من جنوب سنجار عليه قبة لا تزال باقية . ويتناقلون عنه حكاية مؤداها : أنه بينما كان يوما يسقى بستانه كانت يد خفية توجه الماء الى جهة غير التي يقصدها ، فلما أعياه الأمر رفع بمسحاته بقدر ما تحمله من الطين وألقاه في الفضاء فتناثر هذا الطين على جلساء الشيخ عبد القادر الكيسلاني في بغداد ، فضحك الشيخ عبد القادر وقال : اردنا ان نداعب عليا بن وهب ، فداعبنا .

وقد ترجمه الشيخ محمد التاوفي في كتابه (قلائد الجواهر) وقال عنه : صاحب

(١) وهذا هو عين ما تجده في مقابر المسلمين الاكراد في الجبال بصورة عامة ، فقد يجنبون قطع شجرة من اشجارها وقد يمر عليها عصور ونيس وتسقط على الارض ولم يقربها احد. ومما يدل على فرط احترامهم للمقابر ان العشائر الرحالة (الكواجر) عندما يذهبون في موسم الصيف الى جبال الزوزان يؤمنون امتعتهم الثقيلة فيها فيعودون بعد بضعة اشهر ويجدونها دون ان امتدت يد اليها .

كرامات خارقة ومكانة جليلة ومكانات رفيعة له الطود الأعلى في المعارف والمحل الأعلى من الحقائق وهو أحد من أبرزه الله تعالى الى الخلق وأوقع هيئته في القلوب .. ثم قال: سكن قرية البدرية من عمل سنجار وبهامات وقد نيف على ثمانين سنة ، وهو بدوي من ربيعة شيباني .

الشيخ أسود : وهو كذلك بمن بشارك البزيرية الاسلام في الاعتقاد به وقبره وسط خرائب مدينة سنجار القديمة على جانب الطريق ، عليه قبة لا تزال تحافظ على جديتها وهو الشيخ سويد السنجاري الرجل الصالح المشهور واسمه الحقيقي نصر الله قال عنه صاحب القلائد : تخرج على ابن وهب الربيعي ونال مكانة رفيعة ومنزلة سامية .. ١٥٠ هـ . الست زينب : يقع مزارها على ربوة عالية في شرقي سنجار تنسب اليها الطائفة المعروفة بالبالوات ، فيقال (بالوات الست زينب) تفرقة لهم عن (بالوات ببر زكر) ويشترك يزيرية (الجوانا) في الطواف التي يقيمونها تكريماً لها . والمحل الذي يقع فيه مزارها على جانب عظيم من الروعة والمتواتر انه كان قبل ديراً للنصارى . واكد لي غير واحد أن علامة صليب معكوف لا تزال ظاهرة على احد جدرانها ، الا اني لم أراه .
سالمك باك : هو صحابي ويعد الدروز الباطنيون من أساطينهم (١) ويعتقدون ان الهوية الآلهية قد حلت فيه . وفي عرف اليزيرية انه كان يسكن مغارة في (مضيق قجراغ) قريبا من البلد ويزورون هذه المغارة ويتباركون بها . ونرى ان هذه العقيدة دخلت اليزيرية من طوائف الشيعة الذين في الجبل وتنحصر ييزيرية (الجوانا) دون (الخوركان) .

والجوانا يعظمون كل أثر اسلامي في الجبل حتى المنارة القديمة في البلد . وقد ورثوا هذا الشعور من آباؤهم الاقدمين دون ان يعرفوا له سبباً ، اذ كان اهل سنجار قديماً يعظمون هذا الجامع ويعتقدون باستجابة الدعاء فيه (٢) .

(١) هو احد الخمسة الذين يعتقد الدروز الالهية فيهم والاربعة الباقين هم : المقداد بن الاسود ، وصار بن ياسر ، وهاني بن مسعود ، وبهاء الدين الذي نصر هذا المذهب .

(٢) يقول ابن بطوطة (٧٠٣-٧٨٠هـ) وكان قد زار سنجار: « ومسجدها الجامع مشهور البركة ويدور نهر جار به ويشقه » وقد بني هذا الجامع على عهد الحكومة الاتابكية في سنجار من سنة ٥٢١ الى سنة ٦١٥ للهجرة .

كافي بير آخايي: ينبوع ماء كبير في قرية « كولاكان » قريباً من قرية « سم استر ». يذهبون الى أن (الشيخ عدياً) عندما جاء من ماردين قاصداً (لالش) حط رحاله فيه لذا أصبح بنظرهم مقدساً وأصبح كل ما هناك من شجر وحجر مقدساً . وعلى قرب من الينبوع صخرة منحوتة نحتاً طبيعياً على شكل كرسي يعتقدون أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وبجانبها صخرة أخرى منحوتة على شكل معلف يزعمون أنه كان يربط فرسه (بوراً) عليها ، وفي شمالي الينبوع كهف مجوف يحفظ الفقراء خرقهم الخلقمة فيه وهو أشبه (بخانه خرق) عند يزيدية الشيخان .

وليس في الجبل منزله مثل هذا المحل ، فثبات النساء والفتيات من « كولاكان » و « سم استر » و « كرسي » يجتمعن فيه ويتفیان أشجار الحور والبلوط الباسقة ويتسلقن في (كافي بير آخايي) ويحملن منها الماء في قرب على ظهورهن الى بيوتهن ، والرعاة يوردون قطعان الغنم من ماء هذا النبع البارد ، وهنا وهناك شبان اليزيدية يمزفون على الطنبور ويرقصون رقصهم الشعبي على أصواته الشجية ، والنساء العواقر يصنعن أرجوحات صغيرة من الأعواد رمزاً الى استشفاعهن بالشيخ عدي لنيل بغيتهن ، ثم يمدن مساء الى بيوتهن وأفكارهن ملاءى بالأحلام والآمال .

هذا ما تمكنا من معرفته عن مزاراتهم ومشاهدتهم ، وقد وقفنا على كثير منها عدا البعيد الذي لم يتيسر لنا الوصول اليه . ولهم مزارات كثيرة أخرى غيرها اكتفينا بما ذكرناه وهو المشهور عندهم ... أما اليزيدية الذين هم خارج جبل سنجار والشيخان كيزيدية الطور وماردين ودياربكر وحلب ووأن وبلاد القوقاس ، فلهم عين هذه المزارات ولا يصح ليزيدي أن لا يتخذ له مزاراً يتوجه صباح مساء اليه ويطوف حوله ويسجد له ويطلب الرضا والشفاعة والخير والبركة منه .

ويختلف اليزيدية سنجار عن يزيدية الشيخان باعتقادهم برجال الاسلام ، ولا سيما بالسادة العلويين وسبب اندماج كثير من المسلمين فيهم عند أول وفودهم الى جبل سنجار فسرى هذا الشعور اليهم على خلاف يزيدية الشيخان الذين ظلوا بعيدين عن أهل

الاسلام ولم يختلطوا . وقد يظهر يزيدية سنجار المحبة والولاء للأئمة العلويين
ويحترمونهم بصفتهم قرشيين وقد تجمعهم أوامر النسب بالأمويين الذين ظهر (يزيد)
منهم .

والكل على حد سواء في بغضهم الرسول النبي الكريم ، وذلك لاعتقادهم به أنه كثيراً
ما حارب ديارهم ووقف في سبيل تقدمها . والبعض يقولون : أن علماء الاسلام الذين
قاوموهم بشدة وأباحوا دماءهم أخذوا تعاليمهم منه وهو لم يكن صديقاً لهم ، ولذلك لم
يروا له حقاً في محبتهم .

الاعياد والمواسم

للبيديية اعياد كثيرة معظمها أخذوه من الاسلام بعد تغييرات قليلة أوجدوها فيها. ولا غرابة في ذلك بعد ان علمنا صلتهم بهذا الدين وعملمهم به زمنا ليس بقصير. واذا عرضنا عن جميع الاعتبارات التي تؤيد لنا أخذهم اعيادهم من المسلمين، يكفيناما نجاهه فيهم من العناية العظيمة بيوم الجمعة، فهم يعدونه من الأيام المقدسة ويحرمون الاشتغال فيه مطلقا، وقد وافقوا الاسلام بأخذهم عيد رمضان، وعيد الأضحى، والاحتفال بيلة القدر، واقتبسوا عيد (البيلنده) من الجوس، وعيد خضر الياس من النصارى أسوة بالمسلمين، وهذه اعيادهم:

عيد رمضان: يجرونه بعد صيام ثلاثة أيام من أول شهر كانون الأول الشرقي، وهو من أهم اعيادهم يحتفلون به احتفالا عظيما ويبدلون فيه خيرات كثيرة، ويتزاورون ويتحايبون، ويتمنون الفقرا لأمواتهم ويزورون قبورهم.

عيد البيلنده: ويسميه البعض منهم (البيرنده) وهو بعرفهم عيد ولادة الملك (يزيد) وهو مجوسي بجميع مظاهره، يخبزون فيه الخبز على شكل آلات الحراثة في التنابير ويوزعونه على الفقراء ويطعمونه ثيابهم المختصة بالفلاحة، ويوقدون النيران في منازلهم ونوادبهم وفي اصطبلاهم ويدورون حولها.

والنصارى يعاقبة يجرون على مثل هذه القاعدة في عيد ولادة السيد المسيح، فيخبزون كذلك الخبز في التنابير ويوقدون ناراً ذات لهب ويقرأ رجال الدين عليها ترانيل وأدعية دينية ويقفزون من عليها، ويجوز أنهم والبيديية أخذوا هذه العادة من منبع واحد.

عيد الأموات: يقع في اليوم العاشر من شهر كانون الأول الشرقي، يعملون فيه نوعا من الكمك ويوزعونه على الفقراء، ويعملون كمكة كبيرة ويضعون فيها (زيببة) ويحملونها على ظهر أحد أولادهم، وبعد سبعة أيام يأتون برجل غريب ويفوضون اليه كسرها

وتوزعها على أهل البيت ، فمن ظهرت (الزبيبة) في حصته يكون صاحب الاقبال والسعود .

عيد خضر الياس : يقع في أول يوم خميس من شهر شباط الشرقي ، يصومون فيه ثلاثة أيام ، والبعض يوماً واحداً .
عيد الأربعين : يقع في منتهى أربعين الشتاء .

عيد رأس السنة : هو أول أربعماء من شهر نيسان الشرقي ويسمونه (عيد سرسالي) يجمعون فيه الفتيان والفتيات الزهور الحمر من الحقول ويعملون باقات صغيرة ويعلقونها على أبواب منازلهم قصد التوفيق بينهم وبين إله الشر .

عيد الأضحى : ويسمونه عيد الحج وهو عيد الأضحى عند الاسلام . يتوافد الزيدية في اليوم السابع والثامن من شهر ذي الحجة الى مرقد الشيخ عدي ، وفي اليوم التاسع مساء يصعدون جبل عرفات ويسمونه جبل الحج وهو في شرقي المرقد وفي مقدمتهم (رئيس الأئمة) ورجال الدين يأخذون جميعاً بالابتهاال والتضرع لأن يقبل « الشيخ عدي » حجهم ويفقر لهم ذنوبهم وخطاياهم . ثم ينحدرون من الجبل والشمس قد آذنت بالغروب ، فيزورون « الحجر الأسود » على طريقهم ويقبلونه ، ومن هناك يدخلون الحرم الشريف فيفسلون وجوههم وأيديهم بماه زمزم المبارك « ينبع من زاوية مظامة قريباً من قبر الشيخ بركات ويصب في حوض كبير وسط المعبد » ، وهكذا بعد إكمالهم هذه المناسك يأخذون باللهو والقصف طيلة تلك الليلة ، وفي الصباح يجرون مراسم العيد بمصاحفة بعضهم بعضاً ، وتقبيلهم أيدي رجال الدين وإهدائهم شيئاً من النقود ثم يأخذون بأهبة الرجوع الى محالهم .

عيد الجماعة : هو من أكبر أعيادهم ، يقع في أول موسم الخريف (من ١٥ الى ٢٠ ايلول الشرقي) يجتمع فيه مئات الزيدية من الشيخان ودهوك وزاخو وسنجار وغيرها من الأماكن البعيدة في مرقد الشيخ عدي ويقفون فيه خمسة أيام في لهو وقصف متواصل لا يعرفون فيه هواة . وقد يواصلون نهارهم بليلهم في اللهو وقلمنا ينال أحدهم نصيباً من الراحة . فبينما ترى مثلاً أهل قرية قد أودوا الى فراشهم ليلاً وهم يغطون في

النوم ، اذ يقومون من نومهم كالجائنين وترتفع أصواتهم بالغناء ويرقصون ويرقصون الى ان تنهك قواهم ثم يعودون الى فراشهم .

وقد جرت العادة ان يقبل أهل كل قرية او جماعة في المحل المعين لهم ولا يجوز لأحد الإقامة في محل يختص بغيره .

ومن المسنون ان يطلق الزوار عباراتهم النارية عندما يقربون من المرقد إيداناً بوصولهم فيهرع الذين سبقوهم في الوصول الى استقبالهم .

ويأتون ؛ (برشباكي) وهو التخت الذي يزعمون ان الشيخ عديا كان يجلس عليه فيستقبلونه في مظاهر شائقة ويوصلونه الى المحل المعد لنصبه .

ويجلس (الشيخ الأكبر - بابا شيخ) وسط الصحن المجاور للمرقد ويأتي الزوار ويلتمون يده ويقدمون له أعطياتهم .



الشيخ الأكبر - بابا شيخ جالس في الصحن المجاور لمرقد الشيخ عدي

وتكون الزيارة بواسطة (منورين) لقاء أجور يتقاضونها من الزوار .
ويعطي من قد نذر نذراً قطعة من الشاش الى منوره فيباركها له في إمام زمزم وبشدها
علي رأسه .

ويشترط على الزوار ان يخلموا أحذيتهم عند اقترابهم من الوادي المقدس ، ولا يجوز لهم التقرب من نسائهم (١) ولا معاقره الحرة مدة إقامتهم في الرقد ، وذلك حرمة للشيخ عدي ، الا ان التقليد الجاري أباح لهم تهريب النساء والفتيات في هذا المحل باعتبار ان تلاقى الجنسين وتعارفهم لا يتيسر الا فيه ، أضف الى ذلك ان حرية الأشخاص هنا مضمونة من التعرض .

ولا يسوغ لأحد من الزوار ان يصنع له طعاما مدة بقاءه في الرقد لأنه ضيف على الشيخ عدي (٢) .

وفي اليوم الرابع من هذا العيد يتعاون شاة ويطبخونها وبعد ان ينضج لحمها يخرج أهل قرية عين سفني قطع اللحم من القدر بأيديهم ويضعونها أمام الأمير فيأكل منها ما طاب له والبقية يأكله الزوار .

وفي اليوم الخامس يجرون أفراح « القمبغ » (٣) وذلك ان يصعد جماعة من اليزيدية « القائدية » (٤) الى رأس الجبل بكل سرعة ورشاقة ثم ينحدرون مثلها وهم يطلقون بنادقهم ، وهناك يأتي مسادن الرقد بثور فيقبضون عليه بقوة كيلا يفلت من أيديهم ويصعدون به الى الجبل تارة أخرى وهم يشبعونه ضربا بالمصي ثم ينحدرون به ويهدونه الى الأمير ، فيخلع عليهم معظفاً او زبونا او عباءة ، والزوار يهاجمونهم من كل جانب قاصدين اغتصاب ما خلعه الأمير عليهم وهم يدافعون عن أنفسهم بالمصي الى ان يصلوا الى باب الرقد فيكف الزوار عنهم .

وقد يستلم السادن الثور فيذبجه ويعمله عشاء للزوار (٥) .

(١) اقتداء بالمسلمين الذين يعملون بالآية الكريمة : فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج .

(٢) اخذ الزوار في السنين الاخيرة يأتون بطعامهم معهم من بيوتهم لاهمال هذه القاعدة .

(٣) اظنها كلمة تركية الا اني رأيتها في بعض الكتب الفارسية وقد تدل على نوع من اللعب .

(٤) يقال انهم اتباع (قائد) خادم للشيخ عدي او لنديته .

(٥) ذكرت الباحثة (مس روزيتا) في بحث عقده عن النحلة اليزيدية من انهم « يقدمون البقر قربانا للشمس » وقد وهمت فيه . وعقيدة اليزيدية بالشمس تقتصر على انها عنقصر مقدس ويسجدون لها عند كل شروق وغروب . وليس من عاداتهم ان يقربوا لها قربانا . والقرايين عندهم عادة تقرب الى الانصاب والتماثيل التي يرمزون بها الى آلهتهم . وذبحهم الثور يكون بالسنة مرة واحدة في هذه الحفلة . ولو انها لاحظت جيداً عملية مطاردة الثور في هذه الحفلة - وقد حضرتها بنفسها - وذبحه ، وكذلك ذبح اهل

ومن التقاليد المتبعة انه اذا أصيب أحد بجروح من أيدي القساودية او مات يذهب دمه هدرآ ولا يطالب به .
ويصعد (الكواجك) كل يوم الى الجبل ومعهم الحبال الملونة ويأتون بقطع الخشب على ظهورهم ليكون وقوداً لمطبخ الشيخ عدي .
ويكثر الخدام من إشعال المصابيح مساء كل يوم في أرجاء الوادى المقدس وعلى القباب والطرق والمباني المهتمة .

وفي اليوم السادس يأخذ الزوار بالعودة الى أوطانهم يأخذ (الطازية) وهم أهل قرية بعشيمة وجزاني بتنظيف المرقد من الاوساخ والازبال التي تركها الزوار .
وهذه كلها تقاليد دينية لا يجوز إهمال شيء منها .

تتمة : ولهم مراسم تعبدية يجرونها في ليالي هذا العيد بغاية التكم ، يسمونها (سما) او (سمايي) - إشارة الى استمدادهم الفيوضات والتجليات من السماء - وذلك أنهم يجتمعون في الصحن المقابل لمرقد الشيخ عدي ويضعون شمعدانا ويسمون (جقلتو) ، عليه وعاء مملوء مشرجاً وقد صف على جوانبه ذبالات كثيرة وفي وسطه ذبالة مصنوعة على شكل وردة كبيرة فيشعلون هذه الذبالات ويقفون حولها على شكل دائرة يكون في أولها (المطبخجي) وهو القائم بأعمال المرقد ، منفرداً لا بساً ملابسه الرسمية (وهي تاج الشيخ عدي (١) وخرقة الشيخ أبي بكر) ويعقبه (يش امام) وقد مر ذكره و (مير حاجي - أمير الحاج (٢) يقف الأول الى اليمين والثاني الى الشمال ، ووراءها « الشيخ الاكبر - بابا شيخ » و « إمامه » الذي يشترط ان يكون من أسرة الشيخ شرف الدين ثم يعقبها الكواجك اثنان اثنان ، ثم « بابا كواجك » كبير الكواجك منفرداً حيث يكونون عشرين ويدورون حول الشمعدان ببطء وفي خضوع وخشوع ثلاث مرات

عين سفني الشاة وطبخها واخراج لحمها بأيديهم من القدر وتقديمه الى الامير ، لعلمت ان عملهم هذا ليس له صلة بعبادة الشمس ، بل تقليد ورثوه منذ زمن الشيخ عدي وظلوا دائبين عليه .

(١) هو بحجم التيجان التي كانت تلبسها سلاطين العثمان وعلى شكلها كما نراه في رسومهم ، له اضلاع منحنية تنتهي بالقمم منه وقد صنع صنعا دقيقا .

(٢) يعينه الامير للقيام بالاعمال الادارية والانضباطية في المرقد ايام الزيارات ويشترط ان يكون من أسرة الامراء .

على ان تستغرق مدة الدوران أربع ساعات والقوالون يدقون بالدفوف دقا هادئاً ويعزفون على الشبابت عزفاً شجياً ويرتلون الاناشيد وهم جالسون أمام « دير مير » اي باب مرقد الشيخ عدي . ويستحيل بصورة باتة ان يسمحو لاحد من الاجنبيين ان يطلع عليهم (١) ويستحب ان تستمر هذه العبادة الى بعد منتصف الليل وهو الوقت الذي تتجلى فيه الفيوضات ويكون الدعاء مستجاباً .

وفي صباح كل يوم من أيام الزيارات يؤتى من مطبخ الشيخ عدي بغداء لبيش أمام وامير الحج وهاجا لسان قرب « در مير » الاول من جهة اليمين والثاني من جهة الشمال والغذاء حساء موضوع في قصعتين خشب ، وفي كل قصعة ملعقة خشب ، والقصعة المختصة « ببيش أمام » مصحوبة برغيف واحد من الخبز ، فيأخذ منه كسرة ويناوله الى أمير الحج فيأكل منه لقمة او لقمتين ثم يأتي الكوا كجك ويرفعون القصعتين فتتهافت الكوا جك والقوالون عليها والسعيد من اصاب يده شيء من هذا الحساء والحسها .

عيد الحيا : يصادف الليلة الخامسة عشرة من شهر شعبان وهي ليلة القدر يجتمع فيها اليزيدية في مرقد الشيخ عدي وفي مقدمتهم الامير وطائفة من رجال الدين ويصلون الصلاة المفروضة عليهم ، وذلك ان يؤمهم جميعاً « رئيس الأئمة » عندما يكون مستقبلاً القبلة ، ويصلي فيهم ست ركعات متواصلات بدون ركوع وبسجدة واحدة ويقراً مائة مرة سورة الاخلاص في كل ركعة ، وبعد أن يأخذ يصلون نصيبهم من الراحة يأكلون ما يقدمه لهم سادن الرقد من طعام وفاكهة يستأنفون صلاتهم فيصلون ست ركعات اخرى على الصورة الآتفة الذكر ويزيد ببش أمام مرة واحدة سورة القدر على الركعة السادسة ، وهكذا يؤدون صلاتهم المفروضة عليهم ، ويعتقدون أنها تقوم مقام صلاة سنة كاملة ، وفي صباح اليوم الثاني يأخذون بأهبة الرجوع الى محلهم (٢) .

(١) أعد نفسي اول من وقف على هذا النوع من عبادة اليزيدية لما يحيطونها بالكم الشديد حتى ان كثيراً من غير الروحانيين لم يطلعوا عليها ويعرفوا شيئاً عنها .
(٢) ويحظرون على المسلم كذلك الاطلاع على صلاة ليلة القدر . وفي سنة ١٩٠٧ ذهبت مع الامير

يتضح لنا من هذا أن واضع هذا المذهب لما أراد التخفيف على أتباعه في أمر العبادات أوجب عليهم قيام ليلة القدر باعتبار أنها تجزى عن عبادة سنة كاملة لما هو مأثور عما لهذه الليلة من شرف عظيم وقدر زائد ، وأن العمل فيها يكون ذا قدر عند الله ، وفيها تمحى ذنوب سنة كاملة . وفي الحديث الشريف : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله له ما تقدم من ذنبه » كما جعل الصيام لهم ثلاثة أيام عملاً بالآية الشريفة : « ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » واليزيدية يحترمون هذه الليلة ويمدون بها من الليالي المباركة وإذا ما حلت لهم قرية في هذه الليلة تجدهم جميعاً كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساءً ، قد اجتمعوا هنا وهناك يتسامرون ويتحدثون ، وإذا كان بينهم أحد من القوالين ينشد لهم الأناشيد الدينية ، ويملي عليهم أحاديث الخلق والتكوين ، وما لشييوخهم من معجزات وكرامات وخوارق آيات ، ويستمررون هكذا إلى أن يشرق وجه الشمس ، فيقدم لهم صاحب البيت الذي اجتمعوا عنده الطعام فيأكلون ويتفرقون .

على أن معظم هؤلاء الذين يقيمون ليلة القدر في بيوتهم لا يريدون أن يشركوا في الصلاة التي تقام في مرقد الشيخ عدي لأنها تشبه صلاة المسلمين ، وشيوخهم لا يرضون منهم بذلك ويرمونهم بضعف العقيدة والخروج على التقاليد الدينية .

هذا في الشيخان ، أما في سنجار فقد يحيون ليلة القدر ولكن بدون صلاة ، إذ تشترط الصلاة أن تكون في مرقد الشيخ عدي ، ويؤم المصلين فيها « بيش إمام مركة » (١) الذي يعبرون به عن رئيس الأئمة من أسرة الشيخ حسن . والذي يقوم بإحياء ليلة القدر في سنجار هو كذلك أحد شيوخ أسرة الشيخ حسن ويعرف بـ « بيش إمام أيضاً ، وليس له من المنزلة ما لبيش إمام مركة ، ويسكن قرية « جدالة » وهو الشيخ برهم بن الشيخ

علي بك إلى المرقد . ولم أر من المحتفلين بإحياء ليلة القدر أكثر من نحو سبعين شخصاً ، وكلهم من الشيوخ والبيرة والكواجك وثلاثة أو أربعة من المريدين ووجدت أن ليس من عاداتهم الوقوف مصطفين في الصلاة وقد يكلم الواحد الآخر ، ومن أعيان الوقوف ينسحب إلى زاوية ويدخن غليوناً ، ومنهم من يذهب لفضاء حاجته ثم يعود لا كمال صلاته .

(١) (مركة) كلمة كردية ولعلها فارسية وهي معرفة من مرج أو مرجة العربية . وتفيد معنى المحل الذي يكون دوماً أخضراً ممشوباً . وقد أطلقوا هذا الاسم على مرقد الشيخ عدي ، فإذا ما قيل « شيخ مركة » فإرادته « الشيخ عدي » و « بيش إمام مركة » إمام مرقد الشيخ عدي .

جندي من ذرية « ابراهيم الختمي » الذي يعده الزيدية من الرجال الصالحين . والعادة ان يجتمع في داره جماعة من الفقراء والمتدينون من المریدين فينصبون الطاووس ويرتلون الاناشيد ويضربون على الشبابت ، وعند الصباح يغسلون وجوههم وأيديهم ويقدم لهم يش امام غداء كما هي العادة فيأكلون ويتسللون الى بيوتهم بعد ان ينفحه كل واحد خيراته ويشترط عليهم الصيام ذلك اليوم .

ولما كان الحج من أهم فرائض الاسلام ، وقد بني على أساس التعارف والتقارب بين المسلمين ، وحيث لا يتفق ومرامي الشارع للدين الزيدي بجمل أتباعه في معزل عن العالم ، اتخذ لهم (لالش) بدلا من (الكعبة) يحجون اليه ، وأوجد لهم فيه عرفات ، وحجر الأسود ، وزمزماء فيقيمون مناسكهم طبقا لما هو جار عند الاسلام ، أو ليس الحج عند الاسلام يكون الى بيت الله الحرام ؟ فهذا « لالش » هو بيت من يعتقدون به الألوهية .

والذي يلفت النظر أن الزيديين بالوقت الذي جعلوا أعيادهم وفقا لحساب السنة الشمسية ، ومثلا جعلهم الصيام الأيام الثلاثة الأولى من شهر كانون الأول في كل سنة ، وعيد الجماعة أول يوم أربعا من شهر ايلول الشرقي كذلك من كل سنة شمسية ، فقد جعلوا الحج يوم التاسع من شهر ذي الحجة موافقة للمسلمين .

﴿ الطوافات في الشيخان ﴾

ومفردها (الطوافة) وهي إظهار الشعور نحو النصب الذي يرمزون به الى أحد مشائخهم وأوليائهم ، ويفيد بالظاهر معنى الحج أو الطواف أو الاجتماع . وما من أهل قرية اتخذوا لهم نصبا ، إلا وعملوا له (طوافة) يجرون فيها المراسم على الوجه الذي سنذكره ، وأشهر الطوافات سبع وهذه اسمائها على الترتيب :
طوافة بعشيقه وبجزاني وعين سفى وجروانه ودوغات وبعذرة وخطارة .



مرقد الشيخ محمد الرذائي في بعشيقه ويعرفه اليزيدية بقبر الشيخ محمد ابن الحنفية

أما طوافة (بعشيقه) فيجرونها تكريماً « للشيخ محمد بن الحنفية » وتكون في أول جمعة تلي رأس السنة ، وهي الجمعة التي تعقب أول أربعماء من نيسان الشرقي . وفي هذه الليلة يعزف القوالون على الشبابات والدفوف ويطوف اليزيدية كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً حول مرقد الشيخ المحتفل به الى أن يشرق وجه الشمس وتصبح بعشيقه مأججة بالنساء والفتيان مرديات ملابسهن البيضاء الناصعة ومتشحات بقلائد الشيخ وسلاسل الفضة ، وهناك الأمير وحاشيته ، وأعيان الملة ووجهاؤها يترنحون جيئة وذهاباً بينهم وعلائم البشر والسرور طافحة على وجوه الجميع . ثم تجري مزايده (الكوفندي) اي (البركة) ويقبلون فيها اشترائهم غير اليزيديين ، إلا انه ليس من الجائز تفويضها الى غير اليزيدي من « البعشيقين » ومن يحوز السبق في هذه المزايده يجوز له ومن حقه أن يقبض على يد أية فتاة ويرقص معها وليس لها أن تخالفه . ويختص سادن المرقد بالنقود التي تسفر عنها هذه المزايده .

ومن أهم المراسيم التي تجري في الطوافات ، الرقص الذي يعبرون عنه بالدبكة (جوبي) واليزيدية مغمومت به جداً خاصة الفتيات العذارى ، فقد يكون مسرحاً لاظهار عواطفهن نحو من يحبهن ، ولا يقل ولع الشبان فيه عن الفتيات وهن على كل اكثر حشمة من الرقص الفرنسي الذي تتجلى فيه الخلاعة والتبذل . وتجري الدبكة بأن يؤلف الرجال والنساء حلقة في ميدان مستوي فسيح وقد تماسكت الأيدي وأخذ الجنسان بالرقص على ضرب الطبول وصدح المزامير التي يقوم بها القوالون وقدنوسطوا الحلقة فترام تارة يوسعونها وتارة يضيقون عليها حسبما تقتضيه حركة الرقص . وقد يحمي الوطيس وتشتد الحركة وتذوب الرزاة . وتتحول الى حالة لاشعورية فلا تتوقف حركة الرقص إلا وقد أخذ العرق يتصبب من أجساد الراقصات والراقصين .



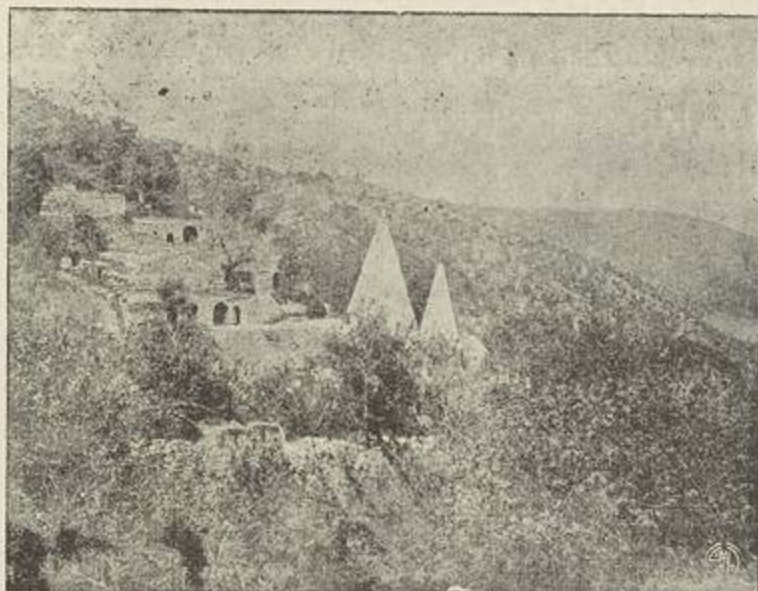
نوع من الدبكة

وفي هذا النهار يبذلون الطعام الوافر للزوار ويظهرون من السخاء ما لا يدخل تحت حصر .

وأهم « طوافة » في سنجار ، هي طوافة « الشيخ شرف الدين » وقد يشترك فيها الجوانا والخوركان وكثير من المسلمين وتجري فيها عين المراسم التي نجدتها في الشيخان .

ولم يسبق لا في الشيخان ولا في سنجار ، حدوث ما يمكر صفو الأمن اثناء الطوافات
وقد تتأخى الأحزاب المعادية حرمة لصاحب الطوافة .
ولم تكن الطوافة منحصرة باليزيدية فقط بل يجريها الشبك في قرى الموصل والبااوات
في سنجار بصورة طبق الأصل وبشترك اليزيدية فيها كما يشترك المسلمون في طوافاتهم .
ويدعي احد كتاب النصارى ان « الطوافة » هي عادة نصرانية وقد أخذها اليزيدية
والاسلام منهم وعلل ذلك بأن النصارى كانوا قديماً يجتمعون في عيد أحد القديسين في
قرية فيها دير او كنيسة وقيمون الصلاة الاحتفالية الليل كله ، ويسمون ذلك الاحتفال
« شهرا » ومعناه بالآرامية السهر ، وعند مجيئهم وعودتهم يرتلون اثناء الطريق ترانيل
دينية ربما خالطها أغاني علمانية . وكان هذا الاحتفال يجري كل شهر وذلك لكثرة
القرى الموجودة على ذلك الزمن .
وقد وهم هذا الكاتب : ان الاحتفال بزيارة المراقدهي عادة اسلامية صرفة وكثيراً
ما كانت قوافل الزوار تقطع المسافات البعيدة لهذه الغاية مرتلين طول الطريق أغاني
ومدائح تتضمن الاشادة بفضل الولي الذي يقصدون زيارته .

معبد الشيخ عدي



معبد الشيخ عدي

في وادي لالش المقدس، وسط الجبال الشاهقة المكسوة بشجر البلوط والحور على خط عرض ٤٦ و ٣٧ وطول ١٨ و ٤٣ درجة وارتفاع ٣١٠٠ قدم يترأى لنا ونحن ذاهبون الى قرية « اشكفت هندوان » على بعد ميل او أقل قبة مخروطة الشكل على رأسها هلال من ذهب قد أخذ بريقه يتألق من انعكاس الشمس عليه . فنخرج بطريقنا لمشاهدة هذا الاثر الخالد سالكين طريقاً معوجاً يرتفع بنا تارة وينبسط أخرى سلكه مئات ألوف من الناس خلال الا عصر الغابرة قاصدين زيارة صاحب القبر المنزوي تحت هذه القبة ، وهو الشيخ عدي بن مسافر الأموي الذي أصبح إلهاً في معتقد البيزيدية ، وفي صعودنا الجبل نقف حائرين امام تلك العظمة التي تجلت على هذا الوادي وجمال الطبيعة الذي شمله حتى يخال لنا ونحن مجردون عن الخيال والحس أننا في عالم علوي غير هذا العالم، وهناك يلتوي بنا الطريق وتغيب عن أعيننا مزارع الارز والتبغ اليانعة التي في أسفل الوادي

وتعبر قنطرة يسميها الزيدية بالكردية « بر صراطي » اي جسر الصراط حيث هناك يخلم المؤمنون منهم أحدىتهم دلالة على دخولهم منطقة الحرم الشريف ، ونسير بين أشجار حجبت الشمس بأغصانها الكثيفة وعطرت النسيم العليل بأريجها الزكي وقد شمل الكون سكون مهيب لا يعكره سوى تفريد الطيور وهدير العنادل وخير المياه التي تصب في الوادي . ولا يطول بنا المسير إلا ونحن أمام باب صغير يؤدي بنا الى دهليز متهدم الاركان ومنه الى صحن قد عبثت به أيدي الزمان ، وجللته أشجار التوت الباسقة التي شهدت حوادث جساما في هذا الوادي ترجع الى بضعة قرون . وعلى يسار هذا الصحن ، وفي محل مرتفع منه حجرة عليها قبة مخروطة الشكل على رأسها هلال من ذهب . وهي غير القبة التي أشرنا اليها . يعزونها الى الشيخ شمس الدين أبي محمد الحسن بن الشيخ عدي الثاني الذي أيد الأورخون قتله في الموصل عام ١٢٤٦هـ ١٢٤٤م وفي أسفل هذه الحجرة ، وعلى يمينها حجرة صغيرة على بابها رخامة محفور عليها آية الكرسي ، فيها ينبوع ماء يتدفق ماؤه العذب النعير في حوض كبير ، ثم يسير في قناة ويصب في الوادي ، ويطلق على هذا ينبوع « كافي اسبي » اي العين البيضاء وهو مقدس طالما هو داخل الحجرة ، فاذا خرج منها لا تبقى له تلك القدسية وقد يوردون فيه خيولهم وبغالهم أيام الزيارات ويفسلون فيه ثيابهم ، إلا أنهم لا يرضون من المسلم ان يغتسل او يتوضأ فيه .

وفي شمالي هذا الصحن صحن ثان ليس فيه من العمران سوى أروقة متصل بعضها ببعض يقيم الزوار فيها أيام الزيارات وبين هذين الصحنين حجرة واسعة لاقامة ذوي الوجاهة الذين يؤمون المرقد الشريف أيام الزيارات ، وفوقها حجرة أخرى لعين الغاية . ومن هنا ندخل دهليزاً منخفضاً يبلغ طوله أربع أمتار الى صحن ثالث يمتاز عن الصحنين الأولين بنظافته وجدة بنائه حيث يقع فيه مرقد الشيخ عدي ، يتجه بابه نحو الغرب تماما وعلى جانبه الأيمن شكل حية سوداء متدلّية من فوق الى أسفل ، وفي جهة الجدار قطع من الرخام (١) مرصوفة كتب عليها بالحفر كلمات إسلامية منها :

(١) لا جدال في ان هذه القطع من الرخام نقلت من محل اخر واستعملت في هذا الجدار ، والتاريخ الذي عليها هجري ، والذي يستلفت النظر هو وجود هذه الرخامات في المرقد ، والزيدية لم يألفوا هذه

« السلطان يزيد رحمه الله » ومنها : « الشيخ عدي رحمه الله » ومنها : « أن هذا ضريح
الحاجي اسماعيل دونت على باب السعادة فأدخلوها بسلام آمين في سنة ١١٩٥ » ومنها
« هذا ضريح سعد بن خاولر ست زبانت في سنة ١١٩٦ » ومنها « أيا شمس علي بك ويا
فارس كونا نصيبي الحسن وحظ الحسين في هذه الدنيا والآخرة » ، وكتابات أخرى
صعب علينا قراءتها .



باب مرقد الشيخ عدي

أن هذا المرقد هو البناء القديم الذي كثرت حوله المجادلات في هل كان ديراً للنصارى
النسطوريين وقد أسسه راهب (يوحنا) و (بشوعسبران) في فجر النصرانية ؟ ونحن

الكتابات في مرقد لا سيما إذا علمنا أن الحاج اسماعيل مسلم ، ولم يجوزوا دفن المسلم في معبدهم . أما
الرخامتان اللتان تحملان اسم يزيد والشيخ عدي فيجوز أن تكونا قديمتين .

لا يجادل في كون أنه لم يكن ديراً قبل أن حل فيه الشيخ عدي واتخذة مقاما له كشأن كثير من المعابد التي « رددت في زواياها تراجم الوثنيين ، ثم طليت سقوفها ببخور المسيحيين ثم بطنت جدرانها بصلوات المسلمين » إلا أن باب المرقد والدعامتين اللتين على جانبيه والنقوش المحفورة على هاتين الدعامتين وفي أعلاهما ، والأقواس التي على باب المرقد كلها أنشئت أخيراً وهي لا تفرق عن المباني المشادة في العصر الاتابكي ، ولا تزال آثارها قائمة في أماكن كثيرة .



باب مرقد الشيخ عدي

يبلغ طول هذا البناء ثمانون ذراعاً وعرضه خمسين وهو مبني أطولاً على سبع مناطق وعرضاً على ثلاث مناطق ، وفي صدر كل منطقة محراب متجه نحو القبلة تماماً ، وفي الجانب الأيسر منه مخدعان يدخل اليهما من باب واحد حيث نجد في المخدع الأول قبراً ينسبونه إلى الشيخ بركات ، وهو أبو البركات بن صخر الذي خلف عمه الشيخ عدي بن

مسافر في هذه الرواية ، والبزيدية لا يعرفون شيئاً عنه ، ونجد قبراً آخر يعزونه الى الشيخ حسن البصري ، ولم نعلم صاحبه على وجه التحقيق ولعله قبر الشيخ عدي الثاني ابن الشيخ أبي البركات الذي جاء في مخطوطة الراهب راميشوع أنه قتل في (مراغة) كما سيأتي البحث عنه . ويدخل من هذا الخدع الى الخدع الثاني حيث ضريح (الشيخ عدي بن مسافر) قدس الله روحه ، تحيطه الهيبة والجلال وعلى ضريحه صندوق خشب عال لا يفرق عن قبور باقي الأئمة ، مغشى بقماش متين ، والقبة التي شاهدناها عن بعد في مدخل الوادي تقسم على هذا الضريح ، وهي مبنية بالآجر وقد أجريت بعض التوصيلات فيها .

ولهذا الخدع نافذة كبيرة محاطة بالرخام محفور عليها آية الكرسي بحروف كبيرة بارزة بالخط الثلثي كما يشاهد أمثالها في كثير من المراقد الاسلامية .

ولنترك هذا البناء ونتوغل في الوادي فاذا نرى ؟ نرى ما لا يقل عن مائة وخمسين حجرة مبنية بالصخور الضخمة يختلف بعضها عن بعض من حيث البناء والوضع . فثمة ما هو قائم على صخرة منفردة لا يتصل بها أي بناء ، ومنها ما هو متصل ببعضه ، وأكثره عليه قباب متينة ومتقنة الصنع ، قسم منه لا يزال يحافظ على جدته ، وقسم قد آل الى الخراب ، ولا نستطيع ان نذهب بهذه المباني من حيث القدم الى الزمن الذي كانت فيه هذه الزاوية ديراً للنصارى ، بل شيدت على عهد آل « عدي » بعد ان كثروا وكثرت مواليتهم وأتباعهم وقصدتهم الناس من مختلف الأقطار .

وما يدر بنا ان تكون هذه المباني شيدت على أنقاض حصون ومعقل أنشأها الآشوريون لصد الهجمات التي كانت تقع عليهم من الشرق من قبل الفرس الميديين الذين كانوا يترصون بهم الدوائر ؟ والآشوريون لم يكونوا ليغفلوا عما لهذا الوادي من الأهمية العظيمة من الناحية الحربية ويهملوا أمره . وفي عبده أبليلس لنوري باشا والي الموصل أنه كان يوجد صخرة فيها كتابات آشورية وقد محاهها البزيدية عمداً لئلا تجلب أنظار السواح الأجانب ويكثر التردد اليهم .

ويفهم من هذا أن الراهبين يوحنا ويشوعسبران اللذين أسسا ديرهما في هذا المحل لم

يكونا أول من وضعا أقدامها فيه وعرفاه ، بل كان معروفا قبلها وكان قد أصبح مسرحا
لحوادث مهمة .

الى هذه المباني التي لم تزل آثارها قائمة يعمدها البزيدية من المشاهد المقدسة ويزورونها
ويتمسحون بأحجارها ويقبلون جدرانها باعتقادهم انها كانت مقاما للشيخ عبدالقادر
الكيلاي والشيخ حسن البصري والشيخ شمس الدين التبريزي ومنصور الحلاج وقضيب
البان ويسمون كل واحد منها باسم أحدهم ويوقدون له السراج مساء كل يوم .
ولا يجوز لأحد بصورة مطلقة ان يقيم ايام الزيارات في أي بناء شاء من هذه المباني
بل التقليد الجاري يحتم على أهل كل بيت او أسرة ان تقيم في البناء الذي تعني به الى
شيخها الذي تنسب اليه من حيث الطريقة او النسب .

ويوجد على قمة الجبل المؤدي الى (اشكفتيان - باعذرة) بناء مربع يسمونه (مقابل
شيخ عدي) يذهبون الى ان الشيخ عديا كان قد اتخذه محل استراحة له عندما كان
يتجول في الجبل ويكثرون من زيارته .

وفي مساء كل ليلة يوقد السدنة السرج في الحرم الشريف والمزارات والطرق المؤدية
الى المرقد ، وعلى الصخور والمباني ويكثرون من ايقادها ليالي الأعياد والمواسم فيضاهي
الوادي السماء بنجومه المتألقة .

وبالاجمال ان كل ما هنالك من شجر وحجر وتراب وماء يعد مقدساً بنظر البزيدية
ويحرمون المشي عليه بنعالهم والتقرب من نسائهم ، وشرب الخمر الذي هو محلل عندهم ،
ولا يجوز قطع شجرة من أشجارها باستثناء ما يحتاجونه لمطبخ الشيخ عدي ، ويجتنبون
صيد الطيور والوعول التي توجد بكثرة فيه (وهذه نزعاً اسلامية مضاهية لتحريم
حرم مكة) .

﴿ نظرة في أصل هذه الزاوية ﴾

أجمع الكتاب من شرقيين وغربيين الذين بحثوا عن هذه الزاوية على أنها كانت قبل ديراً للنصارى وقد عاشت النصرانية فيه بضعة قرون ثم دخل بيد آل عدي الأمويين أما ان هذه الزاوية كانت قبل ديراً للنصارى فهي حقيقة لا اعتراض عليها ، إلا ان النقطة التي يدور حولها الاختلاف هي كيفية خروج هذا الدير من أيدي أصحابه ومن هو الذي أخرجه واتخذه زاوية دينية اسلامية ومتى وكيف كان ذلك ؟ وبينما نرى ان الروايات والأخبار مجمعة على ان أول من حل في هذا الدير واتخذه زاوية اسلامية هو الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، وقد حل فيه بعد ان وجده خالياً إذ ظهرت مخطوطة في الكلدانية لراهب يدعى « راميشوع » قلبت هذه الحقيقة رأساً على عقب وارجعت اخراج هذا الدير من أيدي أصحابه الى « الشيخ ابي الفاخر شرف الدين عدي بن ابي البركات » احد رجال البيت العدوي وكان اخراجه له بطريقة الاغتصاب والتغلب وأضاف الى ذلك اخباراً لم يكن ليؤيدها الواقع والتاريخ .

وقبل ان نبحث عن هذه المخطوطة نقتبس المقال الآتي لمواطننا الفاضل القس سليمان الصائغ من مجلة المشرق البيروتية من العدد العاشر لسنة العشرين لمعلقته بهذا الموضوع : « وما ثبت عندنا استناداً على بعض مخطوطات « يشوعباب » (١) مطران إربل المعروف بابن المقدم ان مؤسس هذا الدير راهب من رفقاء ربان هرمزد الفارسي في القرن السابع للمسيح . وكان ربان هرمزد ترهب في دير (برعدتا) شرقي كرمليس على مسافة ساعة ونصف عنها وبعض أبنيته باقية الى يومنا هذا . ثم خرج وبرفقته ستة آخرون وهم : ابراهيم ، ويوصاداق ، وشعمون ، وأدونا ، ويشوعسبران ، ويوحنا ، فشخصوا الى بيت عذرة فوجدوا هذا الموقع العجيب البعيد عن العمران ، وبقربه عين ماء جارية فكثروا هناك بضعة ايام ثم افترقوا فصار ربان هرمزد الى القوش حيث أقام ديرهُ المعروف باسمه الى اليوم ، وذهب يوصاداق وشعمون وأدونا الى شمالي بيت عذرة فشادوا ديراً في

(١) شاعر آرامي كان يعيش في منتصف القرن التاسع الهجري وهو معاصر للراهب راميشوع الذي يعزى اليه وضع المخطوطة .

جبال قردو شمالي زاخو ترى الى يومنا هذا آثار كنيسته مع قلايته المنقورة بالصخر وتختلف عنهم يشوعسبران ويوحنا فثبثا في مكانها وشيدا ديراً نغم البناء وانضوى اليها عدد عديد من الرهبان وكان المرضى من القرى المجاورة يقصدون هذا الدير فينالون الشفاء من عاهاتهم ، ويستند الناظم في ذكره هذه المعجزات الى كتاب أخذته يدالضياح يدعوه بكتاب الأخبار . واستمر هذا الدير عامراً أهلاً بالرهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر فطرده رهبانه واغتصبه منهم « وذكرها خمسة أبيات بالكلدانية وقال هذا نص عبارتها وأورد ترجمتها فقال : « وليت لبث الدير بيدنا حتى كان اليوم الذي أقبل فيه الشيخ عدي وقد تبعه خلق كثير من الأشباع والموالين وخضعوا له ، فأبتر أموالنا واغتصب ديرنا وما زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عدي في كل مكان الى يومنا هذا . ولكن الراهب (مرتان) ذهب بقدم هذا الدير الى ما وراء ذلك حيث قال :

« ان معبد الشيخ عدي كان قديماً أهلاً على اسم (مار آدى) رسول الكلدان وأحد الاثني عشر والسبعين تلميذاً » انتهى .

فهذه الاخبار التي أوردها الخوري الفاضل عن تأسيس هذا الدير يجوز ان تكون صحيحة الا ان النقطة المهمة التي نقف عندها هي قوله : « ان الدير استمر عامراً أهلاً بالرهبان حتى ظهر الشيخ عدي في أواسط القرن الثاني عشر (١١٥٠م - ١٥٤٥هـ) فطرده رهبانه واغتصبه منهم » بينما نرى الراهب راميشوع يدعي في مخطوطته كما سنراه قريباً ان الدير كان مملوئاً بالرهبان عام (١١٩٨م - ٥٩٥هـ) وقد خرج من أيدي أصحابه عام (١٢١٩م - ٦١٦هـ) والذي أخرجه (الشيخ عادي بن مسفر بن احمد الكردي التبرهي) الذي تربى في أحضان الدير بعد ان قتل رهبانه ونهب أمواله .

وهذا الخبر لا يتفق مع ما ذكره الراهب راميشوع في مخطوطته التي سنوردها قريباً الأمر الذي يجعلنا نتردد في قبول ما جاء فيها .

أن هذه المخطوطة لم تكن معروفة قبلاً ، ولم يتكلم أحد من الباحثين عنها ، ولم يكثر الكلام عنها إلا بعد ان أكثر اصحاب الأقلام الكلام عن البيديين . فأين كانت

محبوبة طيلة هذه المدة؟ وكيف ظهرت للوجود؟ ، فيقال ان أحد قسس النصارى عشر عليها في أحد أديرة ما بين النهرين وذهب بها الى كيليكيا ، ومن هناك انتقلت الى بلاد الغرب . وأول من تناولها المستشرق الفرنسي الموسيو « ف . نو » وبحث عنها ، وضمها كتابه « مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية » الملمخص في مجلة المشرق البيروتية (١٩١٥-١٩١٧) والمطبوع في باريس سنة ١٩١٨ ، ونشرها كثير من الباحثين في المجلات والصحف ، إلا ان الذين حافظوا على أصلها قليلون وأكثرهم حرفوها وحذفوا منها .

كانت هذه المخطوطة مكتوبة باللغة الكلدانية وتمزى الى راهب يدعى (راميشوع) من دير « بيت عابي » (١) وجه خطابه فيها الى الربان يوسف في دير ميخائيل (٢) قريباً من إربل وذلك في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (١٤٥٢) .

وتنقسم الى قسمين : الأول فيما يختص بزواية الشيخ عدي التي كانت ديراً لماريونا ويشوعسبران ، والحوادث التي جرت في نزعه من قبل الشيخ عدي وما آل اليه أخيراً أمر الشيخ وأولاده الذين قتلوا من قبل المغول وخروج الدير بالصورة النهائية من أيدي الرهبان حيث يقول : « وكيف لنا ان نعادي الذي وضع اسمه عليه لكونه خرج من حوزة النصرانية حيث أنه بقي الى نهاية هذا الجيل مسكوناً بأحفاده » . والقسم الثاني : يشتمل على بعض معتقدات اليزيدية وعاداتهم وأخلاقهم ، وهذا القسم لا حاجة لنا به .

﴿ تعريب المخطوطة المنوه عنها أملها علينا أحد قسس النصارى نثبته بالحرف ﴾

نكتب بعون الله قصة دير (مار يوحنا) و (يشوعسبران) وكيف استولى عليه (عادي بن مسفر بن احمد من بني أمية من قبيلة يزيد بن معاوية) إذ كنت طلبت مني

(١) يقع قرب (حربا) في مرج الموصل (يعرف بمرج أبي عبيدة عن جانبه الشرقي وهو موضع بين الجبال في منخفض من الأرض شبيه بالفور ، ونعتقد انه يقع في العقر والزيار) أسسه راهب اسمه يعقوب أصله من لاشوم وهو محل يقع بين الزاب الصغير وكركوك .

(٢) أصله من قرية سوسنة بجوار آمد ، ترهب في جبل (ايزلا) في أواسط القرن الرابع الميلادي ثم انتقل الى جبل (داسن) شمالي الموصل ، وعمر ديره المعروف باسمه على بعد ساعة ونصف ساعة عن الموصل .

دفعات عديدة ، أيها الحبيب المحترم ، وأخي (الرهبان هرمن) الراهب الشهير في دير ميخائيل في ترعيل أن أكتب لك عن كيفية أخذ الدير الشهير لمار يوحنا وبشوعسبران وكيف كان ذلك ، أي كيف أخذه الشيخ عدي بن مسفر الكردي .

أيها الحبيب يوسف أبين لك أنا (راميشوع) الشيخ ، أنه في سنة ١٥٠٩ يونانية المصادفة لسنة ١١٩٨ ميلادية كان الدير مملوءاً من الرهبان والكهنة والقسوس ، وموقعه فوق قرية « عين سفنى » (١) في ذلك الجبل وفي شرقيه نهر « الكومل » (٢) وقرية « خنس » (٣) على بعد ثلاث ساعات ، وكان للدير المذكور أملاك نحو ثمانين قرية وغنم تصعد الى « زوزان » (٤) وعددها (١٥٠٠) رأساً من غير المعز التي كانت تبقى في الدير لأجل إعاشة سكانه الرهبان . وله ايضاً جمال وبقر لا عددها حتى اشتهر ذلك الدير بكل مكان ، وكان راعي هذه الأغنام والد عادي المغتصب ، وقد تركه والده وهو في الرابعة من العمر في الدير وذهب الى زوزان حيث تعلم الكلدانية أولاً فأولاً من سكان الدير ، ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وقد سلموه أشغال الدير كتقسيم الرحي وجمع الذخائر والزيت من القرى فعظم قدره وذاع صيته عند الكبار والصغار خاصة لكرمه وسخائه حتى أحرز عزاً واسماً شهيراً .

كان والد (عادي) واسمه (مسفر بن احمد الكردي) من القبيلة « التبرهية » التي كانت

(١) مركز ناحية الشينان بالامس ومركز القضاء المسمى بهذا الاسم اليوم : تقع على بعد ثلاثين ميلاً شرقي الموصل وعلى الطريق المؤدي الى مرقد الشيخ عدي وهي قرية جسيمة ، وفيها عين ماء غزيرة يذهب اليزيدية الى ان سفينة (نوح) قامت منها .

(٢) تتجمع مياهه من ينابيع عدة في جبال الزورية وبعد مسير ثلاث ساعات يتحرق جبل (شيخكة) من جبال قرية (خنس) الاثرية ثم يجري في السهل ويسقي مزارع قرى كثيرة .

(٣) قرية في لحف جبل شيخكة على نهر الكومل : فيها آثار قديمة ترجع الى عهد الآشوريين يؤمها السواح الاجانب لمشاهدة آثارها .

(٤) تطلق كلمة (زوزان) على مراعي خصبة في كردستان الشرقية يذهب اليها عشائر الاكراد المتجولة في الصيف لرعي ماشيتهم فيقال : زوزان كور وزوزان فراشين . وعلق المستشرق الفرنسي ف ، نو : بانه اسم جبل في كردستان يمتد مشي ثلاثة ايام في شمال جزيرة ابن عمر وهو مشتهر في منساخه وخصوبته ، والاكراد يقضون فيه فصل الصيف ويجعلونه مقر انسهم وراحتهم .

تذهب الى جبل زوزان وتنزل الى سهول الموصل في موسم الشتاء (١) وكانت الأمة البيزيدية التي هي من سكان جبل زوزان ايضاً ترافق والد عادي في الذهاب والحج من زوزان الى الموصل ، وكانوا يعتبرون كخدام لذلك البيت الكبير ، وكانوا يأتون بالهدايا لابن أميرهم عادي في موسم الحريف (تشرين الأول - تشرين الثاني) وكان عادي المذكور يقابلهم باللف والحفاوة ويقدم لهم ما كلاً ومشرباً .

وهؤلاء الناس ولم عظيم بالشرب ويبلغ عددهم (٦٥٠) خيمة من غير أتباع عدي المسلم وكان للدير المذكور عادة في كل سنة ان يذهب رئيسه الى الأراضي المقدسة في « أورشليم » مع بعض الرهبان ، وكان « عادي » ينظر في أعمال الدير كجاري عاداته . ولما توفي أبوه تلبت أعمال الدير ، وذلك ان أولاد « عادي » وهم شرف الدين محمد (٢) ونغير الدين وشمس الدين ، تزوجوا بنساء مغوليات وتسلطوا على الدير وأخذوا بسبوتن اليه ، وكان « عادي » ساكتاً عنهم ، فنزعت عن رئيس الدير عادي جميع شؤون الدير ولم يبق في يده سوى الغنم ، وعلى ذلك زاد عادي وأولاده بالاساءة الى الدير حتى أنه في بعض الأيام خطف بغلام من الدير غير مكترث بما كان يصنعه الرئيس معه من الخيرات ، وأخيراً أساء بمعاملته مع الرهبان ايضاً ، ولم يستطع أحد أن يمنعه او يزرجه ، وذلك لاشتباك الحروب الكثيرة في بلاد فلسطين على الأراضي المقدسة . ولما رأى الرئيس انه (أي عادي) لا يترك لهم راحة تهدده بان يشتكي عليه لدى الحكام في المدينة . وعندما سافر الرئيس مع الرهبان الى « اورشليم » وذلك قبل الصيام ، كان عادي يتسلط على الرهبان ويؤذهم طمعاً في اموالهم وأملأهم ، وكانوا يعطونه كل ما يطلبه منهم خوفاً من بطشه ، اذ الزمان كان سيئاً

(١) علق (نو) على القبيلة الترمية تقلا عن (كرونيكون - سرياكوم) لابن فرج بن العبري انه في سنة ٥٦٠٢ هـ : ١٨ آب ١٢٠٥ - ٨ آب ١٢٠٦ م : نزل الاكراد الذين يسمون بالترهسين وهم من جبال (مادي) بجوار (حلوان) وسببوا اضراراً عظيمة في نواحي الموصل ، فاجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ان التيرهيين لم يعتنقوا الاسلام بل حافظوا على ديانتهم القديمة وهي الزردشتية المجوسية ، وكان بينهم وبين الاسلام عداوة شديدة .

(٢) لم يكن شرف الدين ابناً للشيخ عدي بل هو ابن الشيخ شمس الدين الحسن ابو محمد والشيخ عدي جده .

وردنياً وليس في استطاعة أحد أن يمنعه . وحدث في تلك الأيام ان أتى اربعون لصاً من اورشليم واتبعوا عديا ، وكانوا يطلعونه على الوقائع التي تجري في فلسطين وسوريا وكيف خربت القرى والمدن ويوقفونه على مجاري الأمور . فلما سمع عادي بهذه الأخبار عزم على أن يأخذ قضيماً ويطرده الرهبان جميعاً من الدير . وفي ذلك اليوم أقبل رسول من زعماء الأكراد المعروفين بالتيهيين سكان جبل مادي بجوار الزاب الكبير ، فدخل عادي الى الدير وطلب ما كلاً ومشراباً للزعم الذي أرسله في طلبه ، فأعطوه ستة اجمال من المؤونة مع ستة دواب لحملها ، وذهب معه ألف رجل من أهل بيته ، ولما وصل الى التيهيين عادوا ثانية الى هذه النواحي وخربوا وقتلوا وعاد بعدئذ هو وأهله ظافراً بالغنائم التي حصل عليها .

ومن بعد هذه التخريبات نهب الدير وقتل الرهبان ولم يترك احداً سوى راهب فقط ، وكان هذا الراهب مريضاً وطريح الفراش . وقد صمد عادي الى الدير مع جميع اهله في زمن الربيع أي بعد ثلاثة اشهر من حادثة القتل وتسلط على اموال الدير ونهبها باجمعها واتخذ الدير مقراً له ولأهل بيته بدون ممانع .

وحينما أتى رئيس الدير من اورشليم في شهر أيار ادخلوه وبعض الرهبان الذين كانوا معه عند عادي في المحل الذي كان يسكنه ، فسأله (اي عادي) من أنت أيها المسكين وماذا جرى لك ؟ فأجابه : أنا رئيس الدير الذي أنت فيه الآن وقد هجم اللصوص علي ثلاث مرات في الطريق وعملوا بنا كما تراه ، وقد أتيت لهذا الدير الذي هو لنا ، وليس لك حق أن تأخذه غصباً وتقتل الرهبان باجمعهم فيجب عليك ان تخرج منه بلا تأخير . فأجابه عادي : انني أخذته سيقاً لا ورائه ، فيلزم ان تخرج منه عاجلاً واصنع ما بدا لك وأغرب عن امامي حياً قبل ان اقتلك . فحينئذ خرج رئيس الدير هو ورفقاؤه وذهبوا الى بلاد فارس حيث كان رئيس الجنود المغولية ، فدخل امامه بئيب ممزقة وقد غفر رأسه بالتراب ، وكان يندب ويبكي بكاء مرأ على ذهاب الدير وقتل رهبانه . فلما رآه بانوا (وفي نسخة اخرى اغاوا) رقبته وأمر عبيده أن يكرموه حتى تذهب جنود المغول الى إربل ، فأعطوه له ولرفقائه ألبسة ومؤونة تكفيهم ستة اشهر . وأقام ستة

كاملة في خراسان حيث كان المغول يتحاربون في تلك المدينة وفي خوارزم وذلك في سنة ٦١٩ هجرية اي بعد ضبط دير يوحنا وبشو عسيران بثلاثة سنين في ايام الملك الظاهر والمستنصر .

وبعد ان انتهت الحروب اعطيت الأوامر الى احد الأمراء وهو أخ « جنكيزخان » باحضار (عادي الكردي) لكي ينظر بسبب قتله الرهبان لذلك الدير العظيم . فسار الأمير يلحقه ألف فارس مغولي ، وعندما دخل الى « شهرزور » استراح هو وفرسانه هناك وأرسل فارساً الى (عدي الكردي) ليوقفه على جليّة الأمر ويستقدمه اليه . فركب عادي عاجلاً وذهب الى الأمير (تومان) وعند وصوله سجد له على جاري العادة فسأله عن سبب قتله الرهبان واغتصابه الدير ، فأجاب (عادي) قائلاً : يا سيدي اني لم أقتل احداً منهم ولكن الاكراد التيرهييين حملوا على هذه البلاد فقتلوا ونهبوا وخرّبوا وذهبوا ، ولما رأيت انهم كثيرون ومخيفون فقد لازمت السكوت ونقلت اهلي الى الدير لكي لا يخرب وسكننا فيه لكي نحفظه . فأمر الأمير بان يحمل (عادي) الى القاآن العظيم حيث كان في مدينة « سراغة » من اعمال فارس وقد حاكموه وقتلوه بلا شفقة ولا رحمة وذلك في موسم الخريف « تشرين الاول - تشرين الثاني » .

أما أولاد عادي فقد توجهوا نحو (نصيبين) قاصدين الأمير المغولي ومعهم ٥٠٠ فارس من أهلهم وأقاربهم فذهب (شرف الدين) والأمير (تومان) نواحي نصيبين ورجعوا الى الدير المذكور حيث رأوا المكان الذي أتى اليه ذلك الأمير ، وقدم (شرف الدين) و (شمس الدين) و (نجر الدين) أبناء عادي هدايا كثيرة الى ذلك الأمير ومن يصحبه لكي يسعوا في خلاص أبيهم ، وهم لا يعلمون شيئاً عن قتله .

وبعد أيام رجع هؤلاء الفرسان الى القاآن العظيم وعرفوه عن أبناء عادي الكردي وكيف أنهم شجمان وذوو بأس ومشغولون دائماً بالغزو وتحت أمرهم يوجد (١٥٠٠) فارس ، فلما سمع القاآن العظيم وأمرأوه الذين هم من آل جنكيز ذلك الكلام سكتوا له قليلاً وبعدئذ أمر القاآن العظيم الأمير « سوناتي » ان يدبر المسألة بنفسه وقد عزم رئيس الدير والرهبان الذين معه في سراغة على ان يذهبوا مع « سوناتي خان » حينما

سافر مع قواته العظيمة الا ان القاآن العظيم أمرهم ان يبقوا في فارس حتى يلتق ذلك الامير القبض على أولاد عادي وبميتهم ، وعندئذ يذهبون الى محلهم .. وقد قال القاآن العظيم ذلك بسبب المشاغبات والويلات التي كانت مستمرة حينئذ في بلاد الشرق وفي بلاد فلسطين . اما « بايجونوبن » فقد قصد « أرزن الروم » مع قوة عظيمة من التتر حاملا الاوامر المشددة بقتل المسلمين . فجمع « عزالدين ايقونيوم » جموعا من المعديين والاكراذ والتركان وجعل عليهم قائداً « شرف الدين » بن عادي الكردي وأعطاه « حصن زائد » وأقام فيه الى ان وصل التتر فقاتلوه قتالا شديداً وأبادوا من جيوشه عدداً عظيماً وخرج من الحصن قاصداً « الجزيرة » فأدركه « انكورك نوبن » وقتله ازاء المحل الذي يسمى (قح) قبل ان يصل عزالدين .

وقد ورد من القاآن العظيم الى (بايجونوبن) يأمره بالسفر الى « بابل » فأسرع حينئذ بجنوده وسار حتى وصل الموصل في موسم الخريف ولم يلحق ضرراً بالاهالي لأن الملك الصالح بن بدرالدين كان آتياً في تلك الايام من خدمة القاآن العظيم وأعطيت له (توركان خاتون) زوجة ابن خوارزمشاه وكانت في زي المغوليات .

وقد وقف شمس الدين بن عادي الكردي على قتل أخيه شرف الدين محمد من قبل عساكر التتر فأخذ إمرأته المغولية مع بقية نسائه وذهب ليلا الى الشام حيث توفي فيها ﴿ مأخوذ من التاريخ الذي في سراغة بدار البطريركية ﴾

تأخر هذا الامر بسبب اضطراب البلاد وملوك ذلك الزمن وقد توفي رئيس الدير في بلاد فارس في أحد الاديرة مع رفقائه الرهبان ، وبقي الدير عشرين عاما خرابا حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب أبناء « شرف الدين » و « شمس الدين » مع أمهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم أمراء الاتراك لديه بخصوص إعادة الدير اليهم ، وقد سمح حينئذ برجوعهم اليه فضبطوه من ذلك الحين الى يومنا هذا دون ان يجسر احد ان يبحث عنه شيئا .

وكان الشيخ عادي بالاسم مسالما لكنه متمسكا بالمذهب التبرهي ، وكان الذين يعتبرونه رئيسا لهم يطيعونه في كل ما يأمرهم به ، حتى كانوا يقولون انه من جنس الالهة ، وفي

زمنه أبطل العلم إلا من أهل بيته وجعل لهم رؤساء يعلمونهم الايمان، ويجمعون منهم مقطوعه السنوي الذي فرضه عليهم والبعض لخدمة بيته . انتهت .

هذه هي المخطوطة التي تلقاها الباحثون من شرقيين وغربيين باهتمام عظيم وحكموا بها على اغتصاب « الشيخ أبي الفاجر شرف الدين عدي » ابن أبي البركات الدير المنسوب الى « مار يوحنا ويشوعسبران » . ومها يكن من أمر هذه المخطوطة من قدم وحدث فالذي نراه ان مؤلفها - سواء أكان الراهب راميشوع أم غيره ممن انتحل هذا الاسم - لم يؤلفها لغاية إظهار حقيقة جهلها الناس وانحصر علمه بها ، بل النيل من آل عدي الذين ورثوا هذا الدير وأسسوا زاويتهم عليه . ولم يدرس أحد من مؤرخي الاسلام وبحاثيهم هذه المخطوطة دراسة تامة ويقف على ما جاء فيها من أخبار متناقضة وآراء مغلوطة أريد بها الحط من كرامة هذا البيت والطعن فيه . وقد وافق أكثر الباحثين مؤلفها عليها وشاركوه في آرائه ، واذا أردنا ان نقول كلمة عن هذه المخطوطة ونفصح عن الأخطاء التي جاءت فيها ، فلم يكن القصد إلا انتصارا للحق وخدمة للتاريخ :

بعد ان ذكر مؤلف المخطوطة الأسباب التي ساقته الى كتابة هذه القصة الى الربان يوسف في « دير ميخائيل » وعرف موقع دير « مار يوحنا ويشوعسبران » تعريفنا جغرافياً ، وأوضح ما كان عليه من العظمة وكثرة الغنماء والموارد قال : « أن الشيخ عادي بن مسافر الذي قام بعملية غصب الدير من أيدي أصحابه الرهبان وقتلهم جميعاً ، باستثناء رئيسهم الذي كان متغيباً ، كان بوقت ما في الرابعة من العمر ، وقد تركه أبوه وذهب الى جبال الزوزان لرعي الأغنام المختصة بالدير حيث تعلم الكلدانية من سكانه الرهبان . ولما بلغ أشده تزوج بابنة أحد عظماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير . وتسلم أشغال الدير وعظم قدره وعلا ذكره وبعد ان ذكر أن والد عادي هو « مسفر بن احمد الكردي » من العشيرة التيريهية التي كانت تذهب الى جبال الزوزان صيفاً ، وتنزل الى سهول الموصل شتاء ، ووصف أخلاق التيريين وعاداتهم وديانتهم ودرجة ولائهم لذلك البيت الكبير الذي ينتمي اليه عادي ، ومجيئهم الى عادي نفسه ، أخذ يقص على صاحبه الربان يوسف إعتداه عادي على رهبان الدير وإيذائه لهم طمعاً

في أموالهم وأملاكهم . وبعد ان ذكر حوادث جرت له معهم ، ذكر نهبه الدير وقتله
رهبانه واتخاذهم مقرا له ولأهل بيته .

هذا ما قاله الراهب راميشوع عن الشيخ أبي المفاخر عددي بن الشيخ أبي البركات
وسماه : « بعادي بن مسفر بن احمد من بني أمية من قبيلة يزيد بن معاوية » وفي محل
آخر « من قبيلة التيرهية » واستيلائه على دير « مار يوحنا ويشوعسبران » واعتدائه
على أصحابه الرهبان . بينما نعلم ان الدير خرج من أيدي أصحابه قبل ذلك بزمن بعيد
ودخل في حوزة الشيخ عددي بن مسافر الأموي وأسس زاويته عليه ، وعاش ومات
ودفن فيه بتاريخ ٥٥٥ او ٥٧٠ للهجرة (١١٦٠-١١٦٢ م) واذا كان أقام فيه عشرين سنة
على أقل تقدير ، فيكون قد مضى على خروجه من يد اصحابه قبل التاريخ الذي عينه
بنحو ثمانين سنة وقد شهد على ذلك شاهد من أهله وهو « يشوعياب » مطران إربل
اذ يقول : « أن نزول الشيخ عددي على الدير كان في اواسط القرن الثاني عشر ، وما
زال هذا الدير يعرف باسم الشيخ عددي حتى يومنا هذا » فبعد ان يكون قد خرج
الدير من أيدي أصحابه بهذا التاريخ ، كيف يجوز لعادي ابن مسفر ان يستولي عليه ؟
ان بعض الكتاب الذين يريدون ان يجدوا حلا لهذا التباين يرون احتمال وقوع
استيلائين على هذا الدير . الأول : وقع على يد عددي بن مسافر الأموي ، والثاني وقع
على يد عادي بن مسفر الكردي التيرهى وهذا الاحتمال لو ورد يرد اذا فرضنا ان
الدير بعد ان أخرجه الشيخ عددي بن مسافر من أيدي أصحابه للمرة الأولى ، استعاد
أصحابه قوتهم وطردوه عنه وبقي في قبضتهم الى ان جاء عادي بن مسفر وأخرجه من
أيديهم للمرة الثانية . ولكن لا يوجد دليل على ان اصحاب الدير استعادوا قوتهم في
هذه الحقة وطردوا آل عددي من ديرهم وملكوه من جديد . والتاريخ يدلنا على ان
الشيخ عدديا بعد ان توفي ودفن في زاويته خلفه ابن أخيه أبو البركات وعاش في هذه
الزاوية الى ان مات مسنا وقبره ظاهر يزار وخلفه ابنه أبو المفاخر عددي بن أبي البركات
بطل قصة الراهب . إذا فدعوى وقوع استيلائين على الدير باطلة وغير واردة .
وقد يرد احتمال آخر : وهو ان تكون زاوية الشيخ عددي في غير المحل الذي وقع

عليه استيلاء الشيخ عادي بن مسفر الزعوم . وهذا يجوز اذا وجد في البقعة التي عرفها لنا الراهب راميشوع تعريفا جغرافيا واديان بسميان « لالشا » وفي كل واد دير يسمى باسم « مار يوحنا ويشوعسبران » وقد وقع الاستيلاء على كل دير على حدة .
وأراد كاتب فاضل ان يبرهن على صحة استيلاء عادي بن مسافر على الدير ووضع نظرية على جانب من الغرابة وهي احتماله ان تكون زاوية الشيخ عدي بن مسافر في موضع غير هذا الموضع ، فجاء شرف الدين أبو المفاخر عدي او غيره فوضع لأصحابه حكاية الدفن في هذا الموضع ليزدادوا تمسكا بوضع اليد عليه . ويجوز هذا الاحتمال اذا تفينا جميع الأخبار التي تدل على ان الشيخ عديا اتخذ زاويته في الدير الذي يدعيه النصارى في وادي لالش ، او يكون - كما قلنا - يوجد في هذا الوادي ديران بسميان باسم واحد .

والراهب لم يكن موقفا في دعواه عن استيلاء « عادي بن مسفر » على هذا الدير . وقد دل على نفسية تحتمد كيدا وعدوانا على هذا البيت وأباح لنفسه كل قول باطل عنهم . فقد طعن بنسبهم وجملهم تبرهيون ، وطعن بسلوهم وأنزلهم الى درجة اللصوص وقطاع الطريق ، ونفى عنهم الاسلامية وعدمه مجوسا . وقال عنهم أنهم كانوا رعاة لاغنام الدير ، وأن « عديا » تربى في كنف الرهبان وعاش على إنعاماتهم ، واخيرا كفر بنعمتهم وأساء اليهم ، ورماه بكل منقصة وسبة . على ان كلامه لا يغير حقيقة تاريخية ويحط من كرامة هذا البيت ، فنسبهم محفوظ ، وهم من أحفاد الملوك الأمويين وسلوك أبي المفاخر عدي ونهجه الديني لا غبار عليه . وقد وصفه مؤرخ اسلامي « بالشيخ الأصيل » وعده « من أعيان مشائخ العراق المعتبرين وصاحب كرامات وأحوال » وقال عنه : « انتهت اليه الرياسة في وقته في تربية المريدين بجبيل هكار وما يليه ، وتخرج بصحبته غير واحد . وكان ظريفا ، ذا سمع وحياء ، محبا لأهل العلم ، وافر العلم ، شديد التواضع ، وأجمع العلماء على تبجيله واحترامه ، وقصد بالزيارات ، واشتهر ذكره في الآفاق ... »

ولنترك هذا جانبا وننظر في الخبر الذي ساقه عن قتل الشيخ عدي من قبل المغول

على شكايه رئيس الدير عليه . يدعي الراهب في مخطوطته ان استيلاء عدى على الدير وقع سنة ٥٦١٦هـ-١٢٣٧م ، وان رئيس الدير ذهب الى بلاد فارس لرفع ظلامته الى القاآن العظيم « جنكيزخان » سنة ٥٦١٩هـ-١٢٤٠م ، وقد بقي في خراسان الى ان حانت الفرصة وذهبت جيوش المغول الى بابل لاحضار عدي ، فأحضر الى « مراغة » حيث القاآن العظيم فحوكم وصدر حكم الاعدام بحقه دون شفقة او رحمة كما عبر عنه الراهب . واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان جيوش المغول لم تأت الى العراق الا سنة ٥٦٣٣هـ-١٢٥٤م حيث تعرضت لأول مرة لمدينة إربل ، ولم يحقق مجيئها الى العراق قبل هذا ، فكيف نعمل ما قاله الراهب عن مجيئها للقبض على عدي وهو لم يتعد حينذاك بلاد ما وراء النهر ؟ ولنفرض ان الجيش الذى جهزه القاآن العظيم لاحضار عدي - ويبلغ ١٠٠٠ فارس مغولي ويقوده الامير تومان - تخطى البلاد التي مر منها دون ان يشعر به احد وجاء العراق وقبض على عدي وذهب به خلسة الى « مراغة » حيث القاآن العظيم ، فحوكم وقتل . إلا ان مجرى الحوادث يدل على ان القتل وقع على عهد « هولوكو » وهو الذى كان يقيم في « مراغة » وقد اتخذها عاصمة له وذلك في حدود سنة ٥٦٥٤هـ-١٢٧٥م ، فأين ذهب جيش المغول بعدي أبقاه مسجوناً ؟ وهل بقي طيلة هذه المدة رهن التحقيق ونظر في أمره جنكيزخان ، ثم ابنه تولي خان ، ثم ابنه منكوقاآن ، ثم زوجته توراكينا خاتون ، ثم هولوكو ، الى ان ثبتت إدانته وصدر حكم الاعدام بحقه ؟ وردم ملكته بأسرها ، وإفناء مئآت الالوف من البشر يكفيه إشارة واحدة يصدرها هؤلاء الملوك ولا يحتاج الى محاكمات طويلة وعريضة ، ثم ماذا بهم هؤلاء الملوك أمر رئيس الدير واخراج الدير من يده وقتل رفاقه الرهبان حتى يأمر جنكيزخان أخاه بارسال هذه القوة الكبيرة للقبض على عدي الكردي فتذهب وتقبض عليه وتأتى به فيحاكم ويقتل بمد ان يكون قد بقى اكثر من ثلاثين سنة في التوقيف ؟ وهذه البلاد لم تكن قد دخلت في حكم المغول ولم يعرفوها . وملوك المغول ليسوا من الغفلة بالدرجة التي يرسلون هذه القوة الى بلاد بعيدة عنهم وغريبة لدفع حيف عن رجل لا تربطهم به رابطة جنسية او دينية او تابعة .

يقول الاستاذ سر كيس: «من المحتمل ان يكون الشيخ عدى كهلا عندما استولى على الدير وشيخا عندما قتل». ونسي أن المغول ليس من شأنهم ان يطيلوا توقيف أحد سنيماً طوالاً طالما في وسعهم معالجتة بالسيف .
يقول عن الشيخ عدى بن سفر: «انه لما بلغ أشده تزوج بابنة أحد زعماء التتر المشهورين وذلك لتقربه من رئيس الدير».

ان أول دخول التتر بلاد الاسلام كان سنة ٥٦٢٠هـ - ١٢٤١م حيث كان طاغيتهم جنكيزخان يجارب خوازمشاه على ملكه ، وقد ظل هذا الجيش يجارب في بلاد ما وراء النهر وخراسان وبلاد فارس ، ولم يأت العراق إلا بعد ان استقصى هذه البلاد بكاملها وكان أول ظهور طلائعه في العراق سنة ٦٣٣هـ - ١٢٥٤م فاذا علمنا ذلك أين عثر عادى ابن سفر على ابنة عظيم التتر وتزوجها؟.

ويذكر: أن اولاد الشيخ عادى بن مسفر وهم: شمس الدين ونغر الدين وشرف الدين «لم يكن شرف الدين ابناً له بل حفيداً وهو ابن شمس الدين» تزوجوا بنساء مغوليات وتسلطوا على الدير . فاذا كان تزوج الشيخ عادى واولاده الثلاثة بنساء مغوليات فيجب أن يكون تزوجهم بهن بعد ان جاؤوا الى العراق أى بعد ان دخلت سنة ٦٣٣هـ - ١٢٥٤م وفي هذا التاريخ نجد الشيخ عاديا مقبوضاً عليه ، واولاده الثلاثة مشردون ولم يبق الدير بيد اصحابه حتى يتسلطوا عليه . ثم هل كان مجيء المغول الى هذه البلاد بغية الاستيلاء والفتح ام ليهيئوا عن أزواج لفتياتهم يزوجونهم منهم؟ وكانوا ينظرون الى المسلمين بكرهية واحتقار ويمدونهم أحط منهم محتمداً ولم يقع ان صاهر احد منهم مسلماً حتى بعد أن ثبتت اقدامهم في هذه البلاد؟.

* * *

لقد بنى الراهب قصته على أساس جعل بطلها عدياً ابن ابى البركات تيرهياً بمقيدته ونسبه . وأن الاعمال التي قام بها في اخراج الدير من ايدي اصحابه الرهبان والاعتداء عليهم كانت بمعاونة قومه التيرهيين . وكان التيرهيون ينزلون في موسم الشتاء الى سهول الموصل ويذهبون صيفاً الى جبال الزوزان . والتيرهيون لم يثبت مجيئهم الى العراق

واقامتهم بسهولة الموصل . وكل ما يعرف عنهم ما قاله ابن الأثير : انهم قوم وثنيون خرجوا من وراء النهر على زمن الملك سبكتكين (٠٠٠-٣٨٧هـ) وعبروا حدود مكرهان « اقليم في بلاد البلوج » وواصلوا غاراتهم على مسلمي تلك الأرجاء ، وعظم خطرهم على أهل مدينة فرشاور (تقع بين غزنة ولاهور) وقد أسلموا على عهد الملك أبي المظفر شهاب الدين بن سالم الغوري (٠٠٠-٦٠٢هـ)

وجاء في التاريخ السرياني لأبي فرج بن العبري عنهم : أنهم من جبال « مادي » بجوار « حلوان » وأنهم نزلوا سنة ٦٠٢هـ - ١٢٠٦م الى نواحي الموصل وسببوا اضراراً عظيمة فأجتمع عليهم جند الفرس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . فهذان الخبران - على ما فيها من تباين - ليس فيها ما يؤيد دعوى الراهب عن التبرهيين . وكأنا علم باستحالة نزول التبرهيين من جبال مادي الى نواحي الموصل على بعد المسافة ، فحمل مادي بجوار الزاب :

* * *

وقد أراد إيجاد علاقة لارسال « بايجونين » الى بلاد الروم مع قوة كبيرة من التتر لازالة الخلاف بين السلطان عز الدين كيكائوس صاحب قونية وأخيه ركن الدين وتقسيم الممالك بينها - بالقبض على اولاد عادي واماتهم . وكان ارسال هذه القوة على عهد هولاءكو وهو في بلاد فارس يجارب الملاحدة الاسماعيليين . وهو لا كولو لم يكن اذ ذلك قد باشر أمر العراق وعرف اولاد عدي وشعر بخطرهم وهمه أمرهم حتى يأمر قائده « بايجونين » باماتهم . وكان شرف الدين محمد قد التحق بخدمة السلطان عز الدين كيكائوس ودخل في عداد قواده ليتولى الدفاع عن مملكته ضد المغول وقد قتله « انكورك نون » وهو في طريقه الى « خرتبرت - خربوت » قاصداً السلطان عز الدين .

ويقول الراهب : ولما وقف شمس الدين بن عادي الكردي على قتل أخيه شرف الدين محمد أخذ امرأته المغولية مع بقية نساءه وذهب ليلا الى الشام حيث توفي فيها . وشمس الدين لم يكن أخاً لشرف الدين بل أباً له . وقد وقعت قتلته في سنة ٦٤٤هـ - ١٢٥٦م على يد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في الموصل لأسباب سياسية كما سبق لنا

ذكره ، والذي ذهب الى الشام هو الشيخ زين الدين يوسف بن الشيخ شرف الدين
وولده عز الدين فتخلف عز الدين في الشام وذهب الشيخ زين الدين الى القاهرة حيث
توفي فيها .

يقول : وقد بقي الدير خراباً عشرين سنة حتى قام « احمد » ملك التتر المسلم فذهب
ابناء شرف الدين وشمس الدين مع امهاتهم المغوليات اليه وتوسلوا به ، وتشفع لهم بعض
أسراء الأتراك بخصوص اعادة الدير اليهم ، وقد سمح بارجاعه اليهم ، فضببطوه من ذلك
الحين ، ولم يجسر أن يعارضهم فيه أحد .

ان الذي ثبت عندنا أن زاوية الشيخ عدي لم يصبها خراب طالما كان ابنا عدي
مقيمين فيها . ولم يثبت خروجهم منها ، وقد حمل بدر الدين لؤلؤ بجيوشه العظيمة عليها
أكثر من مرة ، وكانت آخر حملة أرسلها سنة ٦٥٢هـ ونكل باصحابها وقتل وصلب
المئات منهم وظلت محافظة على وضعها . وقام فيها منازعات دينية عصبية انجرت الى
ثورات دموية دامت حتى أواخر الربع الأول من القرن الثامن الهجري وربما بعده ولم
يصبها وهن . فكيف يذهب أبناء شرف الدين وشمس الدين مع أمهاتهم المغوليات الى
السلطان « احمد » المسلم المغولي ويتوسلونه لاعادة الزاوية اليهم ويجيبهم الى ذلك ، والزاوية
هي في حوزتهم ؟ ثم اذا كانت الزاوية بقيت عشرين سنة خراباً فلماذا لم يستعيدها
أصحابها بعد أن يكون قد تخلى غاصبوها عنها ، والمغول يعطفون عليهم ؟

هذا أهم ما جاء في هذه المخطوطة ، وفيها أغلاط تاريخية اخرى لم تتعرض لها . والراهب
أراد منها أن يجعل البيت العدوي مسؤولاً عن اخراج الدير من أيدي اصحابه ، ويوجه
اليهم تهمة قتل الرهبان ونهب أموالهم وتحويل الدير الى معبد اسلامي ، إلا انه لم يكن
في ذلك مصيباً ولا محقاً .

والذي نستنتجه من سير الأخبار والحوادث أن دير « مار يوحنا ويشو عسبران »
لم يدخل في يد آل عدي اقتحاماً واغتصاباً ، وقد جاء الشيخ عدي بن مسافر الأموي
ووجده خالياً وسكن فيه . والذي أخرجه من أيدي اصحابه - على ما رجح - هم

الأكراد سكان هذه الجبال ، او الأكراد الذين يرتادون هذه الجبال لوقت معين
وينزحون في الصيف الى الشمال وهؤلاء قوم وثنيون لم يدينوا بالاسلام ، وكان
دأبهم الاغارة والنهب والعبث بالأمن ولا توجد سلطة حكومية تؤثر عليهم وتحمي البلاد
منهم . فوق هذا الدير تحت رحمتهم ، فكانوا يتزودون منه ويقضون حاجتهم فيه ،
وأصحابه الرهبان لم يحركوا ساكناً ، وقد رأينا الى زمن قريب جداً كيف كانت
عشائر الأكراد القوية يعاملون النصارى في الجبال بجفاء وينهبون ما في أيديهم
ويتجاوزون على الأديرة والكنائس ويوقعون الأذى فيها . اذاً ما قولنا فيما كان
يوقمه هؤلاء الأكراد قبل ثمانية عصور في الأهالي الهادئة المطمئنة من اعمال العسف
والارهاق حتى انهم كانوا يهاجمون المدن ويسلبونها . ولذلك لم نكن مخطئين اذا اعتقدنا
ان تخريب الدير وقع على ايدي هؤلاء الأكراد ، وكان ذلك قبل مجيء الشيخ
عدي اليه . وعندما جاءه وجده خالياً وخراباً .
والراهب راميشوع الذي جاء بعد وقوع حادثة الدير بثلاثة قرون لم يعرف شيئاً عما
حدث في اخراجه من ايدي اصحابه وكل ما عرفه ان رآه قد دخل في حوزة آل عدي
فقدمهم هم الغاصبون له وتكلم عنهم بالمعاطفة والخيال .

المسائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم

في سنجار والشيخان وبقية المواقع

ينقسم اليزيدية في جبل سنجار الى قسمين (١) الخوركان (٢) الجوانا وذلك من قبل السنة والشيعه عند الاسلام ، وهذا الانقسام يرجع الى أول عهد ظهورهم في الجبل وهو ليس من الدين والعقيدة بشيء ويمكن التفريق بينها عند أول نظرة يلقيها الانسان اليهم فالجوانا يظفرون شعورهم ويرسلونها على أكتافهم شبيهاً وشباناً ويلبسون على الأغلب قبعاً طويلاً وينتمون الى « الشيخ شرف الدين » ويعطون نذورهم وصدقاتهم الى سدنة مرقدته على عكس الخوركان . ويرفعون عن تزويج فتياتهم من الخوركانيين والتزوج بفتياتهم ، إلا اذا أعطى الخوركاني نذوره الى الشيخ شرف الدين وأصبح جوانياً ويدعى الجوانا الأفضلية والتقدم على الخوركانيين باعتبار أنهم وفدوا الى جبل سنجار على عهد الشيخ شرف الدين وعلى يدهم انتشرت اليزيدية .

ان عشائر الخوركان هم كما يأتي : (١) قيران (٢) سموقة (٣) هسكان (٤) آل دخي (٥) جلكا (٦) جلكان (٧) فقراء (٨) موسانه (٩) جفريه (١٠) حليقية (١١) هويرية (١٢) كوركوركا (١٣) مندكان (١٤) رشكان (١٥) شرقبان .

وهنا نبحت عن هذه العشائر واحدة فواحدة ثم نتكلم عن الجوانا .

«١» القيران : ينقسمون الى خمس فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس الرجال المسلمون
حكرش	حجي مهزة ابراهيم شيبو	سكينية	٧٠	٧٠
مالاسلو	مجو	مجنونية	٦٠	٤٠٠

اسم القرية	اسم الرئيس	محل الإقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
محمي	مراد خليل	سكينية	٨٠	٥٥٠	٨٠
زنديان	بشار قاسم	وردية وغيرها	١٠٠	٧٠٠	١٠٠
شافى باقى	خلف ملكو	سكينية، جدالة	١١٠	٧٥٠	٩٠
			٤٢٠	٢٨٥٠	٤٠٠

ان كلا من الحكرشية ومالاسلو ومحمي هم من صلب والزنديانيين وشافى باقى من صلب والزنديانيون يقطنون قرية الوردية وهم أهل ماشية ويشغلون بالزراعة وقاما يشتركون في المنازعات التي تحدث بين الفرق الأربعة الأخرى ويمدون من أغنى عشائر القيران ، واليزيدية لا يميلون اليهم كثيراً ويجتنبون مصاهرتهم بدعوى أنهم تخلفوا عن محاربة الفريق « عمر وهي باشا » عندما حمل على سنجار عام ١٨٩١ بغية إرغامهم على تبديلهم دينهم ، ولهم ولع كبير بالقمار ويراهنون على نساءهم وفتياتهم (١) .

والحكرشية ومالاسلو كانوا الى عهد قريب في نزاع مستمر مع مالا محمي وشافى باقى وقاما حصل اتفاق بينهم وبتراستهم الشيخ خضر بن الشيخ عطو من أسرة الشيخ نجر « نجر الدين » ويرجع بالأصل الى قرية « باصفنه » في قضاء الشيخان - وهو خال الشيخ ناصر رئيس المسكان - ورأسته لم تكن ثابتة وكثيراً ما أخرجه القيرانيون من بينهم ، وهو لا يستند على عصبية عشائرية يقوى بها اكثر مما هو شيخ طريقة يرون طاعته واجبا عليهم ، ولم يكن اكبر خطراً على الأمن في جبل سنجار من تزعم هؤلاء الرجال الروحيين فقد يستغلون سداجة الشعب ويوجهونه حسب رغائبهم باسم الدين . فتعماني الحكومة صعوبات حمة في اخماد الثورات التي يقيمونها وهم لا يفتأون من إيقاد نارها واكثر الثورات التي كانت تقع في العهد العثماني بين قبائل الأكراد هي من هذا القبيل والموجد لها اصحاب الزوايا والتكايا المشايخ ، اما الآن فلم يبق لها وجود وآخرها ثورة البارزانيين وقد قضت الحكومة عليها .

(١) لم تكن هذه العادة منحصرة بالزنديانيين فقط بل يتبعها آخرون غيرهم وقد ضعفت الان ولم يعمل بها الا القليلون .

(٢) سموقة : ينقسمون الى خمسة أنحاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
لالو اسماعيل احمد مطو وحسين مطو	بارا	١٣٠	٩٠٠	١٠٠	
مالا محمود امسيخ بلو، ملكو احمد	»	٨٠	٥٠٠	٩٠	
ريفيان	حسن شمو	٦٠	٤٠٠	٦٠	
علي جرمكا	حمو ملحم	١٠٠	٧٠٠	٩٠	
اوسكى	ملكو احمد	٩٠	٥٥٠	٩٠	
		٤٦٠	٣٠٥٠	٤٣٠	

يعرف السموقيون بميلهم الى الهدوء والسكينة والبعد عن الشغب والتحزب. ويملكون مواشى كثيرة ، ويشغلون بالزراعة ، ومعيشتهم بسيطة للغاية ، وهم أشبه ببدو العرب . ولقربهم من الحدود السورية فقد اشتغلوا طيلة سنى الحرب بالتجارة والتهرب ونالوا ثراء واسماً . وكانوا في حادثة ٩٣٥ نزحوا الى الأراضي السورية عدا قبيلة «علي جرمكا» التي يرأسها «حمو ملحم» ولاقوا عسراً وضيقاً شديدين ثم رجعوا الى أماكنهم . ويرأسهم الآن اسماعيل بن احمد مطو وجميعهم في طاعته، والقيرائيون والسموقيون وفدوا الى سنجار منذ زمن بعيد وهم أكراد خالصوا الدم ، ولا يعلم المحل الذي وفدوا منه .

(٣) المسكان : ينقسمون الى خمسة فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
(أ) ابدالى	كو صمى	سنوني، كنى	٧٠	٣٥٠	١٢٠
(ب) ابدالى	ابراهيم خليل	كله خان	٢٥	١٠٠	٢٥
محكي	فارس شرو	سنوني، كنى	٦٠	٢٠٠	٧٠
شركان	احمد جرو	خانه صور	١٠٠	٣٥٠	٨٠
مشوبي	عبدالله فندي	سنوني، كنى	٧٥	٢٥٠	٩٠
سنديا	عبدالله النوري	شنانيك	٢٠	١٠٠	٢٠
		٣٥٠	١٣٥٠	٤٠٥	

وقد يقدر البعض نفوسهم بين الألفين وخمسمائة وثلاثة آلاف وهو مبالغ فيه . وهم أكثر عشائر اليزيدية ثروة وإساراً وعمومهم مسالمون . ويمشون عيشة البداوة ، ويرحلون في موسم الشتاء والربيع بأغنامهم الكثيرة الى أراضي الجزيرة ، وربما يتجاوزون الأراضي السورية انتجاعاً للمرعى . ويتأسهم الشيخ خلف بن الشيخ ناصر باستئناء « الشركان » الذين لا يعرفون له رياسة عليهم . وهو من قرية « مجزاني » قريباً من الموصل . وكانت رياسته عليهم دينية ، ثم تحولت الى زمنية .

ويأتي بعد الشيخ خلف بالرياسة على المسكان « كوعمي » وهو رجل عاقل ومدبر للغاية . وقد نفته الحكومة الى ألوية جنوبي العراق نحو ثلاث سنين ثم أعادته الى محله .

٤- آلدخي : وينقسمون الى أربعة أنفاذ وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
آلدخي	عثمان حنانوك	خانہ صور	٧٠	٢٦٠	٤٠
آلدخي	غانم قاسم	ماميسه	١٠٠	٨٠٠	٥٠
»	خديدة خرشي	شاميكه	٤٠	٣٠٠	٢٠
»	مواد فاطمي	كرمي	٢٥	١٢٠	١٠
			٢٣٥	١٤٨٠	١٢٠

لم يكن آلدخيون على شيء من القوة والمنعة وينظمون على الأغلب الى عشيرة أقوى منهم ، وهي قاعدة تتبعها العشائر الضعيفة في جبل سنجار ، وبدونها لا يستطيعون أن يحافظوا على موجوديتهم ، وكانوا قبل بضع سنين قد انظموا الى الفقراء بطريقة التحالف ولما قتل الفقير خديدة رئيس الفقراء بقوا دون محالف ، فطمعت العشائر القوية فيهم إلا أن الحكومة حافظت عليهم ومنعت اعتداءهم عنهم

وآلدخيون يرجعون بانفاذهم الأربعة الى أصل عربي ويعتقد أنهم من قبيلة (آلدخي) التي هي فرع من عشيرة « اعبادة » العربية .

(٥) جلکا : ينقسمون الى ثلاث فرق وهذا بيانهم .

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد البيوت	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جلكا سموفاطمي، زلقو زرافكي			٥٠	٤٠٠	٣٠
كور كوركا قرو عمر كباره			٤٠	٣٠٠	٢٠
» علي كوبو كور كوركا			٤٥	٣٠٠	٣٠
			١٣٥	١٠٠٠	٨٠

كان الجللكا الى زمن غير بعيد يعدون والكوركا عشيرة واحدة ، ثم اختلفوا بينهم وتنازعوا على قرية كباره ، ولم تكن العلاقات الآن بينهم حسنة ، وهم على جانب من القوة .

(٦) جيلكان : يشتملون على (١٢٠) بيت ، ونفوسهم تبلغ زهاء (٥٠٠) نسمة ، ويملكون نحو (١٢٠) بندقية ، وفدوا قبل نحو ثمانين سنة من نصيبين وماردين ومنهم من طور عابدين وعاشوا في الكهوف والمغارات وبيوت الشعر ثم مالوا الى السكنى وتفرقوا في القرى ولم تكن لهم جامعة تجمعهم ويسكنون الآن في البلد ، وجدالة ، وقزلكند ، وكباره ، وكاني بابا ، ودهولي ، وقويسبي ، والمجنونية ، والنصيرية ، وملك . وسنبحت عنهم في محل آخر .

(٧) الفقراء : ينقسمون الى ست فرق وهذا بيانهم :

اسم الفرقة	اسم القرية	اسم الرئيس	عدد النفوس	الرجال المسلحون
مالازرو	سم استر	مراد سرحان	٥٠٠	١٠٠
مالا شيرو	جدالة	صيدو حموشيرو	٣٠٠	٦٠
مالا جندو	كرسي	حسن علي	٣٠٠	٦٠
مالا اوصو	اشكفتيان	مراد منت	٤٠٠	٨٠
مالا كاكو	جدالة	حسن كاكو	١٥٠	٣٠
مالا حنو	جدالة	-	٦٠	١٠
			١٧١٠	٣٤٠

(أ) يعد مالازرو من أقدم الفقراء في سنجار والباقون وفدوا من أماكن مختلفة منذ زمن بعيد .

(ب) لم ينحصر سكنى سم استر « سمي هستر » وبردحلي وجدالة بالفقراء وحدهم بل يوجد بينهم من ليسوا منهم .

(ج) ان مالا أوصو لم ينحصر سكنام في اشكفتيان فقط بل يوجد منهم في بردحلي وجدالة . وفقراء اشكفتيان هم حلفاء للملاشيرو قديما ولا يزالون على حلفهم معهم .
(د) لم يكن للملاحنو رئيس بل هم تابعون الى الملاشيرو .

كان الفقراء الى ما قبل نحو ستين عاما شردمة قليلة مستضعفين لا قيمة لهم من الناحية العشائرية وكانوا دوما هدا لا اعتداء عشيرة الموسقورة وعلى ديننا الى أن قبض الله لهم (حمو شيرو) فلم شعثهم وجمع كلمتهم وجعل منهم عشيرة قوية مرهوبة الجانب .

كان حمو شيرو رجلا عصامياً حالقه التوفيق ووافته الفرص وأصبح حاكماً على سنجار فعظم شأن الفقراء وتوسعوا في الأراضي، واكثروا من الزراعة وغرس الأشجار وتربية المواشي حتى أصبحوا أغنى الناس في الجبل، وأكثروا من الزواج بالنساء فزاد عددهم، واقتنوا جيد السلاح فقويت شوكتهم . وبعد وفاة حمو شيرو انتقلت الرئاسة الى ولده « خديدة » فكان رجلاً كيساً عاقلاً فرفع من شأن الفقراء، وأوجد اتفاقاً بين بقية القبائل اليزيدية، فساد الجبل السكون وعمه الأمن . إلا ان خطته التي سار عليها لم تكن لترق لبعض الفقراء الذين لا يميلون اليه كثيراً فعمدوا النية على اغتياله ليصفوا لهم الجو ويلعبوا دورهم الذي أرادوه . فما كان منهم إلا ان اغتالوه على يد صبي يقال انه لم يكن كامل الشعور . فاضطربت الافكار، واختل التوازن العشائري في الجبل، وأصبحت الحالة تنذر بالخطر . وكان من نتيجة ذلك ان أضاع بيت حمو شيرو نفوذهم وليس فيهم من يسد الفراغ الذي حصل في قتل زعيمهم . وقد أعقبه برئاسة الفقراء أخوه الفقير « صيدو » إلا انه ضعيف الإرادة، ساذجاً لا يقدر على شيء . وقد أجرى الصلح مع بيت « جندو » قاتلي أخيه وأعادهم الى محلمهم وبذلك أزال النفور بين الفقراء وجمع كلمتهم من جديد ..

ان الفقراء في جبل سنجار لم يكونوا عشيرة واحدة ، بل يرجعون الى قبائل مختلفة فأكثرهم من عشيرة « الشريان » ، ثم يليهم سكان جبل سنجار الأصليين - ويرجح أن يكونوا نصارى الجبل القدماء - وفيهم من عشيرة « الدنادية » ومنهم هموشيرو . وقد قبلوا جميعهم رئاسة هموشيرو لما وجدوه فيه من الصفات التي تؤهله للرئاسة - وهي أن يكون شجاعا ، لا يعرف الهزيمة في الحروب ، صلب لا تلين له قناة ، عنوداً لا يرحم عدوه اذا ظفر به - وهذه هي الصفات التي كان يمتاز بها ، وإلا فالتقليد العشائري لا يسمح لعشيرة ان تقبل رئاسة أحد ما لم تربطه بها رابطة العصبية والدم . واذا كان الفقراء اعترفوا برئاسة هموشيرو عليهم ، ثم برئاسة ولده خديدة ، ويعترفون الآن برئاسة الفقير صيدو بن الفقير هموشيرو ، فلكل فرقة رئيس لا يقل شأناً عن ذكرناهم ، منهم: الفقير « مراد سرحان » كبير بيت زرو ، والفقير « حسن بن علي » كبير بيت جندو وعشيرته قوية للغاية، و « حسن كاكو » كبير بيت كاكو وهو ذو ثراء واسع .

« ٨ » جفرية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
جفرية	-	جفرية	٣٥٠	٤٠

« ٩ » الحليقية :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	عدد النفوس	الرجال المسلحون
حليقية	مراد ابراهيم	حليقية	٥٠٠	٥٠

ومنهم من يسكن في قرية كيلي مندى ودريزي ويمدون والجفرية شعباً واحداً ولم يبتالها مكانة قوية وقد يتحالفون تارة مع السموقيين ، وتارة مع الجللكا والكوركوركة وينضون اليهم .

« ١٠ » المندكان : ينقسمون الى ست فرق ثلاث منهم يزيديون ، وثلاث مسامون

وهذه اسمائهم :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامه	عدد البيوت	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
شهوانية	خلف حسين رشك	شيخ خنس	٧٠	٥٠٠	٥٠
عزوي	قاسم حسين	ديلوخان	١٠٠	٨٠٠	٨٠
كلشي	قاسم مطو	حامية	٣٥	٢٠٠	٣٠
مالا باشوك	كريم باشوك	باشوك	٣٠	٢٠٠	٢٥
مالا فندی	حواس بن عمر	تل قصب فندی	٤٠	٣٠٠	٣٥
شيخلره	بيجو قاسم	قابوسية	١١٠	٨٠٠	٦٠
			٣٨٥	٢٨٠٠	٢٨٠

تعد عشيرة المندكان من سكان جبل سنجار الاصليين ، وكانوا يدينون بالاسلام
وأكثرهم يرجعون الى قبائل عربية معروفة ولا تزال أنسابهم محفوظة ، فالشهوانية
هم من عشيرة الشهوان التي هي فرع من تغلب وكذلك العزوي والكلشي وعندما طفت
موجة البيزيدية على جبل سنجار جرفتهم كما جرفت غيرهم ، وقد عاد منهم الى الاسلام
قبل نحو عصر ونصف عصر رئيسهم المدعو « هافند » وأسامت معه زوجته وأناس من
أهل بيته ، وعشيرته لم تر اسلامه عجباً ولم تبد منه استيحاشاً والروح الاسلامية
لا تزال كامنة في نفوسهم ، وقد ظلت معترفة برأسته ورئاسة رجال بيته بعده ، وعندما
كانت الحكومة العثمانية تشكل بيزيدية سنجار لم تكن لتستغنى عشيرته المسلمة وكانت
تجري معهم كما تجري مع البيزيدية حتى يروي لنا التاريخ أن الحملة التي أرسلها سليمان
باشا والي بغداد سنة ١٢٠٩ هـ على جبل سنجار وأسرت منهم ستين امرأة وغلاما
وجواري أبقاراً .

وقد ظهر من ذرية « هافند » بيتان يقال للاول « بيت ياشوك » وللآخر « بيت فندی »
وهم متمسكين باسلامهم ، وصلاتهم الودية مع المندكان البيزيدية لا تزال محفوظة

وارتباطهم العشائري معهم قويا .

والندكان اليزيدية والمسامون كان لهم في العهد الماضي قوة وشوكة وكانوا على اتفاق دائم مع «الهابيات» ، وفي سنة ١٣١٨ - ١٩٠٠ م جرى لهم موقف مع الفقراء ويرأسهم «حمو شبرو» فاندحروا اندحاراً شنيعاً وتركوا ذخائرهم ومواشيهم ومساكنهم بيدهم والتجأوا الى مدينة البلد ، وحلفاءهم الهبابات لم يعاونوهم وتركوهم فريسة بيد الفقراء ، ويعدون في الحال الحاضر من أطوع عشائر سنجار ويشغلون بالزراعة وتربية المواشى وحالة المسلمين منهم خير من اليزيديين .

أما عشيرة (الشيخلره) فهم ليسوا مندكانيين وقد انضموا اليهم بطريقة الحلف وأصبحوا يعدون منهم وهم اكراد سنيون ويحافظون على صلاتهم ولهم جامع كبير في قريتهم (القاوسية) ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ويعدون أطوع العشائر في الجبل ، والمظنون أنهم وفدوا من تلعفر .

(١١) الرشكان : عشيرة رحالة تسكن ناحية زمار من أعمال تلعفر ، نزع قسم كبير منهم الى سنجار إبان الحرب العامة الأولى طلباً للمرعى وهرباً من اعتداء العشائر المسلمة واستوطنوا قرية كني ، وشنانيك ، وكله خان ، وكوهيل ، وكورلند ، وبرانه بصورة متفرقة ويبلغون زهاء (٤٠٠) نسمة وأكثرهم مسلحون بالبنادق ، وهم أهل ماشية وكانوا على العهد العثماني يدفعون الأتاوة الى العشائر المسلمة . وقد اعتدت عليهم عشيرة الجحيش وهم قاصدون الجبل سنة ١٩١٤ ونهبت أموالهم وقتلت منهم بضعة أشخاص وسبت أربع فتيات ثم أعادوهن اليهم .

وبعد ان وضعت الحرب أوزارها عاد أصحاب الماشية منهم الى ناحية زمار وبقي الذين لا ماشية لهم في الجبل . والرشكان عشيرة قديمة ذكرها البدليسي في الفصل الرابع من كتابه (الشرفنامه) كانت تسكن ناحية (طنزة) من أعمال جزيرة ابن عمر وسماها بارشكي والرشكان وسنبحث عنها في محل آخر .

(١٢) الشرفيان : عشيرة كبيرة تسكن ويرانشهر في ماردين . نزع قسم منهم الى سنجار منذ زمن بعيد وانضموا الى الخوركان ، إلا أنهم لم يوجدوا لهم كياناً ، وقسم

كبير من الفقراء يرجعون اليهم وسيرد ذكرهم في محل آخر .
هذا ما توصلنا اليه من معرفة عشائر الخوركان في جبل سنجار . أما (الجوانا) فقد
ينتظمون من عشائر ثلاثة مهمة (١) الهبابات (٢) مهركان (٣) مالا خالتا « بيت خالد »
وهذا ببيانهم :

(١) الهبابات : ينقسمون الى أربعة أنخاذ وهم كما يأتي :

اسم الفرقة	الرئيس	محل الاقامة	مقدار النفوس	الرجال المسلحون
ملا عطو	مطو خلف	صباحية، نصيرية		
	مراد عطو	شاروق		
	دقو خضر	شهاية		
ملا محي	خضر صالحوك، عمر خلف	قزلكند، جنعان		
ملا سنى		
ملا عمروك	برجس بن خضر عمروك	قصر كي، آجه		

٣٥ .

٨٥ .

يعدون الهبابات من أقوى عشائر سنجار وكان لهم هبة وصوله ، وكثيراً ما أوقعت
الحكومة العثمانية فيهم وكبدتهم خسائر جسيمة بالأرواح والأموال ، وعندما أوجدت
الحكومة العثمانية تشكيلات ادارية في جبل سنجار واتخذت مدينة (البلد) مركزاً
للقضاء تقربوا منها واكتسبوا ثقتها واكثرهم يسكنون مدينة البلد والقرى المجاورة لها
وكانوا ولا يزالون المحور الذي تدور عليه الاتفاقات والمؤامرات في الجبل ، والجانب
الذي ينظمون اليه يكون على الاكثر هو الغالب ، وكان يترأسهم (خضر محمد كهية)
الذي أربى على المئة والثلاثين سنة من عمره ومات عام ١٩٠٥م وكان زعيماً بكل معنى
الكلمة وله نفوذ يشمل الجبل كله ، وكانت الحكومة تراعي جانبه وتنزل عند رأيه في
بعض المهمات ، وله الآن من الأولاد والأحفاد ما يزيد على المائة والخمسين نسمة وزعامه
هذه المشيرة تنحصر في أولاده نذكر منهم (دقو بن خضر محمد كهية) كبير قرية

الشاروق وهو ليس بالرجل المؤمن ، و (عطو بن علي بن خضر محمد كهية) يسكن كذلك في قرية الشاروق ، و (سراد بن عطو بن خضر محمد كهية) كبير قرية الشهابية وفيه كياسة وعقل ومطاع بين عشيرته ، و (مطو) بن خلف بن خضر بن محمد في مدينة البلد وقد انتخب عضواً في المجلس النيابي لسنة ١٩٤٧ عن قضاء سنجار .

ولم يكن بيت عطو ويراد بهم بيت خضر محمد كهية على اتفاق مع بيت محمي وقد وقع بينهم حروب ذهب فيها نفوس كثيرة من الطرفين ولا أمل الآن في اتفاقهم . ويقال ان الهبابات بالأصل عرب من طي وهم اولاد من بسمونه (هبابا) بينما ذكر لي (صالح محمد عبدو) كبير مالا محمي أنهم من نسل عمر بن الخطاب .

وفي حملة حافظ محمد باشا على سنجار سنة (١٨٣٥م) أسلم منهم ثلاثة أشخاص وهم: قاسو علي، وملا حسن، وحاجي سارة ، ويوجد الآن من أحفادهم نحو ثلاثين نسمة يدعون بالاسلامية ولكنهم لا يعرفون إلا إسمها ويجوز انه أسلم على عهد حافظ محمد باشا كثير من الهبابات اليزيديين ولكنهم ارتدوا .

(٢) المهركان : فرقة كبيرة تضم شعوبا وأنحاذ كثيرة تحمل هذا الاسم وهذا بيانهم :

اسم الفرقة الرئيس	محل الإقامة
مهركان داؤد الداؤد	بارانه ، زيروان ، مهركان ، تل يوسفكه ، شوركان ،
	زبده خان ، باجسي ، نيملي ، بكران ، جم جفران ،
	حمدان ، باخليف

لم يكن المهركانيون عشيرة قائمة بذاتها بل مجموعة عشائر عدة أهمهم (علي فره) و(عسنه) و (كولكان) و (هسكا آبي) ويمدون من أقوى عشائر جبل سنجار وأكثرهم نفوذاً وأشدهم خطراً . وما قامت الحكومة العثمانية بحملة على سنجار إلا وكان لهم نصيب منها . وقد ظلوا على أعمالهم العدائية بعد تبدل الحكم في العراق ورفعوا لواء العصيان في وجه الحكومة الحاضرة أكثر من مرة فنكلت بهم واضطرت رئيسهم الى الهرب خارج العراق

ثم قبضت عليه وأبعدته الى الألوية الجنوبية مرة ومرتين وثلاثاً ولم تكن هذه الاجراءآت لتشفى داء الجهل والتمرد المتأصل في نفوسهم ولا يزالون دائبين على أعمالهم الخلة بالأمن والنظام .

والهسكاآبي يعدون والمهران عشيرة واحدة ، ثم افترقوا عنهم وأوجدوا من كل من أهالي قرية همدان وباخليف وقرية النحيلي وباجسة المسلمين وبيت محي من الهبابات جبهة ضدكم وجرى بينهم مقاتلات قل فيها أشخاص من الطرفين .

وعلى ما يدعيه الخيرون بأنساب الزيدية ان الهسكاآبي والبكرانيين سكان قرية بكران وشوران وجم جفران لم يكونوا بالاصل من عشيرة المهران وإنما التحقوا بهم منذ زمن بعيد لاعتبارات عشائرية وأصبحوا يعدون منهم والهسكاآبي هم من الهسكان السموقيين ، والبكرانيين من عشيرة الدنادية (دنا) بينما آخرون ينفون هذا القول ويؤيدون كونهم من عشيرة المهران ، ويوجد بضع بيوت مسلمون في قرية همدان وباجسة يقال لهم « قسطومي » يرجعون الى الهسكاآبي أسلموا على عهد حافظ محمد باشا ، يبلغ نفوسهم نحو خمسين نسمة .

(٣) بيت خالد « مالاخالتا » ويعرفون « بالموسقورة » وهذا بيانهم :

اسم العشيرة	محل الإقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الأشخاص	الرجال المسلحون
موسقورة	دهولى	حسين برجس	٣٥	٢٥٠	٣٠
«	قويسي	آيدال رشو	١٢٠	٨٠٠	٦٠
«	طرف	مرادصيدو	٣٠	٢٠٠	٢٠
«	ناصرية	«	١٠	٦٠	٥
«	آديكة	جردوم	٢٥	١٦٠	١٥
على دينا	بورك	صالح خلف	١٠	٩٠	١٠
«	بيتوني شرقي	حسن دربو	٤٠	٣٠٠	٣٠
«	بيتوني غربي	ابراهيم ابراهيم	٢٠	١٥٠	١٥
«	نكري	بكر عبدي	١٥	١٠٠	١٠

اسم العشيرة	محل الاقامة	اسم الرئيس	عدد البيوت	عدد الاشخاص	الرجال المسلحون
«	راشد	ششو خلف	٣٥	٢٧٠	٣٠
«	علي دينا	رشو قولو	٥٠	٣٠٠	٤٠
«	يوسفان	خلف علي مراد	٧٠	٤٠٠	٤٠
«	كري عربا	صالح كربو	٣٠	٢٠٠	١٥
«	قني	«	١٠	٨٠	١٥
«	كندي كيلي	قبالويسو	٢٠	١٦٠	١٥
			٥٢٠	٣٥٢٠	٣٤٥

يقال ان بيت خالد او كما يسميهم الاكراد (مالاخالتا) هم اولاد شخص يدعي (دنبلان - دومبلان) وقد خلف ستة اولاد وهم (١) موسقور (٢) علي دين (٣) حسن (٤) حسين (٥) خني (٦) خفشي ، فالدين تناسلوا من موسقور عرفوا باسمه ، والذين تناسلوا من الاخوة الباقين عرفوا باسم علي دين ، والصحيح ان (الموسقورة) لا علاقة لهم ببيت خالد أصلاً ، واذا كانوا يمدون وإياهم من عشيرة واحدة فيختلفون عنهم بالنسب إذ حسبنا يفهم من كلام المؤرخ البديلي ان عشيرة (الخالدي) او (بيت خالد) كانت في بده أمرها تستوطن ناحية (حسنكيف - حصنكيفا) وفي أواخر القرن العاشر الهجري نزحت الى ناحية (أرزن) وكانت موجودة قبل هذا التاريخ بأكثر من عشرين الا انها لم تكن إذ ذاك من السعة والقوة كما عرفت به أخيراً ، وقد انتشرت في ديار بكر والبشيرية وميفارقين (١) وسميت هذه المنطقة الواسعة بها (اي بلاد الخالدية) ونزح قسم كبير منهم الى سنجار وهم الذين عرفناهم ببيت خالد او مالي خالتا .
أما (الموسقورة) فهم من عشيرة (دنبلي) او (دنبلي بخت) او (بيت نبلان)

(١) بتشديد الباء : مدينة تقع على نهر يصب على نهر البوطان أحد روافد دجلة تقع على بعد (٧٠) كيلومتراً من شمال شرقي ديار بكر وهي قديمة ترجع الى عهد الرومانيين ويقال انها بناء الفرس وتعرف الان بـ « ساوان » وقد اشتهرت في العصور الوسطى للاسلام وأصبحت مقراً لبعض طوائف الملوك على عهد العباسيين واتسع عمرانها ، وكثرت مساجدها ، ووصفها الفراء في اشعارهم وفيها قبر سيف الدولة الحمداني وأمه .

ويعدون أرفع نسباً وأعظم مكانة من بيت خالد إلا أن الأحداث التي عصفت بهم فرقتهم أيدي سبا ، وأضاعتهم مكانتهم ، إذ على ما يقوله البدليسي أنهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون ناحية « طنزة (١) » من أعمال جزيرة ابن عمر ويتصل نسبهم بشخص يدعى « عيسى » من عرب الشام ، وفدها الى « اذربيجان » واستوطنوا « سكن آباد » ويقول : وعلى أصح الروايات أنهم جاؤوا من « بخني » وعرفوا بين الأكراد « بدنيلي بخت » .

وقد اتسع نفوذهم وعظم شأنهم على عهد الحكومة « البابندرية » واستولوا على قسم من ولاية « الهكاري » وقلعة « باي » . وفي عهد حكومة الشاه طهاسب (٩١٩-٩٨٣هـ) أضيف الى ممتلكاتهم أيلة « خوى » وفوضت اليهم محافظة القلاع والثغور . وقد اطنب البدليسي في البحث عن الأمراء الذين ظهروا منهم خلال القرن العاشر الهجري وما كان لهم من حوادث على عهد الملوك الايرانيين ، لاسيما على عهد الشاه طهاسب الذي كان يتنكر لهم ويعمل السيف فيهم تارة ، ويعطف عليهم ويوسع في إقطاعاتهم أخرى ، وخلاصة ما يفهم من كلامه ان عشيرة « دنبلي » هي أصلب عوداً وأشد مراساً من جميع العشائر التي ظهرت على ذلك العهد . وقد استغلوا الحروب التي كانت قائمة بين الايرانيين والعثمانيين وأحرزوا مكانة لم تكن من نصيب عشيرة اخرى غيرها . وفي عام ١٥٠٠ هـ تنقطع عنا اخبار البدليسي ولم نقف على ما آل اليه مصير هذه العشيرة وكيف رحلت هذه الشرذمة القليلة منها الى سنجان وانضوت الى بيت خالد وأصبحت تعد منهم .

(١) بليدة : قريبة من جزيرة ابن عمر تقع على الضفة اليسرى لنهر البوطان ظهر منها علماء كثيرون والنسبة اليها طنزي وفي وفيات الاعيان في ترجمة ابي الفضل محي بن سلامة الملقب معين الدين الحصكفي (نسبة الى حصنكيفا) : « خرج منها جماعة من المحدثين وغيرهم ونسبوا اليها . قال عماد الدين الاصفهاني السكاتب في كتاب الحريدة منها : ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الطنزي وهو القائل :

وان خاني بعد التفرق اخواني
كحلت بها من شدة الشوق اجفاني

واني لشتاق الى ارض طنزة
سقى الله ارضاً لو ظفرت بترتها

(انتهى)

ويوجد الآن في سنجار نحو خمسة عشر بيتاً من « الدنبلية » المسلمون يسكنون قرية « كرسي » و « كرى زرکه » يقال أنهم جاؤوا من ديار بكر ولم تتأكد هل أنهم جاؤوا مسلمين وظلوا على اسلاميتهم ، ام جاؤوا يزيدية ثم أسلموا ؟ وفي شرفنامه (ص ٤٠٠) ان الدنبلية كانوا جميعاً على المذهب اليزيدي فرجع قسم منهم الى طريقة أهل السنة والجماعة وظل الباقيون على يزيديتهم .

وفي قاموس المحبط في كلمة (دنبل) انها قبيلة كردية في حوالي الموصل ومنها « احمد بن نصير الفقيه الشافعي » و « علي بن بكر بن سلمان المحدث » الدنيليان .
خيسك : عشيرة صغيرة لا تتجاوز نفوسها على (١٢٠) نسمة تسكن قرية « تربكاه » و « بشتكيري » ويطلق عليها اسم « قفجكاه » ويقال ان قفجكاه هذا هو خادم الشيخ شرف الدين ومن ذريته . غير ان التقليد الديني لا يؤيد صحة هذا الخبر وهم في وضعهم لا يتميزون عن المريرين وقد يعيشون في حياد تام ويبتعدون عن الفتن والدسايس التي تظهر في الجبل ما لم يضطرون اليها .

﴿ العشائر الكردية المسماة في جبل سنجار ﴾

بعد ان طغت اليزيدية على جبل سنجار واكتسحت الديانتين النصرانية والاسلامية بقي للاسلامية فيه أثر ضئيل جداً وهؤلاء لم يحافظوا على بقائهم بقوة السيف ، بل بانضوائهم الى العشائر اليزيدية الوافدة ودخولهم تحت حمايتهم ، فن هؤلاء (الباباوات) في البلد وفي بعض القرى المجاورة له . وعشيرة كلب علي وعبدعلي وبيت ناصو والهلالية الذين ظلوا عائشين مع عشيرة « الموسقورة » واستسلموا لهم وشاركوهم في سراهم وضرأهم ، ويحتمل ان قد بقي في الجبل غير هذه العشائر واندمجوا في اليزيدية وضاع أثرهم .

﴿ الباباوات (١) ﴾

ينقسمون الى فرقتين ، فرقة تسمى باباوات « بير زكر (٢) » وفرقة تسمى باباوات

(١) البابا بمعنى الاب وهو تعبير يستعمله الشيعة الراضيون ، ويشيد معنى المرابي ويشترط اطلاقه على من يحمل صفة السيادة . وللبابا عادات يجمعها من مريريه وهو بمنزلة البير عند اليزيدية .
(٢) له مرقد في محلة الواقعة القديمة في مدينة البلد في سنجار . ويقال انه من ذرية الامام موسى -

« ست زينب (١) » وكلتا الفرقتين تمتقدان بألوهية «علي» والرجعة والحلول وتحلان
الحجر ويمدون نفسهم بكتاشية (٢) وهي الطريقة التي كانت منتشرة بكثرة في اسطنبول
والأناضول وكانت لها الكلمة في البلاط العثماني على عهد السلطان عبدالحميد .

فكيف استطاع أصحاب هذا المذهب ان يعيشوا طيلة هذا الزمن في جبل سنجار
جنباً الى جنب مع اليزيدية مع ما هم عليه من الاختلاف في العقيدة والمبدأ ، وشتان
بين من يعبد (علياً) ويعبد (يزيداً) ؟ وكيف تمكنوا من ان يحافظوا على بقائهم ؟
والجواب : ان الضعيف يرضخ بحكم الضرورة لمن هو أقوى منه وينقاد له ويعمل بكل ما
يرضيه ليكون في مأمن من اعتدائه ، وهذا ما كان من أمر هؤلاء الباباوات ، فقد
استسلموا لعشيرة (الهابات) اليزيدية القوية وعاشوا في كنفهم وقاتلوا في صفوفهم ،
ووقفوا معهم جنباً الى جنب في محاربتهم الجيوش العثمانية وغيرهم من غزاة المسلمين
وكانوا يقتلون ويقتلون في سبيلهم ، وزادوا على ذلك ان شاركوهم في زيارة (الطاؤوس)
وتقديم نذورهم وخيراتهم وصدقاتهم اليه ، كما ان الهبابات اليزيدية دافعوا عنهم وشاركوهم
في زيارة (بير زكر) واحتفلوا وإياهم (بالطواف) التي يقيمونها تكريماً له كل سنة .
ويتعذر التفريق بينهم وبين اليزيدية سواء بلباسهم او حديثهم او عاداتهم فهل دام هذا
التآخي بينهم الى النهاية ؟ واذا لم يدم فما هو سببه ؟ إننا لا نشك في ان الباباوات الذين
عاشوا دهرأ طويلاً في كنف الهبابات ولاقوا منهم مودة وعطفاً الى حين نشوب الحرب
العظمى الأولى لم يكونوا ليحجدوا صنيهم معهم ويحفظوا لهم غاية الاخلاص والود .
وعندما أخذ بعض النصارى يفدون الى الجبل من ماردين ونصيبين وجزيرة ابن عمر
هرباً من اعتداء الأتراك ورأوا الوثام والاتفاق السائد بين المسلمين واليزيديين لم يرق
لهم ، وأخذوا يوقعون الضغينة بينهم ويعملون على تنفيرهم البعض من البعض ليخلو لهم
الجو ويصطادون منافعهم . وصادف ان نولي (حمو شيرو) حاكمية الجبل طيلة مدة

السكاظم ويدعي سدته انهم من ذريته .

(١) من المحتمل انهم يرمزون بها عن السيدة زينب بنت فاطمة الزهراء الا انهم لا يعرفون شيئاً عنها .
(٢) الطريقة التي أسسها الحاج بكتاش ولي احد كبار الاولياء ويقال ان نسبه يتصل بالامام موسى

الاحتلال البريطاني فلاقت دعايات هؤلاء الدخلاء سبيلا الى نفسه فقلب للمسلمين عامية
ظهر المجن وفي ضمنهم الموصليون القاطنون في مدينة البلد ويربون على ثلثماية بيت وعاملهم
بما لا يتفق والتقاليد التي يتبعها اليزيدية منذ القديم مع مواطنيهم المسلمين وجرح
عواطفهم وأخرج موقفهم . وكان من نتيجة ذلك أن تولدت الكراهية والبغضاء في قلوب
فريق ضد الآخر ، وأخذ الهبابات يعاملون الباباوات بكل أذى وجفاء ناسين اليهود التي
كانت بينهم .

والباباوات أناس وديعون مسالمون ، جادون في استثمار أراضيهم واكتساب معاشهم
من طريق السعي والعمل ، وتغلب عليهم روح الأمن والسكينة ، ولرؤسائهم مكانة
محترمة في نظر الشيعة في تلمعر ، والشبك في الموصل ، ويتقدمون اليهم بتقبيل أيديهم
وتقديم خيراتهم اليهم .

أما باباوات (بير زكر) فرئيسهم في الحال الحاضر (حسن بن زكر) الذي يزعم أنه
من سلالة جعفر الصادق ويقطن مدينة سنجار ، وهو رجل ابن العريكة ، رضي الخلق ،
إلا أنه لا يتقيد بدين .

وأما باباوات (ست زينب) فكبيرهم (حسن بن يوسف كهية) وهو على جانب عظيم
من الفطنة والذكاء وله ذاكرة قوية وعقل راجح وقد كف بصره قبل بضعة أعوام .

ولنبعث الآن عن عشيرة كلب علي ، وعبد علي ، وبيت ناصو ، والهلالية ، ويقال
لمجموعهم (اعبادة) يسكنون منذ القديم بين عشيرة (الموسقورة) في قرية طرف
وآديكة وقويسى بصورة متفرقة وقد لا يفرق وضعهم معهم عن وضع الباباوات مع
الهبابات وربما يمتازون عليهم بحذب زعمائهم عليهم وكان (صفوك) عظيم الجبل وكبير
الموسقورة يقربهم منه ويمطف عليهم والجوانا جميعاً يجذبون على المسلمين على خلاف
الطوركان الذين لم يعطفوا يوماً على مسلم ويعاملوه بالحسنى . ويكفي الاعتداء الذي
وجهه القيرانيون على مجاورتهم (الكوابرة) المسلمين وضبطهم أراضيهم وطردهم خارج
منطقة سنجار .

والموسقورة لم يبقوا على سابق ودهم مع المسلمين وقد جفوا في السنين الأخيرة
وأساؤوا العمل معهم .

﴿ العشاير المسلمة الأخرى في جبل سنجار ﴾

الخانونية او الخواتنة : عشيرة كبيرة تسكن صحراء سنجار منذ القديم ، ولسبب
مجاورتها اليزيدية صارت نصف كردية ولم يعرف الى أية قبيلة من القبائل العربية ترجع
في أصلها . وينحصر سكانها في قرية (الخانونية) التي سميت بها وفي قرية «جدالة» (١)
في لطف جبل سنجار في الجهة القبلي منه . ولقرية (الخانونية) ذكر في التاريخ وكان
لها قلعة صغيرة وفيها مسجد أو مساجد وتقع في وسط بحيرة الخانونية المشهورة ، يوصلها
من البر طريق ضيق . وكان قد حاصرها حسن باشا والي بغداد سنة ١١٢٧هـ - ١٧١٥م
عندما تحصن بها يزيدية شمالي سنجار وضرها بالمدافع ، وقد دخلت الآن في حوزة
الجمهورية السورية بعد تحديد الحدود بينها وبين العراق .

أما قرية (جدالة) فقد أخرجها من يدهم حمو شبرو رئيس الفقراء واستقل فيها ،
فموضتهم الحكومة بدلا عنها قرية « عين الحصان » الا ان الأقدار لم تساعدهم من
الاحتفاظ بها تماما فتخلوا عن النصف منها الى الشيخ محيل كبير مشايخ شمر ويعيشون
الآن في حالة لا يحسدون عليها .

(١) جاء في معجم البلدان : انها قرية كبيرة عاصرة على تل عال ، وعندها خات حسن عامر ، وأهلها
نصاري ولها ذكر في الشعر القديم . قال رجل من بني حي بن النمر بن قاسط يهجو رجلا من بني يزيد
يقال له خالد :

أيا جبلي سنجار هلا دقتما	بركنيكما أنف اليزيدي اجما
لعمرك ما جاءت زيد لهجرة	ولكنها جاءت أرامل جوعا
وتبكي على ارض الحجاز وقد رأى	جرائب خمسا من جدال فأربعا

وقد زرتها اكثر من مرة فاعجبني حسن موقعها وبهاء منظرها ومياهها التندفة وسهولها المترامية
وهي تقم في لطف جبل سنجار العالي الذي يعاب عليها عدم انتظام مبانيها وضيق طرقها ، الا ان بيوتها
نظيفة ككثر بيوت اليزيدية في سنجار ، وفيها خرائب قديمة لم يبق الا رسوما . وفي جنوب القرية
على هضبة عالية أثر بناء كبير ارجح اما ان يكون ديراً للنصاري او قصرأ لأمير . وقد زارتها بعثة معهد
ليفرول للآثار القديمة ويحث عنها في تقريرها الذي رفعته الى الحكومة العراقية .

﴿ الدقوريون ﴾

لم تكن هذه العشيرة لتعرف قبلاً بهذا الأسم والمعروف أنها نغذ من « الخواتنة » ولما أقل نجم الخواتنة أخذت تدعي نفسها بالدقورية، وهي ليست من الدقورية ولا الدقورية منها، وقد تسكن مدينة البلد ونفوسها تناهز الثلثاية وأهلها اسلام سنيون ومهنتهم الزراعة وتربية الماشية ومناسباتهم مع اليزيدية حسنة وكذلك مع بقية العشائر المسلمة المجاورة لهم.

﴿ الشيخان وعشائره وحائمه الحاضرة ﴾

سميت هذه الكورة « بالشيخان » لكثرة شيوخها الروحيين وهم الذين ترجع الديانة اليزيدية اليهم، وليزيدية الشيخان في سابق العهد صولة وجولة ورهبة وهيبة، وكانت العشائر المسلمة تخافهم وتجتنب في سكنها عنهم، وبعد ان غلبوا على أمرهم وقل عددهم وضعف نفوذهم انقلبت الآلية وأخذوا يخافون المسلم ويبتعدون عنه وسنرى في أبحاثنا الآتية ان أسباب ضياعهم قوتهم ومنعتهم هي النكبة الهائلة التي أوقعتها فيهم أمير الصوران محمد باشا الراوندوزي المعروف بمر كوره سنة (١٨٣٢ - ١٢٤٨ هـ) بينما وقع اليزيدية سنجار ما هو أشد وأقوى منها وصمدوا لها.

كانت مواظهم التي يسكنونها قبل ان حلت كارثة أمير راندوز فيهم تبسداً من نهر الزاب الأعلى الى نهر خابور الحسينية بما في هذه المنطقة الواسعة من ناحية السورجية وعشائر السبعة وناحية الشيخان وجبل مقلوب وناحية السلفانية حتى نهر دجلة وكانت قصبه دهوك نفسها مسكونة فيهم وكانت نفوسهم تزيد على ١٠٠ الف نسمة بينما لم يتجاوز سكناهم الآن على عشرة آلاف نسمة.

ويزيدية الشيخان ينقسمون الى قسمين رئيسيين وهم الروحيون والمريدون فالروحيون هم الأمراء والبسميرية والشيوخ والبيرة وينتمون الى سلالات معروفة، والمريدون هم عامة الشعب ويرجعون الى عشائر متعددة، والغالب أنهم وفدوا من أماكن مختلفة وهذه اسماؤهم واسماء عشائرتهم:

١- باستكي: ويقال لهم « جهصاني » لم نتوصل الى معرفتهم وهم قليلون

- ٢- بله سيني : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم .
 - ٣- بيده بي : كذلك لا يعرف شيء عن أصلهم وفي جبال الزورية قرية اسمها « بيده » ولا يعلم عن أنهم خرجوا منها قديماً وعرفوا بها .
 - ٤- ترك : يدل اسمهم على أنهم بالأصل ترك ولكن لا يعلم عنهم شيئاً .
 - ٥- حكارى : يجوز ان تكون نسبتهم الى « الحكارية » .
 - ٦- خيسكي : لم تتوصل الى معرفتهم .
 - ٧- دوسكي : معناه بالكرديّة ذي الكتفين او الهضبتين ولا نعلم القصد من هذه التسمية
 - ٨- دنا : ويقال لهم « الدنادية » وهم من أهم عشائر البيزيدية في الشيخان وعددهم كثير ، وقد ورد ذكرهم في تاريخ الأكراد ، ويقال أنهم وفدوا من ويران شهر في ماردين وعاد قسم منهم الى وطنهم وقسم نزع الى سنجار .
 - ٩- روبنشتي : يطلق مجازاً على صفيق الوجه قليل الحياء وهم نخذ من الدنادية .
 - ١٠- طازي : ورد ذكرهم في مواقع كثيرة وأصلهم عرب ، يقال أنهم وفدوا مع الشيخ عدي من الشام .
 - ١١- قائدي : أقدم عشيرة في الشيخان يقال أنهم اتباع او ذرية « قائد » خادم الشيخ عدي ولهم امتيازات خاصة في عيد الجماعة .
 - ١٢- كرني : لم تتوصل الى معرفتهم .
 - ١٣- ماموسي : لم تتوصل الى معرفتهم .
 - ١٤- هراقي : لم تتوصل الى معرفتهم .
- روزكي : جاء في « الشرفنامه » بحثاً مفصلاً عن عشيرة تسمى « روزكي » في ولاية بدليس وعن الحوادث التي جرت لها على عهد سلطنة السلطان سليم ياوز العثماني ومملوك الفرس ولا نعلم هل من الجائز ان تكون هذه العشيرة منها ومتى جاءت الى هذه الأنحاء وكيف اعتنقت البيزيدية ؟
- هذه هي العشائر البيزيدية في الشيخان ، وترى ان جميعهم مشكوك في أصلهم ونسبهم وليس بالوسع ارجاعهم الى اصول معروفة باستثناء عشيرة « القائدية » و « الدنادية »

اللتان لهما كيان معروف . ولذا نجد العادات والتقاليد العشائرية مفقودة عندهم . وقد يكون الفرد مسؤولاً عن عمله ولا يجعل نفسه مقيداً بعمل غيره خلافاً ليزيدية سنجان ، فروح التعاون والتضامن قوية عندهم ، وتكون العشيرة بأسرها مسؤولة عن عمل يوقعه احد افرادها . وكم من غائلة حدثت بين عشيرة واخرى بسبب عمل فردي يقع بين شخص وآخر .

ان هذا التفكك والتخاذل الذي مني به يزيدية الشيخان هو الذي أدى الى ضعفهم وامتداد أيدي الأجانب اليهم فسلبوهم عقاراتهم وأراضيهم وجعلوهم لا يملكون شيئاً ، والرجال الروحيين الذين قبضوا على مقدراتهم الدينية والدينية لا يفتأون من مص دمائهم وسيبقون هكذا ما لم تظهر معجزة تنقذهم من هذا السقوط الرابع .

وهذه أسماء القرى المأهولة فيهم في قضائي دهوك والشيخان :

- (١) المان (٢) أيسان (٣) بابيره (٤) باعذرة (٥) باقصره (٦) باورصيان
- (٧) بجزاني (٨) بعشيقه (٩) بتاق (١٠) بوزان (١١) بيبان (١٢) بيت نار
- (١٣) بيرستك (١٤) بيوز (١٥) تلخشف (١٦) جراحية (١٧) جروانه
- (١٨) جكان (١٩) جم بركات (٢٠) حسنية (٢١) خانك (٢٢) خرشنه
- (٢٣) خطاره كبير (٢٤) خطاره صغير (٢٥) خورزا (٢٦) خوشابا (٢٧) دهكان
- (٢٨) دهكان (٢٩) دوشيفان (٣٠) ديدبان (٣١) دوغات (٣٢) ريببي
- (٣٣) ركابة (٣٤) زيفيات (٣٥) سريشكه (٣٦) سينا (٣٧) شارى
- (٣٨) شيخ خدرى (٣٩) صوركه (٤٠) طفتيان (٤١) عين سفني (٤٢) قصر يزدبن
- (٤٣) قنغ (٤٤) كلاباره (٤٥) كرتو (٤٦) كرخالص (٤٧) كرشكست
- (٤٨) كرى بجن (٤٩) كنداله (٥٠) مام رشان (٥١) محمودان (٥٢) مشرفة
- (٥٣) مقبله (٥٤) موسكان (٥٥) مهد (٥٦) نصيرية .

ان هذه القرى ليست ملكاً لهم وقليل منهم من يملك ارضاً ويتصرف فيها باستئناس قرية « باعذرة » فهي ملك للأمرء ، وقد يحاول البعض اخراجها من أيديهم .

﴿ في ذكر العشائر البيزيدية ومواطنهم خارج الشيخان وسنجار ﴾

موسانه موسسان : في قضاء زاخو يسكنون قرية « باجدة » و « باجدة » على نهر دجلة . كان لهم فيما مضى قوة وشوكة وكانوا يصلون بمغازيهم الى جبل مقلوب ، وقد سماهم صاحب كتاب أم العبري « الكشاغية » .

هويرية : في قضاء زاخو يسكنون الخيام المصنوعة من بيوت الشعر « شعر المعز » ومهنتهم تربية الأغنام ، وقليل من يشتغل منهم بالزراعة وهم كثيرون يربون على خمسمية بيت وجميعهم يحملون البنادق . ويوجد منهم في ناحية « شريخ » وناحية الصلوية « نارو » في قضاء الجزيرة في الجمهورية التركية وكلهم دعاة ولصوص .

وقد سماهم صاحب خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان (ص ٤٢٤) بهاورى وهاوراكا وهويركان وهاوراكانين وهو تحريف فاضح . واعتقد بوجود ١٨٠٠ أسرة منهم في « طور عابدين » و « نصيبين » نصفهم مسلمان والنصف الآخر نصارى وقد اعتمد في نقل هذا الخبر على « تراث الخلفاء » للسير مارك سايكس دون تحقيق .

ماسكي : في قضاء زاخو يسكنون قرية « ديربون » كان لهم رئيس اسمه درويش بوري عرفته ذو أخلاق سيئة . وماسكي عشيرة قديمة جداً كانت تسكن ناحية « طنزة » من أعمال جزيرة ابن عمر .

رشكان : يسكنون ناحية زمار في قضاء تلعفر ويوجد منهم في سنجار (وقد سبق البحث عنهم) وهم أهل ماشية وموصوفون بالشجاعة . وفي « شرفنامه » للبديسي في البحث عن حكام الجزيرة (ص ١٥٩) أنهم كانوا قبلاً يسكنون قلعة « ديرده » في ناحية « طنزة » وسماها بالرشكي ، ويرجعون الى مبادي القرن الثامن الهجري .

جيلكي : من عشائر البيزيدية القديمة ، ذكرهم المؤرخ البديسي في البحث عن أمارة « حصنكيفا » (١) الكردية وقال عنهم : أنهم احدى الثلاث عشرة عشيرة التي كانت

(١) حصن كيفا او كيا بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على الدجلة بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر ، وهي كانت ذات جانين وعلى دجلتها قنطرة . وهي الان قصبة صغيرة مركز لناحية في قضاء ميديات ويسميا أهل تلك الجهات اسكيف .

تخضع لهذه الامارة ويسكنون ناحية « هيتم » أما الآن فيسكنون « طورعابدين » (١) - وهو موطنهم الأصلي - في قرية كفناس ، طاقا ، خرابيه ، آفشين ، بازار ، باجن ، شوشان ، كلي صورا ، كيبوخ ، كلي كلي ، وهم على جانب من القوة والشجاعة ، وقاما استطاع مجاوروهم المسلمين من النيل منهم ، وذلك لمناعة جبالهم وحصانة معاقلمهم ، ووعورة المسالك المؤدية اليهم . وقد يعيشون في كهوف ومغارات نحتت في الأزمنة قبل التاريخ ، وهي واسعة جداً يستوعب البعض منها مئات النفوس . ولأهل كل قرية صهرنج او أكثر يدخرون فيه من مياه الأمطار ما يكفيهم هم وماشيتهم طيلة أيام السنة . ومهنتهم تربية الماشية وقليل من الزراعة ، وهم منحطون في جميع مناحي الحياة ودأبهم السلب والنهب والفتك بكل من يقع في يدهم - راجع رحلتنا الى طور عابدين -

وطور عابدين هو من أهم المراكز الكردية وقد جاء ذكره في كتب المعاجم والتاريخ وكان الى حدود منتصف القرن الثالث عشر الهجري (١٨٣٤ م) وهو الزمن الذي قضى فيه على الإمارات الكردية ، مسرحاً لحوادث هامة ، وقامت فيه أمارات كردية مختلفة ، ومنه انتقلت الكردية أولاً ، واليزيدية ثانياً الى جبل سنجار حيث كان حلقة اتصال بينه وبين البلاد الكردية الشرقية في قديم العهد .

بلكان : عشيرة يزيدية تسكن قرية قولكا ويوجان في قضاء نصيبين .

داسكان : عشيرة يزيدية قوية تسكن جبل داسكان قريباً من نصيبين يزعمها أناس من عشيرة « الجلكا » ويوجد منهم جماعة كبيرة في قرية « منكفتى » و « تلبسي » في قضاء « القامشلي » في سوريا ومنهم في سنجار .

(٢) يقول المستشرق الميجر (صون) في كتابه « سياحة متكرة في ما بين النهرين و كردستان » ان ذلك الجبل المظلم والشاهق الذي كان يسمى (نيفات) والذي نسيناه الان - يقصد طور عابدين - في حوض (تيجرس) كان حداثاً شرقياً لبلاد آشور في عهد ملكها (تيجلات بليسر) في سنة ١١٠٠ ق . م . ومعنى طور في النبطية ، الجبل . فيقال طورزينا وطورسينا وطور عابدين . وعلى ما جاء في قاموس الاعلام ان هذا الجبل يقع قريباً من نصيبين ويتصل بجبل جوودي وقد سمي بهذا الاسم اضافة الى مدينة تسمى (عابدين) في اللحف منه وقد اندرست .
وكلمة (تيجريس) التي تفيد معنى دجلة مأخوذة من (تيكرا) المبدية ومعناها في المبدية والكردية والفارسية (نير) اي السهم ثم صارت (تيجرا) ثم تحولت الى دجلة ووجه التسمية ظاهر لان مياه دجلة تنطلق كالسهم من الشمال الى الجنوب .

وورد في خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان (ص ٤٢٤) اسم عشيرة (داسيكان) وقال عنها انها مؤلفة من (٩٠٠) أسرة من المسامين والنصاري واليزيديين وتكلم الكرمانيحية وهو خطأ ، وهذه العشيرة هي يزيدية صرفة وعدد أسرها مبالغ فيه .

شرفيان : يسكنون قضاء (ويرانشهر) التابع الى لواء ماردین ، وهم أكراد مستعمرون يقتنون الأغنام والجمال ويتجولون في البراري كالعشائر البدوية ويستغلون بالزراعة كالفرويين ، وهم أقل تعصبا من يزيدية سنجار وطور عابدين وذلك لكثرة اختلاطهم بعشائر الأكراد المسلمة كالدقوريين والمليين وغيرهم . وعلى زمن ابراهيم باشا الملي (١) انخرطوا في سلك المساكر الحميدية ونالوا نفوذاً واسعا . وقد اجتمعت بكثير منهم وباحتهم في عقائدهم فوجدتهم لا ينكرون على المسلم تلفظه الكلمة المنوعة ، ويجوزون نكاح أخت الزوجة بعد طلاقها او موتها وكذلك زوجة الأخ وابن العم بعد موتها خلافاً لليزيدية . ولا يجري النكاح عندهم إلا بمعرفة علماء المسامين وأئمتهم ، واكثر قسمهم بالنبي محمد (صلعم) وقد اعتنق رئيسهم (حسين افندي قنجو) الاسلام هو وأهل بيته ولا تزال رئاسة الشرفيان منحصرة فيهم . والشرفيان عشيرة كبيرة تنقسم الى أنفاذ كثيرة نذكرها فيما يأتي :

- ١- بلكان : يسكنون قرية منمنيك ، قورى ، ملى قجر ، كندناصو ، موزك ، كندأوزمين ، ججانه .
- ٢- آديان : يسكنون قرية كرمى .
- ٣- مروان : يسكنون قرية حجي زيد ، بيجانيك ، باشكوى .
- ٤- طورنان : يسكنون قرية اوج خان كبير ، اوج خان صغير ، أق مازو كبير ، أق مازو صغير ، نقط .
- ٥- ماسكي : يسكنون قرية بالوج ، برج ، كفرنبل ، هليلي ، قوزبري ، قصر

(١) هو نجل محمود بك التياوي رئيس عشيرة المليية العظيمة . كان في بدء امره لصاً يسلب ويقطع الطرق على السابلة ثم أصبح اميراً للواء في المساكر الحميدية ، فامتد نفوذه وعظم سلطانه واتخذ مدينة (ويرانشهر) مركزاً له وشمل نفوذه المنطقة الممتدة بين ماردین واورفة وقرهجه طاغ ، ودامت ايامه حتى اعلان الدستور العثماني ، فشق عصا الطاعة على الحكومة فارسلت حملة تأديبية كبرى ضيقت عليه الخناق في جبل عبدالعزیز فقبضت عليه واعدمته . ويقال انه مات حتف ابيه .

حسين قنجو . ولا نعلم عما اذا كان لهذه العشيرة صلة بعشيرة (ماسكي) اليزيدية التي تسكن قرية ديرهبون في زاخو أم لا .

وأكثر (الفقراء) في جبل سنجان يرجعون بالأصل الى عشيرة الشريان . وفي عشيرة الكركرية فرقة تسمى (بالويان) تحوي عشرة بيوت يقال لهم بالأصل يزيديين من الشريان وقد أسلموا .

دنا : تسكن ويران شهر ، أصلها من الشبخان ولم نتوصل الى معلومات مفصلة عنها .
سوعاني : عشيرة كبيرة تسكن قضاء ماردين في قرية : كرنكو ، كدور ، قزل آجيق دوكركي ، سوعاني ، خريبي كوي ، خلف يشار . ويتولى زعامتهم منذ القديم « بيت عمسو » المسامون ، وهم بالأصل يزيديين وقد أسلموا ورئيسهم الآن شخص يدعى عيسى من هذا البيت .

داؤديان : يقطنون قرية كبرى وقبك ، وديش في قضاء « ديرك » من أعمال ديار بكر خالتي : العشيرة الكبيرة المعروفة « بخالدي » وقد سبق لنا البحث عنها ، وهي منتشرة في كثير من أنحاء ديار بكر ويقال للمنطقة التي يسكنونها « الخالدية » وتتحصر في المواقع الآتية :

١- ديار بكر : في قرية كوشك جميل باشا ، بفتح جك ، صاري حسين ، جلبدار ، تل-حبوش ، مساماني ، جعفركي ، شيخ جوبان ، صيديكي ، قارقارتك .

٢- ميافارقين : باش كوي ، درك .

٣- بشيرية « المادين » : شمري ، باختمي ، عزكي ، عزكي .

٤- رضوان : داؤدية .

٥- سعرد : كاني صورك ، حمدونة ، بازيوان ، صوريق ، خدوك ، قبان ، صيفهلي ، قوروغ ، حجري ، اريسكي ، دغر ، طخرية .

فهؤلاء جميعهم من العشيرة (الخالدية) ويجوز وجود قبائل اخرى بينهم ، واليزيدية انتشرت في حوضه دجلة العليا وروافدها انتشاراً عظيماً فتعد يوجدون بكثرة في (موش) و (صاسون) و (غرزان) و (ديرك) و (كنج) و (قلب) و (بطمان) وغيرها .

ويقع قضاء (قلب) في ديار بكر جنوبي قضاء كنج ويطلق بإضافته الى (بطمان)
- وهو نهر تتجمع مياهه من جبال كنج ويصب في دجلة بعد ان يقطع ١٠٠ كيلومتراً -
على أمانة كردية ظهرت في القرن التاسع والعاشر الهجريين ، وانتشرت اليزيدية فيها
انتشاراً عظيماً وعرفت من أهم المراكز اليزيدية ، وقد عدها المؤرخ البديلي أمانة
أموية وسماها (بالسلياني) نسبة الى الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي (خلافته من
سنة ٩٦ الى سنة ٩٩ هـ) بالوقت الذي يدعي ان مؤسسها أولاد عبيد الله بن مروان
الحمير آخر الخلفاء الأمويين (خلافته من سنة ١٢٧ الى سنة ١٣٢ هـ) .

والبديلي في روايته هذه قلب حقائق تاريخية كبيرة وفسح لكثير من الكتاب المجال
في دعوى نزوح رجال من البيت الأموي الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم واجتماع
أنصارهم حولهم وقبضهم على زمام الحكم ، وهذه الرواية لا تهتمنا لو لم يتخذها هؤلاء
الكتاب أساساً لاقامة اليزيدية فيها .

يقول البديلي : هرب أولاد عبيد الله بن مروان الحمير من فلسطين - بعد ان
أضاعوا ملكهم وبعد ان قتل مروان في قرية « بوضير » من أعمال مصر - وجاؤوا
الى « وادي الخوخ » في ناحية « غزالي » في قضاء « قلب » وأسسوا أمانة في « قلب »
على نهر بطمان وأصلوها حتى ضفة دجلة الشرقية ، وقد دانت لهم العشائر الكردية ومنهم
عشيرة « بانوكي » القوية والتحق بهم أشبايعهم الكثيرون في مصر والشام واتسعت
امارتهم واجتمع تحت رايتهن ثمانية قبائل كردية عظيمة ، قسم منهم اتبعوا طريقة أهل
السنة وقسم دانوا بالذهب اليزيدي وكان ممن دان بهذا المذهب عشيرة « ايسيان »
القوية التي خدمت هذه الامارة وعملت على رفع شأنها .

هذا ما قاله عن هذه الامارة وكيفية تأسيسها ، وبودنا ان نعلم كيف تمكن اولاد
« عبيد الله بن مروان الحمير » من الهرب من فلسطين الى « وادي بطمان » وقطعوا هذه
المسافات الشاسعة هم وأنصارهم ومواليهم وعيون العباسيين لم تغمض عنهم وكانوا يقتلونهم
تقتيلاً أيضاً ظفروا بهم ويحتفرون أمواتهم من قبورهم ويضربونهم بالسياط ؟ فما هو الذي
سهل لهم هذه الهزيمة وجاؤوا الى هذا الوادي وأوجدوا هذه الدولة تحت أنف العباسيين

وداخل مملكتهم ؟ بينما لم نجد احداً من مؤرخي الاسلام من أيد هذه الرواية وشارك
البديليسي فيها ، والبديليسي ليس لديه مصدر يأخذ منه هذا الخبر غير تواريخ الاسلام ؟
والغريب منه أن جعل الخامس من اولاد عبيد الله بن مروان الحمار الذين قاموا بهذه
الأمارة معاصراً للشاه اسماعيل الصفوي (٨٩٢ - ٩٣٠ هـ) حيث جعل مدة أمارة كل
واحد منهم مائة سنة . فاذا كان مجيئهم بعد انقراض دولتهم فلا نقدر لأمارتهم عمراً
أكثر من مائة سنة ثم انقضوا . واذا كانوا جاؤوا مؤخراً فأين بقوا طيلة هذه المدة
ولم ينتبه العباسيون لهم ؟ وهذا ما يدل على أن البديليسي كان على وعي في هذه الرواية ،
واذا كان هناك أمارة تسمى « قلب وبطمان » - وكتب التواريخ التركية لم تذكرها -
فلا يصح ان تدعى أموية .

﴿ العشائر اليزيدية ومواطنهم في الديار الحلبية ﴾

لم يكن انتشار المذهب اليزيدي في الديار الحلبية أقل من انتشاره في الجزيرة وديار بكر
وبدليس ووان وبقية المواقع ولقلة ارتياد القوالين ورجال الدين الذين اعتمدنا على أخذ
الأخبار عنهم عن تلك الأنحاء ، لم نتمكن من معرفة عشائرهم وقبائلهم تماماً . والأخبار
التاريخية تدلنا على ان اليزيدية وصلت في سابق عهدها الى مرعش وحما وقريبا من
أنطاكية وعمل بها معظم قبائل الأكراد ، ونالت قوة ونفوساً على زمن « الشيخ عز
الدين الكردي العدوي » الذي كان أميراً للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل
الدولة السلجوقية (السلطان سليم ياوز) والشيخ عز الدين هذا هو من بيت (الشيخ مند)
الذي انتشرت اليزيدية في تلك البلاد على يده او على يد أحد أولاده . وهذه أسماء
المواقع المأهولة باليزيدية :

سروج : في قرية مس حجرك .

بيره جك : في قرية زالك ، قوصطان .

كليس : في قرية مهروي ، برج القاز ، باصقال ، كوكب ، قطمي ، قصطل ،
عرشوقيقار ، عيندار ، أبو كعب ، كفرمازن ، كفر يزيد .

عفرين : في قرية كند فقير ، يكثر فيها الفقراء ويسمونهم ايضاً (قره باش) وفي قرية

كبار ، وباسوطان ، وبافلون .

المعرة : ...

اعزاز : ...

الجومة : يكثر فيها اليزيدية .

عامودة : فيها ما لا يقل عن ثلاثين قرية لليزيدية وجميعها معمورة فيهم .
وقد علمت من أحد رجال الدين الذي ذهب في هذه الأيام الى اليزيدية القاطنين في
هذه المواقع ودار بينهم ، أنهم في تناقص مستمر وقد اسلم منهم اربعين قرية واكثرهم
في سهل (الجومة) واصبح اعتقادهم بالطاؤوس ضعيفا ولا يوجد بينهم من رجال الدين
من يعطونه نذورهم وخيراتهم ، وقد أعلمني أمير الشيطان تحسين بك انه عازم على
السفر الى هؤلاء اليزيدية ليقف على أحوالهم ويتدارك ما فاتهم من أمر دينهم وكم كنت
أود ان أرسل معه احداً يسجل ما يشاهده ولكن لم يكن ذلك في المستطاع .

العشائر اليزيدية ومواطنهم في وان واطرافها ﴿

عشيرة البازفية : في قضاء وان في قرية شمس الدين ، قره كند ، دير جعد ، أوئي ،

عين ضاف .

عشيرة رشا : في لواء بايزيد

« محمودي (١) : في قضاء محمودي

(١) جاء في كتاب شرفنامه للمؤرخ البديلي في مقدمته التي تبحث عن طوائف الاكرادواوضاعهم
واطوارهم ، أنهم جميعاً على الشريعة الاسلامية والسنن المحمدية ، متمسكين بمذهب الامام الشافعي رضي الله
عنه باستثناء بعض القبائل منهم كالداسيين (سهام طاسني) ، والحاليين ، والبسيان ، وبعض من البختي
والمحمودي والدنبلي ، فهم على المذهب اليزيدي من مریدی الشيخ عدي بن مسافر الاموي .
وفي قاموس الاعلام في كلمة (محمودي) انه اسم لقضاء تابع الى لواء الحسكاري يسكن فيه جماعة من
اليزيدية يبلغ عددهم نحو (٢٥٠٠) نسمة وهم من عشيرة واحدة يسكنون قرية (سراي) على بعد (٩٠)
ك.م. عن مدينة وان .

ويزعم البديلي ان اسراء (المحمودي) يتصل نسبهم بالسلطين المروانيين وقد نرحوا من جزيرة ابن
عمر الى حوالي اذربيجان على زمن (قره يوسف) مؤسس الدولة القره قوبلية واقتطعوا نواحي واسعة
وحصوناً ومعقل كثيرة ثم انحطوا في سلك اسراء شاه طهماسب ، وبعد ان تم لسلطين آل عثمان الاستئثار
ببلاد الاكراد ، اقروم على حصونهم ومعقلهم ثم اخذ يضعف شانهم شيئاً فشيئاً الى ان انحصرت اقامتهم
في قرية واحدة .

ويوجد في « كواشي » و « مكس » وها قضاءان في ولاية وان ، جماعات كبيرة من اليزيدية إلا اننا لم نعرف اسماء عشائرم والقرى التي يسكنونها .

﴿ اليزيدية في بلاد القوقاس والروس ﴾

علمنا من كثير ممن جاسوا خلال تلك الديار من شيوخ وقوالين وغيرهم ان اليزيديين هناك لم يعرفوا لهم حساباً ولا نسباً وقد لا تربطهم رابطة عشائرية عدا الرابطة الدينية . وقد أعلمني اسماعيل بك بن عبدي بك ، وكان قد ذهب الى تلك الجهات - ان اليزيدية الذين في (قارص) يقال لهم (سيبكي) وفي (الكساندرابول) (مهمدا) وفي سينك « سينك » وهذه اسماء القرى التي يسكنونها :

ارقان : ١- قارخون ، ٢- قوروازار ، ٣- سيفلبات ، ٤- جوبان كره ، ٥- قامشلو ، ٦- قولو بك ، ٧- شاهميران ، ٨- قجار آباد ، ٩- كولكولكه بيوك ، ١٠- كولكولكه كوجك ، ١١- حكو ، ١٢- صابونجي ، ١٣- قشله سيران ، ١٤- قشله مارا ، ١٥- خان اغاج ، ١٦- كند لطيف ، ١٧- كلش بك ، ١٨- كلطو ، ١٩- نلك ، ٢٠- صيجانلو ، ٢١- بايسز ، ٢٢- عيارلو .

سينك :

الكساندرابول : ١- كروانسرا ، ٢- كوزل در ، ٣- آخر كلك ، ٤- سنسكر ، ٥- كوربولاق ، ٦- بغداد ، ٧- ميرك بيوك ، ٨- ميرك كجوك ، ٩- قونداق ساز ، ١٠- جرجليس ، ١١- بامي ، ١٢- جوبان كوره ماز ، ١٣- قوروبوغاز ، ١٤- جاموشلو كبير ، ١٥- جاموشلو صغير .

تفليس : ١- تيلاف ، ٢- كنججا ، ٣- كاخيت ، ٤- لوري ، ٥- سورمه لي محل ، تندورك .

باكو : صجي قبول

﴿ الشعوب والقبائل التي تدين باليزيديه ولم يعرف الآن شيئاً عنها ﴾

﴿ او بادت وعنى أثرها ، او يشك في يزيديتها ﴾

﴿ بينما لم يكن لها علاقة بهذا الدين ﴾

باصا : عشيرة كانت تسكن قضاء سمرد ، تحوي نحو ثلثماية أسرة ، يقال ان الحكومة العثمانية أبادتها عن بكرة أبيها في الحرب العمومية الأولى ولم يبق لها أثر .
الصحبية : ذكرهم صاحب السلوك لمعرفة دول الملوك في وقائع سنة ٨١٧ هـ والآن لا وجود لهم .

الجرميان : ذكرهم ابن بطوطة في سياحته عند انصرافه من قره حصار (وسماها قل حصار) وقال عنهم : يذكر أنهم من ذرية يزيد بن معاوية ولهم مدينة يقال لها « كوتاهية » وهم دائبون على قطع الطريق . فاعتقد الاستاذ العزاوي بيزيديتهم وأدخلهم في عداد الطوائف اليزيدية . وقد أراد ابن بطوطة بهم « الكرميان » أو أولاد (قره مان) الذين أسسوا دولة على أنقاض دولة سلاجقة الروم عام ٨٧١ هـ دامت نحو ١٧١ سنة ثم انقرضت على يد سلاطين آل عثمان بعد حروب ذكرها التاريخ . وليس ما يدل على ان أولاد قره مان هم من ذرية يزيد وكانوا على الديانة اليزيدية ، ويستبعد وصول اليزيدية الى « كوتاهية » على ما لها من البعد عن المناطق التي انتشرت فيها اليزيدية .

بابرية ، شقاقية : ذكرها أوليا جلبي في رحلته وعدها من يزيدية سننجار والآن لا وجود لها ، وفي المسالك ذكر لعشيرة كردية تسمى « بابرية » تسكن منطقة شهرروز لا نعلم عما اذا كانت البابرية التي قصدها أوليا جلبي ترجع اليها وقد وفدت الى سننجار ودانت باليزيدية ام غيرها ؟ وأما الشقاقية فيجوز انها ترجع الى عشيرة الشكاك الكردية التي تسكن غربي بحيرة « أرمية » وقد دان قسم منها باليزيدية عندما كانت تقيم في « ميافارقين » موطن اليزيدية القديم ، ثم هاجرت الى موش وملاز كرد (١) ووفدت الى سننجار ، وهناك احتمال آخر وهو أن تكون من عشيرة « الشقاي » التي كانت

(١) تاريخ جودت ج ١٢ ص ٤٠ وملاز كرد قضاء تابم الى لواء موش في ولاية بدليس .

تسكن ناحية فنك قرب جزيرة ابن عمر (١) وكانت من جملة الوافدين الى سنجار، وهذا هو الأرجح .

الميران : احدى العشائر الكردية الاربعة التي كانت تسكن امانة « فنك » الكردية القديمة ، وأسماء « فنك » على ما قاله البديسي هم من نسل الأمير (آبدال بن سليمان بن خالد بن الوليد) الخزومي وكانوا في بدء أمرهم عاملين على ترويج المذهب اليزيدي ، وقد عدها الاستاذ العزاوي عطفاً على ما جاء في رسالة اسماعيل بك التي نشرها الدكتور زريق في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » يزيديية ، بينما لم يشر اسماعيل بك الى انها يزيديية بل مسلمة ، وقد جرى ليزيدية سنجار معها قتال عظيم في « وادي اخنيزير » قرب « تل الهواه » قتل منها ألف رجل . والميران عشيرة قوية تبلغ نحو خمسمائة بيت كانت تسكن قضاء جزيرة ابن عمر ، ورئيسها مصطوب باشا عمر الذي كان أمير لواء في العساكر الحميدية ، ويتولى الآن رياستها ولده نائف بك ، وقد نزحت الى المنطقة السورية بعد ان أقامت زمناً في العراق .

السيفانية : عبر عنها العزاوي بالسليمانية وعدها يزيديية . وفي غرائب الأثر في حوادث سنة ١٢١٤ هـ أنهم اسلام في الحال الحاضر . فاذا كان العزاوي قصد (السليمانية) القاطنين في قضاء زاخو والذين عبر عنهم البديسي في بحثه عن حكام زاخو (بالسلياني) فهم عربون بالاسلام ولم يتحدث أحد عن أنهم دانوا يوماً باليزيدية ، واذا كان قصد غيرهم فلا يوجد عشيرة اخرى تحمل هذا الاسم .

الصارلية : طائفة من (علي الهية) يظهرون التكتم الشديد في عقائدهم ، ويندر من وقف على شيء من عاداتهم وعباداتهم . وكل ما قيل ويقال عنهم هو رجم بالغيب ومن باب الحدس والتخمين ولا يقطع بصحته ، وينحصر سكناهم في قرية قرقشة ، وكركان ، ووردك ، وتل اللبن على نهر الخازر .. وعندما كان يحكى لي عن تجنبهم عن ذكر الشيطان بسوء ، وسجودهم للشمس ، وعملهم بالاباحية ، كنت أحمله على عقيدة تصوفية فاسدة ورثوها من أسلافهم ، الى ان علمت أنهم كانوا قبلاً يدينون باليزيدية ، ويرجعون

الى العشيبة الدنادية المعروفة وقد أسلموا منذ زمن بعيد ، وهذا صحيح . والبزيدية في سابق عهدا وصلت نهر الزاب الأعلى وكانت هذه القرى مأهولة بهم ، إلا ان الغريب في الأمر اعتناقهم « العلى الالهية » مع وجود التناقض الشديد بينهم وبين البزيدية . ويغلب على الظن أنهم أخذوا على الالهية من « الكاشيين » المجاورين لهم في منطقة كركوك وقد بقي الشيء الكثير من معتقدات البزيدية فيهم .

وما يذهب البعض الى أنهم و (الصارلية) في تلغفر شيء واحد فهو خطأ وليس في الصارلية الذين في تلغفر من العقائد التي تنافي روح الاسلام .

وقد يأبون تزويج فتياتهم من الغير بصورة مطلقة ، ويميلون الى مصاهرة الشبك الذين يشتركون وياهم في بعض العقائد ، والمرأة التي يتزوجونها تصبح في يوم وليلة صارلية في العقيدة والروح ويستحيل عليها إباحة شيء من أسرار هذه الديانة ، واذا عادت الى أهلها ولو بعد حين وأفشت شيئاً من أسرارها يتعقبونها ويقتلونها .

شيخان بكى : ومعناه أمير الشيخان وهم بيوت من الأكراد يسكنون ناحية (شمامك) في لواء اربل في قرية تسمى (كور) ينضوي اليهم نحو مائة بيت يطلق عليهم هذا الاسم ورؤيسهم في الحال الحاضر عزيز اغا بن محمد اغا يدعون ان أصلهم من بيت الأمانة في الشيخان وقد نزحوا الى هذه الناحية بوقت لا يمكنهم تعيينه ولم تزل صلاتهم مع هذا البيت باقية ويتزاورون فيما بينهم ، ويدعون أنهم من نسل من يقال له (مير شيخ بكر) ومير شيخ بكر معروف لدى البزيدية .

الكيبارية : ذكر المزاي عطقاً على غرائب الأثر انها يزيدية تسكن سنجانر وقد أسلمت مع رؤيسها (آفند) ، ولعله أراد عشيرة (المندكان) التي سلم رؤيسها آفند (ويقال له هافند) .

جمال دينا : جاء ذكرها في الرسالة المنسوبة الى اسماعيل بك ونشرها الدكتور زريق في كتابه « البزيدية قديماً وحديثاً » وهي موجودة الآن في القوقاس إلا اننا لا نعلم عنها شيئاً .

السيبكية : نعتقد وجودها في بلاد القوقاس وقد ذكرها اسماعيل بك ولعلها عشيرة

« سيبكانلى » التى تسكن فى شمالي بحيرة وان .

عمران : عشيرة قديمة فى سنجار لم يبق منها الا أفراد قليلون وهم متفرقون ولا وحدة لهم ويحتمل ان يكون لهم صلة بمشيرة « عمرانلى » الكردية من عشيرة الملى وقد وفدت الى سنجار من « قره جه طاغ » .

البلتينية ، الرمكان ، الحبصان ، النافذية : عشائر يزيدية انفرد بذكرهم الاستاذ الكرملى ولا نعلم شيئاً عنهم .

بسيان : من أقوى العشائر اليزيدية الذين ظهروا فى القرنين التاسع والعاشر الهجري ذكرهم المؤرخ البديلى فى مواضع كثيرة من تاريخه ، كان لهم أثر مهم فى تكوين أمانة « قلب وبطان » وقد اندرس ذكرهم ونرجح أنهم اندمجوا فى العشيرة الخالدية (الخالدية) او وفدوا الى سنجار وعرفوا باسم آخر .

مامهرش : جاء فى خلاصة تاريخ كرد وكردستان أنهم فرقة من عشيرة « ارتوش » يبلغون ٢٠٠٠ أسرة وهم يزيدية يقطنون العراق والأستاذ امين زكى بك نقل هذا الخبر عن « تراث الخلفاء الأخير » للسرد مارك سايكس الاخصائى فى تاريخ الأكراد وهو على وهم فيه إذ لا يوجد فرقة من اليزيدية تسمى بهذا الاسم فى العراق أصلاً ، واذا كان أراد عشيرة الأرتوشية الكردية الرحالة فهي مسامة ولم تدن باليزيدية يوماً .
نجينان : جاء فى الكتاب الآنف الذكر (ص ٤١٥) أنها عشيرة تقطن لواء سعرد تبلغ ٩٠٠ أسرة ويقال ان فيها عدداً من الأسر اليزيدية .

قزلان : عشيرة يزيدية ذكرها يوسف ضيا باشا الخالدي المقدسى فى كتابه « الهدية الحميدية فى اللغة الكردية » نعتقد أنها تسكن لواء سعرد .

يزيدي : ذكر صاحب خلاصة تاريخ كرد وكردستان (٤٢٩) : « أنها مستقرة فى شمالي وان » لم يعلم مقدار الأسر ، واسماؤها تشتغل بتربية المواشى ، إلا انه لم يشر الى أنها مسامة ام يزيدية ؟

الجحيش : ذكر الأستاذ العزاوي أن هؤلاء عرب من طي وصار قسم منهم يزيدية . والجحيش لا يعترفون بذلك سوى أنهم كانوا قديماً حلفاء لطي و « اليزيدية » تجمعهم .

أما ان قسماً منهم صاروا يزيدية فليس كذلك بصحيح ، ويقال ان فرقة « العوجان » من الجحيش كانوا قديماً يسكنون قرية « تبة » في سنجار ، ولما انتقل اليزيدية اليه تركوا سكنائهم واختاروا عيشة التنقل .

نيويوكان ، شورش ، هيودل : ثلاث عشائر يزيدية ذكروهم البدليسي وقال عنهم : يسكنون ناحية « كوركيل » في جبل جودي التابعة الى أمانة (عزيزان) الكردية في جزيرة ابن عمر . أما الآن فلم يعرف شيء عنهم ، ولعلمهم هاجروا الى مواقع اخرى ولم يعرفوا .

تمليق وايضاح : نسب المؤرخ البدليسي أمانة « عزيزان - العزيزية » الى (عبد العزيز) بن سليمان بن خالد بن الوليد الخزومي . وزعم ان أباه (سليمان) هو الذي أسس أمانة الجزيرة ثم انتقلت بعد وفاته الى أولاده الثلاثة : (مير حاجي بدر) و (مير آبدال) و (عبد العزيز) . فاستأثر الأول في أمانة « كوركيل » ، والثاني في أمانة « فنك » ، والثالث في أمانة « الجزيرة » واليه تنسب أمانة « عزيزان - العزيزية » . ثم يقول : وقد بقيت هذه الأسر الثلاثة عاملة بالمذهب اليزيدي الى ان أدركتهم العناية الآلهية فمادوا الى الاسلام وسلكوا طريقة أهل السنة والجماعة .

هذا ما قاله المؤرخ البدليسي وهو على وهم فيه وقد ثبت تاريخياً ان سليمان بن خالد لم يأت بلاد الجزيرة ويؤسس أمانة فيها وقد توفي على زمن خلافة معاوية ، والجزيرة لم تكن إذ ذاك قد ظهرت لوجود وقد تأسست في سنة ٢٥٠ للهجرة والذي أسسها الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي وسميت باسمه . واذا فرضنا أنه أسس أمارته في بلاد الجزيرة ، فلم يكن من الأصول المتبع في الاسلام ان تعطى البلاد التي يقع عليها الفتح بطريق الاقطاع الى رجال الفتح فينشئون أمارات عليها ويورثونها أولادهم . وبلاد الجزيرة فتحت على عهد خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٨ للهجرة والذي فتحها « عياض بن غنم » أحد قواد سعد بن أبي وقاص ولم يكن سليمان بن خالد الذي فتحها ، ثم هل يجوز لسليمان بن خالد بن الوليد وهو من أمجاد العرب وشبل بني مخزوم ان يطلق عربيته ويقم أمانة كردية ويصبح كردياً أعجمياً ويسمي أولاده بأسماء كردية بالوقت الذي كان

العربي يفاخر بشرف أرومته وكريم محتده. فإذا علمنا ان اولاد خالد بن الوليد انقرضوا منذ الصدر الأول ، وان ابنه الكبير سليمان مات مسموماً والذي سمه معاوية بن أبي سفيان كما ذكرته بعض التواريخ ، أليس من الاعتداء والشطط ان ينتحل جماعات كبيرة من الاكراد وقبائل من العرب في نجد وسوريا وغيرها دعوى انتسابهم الى خالد بن الوليد ويعدون أنفسهم من ذريته؟ وكان العربي يذهب الى بلاد فارس وخراسان والهند والصين ويبقى محافظاً على عروبيته وعاداته وتقاليده ولا يرضى بها بديلاً ؟

ان المؤرخ البديلي لم يلاحظ هذه الاعتبارات ويرى استحالة تأسيس ابن خالد بن الوليد المخزومي أمانة كردية ويورثها اولاده . فإذا رجعنا الى التاريخ نرى ان اولاد خالد بن الوليد ماتوا جميعاً في مرض الطاعون ولم يبق واحد منهم ، فقد روى ابن قتيبة « انه كان لخالد ولد كثير فقتل الطاعون منهم اربعين رجلاً فبادوا » وفي أسد الغابة : « أخرج الثلاثة عن الزبير بن البكار أن ولد خالد انقرضوا فلم يبق منهم واحد ، وورث أيوب بن سلمة دورهم بالمدينة » .

وفي أشهر مشاهير الاسلام في التاريخ والسياسة لرفيق بك العظم في الكلام عن بعض القبائل العربية التي تدعي الانتساب الى خالد بن الوليد (ص ١٨١) :

« ويوجد لهذا العهد قبيلة رحالة في جهات حمص تسمى « بني خالد » ادعى مشائخها من بضع سنين انها تنسب الى خالد بن الوليد لأغراض لا محل لذكرها هنا، وهي دعوى كاذبة لا يقوم عليها دليل ، إذ ولد خالد انقرضوا جميعهم في الصدر الأول . والله أعلم » .

وهنا نجد مؤلف تاريخ الكرد وكردستان الاستاذ المرحوم أمين زكي بك يضع حداً لهذا الاختلاف ويوقفنا على وجه الخطأ في نسبة أمانة (عزيزان - العزيزية) الكردية الى عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد. ففي تعليق له على (ص ٣٩٥) من كتابه يقول : « اراجع عندنا ان وصفهم بالخالدية نشأ من كون أنهم منحدرين من نسل الشعب « الخلدني - الكالدي » القديم الذي كان يشغل منطقة وان في القرون الحالية » .

﴿ اليزيدية في بلاد الصوران « سهران » وإربل ﴾

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة أمر واقعي بعد ان انتشر في معظم بلاد الاكراد. وبلاد سهران مجاورة للشبخان مهد ظهور هذه الديانة ويفصلها عنه نهر الزاب. والاكراد قريبين للدعاية .

ان انتشار اليزيدية في هذه البلاد لم يكن عاما وشاملا فكثير ممن لم يعتنقها ولو كان لها دعاة ماهرون لا انتشرت في هذه المنطقة بأسرها وعبرت من هناك الى بلاد ايران حيث تتصل باليزيدية التي دخلت بلاد القوقاس من طريق بايزيد ووان .
كانت قبائل سهران في ذلك العهد تتمتع بنفوذ قوي ولاسراهم سلطة واسعة وهكذا كانت « إربلا » ومن الطبيعي ان هؤلاء الاسراء لم يكونوا يرتاحوا لظهور هذا الدين ويرون فيه خطر عليهم .

ويحدثنا المؤرخ شرف خان البدليسي ان السلطان سليمان القانوني عند سفره لفتح بغداد كان قد خيم بجيشه قريبا من إربل ، فبلغه من أميرها « عز الدين بن الامير سيدي بن شاه علي بك » ما ساءه فأمر بقتله وعين (حسين بك) أمير اليزيدية بمخله وأضاف الى أمارته أمانة (سهران) التي كان يحكمها (قلبي بك بن سليمان بك بن مير سيدي بك) وأمانة (صوماقلق) التي كان يحكمها (بير بوداق بن شاه علي بك) ، فكان تعيين هذا اليزيدي أميراً لثلاث أمارات يحكمها ثلاثة أسراء نصرأ عظيميا لليزيديين ، ولكن هؤلاء اليزيديين لم يكن لهم من القنظة والكياسة ما يمكنهم من استغلال هذه الفرصة ويقومون بدعاية واسعة لدينهم ويستميلون الناس اليهم ، بل بالعكس نجدهم أخذوا يحاربون المخالفين لهم بالعقيدة والدين ويستبيحون دماءهم .

يقول البدليسي : وقد وقع (لقلبي بك بن سليمان بك) أمير سهران حروب دامية مع الامير اليزيدي قصد استخلاص ملكه منه فلم يكن فيها موقفاً نخلي والتجأ بشاه طهاسب في ايران وترك شعبه في يد الامير اليزيدي يسومه العذاب ، يقول : ولما بالغ الامير اليزيدي في الاعتداء على السهرانيين وأسرف في القتل فيهم أرسلوا وفداً الى ايران يستحثون أميرهم للعودة اليهم ليساعدهم على خلاصهم منه ، فلم يجبههم وذهب الى

اسطنبول ليعرض شكواه الى السلطان ويستعطفه على إعادة ملكه اليه فأمر السلطان بتعيينه حاكماً على (الساوة) من أعمال البصرة ولم يحقق رغبته .

وقد مات «ير بوداق» أمير «سوماقلق» وخلف ابنه الامير «حسين» وبعد قليل مات وخلف ابنه «مير سيف الدين بن مير حسين بن ير بوداق» فأخذ هذا يجارب الامير اليزيدي بكل شدة وعنف وجمع جيشاً عظيماً من السهرانيين وهاجم قلعة (إربل) وكان الامير اليزيدي غائباً عنها فاستولى عليها وتم له ما أراد، ومهاول الامير استرجاع قلعة (إربل) فلم يوفق وفي معركة واحدة قتل من أعوانه اليزيدية خمسين نفراً ونهبت له أموالاً لا تدخل تحت حصر .

يقول البدليسي : ولما شاع في اسطنبول خبر هزيمة الامير اليزيدي أمام الامير السهراني وسقوط أمارته طلب السلطان حضوره وأمر بقتله .

وكانت هذه الحادثة خاتمة لحياة اليزيدية في إربل وسهران ولم يستطيعوا ان يسترجعوا نفوذهم فعاد الذين قبلوا اليزيدية من السهرانيين الى الاسلام ، والبقية ذهبوا الى الشيخان وخت هذه المنطقة منهم .

ومن عبر التاريخ ان النكبة المروعة التي حلت بيزيدية الشيخان بعد ثلاثة عصور تماماً من هذه الحادثة كانت على يد هؤلاء السهرانيين أنفسهم وأميرهم «محمد باشا» المعروف بـ «مير كوره» هو من أحقاد «مير سيف الدين بن مير حسين بن مير بوداق» الذي أخرجهم من منطقة سهران . وهكذا ظل شبح الانتقام يتعقبهم الى ان حل فيهم .

﴿ في ذكر زعماء جبل سنجار وذوي النفوذ ﴾

والوجهة منهم وما لهم من الاخبار

أوجدت الحالة العشائرية في جبل سنجار زعماء أقوياء يوحدون كلمته ويندودون عنه ويقودونه الى المعارك ويحافظون على استقرار الوضع العشائري فيه . وذلك أمر محتم بعد أن أصبح هذا الجبل ساحة حرب ضروس ، وكانت الحملات والمغازي تتوالى عليه وقد حاق به الخطر من كل جانب . ولو لم يكونوا هؤلاء الزعماء لما استطاع هذا الجبل أن يحافظ على موجوديته ولا تهدم كيانه لأول مرة .

ولما كان هؤلاء الزعماء ليسوا من أرومة واحدة ، وتربطهم رابطة قومية واحدة ، فكان التنافس بينهم على الرئاسة شديداً جداً ، وكانت الحروب تقع بينهم دون انقطاع وتوقف . وقد يكونون يداً واحدة عندما يفاجم عدو من الخارج ، وبعد أن يدحرونه يعودون الى مقاتلاتهم .

وقد ظهر فيهم رجال ذوو بأس شديد عرفوا بمقدرتهم في الحروب وتنظيمهم الصفوف ما لا يوجد مثلهم في أكبر القواد ، وهذا الذي ضمن لهم النجاح طيلة هذه المدة . ولم ينحصر تفوقهم في فنون الحرب وحسب بل كان فيهم من ذوي العقول الراجحة والمدارك الواسعة ، ما لو نالوا نصيباً من الثقافة العصرية لأصبحوا من أكبر ساسة العالم . ولما كان استقصاء أخبار هؤلاء الزعماء وذكر ما لكل واحد منهم من الأخبار يستغرق زمناً طويلاً فنكتفي بذكر الزعماء الآتية اسماؤهم وهم يكفون عن غيرهم .

﴿ خضر محمد كهية ﴾

زعيم الهبابات ، كان يسكن مدينة البلد ، وقد شاخ وبلغ المائة من العمر ، وظل محتفظاً بسلامة عقله واصالة رأيه . وقد اجتمعت به أكثر من مرة وكان يقص علي حوادث عصر كامل شهدها بنفسه ، منها ثلاثين حملة عسكرية كبرى قامت بها الحكومة العثمانية على الجبل كان أشدها وأقساها حملة حافظ محمد باشا الذي كان أن يقضي بها على الشعب البيدي برمته . وقد كان يقص علي هذه الحوادث وبألم لها وأكثر ما يؤلمه ما كانت تجريه الجيوش من اعتداءه على نساءهم ، وأسرهم بالجملة .

وقد تولى رئاسة الهبابات ثمانين سنة كانت كلها حرب وضرب ، وعشيرته أقوى عشائر الجبل وأكثرها قدرة على القتال . وكان من عشيرته مطاعا ، ومن بقية المشائر محترما ومهابا . ولما كبر وهرم ترك الرئاسة الى ولده علي بن خضر محمد كهية ، وكان كأبيه رزينا هادئا عاقلا ، ولم يأت بعمل ما لم يستشر به اياه ، وكانت الحكومة ايضا تستشير به وتستعين به علي قضاء كثير من المهات . توفي سنة ١٩٠٤م



- سمو شبرو في الوسط وعلى يمينه اسماعيل بك والخوري هرمن ورئيس القبران -
- وعلى شماله حسين بن علي خضر كبية ورئيس عشيرة المسكان -

﴿ سمو شبرو ﴾

زعيم الفقراء وكبير جدالة ، يرجع بالأصل الى عشيرة الدنادية في الشيخان ، وهو لم يكن في بدء أمره شيئاً مذكوراً ، وكان خادماً لدى صفوق زعيم الجبل المعروف. سكن قرية « زفكي » ثم انتقل الى قرية « ملك » وأخيراً جاء الى قرية « جدالة » التي أمست حتى النهاية مقراً له . والفقراء ليس لهم قيمة من الناحية العشائرية ، والبيزيدية يعطفون عليهم بصفتهم عباد متزهدين . وقد أوجدت لهم هذه الصفة حصانة قوية فكانوا لا يسألون عن أعمالهم التي يأتون بها ، فاستغل ذوي العصبية القوية مكانتهم واستعانوا بهم في الحروب فكان النجاح مضموناً للحزب الذي ينضمون اليه . كان « سمو شبرو » أول من قاد الفقراء الى المعارك ، فهابته الأحزاب وأخذت تحسب له حساباً فازداد الفقراء قوة وأصبح عنصرأ فعالاً في الجبل وبسط نفوذه على كافة العشائر.

أن الذي هياً للفقير حموشيرو أسباب الزعامة المطلقة على الجبل مقابلته الكولونيل « لجن » عند مجيئه متنكراً الى الجبل ومقابلته في موقع يسمى « كفر حنكارى (١) » إذ قوى أوامر الولا بينه وبين الانكليز وأصبح محل ثقتهم وعينوه حاكماً على جبل سنجار طيلة مدة الاحتلال البريطاني .

نعم لقد فوض الانكليز صديقهم الحميم قضاء سنجار وأطلقوا يده في ادارة شؤونه الادارية والاقتصادية وأخذ يحكمه حكماً اقطاعياً وهم يشرفون عليه عن كثب ويساعدونه في حل المسائل التي تستعصي عليه ، إلا ان الجبل الذي لم تغمض فيه عين الشر لحظة واحدة ، لم يكن ليرتاح لحكمه وهو لم يكن إلا واحداً من زعمائه الكثيرين والانكليز يعرفون ذلك جيداً ، ولكن اذا أرادوا شيئاً فعلوه وهم لا يريدون ان يخلوا بصداقتهم مع هذا الشيخ الفاني ويجرحوا عواطفه وهو في آخر أيام حياته .

كان الفقير حمو صلب الارادة ، قويا ، ذا مطامع كبيرة ، وآمال بعيدة ، متعصباً لديانته الى أقصى حدود التعصب ، يكره المسلمين ، لا يعرف رياه ولا مداجاة ، بلغ المائة والعشرين من عمره ولم يفقد شيئاً من حواسه ، وكان يأخذ كل يوم فأسه ويشغل الساعات الطوال في بستانه . إصطدم بأمر الشيخان سعيد بك وأراد إسقاطه من منصبه ولم يوفق . وأخرج « السنجق » من أيدي القوالين وحجر عليه عنده حولين كاملين ثم أعاده بعد ان تدخلت الحكومة بالأمر وشددت عليه ، وضبط قرية « جداله » من أيدي اصحابها « الخواتنة » المسلمين فموضتهم الحكومة قرية « عين الحصان » بدلا عنها .

﴿ الفقير خديدة بن حموشيرو ﴾

كان يشمل نفوذه قسماً كبيراً من الفقراء ان لم يكن كلهم . وكان يمثل أباه في حاكميته

(١) هذا ما شاع وردده الالسن عن مجيء الكولونيل لجن الى سنجار واجتماعه بالفقير حموشيرو ، وكان مجيئه على ما يقال برفقة اسماعيل بك امير اليزيدية ، وكان قد اتصل بالانكليز في سامراء . الا ان اسماعيل بك ينفي هذا الخبر وينكر ان قائد الجيش البريطاني في سامراء ارسل معه ضابطين بريطانيين احدهما طبيب والاخر مهندس فأتيا الى « جداله » ومنها صعدا الجبل ووصلا الى محل يسمى « بير سويدكى » قريبا من كرسي وأحضرا حموشيرو وتباحثا معه . (اليزيدية قديماً وحديثاً)

على جبل سنجار ويساعده في اعماله . وهو لبق ذو ذكاء وفطنة يعرف كيف يستهوي الناس ويعمل على كسب مودتهم ، على عكس أبيه الذي كان بعيداً عن روح المجاملة وفيه من الصلف والكبرياء ما صرف الناس عنه . ولا أعالي اذا قلت اني لم أجد بين زعماء سنجار قاطبة على مثل ما كان عليه من رجابة الصدر ورجاحة العقل ، صريح في كلامه خاصة مع من يثق به .

والفقير خديدة لم يخل من خصوم أوجد لهم أبوه في توليه الحكم ولا سيما الفقراء الذين كانوا يمنون عليه في بلوغهم هذه المكانة بمعارضتهم له ، وكثيراً ما أرادوا الوقيعة به . وقد ألصق الفقير « حسن كاكو » به تهمة تحريض بعض الفقراء على الحرب من وجه الحكومة الى المنطقة السورية ليستولي على أراضيهم في قرية جدالة فخكم عليه المجلس العرفي العسكري بالموصل عام ١٩٣٩ بالسجن الشديد ثلاث سنين وابقائه تحت مراقبة الشرطة ثلاث سنين اخرى ثم عفت الحكومة عنه بتاريخ ١٠ شباط ١٩٤٠ وأطلق سراحه .

ومن واجب العدل ان نعترف ان لو لم يكن هو شبرو وابنه خديدة لما استطاع الفقراء أن يتصرفوا في شبر واحد في قرية « جدالة » وينالوا هذه المكانة التي أصبحوا يغبطون عليها بل لظفوا على فقرهم وذلمهم ومسكنتهم يعيشون على أعطيات اليزيدية وصدقاتهم ..

لم يكن الفقراء لبروق لهم أن ينال بيت « هو شبرو » أكبر حصص من أراضي « جدالة » وكانوا يزاحمونهم عليها ، وبالأخص بيت « فقير جندو » الذين يملكون قوة كبيرة بين الفقراء ، والفقير « خديدة » لم يكن يعبأ بهم ويرى حزبه أقوى منهم والكل يطيعونه ، فبيت بيت الفقير جندو أمرهم واغتالوه على يد صبي يقال انه غير كامل الشعور كما سبق لنا ذكره ، وهكذا ذهب هذا الرجل العظيم ضحية الحياة والغدر .

﴿ الشيخ خلف بن الشيخ ناصر ﴾

ينتمي الى أسرة الشيخ سجاد بن (سراج الدين) الممتازة بجرمتها العظيمة لدى اليزيدية ، وفد أبوه قبل ثمانين سنة من قرية « بعشيقه » الى سنجار وهو فقير ، وأخذ

يمش على خبرات مر يديه « المسكانيين » وبعد وفاته ترك من الأولاد صاحب الترجمة الشيخ خلف وأخيه الشيخ بركات ، فمهد المسكانيون أمر اعاشتها . وبعد ان دارت الأيام دورتها أصبح الشيخ خلف زعيما ، وأثرى ثراه واسعا وحصل على مكانة ممتازة ، وهو عاقل جدا بصير بالأمر ، لا يتكلم إلا عن روية وتفكير . وقد أولاه رجال الانكليز طيلة مدة الاحتلال ثقتهم وقدموه على بقية الزعماء في الجبل . وعندما جاءت لجنة تحديد الحدود بين تركيا والعراق فوضته الحكومة أراضي قرية كوهبل لقاء ما أظهره من حسن الخدمة والصدقة . فكان ذلك مما أثار حسد منافسيه ووشوا به أشياء دعت المجلس العرفي العسكري في سنجار بتاريخ ١٠/٢/١٩٣٩ الى إصدار الحكم بحقه بالسجن لمدة سبع سنين بالأعمال الشاقة ووضعه تحت مراقبة الشرطة لمدة خمس سنين اخرى ، ثم عفي عنه بتاريخ ١٠/٢/١٩٤٠ وسمح له بالعودة الى محله . وفي (تشرين الاول سنة ١٩٤٣) نفته الحكومة الى لواء ديالى ، وبعد أشهر عفت عنه . وقد أتهم في حادثة وقعت بين المسكانيين وأهل قرية « خانة صور » فقررت الحكومة إبعاده ثانية الى لواء ديالى ، وبعد سنة أعادته الى الموصل ، ثم قررت إبعاده الى لواء بعقوبة ، وبعد سنة عفت عنه وأعادته الى سنجار .

ونرى ان حياة هذا الزعيم مليئة بالحوادث ، والذي جنى عليه كثرة حاسديه وتصلبه في أفكاره وهو ممن يؤمل منه استفادة عظيمة في حل المشاكل التي تحدث في الجبل لو أولته الحكومة ثقتها واعتمدت عليه .

﴿ صفاق ﴾

أفلت أيام حياته في مغرب العصر (الميلاي) المنصرم وكان زعيما بكل معنى الكلمة . واليزيدية يطلقون عليه اسم « باشا » لكبر منزلته ، وهو كبير عشيرة « موسقورة » ذات الشهرة الكبيرة في التاريخ ورئيس جبل سنجار على الاطلاق ، عاش ثمانين سنة وقد رأته شيخا مسننا تلوح عليه آثار الهيبة والوقار ، كان يسير في حياته العملية على سياسة التقرب من رجال الحكومة ، والعمل على ارضائهم على خلاف بقية الزعماء اليزيديين الذين لم يقابل أحدهم رجل حكومة طيلة مدة عمره ؟ وما أتى قائد عسكري ولا موظف

اداري الى جبل سنجار إلا وكان له صداقة معه ، وقد أوجد له « كرافة » مع القائم مقام احمد بك ، والمرحوم القائم مقام ابراهيم صدقي بك بختن ولديه في حضنيها ، وهذا لم يحصل لرئيس غيره في سنجار مطلقا . وكان متساهلا في عقيدته ، زوج اخته « عدلة خانون » من قائد عسكري كبير جاء الجبل ورآها وأعجبته ، وقد أنجبت ولدان يشغلان الآن مناصب عسكرية مهمة في الجمهورية التركية .

ان تقرب « صفوق » من رجال الحكومة وابتعاد بقية الرؤساء عنهم مما ساعده على توسيع نفوذه في الجبل والتنكيل بمخالفيه والحكومة من ورائه ، وقد أصيب بنكبة ألمية وهو في آخر ايام حياته ، إذ كان له ولد على غاية من الصباحة اسمه « برجسا » كان يرافق الفريق بكر باشا في حملته على سنجار عام ١٨٩٥م فصادفه جندي مونور بقتل صديق او قريب له في احدى المعارك مع اليزيدية وأراد ان يثار له فقتله فأثرت هذه الحادثة فيه الى ان مات .

ونشأ لبرجس ولداً اسمه « حسيناً » كان مرضى الخلق محبوبا وسار على سيرة جده صفوكا من التودد الى رجال الحكومة والعمل على إرضائهم وكان له فتاة على غاية من الملاحظة والجمال ، وقد علمها القرآن على يد أحد شيوخ الشيخ حسن واعتنى بتهديتها وتثقيفها ، وكان يتحدث بتزويجها من موظف حكومي كبير الا ان منيتها عاجلتها قبل ان تتحقق أمانى أبيها فيها .

﴿ داؤد الداؤد ﴾

هو حفيد عيسى اغا بن حسو اغا بن آدي بن دلا كبير (المهركان) وزعيم الجوانا وعشيرته (عسنا) او (عاسيقنا) وجده عيسى اغا من أشهر زعماء سنجار وأعظمهم قوة وأشداهم بأساً وأكبرهم مكانة وقد قتله أمير الآلاي عمر بك في حادثة قتل القائم مقام احمد بك هو وجماعة كبيرة من رؤساء سنجار ، وداؤد الداؤد رجل فيه غلظة وشراسة وحمق وغرور تخاصم مع (وهو شيرو) بعد ان عينته الحكومة المحتلة حاكما على سنجار ورفض طاعته بدعوى انه كبير مهركان ، وزعيم الجوانا وكبير بيت (آدي دلا) وهو شيرو لم يكن غير فقير وفد ابوه من الشيخان ، وكان خادماً لدى (صفوق) كبير

الموسقورة ، وقد جرى له معه حروب دامت عشرين سنة فقبضت الحكومة عليه وأبعدته الى مدينة (الناصرية) حيث بقى فيها ثلاث سنين ثم أعادته الى الموصل ونفته ثانية الى قضاء الشيخان وبعد سنة سمحت له بالذهاب الى محله . إلا أنه لم تظأأ قدماه الجبل إلا وأخذ من جديد يعقد المؤامرات ويقم الثورات وبات الجبل في فزع وخوف فأرسلت الحكومة قوة كبيرة لاعادة الأمن وإرجاع كبير المهركان الى الطاعة فأبى وأصر على جهله وأعلن العصيان فنكلت الحكومة به تنكيلا شديداً وقبضت على جماعة من أعوانه وهم : (برجس حسين اوصي) كبير قرية شوركال و (قاسم علي) مختار قرية زبيده خان و (بيدل حسو آدى) مختار قرية مهركان و (حجي عبدى) مختار قرية نقرى و (سليمان محمود) مختار قرية بكران و (عمر ميرخان) مختار قرية بشتكيري ، وحوكوا من قبل المجلس العرفي المسكرى في سنجار وصدر حكم الاعدام بحقهم ونفذ فوراً وقد استسلم ٢٤٠ نفرأ من أعوانه مع أسلحتهم فزجوا في السجون وهرب داؤد الداؤد الى المنطقة السورية جريحأ مع زوجته وولديه .

بقى في المنطقة السورية نحو ثلاث سنين واختار الاقامة في قرية (منكفتى) ذليلا حقيرأ مهانأ ثم وجد له فرصة وعاد الى محله ولكنه سرعان ما عاد الى سيرته الاولى واصطدم بجماعة من الشمرين أعوان الشيخ نجيل الياور فقتل أناس كثيرين من الطرفين فقبضت الحكومة عليه وأرسلته الى لواء السلبيانية ، ثم أعيد الى محله للمرة الثالثة فتنازع مع رئيس (المسكأبي) فقبض عليه وأبعد في هذه المرة الى بعقوبة هو وولده هادي وبقى في بعقوبة وفي الموصل ثم في بعقوبة ثانية وبعد ان مضى عليه ثلاثة سنوات اخرى سمح له بالرجوع الى محله ، ويؤسفي ان اقول انه لم يكن في حالته الحاضرة بما ترتاح له الحكومة وقد يأتى بأعمال غير مأنوسة ولا نعلم ماذا ستكون عاقبته .

﴿ الشيخ خضر بن الشيخ عطو ﴾

لم تكن نشأته في سنجار لتفرق عن نشأه الشيخ خلف بن الشيخ ناصر رئيس المسكان وهو خاله . وفد أبوه من قرية « باصفنة » في قضاء الشيخان الى الجبل لجمع نذوره وخيراته من مرعيه القيرانيين فوجد فيهم مرعما خصبا نظراً لسذاجتهم ، فألقى عصا

الترحال بينهم وأثرى وحسنت حاله، ولما جاء دور ابنه الشيخ خضر ترأس عليهم وأصبح
قيرانيا .

كان أكبر مساعد لحو شيرو عند توليه الحكم في سنجار وبقى مواليا له الى ان قضى
نحبه . وكانت الحكومة قد أبعدهته الى « بعقوبة » نحو عامين ثم سمحت له بالرجوع
والاقامة في الموصل . ولما أعلنت الحكومة الأحكام العرفية العسكرية في سنجار وحكمت
على الشيخ خلف وجماعة من اخوانه ، خالجه الخوف من ان يشمله الحكم ايضا فهرب
الى المنطقة السورية في ٣٠ تموز ١٩٣٩ وبقى هناك الى ان هدأت الحالة ثم عاد الى محله .
وللشيخ خضر مكانة محترمة عند اليزيدية ، إلا ان القرانيين يرفضون رياسته عليهم
كما استأثروا منه وهو شيخ طريقة وليس له عصبية يحتمي وراهها .

وهو ممن سعد باتصاله من رجال الانكليز وكان يزورهم بدون وعد وبخس الطهم دون
كلفة ، وكان يملئ عليهم اخبارا خرافية ويتلقونها منه كحقيقة . وأكثر الأخبار التي
يتلقونها من رجال الدين اليزيدي هي من هذا القبيل وكل واحد منهم يملئ عليهم ما
يوحي اليه خياله . وترى ذلك فيما يكتبونه عنهم .

﴿ حاجة يزيدية جبل سنجار الى الاصلاح ﴾

ان ما ذكرناه عن القبائل اليزيدية في جبل سنجار وعن بطونهم وأفخاذهم ومناسبات بعضهم مع بعض والأخبار المتعلقة بزعمائهم، يعطينا فكرة عن الوضع الاداري والعشائري في هذا الجبل . وهذا الوضع يتبدل على مدى الأزمان ولا يستقر على حالة واحدة . فبينما نراه هادئاً وقد شمل الجبل السكون اذ عصفت فيه الرياح الهوج واجتاحته الاغصير فتأخذ الحكومة الأهبة لتهدئة الحالة واعادة السكينة خوفاً من أن يتفاقم الأمر ويستعصي الحل . ورجال الادارة الذين يمارسون الحكم في هذا اللواء يقدررون هذا الوضع وهم دائماً يقضون لمجاهاة ما يحتمل ظهوره من الحوادث الآنية ويعالجونها .

لقد أثبتت التجارب العديدة أن الخطة المتبعة في ادارة شؤون هذا الجبل لم تكن مجدية ، وأصبح من الضروري على الحكومة أن تنتهج خطة اكثر تفهماً لتأمين مغبة هذه الحوادث التي كثيراً ما تشغلها وتأخذ جانباً كبيراً من جهودها . والطريقة التي يجب عليها انتهاجها ليست استعمال الحديد والنار وإلقاء الرعب والرهبه في قلوب الاهلين كما كانت تفعله الحكومة العثمانية طيلة مدة حكمها هذه البلاد ثم خرجت منها بصفقة الخاسر ، بل الطريقة المجدية هي تثقيف هذا الشعب وادخاله حضيرة التمدن ، واصلاح حالته المعاشية والترفيه عليه . وهذان العاملان هما اللذان يكفلان اسباب نجاحه من الشقاء والبؤس اللذين حلا به ، ويؤمنان رفع مستوى هذا الجيل مادياً وأدبياً .

عاش هذا الشعب خمسة عصور تماماً وهو يتيه في بيداء الجهل ، وليس شعب على وجه الأرض فرض عليه الجهل وحرم من التفكير غيره ، وهذا ما جعله غريباً في هذه الحياة وأصبح منبوذاً من كافة صنوف البشر ، وحرم من حقوقه الانسانية ، وعاش قلقاً ، مضطرباً ملتماحاً واتعب غيره وأتعب الحكومة التي تولت أمره وشقيت الأرض التي يسكنها به ، وهو لم يكن له ذنب سوى جهله الذي فرض عليه فرضاً ونمسه بمبادئه التي وجد آياها عليها ، والظروف التي لازمتها طيلة هذه المدة هي التي سببت له البقاء على هذا الجهل وهذه العقيدة .

ان هذا الشعب الذي أدرك القرن العشرين من حقه ان يحظى بعد الآن بحياة هادئة

حرة مهذبة وياتحق بالركب الانساني المتحضر سواء أرضي منه زرادشت ومزدك
وماني أم لم يرضوا ، وبقاؤه في حالته الحاضرة يعد لطفة سوداء في جبين الانسانية .
ان الوسيلة الوحيدة لافتقاد هذا الشعب من هذه الجهالة وجملة عضواً نافعا في المجتمع
هو العلم ، والعلم لا يكون إلا بالمدارس فعلى الحكومة ان تكثر من فتح المدارس في هذا
الجبل وتجهزها بالمعدات المدرسية اللازمة وتنفق على الطلاب الذين يؤمنونها بسخاء
وتؤمن حاجتهم ، وتختار كل سنة عشرين طالباً ممن تتوسم فيهم الذكاء والنباهة وترسلهم
الى العاصمة لا كمال تحصيلهم وتجعل منهم أطباء ومهندسين وحكاما وموظفين اداريين
وضباطا وموظفي شرطة ، وترسل كل سنة منهم بعثة الى عواصم اوربا ليختصوا في
مختلف شعبات العلوم (١) وتقيم في الجبل كل سنة معرضاً زراعياً وصناعياً ، وداراً
للسينما، ومحلات للملاهي، ومستوصفات تكثر فيها الاطباء والصيادلة والمرضى والمرضات
وتجعلهم أداة للتبشير في العلم ، وهكذا لا يمضي طويل زمن إلا وتكون قد ظهرت
المعجزة في خروج هذا الشعب من عزلته ودخل معترك الحياة الحرة وأخذ يعمل بما فيه
خيرته وخير الوطن .

ان تهذيب يزيدي واحد وثقيفه يكفل صلاح الامة اليزيدية بأسرها .
إصلاح حالته المعاشية : ان تسلسل الظلم قروناً طويلاً على هذا الشعب وانهبال أسواط
النقمة عليه جيلاً بعد جيل لم يترك له مجالاً في إعمار مزارعه وتكثير أشجاره وتطهير
كهارزه بشكل يضمن له سعة الحال ورغد العيش وكان طيلة هذه المدة عرضة للنهب
والسلب . وقلمما مضى عام او عامان وما حملت الحكومة العثمانية عليه بجيوشها الزاخرة
وتكبدت وكبدته خسائر بالأرواح والاموال . فكانت سياستها معه متجهة نحو تقليل

(١) كنت في صيف العام الماضي زرت قنصل الجمهورية التركية في الموصل ومعى « ميان خاتون »
الوصية على أمير الشيوخان ، ودار فيما بيننا الحديث عن اليزيدية الفاطنين في تركيا . فذكر لي انهم لم يبقوا
على عقائدهم القديمة وقد أخذوا يقبلون الى العلم . والجمهورية التركية تستخدم ذوي الكفاآت منهم في
مختلف الوظائف ، ويعرف منهم طبيباً وهو صديق له وذكر لي اسمه . سألته : ألم يوجد بينهم مشائخ
وبيرة وقوالون ؟ قال : هؤلاء لا يجدون عندنا خبزاً ياكلونه . وكانت زيارتي له قصد ان ألتبس السباح
لجماعة من القوالين لزيارة اليزيدية الذين هناك . ولما علمت انهم لا يجدون خبزاً ياكلونه عندهم لم أكلمه
في شأنهم .

عدده بالقتل واخراج أمواله من يده بالنهب والسلب لتأمين عاقبته، فتركوا مساكنهم القريبة من ذيول الجبل ولجأوا الى القرى المنيعة وعاشوا في ضنك وضيق ، وعسر عليهم معاشهم ، ولما تبدل الحكم ونالوا حريةهم وخرجوا من عزلتهم رأوا الاراضى الزراعية القريبة من ذيول الجبل قد دخلت في أيدي غيرهم وأصبح واحد منهم بحاجة الى قطعة أرض يزرعها فلا يحصل عليها ، فاشتدت فيهم الفاقة وعضهم الجوع ، ووقعوا في اليأس فلجأوا مكرهين الى الاعمال التي تدعو النعمة عليهم .

ان هذا الشعب بقدر ما هو محتاج الى الثقافة والعلم يحتاج الى الأكل والشرب واللبس وهو ليس بحاصل عليه طالما قد سدت بوجهه ابواب العمل . فالأراضي التي كافح عليها عصوراً طويلاً وعجن ترابها بدمه لم تبق له ، والقني (الكهاريز) التي كانت تجري لبناً وعسلاً انظمرت ولم تكف تصلح للعمل ، والقرى التي بقيت بعيدة عن تناول الأيدي الأجنبية في الجبل دخلت في أيدي منزعجهم وحرمت عامتهم منها . فإذا ما تم له الاقتباه الذي ينتظره وخرج للحياة الحرة من جديد ، فلسوف لا يرضى لنفسه البقاء في هذا العسر والضيق لا سيما وان نفوسه قد اخذت تزداد بنسبة مبسوطة وسيبلغ بعد ربع قرن ضعف ما هو عليه الآن . وبالنظر الى هذه الاعتبارات فقد اصبح واجبا على الحكومة ان تأخذ باعداد اسباب رفاهية هذا الشعب وإدخال وسائل العمران عليه ويكون ذلك بالصورة الآتية :

- ١- منحه ما يحتاجه من الأراضي الزراعية في شمالي الجبل وجنوبه على ان يعوض اصحابها الذين دخلت في أيديهم اراضي اخرى غيرها .
 - ٢- تطهير الكهاريز المندثرة في شمالي الجبل وجنوبه وتبلغ نحو مائتين وخمسين عدداً وجعلها صالحة للعمل .
 - ٣- تأسيس شركات زراعية تجهزهم بالآلات الزراعية الميكانيكية وتعودهم على استعمالها .
 - ٤- إقراضهم من المصرف الزراعي المبالغ الكافية لتحسين زراعتهم وتكثير مواشهم .
 - ٥- تشجيعهم على تكثير الاشجار وإبلاغها الملايين ، وهي ثروة الجبل الطبيعية .
- فإذا ما حصل لهم ذلك ونالوا نصيباً من الثقافة والعلم اصبحوا من خيرة الشعوب

واعترضهم الوطن وعملوا على رفع مستواه وحصلت الحكومة على شعب غيور منتج .

اما يزيدية الشيخان فيختلف وضعهم من يزيدية سنجار . فهنا لا تجد للعصبية العشائرية أثراً وقد يعيشون في هدوء وسكينة . والتعصب الديني قليل فيهم ولو رفع عنهم الضغط الذي يلاقونه من رؤساء دينهم لدخل عليهم التطور الديني والثقافي الذي ينتظرهم بأقرب وقت . على ان رؤساء دينهم أنفسهم يشعرون بهذه الحاجة ، ولكنها عندما تتعارض ومصالحتهم يقفون سداً حائلاً أمامها .

ولا احتمال لاصلاح حالتهم المعاشية وتقدمهم في الحياة أكثر مما هم عليه الآن طالما لا يملكون حق التصرف في أراضيهم ويشغلون على حسابهم وهم دائماً محكومين بالفقر .

- في هامة اليزمى النفسية في السبخان -

- واستكانته وقبوله الذل -

كان هؤلاء القوم فيها مضى معتصمين بقوتهم وعصبيتهم ، وليس من السهل إلحاق أقل أذى بهم . ولما غلبوا على أمرهم ونالتهم الأيدي من كل جانب ، تسربت اليهم الذلة والمسكنة ، وتأصل فيهم روح الضعف والخنوع ، وأخذ وجهاء الموصل يسلبونهم أملاكهم وأراضيهم ويجعلونهم خداما لهم .

ناهيك ما كانت الحكومة السابقة تعاملهم به من الظلم الفادح والاعتداء الفظيع وهم لا يستطيعون ان يبدوا حرا كما ويدافعوا عن أنفسهم . وما مضى يوم إلا والسجون غاصة بهم لسبب التهم التي يوجهها اليهم المتنفذون لسلب البقية الباقية في أيديهم من عقار وملك ، ومص آخر قطرة من دمهم . وصنوف القضاة والحكام آلة بيد هؤلاء المتغلبة يجر كونها وفق رغبتهم .

كان من أكبر علائم الضعف في الحكومة العثمانية في آخر عهدها في العراق ظهور هذه الطبقة من اصحاب الوجاهة والنفوذ . وكان العدل الاجتماعي يهان ويداس بالأرجل في سبيل وليمة يولها وجيه ، او هدية يقدمها ، او خدمة خسيصة يقوم بها . ووليمة واحدة تجعل رقاب مئات من هؤلاء البؤساء خاضعة له ولأولاده وأحفاده .

كان هؤلاء البؤساء يهانون في شرفهم ودينهم وعزتهم ، وكان السيد الوجيه يجهز على آخر ما تملكه أيديهم من مال ومتاع كيلا ينال أحد منهم تراه وتحذنه نفسه يوماً ما بالخروج عن طاعته . وكان يتسلط على أعراضهم ، ويسب معبودهم لأنهم ليس لهم كرامة تستحق الصيانة عنده . رأيت مرة وجيهاً أمر بربط كبير قرية بالجرجر (وهو آلة ثقيلة يجرها بغلان قويان تستعمل في دوس البيدر) فكان يدور به بمنتهى طاقتة .. ورأيت مرة أمر بشد أربعة من منازعيه بالحبال وصب على رؤوسهم الدبس وأوقفهم امام الشمس المحرقة لأنهم سرقوا من محصولاتهم .. ورأيت مرة أمر بجمع دجاج احدى قراه وكانت مائتين

وثمانين دجاجة وأرسلها الى بيته العامر بالموصل لأنه أمرهم ان يربطوها كيلا تقرب من البيادر وتلتقط الحب ولم يمتثلوا أمره ... ولا يزال أحد ابناء هؤلاء الوجاه ، وهو من اصحاب العقارات الواسعة يحدثنا عن حلقة لحية أحد مزارعيه لقصور بدر منه نحوه .

هذه هي حالة هؤلاء البؤساء فيما مضى ، ويمثل هذا العسف والجور سلبت اراضيهم من أيديهم واصبحوا صماليك لا يملكون شيئاً ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة وفقدوا كل كرامة في الحياة .

وبعد ان تبدل الحكم في العراق وزال عنه شبح الماضي ، واستعادت فيه الأقليات المستضعفة حريتها ، ظل البيزيدية دائبين على ما هم عليه من الهوان والذل وزادوا خضوعاً لآسيادهم ، ولم يرضوا ان ينزعوا طوق العبودية من أعناقهم وصدق عليهم قول الشاعر:

عبد رق مارق يوماً لمتق لو تخليت عنه ما خلاكا

﴿ درجة الجبن المستحکم فيه ﴾

بقدر ما هو عليه البيزدي من الصبر على المكاره ، والجسده على الشدائد ، نراه من ناحية اخرى شديد الخوف رعديداً جباناً لا يجراً على مناوأة احد من غير بني جلدته ، وذلك لسبب ما بداخله من الوهم بأن دمه قد أبيض في معتقد المسلم ، وأن المسلم سيقضي عليه لا محالة اذا ظفر به . حتى كثيراً ما كنا نرى في عهد الحكومة البائدة كيف يناصب احد رعاة المسلمين أهل قرية منهم العداة وليسوا بقادرين على دفع أذاه عنهم . وهذا ما زاد طعام ذلك العهد جرأة وإقداماً على إيذائهم وسلبهم اموالهم واجراء كل فعل منكر معهم .

أما الحالة بينهم فهي على العكس من ذلك ، وقد لا يحجم أحدهم عن قتل صاحبه لسبب تافه لا يستحق الذكر ، وهنا يصدق عليه القول المشهور « أسد علي وفي الحروب نعامة » ، وهو أمام الرجل المسلم أضعف من نعامة ، وقد لا يقدر على مجابهته حتى ولو كان بأقوى منه . ولم يستحکم فيه هذا الجبن وهذا الضعف إلا عندما لاقى إغراضاً من الحكومة عن الأخذ بناصره ، وانصافه من غريمه وهو محكوم عليه أبدأ

ودائماً بالحرمان من حقوقه مع المسلم وحجته عليه باطلة حتى لو أن السماء أيدته فيها .
ولا ننكر أن تبدل الحكم في هذه البلاد غير حالته النفسية ، وأزال الى درجة سجية
الجن والخوف المستحكمة فيه ، إلا أنه لا يزال ذلك الانسان المهان المستضعف بنظر المسلم
ولا يتجنب الرجل المسلم ايذاءه كما وجد اليه سييلاً .
أما الحالة في سنجار والمواقع التي يكون لليزيدية فيها عصبية قوية فهي على العكس
من ذلك ، وقد يكون المسلم فيها مهاناً ذليلاً ، وقد لا يستطيع البقاء ما لم يحتم يزيدي
بدفع الاعتداء عنه .

﴿ درجة تحمله للشدائد ﴾

إن من أهم الأسباب التي زادت اليزيدي بؤساً وشقاء ، تمسكه بالتقاليد التي ورثها
من آباؤه وروح الاستسلام الذي غرسه فيه رؤساء دينه ، حيث أخذ يعتقد ان أقل
إهمال او تقصير يبيده نحو أحد رجال الدين يجعله عرضة لغضب الآلهة ولا ينال السعادة
التي أعدها الآلهة السامي في الدار الآخرة لعباده المخلصين . ولذا نراه يعاني طيلة ايام السنة
الشدائد الصعاب في تحصيل معاشه واذا بالكوجك والقوال وأخو الآخرة والشيخ والبير
والبسمير والفقير وخدام الأمير يأتونه ويأخذون منه عائداتهم المفروضة عليه ، وعند
حلول كل عيد وموسم يصنع الطعام الوفير إكراماً للنصب الذي في قريته ويكثر من
إطعام الطعام عندما يأتي السنجق الى قريته ، ويخبز الخبز ويرسله الى سدنة المرقدمبارك ،
ويعطي الخيرات الى الأمير ، وعند زيارته السنجق ، وذهابه الى مرقد الشيخ عدي ،
ويرسل الغلال الى الشيخ الأكبر ، ويمنحه مقداراً من النقود ، وهكذا ما تنقضي عليه
السنة إلا وقد زهقت روحه . واذا باحثه أحد في شقائه يظهر له الارتياح ، ويعد نفسه
من السعداء ، لأن طاووس ملك سيضمه في طبق على رأسه يوم القيامة ويدخله الجنة
بلا حساب وعقاب .

أما في سنجار فيقتصر اليزيدي على اعطاء خيرات الى السنجق ، والرسوم المفروضة
عليه الى شيخه وبيره .

﴿ معيشته ﴾

إن معيشة الزيدي خشنة جداً ، وقد يأكل الخبز قفاراً أو مع البصل (١) ولا تطمح نفسه الى لذائذ الأطعمة مها يكن عليه من السعة والرخاء . ويأكل خبز القمح أيام الأعياد والمواسم . وفي الأيام السائرة يأكل خبز الشعير مع وجود القمح عنده ويمدده من نوع الزهد والقناعة اذ يعتقد أن أشياخه كانوا يأكلونه ، وأن الشيخ عدياً كان يأكل الخرنوب . ويصنع الطعام المعروف بـ « الكشام » (٢) في موسم الشتاء ويمدده من أئذ المأكولات وأطيبها . واذا كان لديه بقرة أو عدد من المعز والضأن ، يجمع سمحه ويبيعه ولا يسمح لأهله أن يأكلوا منه . ولا يذوق طعم اللحم إلا اذا حصل على ميتة . ويلتقي مع اللحم أيام الأعراس والأعياد ، وعند مجيء السنجق الى قريته . واذا كان موسراً يكثر من تهيئة الطعام أيام الطوافات ، وعندما يحل ضيف عنده من ذوي الوجاهة ، أو موظف حكومي ولا يتجاوز الشرطي . ويبالغ الأمير في اكرام ضيوفه ، إلا أن معيشته الخسوصية لا تتميز عن بقية الزيدية .

﴿ تجنبه اللذائذ وخلوده الى حياة الفقر والذل ﴾

تختلف الديانة الزيدية عن غيرها لكونها مبنية على الزهد والتقشف والبعد عن الملاذ النفسية التي تحول دون ارتقاء الروح الى عالم الخلود حيث تتصل بالملكوت الأعلى وتحظى بالسعادة الأبدية والنعيم المقيم . وما هذه الأرض في نظرهم إلا مهداً للشقاء والبؤس ، ومصدراً لصنوف البلاء والحن ، والراغب فيها ، الطامع في زخرفها ونعيمها سيكون نصيبه كنعيب غيره من ذوي الأديان السائرة ، البعد عما أعده الآله السامي من السعادة لعباده الصالحين .

(١) لم تكن رغبة الزيدي في الاكثار من اكل البصل عن عقيدة دينية او دينية كما يزعم البعض، لرخص ثمنه . والاخبار التي اوردها صاحب تاريخ الزيدية وأصل نخلتهم قلا عن اوليا جلي من ان للبصل حرمة فائقة لدى الزيدية ، وان من ضرب امامهم البصل يجمع فكسره يخشى عليه ان يقتل ويمرد راسه كما فعل بالبصل ، وان النبي اذا مات يغسل بماء البصل لا اصل لها .

(٢) طعام يستعمله الاكراد ، وهو عبارة عن اقراص صغيرة مصنوعة من نصيل اللبن والمدقوقة يخففونها في موسم الصيف على السطوح ، ويدخرونه في آنية خزف ، ويطبخونه موسم الشتاء مع الثوم والسمن ، ويسميه البعض (طرخينه) والمدقوقة - بر مهيش قليلا « مقشور » .

وهذه العقيدة هي أساس المباديء التي تسير عليها هذه الديانة ، حيث حدى الأمر بالرجال الروحيين الذين بشرعون الاحكام منهم الى وضع سنن وقواعد على غاية من القسوة والفضاضة ، تناولت حتى أعمالهم الحيوية وأرغموهم على اتباعها ، من ذلك أنهم حرموا عليهم كل عمل يجدون فيه لذة روحية او نفسية فيها ما يجذب اليهم هذه الحياة الفارغة ويزيدهم تعلقاً بها ، وقضوا عليهم بالاستكانة الى حياة الفقر والذل والمسكنة ليتم لهم الوصول الى الغاية المثلى التي يرمي اليها كل انسان وهو الفوز بالآخرة ، ومن هنا نشأ تجنبهم أشياء كثيرة بزعمهم انها مفسدة لدينهم كارتياح أماكن اللهو والطرب كسارح الرقص والسينما ، ودخول الحمام ، والقعود على فراش وثير ، والزينة والتبرج ، كافتناء النساء الحلي الذهبية ، وبتحاشون لبس المنسوجات الملونة خاصة ما يخاطها شيء من الحرير لأنها من زخارف الدنيا ويقتصرسون على لبس الأبيض المفضاض لانه لباس أهل الجنة .

﴿ المرأة غير الزيدية في نظرهم ﴾

﴿ ونفور المرأة الزيدية ممن هو على غير دينها ﴾

بما هو جدير ان يعد من حسناتهم تحريمهم النظر الى وجه المرأة غير الزيدية بميل واشتهاء ، لاعتقادهم ان في ذلك لذة خبيثة تجر بصاحبها الى الخروج عن الديانة لا محالة فكيف إذن ان يكون لهم مناسبة غير مشروعة معها ؟ ولذلك فقد كان من دواعي هذا التحريم ان تعيش المرأة المسلمة معهم أبد الدهر وليس من المتصور ان يمسوها بسوء ، او ينظر أحدهم اليها نظرة خبيثة ، وهي في نظرهم نجسة قدرة ، والواجب على كل مؤمن بشريعة (طاؤوس ملك) ان لا يقربها ويدنس نفسه بها .

ومن هنا نشأ تشديدهم النكير على المرأة الزيدية ان تخالط من هو على غير دينها ، او تجتمع به على انفراد ، او تكلمه بلطف وبشاشة ، او تظهر له الود ، واذا وقفوا لها على صلة غير مشروعة به ، ولو على طريقة الشبهة ، يبنذونها وربما يقتلونها ، واذا ماتت يقبرونها بعيداً عن أمواتهم ، ولا يجرون عليها صدقة ، وذلك لانها خرجت من زمرة المؤمنين .

وهذا ما أدى الى كمون العداوة والبغضاء في قلب المرأة الزيدية ضد الرجل المسلم او النصراني ونفورها منه واذا خاطبها بيا بنتي أو يا أختي تفضب وتمد ذلك تقصاً في دينها ولم يكن نفور الرجل البيدي عنن هو ليس على دينه بأقل من المرأة الزيدية ، وقد ينكر عليه إذا قال له يا أخي او يا ولدي ويجاوبه بكل جفاء وغلظة : أخي الكلب وأبي الحمار ، واذا أراد ان يكون معه رقيقاً وظريفاً يقول له : أنا لا أصير لك أخاً ولا ولداً وكل منا على دينه .

وإذا أراد أحدهم التبرؤ من أمر يقول : إن كلف كذا فأكون مسلماً او نصرانياً فيجاوبه مخاطبه : حاشاك من ذلك .

﴿ في الاحكام والقوانين المتبعة في مسائل النكاح ﴾

للزيدية قوانين صارمة في مسائل النكاح لا توجد عند غيرهم من ذوي الاديان الاخرى قاطبة ، وهي مرتكزة على أساس الطرائق التي بني عليها هذا الدين ، والاسلام لم يأت بها وقد أباح الزواج بين المسلمين بصورة مطلقة مع مراعاة الكفاءة فقط ، ويجوز ان الزيدية أخذت قوانينها الصارمة من الديانة البرهمية التي قسمت تابعيها الى صفوف عدة وجعلت بينهم حواجز وفوارق كثيرة قصد حفظهم من الاختلاط بالغير لا سيما الروحيون الذين أرادت ان ترفهم عن بقية الصفوف وتجعل منهم طبقة ممتازة لها التفوق على غيرها ، إلا ان الزيدية تجاوزت البرهمية في قوانينها أشواطاً بعيدة وأوجدت حواجز بعيدة حتى بين الروحيين الذين يضمهم نسب واحد .

إن القاعدة الأساسية التي سارت عليها الزيدية في هذه القوانين هي تحريم الزواج بين طبقة العوام الذين عرفناهم بالمريدين وبين الصفوف الروحية . والغاية هي حفظ السلالات الروحية من الاختلاط بغيرهم ممن هم أحط منهم محتدأ ، وأن لا يدنس دمهم بدم غير شريف . وقد توسعت في هذه القوانين وحرمت الزواج بين صنف وآخر من الروحيين نفسهم وزادت عليها بأن وضعت لكل أسرة من الروحيين قانوناً خاصاً تسير عليه . خذ لذلك مثلاً (البيرة) ، ويبلغون نحو أربعة عشر أسرة ، فعدا عن انهم لم تجوز تزواجهم مع غير البيرة بصورة مطلقة ، فقد حصرت زواج أسرة (بير حسن

بمان) فيما بينهم وحدهم . وكذلك أسرة (بير محمد رشان) فقد حرمت عليهم الزواج إلا مع أسرة (بير جروانه) وحرمت زواج هاتين الأسرتين مع الغير بصورة مطلقة . أما بقية البيرة فلا مانع لهم من الزواج بينهم .
أما المشايخ ويتميزون عن البيرة باعتبارهم من أرومة واحدة ويضمهم نسب واحد فقد جعلتهم ثلاث شعب رئيسية وحرمت الزواج بين شعبة وأخرى كما حرّمته بين الشيخة والبيرة ، والبيرة والمريدين .

ومن الصعب أن نفهم معنى لهذا التشريع الذي باعدت به بين أهل بيت وآخر ممن ينتمون الى أرومة واحدة ، وباعدت به حتى بين البيت الواحد كما فعلته من تحريم الزواج بين ذرية (الشيخ نجر الدين) وذرية (الشيخ شمس الدين) مع ان الشيخ نجر الدين هو أخ للشيخ شمس الدين الحسن بن الشيخ عدي الثاني . ولا نستطيع القول أن هذا التشريع وضع جزافاً دون أن يرمى صاحبه الى غاية لم نكد نذكرها اليوم . وحفظ هذه السلالات من الاختلاط بالأجناس المنحطة يأتي بالدرجة الثانية . ومن الجائز انه راعى تشكيلات الطرائق التي لا يزالون يتحدثون عنها وإن لم يكونوا يعرفون الان شيئاً عنها كما لا نعرفه نحن .

وقد زاد الشارع في القيود التي وضعها في أمر الزواج بأن منع التزوج بأخت الزوجة بعد موتها أو طلاقها وزوجة الأخ والعم بعد موتها وأخت الفتاة المخطوبة وان لم يدخل بها وعد التزوج بها حراماً . ومن قال لزوجته أنت شيعي أو يبري فقد تحرم عليه . وإذا حصل (مكافرة) بين أسرتين فقد تدخل الواحدة في محارم الأخرى الى خمسة أجيال وعند البعض أكثر من ذلك .

إن هذه القيود التي وضعها الشارع للدين الزيدي لم يسبقه أحد اليها من المشرعين أصلاً لما اشتملت عليه من قسوة وصرامة . فان كانت أفادت بها الشارع في حفظ السلالات الروحية من أن يتسرب اليها الفساد باختلاط الغير بها ، وفي حفظ الطرائق الدينية التي هي الأساس لهذا الدين - ، فقد أساء الى المجتمع الزيدي أكبر إساءة ، وقد شملت إساءته الطبقات الروحية أكثر ، إذ بجمعهم خاضعين لهذه القيود الشديدة في

مسائل الزواج حكم عليهم بالانقراض . فأسرة (بير حسن نمان) التي حرم عليها الزواج مع الغير يجوز أن كانت على عهده من الكثرة ما يفنيها عن مصاهرة من لم يكن من أسرتها أما الآن فبخضوعها لهذه القوانين الصارمة أصبحت لا تتجاوز عشرين بيتاً في مختلف البقاع ، وكذلك أسرة (بير محمد رشان) وأسرة (بير جروانه) فقد انحصرت كل واحدة منها في خمسة أو ستة بيوت ، وبعد جيل واحد أو جيلين ستفنى هذه الأسر ولن يعرف شيء عنها .

وهذا ما نقوله ايضاً عن طبقات المشايخ ، فالأمراء والبسميرية يسرون بخطى سريعة نحو الزوال وسيدرهم الفناء بعد جيل أو جيلين اذا بقوا متمسكين بهذه القوانين ولم يجيدوا عنها ، فاما أن يجتنبوها ليعيشوا او يتمسكوا بها ليموتوا .

وها ان التاريخ يحدثنا عن أسر كثيرة كانت موجودة في بدء ظهور هذا الدين ثم انقرضت وزالت من الوجود . وفيها أن الأسر الأرستوقراطية التي كانت تنضم بعضها الى بعض بالزواج طمعاً بالمحافظة على الألقاب والاسم والثروة كانت تنحط شيئاً فشيئاً الى ان انمحقت فلم يبق لها أثر يذكر .

وقد عد علماء الفسيولوجيا ان الزواج الذي يقع بين الأسر على وجه الانحصار يكون سبباً لنمو الأمراض والعلل بينها . من ذلك ما جاء في كتاب قانون الزواج تقلاع العلامة الدكتور يوحنا ورتبات :

« ان تحريم الزيجة بين الأهلين والأقربين ، كما تحث عليه جميع الأديان ، هو من الأمور الصوابية ، لأنه ثبت من المشاهدات المتعددة ان الزيجة بين الأقارب مضرّة بالنسل ولو كانت بين أولاد العم والخال ، ولا سيما اذا تكررت في الأسر كما هو مشهور في أهل المشائر من بلاد سوريا الذين حصروا زيجتهم منذ اجيال عديدة في أسر قليلة ، وكانت النتيجة الجنون والصرع والفالج والتشوه الخلقي فيما بينهم » .

﴿ تهريب النساء والفتيات ﴾

إن تهريب النساء والفتيات عند البيزيدية ولا سيما في سنجار عادة مألوقة لا يرون فيها عاراً ومنقصة وقد تدعو بيئتهم وحالتهم الاجتماعية اليها ولا يمكنهم اجتنابها ، وكثيراً ما

تسهل الأمهات في سنجار اسباب تهريب فتياتهن لمن يقع عليه اختيارهن من الرجال . وفي اليوم الثاني يتم الصلح بتوسط أحد الشيوخ او ذوي النفوذ والمكانة من الرؤساء . اما اذا كانت المرأة التي يقع عليها التهريب ذات زوج ، فقد يعثور الصلح شيء من الصعوبة وربما ينجر الى نتائج سيئة . ومن الطبيعي ان التهريب لا يمكن ان يقع قسراً بل باتفاق الطرفين ويكون على الأكثر أيام الأعياد والجماعية في مرقد الشيخ عدي في الشيخان وفي الشيخ شرف الدين في سنجار حيث هناك يسهل تلاقى الجنسين وتكون الحرية الشخصية مطلقة غير مقيدة ، وانكل ان يفعل ما يشاء ضمن حدود الآداب والشريعة . ومما يستحسن من الفتاة التي يقع عليها التهريب إرغام زوجها على إجراء الصلح مع ذويها وتأديته الصداق لهم كاملاً غير منقوص ، واذا لم يفعل تركه وتعود الى أهلها وهي واثقة من انهم لا يمسونها بسوء .

ولا يؤخذ من كلامنا ان التهريب متبع في جميع الحالات ، كلا ! فأكثر الفتيات قد لا يرضين به حرصاً على سمعة ذويهن ، اذ مع كثرة ذبوعه بينهم قد لا يخلو من معرفة ما .

والاسلام الاكراذ القاطنون في جبل سنجار ، ككلب علي وعبدو علي والهلالية وبيت ناسو وكذلك الباباوات والدقورية والخواتنة والمندكان يقلدون اليزيدية في التهريب ولا يستنكرونه .

﴿ حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية ﴾

إن حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية منعطة جداً ، وهي كالأشياء المهملة ، تباع وتشري ويتصرف بها الرجل كما يشاء وتشاء مصلحته وليس لها ارادة في ذلك . وقد يزوجها وليها بمن يقع اختياره عليه ، ولا يمنحها فلساً واحداً من صداقها ، واذا مات زوجها ترجع اليه ويزوجها ثانية وثالثة ورابعة الى ان تزول عنها خاصة الانتفاع وتدخل في مصاف المعجائز . وللزوج ان يبيع زوجته ويقامر عليها ويرهنها ، وتجري هذه القاعدة على الفتيات غير المتزوجات ، إلا ان ذلك منحصر في بعض عشائر سنجار وفي جبل الطور ، وربما كان موجود قبلاً بين غيرهم ايضاً . وقد تدخل المرأة في ميراث عدة

اشخاص من ذوي قرباها ، فان أرادوا زوجها من يقع اختيارهم عليه ويتقاسمون مهرها ، واذا رغب احد مورثيها فيها فيختصها لنفسه ويؤدي لبقية الورثة ما يخصهم من ثمن مهرها .. وقد تحرم من الميراث الذي يخصها ، فثلا اذا انحصر ميراث أبيها فيها فقد يمنعها عنه ولد عمها الذي يجتمع معها بالاب الرابع والخامس حتى انه يرثها هي نفسها ، واذا لم يكن لها ولد عم فيرثها الأُمير ومالها وزوجها من يشاء ويختص بمهرها (١) وتحرم من ميراث زوجها ، وتعود بعد ترملها الى وليها تسحب وراهها ذيل البؤس والحرماني ، وكأنها ما أقامت عنده إلا لتضمن رغباته الشهوانية وتلد له اولاداً يخلفونه بعده ، واذا أحب اولادها مقامها بينهم وكانت لها طرادة تطعم فيها الرجال يؤدون مهرها ثانية من مالهم الى وليها ويجررونها منه .

والمرأة اليزيدية على رغم ضياع حقوقها وعددها بمنزلة الحيوانات السائمة ، فهي أبداً صاحبة السلطان في البيت ويكون الزوج خاضعاً لها ولا يسمه مخالفتها . وأهون شيء لديها ان تتركه وتبحث لها عن زوج آخر غيره .. وقد لا يعرض وليها من مراعاة إحساسها قبل الزواج وينزل عند رغبتها فيمن يختاره بعلاها وذلك خوفاً من ان ترفع عليه لواء العصيان وتحطم الأغلالات التي أوثقها بها وهناك يفقد منفعتهم من ورائها .

﴿ كيفية عقد النكاح عند اليزيدية ﴾

إذا سألت أحد اليزيدية عن كيفية اجراء عقد النكاح عندهم ، يجيبك بأنه من المتحتم الديني ان يجري بمعرفة شيوخ أسرة (الشيخ حسن) الذين حصر الشارع للدين اليزيدي هذه المهمة بهم وحدهم ، واذا سألته لماذا لا يهتمون بهذا الواجب الذي حتمته الشريعة عليهم ؟ يجيبك بأنه لما كان من المتعذر وجود هؤلاء الشيوخ في كل آن بين الملة فقد جرت العادة ان يكون الزواج مبدئياً بمجرد وقوع التراضي بين الجانبين ، على ان تجري المراسيم المعتادة عندما يقوم شيوخ آل الشيخ حسن بدورتهم السنوية بين الملة ، إلا ان معظم اليزيدية لا يهتمون كثيراً باجراء هذه المراسيم بعد ان يكون قد تم زواجهم .

(١) لقد ابطلت هذه العادة الان ولم يكد الاسراء يعملون بها .

هذه هي القاعدة في عقد النكاح عند البيزيدية ، وقد حدا بهم التساهل الى عدم الاهتمام بها ، وأصبح عقد النكاح عندهم عبارة عن حفلة رقص يكثر فيها شرب الخمر وأكل الخمر والزبيب ويسمونها بالكردية (عرق وشيريني) دون ان يكون للمراسيم الدينية أثر فيها .

ولما كان الزواج على هذا الشكل ضرباً من الفوضى لا يخلو في كثير من الأحيان من توليد مفسد في حياة هذه الطائفة الاجتماعية ، حتى قد يترك بعض النساء أزواجهن ويتزوجن ممن تصبو نفسهن اليه ، ولا سبيل الى تخطئتهن على عملهن ، وذلك لان زواجهن لم يكتسب صبغة دينية حتى يرغمن على المحافظة عليه . وبناء على ما كان لهذا الوضع من التأثير السيء على كيان هذه الطائفة حيث لم يكد أحد منهم يأمن على حياته الزوجية من ان تعبت بها أيدي المفسد ، فقد ضج فريق من عقلاء هذه الملة من هذه الحالة المضرّة ، وأخذوا يصرون على الأمير ان يضع حداً لها . وعلى ذلك فقد أصدر البيان الآتي الذي خاطب به شيوخ آل الشيخ حسن الذي يعود عقد النكاح اليهم :

« الى جميع شيوخ الشيخ حسن في ملة البيزيدية المحترمين :

بناء على الزوم الذي تراهي لنا بخصوص عقد النكاح الذي سيجري في المستقبل ، نرشدكم الى النقاط الآتية :

- ١- عندما يعقد النكاح يجب ان يكون بحضور شاهدين عن الوكيل للبنت التي يعقد النكاح عليها .
- ٢- يجب ان يحصل التراضي والقبول فيما بين الشاب والبنت أولاً ثم يعقد نكاحها .
- ٣- ان البنت التي يعقد نكاحها يجب ان لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة .
- ٤- من الآن وصاعداً نرجو إلفات نظركم الى ما عرضناه آنفاً ، ولي وطيد الأمل بأنكم ستقومون به حرفياً . وعند عقد نكاح أي بنت كانت او شاب بدون رضاها ، سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء ويكونون عرضة للعقاب والسلام » .

أمير الشيخان

في ١٢ أيار ١٩٢٩ م

سعيد

ومع اجمال هذا البيان ذكر كثير من المسائل التي يجب مراعاتها في اجراء عقد النكاح كموافقة ولي الفتاة على تزويجها وتعيين الصداق الذي تستحقه (١) فقد خطا الأمير فيه خطوة كبيرة نحو الاصلاح المنشود لهذه الطائفة ومشى وروح العصر باقدام وجرأة لم تكن نتوقهما فيه من قبل . وهل أدل على ذلك مما نص عليه من وجوب (حصول التراضي والقبول بين الشاب والبنت أولاً ، ثم يعقد نكاحها) حيث أراد بذلك القضاء على العادات السقيمة المتبعة في إرغام الفتاة على الزواج ممن يقع اختيار أبيها عليه ويمنحه من الصداق أكثر من غيره ؟

ونص على ان لا يكون عمر الفتاة أقل من خمس عشرة سنة وهو السن الذي عده كافياً لنيل الفتاة رشدتها فيه لتحسن انتخاب الرجل الذي تتخذه بملاها .

ونزع منزعا إسلامياً بتقييده اجراء عقد النكاح (بحضور شاهدين عن البنت) منعا للتلاعب المتوقع حدوثه في أمر حيوي كهذا يتوقف اصلاح أمة بأسرها عليه . ويفهم من هذا ان روح اليزيدي منها يكن قد تردت وعلاها الصداق فهي على استعداد تام لاسترجاع صفاتها والرجوع الى المبادئ الاسلامية التي أضعفتها ، وهذا ما يبشر بان المرأة اليزيدية لا بد وأن تنال حريتها المسلوقة وتنبوأ المسكنة التي تستحقها في المجتمع آجلاً كان او عاجلاً .

﴿ الزواج عند اليزيدية ﴾

يجري الزواج عند اليزيدية بعد أن تتأكد الرغبة بين الشاب والشابة في اقترانها مبدئياً ثم يأخذ ذووها في إنجاز هذه الرغبة وإجراء الخطبة وتعيين الصداق واليوم الذي يتم فيه الزفاف الى غير ذلك . ولا ننسى ان الاصل في الزواج عندهم هو حصول موافقة الولي عليه والفتاة لا إرادة لها ، ولكن قد لا يخلو في بعض الاحيان من النزول عند رغبتها منعا للفساد المحتمل وقوعه .

(١) يتراوح مقدار الصداق لدى اليزيدية من خمسة عشر ديناراً الى مائة دينار بالنظر لسعة حال الزوج ومكانة الزوجة ونصيبها من الجمال . وكان الأمير اذا ع امرأ الرم فيه جميع طبقات الشعب ان لا يتجاوز الصداق ١٥ ديناراً الا ان احداً لم يعمل به .

والعادة المتبعة بعد ان يؤدي الصداق المتفق عليه ، والذي يجب ان يكون القسم منه دراهم والبقية أبقاراً وغنماً (١) يؤخذ بأسباب الزفاف ، فإذا كانت العروس في نفس القرية تذهب طائفة من النساء يصحبهن عدد من الرجال الى دارها ويأتين بها ماشية ويبدأ وهن يزغردن لها والرجال يطلقون بنادقهم ، وإذا كانت في قرية اخرى تذهب كوكبة من الفرسان يصحبهم امرأة او امرأتان ممن يمتن الى العريس بصلة القرابة ويأتون بها وقد أركبها فرساً واحتضنتها واحدة من تلك النساء ، وهي مغطاة ببرقع خفيف ، وعند مغادرتها القرية يرميها الأولاد الصغار بالحجارة والسرجين إشارة الى فراقها أهلها فراقاً أبدياً لا رجوع بعده ، وقبل ان يوصلونها الى دار زوجها يذهبون بها الى دار الشيخ او البير الذي في القرية ، وفي (باعذرة) الى دار الأمير (٢) لزيارته واذا صادفوا في طريقهم مقاماً لأحد المشايخ إلا بد لهم كذلك من زيارته ، وتستمر حفلة الزواج ثلاثة أيام بلياليها ينغمس فيها شبان القرية وكهولها بالرقص والسكر .

وعندما يدخل العريس حجلة الزفاف اول عمل يبدأ به ، ان يضرب العروس بحجرة

(١) اشبه الامر على صاحب كتاب (طاؤوس ملك) عندما ذهب الى ان اليزيدية لا يملكون في الاوقات الحاضرة شيئاً من النقود وان المبادلة في الاشياء لا تزال مستعملة عندهم ، وانهم لا يتداولون النقود الهندية والتركية الا نادراً ومن حين الى آخر . اذ المبادلة في الاشياء وخاصة تأدية الصداق على الوجه الذي ذكرناه عادة متبعة عند جميع العشائر حتى ولو انهم يملكون نقوداً .

(٢) أراد بعض المفرضين ان يفسر زيارة العريس دار الامير بما لا يتفق والحقيقة والواقع اذ ذكر (اسماعيل بك) في رسالته التي ضمنها الدكتور قسطنطين زريق كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) ص ٣٨ بان مفتش العدلية سأل : « هل عندكم عادة اذا تزوج احد اليزيدية يحضر امرأته اول ليلة ينكحها الامير علي بك ، وهذه عوض هدية ، وهذه تكون مباركة ؟ » . واليزيدية فيهم من الشمم والاباء وعزة النفس ما يرفعهم عن عمل شائن كهذا لم تكن تجر به سوى الاقوام المهجبة . وفي كتاب قانون الزواج ص ٨١ : « ان بعض الشعوب المنحطة في سلم المدنية يفوضون اجتناء زهرة البكارة من الزوجة التي يقسترون بها الى الكهنة او اخلافهم وان (غوملي كاريري) ذكر في سياحته حول الارض انه شاهد في جزر (فيليبين) اناساً اختصاصيين بنقد ونهم راتباً كبيراً ليقوموا بازالة بكارة البنات لانهم يعتبرونها حاجزاً يحول دون ملاذ الرجل ، وكانت الملوك عند (الفينيقيين) هو الذي يقوم بهذه الوظيفة .. وهي التي كانت في بعض مقاطعات الهند خاصة بالسكينة والبراهمة فقط حتى لم تكن للبعض منهم مهنة سواها .. وكانوا يعتبرون العذارى غير طاهرات ، فيلتمن ان يؤدىن كفارة يومية الى ان تطهرهن نفس فاضلة » ولعل ان سؤال مفتش العدلية من اسماعيل بك كان لهذه الغاية ويجوز ان قد كانت هذه العادة موجودة بين هذه الطائفة في فجر ظهورها وقد تركت .

صغيرة إشارة لتأييد سطوته عليها ويكسر هو أو أهله رغيفاً من الخبز على رأسها عند أول دخولها الدار لتكون محبة للفقراء ، وبعد ان يجري الزوج المعاملة الزوجية يطلق عياراً نارياً إعلاناً لانجازه عمله

ولا يجوز ان يكون الزفاف ليلة الاربعاء ولا في شهر نيسان ومحظور على البيدي بصورة مطلقة التقرب من زوجته ليلة الاربعاء طيلة السنة ، والتقليد الجاري ان يخرج رجله اليمنى من سرواله عند الجماع ويكون آتما اذا أخرجها كليتها .

ولا يهتم البيدي لعلامة البكارة وليس من العادة ان يجاسب زوجته عليها . ولا صحة لما ذكره (أمبسن) من أنه عندما يتم الاتفاق على الزواج يضع الخطيب حلقة في احدى أصابع خطيبته وان العريس يذهب لزفاف عروسه بنفسه ، وان أم البنت تضع ستاراً على العريس وابنتها وهكذا يقودونها الى خارج البيت وهناك يدخل أولاد القرية ويأخذ كل واحد معلقة ويضعها في عنقها ، وان العروس تركب حصاناً مع زوجها عندما يذهب بها الى بيته ، وبعد وصولها البيت تغطي من الرأس الى القدم بستار كثيف وتوضع وراء ستار آخر في زاوية مظلمة حتى تبقى هناك ثلاثة أيام لا ترى أحداً سوى امرأة تقوم بخدمتها . فهذه كلها أشياء مصطنعة اصطنعها هذا الكاتب ليوهم قارئه بأنه وقف على أسرار هذه الطائفة لم يقف عليها أحد غيره .

تعدد الأزواج والطلاق عند البيدية

أن تعدد الزوجات وجملهن أربعاً، والطلاق كلاهما جاريان عند البيدية كما في الاسلام، إلا ان الطلاق لم يكن لديهم ثلاثاً بل واحداً . وقد تبين المرأة ويسترجعها زوجها ويطلقها ويسترجعها أكثر من ثلاث مرات باستثناء الطبقة الممتازة التي تتمسك بديانتها، فقد تعمل بالطلاق الثلاث ولا تعرف رجوعاً بعده ، ويستنكف أحدهم عن ان يسترجع زوجته التي طلقها ونكحت زوجاً آخر غيره .

والبيدية اذا كانوا يعملون بعادة تعدد الأزواج ، فقليل منهم من جمع بين زوجتين في آن واحد ، وذلك لعجزهم عن إعالة أكثر من زوجة واحدة حتى أصبح فردية الزواج عندهم تقليداً متبعاً باستثناء الرجال الروحانيين الذين قلما يوجد بينهم من لم

يملك زوجتين وأكثر ، وسببه أن الشريعة الزيدية لما كانت قيد حرمت زواج الأسر الروحية مع السواد الأعظم من صنف المريرين ، وحتى مع بعضهم بعضاً - سوى بعض الاستثناءات - فقد تدعو الحاجة أحياناً إلى أن يقتني الرجل الواحد منهم امرأتين وأكثر عندما تكثر النساء ولا يجدن من يصح لمن الزوج به ، وقد يقع خلاف ذلك إذ قد يحرم الرجل من الروحيين الزواج إلى أن يموت عندما لم يجد له زوجة من سلالته .

﴿ الصحة والجمال ﴾

يمكن أن يقال أن الصحة والجمال عند المرأة الزيدية في الشيخان منمدمين بالمرءة ، وأكثرهن مصابات بالصفرة ومرض الطحال لتأثير الملاريا عليهن ، والذي يذهب بطراوتهن وجمالهن كثرة اشتغالهن بأعمال شاقة لم يكن قد خلقن لها . حتى نجد المرأة التي لا تزال في ريعان الشباب قد هزلت وهزمت وتحولت إلى عجوز شحطاه لا أثر للطراوة عليها . ولا نسي أن جودة الغذاء وحسن المعيشة لها دخل كبير في صحة المرأة وجمالها ، والمرأة الزيدية محرومة من كليهما لسوء حظها .

وأغلب النساء قصيرات القامة ، ضيفات هزيلات لهن وهن صفار عيون واسعة ساحرة ولكن ما أسرع ما يفقدنها لتأثير الشمس والغيبار عليهن في موسم الصيف حيث يكثرن الاشتغال بدرجة تفوق مقدرة الرجال .

ويوجد فيهن من قد جمعت صفات الحسن والجمال بكل معانيها من قد رشيق ، وخصر نحيف ، ووجه صبيح ، وعيون كحلأه ، وندين بارزين ، ولكن هؤلاء قليلات جداً . أما النساء اللاتي ينتهين إلى السلالات الروحية فحدث عن دمايتهن ولا حرج ، والسبب هو كما جاء في البحث عن الأحكام المتبعة في النكاح من أن القيود التي تخضع لها هذه السلالات من تحريم مصاهرة الغير ، وحصر الزواج في أسر لم تتجاوز بعضها بضع بيوتات ، كل ذلك أدى إلى إنقاص القوة الحيوية فيها وأصبحت نساؤها فأقدات لرونق الحسن وجوهر الجمال مع تلبسهن بمختلف العلل والأمراض .

أما النساء السنجاريات وحتى الجيلكيات ساكنات جبل (الطور) فقد أضفن إلى كمال صحتهن فرط البهائم والجمال ، وأكبر دليل على صحتهن أن المرأة السنجارية قد لا تفقد

الانتاج الجنسي إلا في سن الحسين . وقد يكون جاهلن على الأغلب خلقياً طبيعياً غير محبوب بتطرية وتصنيع . ولكن بما يؤسف له أنه قد يذبلن ويدركهن الهرم لسبب إنها كهن في أشغال مضية متمعة لا تساعدن عليها غضاضة وجودهن ، وقد تلبهن الطبيعة ما وهبتهن من صباحة وملاحة جزاء لهن على عدم اعتدادهن بنفسهن .

﴿ نفوسهم ﴾

اختلفت الآراء في تقدير نفوس اليزيديين ، فبعضهم من بالغ فيه ومنهم من ذهب الى عكسه ، وطالما لا يوجد احصاءات صحيحة فلا يمكن تقدير نفوسهم بالضبط . وحسبنا نستنتجه من الأخبار والحوادث ان نفوسهم بلغت في القرن الحادى عشر والثانى عشر الهجري نحو مليون نسمة ، وقد قلوا بنتيجة الحروب التى قامت في وجههم خلال هذه المدة ، وتقدر نفوسهم الآن بنحو مائة ألف في جميع المناطق التى يوجدون فيها ، وهم في تناقص مستمر وسوف لا ينتهي هذا العصر إلا وقد أصبح هذا الدين من الأديان البائدة ويبقى اسمه في التاريخ .

اما في لواء الموصل - في قضاء الشيخان وهو مركزهم الدينى - وفي قضاء دهوك وسنجار فتقدر نفوسهم بنحو ٣٠ الى ٣٥ الف نسمة منهم عشرة آلاف في الشيخان ودهوك والبقية في سنجار ، بينما كانت نفوسهم قبل خمسين سنة في الشيخان ودهوك اكثر، وفي سنجار أقل وسبب ازديادهم في سنجار هو اعتدال مناخهم وصحة أمرجتهم ، وفقدان الأمراض الوبائية فيهم ، فعميشتهم بسيطة للغاية ، ونساؤهم لا يقعدن عن الحمل إلا في سن الحسين والخامسة والحسين بالإضافة الى ذلك بقاؤهم في نجوى من الحملات التى كانت تقوم بها الحكومة العثمانية عليهم وتكثر من القتل والأسر فيهم ، وسوف لا يمضي عليهم اكثر من ربع قرن إلا ونجد نفوسهم قد بلغت هذا العدد وضافت الأرض فيهم .

﴿ لباسهم ﴾

يقتصر اليزيدي في لباسه على الأبيض الفضفاض الذي يعتقده لباس أهل الجنة ويحرم الملابس الملونة لا سيما ما فيها شىء من الزرقة ، وكانوا قبلاً يحرمون الملابس الحريرية ، اما الآن فقد عدلوا عن ذلك .

والعادة ان تكتسي المرأة ثوباً وسروالاً من المنسوج القطنى الأبيض وتلبس فوقه في موسم الشتاء مقطنه من (البازة) اتقاء البرد وتعمّ بعمامة من الشاش الأبيض وتمتنع بقناع من المنسوج الرقيق ويسمونه « لجاك » - وهى كلمة فارسية تفيد عين المعنى - أما الفتيات المذارى فلا يعتمن ولا يتنمنن ، وقد يعصبن رؤوسهن بقطعة من القماش الأحمر او الاسود وربما يتخمرن به ، فاذا تزوجت لبست العممة البيضاء . والمرأة اليزيدية فى سنجان تكبر من عماتها ، والعادة ان تكون حافية الرجلين وبعضهن يلبسن الحذاء فى الصيف وينزعنه فى الشتاء حذراً عليه من البلى .

اما نساء بيت الأمير فقد يلبسن الملابس الحريرية والاثواب القز الحمراء والخضراء وعليه معطف قصير من القطيفة ويلبسن فى الشتاء القنادر والجوارب .



فتاتان يزديتان

ورعن المرأة اليزيدية الوحيد سروالها الأبيض ، فإذا نزعته واستبدلته بقماش آخر
فعمناه أنها أسلمت . أما طائفة الرجال فقد لا يخلو لباسهم من البساطة وعدم التكلف ،
فالأغلبية منهم يلبسون السروال والقميص بمفردهما والأغنياء يلبسون ملابس الجوخ
وهي سروال ومعطف قصير وفي الشتاء يلبسون الفروة والعباءة ويختلف لباس الرأس
عندهم ، فالشيوخ يلبسون العمامة البيضاء وكذلك الكراچك ، والبقية بصورة عامة



انسان من الكواچك

يلبسون يشاغ احمر منهم من يعتم به ومنهم من يلبسه مع العقال . وفي سنجار يلبس
«الجوانا» قبعاً طويلاً وهو على شكل مخروط ويشدون عليه كوفية سوداء أو بشفماً أحمر .
والفقراء يلبسون على أجسادهم خرقة من صوف ، يصبغونها بأوراق شجرة في جبل
سنجار يسمونها «زر كوز» ولا يجوز نزعها حتى عند النوم ويستحب نزعها في

حالة الجماع .

واليزيدي في سنجار لا يهمل لبس السروال مطلقاً ، أما في سنجار فقليل منهم من يهمل لبسه حتى النساء إلا اذا حضروا مرقد الشيخ عدي لأجل الزيارة فيحتم عليهم لبسه تأديباً .

والرمز الوحيد لليزيدي رجلاً كان أو امرأة أن يكون زيق قميصه مدوراً ، أما اليزيدية الذين في الأماكن البعيدة فقد لا يعملون به .

﴿ نبذة من عاداتهم وتقاليدهم منها ما ورد ذكره ومنها ما لم يرد ﴾

١ - إذا ولد لأحدهم مولود لا يجوز له اخراج شيء من بيته ولا مباشرة عمل من أعماله الى مرور سبعة أيام .

٢ - يحرم على اليزيدي النظر الى وجه المرأة غير اليزيدية ومداعبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه .

٣ - يحرم على اليزيدي دخول بيت الخلاء (١) .

٤ - » » دخول الحمام .

٥ - » » الدخول الى المسجد والمدرسة وكل محل يذكر فيه اسم الله ويتلى فيه القرآن .

٦ - » » البصاق في وجه انسان كان أو حيوان .

٧ - » » الدخول الى محلات الأتس والملاهي كالمرقص ودور التمثيل (٢)

٨ - » » النوم باللحاف والقعود على فراش وثير باستثناء الأمير وأفراد أسرته (٣) .

٩ - » » صدق المعاملة وحسن المعاشرة مع كل من هو خارج عن لواء يزيد

(١) وذلك على زعمهم حذراً من اختلاط بول الرجل ببول أحد محارمه ، ويحتمل حتى من قضاء الحاجة في المسكن الذي تقصده المرأة .

٢ و ٣) هذه هي نزعة صوفية ورثوها من اسلافهم والديانة اليزيدية مبنية في اصل وضعها على تدليل النفس وانسكار الذات والبعد عن الذات والشهوات . وفي الوصايا العشرة للديانة البوذية : « يجب ان لا تحضر حفلة رقص او غناء » و « ان لا تقفني المقاعد والمساند الفخمة » .

١٠- يحرم على البعض من الزيدية أكل لحم الديك والحمامة والغزال والأرنب والسمك واليقطين والفاصولياء واللوبياء ، ومحرم على الزيدية قاطبة أكل الخس (١) واللهاية ولحم الخنزير .

١١- يحرم على الزيدي اسناد فعل منكر الى أحد رجال الدين .

١٢- » » البحث عن أسرار الديانة الزيدية مع غير الزيدي .

١٣- » » أن يلفظ أحد أمامه كلمة (شيطان) وكل كلمة على وزنها

ورويها كيقطان وسلطان وشهبان (اسم قرية قريبة من المرقد) وكل كلمة تحتوى على حرفين أو أكثر من هذه الكلمة كشط وشخاط وطشت وشط وغير ذلك .

١٤- يحرم على الزيدي ان يلفظ ، او ان يلفظ أحد أمامه كلمة لعن ولعنة وملعون.

١٥- » » اللباس الأزرق وكل ما فيه شيء من الزرقة (٢)

١٦- » » الاستنجاء بعد قضاء الحاجة (٣)

١٧- لا يوجد لدى الزيدي ما يسمى بالنجاسة مطلقاً ويعتقدون ان الأصل في الأشياء

الطهارة ، واذا كان القلب طاهراً فكل شيء طاهر .

١٨- يحرم على الزيدي ان يقبل مخاطبة من ليس على دينه بيا أخي وبأولدي .

١٩- » » ان يطلع احداً من الغير على عبادته .

٢٠- » » ان يطلع احداً من الغير على زيارة السنجق .

(١) يعللون تحريمهم الخس لانه يتغذى من الزبل . ويحكون ان الشيخ عديا عندما كان يمر من بستان فيها نبات سأل عن اسمه قالوا له خس ، قال فليخساً ومن ثم حرموا اكله . وفي الفصل والاهواء والنحل (٤ : ١٤٠) ان في الكيسانية طائفة تسمى (النحلية) نسبوا الى الحسن بن علي بن درسند النحلي ، من احدى كور افريقيا معلنون كفرهم لا يأكلون من الثمار ما زبل اصله .

(٢ و ٣) سألت احد شيوخهم : لماذا تقولون : « مسلمان بي أوله » وهي كلمة كثيراً ما يرددونها ومعناها ان المسلم لا دين له ولا ايمان - قال لي : لانه يلبس الازرق ويستنجي بعد قضاء الحاجة . قلت له : وما هو سبب تحريم ذلك ؟ قال لي : لا ادري .. اما تحريمهم لبس الازرق فلا شك انهم ارادوا به مخالفة الشيعة الذين اعتادوا لبس السواد ايام عاشوراء حداداً على شهيد الاسلام الحسين رضي الله عنه ، والازرق قريب من الاسود ، او اقتداء بالامويين الذين شعارهم الملابس البيض على عكس العباسيين .. وأما تحريمهم الاستنجاء فلا نجد له تعليلاً معقولاً سوى احتمال موافقتهم طائفة من (على اللمية) الذين يعملون به ، اذ يعتقدون ان الماء هو سرآة جمال الله وصورته ولا يجوز ان يدنس بعمل مكروه كالاستنجاء .

٢١- يحرم على اليزيدي الاحتلاق بيد غير يزيدي، وكذلك الموسيقى الذي يستعمله ما لم يظهر بالماء المقدس (١)

٢٢- يحرم على المرأة اليزيدية بقية الطعام الذي يأكله غير اليزيدي وسؤر الماء الذي يشربه (٢)

٢٣- يحرم على اليزيدي ان يلقح فرسه من حمار، او يقتني فرساً لقت من حمار (٣)

٢٤- » » الاختلاط بمن هو ليس على دينه دون حاجة ضرورية .

٢٥- » » التعلم باستثناء أسرة الشيخ حسن (٤)

٢٦- يحرم على المرأة اليزيدية اكتساء الملابس الملونة والحريية ويقتصر لباسها على ثوب وسروال من المنسوج القطني الأبيض وتتقنع بقناع من الشاش الرقيق وتسميه (لجك) وقليل منهن يكتسبن المنسوج القطني الموصللي الأحمر ويعرف بالصابوري .

٢٧- ا كبر علامة فارقة لليزيدي ان يكون زيق قميصه مدوراً .

٢٨- أعظم قسم عند اليزيدي هو : (طاؤوس ملك) ، (علم يزدين) ، (يزيد) ،

(١) قلت لأحد شيوخهم : يظهر لي ان تحريمك الاحتلاق بيد المسلم نفاً على ما يظهر من قتل احدرعاع المسلمين يزديا عندما كانت يحلقه، وقد انجر هذا التحريم الى الموسيقى الذي يستعمله المسلم، وحيث انه لا يوجد اليوم احتلالاً لاجراء عمل كهذا، فلماذا لم تعدلوا عنه؟ - قال هذا أسراً يستطيعه سوى طاؤوس ملك !!

(٢) اذ يعتقدون ان بقية هذا الطعام والماء عندما يدخل جوف امرأة متزوجة ام فناة باكراً ينظم اثر آكله او شاربه في الجنين الذي في بطنها او الذي سيخلق فيما بعد وينسخه على شكله . حتى انهم يروون حكاية مؤداها : ان حسن البصري لما مات اخذت روحه تحوم على شاطئ نهر تريد لها مكاناً تآوي اليه ، ولما جاءت بنته وملأت جرتها من النهر ، أوت الروح الى الجرة . وعندما شربت منها دخلت روح أبيها فيها فحملت على الفور . وبعد تسعة اشهر ولدت ولداً كان نسخة طبق الاصل لابيّه .

(٣) وذلك بزعم منهم ان البغل حمل الحطب الذي أعد لاحراق ابراهيم الخليل ولكتهم في نفس الوقت لا يرون مانعاً من اجتناء البغل .

(٤) ان كثيراً ممن ايقظتهم الحوادث من يزيدية الشيخان وسنجار اخذوا يسمعون بسخافة هذا المبدأ ويدركون ضرورة تعليمهم اولادهم الا انهم لم يجدوا في نفسهم الشجاعة ورجال الدين واقفون لهم بالمرصاد ويحذرونهم سوء العاقبة . وقد احدثت الحكومة اربع مدارس في الشيخان ومثلها في سنجار ولم تلق نجاحاً وقد اغلقت المدارس التي في سنجار سنة ١٩٤٢

(الشيخ عدي) ، (الشيخ شمس) ، (محمد رشان) ويزيدية سنجار بخلقون (بالشيخ شرف الدين) و (يزيد صور) (١) والمعموم بخلقون (بالبراة) و (بخرقة الفقير) و (دركه شيخ عادي) اي باب تربة الشيخ عدي .

٢٩- ومن الايمان المغلظة عندهم ان يخطوا دائرة على الارض (٢) ويدخلوا فيها الشخص المراد تخليفه ويوجهون اليه هذه الكلمات : « ان الشيخ عدي ويزيد والشيخ حنتوش العربي لا يشفعونك ، وقيص (نسيم) اليهودي في عنقك ، ويده على رقبتك وعيونك ويكون في الآخرة أخاك بعد شيخك إن لم تقل الصحيح » .

٣٠- ومن أعظم إيمانهم ان يأخذ الشخص الذي يجب عليه اليمين قبع فقير ويضعه على رأس شاة ويقول : إنه يواقع هذه الشاة يوم القيامة اذا كان فعل كذا .

٣١- اذا أجدبت السنة يذهب الأمير وحاشيته وجماعة من رجال الدين الى مرقد (الشيخ محمد رشان) للاستسقاء وينحرون له النعائر ويتضرعون اليه لينزل عليهم المطر ويروي حقولهم وزروعهم إلا أنهم يعتقدون انه سيذهب الأمير او أحد أفراد أسرته ضحية هذا الاستسقاء تلك السنة .

٣٢- ومن عاداتهم اذا أمسكت السماء ان يغير نساء قرية على أخرى وقد تزين بزى الرجال وحملن أسلحتهم وينهين ما يشأن فيأتي أصحابها ويستردونها .

٣٣- وفي هكذا سنة تصنع الفتيات دمية ويزينها بقلائد الودع والخرز ويطنن بها البيوت ويفنننها لتسقيهم الغيث مدراراً (٣)

(١) يسندل من وصفهم يزيداً بكلمة (صور) ومعناها الاحمر انه كان اشقر اللون . ويقولون انه كان في وجهه اثر الجدرى .

(٢) لهذه الحطة قصة اسطورية كان للجهل المستولي على عقولهم اثر في ادخالها على معتقداتهم وذلك انهم يعتقدون ان الشيخ عديا كان يخط حطة او دائرة على الارض ويدخل فيها مم من يشاء من مردييه لاستماع وعظ الشيخ عبد القادر في بغداد . وبنينا كان يوما يسمع وعظ عبد القادر في الحطة كجاري عادته حتى عنقه حتى كاد رأسه ان يمس الارض واخذته الوجد فساءله احد خواصه عما جرى له ، اجابه : سمعت الشيخ عبد القادر يقول : « قدي على رقبة كل ولي » . هذا هو مبدأ عقيدة الحطة عند اليزيدية وقد توسعوا فيها واصبحت من اهم معتقداتهم .

(٣) يصنع مسلمي هذه الارجاء مثل هذه الدمية ويسمونها (ام الغيث) ويفننونها بقولهم : (ام الغيث ! غيثنا ! لو لا المطر ماجينا !) والاكراد يسمونها (بوك باران) اي عروس المطر ، ولعلها محرقة من

﴿ فيما يتعلق بالأمير ﴾

٣٤- ينذر الطفل الصغير أبواه الى الشيخ عدي اذا أصيب بمرض او عاهة، فاذا تشافى يكون ملكاً للأمير ، فان شاء أبقاه في خدمته ، وإن شاء تركه الى أبيه لقاء مبلغ من المال يتقاضاه منها (١)

٣٥- تنذر المرأة العاقر نفسها الى الشيخ عدي ، فاذا صار لها ولد يكون ملكاً للأمير على الصورة الآتفة الذكر (٢)

٣٦- للأمير الحرية التامة في كل ما يفعله وليس لأحد ان يخالفه او يعارضه في شيء (٣)

٣٧- محظور على الزيدي ان يفوه بكلمة تخل بجرمة الأمير مطلقاً ، واذا رأى منه ما ينكره عليه فعليه ان يحمله على محمل حسن وان لا يسيء الظن به .

٣٨- محظور على الزيدي ان يخالط من قضى الأمير بتحريمه والسعي وراء مصلحته.

٣٩- يعد الأمير وارثاً لمن ليس له أحد من الذكور من عصبته (٤)

٤٠- يستأثر الأمير بغير النساء اللاتي ليس لهن أحد من ذوي أرحامهن (٥)

(بيت باران) اي اله المطر .

وكانوا في الجاهلية اذا اجذبت ستمهم وامسكت السماء عنهم يعمدون الى السلع والعشر فيحزمونه ويعقدونه في اذنان البقر ويضرمون فيه النار فتنفر البقر وهم يعدون ورائها ويدعون الله ويستقونهم وانما يضرمون النار في اذنان البقر تقاؤلاً للبرق بالنار ، وكانوا يسوقونها نحو الغرب دون سائر الجهات ، قال اعرابي :

شفعنا بيقور الى هاطل الحيا
فعدنا الى رب الحيا فاجادنا
وقال آخر يعيب العرب بفعلهم :

لا در در اناس خاب سعيهمو
اجاعل انت ييقورا مسلعة
يستمطرون لدى الازمات بالعشر
ذريعة لك بين الله والبشر ؟

وفي الفاموس « والتسليع في الجاهلية كانوا اذا استنوا علقوا السلع (وهو نوع من الشجر) مع العشر بيران الوحش وحدها من الجبال واشعلوا في ذلك السلع والعشر يستمطرون بذلك » والعشر شجر ينبت في بلاد اليمن والحجاز سريع الاشتعال ، بطنه الانطفاء . والبيقور اسم جمع للبقرة كبقار وبقير وبقورة .

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) : هذه هي قواعد دينية واجبة الانواع ، وكان الامراء طيلة العصور التي مرت يعملون بها . وعلى زمن الامير سعيد بك الغيت ولم يكده احد يعترف بها ولو طال عهده بالامارة

- ٤١- كلما يخلفه الأمير من ملك وعقار ومال يرثه الأمير الذي يخلفه وليس لأحد من أهل بيته حق في أن يختص بشيء مما يتركه (١)
- ٤٢- يختص الشيخ الأكبر (بابا شيخ) بملايس الأمير بعد وفاته .
- ٤٣- للأمير ان يتزوج بما شاء من النساء ممن أباحتهن الشريعة له ولا يجري عليهن الطلاق ، وليس لمن ان يتزوجن بعد موته .

﴿ في الأحكام المتعلقة بالنكاح ﴾

- ٤٤- لا يجوز للبيدي ان يظاهر كريمة البيدي ولا أحداً من ذوي رحمه الى خمسة أعقاب .
- ٤٥- لا يجوز للبيدي ان يتزوج زوجة أخيه بعد طلاقه لها او موته عنها .
- ٤٦- » » » » زوجة ابن عمه بعد موته عنها .
- ٤٧- » » » » أخت المرأة التي خطبها ولم يتزوجها .
- ٤٨- لا يجوز للبيدي ان يتزوج المرأة التي خطبها أخوه ولم يتزوجها .
- ٤٩- لا يجوز للبيدي ان يتزوج من الأسر الروحية وبالعكس وذلك من أشد الكفر .
- ٥٠- تحرم المرأة البيدية على زوجها اذا قال لها أنت شيخي او يري .
- ٥١- يجري النكاح بمعرفة شيوخ آل الشيخ حسن ، اما الآن فقد أهمل ولم يعمل به إلا القليلون .
- ٥٢- لا عدة للمرأة المطلقة او المترملة (٢) .
- ٥٣- يجري الطلاق اكثر من مرة ويكون الرجوع بموافقة الزوجين (٣)
- ٥٤- يحرم الزواج ليلة الأربعاء ، وفي شهر نيسان (٤) ويجتنب البيدي الفراش ليلة

لا لغير قواعد اخرى كثيرة غيرها .

(١) كانت هذه القاعدة متبعة عندما كان الامير قبا على مرقد الشيخ عدي وليس له ان يتصرف بالنذور والحيرات اكثر من حاجته وما يبقى منها يعود الى الملة . اما الان وقد تغيرت الحسالة واصبحت النذور والحيرات وقفا على الامير بنفقها في سبيل اهوائه ومشتبهاته ولم يكذب يعترف باحقية احد غيره فيها فكان من نتيجة ذلك ان هملت قاعدة انتقال وراثته الى الامير الذي يخلفه وانحصرت وراثته في اولاده .

(٢) (٣) جاء في تفسير الرازي ان الرجل بالجاهلية كان يطلق امرأته ثم يرجعها قبل ان تنقض عدتها ولو طلقها الف مرة ، فكانت القدرة على المراجعة ثابتة له .

(٤) ان اتباع البيدية هذه العادة وعملهم بها كمبدأ ديني على جانب من الغرابة ، ومحل الغرابة ارتكازها على نظرية علمية قديمة اذ ذهب بعض العلماء الى ان المواليد التي تحمل بهم امهاتهم في الفصل الربيعي يأتي غالبهم مجانين او بلهاء ، ذلك لان الابوين يقضون الفعل الجنسي في هذا الفصل بمدة زائدة وجهد عنيف حتى

كل أربعة .

٥٥- يستأثر البيدي بمهر الفتاة التي هو وليها ولا يكلف بأعمال شيء لها من الحلي والملابس بل يشترط ذلك على الزوج .

٥٦- يختلف بدل المهر بالنظر لجمال المرأة فقط وليست الكفاة بأمر ذي بال ، عدا الكفاة الدينية .

٥٧- اذا لم يتألف الزوجان فعلى ولي الزوجة ان يعيد المهر الذي أخذه ويسترجع المرأة التي زوجها .

٥٨- اذا عسر على ولي المرأة إعادة المهر فوراً فيفترق الزوجان وينتظر الزوج ريثما تلتقي زوجته لها زوجاً آخر وهناك يسترجع مهره .

٥٩- اذا أعرضت المرأة الترملة عن الزواج واختارت البقاء ثيبة حرصاً على أولادها فلولبها الحق ان يأخذ مهرها ثانية من أولادها .

٦٠- لولي المرأة الحق في ان يجبرها على الزواج بكرآ كانت ام ثيباً ، فان رغبت عن الزواج ولديها مال فعليها ان تؤدي المهر الذي يستحقه وليها من ذلك المال .

٦١- لم يكن تهريب النساء بالامر المستنكر لدى البيدي اذا وقع ضمن الحدود الشرعية وكثيراً ما قد يلجأ الرجل بالفتاة او المرأة التي يهربها الى مرفد الشيخ عدي فيكونا في مأمن من التعرض ، وتهريب النساء في سنجار اكثر منه في الشيخان .

٦٢- تطمح المرأة بنظرها الى غير زوجها اذا ما كرهته ولم تأتلف معه ، ويكون هواها مع غيره ، فتتركه وتذهب الى أهلها ريثما يتم افتراقها عنه (١) .

ان الرومان كانوا يحرمون الزواج في شهر مايو لاعتقادهم بان الزواج في هذا الشهر يكون تعيساً ويتخلق حله بالحدة والخراسة والطيابة . . في حين ان الطب الحديث لم يقر على هذه النظرية .

(١) ان عادة الطموح - وهي ان ترهد المرأة زوجها وتسعى في استبداله بغيره - نتيجة طبيعية لارغام المرأة على الزواج ممن يقع اختيار زوجها عليها دون مراعاة لاحساسها وعاطفتها . واذا كانت المرأة البيدي لا تعمل بهذه القاعدة كثيراً فلم يكن ذلك اباها منها وترفعاً بل انها تجد لها مجالاً او سمحاً في نيلها امانتها وهو هربها مع من ترغب فيه تاركة زوجها وراءها . وقليل منهن من يرضين به اما لعدم جرائهن على الهرب او حرصاً على سمعة ذويهن . وهذه العادة شائعة بين العرب الذين يعيشون في حالة البدادة منذ القديم ، وقد ادركوا ما سيكون لعدم دوام الالفة بين المرأة وزوجها من نتائج وخيمة واستسلموا لطموحها . والزواج الذي تكون قد طمحت زوجته وايقن انه من الصعب عليه ان يعاشرها ويتخلى عنها بعد ان يكون قد استوفى المهر الذي قدمه لها كاملاً غير منقوص . وهي عادة مستحسنة لاقوام قضت عليهم حالتهم الاجتماعية ان يعيشوا مجردين من كل نظام وقيد .

﴿ في الأحكام المتبعة في الميراث ﴾

- ٦٣- الدرجة الأولى في الميراث البنون ، ثم الأخوة ، ثم الأقرب فالأقرب من أولاد العم .
- ٦٤- ليس للنساء حق بالميراث طالما يكون للمتوفي أحد من عصيته .
- ٦٥- النساء يدخلن بالميراث كبقية الأشياء .
- ٦٦- ليس للمرأة حق في ميراث زوجها .

﴿ في أحكام وقواعد مختلفة ﴾

- ٦٧- تعد (البراة) أكبر ضمان للصلح بين الافراد والجماعات ، فاذا ما أعادت جماعة (براتها) للأخرى تصبح معها في حالة عداة ، وتكون الأموال والأرواح مباحة بينهم ولا يجري التعويض عليها الى ان يتم الصلح ويتعاطى الطرفان المتعاديان البراة من جديد .
- ٦٨- اذا حظى عدو بمدونه ولو كان قاتل أبيه وكان يحمل (براة) فلا يمسه بسوء حرمة للشيخ عدي .
- ٦٩- ينحصر تعاطي (البراة) بين الجماعات بالرؤساء فقط ، والافراد يكونون خاضعين لحكمها واذا حدث قتل بين فرد وآخر فالجماعة بأسرها تكون مسؤولة عنه .
- ٧٠- القتل الذي يقع غيلة وغدرآ لا يعرض إلا بالقتل حتى ولو بعد عشرات السنين .
- ٧١- لا يجوز للمريد ان يبدل طريقته . فمثلا اذا كان متمردآ على أحد شيوخ آمادين (عماد الدين) لا يسوغ له ان يتركه ويتلمذ على أحد شيوخ الشيخ نخر (نخر الدين) .
- ٧٢- يتنازل الشيخ عن حقوقه في مرهده من خيرات وصدقات ونذور الى شيخ آخر من نفس السلالة التي ينتمي اليها لقاء ممن يتقاضاه منه ويسقط حقه فيه .
- ٧٣- المريد بقره حلوب لشيخه ورثه منذ القدم ويورثه أولاده الى الأبد .
- ٧٤- يجوز إشهار السلاح في وجه الشيخ والبير وضربهما في حالة اشتراكهما في قتال ما ، أما الفقير فلا يشهر عليه السلاح .
- ٧٥- كل امرأة يزيدية او رجل يزيدي ثبت تهاونه في أمر الدين وذلك من طريق

اتصاله بمن هو على غير دينه اتصالاً غير بريء بحرم من المراسم الدينية عند الدفن ولا تجزي عليه صدقة ويدفن بعيداً عن أموات اليزيدية .

٧٦- تستسلم المرأة اليزيدية للاعتداء الذي يقع عليها من الرجل الاجنبي ولا ترفع صوتها خوف العار والسبة ولا تعذر اذا انفضح أمرها ، فاما ان تقتل او تنبذ .

٧٧- تعيش المرأة المسلمة مع الرجل اليزيدي وليس من المحتمل أن يمسه بسوء . واذا ثبت عليه ما يخالف ذلك تحرم عليه زوجته ، واذا لم يكن متزوجاً يبقى اعزب الى ان يموت .

٧٨- ليس للرجل ان يسيء الظن بزوجه وعليه ان يحمل كل ما يلاقه منها من عمل غير اعتيادي على محمل حسن إلا اذا اصطدم بالحقيقة البارزة .

٧٩- ان قاعدة استبدال الأزواج مع اجراء توازن بينهما بالماشية او المال لا تزال متبعة بين يزيدية الطور ، أما في سنجار والشيخان فيندر العمل بها ، ومن المحتمل انها كانت موجودة قبلاً .

٨٠- لم يكن فيما قبل حق لولي الفتاة التي يقع عليها التهريب في طلب المهر ممن يهربها بل تكون له غنيمة باردة ، أما الآن فلا .

٨١- للمرأة ان تزوج من غير زوجها الذي يتغيب عنها اكثر من سنة ويعد نكاحها الأول لاغياً .

٨٢- يرهن (الزدينايون) وهم فرقة من عشيرة القيران في سنجار ، وكذلك السموقيون نساءهم وفتياتهم في القمار ويبقون في يد المرتهن الى ان يستوفي بدل الرهن . والمرتهن الحق في ان يزوج الفتاة التي بيده لمن شاء ويستوفي حقه من مهرها وما زاد يعطيه الى وليها ، وهذه العادة اكثر شيوعاً عند يزيدية طور عابدين .

٨٣- ترغم الفتاة التي يقع عليها التهريب زوجها على تأدية مهرها الى ذويها واذا تباطأ تركه وتعود الى اهلها .

٨٤- عندما يزفون عروساً من قرية يجتمع الفتيان والفتيات ويمدون وراها ويرمونها بالحجارة والسرجين الى ان تباعد عنهم .

٨٥- عندما يأتون بالعروس الى دار بعلها يكسرون على رأسها رغيفا من الرقاق لتكون محبة للفقراء والمساكين .

٨٦- يجتنب اليزيدي الجماع والنوم وقضاء الحاجة وهو مستقبل مرقد الشيخ عدي

٨٧- يعد اليزيدية أنفسهم «الشعب الممتاز» وهم ليسوا من أولاد حواء بل أمهم حورية نزلت من الجنة وقد خلقوا قبل البشر باربعة آلاف سنة ، وان أبناء آدم الذين ولدوا من حواء جميعهم أنجاس لا يجوز لهم مؤاكلتهم ولا معاشرتهم ومناكحتهم ، إذ هم أنقى منهم دماً وأطيب عنصراً ويفاخرون بعدم تسرب الداء الزهري اليهم .

٨٨- يعتقد الجهال من المسلمين ان من لا شيخ له فشيخه الشيطان ، ويعتقد اليزيدي ان من لا شيخ له فشيخه المسلم .

٨٩- اليزيدي مفطور على البخل إلا ما نذر وقد يكرم مشوى الضيف الذي يوجس منه خوفاً او يتوسم فيه وجاهة .

٩٠- يحتفظ اليزيدي بكل ما هو قديم ويجتنب استعمال الأشياء الحديثة ، فاستعمال البترول في الأكن المقدسة بدلا عن دهن الزيت، وتكفين الموتى بالمنسوج الفرنجي بدلا من المنسوج البلدي ، واستعمال الأواني الخزفية بدلا من النحاسية بدون ضرورة حرام عليه .

٩١- ليس بنظر اليزيدي شيء واجب الحرمة (كالخرقة) التي يلبسها الفقير ، وقد يضع قطعة منها على شجرة او منزل او زريبة او حقل فيبقي مصوناً من التعمدي ما دامت قطعة الخرقة عليه .

٩٢- المسلم بنظر اليزيدي غشاش خداع كذاب ولا يرضى منه بقول الصدق ولو أتى له بالآيات الساطعة والمعجزات الباهرة .

٩٣- اليزيدي سريع الغضب سريع الانتقام ليس مع المسلم فقط بل مع بني جلدته ، وقد يضمم الشر أعواماً لمن يسيء اليه الى ان تتاح له الفرص ثم ينتقم .

٩٤- يقعد اليزيدي متربماً على الأرض ويأتم اذا مد رجله أمام جليسه ، ويجتنب البصاق على الأرض ويمده ككفراً .

- ٩٥- يجتنب اليزيدي السب والشتم واستعمال الألفاظ البذيئة ويمدحه ككفرًا.
- ٩٦- يجتنب اليزيدي النوم مع المسلم في غرفة واحدة ، ومؤاكلته ، والذهاب معه في طريق منفرد إلا اذا كان أقوى منه . أما الآن فقد تركت هذه العادة .
- ٩٧- اذا صحب يزيدي كريفاً مسلماً له في طريق وحرص على حياته يجعله وراهه كي لا تطغي عليه شهوة الانتقام ويقتاله . هكذا كان ، أما الآن فلا .
- ٩٨- يحرم اهل قرية خطارة (في الشيخان) زرع العدس وحصاده ونقله الى محل البيدر ودياسه إلا أنهم لا يرون مانعاً من اكله .
- ٩٩- تحرم عشيرة (دوملي) في الشيخان الشرب من ماء نهر (الكومل) وغسل الثياب فيه ، والزرع عليه .
- ١٠٠- يحرم على اهل قرية (بابيرة) استعمال الملابس التي يكون فيها سواد مع بياض وهي التي يسميها العامة بـ « البقعا » وتشمل هذه القاعدة حتى الحيوانات ، فاذا ولد لأحدهم نعجة فيها سواد وهي بيضاء او بقرة فيها بياض وهي سوداء عليه ان يذبحها فوراً او يعطيها الى شيخه .



الرهلات والمحادثات

كنت تعرفت الى أحد شيوخ أسرة (الشيخ حسن) وذهبت ذات يوم الى قرية (بعشيقه) لزيارته فلاقيت منه حفاوة واکراما لا أزال أذكرها له ، وأكثر يزيدية القريتين بعشيقه وبجزاني يمتازون عن يزيدية الشيخان بميلهم الى التوادد والتعارف وصدق اللهجة والصراحة لكثرة ترددهم الى الموصل واختلاطهم بالمسلمين والنصارى ...

ذبح مضيبي مساء ذلك اليوم ديكاً على شرفي وهو أكثر ما يستطيع ان يفعله يزيدي فقير بضيفه ، وكان من الطبيعي ان يدور حديثنا تلك الليلة حول المسائل الدينية اليزيدية التي كانت هي الغاية من هذه الزيارة ، فآخذت أسأل الشيخ عن أشياء لم أجد بأساً في سؤالها منه ، فكان يجيبني عليها بكل صراحة . سألته عن احتفاظ أسرته بالقرآن الكريم واعتقادهم به ، وهل ان الكتاب الأسود (مصحف رش) هو القرآن نفسه - كما يزعمه البعض - ام هو غيره ؟ أجابني : ان أسرته تحتفظ حقيقة بالقرآن منذ عهد جدهم الشيخ حسن ويعلمونه أولادهم كيلا يخرج العلم من بيدهم ، كما أوصاهم به جدهم ، الا أنهم لا يؤمنون به وذلك لسبب التحريف الذي دخل عليه ، وقد أمرهم الشارع ان لا يقبلوا من كتب الأجانب ما فيها ما يخالف سننه . اما (مصحف رش) فهو غير القرآن ، وكما ان القرآن أنزل على نبي الاسلام فمصحف رش أنزل على (يزيد) الذي أرسله طاووس ملك هادياً لشعبه .

- قلت له : طالما تعتقدون ان القرآن هو كتاب منزل وقد أنزل على (محمد) فلماذا لا تصدقون بنبوته (محمد) وتقبعونه ؟

- أجابني : اننا لا نصدق بمحمد ولا نقبعه لأنه حارب ديانتنا ووقف في سبيلها ولو استطاع لقضى عليها .

- قلت له : هل كانت ديانتم موجودة ذلك الحين ، وهي على ما تدعون من صنع يزيد ، ويزيد لم يكن قد ظهر على عهد محمد ؟

- أجبني : هذا هو موضع الخطأ عندكم وديانتنا أقدم بكثير من الاسلام وترجع الى زمن ابراهيم الخليل الذي نعمده من آباءنا الأقدمين و (يزيد) ليس هو الا مجدد أرسله (طاؤوس ملك) لاصلاح الخلل الذي أصاب ديانتة بعد ان أفسدها (محمد) بتعاليمه مم أودعه الألوهية .

- قلت له : اذا لماذا لم يرسل طاؤوس ملك مجدداً آخر بعد يزيد ، وقد مضى على يزيد ثلاثة عشر عاماً ، ليزيل عن ديانتة ما عراها من الخلل والفساد ، ويقبها من التدهور والاضمحلال ؟

- أجبني : هذا ما لا نزال نترقبه ، وهل ان رساله (الكواجك) من وقت الى آخر للقيام بواجب الاصلاح ، هو غير مقدمة لارساله (مجدداً) يكون له سلطة واسعة في ايجاد انقلاب هائل على وجه الأرض تكون الحروب العالمية كجزة قلم بالنسبة اليه ومحارب الأمم والأقوام المعادية لهذا الدين ، ويبيدها بالوباء والطاعون ويخلص أمتة من الاضطهاد الذي لاقتة طيلة هذه العصور الطويلة ويجعلهم الآسرين الناهين على وجه الأرض .

قلت له : هذا لا أحاججك فيه ، ولكن قل لي من سيكون هذا المجدد ؟

أجبني : من يكن فليكن ، أليس هو الذي سيرسله طاؤوس ملك ويمده بقوة من عنده ؟ وما أدراك أن سيكون واحداً من اهل بيتنا او غيره من الشيوخ الذين بين ظهرائنا .

قلت له : ماذا سيكون وضممكم مع الملل الخارجة عنكم فيما اذا قويت شوكتكم وأصبح صولجان الحكم بيدكم ؟

قال : هذا يتوقف على الوضع الذي سيتخذونه نحونا ، فن انقاد لنا نجا ، ومن خالفنا هوى ، وسوف لا ننسى الذين أساءوا الينا ونكيل لهم بعين الصاع الذي كالوا لنا به . قلت له : هذا شيء كثير ، وسيحدث من ورائه أمور تؤدي الى قلق واضطرابات تجعل الآمن منعماً بين الناس في هذه البلاد .

أجبني : هذا هو الذي يريد .

قلت له : من هو الذي يريد هذا ؟

قال : هو الذي تعرفون (يشيرون اليه بصفة الغائب في كلامهم مع الأجانب) .

قلت له : ولماذا ؟

قال : لأنكم أسأتم الى شعبه ، ولم تؤمنوا به ، وأنكرتم عليه قوته ، وأفسدتم شرائعه ولم يتقدم أحد منكم يوماً بقربان اليه حتى في أشد ساعة ضيقه وحرجه .

وهذا أحجمت عن الكلام معه ، بعد ان كنت أعرفه رجلاً متزناً حليماً هادئاً وقد أصبح نمرأضارياً كأنه يريد أن يهجم علي ويفترسني ، وأخذت أوم نفسي لأنني أنا الذي هيجت شعوره ، وما كان أغناني عن الحديث معه في هذه المسائل .. وقد أردت أن أغير مجرى الحديث معه فسألته عما يدعيه بعض رجال النصرانية عن وجود علاقة

لهم معهم ؟

أجابني : كلا لم يكن لنا علاقة بهم أصلاً .

قلت له : يدعون انكم تحترمون العهدين القديم والجديد وتقرأونها ؟

أجابني : اننا نعتقد ان الكتب الدينية التي بيد الخارجين عنا قد حرفت جميعها عن أصلها وقد أمرنا الشارع ان نجتنبها ولا نصدق بها إلا ما وافق منها ديانتنا .

قلت له : اذاً لا صحة لما يدعونه من ميلكم الى الأخذ بالنصرانية فيما اذا أخرجتكم الظروف وتخليتم عن ديانتكم ، أليس كذلك ؟

وهنا أخذه الغضب وتغيرت ملامحه وأجابني : ان ما يدعيه النصرارى هو كذب واختلاق ، ولا يوجد ما يقرب بيننا وبينهم من مشاركة في الدين والعقيدة والتقاليد والتاريخ وفي كل شيء ، فصلاتنا غير صلاتهم ووصومنا غير صومهم . ولنا كعبة نحج اليها كما يحج المسلمون الى كعبتهم وهم ليس لهم ذلك ، ونحنتن كما يحنتن المسلمون ، وهم لا يعرفون الختان .

قلت له : اذاً أنتم أقرب الى الاسلام من بقية الأديان ؟

فابتنم وقال : نحن لا نجعل هذا ونعترف اننا كنا وإياكم على دين واحد إلا انكم افترقتم عنا وخالفتمونا في عبادة إله الشر ، ظناً منكم انكم في نجوى من غضبه وما أردتم إشراكه بآله الخير في عبادتكم ، وعددتكم ذلك كفرأ . وهذا هو أساس الفرق بيننا

وبينكم ، ولو انكم عدتم وأحسنتم الاعتقاد به ، وشاركتمونا في عبادته ، لزال الاختلاف
وأصبحنا على دين واحد .

قلت له : لنفرض انكم على اصابة في عبادتكم إله الشر ، وما عكوفكم على هذه التماثيل
والأصنام وتقديمكم اليهم النذور والهبات والصدقات إلا ليشفعوا لكم عنده ويقربوكم
اليه ، فأية نعمة دفعها عنكم ؟ وأية نعمة شملكم بها ؟ وأنتم تتقلبون في الذل والفقر ولبس
بين الأمم قاطبة من هو أسوأ حالا وأكثر شقاء ، وأشد عناء منكم ؟
أجابني : اننا لا نطمع في نعيم الدنيا كما تطمعون أنتم فيه ، وسندال نصيبنا في الدار
الآخرة مما فقدناه في الحياة الدنيا من نعيم وسعادة ويضعنا الشيخ عدي في طبق على
رأسه ويدخلنا الجنة بدون حساب .

كان الوقت قد تجاوز نصف الليل وقد غلبني النعاس ، فأويت الى فراشي ونمت نومة
هادئة وعند الصباح عدت الى الموصل وأنا أذكر لهذا الرجل الحفاوة التي شملني بها .

﴿ ملاقة مع الشيخ علي الشيخ الأكبر (بابا شيخ) ﴾

(في مرقد الشيخ عدي)

كنت اجتمعت بالشيخ علي الشيخ الأكبر في مرقد الشيخ عدي وأنا إذ ذاك مقيم
فيه ضيفاً على الأمير علي بك بن حسين بك استرجاعاً للصحة من مرض كان قد أصابني ،
والشيخ علي هذا معروف لدى كل من خالطه بدمائة الخلق ورقة الحاشية مع وقار
وحشمة يندر ان يجده انسان في غيره من الزيدية .

كان طويل القامة معتدلاً ، ذو لحية رقيقة قد دب فيها المشيب ، يعتم بعمامة بيضاء
تحتها طاقة سوداء صغيرة من التي يستعملها خصيصاً الرجال الروحيون من الزيديين ،
وحزام أسود من صوف فيه حلقات صغيرة ، وهي الرمز الوحيد الذي وقفت عليه لبابا
شيخ ، وكان قد جاء الى مرقد الشيخ عدي لاجراء تصليحات فيه حسبما يحتمه عليه
واجبه الديني وهو مريض يتعذر عليه المشي دون عصاً يتوكأ عليها ، وأودى به ذلك
المرض بعد بضعة أشهر .

وجدت الفرصة سانحة للتحدث معه في بعض المسائل عن الزيدية في هذا المحل الخالي

من أحد عدا بضعة عمال من اليزيدية يشتغلون في اصلاح بعض المباني ، وزمرة من الفقراء يذهبون ويحيثون بكل هدوه وسكينة لقضاء الأشغال المختصة بهم . قلت له : يشوقني جداً ان أتباحث معكم في مسائل طالما تحتلج في خاطري غير اني لا أجد من الكياسة ان أزججكم من أجلها في حالة مرضكم هذا ، فابتسم ابتسامة رقيقة وقال لي : ان ذلك مما تصبو نفسي اليه ، وكم أعد نفسي سعيداً بمحادثتكم في هذا المحل الرائع الجميل وأخذ بيدي وأجلسني في ظل شجرة من أشجار التوت الباسقة فحجبت عنا الشمس بأغصانها الكثيفة حيث لا عين ترمقنا ، ولا أذن تنصت إلينا ولا نسمع سوى خرير المياه وحفيف الأشجار وتفريد العنادل .

وهذا ما دار بيننا من الحديث :

قلت : تعلمون جيداً ان التطورات التي حصلت في حالة البشر الاجتماعية أيدت لنا عدم امكان بقاءنا من الآن وصاعداً تحت الشرائط التي نعيش فيها ، واذا لم نمش بخطى سريعة نحو الاصلاح والرقى اقتداءً بغيرنا من الملل فلن يحق لنا ان نقبوا المكانة التي نستحقها تحت الشمس ، وسنبقى أحقاباً طويلة خاضعين لغيرنا بقودوننا كما تقود الرعاة البهائم ، وبما ان اليزيدية هم شعب له مكانته في هذه البلاد ، وله ما لغيره فيها من الحقوق فما رأيكم لو نبذوا العادات التي أصبحت مضرّة بهم ، وأخذوا يتدرجون في الاصلاح أسوة بالملل التي تجاورهم ، على ان لا يمس تدرجهم هذا بأساس دينهم ، والدين الصحيح بعيد عن ان تؤثر عليه الاصلاحات التي تدخل عليه الخير وتبعد عنه الشر .

قال : ان ما ذكرته صحيح لا اعتراض لي عليه وكم أود ان تساعدنا الظروف ونأخذ بمباديء الاصلاح الذي تشير به لننفض عنا غبار النذل والاستكانة ونصبح أمة لها حق الحياة كغيرها من الأمم ، ولكن دون ذلك ، ويا للأسف ، عقبات ليس من السهل اجتيازها ، فتي أردنا القيام بذلك نزل بنا قدمنا ونسقط سقوطاً لا رجاء لنا من القيام بعده .

- اذا أردتم ان تستسلموا لهكذا اوهاام ومخاوف ، يجب ان تعلموا انكم سوف لا تبرحون مقيمين على ما أنتم عليه دون ان تترحزحوا عنه قيد شعرة ، لأن الاصلاح

لا يمكن ان يأتىكم عفواً ، بل يجب ان تسموا اليه وتبذلوا كل غال ورخيص في سبيل الحصول عليه .

- تعلمون بأن الملة لا إرادة لها في هكذا مسائل ، وأن القول الفصل هو لرجال الدين الذين هم وخدمهم لهم الحق في ان يشقوا لها الطريق الذي يجب ان تسلكه سواء أكان من الناحية الدينية ، ام من الناحية الاجتماعية ، ورجال الدين اليزيدي ، كما لا يخفى عليكم مقيدون بقيود شديدة لا يمكنهم ان يتساهلوا فيها ، وبصفتي اكبر رئيس ديني ، بعد الأمير ، اذا أردت ان أتساهل في بعض المسائل التي اجدها مضرّة بنا فمن الصعب ان اجد من يوافقني عليها ، وربما انهموني بالكفر وأناروا علي الرأي العام .

- نعم ان ما تقولونه صحيح ، وكثيراً ما حدث أن ناهض طغام الناس وجهلائهم رجال الاصلاح ووقفوا عثرة في سبيلهم وثبطوا عزائمهم ، إلا أنكم طالما تعتقدون بوجوب الاصلاح للملتك التي عاشت قروناً طوالاً تحت كابوس الجهل والذل ، فالواجب يقضي عليكم ان تسيروا في شجاعة نحو هدفكم المطلوب وتقوموا بواجبكم .

- يؤسفني ان أقول لكم ان هذا لا يمكنني أصلاً ، إذ لا يسعني وأنا أكبر رئيس ديني ان أنخطى حدود وظيفتي المحددة وأقدم على عمل ينكره علي غيري . أنظر عندما أرادت الحكومة ان تفتح مدرسة في قريتنا (عين سفني) في العام الماضي ووقف الأمير وجماعة من رجال الدين موقف المعارض ، كيف كنت في طلبهم وعارضت في فتح هذه المدرسة . معارضة شديدة بدعوى ان الشارع للدين اليزيدي لم يسمح لنا التعلم ، فهل كنت على إصابة في هذه المعارضة ؟ كلا ! انني أعلم ان المبدأ الذي نسير عليه في تحريم التعليم منذ عصور هو الذي أضر بنا ، ويجب ان نعدل عنه ونتساوى مع بقية الأمم بارتداد مناهل العلم ليكون لنا حق المساواة معها في هذه الحياة ، إلا أنني لم أخرج من صفوف المعارضين كيلاً أنهم في التساهل في أمر الدين الذي يعدوني الحارس الأمين عليه .

- ما هو قصد الشارع للدين اليزيدي من تحريمه التعلم على هذه الملة ونحن نراه قد أحبط بها الى منتهى دركات الغباوة والجهل ؟

- أن الشارع لم يكن علي خطأ في تحريمه التعلم على هذه الملة وفرضه الأمية عليها ، إذ

لو أباح لها التعلم لمسح لها المجال للاطلاع على الأديان السائرة والأخذ بها ، وهناك يتطرق الخلل والفساد الى هذه الديانة ، كما أنه لو لم يجعل هذا الدين مكتوماً ويحظر على أبنائه إباحة شيء منه للغير ، لانكشف أسرارها ، ووجد أعداؤه سبيلاً للنيل منه . والدين الزيدي لم يحافظ على وضعه طيلة هذه المدة إلا بسبب بقاءه مكتوماً . وهذا نبيكم محمد (صلم) ألم كتم دينه ولم يجاهر به إلا بعد ان قويت عصبته وتمكن من سحق خصومه وأعدائه ؟ إلا ان الدين الزيدي لم يجد له جواً صافياً منذ ظهوره حتى يتمكن من نشر كلمته وتقوية مركزه ، وكما أراد ان يمضي الى الأمام ، لاقى من خصومه الأعداء ما أعاقه عن سيره .

- ما هو سبب مناهضة المسلمين لكم ؟ ووقوع الحوادث الاقليمية بينهم وبينكم ؟
- بعد ان وصل بنا الحديث الى هذا الحد ، يمكنني ان أعترف لكم بأن ديانتنا لم تكن لتختلف عن الاسلامية بشيء ، والشيخ عدي هو رجل مسلم ويجتمع مع نبيكم بسلالة واحدة ، ولما كان الشيخ عدي أموياً وكان يتعصب للأمويين ، فقد أخذ حكام ذلك العهد يناجرونه العداة ويسئون اليه ، وزادوا على ذلك ان تجاوزوا على زاويته واعتدوا على أصحابه ، وأرادوا ان يصلبوا أحد اولاده لخالفته لهم وإنكاره عليهم أعمالهم ، لو لم يرفعه الله تعالى اليه ويقيه شرهم . وهذا ما دعا ان يقيم البيت العدوي وأعدائهم حرباً عواناً على من عاداهم وأنكر عليهم دينهم . ومن هنا نشأت الخصومة بين الجانبين وأخذ فريق يناوي الآخر ويناهضه ، واشتد الصراع ، وسفكت الدماء ، وكاد ان يقضى على أمتنا لو لم تمدهم الآلهة بنصر من عندهم ويثبتون أقدامهم وقد كان للفتاوى التي يصدرها علماء الاسلام الاكراد قصد إهاجة الرأي العام الاسلامي أثر سيء على حياتنا الدينية والاجتماعية ، وأخذ الاكراد الصوريون والبهدينيون وحتى الاكراد البوطانيون يشنون حروبهم علينا دون رحمة ولا هوادة ، والحكومة من ورائهم كانت ترسل الحملة أثر الحملة وتتكلم بنا وهي موطدة العزم على إبادتنا . دامت هذه الحالة اكثر من عشرين ونحن في أشد الحرجة ، وهناك كانت حملة (إحافظ باشا) على سنجار وحملة (أمير رواندز) على الشيخان فكانتا القاضيتين علينا إذ سلبتنا كل إيماناً لنا من قوة وسلطان

وأسقطتانا من شامخ عزنا ومجدنا (وهنا أخذت الدموع تتساقط على لحيته) .
- لقد حركت كامن شجوكم بحديثي هذا معكم ، وأقسم لكم أني آسف على ما أصابكم
من ظلم وغدر في تلك العصور الهمجية المظلمة . أما وقد مضى ذلك العهد وأصبح في ذمة
التاريخ ، فهل تجدون اليوم ما يحول دون تقربكم من المسلمين وتفاهمكم معهم ؟ وأعتقد
انكم بذلك تناولون بغيتكم في مضمار الحياة .

- هذا ما لا أحججكم فيه ، وكل من له ذرة من العقل يوافقكم عليه . إلا ان تقربنا
من المسلمين وتفاهمنا معهم ، لا يعود علينا بأكثر مما نضيعه ، واليزيدي الذي يكثر
معاشرة المسلم والاختلاط به لا يكون مرغوباً بين قومه وذويه ، ويمدونه عاقلاً لدينه ،
ويزدرون به .

- إني أعتقد أن الذي أضربكم ، وحرمكم من كثير من حقوقكم التي لا ينازعكم فيها
أحد هو عملكم بمبدأ « الأمية » الذي انفردت به دون العالم قاطبة ، والآن وبعد أن
ثبت لكم ان هذا المبدأ لم يوصلكم الى نتيجة ايجابية في الحياة ، وسوف لا يوصلكم
اليها الى الأبد ، فما رأيكم اذا عدلتم عنه وأخذتم بتعليم ناشئكم ؟ اما اذا كنتم تريدون
الاصلاح مع بقائكم على ما أنتم عليه فهذا لا يمكن أصلاً .

- الحق أقول لكم اني أريد الاصلاح للمتي بمعناه الشامل ، أريد أن نكون على قدم
المساواة في جميع مظاهر الحياة مع الأمم والشعوب الأخرى . إلا اني لا أستطيع ان أغير
أو أوافق على تغيير شيء مما فرضه علينا الشارع خوفاً من أن يحل غضب الآلهة علي ،
وأكون هدفاً لظمن الأجيال الآتية فيما اذا اولدهذا التغيير رد فعل في حياتنا الدينية
والأولى أن تترك مقدراتنا لحكم الظروف ، وهي وحدها التي تهيب لنا اسباب التطور
الذي ننتظره .

وهنا انتهى بنا الحديث . وفي اليوم الثاني أخذت بأهبة الرجوع الى الموصل حيث
كنت ملت الى الشفاء .

﴿ ملاقة مع القوال « حسين » بن القوال « آدو » ﴾

﴿ الباعذري ﴾

جرت العادة منذ القديم أن يرسل أمير الشيخان كل سنة « سنجقاً » الى اليزيدية القاطنين في بلاد الروس لجمع نذورهم وخيراتهم . وآخر « سنجق » أرسله كان قبل نشوب الحرب العالمية الاولى زمن قليل ، واختفت معالم هذا السنجق وطمس خبر القوالين الذين ذهبوا به خلال سني الحرب وبعدها ، وأخذت الظنون تحوم حول ذهابهم ضحية الولايات التي أولدها الحرب وانقطع منهم جبل الرجاء ونسي خبرهم . إلا ان الأمير سعيد بك كان يعتقد خلاف ذلك وانهم لا يزالون على قيد الحياة . وفي عام ١٩٢٧ أرسل قوالين من قرية بجزاني الى جهة « أريفان » للبحث عنهم ، ولكن هذين القوالين ايضاً ذهبوا ولم يرد منها خبر . وبعد ان انصرفت الافكار عن هذه البعثة ولم يعد أحد يذكرها ، ورد الى الأمير كتاب من القوال « حسين بن القوال آدو » من أريفان يعلمه أنه ورفاقه على قيد الحياة عدا شخصين منهم ، وان القوالين اللذين أرسلها اخيراً للبحث عنهم قد التحقوا بهم ، إلا ان حكومة الروس السوفيتية قد حجرت عليهم ولم تدعهم يخرجون من بلادها ، وطلب من الأمير اتخاذ وسيلة لاجل ارجاعهم الى محلمهم . فراجع الأمير رجال السلطة من الانكليز في العراق وطلب اليهم التوسط لدى حكومة الروس بالامر فأجابوه ، وبعد مخابرات دامت نحو سنة وافق الروس على اخراجهم من بلادهم وأركبوهم باخرة تجارية وأرسلوهم الى جزر بريطانيا ومن هناك جاؤوا الى العراق وقد مضى عليهم خمسة عشر سنة .

قصدت مرقد الشيخ عدي يوم ١٣ حزيران ١٩٣٠ بغية الملاقاة مع القوال حسين والوقوف منه على يزيدية تلك البلاد ، فوجدته رجلاً في مقتبل العمر يحسن التكلم بالتركية والروسية وشيثاً قليلاً من الأرمنية والجركسية ، قد هذبته الأعتاب وأوسع في عقله . وبعد ان أفهمته الغاية التي أتيت الى المرقد المبارك من أجلها ، أجابني أنه سوف لا يدخر وسماً في ايقافي على كل ما أروم الاطلاع عليه ، ووعدني بأن يجتمع بي ليلاً بعد ان تغمض العيون ويأوي الناس الى مضاجعهم .. وقد بر بوعده وجاء وأنا على أحر

من الجمر في انتظاره ، فسلم ووقف أمامي مصلياً يديه على صدره ، وتلك عادة يراد بها احترام الشخص المقصود مقابلته ، فأمرته بالجلوس قريباً مني . وبعد إجراء التهنيدات المفتضية في مقابلات كهذه ، أخذت ألقى عليه الأسئلة الآتية وهو يجيبني عليها :

س : كم كانت مدة إقامتكم في بلاد السوفيت ؟

ج : خمس عشرة سنة .

س : هل واصلتم الأمير بأخباركم طيلة هذه المدة ؟

ج : نعم ! اننا لم نذخر وسعاً في مواصلته بأخبارنا منذ اليوم الذي وطأت أقدامنا هاتيك البلاد ، وأرسلنا له مئات المكاتيب والبرقيات ولم نحصل على جواب واحدة منها حتى أخذ يخيّل لنا ان الحرب العامة لم تبق أثراً لآجد من شعبنا وقد أبادتهم جميعاً . ولكن اتضح لنا أخيراً ان حكومة السوفيت هي التي كانت تمنع إرسال مكاتيبنا خارج بلادها .

س : كم كان عدد القوالين الذين قاموا معك بهذه الرحلة ، وهل عدتم جميعاً أم تخلف أحد منكم هناك ؟

ج : كنا سبعة قوالين : خليل بن القوال خدر ، ورشو بن القوال مراد ، والياس بن القوال برو ، وحجي بن القوال علي ، وحسين بن القوال مador ، وخدامكم أنا . وقد مات منا القوال علي بن القوال رشو ، والقوال حسين . ولما انقطعت أخبارنا عن أمير الشيخان ، أرسل القوال حسن بن القوال خدر والقوال رشو بن القوال حجي (كلاهما من قرية بجزاني) للبحث عنا ، وجاءوا واجتمعوا بنا ، إلا أنها لم يكونا أسعد حظاً منا بإيقاف الأمير على خبر عثورهم علينا ، بل سدت دونها سبل الخابرة كما سدت دوننا الى ان من علينا بالرجوع الى أوطاننا .

س : كيف كانت حالتكم هناك ؟

ج : حسنة جداً ولم نلاق ضيقاً إلا في العامين الأخيرين إذ شددت الحكومة المراقبة علينا وأساءت معاملتنا بحجة اننا غرباء ومن رجال الدين .

س : اين كان محل إقامتكم ؟

ج : لم نبق مجتمعين في محل واحد ، بل اختار كل واحد منا المحل الذي طابت له الإقامة فيه خوفاً من ان نجلب الانظار الينا ، وكان محل إقامتي قرية (كروانسرا) في ولاية الكساندرابول .

س : ما هي المناطق التي يسكنها اليزيدية هناك ؟

ج : هي - تفليس ، أريفان ، الكساندرابول ، باكو ، باطوم .

س : ألم تعارض حكومة السوفييت اليزيدية في أمورهم الدينية وعبادتهم ؟

ج : لم يكن تدخل السوفييت في الامور الدينية كما تسمعون بل لكل فرد من أفراد الشعب الحرية التامة في ان يتمتع ببعقيدته ودينه فاذا كنتم تسمعون بمعارضتهم في تشييد المعاهد الدينية وبمعارضتهم لرجال الدين ، فذلك صحيح ، الا انهم لم يقصدوا بذلك مناهضة الأديان والقضاء عليها بل توجيه الناس الى الاعمال النيرة وتخليصهم من الكسل والمطالة وان لا ينصرفوا الى الدين وحده ويكونوا عضواً عاطلاً في المجتمع ، ويكفي ان أذكر لكم ان في قرية (كروانسرا) مزار للشيخ سجادين أراد اليزيديون إدخال بعض الاصلاح عليه فلما علم بذلك الحاكم أمر بهدمه وفي الغد قدموا له عريضة طلبوا فيها مساعدتهم على أعمالهم من جديد ، فأمر الحاكم بقبض الذين وقعوا على المضبطة وأرسلهم الى محل مجهول .

س : هل ترون ان يزيدية تلك البلاد سيعضون بالنواجد على ديانتهم ، ام ينقادون لمجرى التطور الذي حصل في حالة الشعوب التي يضمها النظام السوفيتي ويتساهلون فيها ؟

ج : لا استطيع ان أبدي لكم رأياً صحيحاً ، الا ان الذي أعرفه ان التعصب الديني الذي نجده في بلادنا لا أثر له هناك وقليل من يعرف له شيئاً او يبرأ ويقوم بواجباته نحوه ، وهذا لا يبشر بخير في المستقبل .

س : هل يمكنكم ان تصوروا لي حالة اليزيدي الدينية والاجتماعية في تلك البلاد ؟

ج : يؤسفني ان أقول لكم ان رجال الدين الذين هم في تلك البلاد ليس لهم ما لرجال الدين عندنا من قيمة مادية او أدبية ، فوظائفهم محدودة ولا سبيل لهم الى ممارستها ، والشعب اليزيدي لا يقدم لهم الندور والخيرات التي فرضتها الشريعة عليه وقد يعيشون

على كد إيمانهم ، واليزيدي يتمتع بعين الحقوق التي يتمتع بها غيره من ذوي الأديان السائرة ، وليس على رأسه سيد يشاركه في حصول سميه ، ومعيشته راقية جداً والمرأة اليزيدية تتمتع بحريتها الكاملة وتلبس ما يروق لها من الألبسة الحريرية ذات الألوان الزاهية ، وقد لا تنفر من معاشره الرجل الذي لم يكن على دينها ولا تعامله بغلظة وجفاء والتعليم اجباري ويندر ان تجد بين ناشئتهم الجديدة من لا يحسن القراءة والكتابة .

س : من هم الذين يوجدون من رجال الدين في تلك البلاد وكيف وجدوا فيها ؟

ج : يوجد كثير من الشيوخ والبيرة وبيت واحد من البسميرية ، والذين لا وجود لهم هم الفقراء والكواجك والقواون ، أما كيف وجد هؤلاء هناك فذلك لا أعلمه ، ولكن لا جدال في أنهم هاجروا من ناحية الشيخان منذ عهد بعيد . فقد يوجد بينهم من أسرة الشيخ حسن والشيخ أبي بكر والشيخ نجر والشيخ شمس والشيخ ناصر الدين والشيخ سجادين ، والأستراتان الاخيرتان توجدان على الاكثر في منطقة أريفان .

ويوجد من البيرة أربع أسر ، الأولى أسرة بير حسن عمان ، الثانية أسرة قضيب البان ، الثالثة أسرة بير ايسيبيا ، الرابعة أسرة بيرافات (بير عرفات) . فالأستراتان الأوليتان أو شكنتا ان تنقرضا في الشيخان ولم يبق منها سوى افراد قلائل ، والأستراتان الاخيرتان يوجد منها افراد ليسوا بقليلين في الشيخان وسنجان (١) .

والبيت الوحيد الذي يوجد من (البسميرية) بيت (آلي بك) وكبيرهم الآن يوسف بك الذي قلده حكومة الروس السوفيتية مناصب كبيرة في الدولة ويسكنون مدينة الكساندرابول .

(١) قبل ان وقت على هذا الخبر كنت اعتقد ان انتشار اليزيدية في هذه البلاد النائية وقم بنتيجة دعاية قام بها احد اولاد الشيخ حسن الذي يرمى اليه هذا الدين ، وقد هاجر اليها كما هاجر غيره من اهل هذا البيت الى الديار الحلبية والشامية والمصرية لنشر هذا الدين فمنهم من نجح ومنهم من أخفق . الا اني لم اكن مقتنعاً برأيي هذا الى ان علمت ان اليزيدية بعد ان انتقلت من الشيخان الى جبال البوطان واعتنقها كثير من قبائل الاكراد كالدنبي والمحمودي والتحقوا بالدولة الفرعونية . ثم انخرطوا في سلك امرء الشاه طهباسب واقنطعوا معاقل وحصون في ايران نزحوا الى تلك البلاد واتخذوها موطناً لهم . وقد كان من الطبيعي ان يرافق هؤلاء في رحلاتهم وتنقلاتهم جماعة من شيوخهم وبيوتهم ليعيشوا على صدقاتهم وخيراتهم كما هي الحالة هنا او كي لا يدعوم دون مرشد فتغلب الايدي بهم وتخرجهم من دينهم .

س : هل يوجد هناك مقامات للمشائخ كما هو هنا ؟
ج : لا شك أنه ما من شيخ أو ولي له مقام في الشيخان وفي سنجار إلا ونجد له مقاماً مشهوداً هناك ، غير ان هذه المقامات قد خرب أكثرها والحكومة لم تسمح باعمارها من جديد .

س : ما هو اعتقادهم بيزيد والشيخ عدي وطاؤوس ملك وبقية المشائخ الذين ينتمون الى البيت العدوي ؟

ج : لم يكن اعتقادهم بهم قوياً ، وقد يجلون الشيخ عدياً كثيراً . ولا يستنكرون من الرجل الأجنبي اذا وردت على لسانه الكلمة المنوعة ، والصحيح أنهم لا يعرفون الكلمة المنوعة ولا يتكلمون بها ، وهذه العادة لا نجدها إلا في بلادنا .

س : ما هو اعتقادهم بالأمر ؟

ج : يمكنني ان أقول لكم ان الاعتقاد فيه لم يكن واحداً ، فالقدماء من البزيدية الذين ظلوا محافظين على تقاليدهم القديمة يعتقدون فيه أنه من نوع الآلهة ، وأما الناشئة الجديدة الذين استهوتهم المدنية الحاضرة فهم على العكس من ذلك وقد يعدونه بشراً مثلهم حتى أنهم قد لا يعبأون بزيارة السنجق وينظرون اليه كشيء من الأشياء .

س : هل صحيح ان حكومة السوفيت أخرجت السنجق من أيديكم ؟

ج : كلا وقد احتفظنا به الى حين رجوعنا الى بلادنا .

وهنا انتهى بنا الحديث ، وكان بودي ان أسأله عن اشياء كثيرة أخرى ، ولكن خوفاً من انتباه الحراس الذين أقامهم الأمر لحراستنا تلك الليلة أذنت له بالانصراف بعد ان شكرته على المعلومات التي أدلى بها إلي .

﴿ جدال طريف ﴾

في اليوم الثاني من رحلتي هذه ، بينما كنت والأمر جالساً على « عين البيضاء » وقد أظلتنا اشجار التوت الباسقة التي شهدت حوادث جساما في هذا الوادي ترجع الى ما قبل بضعة عصور ، وكانت ثمارها الشهية تتساقط علينا ونحن نلتقطها باشتهاء ، دار فيما بيننا الحديث عن الشيخ حسن والشيخ شمس . قلت له : انكم تعبرون عن الشيخ حسن

بالشيخ حسن البصري ، والشيخ شمس الدين التبريزي وهذا خطأ فالشيخ البصري والتبريزي لا علاقة لهما بكم ولم يدخلوا في دياركم . - قال لي : كيف لم يكن للشيخين البصري والتبريزي علاقة بنا ، ولم يدخلوا في ديارتنا ، ونجهل نحن ذلك وأنت تعرفه ؟ - قلت له : هل اذا جهلتم أمراً يجب ان يجهله غيركم ايضاً ؟ فاحتمد الجدال فيما بيننا وأخيراً اتفقنا على ان نجعل رئيس الأئمة الشيخ نذيراً حكماً بيننا . فاستدعاه الأمير وكان أرمداً ، وقال له : ألم تقل أن الشيخ حسناً هـ - والحسن البصري ، والشيخ شمس هو الشمس التبريزي ؟

فأجابه : أو ليس كذلك يا سيدي ؟

قال له : اصغ اذن لما يقوله فلان (وأشار إلي) :

قلت له : هل لك ان تعلمني من هو (حسن البصري) هذا الذي تتمتع امرته ببنوكم بعين الحقوق والوجائب الدينية التي تتمتع بها بقية الأسر المنتمية الى البيت العدوي ؟ قال لي : طبعاً هو من البيت العدوي .

قلت له : كيف يصح ان يكون من البيت العدوي وقد أثبت التاريخ ان الشيخ عدياً هو أموي من نسل مروان بن الحكم وقد توفي سنة ٥٥٧ هـ ودفن في لالش من أعمال الموصل ، والحسن البصري هو من التابعين وأبوه يسار مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وأمه خيرة مولاة ام مسleme زوج الرسول وقد توفي بالبصرة سنة عشر ومائة ، وبينه وبين الشيخ عدي (٤٤٠) عاماً ؟

أجابني : هكذا يقولون يا سيدي !

قلت له : من هم هؤلاء الذين يقولون هكذا ؟ وألست أنت واحد منهم بصفتك من هذه الأسرة ؟ ثم قل لي : ما هي علاقتكم بشمس الدين التبريزي ، وشمس الدين التبريزي هذا خرج من بلاد فارس ، وجاء الى قونية ، وتلمذ عليه الشيخ جلال الدين الرومي ، وذهب من هناك الى الشام ، ثم عاد ثانية الى قونية وتوفي فيها مقتولاً سنة ٦٤٥ للهجرة اي بعد وفاة الشيخ عدي بتسعين سنة ، وبعد مقتل الشيخ شمس الدين الحسن العدوي بسنة واحدة ، ولم يذكر التاريخ مجيئه الى هذه البلاد واتصاله بالبيت العدوي ؟

فلم يجر جواباً وظل واجماً .

قال له الامير : ما لك لا تتكلم وتحيب فلانا (مشيراً الي) علي ما يقوله ؟

يش امام : بماذا أجيبه يا سيدي وما يقوله لا يقبل الجدل والرد ؟

الامير : اذا فأقولك كلها هكذا مزيفة و (فلان) يعرف اساطين ديننا خيراً منا

ومنك ؟

وكان جمع من اليزيدية حاضرآ وبعض منهم حائق ، وبعض منهم مبتهج . فالحائق ، حائق علي لتدخلني بأمرور ليست من اختصاصي على زعمه ، والمبتهج ، مبتهج لسبب الفشل الذي اصاب يش اماماً وهم يحقدون عليه .

وكأنما أراد ان يغير مجرى الحديث وقال لي : كيف تقول ان الشيخ شمس الدين مدفون

في قونية بينما هو مدفون في تبريز ؟

قلت له : هب انه مدفون في تبريز او كاشغر او شنقيط وهذا لم يكن موضوع البحث

ولكن قل لي ما هي علاقتكم به وكيف أتيتم به هو وأهل أسرته طائراً من تبريز

وأشركتموه في صحبة الشيخ عدى واتخذتم له قبرآ في لالش ؟

فالتفت الأمير اليه وقال له بالكردية : « خدى جافيتيه كور بكت » أي : أعمى الله

عينيك ! أ رأيت كيف كانت اجاثك هكذا كلها لا صحة لها ؟

وهناك اعترف الأمير بصحة ما قلته ، وسألني عن حقيقة الحسن البصري والشمس

التبريزي ، وكيف عرفهم اليزيدية ؟

قلت له : لا تستغرب يا حضرة الأمير اذا قلت لك أن الحسن البصري وشمس الدين

التبريزي والشيخ حسن العدوي والشيخ شمس كلهم يطلقون - بعرفكم - على رجل واحد .

قال لي : كيف ذلك ؟

قلت له : يلقب الشيخ حسن العدوي بتاج العارفين الشيخ شمس الدين الحسن ، وقد

عرفتموه بالشيخ حسن والشيخ شمس او الشيخ شمس الدين ، وعندما اخرجتكم

الظروف على أن تنسوا اسمه وتهملوا ذكره استعضتم عن اسم الشيخ حسن العدوي

بالشيخ حسن البصري ، وعن الشيخ شمس بالشيخ شمس الدين التبريزي .

الأمير : الآن تحقق عندي انك تعرف أساطين ديننا خيراً منا ، ولكن هل تدلني على الظروف التي أحوجتنا الى أن ننسى اسم الشيخ حسن وفي الحقيقة أرى ان اسمه لم يرد كثيراً في أناشيدنا الدينية كغيره .

قلت له : هذا سر من الأسرار البيزيدية ولا أستطيع أن أبوح به إلا بيني وبينك .
كان قد استولى على الحاضرين الوجوم واخذوا يتهامون فيما بينهم عما يكون هذا السر الذي يعرفه رجل مسلم وهم لا يعرفونه ، حال كوني لا أرى من المجاملة أن أبوح به للأمير نفسه وسوف يعده تحدياً مني على أسرته (١)

﴿ صدور الأمر باخراج مرقد الشيخ عدي من ايدي البيزيدية ﴾

وجعله من جديد مدرسة اسلامية - ذهابي الى المرقد الشريف

لأجل هذه الغاية وحديثي مع الأمير علي بك

عندما أوفدت الحكومة العثمانية الفريق عمر وهي باشا سنة ١٨٩٢ قائداً للإصلاحات في القطر العراقي ، وجاء الموصل ، كان اول عمل قام به دعوة البيزيدية الى الاسلام ، ولما رأى منهم عنقا وإعراضاً استولى على مقدساتهم ، وأخرج مرقد الشيخ عدي من أيديهم واتخذ مدرسة اسلامية ، وجعل امرها تابع الى مديرية المعارف بالموصل . وقد اختارت مديرية المعارف المرحوم امين افندي القرهطاغي ليكون مدرساً في هذه المدرسة وأخذت على عاتقها الاتفاق على الطلاب الذين يدرسون عليه .

استمر العالم القرهطاغي دائماً على التدريس في هذه المدرسة نحو سبع سنوات وهناك تنازلت الحكومة عن هذه الفكرة وأعدت المرقد الشريف الى اصحابه البيزيدية بناء على ما سبق لهم من المراجعات للاستانة . وفي عام ١٩٠٦ عندما كنت مديراً لناحية المزورية تلقيت أمراً من والي الموصل يقضي باخراج مرقد الشيخ عدي من أيدي البيزيدية وجعله من جديد مدرسة اسلامية وتعيين مدرس لها من الأكراد . وقد وقع اختياري على المرحوم سليم افندي الزاويتي ، فاستصحبته معي وذهبت الى المرقد

(١) اذ هم الذين حظروا على «الفوالين» ذكر اسمه في أناشيدهم الدينية بعد ان غضبوا منصب الامارة من اهل بيته وذلك لسكي بنسى الشعب اسمه ولا يتحدثون عنه بيننا يوجد في مجاميعهم كثيراً من هذه الاناشيد وقد أهلوا انشادها .

الشريف ، وأحضرت الأمير علي بك وأوقفته على الأمر وطلبت اليه أن يخلي المرقد من سدنته الفقراء والكواجك ، فعارض بشدة واحتج على هذا العمل المخالف للعقل والعدل ، وآخر ما قاله : اننا لا نترك معبدنا بمجرد كلامكم ، وما لكم إلا ان تخرجونا منه بقوة حرا بكم .. ولكن حادثة غريبة حدثت تلك الساعة كانت الفاصل لهذا الخلاف . وذلك أن أحد الطلاب الذين حضروا مع المدرس سليم افندي ، علا فوق صخرة (تقع مقابل عين البيضاء ، يزعم اليزيدية أن الشيخ عدياً كان يجلس عليها وهي مقدسة بنظرهم) ورفع صوته بالأذان مؤذناً بصلاة الظهر ، وأردفه بالصلوات والتسليمات المعتادة كما ان المدرس سليم افندي ورفاقه الطلاب الذين جاؤا معه - وكانوا اربعة - وأفراد الجندمة شتموا عن سواعدهم وبدأوا يتوضئون في العين البيضاء ، ثم وقفوا صفاً في الردهة المقابلة لمرقد الشيخ شمس يؤمهم المدرس سليم افندي وصلوا صلاة الظهر . وهناك رأيت السدنة يترأضون وهم حاملون ألحفتمهم على ظهورهم تاركين المرقد الى هؤلاء المسلمين الذين دنسوه بأذانهم وصلاتهم - على زعمهم - . وقد رأيت الكواجك اسماعيل (١) وهو شيخ هرم بلغ المائة من العمر يمشي الهويني ودموعه تتساقط على لحيته يريد الالتحاق برفاقه . فاقتربت منه وسألته عن سبب مغادرته المرقد ؟ أجابني : وهل يجوز لنا البقاء فيه بعد أن دنسه هؤلاء المسامون الاكراد بكفرهم ؟ . قلت له : كن واثقاً يا كرفي العزيز أن الشيخ عدياً وأولاده الذين خلفوه ومريديه علت أصواتهم بالأذان في هذا الوادي ، وأكثروا فيه الصلاة والعبادة اكثر من مائة سنة . فأجابني : إننا لا نريد أن نسمع هذا الأذان ونرى هذه الصلاة في معبدنا ، وأخاف عليك من أن تفضب الآلهة عليك وتنتقم منك وأنت شاب في مقتبل العمر ..

اما الأمير علي بك وكبير السدنة حسن فقير فلم يغادرا مكانها وقاما تلك الليلة بضياقتنا

(١) كنت اقصي الساعات الطوال مع هذا العجوز في كل زيارة تقم لي للمرقد الشريف ، وكان يقص علي فيها الواقعة الالهية التي أوقفها امير راوندوز في يزيديه الفيخان ، وتم قتل الوالي محمد باشا اينجه - بيرقدار الامير علي بك مع جماعة من زعماء الانكشارية ورؤساء الاكراد في الموقع المعروف بـ « كراب » وغير ذلك من الاخبار التي كنت أتمنى الى الاطلاع عليها . وكان هو قد أدركها وشاهدها مشاهدة عيان . وقد اخذني الاسف عندما علمت ان اهل القرية (مازديتا) الاكراد قتلوه ظلماً وعدواناً هو ويزيدي آخر اسمه (مرزا) يسكن قرية (بربر) دون ان يراعوا شيخوخته الفانية .

وقادتنا ومهما اعتذرنا اليهم فما كان جوابهم لنا سوى اتنا ضيوف على الشيخ عدي لا عليهم والواجب يقضي علينا بقبول هذه الضيافة ، وقد أتوا بكبش الى أحد أفراد الجاندرمة وطلبوا اليه ان يذبحه ليمدوه عشاء لنا لعلمهم ان المسلم يحرم ما يذبحه اليزيدي إلا ان المدرس سليم أفندي والطلاب الذين جاؤوا معه وحتى أفراد الجاندرمة أورا أكل طعامهم واكتفوا بأكل خبز ذهب أحد الطلاب وأتى به من قرية (اشكفت هندوان) المسامة .

وجاءني حسن فقير ، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب ، وطلب الي السماح بايقاد السرج والشموع في صحن الحرم الشريف وعلى القباب والطرقات والأماكن المقدسة فأجبتة الى ذلك وقت له على سبيل المجاملة ، اذا كانت لك حاجة فأني مستعد لمعاونتك ، فابتسم ابتسامة تنم عن ألم وحزن وذهب لاداء مهمته ، ومن الغريب اني وجدته تلك الليلة يكثر من اشعال الذبالات على الصخرة التي علاها المؤذن خلافا للعادة إذ لم أرهم أوقدوا عليها غير ذبالة واحدة فيما مضى حيث جعلها تشتعل نوراً وناراً الأمر الذي دلني على أنه أراد تطهيرها من الدنس الذي أصابها ، او قصد ارضاء آلهتهم من الالهانة التي أصابتهم .

وبعد ان أكلنا عشاءنا وشربنا القهوة المرة ، المرة تلو المرة ، كلني الأمير علي بك على انفراد بما يأتي :

- اني وأيم الحق لم أكن أتوقع منك هذه المعاملة القاسية وأنت كريمنا العزيز الذي نعقد عليه آمالا كبيرة للعطف على قضيتنا .

- ثق يا كريمي بأني لا أزال أتمنى ان أكون عند حسن ظنكم ، واذا لاقيتم مني عملا يخالف رغائبكم فأود ان لا نحملوه على سوء نية وقصد وتستأثرون منه ، وتعاملون اني موظف صغير ومضطرب لتنفيذ الأوامر التي أتلقاها من مرجعي .

- نعم أنا لا أجادلكم فيما تقولونه ، ولكن لماذا لم تكتبوا الي مرجعكم ان مرقد الشيخ عدي هو معبد اليزيدية المقدس وكتبتم التي يحجون اليها ، ومن الظلم الفادح اخراجه من أيديهم واتخاذة مدرسة اسلامية ، بينما يوجد مدارس اسلامية كثيرة مندرة وفي

وسع الحكومة احياءها اذا كانت رغبها منصرفة نحو ذلك حقيقة بدلا من ان تتخذ هذا المرقد المبارك مدرسة وتحرم عشرات الألوف من اليزيدية من الوصول اليه .

- ان ما تقولونه صحيح ومطابق للحقيقة والواقع ، ولكن لا يخفى عليكم اني موظف صغير ، وليس من شأني ، ولا من صلاحيتي ان أقوله ، ومن حقكم أنتم وحدكم ان تقولوه وتحتجون عليه .

- اذا سلمنا أنكم معذورون بمعارضتكم الأمر الصادر اليكم ، فلماذا لم تمنعوا هؤلاء الاكراد من الأذان والصلاة في هذا المرقد وتعلمون انه مخالف لديانتنا (١) .

- هل تمتدنون اني أقوى على منعهم من الصلاة في هذا المحل لأنه مخالف لديانتكم ؟ واذا منعتمهم هل تفكرون بأنهم ينقادون لأمرى ولم يبادروا الى تكفيرى ، والمسلم يؤدي وجائبه الدينية أينما شاء .

- اني أكرر التماسي عليكم ان تبرهنوا للحكومة على عدم امكان اتخاذ هذا المرقد مدرسة اسلامية وتقنعوها بجمعها في محل آخر غيره وبذلك تكسبون صدقه اليزيدية بأسرهم وتسدونهم منة يشكرون عليها الى الأبد .

- قلت لكم ان وظيفتي لا تساعدني على ان أقوم بمثل هكذا اقتراح على من هو فوقي ووظيفتي هي تنفيذية صرفة ، وما لكم إلا ان تتفاهموا مع والي الولاية بنفسكم وتقنعوه بفساد هذه الفكرة .

- اني أعلم جيداً ان القصد من تبليغ هذا الأمر اليكم ليس هو اخراج معبدنا من بلادنا واتخاذ مدرسة اسلامية حقيقة بل هم أرادوا ان يدعوني الى هذا (التفاهم) الذي تشير به علي ، والحق اني سئمت هذا التفاهم وسئمت الملة من ان تقوم بمساعدتي عليه - اني لم أشر عليكم باتباع هذه الخطة الا حرصاً على مصلحتكم وقد تحقق عندي ان الحكومة تعتمد التمدي عليكم .

وبعد حوار طويل قنع بالذهاب الى الموصل للتفاهم مع الوالي وقد وعدته ان لا أقوم

(١) اليزيدي يستنكر سماع الأذان ويجنب المرور من جوامع المسلمين . من ذلك ان الامير علي بك كان اشترى دار محمد العفاس المطل على جامع الشيخ ابي العلاء بالموصل بالولاية عثمانية ليقم فيه عندما يحجى الى الموصل . ولما سمع صوت المؤذن من الجامع ترك الدار ولم يسكنه .

بعمل يزعمهم ما لم يعد من مهمته وبعد مضي ستة ايام عاد من الموصل حاملاً أسراً من الوالي (١) يقضى بلزوم المحافظة على الحالة القديمة في مرقد الشيخ عدي وترك الحرية التامة لأصحابه البيزيدية في اجراء شعائرهم الدينية وهكذا انتهت المسألة .

﴿ الاجتماع البيزدي متنصر في مرقد الشيخ عدي ﴾

جمعتني الصدف في عيد الجماعة في مرقد الشيخ عدي برجل مسيحي عليه مسحة من الدين ، وهو على ما ظهر من حديثه ولهجته وهندامه انه من أهل لبنان ، وقد اكثر السؤال مني عن عقائد البيزيدية وعاداتهم وتقاليدهم وصفوفهم الروحية ، وكنت أفيض له بالمعلومات عن ذلك ، وفي اليوم الثاني بيننا كنت على أهبة الرجوع الى الموصل طلب الي ان أصحبه معي في سيارتي فلبيت طلبه بالرغم عن ان السيارة كانت مثقلة بالرفاق . ولما وصلنا الموصل طلب الي ان أضرب له موعداً ليفضي الي باخبار مهمة لم أكن في غنى عنها . وفي اليوم الثاني جاءني في الميعاد الذي ضربته له وأول كلمة فاه بها بعد ان أخذ محله : هل تعلم يا سيدي اني لم أكن مسيحياً بالأصل كما علمته مني بالأمس ، بل من اولئك القوم الذين احتفلت بعيد جماعتهم ؟

قلت له : وقد أخذني الحنق عليه ، اذاً ما كان أغناك عن تلك الأسئلة التي القيتها علي وأنت أدري مني بها ؟

قال لي : لا وهم الحاضرين من البيزيدية باني لم أكن منهم .

قلت له : وما هي مصلحتك في ذلك ؟

قال لي : نعم اني كثيراً ما اضطربت وساومتني المخاوف عندما كنت أرى أقربائي في

(١) اني لا ازال احتفظ بهذا الامر الذي هو بمثابة وثيقة تاريخية لها علاقتها بتاريخ هذه الطائفة ، وهذه صورته :-

مزوري ناحيه مي مدير لکنه

فتونلو افندی

شيخ عدي حضر تريتك مرقد مبارکاري من القديم يزیدی طائفه سنک محمل عبادتي اولسنه نظراً مدرسه اسلاميه به قليله الزندن اخراجي موافق اولديفي ملاحظه ايندليكندن حالت قديمه به مراعاتا يزیديلرك النهه ابقاسيله مراسم دينيه لريتک اجر اسنده سر بست برافلمری توصيه اولنور .

ذلك الجمع الحافل وأنا أعرفهم جميعاً وهم لا يعرفونني ، وقد ازدادت مخاوفي عندما ناوطني ابن عم لي لفافة تبغ وهو يحدق في حتى خيل لي انه سيأخذ بتلابيبي ويرميني على الارض ويدوسني تحت قدميه وأنا ذلك الذي فارق دينه وألحق بأسرته طاراً لا يحصى .

قلت له : هل بوسمك ان تعلمني من هم أقاربك ؟

قال لي : اني من أسرة شيوخ الشيخ ... و ... هو عمي و ... هو أخي .

قلت له : كيف فارقت يزيديتك واهتديت الى هذا الدين ؟

قال لي : تعلم يا سيدي ان الشريعة الزيدية أباحت لاسرتنا وحدها التعليم دون الزيدية قاطبة ولذلك فقد كان من الطبيعي ان أتعلم القراءة منذ صغري ، وحيث جرت العادة عندنا ان يكون التعلم بالقرآن الكريم فقد كانوا يحذرونني من قراءة الكلمة المنوعة فيه بحجة ان قراءتها كفر وخروج من الدين ، قلت لعمي مرة : اذا كان قراءة هذه الكلمة كفر لماذا أدخلوها في القرآن ؟ فانهرتني وهددني بالضرب اذا عدت وتكلمت بمثل هذا الكلام مرة اخرى ، الا اني والحق لم أحفل بتهديده وأخذت أبحث عن السر في تحريم هذه الكلمة وأخذت استظهرها هي وكلمات اخرى تشابهها ، ولم أزل أرددها على لساني عندما لم يكن احداً قريباً مني .

وفي ذات يوم وأنا مع اخي الشيخ ... بالموصل سمعت أناساً كثيرين يرددون هذه الكلمة من مسلمين ونصارى دون احتراز وتقيد قلت لأخي : ألا ترى هؤلاء الناس كيف يلفظون هذه الكلمة جهاراً ولم يؤنبهم أحد عليها وينهاهم عنها ؟ قال لي بغضب وحدة : ما شأنك وهؤلاء ؟ وهل تريد ان تكون كافرأ مثلهم ؟

وهناك أخذ يترأى لي أن في الأمر سرأ غامضاً ولكن عقلي الصغير لم يساعدي على فهمه . اذ ما معنى أن جميع ذوي الأديان من مسلمين ونصارى ويهود يلفظون اسم « الشيطان » ويذكرونه بالملق والازدراء ويستعيذون منه ومن شروره وهذه الشرذمة القليلة التي يعبرون عنها بـ « الزيدية » تحمل له منتهى الاحترام وتتحاشى عن ذكر اسمه . وهي على قول الشاعر :

بمثلك الحب الشديد لناظري
فأطرق اجلالاً كأنك حاضر

ثم هل من المعقول أن يكون البشر قاطبة على الضلال في نظره الى هذا المخلوق وتوجيه اللعنة اليه صباح مساء ونكون نحن البيزيدية على حق واصابة في اتخاذنا إياه معبوداً وعكوفنا على عبادته؟ وكما اتسعت مداركي وأخذت أدرك كنه الأشياء وحقائقها ازدادت شكوكي وأوهامي في هذا المعبود وبدأت أشعر في نفسي حاجة للابتعاد عنه . كنت قد بلغت الثامنة عشر من العمر ، ولم يبق لذوي علي تلك السلطة القاهرة وكنت أتردد الى الموصل وهي كما تعلم على بعد ثلاث ساعات عنا ، واجتمع بشبان النصاري والمسلمين وأصغني الى أحاديثهم ، وأستوضح منهم ما عصي علي فهمه في كثير من المسائل وكانوا يجابوني عليه . وقد ذهبت مرة مع صديق لي مسيحي الى الكنيسة وشتان ما ظهر لي من البون بين عبادتهم التي كانت تفيض هيبة وجلالا ، وعبادتنا الآله المصنوع من النحاس - ذلك الآله الذي يحمله القوالون في حقيبة على اكتافهم ويدورون به في القرى والجماعات ويرقصون له ويغنون له ويرغمون المسلة على إعطائهم دراهم له .

خرجت ذات يوم من قريتي (٠٠٠) مصمما على أن لا أعود اليها ، والحق اني كنت قد هيات أسباب سفري الى خارج العراق ، ولكن الى أين؟ لا أدري . فاستشرت صديقي المسيحي فأرشدني الى الذهاب الى ماردين حيث ألتقي راحتي في «دير الزعفران» وأجد ضالتي المنشودة هناك ، وزودني بكتاب الى أحد معارفه في الدير . وهكذا كان فقد سافرت الى ماردين والتجأت الى الدير ، فتلقيت فيه مبادي العلوم وقرأت دروساً في علم اللاهوت ، فاستنارت مداركي ، وانكشفت عن عيني حجب الأوهام والأضاليل ، وهدأت الثورة العنيفة التي كانت تثور في نفسي . وبعد خمس سنوات تركت الدير وذهبت الى جبل لبنان ، ودخلت ديراً للمارونيين ، إلا اني مللت حياة الترهّب فتركت الدير وأخذت أبحث لي عن عمل أرزق به ، وأخيراً اهتديت الى أحد المحلات التجارية وأخذت أعمل فيه ككاتب لقاء راتب يسد حاجتي وزيادة . ولا أكتفك أن طول الاغتراب أخذ يؤثر في ، فأتيت الموصل ، وها أنا مقبم فيها منذ أكثر من شهر وسأعود الى لبنان بعد أيام قلائل .

قلت له : وما الذي حدا بك الى الذهاب الى مرقد الشيخ عدي في هذا الموسم الذي يجتمع فيه مئات اليزيديين ولا يخلو من أن يعرفك واحد منهم ويلحق الأذى بك ؟ قال لي : أعلم ذلك جيداً يا سيدي ولكن الانسان مها يفارق دينه ويقطع كل ماله صلة بأهله وذويه ، فلا تزال عاطفة الحنو تجيش في نفسه نحوهم ويريد مشاهدتهم ، وقد ذهبت الى مرقد عدي مدفوعاً بهذه العاطفة ليس إلا ..

قلت له : أخاف أن تكون هذه العاطفة التي جاشت في صدرك وملأت مشاعرك وحواسك فيها شيء يتجه نحو ديانتك القديمة ، نحو ذلك المعبود النحاسي الذي كنت تعبده ، وكنت كلما تجولت في مرقد الشيخ عدي بين تلك الطول البالية والآثار الدارسة وكما عرجت على مرقد الشيخ عدي وعانيت هـلاله الذهبي ، وتقيأت أشجار التوت الباسقة قرب عين البيضاء ، ووقفت على حوض ماء زمزم المبارك وشاهدت العذارى يغتسلن فيه كنت تتمثل بقول الأحوص :

يا بيت عائكة التي اتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل
اني لأمنحك الصدود وإني قسا اليك مع الصدود لأميل

قال لي : محال أن يكون شيء من ذلك ، ولو أن في نفسي شيئاً من تلك الديانة لما كان لي مانع من أن أعود اليها نادماً مستغفراً . قال ذلك وفي نفسي شك من صحة ما قاله .

✦ رحلتي الى طور عابدين (١) ✦

أشرت في محل آخر الى الرحلة التي قمت بها الى (طور عابدين) مع كريف لي من يزيدية سنجار يدعى الفقير « زبدن » من قرية بردحلي قصد الاطلاع على عادات سكانه اليزيدية وأخلاقهم ومشاربهم . وكنت أعتقد ان مصاحبة (فقير) في هكذا رحلات بين قوم مها بلغت فيهم الوحشية والمهجية يجب ان تكون سالمة من الخطر وذلك بالنظر

(١) تفيد كلمة (طور) بالنبطية (معنى الجبل وتضاف الى اسماء اخرى فتكون علماً لبعض الجبال . كطورسينا ، وطور زينا . وقد ورد في (شرقنامه) باسم (طور) وحده وهو من ام المراكز الكردية وقام فيه امارات كردية ذات شأن . وفي قاموس الاعلام : انه سمي باسم مدينة تدعى (عابدين) في سفح جبل جودي قريباً منه .

لما للفقير من مكانة عندهم، إلا ان الأخطار التي لاقيتها دلتي على خلاف ذلك، وللقاريه
الكريم بيانه :

في اليوم الثامن من شهر نيسان ١٩٠٠ غادرت وكريفي البيزيدي جبل سنجار من طريق
(كوهبل) وتوغلنا في صحراء نصيبين الواسع الأرجاء ، وفي المساء وصلنا مخيم أحد
رؤساء عشيرة الشيتية الكردية وهو (المصطفى) وزلنا ضيوفاً عليه . وقد أحسن
وفاؤنا وبالغ في إكرامنا بدرجة تفوق الوصف والمصطفى هو من اشتهر بكرمه وسخائه
بين عشيرته في ذلك العهد ، وفي صباح اليوم الثاني واصلنا سفرنا الى الطور ، وبعد
منتصف النهار أخذنا نتسلق هضابه الجرداء ، وكان الطريق الذي سلكناه ذا تماثيلج
والتوآآت وأودية ومنحدرات سحيقة ، وجوادي بمشيبي الهوينا مخافة ان تزل رجلاه
ويهوي بي في أحد هذه الأودية . وهناك مالت الشمس نحو الغروب ، وأخذت تلك
الجبال الصامته منظرأ مرعباً ، واستولى علي الخوف ، وتذكرت ما قاله لي (المصطفى)
في الليلة الماضية من أني سوف لا أكون مبتهجاً من هذه الرحلة . سألت صاحبي الفقير
متي نصل أول قرية من الطور ؟ أجابني : بعد قليل ، ولم تساعدني أفكار القلقية
وهواجسي المضطربة من الكلام معه أكثر من ذلك ، ولا أدري هل أنه كان مثلي يحس
بوحشة هذه الطريق ، أم كان فكره مشغولاً في الدرامم التي يريد جمعها من مريديه الذين
لم يأتهم منذ العام الماضي .

وبعد ان أوت الشمس الى مضجعهما - وإن شئت فقل أكلت دورتها عن نصف الكرة
التي نعيش عليها وأخذت تضيء عوالم اخرى غير عالمنا - وصلنا قرية تسمى (آفشين)
ومعناها (الماء الأزرق) وحللنا ضيوفاً على رجل اسمه (جروك) كبير هذه القرية ،
وأدخلونا خيمة صغيرة ممزقة وقد رفعت على عمد واحد ، وأردت ان أرمي نفسي على
فراش وجدته فيها طلباً للراحة من التعب الذي أصابني في الطريق ، فجدني أحدهم من
يدي وأمرني بالانتظار ريشاً يأتون بفراش لي ، وهناك جاؤوا لي بفراش قدر رث لا
يصلح ان يكون جلا للحمير ورماه في جانب من الخيمة وأمرني بالجلوس عليه . قلت في
نفسي هذه أول بادرة من بوادر (عدم الابتهاج) الذي أنذرنني المصطفى به .

سألني مضيفي : هل جئت لشراء خرافنا ؟
قلت له : لم أكن قصاباً ولا تاجراً بل جئت مع كربي الفقير لأجل زيارتك .
قال لي : وماذا تبغي من زيارتنا ؟
قلت له : التعرف اليكم وإيجاد صلة صداقة بيني وبينكم إذ لعلني أحتاجكم في أحد الأيام
أو محتاجونني .

قال لي : وكيف لنا ان نصدق بأنك لم تقصد بنا شراً من هذه الزيارة ؟
قلت له : ثق يا كربي العزيز بأنني لست بمن يقصدون الشر بأحد ، وكيف لي ان أقصد
بكم الشر وأنا رجل موصلني بعيد عنكم ولا علاقة لي بكم ؟
وهنا تكلم صاحبي الفقير الذي ساءني سكوته بقدر ما ساءني هراء هذا الرجل وقال :
ان فلاناً (مشير إلي) له صداقة مع كافة رؤساء سنجار ويحبونه جميعاً ويحبهم ، ولم يفه
بكلمة اخرى غيرها .

وبعد برهة وجيزة أتى صبي بقصعة فيها شيء من الحساء مع رغيف من خبز الشعير
ووضعه أمامي وقال لي بصفة الأمر : كل عشاءك باسم طاؤوس ملك ! فلم ألتفت اليه ،
وأخذت أحتمي الحساء بنهم زائد وقد بلغ بي الجوع غايته . ولما فرغت من الطعام ،
جاء الصبي ورفع القصعة ووضعها أمام كلب كان قد ربض أمامي فأكل البقية باشتهاء
أكثر مني . وقد توثقت من أنهم أنصفوني حقاً ولم يشركوا الكلب في الأكل معي ،
وأنا ذلك المسلم المنبوذ في نظرهم .

سألني مضيفي : ما هو جنس جوادك ؟ .

قلت : لم يكن من الجياد الأصيلة .

قال : بكم اشتريته ؟

قلت : هو لصديق لي يزيدني من أهل سنجار ولم أدر بكم اشتراه .

وفي الصباح منحته مجيدين مع كمية من السكر والقهوة وطلبت منه أن يأت بجوادي
لكي نساfer .

قال : إنني لست بمعطيك إياه وقد أخذته لقاء حمار لي كان قد سرقه رجل مسلم مثلك

قبل عامين .

قلت : وما علاقتي بهذا السارق ، وما هي الرابطة التي تربطني به ؟
قال : كلاهما مسلمان ولا فرق بينكما .

وعندما لم يبق لصاحبي الفقير صبر على وقاحة هذا الجلف ، أخذ يكلمه بكلمات قارصة
وشتمه على عمله هذا الذي عده انتهاكاً لحرمته وانتقاصاً من حيثيتي وأنا كريفه الذي
يقضي عليه الواجب بالمحافظة عليه ورفع الأذى عنه ، ورمى قبعه على الأرض قصد
استنزال الغضب عليه . ولكن الرجل قابله ببرودة زائدة ولم يعبأ به . وبعد أخذ ورد
دام أكثر من ساعة أعطيته ثلاث مجيديات ثمن سماره الذي سرقه رجل مسلم مثلي منه
قبل عامين وغادرنا قرية آفشين بعد ان كدت أذهب أنا وجوادي ضحية تمرد هذا
الرجل الخبيث .

قلت لصاحبي الفقير ونحن في الطريق : هل كل ما سنلاقيه من الجيالكين - سكان
جبل الطور - في تجولنا بينهم هكذا ، لا يخلو من اخطار ومخاوف ؟ فأشار لي برأسه
إشارة لم أدر ماذا قصد منها الانكار ام التصديق ، إلا أن آثار الغضب كانت باقية
على أسارير وجهه . ولماذا لم يغضب وهو مسؤول - إن لم يكن مادياً - فأديباً عن الاعتداء
الذي يلحق بي طالما أنا معه وتحت حمايته ؟

وبعد نحو ساعتين وصلنا قرية « شوشاني » وكانت الطريق التي سلكنهاا وعرة جداً
وجوادي الذي بات خاوياً ، صار لا يمشي بقوة ونشاط كذي قبل بحيث صرت أخشى
أن يكبو بي ويكسر عظامي وأنا على كثرة تعودي على الأسفار والتجول في البراري
والقفار ، كثير الوهم ، شديد الخوف من امتطاء الجياد ، وما امتطيت جياداً إلا وهلع
قائي خاصة اذا كان الطريق وعراً كطريقنا الذي سلكناه .

ولم أكن في « شوشاني » أحسن حالا من « آفشين » فقد أجلسوني على فراش
على حدة واجتنبوا مؤاكلتي واستمعوني كلمات قارصة لا لشيء سوى كوني مسلماً ، وكم
كنت أزعج عندما يوجهون إلي بعض الأسئلة التي يقصدون بها الهزوء بالاسلام ،
وكنت أجدني مضطراً لحجابوتهم بما كان يرضيهم ويثابج صدورهم ، وكانوا يرمون فضلة

طعامي للكلاب كما فعلوه في (آفشين) . وافق مرة أنهم رموا فضلة طعامي أمام كلب
فشمه مرة واخرى وبال عليه ومضى ، فضحكوا وضحكت معهم قال لي أحدهم: أرأيت
كيف أبى هذا الكلب ان يأكل فضلة طعامك ؟ قلت له : نعم وهو يتنجس من المسلم كما
تتنجسون أنتم منه . وهمت ان أنوسم في الكلام معه وأعترف له بأنهم محقون بعمامهم
هذا مع المسلم ، بعد ان كان هو الذي بدأ به معهم ، وهو الذي عددهم نجسين واجتنب
مؤاكلتهم ، إلا أنني آليت على نفس ان لا أحدث معهم بأي موضوع خوفاً من ان
يعثر لساني بكلمة تثير غضبهم وهناك يتحقق الخطر الذي كنت أخافه .

وقد عولت على الاصفاء الى حديثهم وحوارهم بدلا من الكلام معهم ، إلا ان حديثهم
كان كله هراء تمجده النفس وتتهزز منه الروح ويمكنني ان أحصره في كلمتين : المساومة
بالنساء ، والمفاخرة بالدعارة .

.....
.....

حوار تأباه الغيرة وتنكره الآداب ، يمثل لنا درجة انحطاط هؤلاء القوم وانفاسهم في
الهمجية التي كان عليها البشر في دوره الابتدائي . وبماذا يتميز هؤلاء الوحوش عن
الاقوام قبل التاريخية ، وهم يتيهون في الجبال ، ويسكنون المغارات التي تحتها آباؤهم
الاولون ، وهم جماعات مبعثرة ، يغيرون على بعضهم بعضا ويعبثون فساداً في الأرض .
وهل كانت البشر في العصور المظلمة على غير هذه الحالة ؟ وألم تكن المرأة لديهم متاعاً
مشتركا بين افراد القبيلة الواحدة دون ان يحسروا بماطفة الغيرة عليها ؟

أما انها كهم بالصوصية والدعارة ، فن لم يسبق له منهم ما نر بارزة فيها ، يرمونه بالجبن
والندالة ويحتقرونه واذا كان له زوجة تزدرى به وتسمى باستبداله بغيره ، وقد سمعت
خلال الاليالي الثلاث التي قضيتها بينهم من أحاديث الدعارة ما اقسع جلدني منه فرقاً
وخوفاً وأخذ الرعب يدب في ولم أكد آمن على حياتي ، وقد زاد خوفاً في الليلة الثالثة
التي قضيتها مضطربين ، إذ عندما كنا أزمعنا على السفر في صباح اليوم الثاني لم أجد
حصاني في محله ولما سألت صاحبي الفقير عنه قال لي لا أدري ، وقد علمت ان مضيفنا

عرضت له حاجة في محل قريب وقد أركبه أحد أقاربه وأرسله لقضاها ، وقد اختار
الفقير زندين الصمت وأخذ ينتظر معي رجوع الجواد ، وربما انه أراد ان يؤنبهم على
عملهم هذا غير المألوف إلا انه رأى السكوت أوفق لمصلحتنا . ومضى النهار ولم يظهر
للجواد أثر فقال لي صاحبي اننا سنضطر على المبيت هنا هذه الليلة ، قلت له لا بأس في
ذلك ولكن هل تؤمل رجوع الجواد ؟ أجابني : سنرى . وقد أمضيت ليلتي على أحر من
الجر لما كان بخالجي من الوهم من ان يغدر أحدهم بي وماذا يهمهم قتلي واعتقادهم في
قتل المسلم كاعتقادنا ونحن صغار بأن من قتل سام أبرص تخضر يده يوم القيامة ؟ ومن
منهم لا يطلب أجر الدنيا وثواب الآخرة في قتل مسلم ليس له قيمة بنظرهم اكثر من
سام أبرص ؟

تزامت هذه الافكار في مخيلتي وكدت أجن منها لولا ما كنت أعلل نفسي بأني في
حماية فقير يرون من الواجب الديني حرمة ، ورعاية الشخص الذي أتى به معه ، ولم
يدخل جنفي الكرى الى قريب الفجر ومها كنت أريد طرد هذه الأوهام والوساوس عني
كي أنام ساعة او ساعتين ، وأمامنا سفر طويل يحتاج الى شيء من النشاط والقوة ، لكن
البراغيث كانت تلذعني لذعاً موحماً وتزيد في تعذبي وايلامي وارقى .

وكأنما تملت البراغيث من دمي وأصبحت لا تعي من فرط سكرها وأرمت في الازبال
والاقدار التي نشأت فيها وغلب على النعاس وكدت لم أذق طعمه منذ أول الليل ، واذا
بطلق ناري يرتج منه الفضاء يوقضي من نومي ، فارتعد جسمي من هولاء وظننت انه
خرق أحشائي ، او لم تكن النتيجة التي أتوقعها طلق ناري ، او خنجر يغمده في أحشائي
أحد هؤلاء الاوغاد لتخضر يده يوم القيامة ؟

تملمت في مضجعي فلم أجد ما يميقي عن الحركة ، فسكنت أعصابي نوعاً ما وأخذت
أبحث عن هذا الطلق الذي وقع قريباً مني ، واذا بضجة عالية تثيرها النساء ، والرجال
تمدو كالدواب حاملين بناذقهم . قمت من محلي وقصدت المكان الذي اجتمعت فيه النساء
وهن بصرخن ويولولن ، فوجدت مضيبي في فراشه مضرجاً بدمائه وقد فارق الحياة .
كان صاحبي الفقير واقفاً على بضع خطوات عني فتقدمت منه وسألته عما حدث أجابني

ان مضيغنا له أعداء كثيرون وقد جاء احدهم الى هنا خلصة وقتله كما ترى ، قلت له :
وما سيكون وضعنا تجاه هذا الحادث ؟ قال لي : سيكون كما هو ، قلت له : ألم تفكر
بأنهم سيتعرضون لنا ؟ قال : وما علاقتنا في الامر ؟ قلت له : وهل ان أعمال هؤلاء
الوحوش تنطبق على قاعدة او اصول ؟ قال لي لا تفكر بهذا طالما أنا معك . . . بيد اني
لم أكن واثقاً من صحة ما يقوله ، وقد تحقق عندي انه لا يستطيع ان يدفع أقل أذى
عنى منذ أخذ كبير قرية (افشين) مني ثمن حماره الذي زعم ان مسلماً مثلي سرقه منه
قبل عامين ، قلت له أرجح مغادرة القرية الآن ، قال لي : وهل أنت مصر على ذلك ؟
قلت : نعم ، قال : فلنسافر إذن ، وكانوا قد أتوا ليلاً بجوادي وربطوه في محله ، إلا انه
قد هزل بدرجة لم يستطع معها ان يحملني ، وكيف لا يهزل هذا الحيوان المسكين ولم
يذق طعم العلف منذ اليوم الذي حللنا فيه الطور ؟ وقد قاسى أتعاباً مضمينة لم يقاسيها
حيوان آخر غيره ؟ بيد اني كنت اعتقد ان المزعجات التي لاقيتها لم تخل من نحوسته ،
ولبعض العرافين الذين يمارسون طباع الخيل من بدو العرب آراء خاصة في سعدها
ونحسها لا يسع الانسان التصديق بها .

غادرنا (شوشاني) وأخذنا نسير ، ولكن الى أين ؟ لا أدري . قلت لصاحبي : ما
رأيتك في العودة الى سنجار ؟ قال لي : هذا أمر يعود اليك . قلت له : اني أرجح العودة
الآن . وهناك ترك الطريق التي سلكنها وعرج بنا الى طريق اخرى وواصلنا سيرنا
بقلب مغمم بأمل الرجوع سالمين الى سنجار . وكنت تارة أقطع الطريق ماشياً وتارة
أركب بغلة كريفى الفقير وذلك لان جوادي كما ذكرت قد اصبح من الضعف والهزال
بدرجة لا يستطيع معها حملي . وما أشد سرورى عندما تركنا (الطور) وراءنا ودخلنا
صحراء نصيبين . وعند المساء وصلنا مخبأ لعشيرة (الشيتية) يرأسه رجل اسمه (ملك)
فبتنا عنده على الرحب والسعة وبالغ في إكرامنا ، وفي مساء اليوم الثاني وصلنا سنجار
بعد ان كنت قطعت الأمل في الرجوع سالماً اليها .

« تنمة » - مما يجب ان أسجله هنا ان هذا الجواد الذي شاركني في هذه الرحلة
المشؤومة وتحمل معي آلام الجوع والتعب والشقاء ، هو لكريف لي من يزيدية سنجار

وهو خلف بن الياس بن خضر محمد كهية ، وأبو عطو خلف زعيم الهبابات . ولم ينفك
شؤمه عن ملازمة صاحبه الى ان ساقه الى الموت ، إذ قتل في معركة جرت له مع صالح
محمد عبدو رئيس قزلكند وهو راكب عليه . وقد لاقيت الموت وجهاً لوجه في مرافقتي
له في إرحتني الى (طور عابدين) ولكن حظي غلب شؤمه !

﴿ بحث خطير مع الأمير سعيد بك بن علي بك ﴾



الأمير سعيد بك

اعتاد أمير الشيخان (سعيد بك) ان يسهر الى آخر الليل وربما يطلع عليه الفجر وهو
جالس بين أزواجه وأصدقائه من اليزيدية الذين يأنس بهم ويشق اليهم . واذا غلبه النوم
لم يكن ليعتمد على حراسته أحد غير زوجته (شمي) بنت حسين بسير ، فكانت تحشو

بندقيتها وتقف على رأسه الساعات الطوال الى ان ينتبه من نومه ، وقد يعزو البعض ذلك الى ما يخالجه من الخوف من أعدائه الكثيرين ويفتالونه تحت جنح الظلام كما اغتالوا أباه قبلا ، وفي ليلة اشتدت أرياحها واحلوا لكت ظلماتها ، وهطلت أمطارها وأنا في قصر الإمارة نائم في الحجر المظلمة على الوادي إذ بأحد يطرق الباب طرقا خفيفا فانتبهت من نومي وفتحت الباب فإذا بالأمر سعيد بك ، فدخل وجلس على كرسي قريب مني وخطبني بقوله : لقد أزجتك في زيارتي لك بمثل هذا الوقت من الليل ، قلت له : كلا وأنا سعيد بهذه الزيارة التي أوصلتني ان يساعدي الحظ وأسدي لك خدمة يكون لك نفعاً من ورائها قال لي : اني لا ازال أرقب فرصة تمكنني من الاجتماع بك لابوح لك باشيء طالما تحتلج في خاطري ، والآآن جئتك لاجل هذه الغاية ، فأود ان تصفي الي وتشير علي بما يجب علي عمله ، قلت له : تفضل وأنا مصفي الي كل ما تقوله ، قال تعلم اني وليت هذا الأمر صغيراً ولم اكن قد بلغت الحلم ، وكانت أمي التي هي بمثابة وصي علي تدير اعمال الامارة بدلا عني بكل روية وكياسة .

ولما كبرت أخذ البعض من زعماء الملة بمن لم يرق لهم البقاء في معزل عن التدخل في شؤون الامارة يطلبون الي أمي التخلي عن اعمال الامارة وتركها لي بصفتي الأمير الشرعي الذي لا يحق لأحد غيره النظر في شؤون الملة الدينية والدنيوية . وقد نزلت أمي عند رأي هؤلاء المخالفين وتوليت الأمر بنفسي . وهناك وجد هؤلاء المخالفون لهم مجالاً لمقاومتي بشنى الطرق والوسائل ورموني باشيء لا صحة لها . وقد كان من جراء ذلك ان افتتح باب المعارضة والاختلاف بين الملة على مصراعيه وسقطت هيبة الامارة وابتعد عنا اصداقنا المخلصون ، إلا افراداً قليلين بقوا محافظين على صداقتهم وولائهم . فأجبتهم : اني لا زلت منذ زمن اريد ان اباحثك في هذا الأمر ، إلا اني اتجنبه لثلاث أسباب : أرى بالتدخل في ما ليس من شأني ، وطالما انت احببت ذلك فأقول لك ان الملة ليس من شأنها ان تقاوم اعمالك وترميك بما يحط من كرامتك بوقت من الأوقات ، وجل رغبتها في ان يكون لها امير فطن حازم تعزبه وتنصوي الي رايته ، واية فائدة تجني من وراء مقاومتها اعمالك ، والشريعة قضت عليها ان تخضع لأمر سواء أأنت كنت ام

غيرك؟ نعم يجوز أن يظهر أحد من بيت الامارة وينازعك على منصبك كما وقع غير مرة إلا ان الملة ليس من اختصاصها التدخل في أمور كهذه ولها أن تلتزم الحياد وتجتنب عن كل ما يفرها ، ويجوز لها أن تدافع عنك فيما اذا كانت تمتد الصلاح في احتفاظك بمنصبك . أما اذا كانت الملة نفسها مستاءة منك وترى بقاءك أميراً عليها مضر بمصلحتها فلا شك أنها ستبحث عن غيرك ممن يوفي هذا المنصب حقه من هذه الأسرة وتعاضده في اسقاطك من هذا المنصب .

- إني لم آت على عمل يضرب بمصلحة الملة حتى تستاء مني وتعاضد غيري على اسقاطي من مناصبي ، وغايتي الوحيدة الترفيه عليها ونيلها نصيبها من السعادة والراحة والهناء ، ولي على ذلك أدلة لا يستطيع أحد إنكارها إلا الذين أعماهم الحسد والغرور ..

- إن كل أحد يا عزيزي يرى في نفسه الكمال المطلق ، ولا يرضى بالانتقاد الذي يوجه اليه مهما كان حقاً . فكيف اذا كان مثلك زعيماً دينياً مطلق الارادة والتصرف وقد عودته التقاليد الدينية على أن يرى خضوع كل أحد من أفراد شعبه واجباً عليه وهو لا يرضى بانتقاد أحد ممن هو دونه وينكره عليه وربما يرميه بالكفر من أجله . أما إذا كان الانتقاد من أحد مثلي لا يهمه سوى مصلحتك ، فالواجب يقضي عليك بان تقبله قبولاً حسناً وتعمل به ، واجتماعك بي في مثل هذا الوقت من هذه الليلة معطوف على هذه الغاية . أليس كذلك ؟

- نعم !

- إسمح لي اذن أن أقول لك أن الشعب مستاء منك لسلوكك الذي لا يراه يلتئم والتقاليد الدينية اليزيدية ، ينتقد أعمالك التي خالفت بها من سبقك من الأمراء من الناحية الدينية والدينية . والشعب اليزيدي الذي يتمسك بديانته الى أقصى حدود التمسك لا يرضى من أميره أن يتحدى القوانين الدينية الى هذا الحد .. إن الحقيقة مررة ولا يرضى كل أحد بها . ولذا اذا صارحتك بالحقيقة ، أود أن لا تؤاخذني . والصراحة هي الداء الناجع لك .

- تفضل وقل ما يبدو لك وستجدني كلي آذاناً لما تقوله ، واني لم أزججك بزيارتي هذه

الليلة إلا لأسمع منك ما فيه صلاح أمري، ولو لم آانس فيك مودة نحوي لما أوقفتك على دخيلة نفسي .

- إن الرأي العام اليزيدي مستاء منك من وجوه عديدة ويمكنني أن أحصرها في ثلاث أمور ، الأول : تبذيرك الخيرات والصدقات التي تصل اليك من طريق (السنجق) وصرفك إياها في غير موضعها . الثاني : استبدادك في حل مهام الأمور التي تتعلق بالشعب ولم ترض بمشاركة ذوي العصبية القوية لك بالرأي . وقد تركتهم وراءك ظهرياً واعتمدت على أناس لا قيمة لهم . الثالث : اصرارك على اتباع بعض الأعمال التي أصبحت مضرة بالشعب ولم ترد أن تحيد عنها . وها إنني آين لك هذه الأمور واحداً فواحداً لتتأكد من صحة ما قلته لك :

فتبذيرك الخيرات والصدقات وصرفك لها في غير موضعها ، لا تستطيع أن تنازع فيه . فانت يدخل عليك بالسنة ما لا يقل عن خمسة آلاف دينار من بدل ضمان (السنجق) وإيجار القباب في مرقد الشيخ عدي والنذور والخيرات والهبات والصدقات التي تصل اليك من ذوي الوجاهة واليسار من الملة وأنت غارق في الديون وقد يعجزك في أكثر الأوقات تدارك دينار واحد ، فإذا أرادت ان تحاسبك الملة على هذا المبلغ الجسيم الذي يدخل عليك كل سنة وتساءلك في اي مشروع خيري او عمل اصلاحي أنفقته ، ماذا سيكون جوابك لها ؟ ان الملة تعطيك هذه الخيرات والهبات والعطايا بصفتك قياً على مرقد الشيخ عدي على ان تنفقها على عمارة مرقد ، واطعام الزوار الذين يؤمونه من مختلف الأنحاء ومساعدة الفقراء والمعوزين من أفراد الملة ، والترفيه على المحتاجين من أسرة الأمراء، فهل تستطيع ان تؤيدي اتفاقك فلساً واحداً في هذا السبيل ؟

ان المرقد المبارك قد آل الى الخراب ، ولم يبق فيه حجرة واحدة معمورة ولا جدار قائم ولم يعنك أمر اصلاحه ، وكم أشرت عليك باحداث بناء في احدى جوانب المرقد يقتصر على اربعة غرف وردهة لاقامة الزوار الأجانب وذوي الوجاهة من الناس الذين يأتون من الأماكن البعيدة للزيارة والتفرج وأنت تشكو قلة المال ولم تحدث شيئاً وهذا نقص كبير تعاتب عليه .

ثم بينما لم يكن التقليد الجاري يحيز ان يصنع الزوار من الزيدية طعاما لهم مدة إقامتهم في المرقد ايام الزيارات بل ان يكونوا ضيوفا على الشيخ عدي ، فقد أبطلت هذه القاعدة ولم يأت زائر إلا وطعامه معه ، وأبطلت كذلك عادة إطعام سكان قصر الأمانة من افراد الأسرة ومنعت اعطياتك عنهم الأمر الذي أدى الى وقوعهم في خراب الفقر والحاجة وأنت لا يهملك أمرهم حين ان تأمين إعاشة أفراد الأسرة والترفيه عليهم هو واجب ألزمتك التقاليد الدينية به ، وقد حافظ الامراء الذين سبقوك على هذا الواجب ولم يسبق ان شكى أحد أفراد من أسرتم جوعاً وفقرآ على عهدهم .

ان الشريعة التي إئتمنتك على هذه الموارد الجسيمة لم تمنح لك التصرف فيها كما تشاء وتنفقها في سبيل الأعمال التي حظرها عليك ، بل لك ان تختص منها بما يكفي لادارة بيتك والبقية تنفقه في وجائب أخرى عينتها لك ، منها ما ذكرته لك ومنها ما لم أذكره ، أما اذا خالفت ذلك فتكون قد خالفت التعاليم الدينية وهضمت حقوق شعبك وأسأت اليه ، وشعبك الذي هو بمثابة دافع ضرائب ينتظر منك ان تقوم بوجائبك نحوه ، وأنت لم تفعل ذلك .

أما عدم اعتمادك على وجهاء ملتك واستعاضتك عنهم بمخالات من الناس ووضعك ثقتك فيهم ، فهو من أقوى الأسباب التي أدت الى امتعاض الشعب منك ومقاومته لك . فهل من إصالة الرأي ورجاحة العقل ان تعرض عن زعماء أقوياء ، لهم مكانتهم الدينية والاجتماعية وفي مقدورهم ان يثيروا الشعب ضدك متى شاؤوا ، وتقرب منك أناساً لم يكونوا في العير ولا في النفير ؟ وقد يتقرب هؤلاء منك ليعيشوا على اعطياتك لهم ، ومتى أعرضت عنهم لا كوا سمعتك بشتى المفتريات كما وقع اكثر من مرة ؟

أني كثيراً ما نصحتك بازالة الخلاف القائم بينك وبين الفقير « حمو شبرو » ، لا بل بينك وبين زعماء جبل سنجار جميعهم ، والتفاهم معهم ، فإفاد نصحي لك شيئاً وبقيت مصرأ على خلافك معهم . أن مخاصمتك زعماء جبل سنجار لا يضر بهم أكثر مما يضر بك ، إذ بقدر ما يسود التفاهم بينك وبينهم ، ويتقربون منك وتتقرب منهم ، تقوى كلمتك ويعتز جانبك وتزول الفتن التي تدور حولك ، ويقبلون على زيارة السنجق وتكثر

هباتهم وأعطياتهم له .

قل لي يا كريمي العزيز ، ماذا تفعل اذا رفض يزيدية سنجار زيارة السنجق سنة واحدة ومنعوا هباتهم له ، او أخرجوه من أيدي القوالين طالما أنت مصر على نزاعك معهم ؟ ألم يؤثر ذلك على مركزك الديني وبحرمك من مورد كبير لا يمكنك ان تعيش دونه ؟ - وهل تعتقد يا سيدي ان لو استطاعوا سبيلا الى هذا لفلوه ؟ إلا أنهم يعلمون ان السنجق ، هو سنجق الشيخ عدي ، وأنا لم أكن أكثر من حارس عليه ، والشريعة اليزيدية لم تمنح بقاءه بيد أحد غيري ، وهم مضطرون الى إعطاء خيراتهم له . - ولكنهم يدعون انك قد اتخذته لك ملكاً خاصاً واستأثرت بندوره وخيراته وصدقاته ، وهو يعود الى الملة بأسرها . والملة متى شاءت أخرجته من يدك وأودعته الى غيرك من أفراد هذه الأسرة ممن يقع اختيارهم عليه وتثق باخلاصه وأمانته أكثر . ألم يكتب لك حموشيرو قبل بضعة اسابيع بهذا الموضوع ، فلم اذا لم تجاوبه وتدله على فساد رأيه ؟

- أن حموشيرو وغيره من زعماء سنجار الدينين والمدنيين لم يجهلوا حكم الشريعة حتى أدلهم على فساد رأيهم ، وهم يعلمون جيداً عدم جواز إخراج السنجق من يدي وايداعه الى غيري من افراد أسرنا طالما أنا على قيد الحياة ، وهذه نقطة مهمة في حياتنا الدينية ، وليس في إمكاني ان أبوح لك فيها أكثر من هذا .

- نعم ، تريد ان تقول أنك بصفتك تمثل الشيخ عدياً من الناحية الألوهية باعتبارك أميراً شرعياً على هذه الملة ، فتوليك السنجق أمر لا ينازعك فيه أحد ، وفي حالة إيداعه ليد آخر غيرك من هذه الأسرة لا تكون الزيارة اليه مقبولة ، ولا الذنور والصدقات التي تقدم اليه صحيحة ، أليس كذلك ؟ - نعم ، هو ما تقوله .

- إذن يجب ان تجاوب حموشيرو وغيره من زعماء سنجار على ما كتبوه اليك وتدلهم على خطأهم ليمودوا الى حكم الشريعة ويزول سوء التفاهم القائم بينك وبينهم . - وأية قيمة لهم حتى أجابهم على كتابهم الذي تحدوا فيه حكم الشريعة ، وخرجوا

فيه على العرف والقانون ، وليس من حقهم ان يكييفوا رئيسهم الديني ويجعلونه مطية سهلة الانقياد لهم ؟

- هذا هو موضع الخطأ فيك ، يا كريفى العزيز ، وكيف لا يكون لهم قيمة وهم سرارة قومك وقادتهم ، واذا أرادوا شيئاً فعلوه واذا لم يريدوه فليس من قوة ترغمهم عليه ، ومتى شاؤوا أعلنوا عدم اعترافهم بك وأقاموا غيرك .

- تعلم ، يا كريفى العزيز ، ان اسقاط الأمير عن منصبه ليس بالأمر الهين ومعناه مخالفة الشيخ عدي في قبول من اختاره ممثلاً عنه على شعبه وهذا كفر في عقيدتنا . والشيخ عدي لم يحتر عنه ممثلاً على شعبه إلا من يرى فيه الصلاح وهو الذى يسيره في عمله . ثم لقد أوجبت الشريعة على كل يزيدى مؤمن بطاؤوس ملك ان يزور السنجق الذى يرمز به عنه بالسنة ولو مرة واحدة ، ومن يتخلف عن زيارته يعد كافراً ويحـل غضب الآلهة عليه وعلى ذويه . ولذلك فكل ما يقال عن رفض يزيدية سنجان زيارة السنجق كلام فارغ ، وسببى السنجق مقدساً ومحترماً ويزوره اليزيدية ويطلبون الشفاعة عنده الى قيام الساعة ..

- تقول انه لم يكن فى مقدور أحد من ابناء الشيعة اليزيدية ان يرفض قبول من اختاره الشيخ عدي ممثلاً عنه على شعبه ، وتعد هذا العمل كفراً ، ولكن ما قولنا اذا أجمعت الأمة على ان هذا الممثل لم يقيم بواجب التمثيل كما ينبغي ، وقد خان الأمانة الملقاة على عاتقه وأفسد فيها ؟ ثم الذى أفهمه من كلامك ان اليزيدية طالما هم مجبورون على زيارة السنجق ، وتقديم نذورهم وخيراتهم اليه ، ومن تخلف عنهم يعد كافراً ، فاستياؤهم منك ورضاؤهم عنك سبب بنظرك ، أليس كذلك ؟ وعليه أقول لك : ان هذه القاعدة يجوز أن تكون متبعة منذ نحو خمسين سنة ، اى عندما كان الأمير بنظر اليزيدية المثل الأعلى للالوهية وليس فى طاقة أحد بمخالفته ، او يتحدث عن عيوبه . أما الآن فقد انقلبت الآية ، ولم يبق للامير ذلك النفوذ وتلك الحرمة ، وأخذ كل احد يتحدث بنقائصه ، ولم ير من الأئمة الكلام عن عيوبه كما نشاهده الآن من اصرار الملة على مخاصمتك وخروجها عن طاعتك . فهل سبق لأمر ان خصمه احد من افراد الملة

وجاهر بالخروج عن طاعته . اسمح لي يا صديقي أن اقول لك : انك أنت الذي اخرجت
الملة على ان تناقشك الحسب عن اعمالك ، وجعلتها تتحدى حدود الطاعة معك . ماذا
تريده الملة منك ؟ تريد منك وبعد كل شيء أن تحافظ على التقاليد التي سار عليها
آباؤك قبلك ، تريد منك ان تبتمد عن كل ما يشين سمعتك وبخط من كرامتك ، تريد
منك ان لا تتمدى حدود الشريعة في عمل من اعمالك وأنت وازعها الديني الاكبر ،
وقدوتها الصالحة ، والمنحدر من سلالة عدي بن مسافر ، والجالس على تخت يزيد
وخليفته في الارض ، واليك ينتهي نبل البيت الأموي وشرفه . فاذا ما أتيت عملا
يخالف السنن والتقاليد اليزيدية ، عدوه منك تحديا لشعائر الدين وخرجوا عليك ، ومن
حقهم ان يخرجوا .

إن موقع الشيخ الأكبر (بابا شيخ) الديني يعد في الدرجة الثانية من موقع الأمير
وكان « للشيخ ناصر » على عهد جدك حسين بك منزلة كبيرة ومكانة مرموقة ، وكان
جدك يحترمه ويعمل بمشورته . ولما توفي خلفه ابن أخيه « الشيخ علي » في هذا المنصب
وكلنا صاحبنا وأعجبنا برجاحة عقله وإصالة رأيه . وكان الأمير « ميرزا بك » وكذلك
يجلانه ويحترمانه . وعندما توفي أقمت بمحلته ابن أخيه « الشيخ اسماعيل » لقاء مبلغ كبير
من المال . وكان الشيخ اسماعيل هذا مثالا للزهد والطاعة ، يصوم اربعين الصيف والشتاء
ويجتنب شهوات الحياة ، ويقضي سنن الاسلاف وقد قضى نحبه ولم يمض عليه في منصبه
أكثر من عام ونصف عام . فبيت له هذه المسكاة الدينية أليس من الحيف ان تحرمه حقه
من هذا المنصب وتوجهه الى غيره عن لا شأن له وليس له من الكفاة والوجاهة ما يبرر
رفعه الى هذا المنصب الخطير ؟ تتذكر كم من مرة أشرت عليك ان لا تخرج هذا المنصب
من هذا البيت وأن توجهه الى « الشيخ حسين » ابن الشيخ اسماعيل الذي أجمع الرأي العام
على صلاحه وألمته الآلهة العلوم الاثني عشر منذ صغره وحفظها على صدره او بالأقل
توجهه الى عمه « الشيخ سليمان » وهو والحق كفوه له وقد تلقى الاسرار من أمه « دايمي
فات » وقد أخذتها هي بطريق الالهام من الآلهة ، فما اصغيت لي وخالفت التقاليد المتبعة
وأهجت الرأي العام عليك ولم تكثف بهذا بل أحدثت تغييرات هامة في بعض المناصب

الدينية ووجهت بعض الوظائف الى غير مستحقيها وأوجدت كثيراً من البدع في الحياة
البيزيدية مما أوجب غضب الآلهة عليك .
والآن لنأت الى تمسكك بالمعادن التي أصبحت مفسدة بصالح الملة ولم تكذب الظروف
الحاضرة تمسكك منها :

لقد قدر لهذه الملة ان تعيش في حالة الجهل والبؤس والشقاء منذ فجر ظهورها ولم يكتب
لها ان تتمتع بحياة حرة هنيئة رغيدة ، وقد ألتقت مقاليدها الى من يكون أميراً عليها
والامير هو الذي يشق لها الطريق التي تسلكها في الحياة ، وقد كان والدك خير راع
لهذه الملة وقد أمضى حياته في كفاح مستمر في سبيل راحتها ودفع الاذى عنها ، ولا
تفتض اذا قلت أنك أصبحت غريباً عن هذه الملة وأصبحت هي غريبة عنك ولم يهملك
من أمرها سوى جمعك اياها بقرة حلوبا مها أصابها من مجاف وهزال ، وقد يأخذك
الغضب ويشتد بك الحنق اذا خالفك احد منها او عارضك بشيء وسرعان ما تجري عليه
(التحريم) تلك القاعدة التي لم تكذب اجابات هذا العصر تستسيغها وتترك عليها ، وقد
اتخذت هذه القاعدة وسيلة لآخافة خصومك دون ان تلاحظ ما تولده من نتائج مفسدة
لك .. مضى على والدك اكثر من عشرين سنة في الامارة ولم يحرم احداً من الملة على
رغم ما كانت الحاجة تدعوه الى تطبيق هذه القاعدة بحق كثير ممن يضادونه في أعماله
فهل من الاصابة ان تحرم أهل قرية بكاملهم لسبب امتناعهم عن تأدية ما لم يملكونه من
المال اليك ؟ (١) وهل من المعقول ان تحرم أسرة عرفت منذ القديم باخلاصها وتفانيها
لبيت الامارة لمخالفتها لك في سلب فتاة يتيمة مالها ؟ (٢) نعم أنا لا أنكر ان (التحريم)
هو حق من حقوقكم أنتم أيها الأمراء ، وكان الذين سلفوا منكم يستعملون هذه السلطة

(١) هم أهل قرية « كر خالص » حرمهم جميعاً لامتناعهم عن اعطاء الاعانة لتعمير مرقد الشيخ عدي
ثم عفا عنهم على التماسي منه .

(٢) كان الامير علي بك قد تنازل لشيرين بنت عيدو عن حق وراثته في مال أبيها الذي مات دون ان
يترك وارثاً من الذكور . ولما ماتت شيرين ولم تترك كذلك ولدأ وهبت مالها لبنت اخت لها تربت في
حجرها ، وقد تزوجت هذه البنت من ابن حجي لاسو من وجهاء قرية عين سفني ، فانع الامير سعيد بك
بتصرفها بالمال الذي وهبته لها شيرين بحجة انه يرجع اليه من أبيه الذي تركه لشيرين موقناً . فتصدى حجي
لاسو للدفاع عن البنت ومنع الامير سعيد بك عن معارضتها . ولما نظرت المراجع الرسمية المختصة بالقضية
رفضت دعوى الامير وأقرت البنت على مالها .

بحق اي من كان دون قيد او شرط . ولكن يجب ان تعلموا انكم الآن في زمن غير الذي مضى والشعب البيزيدي هو غير الشعب الذي كان ينظر الى أحدكم كآله ويرى خضوعه له فرضاً دينياً عليه . ولذا فتمسكك بسلطة التحريم وجعلها أداة للارهاب والاختافة عمل مضى زمنه ، ومن مصلحتك ان تعلم للشعب تنازلك عن هذه السلطة وتحصرها في المسائل التي لها مساس مباشر في القضايا الدينية فقط وبذلك تجعل الشعب في مأمن منك وتكسب وده وعطفه .

- ما كنت أعتقد ان سيخفي عليك ان تنازلي عن سلطة التحريم يجعلني وأفراد الملة على حد سواء ، ويزيل هيبتتي من النفوس ويفسح لخصامي المجال في ان يوغلوا في مخاصمتي ويوجهوا كل نقيصة الي وأنا لا استطيع ان أقابلهم بشيء .

- هذا أمر سيقع لا محالة ، فان لم تختره عن رضى وقبول سترغمك الملة عليه ، والملة هي مصدر القوة ، واذا أرادت شيئاً فعلته وعملك له من تلقاء نفسك خير لك من ان ترغم عليه ... ثم هنالك مسألة دعوى وراثتك لمن لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهن ، فهذه الدعوى تثير نقمة الملة عليك بقدر ما تثيره مسألة التحريم ، إذ لا يخفى عليك ان نظام الحكم والتطور الاجتماعي والعقلي أخذ تدريجياً في رفع سوية الفرد العقلية وجعله يعرف ما له وما عليه من حقوق وواجبات ، حتى نراه بينها لا يعرف قبلاً غير أميره ، وهو بمنزلة آله ومعبوده وواضعه وهو الذي يقضي بينه وبين غيره ، وكلمة تخرج من فيه يعدها حكماً سماوياً لا يقبل النقض والابرام ، نجده الآن يتردد الى رجال الحكم والقضاء ، ويجوس دواوين الحكومة لمطالبة حق أضعاه ، او إزالة غبن أصابه ، حتى انه لم يتورع من مخاصمتك أنت بنفسك أمام المحاكم كفرد عادي ، كما وقع في قضية دعوى وراثتك لشيرين بنت عيدو من قرية عين سفي وخروجك منها بصفقة الخاسر .

- يجب ان تعلم أنه طالما في عرق ينبض ، فن المستحيل ان أتنازل عن سلطة التحريم ، وعن حق وراثتي للذين لم يكن لهم وارث من الذكور من عصبتهن ، وكانت والدتي قد ذهبت الى بغداد هي و «درويش محبوبور» وسائق السيارة ارهانيان الأرمني ، ورفعت

عريضة الى المندوب السامي وأخرى الى وزير الداخلية عبد العزيز بك القصاب ، طلبت منها فيها تثبيت حقوقنا التقليدية التي تتمتع فيها منذ القدم وهي بمثابة قانون واجب الاتباع بين الملة .

- وبماذا أجاهاها ؟

- أجاهاها بأنها سيدرسان هذا الطلب ويعاملانها بما سيقر الرأي عليه بواسطة متصرف الموصل .

- إن كنت تعمل بنصيحتي ، أشير عليك ان تتنازل عن هذا الحق المحكوم عليه باللبلي قبل ان ينزعه الشعب منك، وتسمى في إزالة الخلاف القائم بينك وبين زعماء جبل سنجار وبينك وبين يزيدية الشيخان وتنزل عند رغبتهم في انتهاجك في حياتك الدينية والدنيوية خطة زهبة شريفة ليس فيها ما يدعو الى الانتقاد، وتحسن التصرف في الخبرات والهبات التي تصل اليك من طريق (السنجق) وترفه على المعوزين والمحتاجين من افراد الأسرة ، وكل واحد منهم يرى لنفسه الحق في الأمانة وإن كانت الفرص والظروف ساقطها اليك، وتقصي عنك دعاة السوء الذين يسمعون دوماً في تمكير صفو العلاقات بينك وبين الملة ، وتستعيب عنهم بأناس أوفياء مخلصين يرون مصلحتك فوق كل شيء ، وتعقد في كل سنة مؤتمراً من زعماء الأمة وعقلائها ومفكريها للبحث عن الاصلاحات التي تحتاجها الملة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وتطلب معاونة الحكومة عليها ، وتسمى في إزالة الاختلافات القائمة بين يزيدية سنجار وزعمائهم على أساس تأمين حقوق الطبقات الضعيفة فيه ، وبذلك تثبت للشعب اليزيدي حبسك وإخلاصك فيصفو لك الجو وتميش في دعة وأمن والسكل ملتفون حولك عاملون على تقوية نفوذك .

ولم ينته بنا الكلام ، إلا وقد أصبح الصباح وأتى الخادم « حجي سلو » بالشاي الذي اعتدت شربه باكرآ ، فانصرف الأمير ولم أعلم ما أوجده حديثي من الانطباعات في

نفسه .

في الأخطاء والأوهام

التي وقع بها الكتاب الشرقيون والغربيون في أبحاثهم عن اليزيدية

بحث طائفة كبيرة من كتاب ، شرقيين وغربيين ، عن اليزيدية ، ووضعوا كتباً ورسائل كثيرة عنهم وعن نحلتهم وعقائدهم وتاريخهم وطرق عبادتهم وعاداتهم ، ففهم من أصاب ومنهم من أخطأ ، والذي أصاب ، أصاب من ناحية وأخطأ من ناحية أخرى ، والغربيون لم يبحثوا عن اليزيدية لغاية العلم والتاريخ ، بل بحثوا وهم مندفعون بروح تبشيرية أو استعمارية أو سياسية ، واعتمدوا على مصادر غير صحيحة وغير موثوقة ، وغير ما كتبوه وحرفوه وأضافوا إليه أشياء من عندهم حسب ما أملت عليهم أهواؤهم ونزعاتهم .

وكتابتنا الشرقيون لم يأتوا بأقل مما أتى به الغربيون واتبعواهم في آرائهم رغمًا على أنهم أقرب منهم إلى هذه الطائفة وأكثر اتصالاً بهم ، وبوسعهم ان يدرسواهم دراسة وثيقة ويعرفوا ما جهله عنهم الغربيون وليس أكبر نقصاً من ان يجهل انسان قومًا قريبيين منه ، ثم يأخذ ما جهله عنهم من الأجانب الذين هم أكثر منه جهلاً بهم ، وهذه شذوثة في كثير من كتابنا ، فقد يأخذون بأقوال الأجانب فيما يتعلق ببلادنا ، ويعرضون عن أقوال مؤرخينا الذين هم أدري بها ، واذا تعارض خبران لمؤرخين يرجحون ما يقول به الأجنبي ، فكأن كلامه حجة لا يأتيها الباطل .

على ان كتابنا الذين بحثوا عن اليزيدية لم يكونوا جميعاً من هذا الطراز ، ففهم من أصاب الحقيقة وخالف ما قاله الأجانب ، ومع هذا فلم تكن دراستهم لتخلو من أغلاط وأوهام ، فقد جهلوا عنهم شيئاً كثيراً خاصة في تاريخهم وعقائدهم وأصول ديانتهم .

ان أكثر ما يروق لي من هؤلاء الكتاب الأستاذ البهائي يعقوب نعوم سر كيس ، فقد نشر عن هذه الطائفة وديانتهم مقالات هي نتيجة بحث دقيق وتحقيق عميق أصاب فيه

الهدف وابتعد عن الاسفاف والسرف . وكذلك العلامة المرحوم احمد تيمور باشا مؤلف رسالة (اليزيدية وأصل نحلتهن) والأستاذ السيد عباس العزاوي مؤلف كتاب (تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهن) فيعد أثرهما أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، فقد خالفنا جميع الباحثين في تعيين أصل هذه الطائفة وأبأوا خطأهم فيما قالوه عنهم . وقد عقدنا هذا الفصل لنضع آراء الكتّاب من شرقيين وغربيين على محك النقد والتحجيص لندل فيه على من أصاب منهم وأخطأ ، ونبين هل كان خطأهم عن تعمد وقصد او عن نقص في الدراسة والبحث .

﴿ الأستاذ السيد عباس العزاوي ﴾

وكتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهن »

ليس منا من لا يعرف الأستاذ عباس العزاوي وجهوده المتواصلة في البحث والتحقيق والتأليف ، وقد وضع تأليف عدة في مختلف مناحي العلوم ، كان لها أثرها في النهضة العلمية والعقلية في جيلنا الحاضر . ومن تأليفه القيمة كتابه « تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهن » فهو أمتع ما وقع عليه نظري من مؤلفاته الكثيرة ، ومن الواجب ان أقدر له جهوده التي بذلها في سبيل هذا العمل المجدي الذي جاء فريداً من نوعه ، لو لم يتمسك بآراء عن أصل هذه الطائفة لم يكن ليقره عليها النقد التاريخي ، ويعتمد على اخبار غير صحيحة تعتمد أصحابها اختلاقها لغايات شخصية ، ويتلقى أخباراً من أناس اتصل بهم بطريقة الصدفة ويبني أساس بحثه عليها . واذا أردنا ان نعلق بعض ملاحظتنا على ما كتبه ، فلم يكن القصد منه انتقاصه ، بل الاشارة الى انه اتبع آراء لم تؤيده فيها الحقيقة والتاريخ .

فبعد ان توسع في بحثه عن (تمحيص الأقوال عن اليزيدية) وذكر في (نتائج ما تحققه عنهم) من أنهم (مسلمون منزهون .. توارثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية مزوجة بحج الأمويين) قال : « وإلا فالمؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم شيئاً ، وإنما ذكروا تعصبهم ليزيد كما تعصب غيرهم للإمام علي رضي الله عنه » ، ثم قال : « وعلى كل حال لا يَحتمل انهم عريقون بالجوسية ، ولا يعول على

التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، ولكن يفسر ما وجد مخالفاً للإسلام ، فيقال أنه منقول عن جاهليتهم الاولى .

وجاء في قوله عن أصل الزيدية في التاريخ :

« فأول من ذكر هؤلاء السمعاني المتوفي عام (٥٦٥ - ١١٦٦ م) في كتابه الانساب » ا.هـ

وفي حاشية له علقها على هذا القول :

« ظهر لي مؤخراً ان ابن قتيبة تعرض لعقيدتهم في كتاب (الاختلاف في اللفظ) كما يأتي النقل عنه . وفي تاريخ (سني الأرض والانبياء) نعت الحزب المعارض للعباسيين باليزيديين (ص ١٣٩) ، (وفي التنبيه والاشراف) ما يشير الى هذه الناحية ايضا .

هذا هو ما قاله الاستاذ العزاوي عن أصل الزيدية . على اننا اذا وافقناه على أنهم مسلمون متزهدون ، وقد ورثوا تقاليد قومية ودينية صوفية ، واعتبارات سياسية مزوجة بحب الأمويين وانهم كانوا يتعصبون ليزيد كما تعصب غيرهم لعلي رضي الله عنه ، لانوافقه على أنهم لم يكونوا عريقين بالجوسية ، ولا يعمل على التقاليد الموروثة باعتبارها ديناً قديماً لهم ، وان ما يوجد فيهم مما هو مخالف للإسلام منقول ومأثور عن جاهليتهم الاولى . واذا كان المؤرخون لم ينقلوا عن مجوسيتهم الاولى شيئاً فديانتهم التي يتبعونها والعادات والتقاليد التي يسبرون عليها تنطق بمجوسيتهم بلا مرأه ، وما أبداه من الاعتقاد بان الزيدية الذين هم بين ظهرانينا الآن يرجعون بالأصل الى جماعات من الاسلام كانوا يتعصبون للأمويين ، وان تسميتهم باليزيدية لم يكن حديثاً بل يرجعون به كذلك الى زمن بعيد ، مستدلاً عليه بما جاء في الانساب للسمعاني ، وفي الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة لم يكن صحيحاً ، اذ ان الزيدية الذين ذكرهم السمعياني وابن قتيبة لم يكونوا يحملون العقيدة التي نجدتها في اتباع البيت العدوي ، وكان لهم احزاب منظمة وجمعيات سرية تعمل في الخفاء لمناصرة الأمويين كما عليه العلويون ، وعلى ضعف شأنهم فقد كان العباسيون يتعقبون آثارهم ويدمرونهم تدميراً أيضاً ظفروا به ، وكان شأنهم أشبه بالفقاقيع التي تظهر على وجه الماء وسرعان ما تذوب ويزول أثرها . غير ان الاستاذ العزاوي لم يرد ان يعترف بهذه الحقيقة ، ويريد ان يجعل من زيدية السمعياني وابن

قتيبة وغيرهم من اتباع الأمويين ومناصريهم ، ممن لم يتحقق موجوديتهم ، وحتى من
الأمويين أنفسهم نواة للزيدية الذين ظهروا في جبل هكار على يد (آل مسافر) معزراً
نظريته بنصوص وجدها كافية لهذا الغرض وذلك ما نقله عن الاستاذ (محمد علي عوني)
المعلق على كتاب « شرفنامه » لشرف خان البديسي وهو قوله : « وعلى ما يفهم من
نص الشرفنامه ومن اقوال العارفين بتلك الجهات وبهؤلاء الناس ، ان عدة من قبائل
الأكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجرت في عهد الأمويين الى جهات الشام
للالتحاق بخدمة الخلفاء فاستوطنت هناك مدة ثم عادت الى موطنهم الأصلي عند
سقوط دولة الأمويين ، واحتصانهم مع اتباعهم بالجبال والبلاد الحصينة . وقوله :
« ومن راجع الشرفنامه رأى الكثيرين من أمراء الأكراد أمويين نسباً ، وتحقق ان
الأمويين جاؤوا الى هذه الجبال بعد ضياع ملكهم ، فتولوا رئاسة القبائل من الأكراد »
وبارغم عن ان الشرفنامه لا يصح ان يكون مصدراً من مصادر التاريخ وهو مملوء
بالأغلاط والأخطاء ولم يتحر صاحبه فيه الحقيقة التاريخية ، فليس فيه ما يدل على ان
عدة من قبائل الأكراد المشهورين بالشجاعة والفروسية هاجروا في عهد الأمويين الى
جهات الشام للالتحاق بخدمة الأمويين ثم عادوا الى أوطانهم بعد سقوط دولة الأمويين
وليس فيه ما يدل على ان كثيرين من أمراء الأكراد أمويون نسباً وانهم جاؤوا
الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم فتولوا رئاسة القبائل من الأكراد ، كما ان أحداً من
العارفين بتلك الجهات لم يؤيد صحة هذا الخبر ، وهذه كلها اقوال اختلقها المعلق على
كتاب شرفنامه وأخذها الاستاذ العزاوي عنه ولم ير حاجة لمراجعة الشرفنامه والتحقق
من صحتها.

ان كل ما ذكره البديسي في كتابه الشرفنامه: هو ما رآه محتملاً عن اتصال نسب عشيرة
(المحمودي) الكردية بالسلطين المروانيين (ص ٣٨٨) واتصال عشيرة (دنبلي) بشخص
يدعي (عيسى) من عرب الشام (ص ٣٩٩) ثم تعليقه هذا الاحتمال بقوله عن أمراء
(المحمودي) أنهم (على رواية) من اولاد عم حكام الجزيرة اولاد (خالد بن الوليد)
و (على احد الأقوال) أنهم من الشام ، (وعلى بعض النقول) أنهم هاجروا مع بعض

القبائل والعشائر من جزيرة ابن عمر الى أطراف (اذربيجان) ... وقوله عن عشيرة (دنيلي) : أنهم (على رواية) جاؤوا كذلك من جزيرة ابن عمر الى نواحي اذربيجان فهل في كتاب شرفنامه ما يدل على ان الكثيرين من أمراء الأكراد أمويون وأنهم جاؤوا الى هذه البلاد بعد ضياع حكمهم وتولوا رئاسة القبائل من الأكراد ؟ كلا ! وقد قص علينا حكاية مجي . أحفاد (مروان الحمار) آخر سلاطين بني أمية من فلسطين مع جماعة من أنصارهم ومواليهم الى مدينة (قلب) شمالي ديار بكر وتأسيسهم فيها إمارة (قلب و بطان) واشتبارهم بالأمراء السليمانية نسبة الى (سليمان بن عبد الملك بن مروان) وهي قصة ملفقة مصطنعة لا يصح ان يقال عنها غير خرافية لا نصيب لها من الحقيقة اصلا ، والتاريخ لم يؤيدها ، وسنبحث عنها في محل آخر .

وعلى فرض ان المعلق لم يأت هذا الخبر من نفسه وكان نقله صحيحاً فكيف يجوز الاعتماد على خبر ينفرد بروايته ومؤرخ واحد ولم يتكلم عنه آخر غيره ويؤيده فيه ؟ والبديهي لم يذكر في (شرفنامه) ان أمراء الأكراد أمويون أكثر منهم عباسيون ، وان كنا نتكر عليه هذا القول ايضا ، ولا واحد من المؤرخين او العارفين بتلك الجهات - على حد قوله - يؤيده فيه ، فمن ذهب الى أنهم ينتمون الى البيت العباسي من أمراء الأكراد (١) أمراء الحكاري ويعرفون بالشمدينانيين (ص ١٢٦) ، (٢) حكام الهادية ويعرفون بالبهاثدينانيين (ص ١٤٥) ، (٣) حكام كليس (ص ٢٨٦) ، (٤) حكام جشكرك (ص ٢١٤) ويقول أنهم أولاد ملكيش أحد أولاد الخلفاء العباسيين ، وفي رواية أنهم من سلالة الامير ساليق بن علي بن قاسم من فروع السلاطين السجلوقيين ، (٥) حكام مردياس (ص ٢٣٢) يقال أنهم من أولاد العباس رضي الله عنه وغيرهم ممن ينتسبون الى خالد بن الوليد ، والى السيد حسن الازرقى من أولاد الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومنهم من ينتسب الى البرامكة ، والى أناس من بغداد وغيرهم .

يقول الاستاذ العزاوي : « وفي ايام الأمويين كانوا - اي قبائل الأكراد - عضد الدولة وقوتها المكيئة ... وبسقوطها عادوا الى أوطانهم ، وهم لا يزالون مخلصين للدولة الاموية ، داموا على موالاتهم لهم الى هذه الايام ، وقد التجأ اليهم جماعة من الامويين

فيهم من الاسرة الممالكة ، وبعد ان داخلهم معتقدات صوفية « بدأ فيهم الغلو كما بدأ في غيرهم فصاروا على طرفي نقيض » حتى « أدر كههم الشيخ عدي وسمى جهده في اصلاحهم ودعاهم ان يتركوا السب والظعن المر ».

والاستاذ العزاوي سلسل هذه الحوادث وأوصلها الى هذه النتيجة استناداً على ما رواه المعلق على الشرفنامه نفسها ، والشرفنامه ، كما قلنا ، لم يتكلم لا صراحة ولا ايماء عن نزوح قبائل من الاكراد ، لا قليلة ولا كثيرة ، الى عاصمة الامويين ومساكنهم في أعمالهم العسكرية والادارية والسياسية ، ولا عن ظهور رجال ذوي كفاءة ودرية ودراية منهم كان لهم أثر بارز في هذه الدولة ، ومتى استخدم الامويون في أعمالهم الادارية والسياسية وقيادة الجيش أقواماً من غير العرب حتى يصح القول ان الاكراد أصبحوا عضدها القوي وقوتها المكنية ، وليس في وسعه ان يورد لنا نصاً تاريخياً يؤيد فيه عودة هذه القبائل الى أوطانهم بعد سقوط الدولة الأموية ، والتجاء جماعة من الأمويين ، منهم من البيت المالك وتشكيلهم أمانة كردية ضمن حدود الدولة العباسية ، فإذا أجبنا بالنفي ، وليس له ان يجيبنا بغيره ، فكيف له ان يحقق صحة ما استنتجته من سلسلة هذه الاخبار من ان الغلو بدأ في هؤلاء الاكراد وفي ضمنهم جماعة الأمويين ممن هم من الاسرة الممالكة كما بدأ في غيرهم ، وأراد بهم الشيعة ، فصاروا على طرفي نقيض حتى أدر كههم الشيخ عدي وسمى جهده في اصلاحهم ؟

والحقيقة ان احداً من أكراد هذه الجبال ، لا من جنبائهم ولا من ذوي الشجاعة منهم سافر الى بلاد الشام على عهد الامويين والتحق بخدمتهم ، وليس من هؤلاء الاكراد من ينتمي الى الامويين ، ومن الاعتداء على التاريخ القول بان جماعة من الامويين وفيهم من الاسرة الممالكة التجأوا الى هذه الجبال بعد ضياع حكمهم ، وليس ما يدل على ان الشيخ عديا عندما جاء الى جبل هكار وجد أناساً على طرفي نقيض مع الحزب الشيعي يعملون على مناهضة العلويين والتعصب للامويين ولم تظهر هذه الروح وتنمو بين أصحاب عدي إلا على عهد أخلافه من البيت العدوي .

وجاء في البحث عن الوقائع التاريخية (ص ١١٠) :

« قلنا غير مرة ان الزيدية لم يحسن العثمانيون إدارتهم ، وكانت طريقتهم في إدارتهم أيام العثمانيين الحصول على الرسوم والأعشار الأميرية بالقهر والنهب باسم ضرائب الحكومة ، او بالقاء الشقاق والنزاع عندما يشعرون بضعف او وهن في الادارة لا تخاذهم وسائل لدفع البعض البعض واستخدام أحد المناوئين ضد الآخر . والحاصل أن المهم الوحيد هو السيطرة والنجاح والغلبة بأي وجه كان وإن أدى ذلك الى تخريب الديار ، وتمزيق الأشلاء . » لذا تدعي الحكومة ان هؤلاء الزيدية مجبولون على الشقاء والشقاق منذ القدم ، والحال انهم منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، فهم أطوع الأقوام ، وليكنها لم تتخذ وسيلة لتمدينهم وإصلاحهم .. وقد اتخذت الرؤساء وراعت طريق التقاعم معهم لانهاك الفقراء وأخذ الأموال منهم بالباطل ، وبطريق الاشتراك معهم واستخدامهم كجيش لهم عليها . »

وفي هذا نحامل شديد على العثمانيين ، واذا وافقناه على أنهم لم يحسنوا ادارة الزيدية ويتخذوا طريقة لتمدينهم وإصلاحهم ، لا نوافقه على أنهم كانوا يستحصلون الضرائب منهم بالقهر والعنف والنهب او بالقاء الشقاق والنزاع بين البعض والبعض واستخدام المناويء ضد مناوئيه ، لان هذا لم يقع البتة . اما زيدية الشيخان فهم في الحقيقة قوم وديعون منقادون ولا هم لهم سوى مشاغلهم ، ولم نعهد ان استوفت الحكومة ضرائبها منهم بالطريقة التي ذكرها وقد حصلت لهم هذه الطاعة وهذا الاتقياد منذ زمن بعيد بعد ان كانوا على غاية الشراسة ، وقد تصدى رئيس قبيلة منهم لقتل وال مع مائة نفر من عسكره ونهب أثقاله دون ان يخشى عقاباً . واما زيدية سنجار فهم على العكس من ذلك وقد ضربوا الرقم القياسي في البغي والعتو ويمدون من أشقى الاقوام ودأبهم ايقاع الشعب والفساد منذ اليوم الذي وطأت اقدامهم هذا الجبل ، ولم نعهد ان الحكومة العثمانية تمكنت من تحصيل ضرائبها منهم في الدور الذي ادر كناه من عهد حكمها اكثر من مرتين او ثلاث مرات وذلك عندما تقوم ببعض الاصلاحات ، والتحصيلات كانت عرضاً لا مقصودة بالذات ، وكانت تتبع معهم سياسة اللين والرفق كي لا تكون قد

أهاجتهم وساقتهم الى المعصيان . وقد أرادت ان تحصل بعض الضرائب منهم عام ١٩٠٠ م على زمن الوالي حازم بك وذهب معاون الوالي حمدي بك الباباني و ابراهيم صدقي بك قائممقام القضاء مع فوج من النظامية تحت قيادة (البكباشي) محمود اغا الى قرية (كرسي) ولكنهم عادوا في اليوم الثاني الى مركز القضاء دون ان يتمكنوا من تحصيل فلس واحد وسببه الاختلاف الذي ظهر بين قائد الفوج وقائم مقام القضاء أولا ، والخوف الذي حصل لهذا القائد الباسل من القيام بهذه المهمة بقوته القليلة التي كان يخشى عليها خطر اليزيدية ثانيا ، حتى قيل ان الخوف استولى عليه عندما سمع ليلا عدة طلقات تصدر من القرية اعتقد انها انذار له بلزوم الرجوع الى مركز القضاء .

وقد أجرت بعض التحصيلات في آخر سنة حكمها الموصل بقوة كبيرة أرسلتها تحت قيادة القائم مقام العسكري الحاجي ابراهيم بك وعززتها بمجموع كثيرة من العشائر إلا انها لم تحصل منهم على اكثر مما أنفقته على هذه الحملة على رغم ما اظهرته من البطش والقوة ، وقتلته من النفوس .

ويفهم من هذا ان العثمانيين لم يكن بوسعهم أن يراعوا طريقة التفاهم مع رؤساء سنجار ليستميلونهم نحوهم ويتخذونهم آلة بيدهم لأخذ أموال الفقراء بالباطل وبطريق الاشتراك معهم ، ولم يسبق في التاريخ أن تقرب أحد رؤساء اليزيدية لا في سنجار ولا في محل آخر من الحكومة العثمانية وعاضدها على الوقيعة ببني قومه او ساعدها على تحصيل ضرائب منهم ، بل يكون دائما يداً واحدة معهم ويقاتل في صفوفهم ، ويدفع أذى الحكومة عنهم ، واذا لم يفعل ذلك لم يكن يزيدياً .

ويقول في بحثه عن (طبقات اليزيدية وسائر أحوالهم) :

« وان الحكومة تستميل هؤلاء الرؤساء فيؤدون التكاليف الأميرية بمساواة معهم . وأحياناً يتفق هؤلاء الرؤساء مع موظفي الحكومة في الهجوم على العصاة من اهل القرى الاخرى فتحصل الضرائب الأميرية بصورة الجبر ، وهكذا يساعد هؤلاء على استرداد الأموال المنهوبة او المخصوبة من الأهلين واستعادتها » .

ويقول :

« وفي هذه الحالة قد يتخذون ذلك وسيلة للوقية وأخذ الانتقام من عاداهم فيستعينون

بقوة الحكومة والأدلة العيانة كثيرة » .

والاستاذ العزاوي وهم في هذا الخبر وليس في وسعه ان يورد لنا دليلاً عياناً واحداً عليه ، وعذره اعتماده على أناس لا يوثق بهم (وما آفة الأخبار إلا روايتها) ولو انه وقف على حالة اليزيدية الدينية والعشائرية والتقليدية ، لما رضي لنفسه هذا القول اذ لا فرق بين من يتفق من اليزيديين مع الحكومة وبسهل لها اسباب الوقيعة ببني جنسه وبين من يختار الكفر لنفسه ، وقد تصيبه لعنة الأجيال ليس هو فقط بل أولاده وأحفاده
وفي ص ١٣٢ :

« المعروف المتواتر عنهم بصورة لا تقبل الارتياب ، أنهم لا يفرقون عن المسلمين بالايان بالله وبالأنبيا والملائكة ، إلا في احترامهم الشيطان ، وهذه نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم » .

نعم ، لا ينكر أحد أنهم لا يفرقون عن المسلمين بالايان بالله وبالأنبيا والملائكة وهم مسلمون بالمعنى الصحيح ، ولا يجادل في ذلك إلا مكابر جاهل . إلا ان القول بان احترامهم الشيطان هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم لم يكن صحيحاً ولا نوافق الاستاذ عليه ، ولسنا بحاجة الى تفسير كل ما نجاهده في هذه الطائفة من معتقدات مجوسية بأنها تقاليد صوفية كانت قد شاعت بينهم ، ونعلم ان احترامهم الشيطان ورمزهم عنه بالطاؤوس وعبادتهم له هو ضرب من عبادة الاصنام وقد عادوا وتمسكوا بهذه العادة بعد ان انصرفوا عنها منذ بضعة عصور . ثم اذا سلمنا جدلاً ان احترامهم الشيطان وعبادتهم الطاؤوس هو نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم ، فما قولنا في سجودهم للأحجار والأشجار ، وكل مكان شريف وتقديسهم النار ، وسجودهم للشمس عند بزوغها وغروبها ؟ فهل انه كذلك نتيجة عقيدة تصوفية كانت قد شاعت بينهم ؟

وجاء في البحث عن التناسخ ص ١٣٨ :

« قلنا ان التناسخ لازم او مقارن لمذهب غلاة المتصوفة وكثير من يعتمده ، فلا تفاوت بينهم في الظهور » .

ويقول : « ولا يزال يقول بهذا القول كثيرون من غلاة المتصوفة ، وهؤلاء منهم »
ونحن لا نجادل في سلوكهم طريقة تصوفية على زمن مرشدكم الكبير وربما بعده أيضاً
وأثرت فيهم تعاليمه ، أما أخذهم عقيدة التناسخ من المتصوفة فلا ! ونعلم أنهم بالأصل
مانيون ، والديانة المانوية تركز في أساس وضمها على التناسخ . ثم من أين سرت عقيدة
التناسخ الى المتصوفة اليس من المانوية ؟

وما ذهب اليه نوري بك من أنهم يقاربون النصارى في التناسخ ليس معناه أنهم
أخذوا هذه العقيدة من النصرانية وهم أعرق من النصرانية بها ، و« ان احترامهم الكنائس
النصرانية وأغزة النصارى » قول شائع ولكن لم يقم عليه دليل .

أما قصة (حسن البصري) وحمل بنته بولد يشبهه بطريقة التناسخ فنشأها الاضطراب
الذي ساقهم الى ان ينسوا اسم (الشيخ حسن) ويهملون ذكره حيث أخذوا يعرفونه
باسم حسن البصري ، والا ما هم والحسن البصري وما علاقتهم به ؟

وجاء في البحث عن صومهم وصلاتهم ص ١٤١ :

« ومن المستغرب جداً ان ينسى هؤلاء ايام الصوم وأوقات الصلاة ، ولكن من طالع
حالة العشائر عندنا وما هي عليه ، من التهاون في أمر العبادات على الأغلب لا يستغرب
من تحول العادة عند هؤلاء . »

وهذا قياس غير صحيح ، إذ لو فرضنا ان العشائر تهاونوا في أمر العبادة فلماذا ينسى
هؤلاء ايام الصيام وأوقات الصلاة وهم قوم متصوفة ، وأهل طريقة ، وقد قرأوا القرآن
وتفقهوا في الدين والطريق لهم نهج واضح لا كالعشائر الذين يمشون في حالة البسادة
ولا يعرفون واجباتهم الدينية ، ويندر وجود عالم متفقه بينهم يدلهم على واجبات دينهم
على ان عشائر العرب الرحالة في جزيرة ما بين النهرين وعلى ضفتي الفرات وسورية الذين
يدينون بالسنية مع عدم وجود عالم بينهم يدلهم على واجبات دينهم فهم أشد تمسكا بالصيام
والصلاة من أهل المدن . والحقيقة ان ترك البيزيدية الصوم والصلاة هو عمل رجعي
ساقهم اليه ميلهم الى العودة الى أحضان أمهم المجوسية بعد ان ضلوا السبيل ، وأدخل
أناس في عقولهم ان الشيخ عدياً رفع عنهم التكاليف الدينية من صوم وصلاة ، وأغنام

عن الذهاب الى (مكة) بزيارة (لالش) الى غير ذلك . وفي فتوى الشيخ عبد الله الربتكي
« أنهم ينكرون القرآن والشر » و « يصرحون بان لا فائدة من الصلاة » .
وبالأخير يقول : « ثم حصل لهم من آمال عقليتهم من المتصوفة الذين يرون رفع
التكاليف خصوصاً أنهم أميون » والصحيح ان الذي دعاهم الى رفع التكاليف هم مشائخهم
الذين أرادوا بهم التخفيف في أمر العبادات تطميناً لرغائبهم . ألا ترى كيف جعلوا لهم
صيام ثلاثة ايام من أقصر ايام السنة بدلا عن صيام شهر رمضان ، واستعاضوا لهم عن
صلاة سنة كاملة بصلاة ليلة القدر في المرقد المبارك ، وأغنوهم عن الذهاب الى مكة لأداء
فريضة الحج بزيارة لالش ؟ والأمية لا علاقة لها بهذا الموضوع وان كانت هي العامل
الكبير في إدخال هذه البدع عليهم .

وأورد في ص ٣٧ بحثاً مطولاً عن (مقاطعة اللعن) وما كان له من أثر في حياة هؤلاء
القوم الدينية واستنتج منه تحريمهم أشياء عدة (كالصبيغ بالنيل) لأنه يجر الى تسميته
(أكل الخس وتسميته) لقربة من أخسأ الذي يجر معناه الى اللعن و (طرح نوى التمر
الذي يأكلونه الى الورا) لأنه يؤدي معنى الرجم الى غير ذلك من المسائل العشرة التي
ذكرها وهو استنتاج غير صحيح ، ولكل من هذه المسائل العشرة أسباب خاصة تدعو
الى تحريمها حسب معتقدهم ، والأغرب من هذا ذهابه الى ان احترامهم الطاووس هو
من نتائج مقاطعة اللعن وهو خطأ ، واحترامهم الطاووس وعبادتهم له هو خضوع
لآله الشر وعمل على ارضائه وليس له علاقة بمقاطعة اللعن البتة .

وذهب الى ان عقيدة (الشیطان عند اليزيدية) وعبادته هي كذلك من نتائج مقاطعة
اللعن وأراد تارة ان يملل دخولها عليهم من النصرانية ، وتارة ان غلاة المتصوفة كانوا
يعملون بها وقد أخذوها عنهم وعجيب من الأستاذ ان يملل كما يجده في هذه الطائفة
من معتقدات شاذة بأنها تقاليد صوفية او نتيجة لمقاطعة اللعن التي منهنم عليها شيخهم ،
حتى اعتقادهم بالشیطان والعبادة له ، كل ذلك لينفي علاقتهم بالمجوسية . واذا سلمنا بان
غلاة المتصوفة كانوا يمتقدون بالشیطان ويعبدونه - وهو قول يقبل التعميل - فما علاقة
النصرانية بهذه العقيدة حتى يأخذوها منهم ، ولم يثبت لهم اتصال بهم في دور من أدوار

حياتهم؟ وهذه الدعوى لم يقم بها سوى الأستاذ، ولم يؤيده أحد فيها .
وجاء في (ص ٢١) بحث لتخت يزيد ، قلت : أن توجيه هذا التخت الى يزيد كذب
اختلقه اسماعيل بك الذي كان يوهم الناس بأنه أمير لليزيدية . وكان قد طلب من الحكومة
أخذ هذا التخت من متوليه وإعطائه له بصفته من ذرية يزيد ووارث له . ولعل القاري
يستشعر بان لهذا التخت قيمة كبيرة تضاهي مثلاً قيمة التخت الذي ينسبونه الى الشاه
اسماعيل الصفوي والذي دخل في حوزة سلاطين آل عثمان او غيره من الأمراء التي
ينسبونها الى أكسرة الفرس او ملوك الهند . كلاً أنه لم يكن اكثر من أعواد نخرة
يربطون بعضها ببعض وهو لم يكن تحتاً بالمعنى المعروف ، بل إطار لشباك يمزونه الى
الشيخ عدي لا الى يزيد ، وهو الآن في حوزة رجل من قرية بجزاني .
وجاء في ص ٣٨ :

« يقضي محيطهم وتدعو بيئتهم قسراً ان يلازموا تلك الأمية الموافقة او المقارنة
للأموية لفظاً ولعلمها السبب في تحريم القراءة والكتابة . »
ان المحيط والبيئة لا تقسران الانسان على ان يلازم الأمية ، كما ان المقارنة اللفظية
للأموية لا تستلزم تحريمهم القراءة والكتابة ، واذا أردنا ان نعمل بهذا المبدأ لفسدت
مدلولات جميع الأشياء وحصلت فوضى في كافة المعاني . وفرض الأمية على هذه الطائفة
- باستثناء أسرة واحدة - هو مبدأ صارم اتخذناه واضع هذه الديانة بغية إبقائها في
معزل عن الأديان السائرة ، والحيلولة دون اقتباس شي . منها ، وكتاب « الجلوة » نص
بصراحة على ذلك .

وجاء في سياق كلامه عن الامراء (ص ٩٢) وعما حصل لهم من الميل الى التعلم
والموانم التي حصلت في سبيل ذلك :

« أنه لا يؤمل في هذه الطبقة الرجوع الى دينهم الاصيلي ما دام بعض الأجانب
يفطون الحقائق عنهم بحجاب من الأطلاع من ناحية ، والمهاشة معهم سياسة اخرى ،
والغرض والبحث المستحكم من ناحية اخرى . »

وهذا ما كنت أنا ايضاً اعتقده ، ولكن ظهر لي بعد ذلك انه ليس هنالك أجنب

يتدخلون في شؤونهم من هذه الناحية ويعارضون نشر التعليم فيما بينهم ، بل الذنب هو صرامة المبدأ الديني الذي قضى عليهم بالجهل الأبدي والاعدام الأدبي الدائم. وأعتقد ان لو عاجلت الحكومة هذه المعضلة بطريقة تلاءم عقولهم لفضت على الأمية التي يرضحون تحتها عصوراً طويلاً بأقصر وقت . والقوم متحفزون للأخذ بأسباب المدنية ويريدون لهم حياة تجعلهم على قدم المساواة مع الغير ، إلا أنهم يجهلون الطريق الذي يسلكونه ويحتاجون الى من يأخذ بيدهم .

وجاء في البحث عن المزارات والمرابد من ١٤٣ :

« وفي هذه الأيام حدث اختلاف بين أمير اليزيدية سعيد بك وحموشيرو ، وذلك ان كان قد أخذته (أي السنجق) الحكومة وأعطته موقتاً الى حموشيرو فلم يعده الى أمير الطائفة اليزيدية . وكان أخذه ليطوف به في قرى سنجار ويعيده ، ولكنه لم يعده الى سرجهه الأصلي وأساء معاملته . »

ليس من واجب الحكومة ان تتدخل بأمر السنجق وتأخذه من الأمير وتعطيه الى حموشيرو ولو موقتاً ، ولا من اختصاص حموشيرو ان يطوف بالسنجق في قرى سنجار بل ان حموشيرو أخرجه من أيدي القوالين قسراً عندما ذهبوا به الى سنجار وحجر عليه عنده لسبب الاختلاف القائم بينه وبين الأمير من جهة النذور والخيرات التي تجمع باسمه وينفقها الأمير في أمور لا يرجى للملة نفع من ورائها وقد أعاده اليه بعد ان أبقاه عامين عنده .

ومما يجب ان نشير اليه ان حموشيرو لم يعد السنجق الى متوليه الشرعي عن رضى منه وقد عزم على الاحتفاظ به مهما كلفه الامر ، إلا ان ظهور أسباب قسرية اضطرته الى اعادته ، فأتى به ولده (خديدة) وسلمه الى قائم مقام سنجار فأرسله هذا بدوره الى متصرف الموصل ، وقد ذهب به وكيل المتصرف خليل عزمي بك الى الأمير في باعذرة (في ٢٠ ايلول ١٩٣٢) وسلمه اليه ، ولذلك فما قاله الاستاذ من « ان تدخل الحكومة بالامر كان للاختلاف الواقع على الامارة فأخذت السنجق واحتفظت به الى يوم الصلح » لم يكن صحيحاً .

وجاء في البحث عن زيارة السنجق ص ١٤٥ :

« وان الدراهم التي تجمع في هذا السبيل تكون لمضيفهم ومن هذا يخرج بدل الالتزام والكوجك الذي هو ضيف لصاحب الدار ، وكذا القوال ، وما بقي منه فانه يكون لصاحب الدار كتبرك له وريح . »

لم يكن الشارع للدين البيدي قضي بجمع دراهم من أتباعه باسم السنجق على زمنه بل فرض عليهم (مقطوعاً سنوياً يؤدونه لتأمين حاجيات بيته) ويجوز ان الذين خلفوه من أهل بيته لما رأوا من أتباعهم تهاونا وتباطؤاً في اعطاء هذا المقطوع وقد كثروا وتفرقوا في البلاد ، استبدلوه بخيرات تجمع باسم السنجق يؤديها كل من يدين بالبيديية والعادة ان يرسل رئيس الطائفة السنجق الى الجهة المختصة به مع طائفة من القوالين يصحبهم معتمداً له ، فيجمعون النذور والخيرات من أفراد الملة ويأون بها اليه ، ثم استبدلت هذه العادة باعطاء السنجق الى القوالين بالضمان ببدل يتفق عليه ، فيؤدي القوالون بدل الضمان وما يزيد يكون ربحاً لهم ، وكثيراً ما يلاقي القوالون خسارة عندما لم يكن الاقبال على زيارة السنجق عظيماً ، إما لرداءة المحصول تلك السنة ، او لظهور حالات تؤثر على الأمن ، ومن هنا يتضح ان هدف القوالين الوحيد هو تأمين ربح كبير لهم من التزامهم السنجق حتى كثيراً ما يرهقون الزوار بتكليفهم خيرات خارج طاقتهم ، فكيف يكون ما يتبقى من الدراهم التي يجمعها القوالون بعد اخراج بدل الالتزام متبركاً وريحاً لصاحب الدار الذي ينزل السنجق عليه ضيفاً ، وما هي علاقة الكوجك بهذه الزيارة حتى تؤدي مصارفه من فضلة التبرعات ؟ بينما يتحمل صاحب الدار خسارة فادحة في هذا السبيل . إذ لا يكون نزول السنجق ضيفاً عليه إلا بعد تبرعه بمبلغ كبير من المال يفوق به أهل قريته ، وشم قيامه بواجب الضيافة التي تضره الى نفقات كبيرة .

ان المدرسة التي أحدثت على عهد الفريق عمر وهي باشا في زاوية الشيخ عدي دامت من سنة ١٣٠٩هـ الى سنة ١٣١٤هـ ولم يكن لنوري بك والي الموصل شأن فيها وولايته على الموصل من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠هـ وكان قد عزم على احيائها من جديد إلا انه عدل عن ذلك ، ولم يظهر أحد من البيديية الاسلام حتى يكون في عداد الطلاب

الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة (ص ١٨٤) والطلاب الذين حصلوا العلم في هذه المدرسة كان معظمهم من اكراد الجبال ومنهم من كان من أهل الموصل .
ان القبائل اليزيدية الأربعة الذين ذكرهم الكرملي وهي: (١) البلتينية (٢) الرمكاف (٣) الجهسان (٤) النافذية لا وجود لها ، وقد أخطأ في ضبط اسماء بعض القرى وصححها كما يأتي :

طفتيا - طفتيان ، تلخش - تلخشف ، مقلب - مقبلي ، زينيتا - زينيات .
ولم تكن حادثة اسلام مرزا بك وقعت عام ١٨٩٩ بل عام ١٨٩٢ والذي أسلم معه أخوه بديع بك وشخص آخر من اتباعه فقط . وإسلام علي بك وثمانين من الأكابر لم يقع ص (١٦٢ ، ١٦٣)

وتوهم الاستاذ في ضبط اسماء بعض القرى نصححها كما يأتي :-
في سنجار : بهيل - كوهبل ، جلعان - جنعان (كنعان) ، قصيركي - قصركي ، كنده كيلي - كندی كيلی « بالكاف الفارسي » ، ملك - ملك « بالكاف العربي وكسر الأول والثاني » ، بشتيكر - بشتيكري « بالكاف الفارسي » ، نمل - نميلي ، سكينه - سكينية .

وأهل بكران جميعهم يزيدية وليس فيهم مسلم واحد وكذلك قرية تبه . . ولم تكن (كرسي) مقام الأمير بل مقامه في باعذرة في الشيخان .. وعين الغزال قرية اسلامية صرفة .

في الشيخان : جردانا - جروانا « بالواو » ، دوشيقان - دوشيفان « بالفاء الفارسية ومعناه الواديان » ملاجه برا - ملي جبرا « المل هو الكتف او الهضبة وجبر ، اللزغل » و (سميل) قرية اسلامية كانت قديماً تسكنها عشيرة القايدية من اليزيدية وقد خرجت من أيديهم سنة ١٨٣٥ في حادثة أمير راوندوز .

وجاء في صحيفة (١٤٧) ما نقله عن نوري بك عن جواز الفسق في مرقد الشيخ عدي . وعليه نقول : ان تجوزهم الفسق في مرقد الشيخ عدي وخارجه ذكره كثير ممن بحث عن هذه الديانة كالمقر يزي في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) والمارديني

ونورد مثالا ثالثاً على المناسبات غير المشروعة التي تقع لواحد من الروحانيين مع امرأة من العوام - اي المريدين - :

عثر في قرية (جدالة) في سنجار على أحد شيوخ أمرة (الشيخ حسن) واسمه (ابراهيم بن الشيخ حمدي) في حالة الزنا مع امرأة من المريدين اسمها (خشو بنت سليمان بن محمود) وهي زوجة (مندو) بن حمو شبرو فقبضوا عليها وذهبوا بها خارج القرية وأخذ الرجال والنساء والأولاد يرمونها بالحجارة الى أن أماتوها ورموا جثتيهما فوق المزابل فأكلتهما الكلاب والوحوش (وهذا هو الرجم الشرعي عند الاسلام) .

فهذه المسائل الثلاثة تدلنا على ان فعل الزنا بين الروحانيين أنفسهم ، وبين المريدين وطبقة الروحانيين ، وبالعكس مما لا تجوزه الشريعة اليزيدية وتعاقب عليه . وقد يقع بين المريدين إلا انه لا يفرق عما يقع من نوعه بين أهل القرى والعشائر المسلمة وقد يبدون تفضيلاً عنه لا سيما اذا كان محاطاً بالكتمان .

ان القصة التي رواها قسطنطين زريق في كتابه « اليزيدية قديماً وحديثاً » ص ١٧٠ عن اتصال اسماعيل بك بالجيش الانكليزي عندما كان مرابطاً قرب سامراء وما يتخللها من أخبار ، صحيحة لا غبار عليها . ولو أحسن اسماعيل بك سلوكه بعد ان وضع الانكليز ثقتهم به ، لتحققت أحلامه الذهبية ونال منصب الأمانة الذي لم يوفه صاحبه حقه .

لم يشبه الأمر على المرحوم احمد تيمور باشا عندما ساق نسب الشيخ حسن على هذا الوجه : (وجده أبو البركات ابن أخي الشيخ عدي) أو (وجده صخر أخو الشيخ عدي أي جده الأعلى) وما الفرق بين هذا وما قاله الأستاذ (وذلك ان أبا البركات هو صخر بن صخر وهذا الأخير هو أخو الشيخ عدي) وهل ان الاشتباه حصل في عدم ذكره أبا البركات باسمه واكتفى بذكر كنيته ؟

وجاء في ص ١٧٨ : « واليوم يقوم بأمر ذلك (حموشيرو) فانهم يتلقون أمور دينهم منه » .

ان حموشيرو لم يكن اكثر من فقير ومن صنف المريدين ، واذا كان قد نال منزلة

كبيرة في سنجار ، فذلك لسبب تقدمه عند الانكلاز وتوليه حاكمية الجبل طيلة مدة الاحتلال البريطاني ، أما من الناحية الدينية فلا قيمة له ، وهو الذي يتلقى أمور دينه من الرجال الروحانيين ، واذا لاقى شيخاً او برآ فحتم عليه ان يحترمه ويقبل يده .

لم يكن استيجار السنجق من الامير والتطواف به من اختصاص الكواجك ، بل من اختصاص القوالين ، وكذلك الرقص واتخاذ مراسم الافراح (ص ١٧٩) .

أن واضع كتاب « الجلوة » هو على ما نرجح أحد قسس بجزاني ، او النصراري المقيمين فيها . وللنصراري المقيمين في بجزاني اتصال وثيق باليزيدية ووقوف على عقائدهم اكثر من غيرهم .

ولم يختص أهل بغداد بتسمية المراض (بالا دبخانة) حتى يعده دليلاً على ان كتاب الجلوة كتب في بغداد لاحتوائه على هذه الكلمة وأهل الموصل جميعاً وأهل القرى يسمون المراض بالا دبخانة .

لم يكن كتاب « الجلوة » سخيفاً ، وإن كتب بلغة عامية . بل فيه من الاحكام الصارمة والمباديء الشديدة ما أدى الى صيانة هذه الديانة من تطرق الفساد والحلل طيلة هذه المدة . واذا كان اليزيدية لا يعرفون شيئاً عنه ، فأعمالهم ومعتقداتهم لا تخرج عنه . يقول : « ومقدمهم الديني الذي يقيم في ناحية (سركة) من أنحاء الشيخان يتولى رئاسة خدمة مرقد الشيخ عدي .. كذا جاء في عبده ابليلس » .

أن (سركة) او (ميركة) ليست ناحية بل اسم يطلق على مرقد الشيخ عدي ومعناه (العوطة) أي بقعة من الأرض تكون دوماً معشوشبة . ولعل ان هذه الكلمة محرفة من (سرج) التي تفيد عين المعنى والجيم يلفظ في اللغات الالعجمية على الأغل ككافاً . او (المرغ) ومعناه الروضة او البقعة الكثيرة النبات كالمرغة .

و (ميركة) قرية في جبل مقلوب كان يسكنها اليزيدية قبلاً ، واسم قضاء (معمورة الحميد) حسب التشكيلات القديمة .

واذا ما قيل (شيخ سركة) فالمقصود رئيس الطائفة اليزيدية الذي يسمونه (أمير الشيخان) على ان رئاسة المرقد لم تعد اليه ، بل هو الرئيس الروحاني لجميع اليزيدية الذين

على وجه الأرض . وقد يتولى المرقد على الاكثر أحد الفقراء يقيمه الأمير بالنيابة عنه .

✽ المستر جورج برسي بادجر وأبحاثه عن اليزيدية ✽

نشرت مجلة « اليقين » البغدادية المحتجبة في الجزء السادس والجزئين الذين يليانه من سنتها الثانية تعريفاً لا ببحاث عن اليزيدية للمستر برسي بادجر الذي جاء هذه البلاد عام ١٨٤٢ وبقي فيها حتى اواخر سنة ١٨٥٠ تجاوز حدود الصدق وسلامة الذوق فيما أورده فيها من آراء سقيمة لم يقصد منها سوى إثبات عدم وجود صلة لليزيدية بالاسلامية ، وأنها نصرانية بجميع مظاهرها ومعتقداتها وطقوسها وأصول عبادتها . والاجانب الذين كانوا يرتادون هذه البلاد في تلك العصور المظلمة كان ارتيادهم إما لفأية التبشير ، او لمقاصد سياسية ، وقليل منهم من كان يختار عناء السياحة لغاية البحث والاستطلاع او التجارة والاكتساب . والمستر بادجر كان حسبها يظهر من أبحاثه مبشراً أكثر منه تاجراً او محترفاً او عالماً ببحاته ، ويجوز انه كان يحمل بجانب مهمته التبشيرية مهمة سياسية كما رأيناه في (لايرد) الذي لعب دوراً مهماً في السياسة وهو لم يكن غير عالم أثري أجازته الحكومة العثمانية باجراء الحفر والتنقيب في خرائب نينوى ونمرود .

وبادجر لم يكن مبشراً بارعاً ، إذ قضى نحو ثمانية سنين في الموصل كان يتردد فيها الى مواطن اليزيدية ويخالط رؤسائهم وأسراهم ويمنيهم بمسول الأمانى ولم يتمكن من تنصير واحد منهم . وآخر ما كان منه بعد ان أخفق في مهمته سجل على اليزيدية ميلهم الى النصرانية ، وأنهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون اليها ونفى علاقتهم بالاسلامية نفياً باتاً مستدلاً بأدلة أوهى من بيت العنكبوت وترك تنصيرهم الى الكنائس ريشاً تنقبه من رقدها .

والغريب في الأمر ان الأخبار التي أذاعها عن اليزيدية لم يستقرأها بنفسه او يستقيها من منابع موثوقة ، بل التقطها من الأثواء وأخذها من عوام الناس الذين لا يباح لهم الكلام في المسائل الدينية وبنى أبحاثه عليها .

فقد ذكر في صدر مقاله - بعد ان عرف بناء معبد الشيخ عدي الخارجي المظلل بأشجار التوت المتفرعة الاغصان وتعرفه بسادن المعبد الذي كان يتبعه خادمان من

الرجال وعدة خدم من النساء - أن للخدم أزياء كأزياء الرهبان ، محزومة خصورهم بالزنانير ، وفي رؤوسهم العمام ، ولباس السادن يشبه لباسهم ، والعمامة البيضاء شعاره الخاص .

وهذه اشياء لم تكن صحيحة ، فالخدم هم كسائر البزيرية ليس لهم أزياء خاصة ، حتى ولا رجال الدين - الذين يتميزون على غيرهم بلحاهم الكثة الطويلة - باستثناء (الفقراء) الذين يلبسون خرقة سوداء قائمة - والزناير ، لم يكن موجوداً عندهم ولا يعرفونه ، وكلهم يشدون على خصورهم حزاماً من صوف ، وإذا كان لا بد له من ان يعبر عن هذا الحزام بالزناير « فالزناير رمز لمذهب الزرادشتية (١) » وليس نصرانياً والبزيرية متأثرة الى حد بعيد بالزرادشتية وصنوف الروحانيين يضعون فيه حلقات صفراء من النحاس ، والعمامة البيضاء شعار اسلامي أخذوه من الاسلام منذ أول عهدهم به ، ولم يكن استخدام النساء في المرقد معروفاً عندهم وليس من المؤلف ان ترتاد النساء المرقد عدا ايام الزيارات .

قال : « وفي هذا المخذع قبر كبير عليه كتابة عربية تعجبت إذ رأيتها مقتبسة من القرآن » .

فما هو سبب هذا التعجب الذي استفزه ؟ لأنه رأى هذه الكتابة العربية المقتبسة من القرآن على قبر أحد أعزة النصاري او براهمة الهنود ، او حامبالاما الشامانيين وكان يريد ان يراها إما بالكلدانية او الهندية او البوذية او أية لغة اخرى ؟ ولكن ما أسرع ما يزول عنه هذا التعجب وتهدأ أعصابه ويسكن روعه عندما يعلمه كبير القوالين « ان ما اقتبس من القرآن كان لوقاية المرقد من ان يدنسه المسلمون » وهذه براءة في التضليل وإذا كان يعتقد ان سيجد لتضليله هذا محلا في عقول قرائه الغربيين ، فالشرفيون يهزأون منه ويعلمون ان الآيات القرآنية تكتب عادة في المعابد الدينية الاسلامية وعلى قبور الأئمة والصلحاء من رجال الاسلام وليس في الأمر ما يدعو الى الاستنكار ، ثم اذا فرضنا ان ما قاله كبير القوالين صحيح فماذا أفادتهم هذه الكتابة العربية في وقاية المرقد

(١) را : في التصوف الاسلامي وتاريخه تأليف نيكولسون وتعريب ابو الغلاء عفيفي ص ٢٥

من ان يدنسه المسامون ، وقد تجاوزوا على المرقد اكثر من مرة وهدموه واحترفوا
عدياً من قبره وأخرجوا عظامه وأحرقوها على مرأى منهم ؟
وذكر ان حواراً جرى له مع سادن المرقد حول بعض المسائل الدينية ، ووقف على
أخبار هامة عن الديانة اليزيدية منه ، ونحن نذكر جريان حوار له مع هذا السادن واذا
كان جرى ، فقد جرى في مخيلته ، والبحث عن المسائل الدينية مع غير اليزيدي لا تجوزه
الشريعة اليزيدية مطلقاً ، ثم ما هي قيمة هذا السادن ومكانته في الدين حتى يأخذ هذه
الأخبار منه ، على ان ليس هذا الخادم الصغير بل الخادم الكبير لا يعول على كلامه ،
وقد حضرت الشريعة عليه الكلام عن الديانة اليزيدية ، وهذا هو الحوار الذي زعم انه
جرى له مع السادن :

- أين الشيخ عدي ؟

- أين محمد ؟ أين عيسى ؟ أين علي ؟

- عيسى في كل مكان ، فما علاقته بعدي ؟

- ان كان عيسى في كل مكان فكذلك عدي .

- من أين أتى الشيخ عدي ، ومن أبوه ؟

- ليس للشيخ عدي أب .

يقول : وبعد ان أخذني العجب من جوابه قال لي : لماذا تتمعجب فهل لعيسى أب ؟

يقول : فعدت وقلت له : من أمه ؟

- ليس له أم .

- بهذا قد فضلته على عيسى الذي أمه العذراء مريم .

- الشيخ عدي أكبر من عيسى لأنه من دون أبوين ، بل من نور .

- متى مات الشيخ عدي ؟

- لم يمت ولن يموت ..

- ماذا سيصبح بعد الموت ؟

- لا أعلم .

- أتعقد بالجنة والنار ؟

- نعم !

- من خلق الخير ؟

- خدا (الله) او الشيخ عدي .

- من خلق الشر ؟

- طاؤوس ملك .

- متى ينتهي الشر ؟

- عند فناء العالم .

- هل للعالم نهاية ؟

- نعم !

- كم يحكم الصالح ؟

- سبعون سنة .

- ماذا يكون بعد الملك طاؤوس ؟

- يعطيه الله مكانا آخر .

- أصحیح إباحة الفسق عندكم ؟

- أجاب الخادم الصغير : يعمل الرجال والنساء كما يشتهون في أرض الشيخ عدي .

فتصدى الخادم الكبير وأشار الى حجر على الجبل وقال لي : عندما يجتاز اليزيدية ذلك

الحد فانهم ملزمون بنسيان هذه الأشياء جميعها .

- هل أنت متزوج ؟

- الخادم الصغير : لا .

- من هو الذي وراهك ؟

- هو ابن أخي .

- هل يباح لك الزواج ؟

- نعم ، لكن لا يباح للسادن فقط ان يتزوج .

- لماذا نستعمل هذه الذبالات على القبور ؟

- دلالة على الاحترام .

- متى تسمون ؟

- عند الولادة .

- متى تختنون ؟

- في القرية التي نولد فيها .

- متى تغطسون في الماء ؟

- عندما نأتي الى الشيخ عادي أولاً ، وفي كل وقت بعد ذلك .

- ماذا تدعون في صلاة الحج ؟

- لا نصلي ، وإنما يصلي القوال ولا نعرف ماذا يقول .

- أتعبدون الشمس ؟

- نعم عند شروقها .

فاليزيدي الذي كتب له الجهل أكان سادناً من العوام ام روحياً وساقه جهله الى ان يجهل الأشياء التي تدور حوله ، أنى له ان يجاب على الاسئلة التي وجهها اليه جناب المستر بهذا الاسلوب العلمي الذي لا يقدر عليه إلا اكبر متعلم حيث نراه يقول على الفور وبدون تأمل ان عدياً لم يكن من أب وأم بل خلق من نور ليفضله على عيسى الذي أمه العذراء ، واعتقاده بالجنة والنار ، وان الذي خلق الخير هو الله او الشيخ عدي وان الذي خلق الشر هو طاؤوس ملك ، وان انتهاء الشر عند فناء العالم ، وان للعالم نهاية وان الرجل الصالح يحكمه سبعين سنة ، فمن أين لقي هذا السادن الفيلسوف وجري له معه هذا الحديث الذي دل فيه على عبقرية فذة ؟ على ان لو أتينا اليوم على أكبر شخصية من رجالهم الروحيين والقيمين عليه هذه الأسئلة لما استطاع ان يجيبنا عليها ، ولو إدعى ان حواراه جرى مع أحد الكواجك لا مع هذا السادن الصغير لقلنا انه أجابه على طريق الوحي والالهام كما هو من اختصاص الكواجك .

والأنكى من هذا تسجيله على لسان السادن الصغير إباحة الفسق في مرقد الشيخ عدي

حيث يقول (عن لسانه) على سؤال وقعه : « نعم يعمل الرجال والنساء كل ما يشتهون في أرض الشيخ عدي » وتصدى الخادم الكبير لتعليل هذا الخبر بعد ان أشار الى الجبل: أن اليزيدية ملزمون بنسيان هذه الأشياء كلها عندما يجتازون هذا الحد. ونحن نستجبر بالله من هذه الفرية التي تدل على انعدام الذمة والوجدان في هذا الرجل . فاذا كان أراد ايقاف الغير على درجة انفاس هذه الطائفة بالجهل حيث أنها تجوز الفسق في أقدم محل لها لا بل كعبتها التي تحجج اليها ، فيمكنه ان يورد هذا الخبر على طريق النقل دون ان يؤيده بحوار جرى له مع سادن المعبد . والحقيقة ان الفسق في أرض الشيخ عدي يعد من أعظم الكبائر ، ولا يحتمل اجترأ أحد عليه مطلقاً ، حتى أنهم يجتنبون شرب الخمر الذي هو محلل لهم في هذا المكان ولا يقربون نساءهم مدة إقامتهم فيه أيام الزيارات - كما هو حكم الحج عند المسلمين - وقد أشاع هذا الخبر عنهم أعداؤهم الذين رموهم بكل فرية لسبب الحروب والمقارطات التي قامت بينهم ، ولكنهم لم ينصفوا .

وقد حاول عبثاً المقارنة بين اليزيدية لاقتباسهم الآيات القرآنية على الوجه الذي سلف ذكره وطائفة النصارى الذين زعم أنهم سموا (مار بهنام) بخضر الياس ، وكنيسة (مار منى) بالشيخ منى قصد الحيلة بالمسلمين ، وقد طاش سهمه في بث هذه الدعاية الخبيثة بين المسلمين والنصارى ، والنصارى أنفسهم ينكرون هذه الدعوى ويقولون بأن مسلمي هذه الديار أشد عناية منهم بالشيخ منى وبالخضر الياس ويشاركونهم في أعيادها . قال : « أني ذاكر هنا اسم عشيرة (داسن) وهو لقب يلقب به النصارى والمسلمون ، وهم يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عن منشأه » .

نقول : إذا فالذي يعرف منشأ هذا اللقب واستعماله هو جنابه والمسلمون والنصارى الذين يلقبون به على زعمه ، قد يستعملونه ولا يعرفون شيئاً عنه ، أليس كذلك ؟ وهذا منتهى الجهل والغباوة من هذا الرجل وهو جدير بالسخرية والشفقة في آن واحد ، وما أجدر به ان يقول للارلانديين أتم لا تينيون ، وللبرتغاليين أتم اسقوجيون وهو لقبكم الذي تلقبون به وقد تستعملون هذا الاسم ولا تعرفون شيئاً عن منشأه . أما فقيهه الداسنية عن يزيدية الشيخان فهو أشبه بنفي البريطانية عنه ، وقد عرفوا بهذا الاسم

بجبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد
يقال لهم الداسنية - معجم البلدان -

وقال : « نسب بعض اليزيدية قومه الى يزيد بن معاوية وهذه خدعة منهم ليحميمهم
المسلمون » .

وقال في محل آخر : « ان احتفال اليزيدية بموت يزيد بن معاوية حيلة جرت لمسألة
التمصّب الأعمى ومقاومة الحكام المسلمين » .

نقول : أن نفي صلة اليزيدية بيزيد بن معاوية وجعل احتفالهم بموته حيلة جرت لمسألة
التمصّب الأعمى ومقاومة الحكام المسلمين جهل منه ، واذا أردنا ان ننفي صلتهم بيزيد
ونسبتهم اليه الى من يجب ان ننسبهم - على رأيه - من الفرق النصرانية ؟ ثم اذا كانوا
بحاجة الى ان يجاروا تمصّب المسلمين الأعمى بانتسابهم الى شخصية إسلامية كبيرة ، فلماذا
لم ينتسبوا الى أحد العلويين او الى غير يزيد من الأمويين ؟ أم اعتقد ان العالم الاسلامي
قصر محبته على يزيد بن معاوية وحده دون غيره ؟

قال : « ولهذا الغرض نسب أحد القبور التي في الشيخ عدي الى حسن البصري واني
متأكد من ان المدفون به رجل من اليزيدية له سلالة في بعشيقا » .

نقول : من أين تأكد يا ترى هذا الخبر ، والتقليد الديني حظر على اليزيدية قاطبة دفن
أمواتهم في مرقد الشيخ عدي وحتى قريباً منه ، واذا عاجلت أحدهم منيته في هذا المحل
يذهبون بجثته الى قريته .. أما حسن البصري المتوفي عام ١١٠ للهجرة فهو مدفون في
ناحية الزبير من أعمال البصرة وقبره ظاهر يزار ، وما يقوله اليزيدية عن قبره وبقية
قبور الأئمة والصلحاء في المرقد فهي أنصاب وضعوها للرض عنهم . وإلا فكلنا يعلم ان
أصحاب هذه القبور مدفونون في بقاع مختلفة من الأرض ، وحتى اليزيدية أنفسهم يعلمون
ذلك . ولكن هذا الرجل حريص على ان يظهر نفسه بمظهر البجاعة المحقق ، ويدعي بأشياء
كأنما لم يتوصل أحد الى معرفتها غيره ، كدعواه أن اسم (داسن) لقب يلقب به
المسلمون والنصارى وقد يستعملون هذا الاسم ولا يعرفون شيئاً عنه .

وقال : « قال لي الشيخ ناصر مرة إنا يزيدية نمجد الله ، وأشار الى الشيخ عدي الذي

ثبت في علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله. وقد علمت هذا من كلام جرى لي مع خدته المعبد وكثير من البيزيدية. فعلى هذا يكون قبر الشيخ عدي خرافة وأسطورة، وكلمة الشيخ حيلة يقصد بها مخادعة المسلمين الذين يضطهدونهم.»

نقول: أما ذهابه الى ان قبر الشيخ عدي خرافة لثبوتها في علمهم اللاهوتي أنه يمثل الله، فهو منتهى السخافة ولا نعتقد ان أحداً يسلم بهذا الكلام الهراء وينفي وجود هذا القبر بسائق هذه العلة، اللهم إلا اذا فرضنا وجود صاحبه خيالياً ابتدعه ولهذا الغرض. نقول هذا في حالة رفض جميع الاعتبارات التي تؤيد وجود هذا القبر في هذا الحل.

وأما قوله ان كلمة (الشيخ) حيلة ابتدعوها قصد مخادعة المسلمين، فان استعملها هذه الكلمة لم يكن حديثاً بل يذهب بالقدم الى زمن نشأتهم، وقد استعملوها في إسلاميتهم وفي يزيديتهم. ولم يعرف موطنهم (بالشيخان) إلا لكثرة الشيوخ الذين قاموا فيه منهم. وطريقتهم الصوفية - التي لا يجادل فيها أحد غيره - أسسها هؤلاء الشيوخ ولهم سلالات معروفة ويرجعون جميعاً في نسبهم الى واضع طريقتهم.

أو ليس من المضحك ان كل ما وجدته هذا الرجل من عادات إسلامية في هذه الطائفة حمل متابعتهم لها على حيلة وخدعة للمسلمين، فكأن المسلمين حتى أغبياء كما يتصوره حضرته حتى تؤثر هذه الحيل عليهم اذا كان نعمة حيل.

وقال: «وأشك كل الشك في وجود كتاب مقدس لهم، فادعائهم به أرجح ان يكون كذباً أرادوا به كيد المسلمين من بفضهم لهم لأن المسلمين يمدون من ليس لهم كتاب يستحقون اسكل نوع من انواع الاضطهاد والاهانة.»

نقول: سأل الله هذا الرجل مبشراً كان أو بجائناً أو أي شيء.. ما أشد حنقه على الاسلام، وأعظم بفضه للمسلمين! أما ترى الى أي درجة ذهب به الخبث والكيد حتى أخذ يدعي ان دعوى البيزيدية بوجود كتاب مقدس لهم كذب أرادوا به كيد المسلمين؟ ولو علم انهم اهل سنة وجماعة وكان لديهم «تفاسير كثيرة ومؤلفات دين وفقه» وبعد أن داخلهم الشك في عقائدهم على ايدي دعاة الضلال والسوء الذين دخلوا بينهم من لا يقلون خبثاً ونفاقاً وتضليلاً عنه، وأضاعوا هذه التفاسير والمؤلفات، أخذوا

يعملون بكتاب « الجلوة » ومصحف « رش » ، لما تورط في هذا الخبر الذي دل به على جهله .

وأما قوله : لأن المسلمين . الخ فذلك بهتان منه ، وكل من له إلمام باحكام الديانة الاسلامية يقر بأن الاسلام يأبى اضطهاد غير الكتابيين عدا ما كان من حرمانهم من بعض الحقوق التي فرضها لهم .

وقال : « والقوال يزمر بالناي والطنبور في اعيادهم الكبيرة ، وقد تعلموها من النصارى يدل عليها ما في الزبور من الكلمات » .

نقول : ما هو يا تري وجه تعلمهم الزمر بالطنبور والناي من النصارى ، وهذه العادة اكثر شيوعا عند اصحاب الطرق الصوفية من الاسلام كالفردية والرقاعية والمولوية وغيرهم ، والعدوية تعد واحدة منهن ؟ أم أن هذه الطرق ايضا تعلمت الزمر بالناي والطنبور من النصارى ؟ واستدلالة على ذلك بما في زمرهم من الكلمات التي في الزبور لم يكن صحيحا ، والترانيل التي ينشدونها في حفلاتهم تقتصر على الاشادة بفضائل شيوخهم وأساطين دينهم وليس فيها ولا كلمة من الزبور . ثم ما هم والزبور ، ومن أين يعرفونه ؟ واذا كان حضر حفلاتهم وسمع ترانيلهم مرة ، فقد حضرناها وسمعناها عشرات المرات ولم نجد فيها ما يحقق صحة دعواه . واذا وافقناه على ترانيلهم كلمات من الزبور في أناشيدهم فلماذا لم يكونوا قد أخذوها من القرآن الذي يقرأونه ، والقرآن مشحون بالآيات والكلمات التي تشابه ما جاء في الزبور ؟

وقال : « ويعرضون أيديهم للهب النار ويمسحون وجوههم به كما يفعل النصارى بالبخور في كنائسهم » .

نقول : وهذا افتراء منه . والحقيقة أنهم يقدسون النار عملا بالتقاليد الجوسية التي لا تزال عالقة في نفوسهم ، ومن بحث عنهم من الغربيين لا يجهل هذه الحقيقة . تقول الباحثة الانكليزية « مس روزيتا » في مقال لها نشرته عن هذه الطائفة : « وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها ، وللنار ايضا علاقة بعبادتهم ، وتلاميذهم دائما يمررون أيديهم خلال الهب ويمسحون وجوههم بها » .

قال : « وهذه الأسماء التي يضعونها كالشيخ أبي بكر والشيخ محمد .. الخ. أسماء خيالية ابتدعوها ابتغاء للتوفيق بينهم وبين المسلمين لأنهم لا يؤمنون بنبيهم ولا بقرآتهم ونحن واثقون من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد » .

نقول: وهذا استنتاج ثمين آخر له جدير بالتقدير، ولسنا نعلم هل هو نتيجة استقرائه أم دله عليه الخادم الصغير الذي أوقفه على كثير من الأسرار الدينية وجعله يتكلم بها بكل جرأة ؟

ان استعمال الزيدية هذه الأسماء لم يكن حديثاً وقد ابتدعوها بغية التوفيق بينهم وبين المسلمين ، بل قديمة ترجع الى أول عهد نشأتهم ، وكان آباؤهم يسمون بها ، وليس لهم أسماء اخرى غيرها ، واذا كان لهم أسماء اخرى يسمون بها ، كان عليه أن يدلنا عليها وهو البحاثة الضليع الذي يعرف عن المسلمين اكثر مما يعرفون عن أنفسهم . ثم لماذا لم يستعمل النصارى الذين هم على مقربة منهم هذه الأسماء بوقت كانوا اكثر منهم حاجة الى مجاراة المسلمين وكسب عطفهم ؟

ولنواقفه على ان الزيدية لا يؤمنون بنبي الاسلام ولا بقرآتهم ، فهل ان استعمالهم الأسماء الاسلامية يكفي للتوفيق بينهم وبين المسلمين ؟ وهذه نظرية لا نجد لها محلا غير عقلية الغنية بمعارفها ، الخصبية بمواهبها .

اما انه واثق من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد فهو قول يدل على جهله تاريخ هذه الطائفة جهلا تاما ومثله لا يناقش عليه . ويظهر ان « مس روزيتا » أخذت هذه النظرية منه إذ نجدها تقول في مقالها الآنف الذكر : « وإمامهم يسمى شيخ عدي المظنون انه عاش قبل محمد بعدة سنين » .

ثم لم يكن (حسين بك) رئيس الزيدية أخا للشيخ ناصر كما ذكره ، ولا يوجد صلة قرابة بينها حسين بك هو من أسرة (الشيخ ابي بكر) ، والشيخ ناصر هو من أسرة (الشيخ نقر) ، والأمراء هم القابضون على السلطتين الروحية والزمنية وأسرة الشيخ نقر وبقية المشايخ تابعون لأسرهم .

وما ذكره من اصرار الحكومة التركية على تجنيدهم فهو نتيجة اقتناعها بأنهم من الفرق

الاسلامية الضالة وكانت ترمي الى تجنيدهم أسوة بغيرهم .
ولم تكن المائيل التي يتجولون بها تابعة لأمر الشيخ ناصر ، وليس هو الذي يأمر
بنقلها وعرضها في الأماكن ويأخذ العشر من الصدقات والهبات التي تحبى بواسطتها ، بل
تابعة لأمر أمير الشيخان وحده ، ولا يجوز لأحد غيره ان يتدخل في أمرها .

وقال : « ان اختلاط الزيدية بالنصارى وخضوعهم للحكم الاسلامي يعد تغييراً في
أفكارهم وسنتهم ، فقد اقتبسوا من الفريق الآخر ما ليس عليه أجدادهم » .

وكأنه يريد ان يقول ان الزيدية قبل ان يختلطوا بالنصارى ويخضعوا للحكم الاسلامي
كانوا محافظين على عقيدتهم ولما خضعوا للحكم الاسلامي اختلفت فيهم العقيدة واقتبسوا
من الاسلام من المباديء الفاسدة ما ليس عليه أجدادهم وهو قول هراء لا معنى له ،
أفليست الديانة التي كانوا عليها على زمن أجدادهم هي الجوسية الفاسدة ؟ فما هي السنن
والأفكار التي تغيرت فيهم بعد خضوعهم للحكم الاسلامي ؟ هل يريد غير تمسكهم ببعض
المباديء الاسلامية التي أنتقدتها وحمل متابعتهم لها على الخدعة للمسلمين ليأمنوا شرهم ؟
إذن فحضرته يرجح بقاءهم على الجوسية وتمسكهم بدين آباؤهم على خضوعهم للحكم الاسلامي
وليس عليه ببعيد ان يرى الجوسية أصلح من الاسلامية التي يحمل لها في نفسه المقت
والكراهية ولو حاق بيده لما ترك لها أثراً .

وقال : « ان احترامهم للمسيح ، اعتراف به وهم يجهلون ذلك كل الجهل » .

تقول : ان احترامهم السيد المسيح دخل عليهم من الاسلام الذي يدعو الى احترام
كافة الأنبياء والرسل والتصديق بهم ، وطالما وجد فيهم هذا الاحترام للسيد المسيح
أما كان من الأجدر به ان يبشر به بينهم ويدعوهم الى المسيحية بدلا من بقائهم على الوثنية
المعقوتة ؟ أم انه بشر به بينهم ولم يلق أذنا صاغية فعاد وهو يتعثر في أذياله ؟

ثم اذا كان الاحترام للسيد المسيح معناه الاعتراف به ، فأنا أول من يحترمه ، فهل
يستلزم احتراي هذا له ان أكون مسيحياً ، وأجهل كل الجهل كون اني مسيحي ؟

وقال : « ان اختلاط الزيدية بالنصارى اكثر من انصاهم بالاسلام » .

وهذا صحيح ولا ننكره عليه ، والزيدية ما ركن الى صداقة النصراني إلا عندما

شمله الاضطهاد الذي كان يلاقيه وايه على يد رجال الحكم وزعماء القبائل في تلك العصور المظلمة، والخصيبة اذا شملت اكثر من واحد تجمع بينهما مها يكن بينها من الفوارق وإلا فالديانة اليزيدية لم تسمح له بصداقته أصلاً وكتاب « الجلوة » نص على ذلك .

وقال : « اما اغتسالهم بالماء فهو مأخوذ من التعميد كما أعلمني به بعض الناس » .

نقول : لما كان الاستاذ اعتاد ان يعلل المظاهر الاسلامية التي يجدها في اليزيدية بأنها نصرانية ، ولما لم يجد فيهم ما يسمونه « بالتعميد » وهو الركن الأساسي للنصرانية ، أدى به ابتكاره الى القول بان اغتسالهم بالماء مأخوذ من التعميد ، إذا فالتعميد موجود عندهم لأنهم يغتسلون ، وعلى هذا التقدير ، فيكون موجود عندي وعند الفاري . وعند الناس جميعاً لاننا نفتسل ، أليس كذلك ؟ ولو قدر له وعثر على حوض المستر أمبسن مؤلف كتاب طاووس ملك ، والذي وصفه لنا بأنه مصنوع على شكل ديك ، ويجرون فيه التعميد ، لما احتاج الى اصطناع هذا الخبر عن لسان بعض الناس .

وقال : « ويحترمون المهدين الجديد والقديم » .

ان الذي نعرفه عن اليزيدية أنهم يحرمون القراءة ، وقد اتخذوا الامية ديناً لهم ، وقد حظر عليهم شارعهم قبول كتب الاجانب من مسلمين ويهود ونصارى وأمرهم ان لا يقبلوا منها إلا ما يوافق سننه وهم متمسكون بهذه القاعدة ولم يجيدوا عنها ، فن أين عرفوا المهدين الجديد والقديم ومن أدخلها عليهم ؟ وهل قرأوها وفهموا ما جاء فيها حتى يحترموها ؟ والغالب أنه في زيارته لهم أهداهم نسخة من كتاب المهدين الجديد والقديم - كما هي عادة المبشرين في توزيع الكتب المقدسة - فأخذوه ، فمد أخذهم له احتراماً منهم له ، وما درى ان مصيره كان كمصير الكتب المقدسة الاسلامية التي تقع بأيديهم .

ويقول : « ولم يكن صيامهم ثلاثة ايام متواليات من شهر كانون الأول سوى احتفال بموت يزيد » .

فما معنى هذا الاحتفال بموت يزيد، بينما لم يكن انتسابهم له إلا قصد الخدعة للمسلمين وتوقيعهم من تعصبهم الاعمى ومقاومة حكامهم المسلمين؟ على ان الاعتبارات التي جعلتهم

يتخذون الصيام ثلاثة ايام معلومة . وقد تكلمنا عنها أكثر من مرة . ورجال الدين منهم يعترفون بفرضية الصيام ، وأن الحق تعالى فرض عليهم صيام ثلاثين يوماً ، إلا ان طاؤوس ملك خففه عليهم بأن جعله ثلاثة ايام .
وقال : « والراجح أنهم لا يحترمون الاسلام ، وإن كان بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكاهم » .

فبعد ان ذهب بدعواه الى احترامهم السيد المسيح ، والعهد القديم والجديد ، من الطبيعي ان ينفي احترامهم الاسلام ، أو ليست الغاية هي تثبيت هذه النتيجة ؟ على أننا كنا نود ان يكون أكثر إصابة في أخباره ، ويعترف ان عدم احترامهم الاسلام وحتى مجاهرتهم بالعداء له ، سببه إساءة المسلمين لهم وإصرارهم على مقاتلتهم لتخليهم عن عقائدهم الفاسدة التي يرونها مخالفة للاسلام ، ويعدونهم مسلمين . وهذا الذي أولد في قلوبهم البغض والكرهية للاسلام وعدم الاحترام له .

أما ان بعضهم يقرأ القرآن لأجل تعلم لغة حكاهم فقد أخطأ فيه ، ولا نعتقد ان الجهل يأخذ بهذا الرجل الى هذا الحد . ولكنه ليس جهلاً ، بل استهتاراً بالحقائق . فقراءة القرآن كانت في العهد الذي وجد بينهم فيه منحصرة في أسرة واحدة ولا يوجد في هذه الأسرة من يحسن القراءة أكثر من شخص واحد اثنين ، والتكلم مع الحكماء يمكن منحصر آ في هذين الشخصين لأنها يعرفان لغتهم ؟ ثم ما قوله اذا أعلنناه أن لغة الحكماء في ذلك العهد تركية وليست عربية ؟ والحكام جميعهم ترك ولا يعرفون من العربية كلمة واحدة ؟

وبعد ان ذكر ان النقوش التي على تماثيلهم مؤرخة بالتاريخ الهجري وأنهم « يعدون يوم الجمعة من ايام الأسبوع المقدسة جداً » قال : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفاقاً للمسلمين » .

أن هذه النقوش ، هي التي عبر عنها في محل آخر بالكتابات العربية وتمعجب إذ رآها مقتبسة من القرآن . هي لم تكن منقوشة على التماثيل ، بل كتابات على الحيطان . ومن الطبيعي ان تكون مؤرخة بالتاريخ الهجري ، والمسلمون لا يعرفون غير هذا التساريخ .

وعندما كتبوا هذه الكتابات كانوا مسلمين ولم يعرفوا ديناً غيره .

أما قوله : « انهم يعدون يوم الجمعة من أيام الاسبوع المقدسة جداً » ثم يعود فيقول : « وهم يقدسون يوم الجمعة وفقاً للمسلمين » فهو من مناقضاته . وقد يلجأ الى هذه المناقضات عندما يضطر لتلميل الأشياء على غير حقيقتها . ولنسلم انهم يقدسون يوم الجمعة وفقاً للمسلمين ، فلو لم يوافقوهم في تقديسهم هذا اليوم ، فما كان المسلمون يفعلونه معهم ؟ وقد وافقوهم - على دعواه - في حجهم وصومهم وصلاتهم ، وكتبوا الآيات القرآنية على جدران معابدهم ولم ينالوا ودهم وعظفهم ، وما برحوا يقاتلونهم بصفتهم مرتدون ويريدون ارجاعهم الى حضيرة الاسلام .

قال : « ولا يعد الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختنون » وقد أراد بالعشيرة الكردية في دجلة ، أهل قرية « رضوان » اليزيدية الذين تكلم اكثر من واحد من كتاب النصارى عن تركهم سنة الختان ، وعبر عنهم بالعشيرة الكردية في دجلة ، واليزيدية الذين في حوضه دجلة يبلغون عشرات الألوف . وقرية « رضوان » خليط من مسلمين ونصارى أرمن ، ويزيدية ، واليزيدية منهم لا يربون على خمسة وعشرين بيتاً ، وقد هاجروا على أثر حادثة الأرمن في الحرب العامة الأولى وتفرقوا في حوضه نهر « البوطان - بهتان » ومنهم من جاء الى سنجار وانضوى الى عشيرة الخالدية وجميعهم متمسكين باليزيدية ، عاملين بسنة الختان بكل أمانة . وكل ما في الامر ان رئيساً لهم - لم أذكر اسمه - على جانب من الغنى والثروة أراد التحبب الى رئيس طائفة السريان النصارى في رضوان وبنى لهم ديراً على ضفة نهر البوطان على نفقته ، وجاراهم في تعطيل سنة الختان عن أولاده فتحدث النصارى عنه ، وأكثروا محبتهم له ، ورفعوه الى درجة قدس ، إلا ان اليزيدية مقتوه وعندما مات منعوا دفنه في مقبرتهم ، كما ان النصارى لم يرضوا بدفنه بين أمواتهم . وقد التقط الكتاب النصارى هذا الخبر وبالغوا فيه ، فكان من جملة هذه المبالغات ان وجدنا الراهب « بادجر » يذهب بدعواه الى ان الختان الذي فرضه اليزيدية على أنفسهم لا يعد من السنن الاسلامية ، لأن العشيرة الكردية في دجلة لا يختنون ، فهل أكثر استهتاراً من هذا

الرجل بالحقائق مجرد أن يؤيد دعواه الباطلة ؟
وبالأخير قال : « وهم يظهرون عدم المبالاة عندما يدعون الى المذاهب النصرانية ولكن
كل شيء ممكن انشاء الله وهداية هؤلاء عن الوثنية سيكون عندما تتيقظ الكنائس
من رقادها وتشمر عن ساعدها » .

وهذا هو بيت القصيد من بحثه هذا الذي بذل فيه كل جهد وطاقة ليدلل على نصرانية
هذه الطائفة ، وينفي علاقتها بالاسلام ، ويعمل كل ما وجده فيها من مظالم اسلامية
بأنها مأخوذة من النصرانية . وقد رأى شعباً مهملاً منسياً ليس له من يفار عليه ويقوده
الى ساحل السلامة ، فمد له لقمه سائغة وسأل لعابه . وما درى أن الولد العاق لا بد له من
العودة الى أهله ، وأهله لا ينكرونه مهما أحملوه ، ويفارون له اذا امتدت يد غادرة اليه .
وهنا نريد ان نعلم ما هو الذي صنعه خلال ثمانين سنين قضاها بينهم ومنهم بمسول
الأمانى ، وما هو التغير الذي أوجده في عقائدهم ؟ والجواب انه لم يتمكن من تنصير
يزيدي واحد ، ولم يجد سبيلاً للقيام بمهمته التبشيرية . وكل ما كان منه ان اقترح على
الأمير حسين بك وشيخ المشايخ الشيخ ناصر ، فتح مدرسة في عين سفي فرد اقتراحه
وعاد بحفي حنين الى بلاده . واذا كان أخذ ينتظر تيقظ الكنائس من رقادها ، فنحن
نتنظر خروج هذا الشعب من أميته وانصرافه الى تحصيل العلم ليقرأ تاريخه ويقراً ما
كتبته في هذه الصحف له ، وهناك يعرف مكانته في المجتمع الاسلامي ويتبأوها
من جديد ...

﴿ اليزيدية - أو - عبدة الشيطان ﴾

رسالة نشرها احد الكتاب البغداديين عام ١٩٢٩ (١٣٤٧ هـ) سماها (اليزيدية - او -
عبدة الشيطان) لا يسعنا من ان نلقي نظرة خاطفة اليها ، نزع فيها صاحبها منزعا جاري به
بعض الكتاب ممن أرادوا إبعاد هذه الطائفة عن الاسلام ونفي صلتها عنه . ولو لم نخش
من ان يكون هكذا رسائل تأثير على حقائق كبيرة لها مساس بالمجتمع الاسلامي لما
انتقدنا حضرة الكاتب الأديب .

١- جاء في الكلمة التي صدر بها رسالته : « ان في قضاء الشيخان بلوا الموصل جماعة

يدعون باليزيدية يتراوح عدد نفوسهم بين السبعة والعشرين والثلاثين الف نسمة .
والصحيح ان اليزيدية في الشيخان لم تتجاوز نفوسهم اكثر من خمسة آلاف نسمة ،
وفي تقرير لجنة الحدود بين تركيا والعراق الى عصبة الامم ان عدد اليزيدية القاطنين في
لواء الموصل حسب الاحصاء البريطاني والعراقي من ٢٦ الى ٣٠ الف وحسب الاحصاء
الرسمي (١٨٠٠٠) وهذا العدد جمع بين يزيدية دهوك والشيخان وسنجار .

٢- يرجح في بحثه عن اليزيدية ؛ « ان كلمة يزيدية مشتقة من الكلمة الفارسية او
الكردية (يزدان) التي تعني الله ، وهذا وهم منه ، والصحيح ان نسبتهم الى يزيد بن
معاوية الأموي الذي اتخذوه إلهاً ، وما احتمله الشهرستاني من ان تكون كلمة يزيدية
« ايزدية » فتولدت الياء الثانية من الكسرة المجاورة ، نسبة الى « يزد » فهو ايضا لا يقوم
عليه دليل .

٣- وذهب في بحثه الذي صدره بعنوان (مشاهداتي) الى ان أصل هذه الطائفة هي
هي قبيلة كانت تدين بالمجوسية اسمها (ترهايا) ولما بدأ نجم المجوس يتضاءل تمسكت
بمقائدها حتى اذا نبغ فيها بعض الرجال والمشائخ نظموا شؤونها الدينية ولفقوا عقائدها
من مختلف الاديان وأوجدوا المذهب اليزيدي .

وقد غمز بالرجال والمشائخ الذين نبغوا من القبيلة التبرهية وأوجدوا المذهب اليزيدي
من مختلف الاديان ، بآل عدي بن مسافر الاموي الذين يحمل لهم في نفسه الكراهية
الشديدة - كما ستجده في أقواله التي ننقلها عنه - فضحى في سبيل كراهيته حقائق
تاريخية كان الاجدد به ان لا يتعدى عليها ، وإرجاع هذه الطائفة الى القبيلة التبرهية
خبر اختلقه أحد رهبان النصارى ، فتناوله الكتاب المغرضون لهذا البيت ولا كوه بألسنتهم
قصد الحط من كرامتهم وفي عدادهم هذا الكاتب الفاضل .

٤- قال : « لا صحة لما يثبت به البعض من أنهم أخذوا بعض المظاهر من الديانة الاسلامية
كالصوم والصلاة ، وما يشاهد عندهم الآن انما يفعلونه تقيية لمجاورهم المسلمين لا تديناً .
ولو وقف برسي بادجر على هذه الصراحة من هذا الكاتب لقبله من بين عينيه وبارك
فيه ، وهمس في أذنه : « انا الذي وضعت هذه النظرية ، ولي فيها غاية ، مع علمي ببطلانها

فأهي غايتك انت منها ؟ » .

وإذا كان لا بد لنا من تنبيه هذا الكاتب الفاضل الى الخطأ الذي وقع فيه وإفهامه حقيقة أمر هذه الطائفة ودرجة علاقتها بالاسلام نشيره الى الوصية الكبرى لأبن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رضى الله عنه ففيها ما يقنعه بفساد رأيه .

٥- وقال في محل آخر : « واسم اليزيدية الحقيقي محرف من (يازيدية - ي) التي وردت تسميتهم بها في عدة مواضع من كتابهم المقدس وهي منحوتة من لفظ (يزدان) التي تعنى الله والكردي يلفظ يزدان هكذا : (يزد - آن) ثم تحرف اللفظ فيه يازيدية ، فيزيدية » .

ان كلمة « يازيدية » لم ترد في كتابهم المقدس ولا في موضع واحد ، فضلا عن عدة مواضع الامر الذي يدلنا على انه لم يقف على هذا الكتاب ولم يره بعينه ، أما اذا كان للقوم كتاب مقدس غير الجلوة ومصحف رش وقد وجد هذا الاسم فيه فما أحراره ان يدلنا عليه ، أما كلمة « يزدان » فهي فارسية صرفة وشعب من شعوب الاكراد لا يعرفها ولا يتكلم بها ، وحتى الفرس لا ينطقون بها ويعبرون عن ذات الجلالة بكلمة « خدا » في كلامهم وفي كتابتهم فكيف يلفظ الكردي هذه الكلمة هكذا ... وهكذا ثم تحرف اللفظ فصار هكذا ، وظهرت كلمة اليازيدية ثم اليزيدية ؟ وماذا عليه لو جعل نسبة هذه الكلمة الى يزيد وخلص من هذا المسخ والتشويه ؟

٦- قال « وقد شاهدت القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم وقد وضعوا على كلمة (شيطان) و (التعموذ) و (اللعن) المتكررة فيه قطعاً من الشمع تحاشياً من رؤيتها » . وهكذا بعد ان ينسفي هذا الكاتب ما يدعيه البعض من أنهم أخذوا الصوم والصلاة من الاسلام ، ويقول ان ما يفعلونه تقية لجاورهم المسلمين يدعي بأنه شاهد القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم . فاذا لم يكن لهم علاقة بالاسلام ، لماذا يضعون القرآن العربي الكريم في كثير من بيوتهم ؟ ألزينة ، أم للتقية ، أم للتبرك ؟ على ان القرآن الكريم لا يوجد منه إلا نسخة واحدة في دار رئيس الأئمة في بجزاني ومحظور إراءتها

لأحد حتى اليزيدية أنفسهم .

يقول الأستاذ الكرمل في كلامه عن مصحف رش : « هو بعض صحف من القرآن حرقوها بأن حذفوا منها اسم شيطان ولفظة اللعنة ونحو ذلك ، ولم يطلع عليه أحد الى يومنا هذا (١٨٩٨) حتى من اليزيدية غير الفقيه الأكبر . وفي مطاوى سنة ١٨٩٢ وغرة سنة ١٨٩٣ أراد الفريق عمر باشا ان يعرف ما في هذا الكتاب ... فلم ينل أملاً . »
٧- وقال : « تاريخ هذه الطائفة قديم اختلف فيه المؤرخون اختلفهم في أصل دياتهم » .

لم يختلف أحد في تاريخهم أصلاً اذا استثنينا بعض الأغبياء من الأجناب الذين يريدون إرجاع شيوخهم الى ما قبل النبي بزمن بعيد وذلك لغايات خبيثة . أما الاختلاف في دياتهم ، فرجعه الى أسباب ثلاثة : (الأول) المبشرون النصارى الذين يريدون إرجاع هذه الطائفة الى النصرانية . فهؤلاء : يدعون ان العادات والتقاليد والمعتقدات الاسلامية التي نحتها فيهم دخلت عليهم من طريق غير مباشر ، وقد أخذوها وعملوا بها قصد الخديعة بالمسلمين لينالوا عطفهم ، ويأمنوا شرهم ، وقسم يدعون انها تحوي عناصر أديان مختلفة كثيرة كالاسلامية والنصرانية واليهودية والمجوسية وغيرها وهي الى النصرانية أقرب . السبب (الثاني) : الكراهية التي يحملها قسم من الكتاب الشرقيين للبيت الأموي ومقتهم لآل عدي ، حيث ينكرون على الشيخ عدي القيام باصلاح ديني حقيقي بين هذه الأقوام الوثنية ودعوتهم الى الاسلام ويرمونه بالباطنية ، ويدعون انه هو الذي نظم هذا المبدأ ولفقه تليقاً ، وينكرون ان هذا المذهب أخذ صبغة إسلامية صحيحة ثابتة ، ثم أدركته عوامل الفساد وأثرت عليه . السبب (الثالث) تصدي بعض الكتاب للبحث عن هذه النحلة دون روية وعلم ، اذ أخذوا ما قاله غيرهم وخطبوا خبط عشواء وأضروا اكثر مما أفادوا .

هذا هو أساس الاختلاف الذي عني به الكاتب الفاضل ويراني معذوراً اذا قلت ان الأسباب الثلاثة تجمعت في رسالته الصغيرة التي وضعها .

٨- قال : « ومن غريب ما شاهدته في ديار هذه الطائفة تحريم الكتابة على جميع

أفرادها ، فلا يجوز ان يسكن البلد الواحد أكثر من متعلم واحد بحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان .

وكأنما يريد ان يلقي في روع القاري انه أمضى شهوراً وأعواماً في تجوله في ديار هؤلاء القوم وزار نواديهم ، وطاف مجتمعاتهم ، واختلط بهم اختلاطاً وثيقاً ووقف على دخائلهم ، ثم أخذ يدعي تارة انه شاهد القرآن الكريم في كثير من بيوتهم ، وتارة يدعي انه شاهد تحريم الكتابة عليهم جميعاً ، عدا واحداً متعلماً بحسن القراءة في البلد الواحد ليقوم بما يحتاج اليه السكان .

والأخبار التي يرويها أكثر الكتاب عن هذه الطائفة هي من هذا النوع ، واذا كان هذا الكاتب كتب ما كتبه بعد زيارة قام بها الى باعذرة لم تدم أكثر من نهار واحد وعاد مساءً أدراجه الى الموصل ، فما نقوله في من يكتب عنهم عن بعد ولم تكن قد وطأت قدماه أرضهم ، وانصل بشخص واحد منهم ؟

والقراءة محرمة عليهم جميعاً باستثناء أسرة الشيخ حسن الذين يوجد الآن منهم من بحسن القراءة والكتابة اربعة اشخاص ، واشخاص آخرون تعلموا القراءة والكتابة اخيراً في المدارس التي أحدثتها الحكومة بينهم ولا يتجاوزون عدد اصابع الكف .

٩- وقال : « ولليزيدية طقوس غريبة تضاربت فيها الأقوال ، وقد جمعت شيئاً منها وقد وقفت على بعضه بنفسي ، ونقلت بعضه عن جملة المؤلفين » .

فما هي تلك الطقوس الغريبة التي تضاربت فيها الأقوال ؟ وما هي التي وقف عليه منها بنفسه ، والتي نقلها عن جملة المؤلفين ؟ أما التي وقف عليها بنفسه فقد علمناها وهي مشاهدته القرآن الكريم في كثير من بيوتهم ، ووضعهم قطع الشمع على الكلمات المنوعة عندهم تحاشياً عن رؤيتها ؟ ولم مشاهدته - بفرابة - تحريم الكتابة على جميع افرادها حيث لا يجوز أن يسكن البلد الواحد أكثر من متعلم واحد بحسن القراءة ليقوم بما يحتاج اليه السكان ؟ . وأما الشيء الذي نقله عن جملة المؤلفين وان لم يدلنا عليه ، ويدلنا على المؤلفين الذين نقل عنهم ، فنن الواضح ان الذي نقله هو ارجاع هذه الطائفة الى القبيلة التيرهية المجوسية ، وجعل مشائخهم الذين نظموا شؤونهم مجوساً تيرهيين ، وان المظاهر

الاسلامية التي نجدها فيهم يفعلونها تقية لمجاورهم المسلمين لا تديناً الى غير ذلك من المسائل التي ترمي كلها الى تضي علاقة هذه الطائفة بالاسلام ، والذين نقل عنهم هم أعداء الاسلام امثال بادجر والراهب راميشوع وغيرها .

١٠- وقال : « والصوم عندهم ثلاثة ايام متوالية في شهر كانون الأول من كل سنة ، ولعلمهم يقصدون بهذه البدعة تطبيق الآية الكريمة : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » فهم يصومون ثلاثة أيام باعتقاد انها تجزي عن ثلاثين يوماً » .

فبعد أن وجدناه يذهب بدعواه الى أن ما يشاهد فيهم من المظاهر الاسلامية كالصوم والصلاة يفعلونه تقية لمجاورهم المسلمين لا تديناً ، نجد هنا يقول أنهم يصومون ثلاثة أيام من أقصر أيام السنة اعتقاداً منهم انها تجزي عن ثلاثين يوماً حسب ما جاء في الآية الكريمة ، وفي هذا إقرار منه باعتقادهم بفرضية الصيام ، ، وأنهم يعرفون القرآن ويعملون به إلا أنهم يعملون به حسب ما تقتضيه أهواؤهم .

وهكذا بالوقت الذي نراه يصرح بأسلاميتهم تصريحاً لا شائبة عليه يرجع فيردد ما قاله من ان « ما يشاهد عندهم الآن من المظاهر الاسلامية إنما يفعلونه تقية لمجاورهم المسلمين لا تديناً » وهذا ما يدل على انه قد ارتبك عليه الأمر وأضاع القصد ورائده تضي علاقة هؤلاء القوم بالاسلام ، والظعن (بعدي) وإنكار اسلاميتهم بها أتى في ذلك من المناقضات .

١١- ذكر ان الأسماء يلون المشايخ بالمرتبة الدينية وهو خطأ ويعدده اليزيدية كفر ولا يقولون به . والأسماء وان كانوا والمشايخ يجمعهم جد واحد وجميعهم من أرومة واحدة ، إلا ان أسرة الأسماء لها امتيازاتها الخاصة ، ويمد الأ مير خليفة الشيخ عدي ويمتقدون به القدسية وأن جزءاً إلهياً قد حل فيه .

١٢- وقال « فالشيخ خادم تربة الشيخ عدي ويشترط فيه أن يكون من سلالة الامام حسن البصري وله زنار (شارة) يضعه على صدره وعلامة يمسكها بيده فاذا رآه جماعته خر واهل ساجدين » .

ولسنا ندري هل أنه وقف على هذه الاشياء بنفسه عندما زار ديار هؤلاء القوم أم

نقلها عن جملة المؤلفين . ولما كان قد أخطأ فيها وجب أن ندله على أن الشيخ لم يكن خادماً لتربة الشيخ عدي ، بل الذي يقوم بهذه الخدمة طائفة الفقراء والكواجك ، وبشترط ان يكون على رأسهم (جاويش) تشتترط عليه الاقامة في المرقد طيلة مدة حياته ، وأن لا يكون متزوجاً وذلك لعدم جواز اجتماع الجنسين في المرقد . ولم يكن للشيخ شارة يضعها على صدره ، بل شارته حزام أسود من صوف فيه حلقات من النحاس يشده على خصره ، وليس له علامة يسكها بيده ، وليس من العادة أن يخسر جماعته ساجدين عندما يرونه ، بل أن يقبلوا يده ، ولا يشترط على كل يزيدي أن يقبل يد أي شيخ كان ، بل يد شيخه الذي يتلمذ عليه .

١٣- ولم تكن وظيفة الفقير جمع البنين والبنات لتدريهم على ضرب الدفوف والرقص بل ذلك من اختصاص القوالين .

١٤- وقال « عندما دخلت تركية في حربها مع الروس عام ١٣١١ هـ جاء أحد قوادها المدعو طاهر بك الى الموصل لتجنيد توابع الولاية على اختلاف نحلها ، ولكن اليزيدية امتنعوا عن التجنيد بدعوى ان ديانتهم لا تساعدهم على ذلك ورفع الرؤساء منهم عريضة الى أمير الآلاي العسكري تضمنت الموانع الشرعية التي تحول دون ذلك » .

أ- ان دخول تركية الحرب مع روسية وقع عام ١٢٩٣ هـ وليس عام ١٣١١ هـ .
ب- لم يكن مجي طاهر بك الى الموصل لتجنيد توابع الولاية على اختلاف نحلها ، بل لتجنيد اليزيدية خصيصاً ، وكان ذلك بزمن ولاية مدحت باشا على بغداد (من مارت ١٢٨٥ الى مائس ١٢٨٨) .

ج- لم يرفع اليزيدية عريضتهم التي تحتوي على الموانع الشرعية لقبولهم التجنيد الى أمير الآلاي طاهر بك ، بل رفعوها الى المشير رؤف باشا الذي خلف مدحت باشا في ولايته على بغداد ، وذلك في تاريخ ١١ آذار ١٢٨٩ - ٢٨ شباط ١٨٧٢

١٥- وقال : « ولدى إمعان المراجع الايجابية نظرها في هذه العريضة التي رفعت مع كمية كبيرة من الدراهم ، قبلت هذه المماذير وأعفتهم عن التجنيد ، فباتوا في مأمن من هذه الجهة ، وهم يقصدون حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم ويحترمون » .

لم تعف الحكومة هذه الطائفة عن التجنيد بوقت من الأوقات ، وكانوا طيلة هذه المدة يستعطفونها لقبول البديل العسكري منهم أسوة بالملل غير المسلمة ، وكانت ترفض طلبهم وتعدهم مسلمين ولا فرق بينهم وبين الدروز والبكتاشية والقزلباشية وغيرهم ممن كان يسري عليهم قانون التجنيد . فإذا علمنا ذلك اتضح لنا درجة صحة الخبر الذي ساقه حضرة الكاتب عن اعطائهم كمية كبيرة من الدراهم وقبول معاذيرهم وغفومهم عن التجنيد ونمّ تقديسهم حتى الآن اليوم الذي قبلت فيه عريضتهم واحترامهم له .

١٦- وقال : اختلف المؤرخون في أصل الشيخ عدي الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية اختلافاً بيناً ، وأورد نبذاً من اقوال طائفة من الكتاب والمؤرخين عن نسبه ونهجه وسلوكه تمهيداً لأبداء رأيه فيه ، وخلاصة ما قاله :

(أ) ان الشيخ علي الشرقي النجفي وجماعة من المسيحيين فيهم انستاس الكرملّي والقس سليمان الصانع اعتمدوا على صحة الرواية التي جاءت في مخطوطة الراهب النسطوري في تعريف نسب الشيخ عدي رئيس الطائفة اليزيدية .

(ب) ان الشيخ عدياً الذي احتل دير الرهبان - اذا صح ما جاء في المخطوطة - هو غير الشيخ عدي الذي أتى من بيت فار في (بعلبك) وسكن جبال الهكارية . وأن الأول كردي تيرهي قتل عام ١٢٢٣ م ، والثاني عربي توفي عام ١١٦٠ م ويجوز أن يكون الشيخ عدي الأموي قد اتخذ زاويته في مقام الشيخ عدي الكردي الذي احتل الدير ودفن فيه بعد مقتله .

(ج) لم ير من الكياسة أن يناقش احمد تيمور باشا فيما يراه عن تصوف الشيخ عدي بن مسافر وكونه من متصوفي زمانه ، ولكنه يرى إشكالا في ارجاعه اليزيدية الى الصوفية بعد ان استدلل على أن أصلهم من عشيرة مجوسية وقد تمسكوا بعقائدهم بعد أفول نجم المجوسية بدلائل تكاد تمسك باليد .

هذه هي النتائج التي توصل اليها هذا الكاتب اللوذعي في نتيجة أبحاثه عن أصل الشيخ عدي الذي تنتمي اليه الطائفة اليزيدية وأودعها رسالته (اليزيدية - أو عبدة الشيطان) وليس من شك في ان روح بادجر والراهب راميشوع ستطيب اليها وهي في رسمها

ويعنى بادجر المعلوم وراميشوع المجهول ان يكون على غرار هذا الكتاب ، كتاب آخرون
كثيرون ينسجون على منواله ، ويؤيدونها فيما قالاه عن أصل هذه الطائفة وعن شيخها
الأموي .

وهنا نبين الاخطاء التي أتى بها هذا الكتاب وتترك للقارىء الحكم في هل انه أتى بها
خطأً وجهلاً أم قصداً والنزماً :

أولاً - استشهد بالشيخ علي الشرقي النجفي والراهب الكرمللي والقس الصائغ على صحة
ما روته المخطوطة المنسوبة الى الراهب النسطوري عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته ، بينما
لم تتكلم المخطوطة عن الشيخ عدي ونسبه ونشأته حتى يظهر هؤلاء الكتاب الثلاثة
اعتمادهم عليها ولذلك فهم لم يعتمدوا ولم يشهدوا ، وعلى فرض صحة ما قاله عنهم فاعتمادهم
لا يغير وجه حقيقة تاريخية متفق عليها .

ثانياً - لقد قصرت المخطوطة أبحاثها على الشيخ عدي الثاني وعدته تيرهيماً في نسبه ،
مجوسياً في عقيدته ولم يكن تعرضها للبحث عن الشيخ عدي بن مسافر الا عرضاً وهو لم
يكن المقصود لديها بالأصل والذات . فوضع الكتاب عدياً بن مسافر بمحل عدي الثاني
وصفوه بالأوصاف التي وصفته بها المخطوطة خطيئة لا تغتفر .

ثالثاً - جوز ان يكون الشيخ عدي بن مسافر الأموي المتوفي عام ١١٦٠ اتخذ زاويته
في مقام الشيخ عدي الكردي التيرهي الذي احتل الدير وقتل عام ١٢٢٣م ودفن فيه بعد
مقتله ، الأمر الذي يدل على ان التاريخ بنظره يمشي الى الوراء لا الى الأمام .

رابعاً - لا يرى من الكياسة ان يمارض احمد تيمور باشا الكاتب المصري في عده (عدياً)
من متصوفي زمانه وارجاعه اليزيدية الى الصوفية لأنه استدل على صدق نظريته بدلائل
تكاد تلمس باليد وليست هذه الدلائل غير مخطوطة الراهب التي أملاها عليه بفضه لهذا
البيت ورمائم فيها بكل ما يشينهم ويحط من قدرهم وكرامتهم معرضاً عما قاله مؤرخو
الاسلام كابن الأثير وابن خلكان والامام ابن تيمية والتاوفي الجنبلي وغيرهم عنه .

ان الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ ناشيء من اقتصاره البحث على مخطوطة هذا الراهب
ولو راجع كتب الاسلام ووقف على ما كتبوه عن عدي وشيعته اليزيدية لأنصفهم

وأُصِفَ التاريخ ، ورفع عنه اعتداء الاجانب واعتدائه نفسه . ولا حاجة لأن نشير الى مؤلفات الاسلام الكثيرة ويكفي ان ندله على الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الشيخ عدي بعد ان وجد الفساد يدب في عقيدتهم ، وأراد إصلاحهم ، ففيها ما يعطيه قناعة بان هذه الجماعة كانوا زمناً من خيرة الاسلام ، وكانوا يعملون بالسنة والحديث ويقرأون القرآن ويجادلون فيه وكان يرجو اصلاحهم .

ان هذه الوصية هي من أهم الوثائق التي تبطل ادعاءات الاجانب الكاذبة وتفصح نواياهم التي تحمل سماً زعافاً للاسلام ، فقد خاطب صاحبها الامام رضي الله عنه هذه الطائفة « بالمسلمين المنتسبين الى السنة والجماعة المنتمين الى جماعة الشيخ العارف القدوة ابي البركات عدي بن مسافر الأموي رحمه الله » وأشار فيها الى من كان « فيهم من أهل الصلاح والتقوى ، وأهل القتال المجاهدين ما لا يوجد مثلهم في طوائف المبتدعين ، وفيهم من له الاحوال الزكية والطريقة المرضية ، وله المكاشفات والتصرفات وفيهم من الاولياء المتقين من له لسان صدق في العالمين » وما على من يريد الوقوف على حقيقة أمر هذه الطائفة وما كانت عليه في بدء أمرها من التمسك باهداب الدين الاسلامي وما آل اليه اخيراً أمرها من الابعاد عن هذا الدين إلا ان يقرأ هذه الوصية وهناك يظهر له فساد رأي الكتاب الاجانب ومن أتبعهم من كتابنا المسلمين .

ولننظر الآن فيما قاله عن لسان البيهقي بان قبر الشيخ عدي خرافة اكثر منه حقيقةً وهذا نوع من البراعة في تحريف الحقائق ، فالبيهقي لم يقلوا به ، ويمدون من يقول به كافرأ والذي قاله (بادجر) ليبدل به على ان القوم اتخذوا عدياً رمزاً عن ذات الله عندما أُرِدا نفي وجوده ، وقد أخذ عده ورواه عن لسان البيهقي بالوقت الذي لم يتيسر له الحديث مع واحد منهم عدا «القول الرشيد» الذي زعم انه دله على معلومات عن حقيقة المذهب البيهقي لقاء جنبيين أعطاها له . وقد أجاد في إصاغة هذه الرواية بان عززها في خبر آخر وهو ظهور ملك صالح عليهم وإدخاله في عقولهم بان هذا القبر هو قبر الشيخ عدي ثم صاروا يحجون اليه ، على ان خرافة الملك الصالح ، او الراهب الفار من دير (القوش) او (الشيطان) تروى بشكل آخر وقد مزجها برواية (بادجر) وأوردها كحقيقة راهنة .

﴿ أولياء جلبي وابعائه عن اليزيدية ﴾

نقل صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نخلتهم عن « أولياء جلبي » السامح التركي اخباراً عن يزيدية سنجار في سياحته اليهم عام ١٠٦٥ هـ ليس فيها ما ينطبق عليهم في الحال الحاضر ، وقد تعمد المبالغة فيها ليقال انه أتى باخبار طريفة لم يسبقه أحد فيها . وأوليا جلبي لم يكن ذا مكانة علمية وثقافة عالية بل كان في أول نشأته مؤذنا عند أحد الوزراء ثم صار إماماً وجاب بلاد الأناضول والشام ومصر والعراق وذهب الى ايران وعلى عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥١ - ١١٠٤ هـ) رافق هيئة السفارة التي ذهبت الى (فينه) ومن هناك طاف بلاد الألمان والفلمنك ، والدانمارك ، والسويد ، والبولون ، والروس ، وعاد الى اسطنبول من طريق القريم ووضع سياحته المشهورة التي قال شمس الدين سامي بك في قاموس أعلامه عنها انها لا تخلو من مبالغة .

وبما قاله عن يزيدية سنجار : « انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب واكثرهم قصيرو القامة ، وليس لهم رقاب واضحة ، فكأن رؤوسهم خرجت من اكتافهم ، وان الأكراد هناك بسمونهم باهل الشوارب الثمانية إشارة الى ان لهم حاجبين وشاربين وشعراً يخرج من أنوفهم وآخر من آذانهم ، جلدهم اسمر غامق وأسنانهم كأسنان الخيل ، وولدهم أسرد لحد العشرة من عمره ، فاذا تجاوزها كان كابن العشرين أشعر ، وان نساءهم لا يرضعن اولادهم قبل مرور سنة كاملة » .

والحق ان أحداً غير « اوليا جلبي » لم يستطع ان يصم أحداً بهذا الشكل اللاذع وهو بارع في هذا الفن وله اليد الطولى فيه . أما انهم وسخون وفي رؤوسهم القمل والصواب يجوز ان يكون صحيحاً . وأهل القرى والبوادي أكثرهم على هذا الوصف ، والنظافة هي من مميزات أهل الحواضر والمدن . إلا ان وصفه لهم بقصر القامة ، وأنهم ليس لهم رقاب واضحة ، وكأن رؤوسهم خرجت من أكتافهم ، فهو تشنيع واختلاق ، وكل من عرفهم ينكر عليهم هذا الوصف . وقد يتميزون عن شعوب الأكراد قاطبة بضخامة جثثهم ، واعتدال أقومتهم ، وطول أعناقهم ؛ حتى شبههم نوري باشا في كتابه « عبده » ابليس « بالأرمن الذين في وان وبدليس . وهم على غاية من الصباحة والملاحة . وقد

انتهت في شبانهم الرشاقة والطفافة ، وقد يتخذ « الجوانا » منهم غداً يرسلونها على أكتافهم فتزيدهم ملاحه وسحراً . فأين هذا من نعمهم بذوي الشوارب الثمانية ، وإن ولد لهم أسرد لحد العشرة من عمره ، فإذا تجاوزها كان كابن العشرين ؟

ولسنا نعلم ماذا قصد بقوله : أن نساءهم لا يضعن أولادهن قبل مرور سنة كاملة ؟ وإذا كان يريد أن يدل على نقص في خلقتهن وضعف في بنيتهن ، فلا يكون ذلك سبباً في تغيير سنة الله في مدة الحمل وجعل المرأة في مصاف البقر والحير ، ولكن أين له أن يعلم أن المرأة اليزيدية في سنجان قد لا تنقطع عنها العادة الشهرية إلا في سن الحسين والخامسة والحسين ؟ وذلك لاعتدال صحتها وقوة بنيتها ولم يوال ولاية بغداد والموصل حملاتهم على سنجان إلا قصد سبي نسائه وفتياته للاستمتاع بهن لما عرفن به من الجمال البارع والحسن الساحر .

قال : « وللكلاب عندهم حرمة ، فإذا وضعت المرأة أرضعت إبنها بجليب كلبة سوداء ، وإذا ضرب أحدهم كلباً يخشى عليه أن يقتل ، وفي كل بيت خمسة كلاب إلى عشرة . وفي باديء الأمر يقدمون الأكل إلى الكلاب ثم يأكلون فضلاتهم . وتنام الكلاب معهم . وقد تبلغ قيمة الكلب الأسود عندهم ألف قرش أو عشرة بغال . فإذا ولدت الكلبة يتخذ لها مهرجان ، وإذا مات كلب أسود يغسلونه بماء البصل ويكفونونه ويذهبون به إلى المقبرة فيدفنونه ويتخذون له مأتماً ، ويطعمون خيرات لروحه كباباً (مشويًا) يوزعونه على الكلاب الباقية ، وكل من يموت يوضع في كفه شعر الكلب .. »

وهذا منتهى الغلو في التشنيع ، ولا نخال أن قوماً أظهروا مثل هذه الحرمة لكلابهم مها بلغ بهم التوحش ، ولا ينكر أن القبائل التي تعيش في البراري ورؤوس الجبال يعطفون على الكلاب بصفتهم الحراس الأمينين لهم ، ولا يرضى أحد أن يمس آخر كلبه بأذى وسوء ، إلا أنهم يقدمون أولاً الطعام إلى كلابهم وهم يأكلون فضلاتهم ، وإذا مات كلب يغسلونه بماء البصل ويكفونونه ويدفنونه ، ويتخذون له مأتماً ويطعمون لروحه خيرات كباباً مشويًا ، وإذا وضعت المرأة ترضع إبنها بجليب كلبة سوداء ، وكل من يموت يوضع في كفه شعر الكلب ، وإذا ضرب أحد كلباً يخشى عليه من القتل ، فذلك

لم يقع منذ خلق الله البشر وخلق الكلاب ... فاذا كانت حرمتهم للكلاب على هذا الوصف هي عقيدة دينية ، فكيف ومن أين دخلت عليهم هذه العقيدة ولا نجد لها أثراً بينهم ؟ واذا كانت عادة جروا عليها وخدم ، فلا احتمال لذلك ، وهم قوم ذوو شتم وإباه ولا يرضون لأنفسهم مثل هذه الحطة والمرة ؟

قال : « وللبصل والجبن عندهم حرمة كبيرة ، وذلك أنهم يحملون البصل والجبن غذاء لهم . ومن ضرب أمامهم البصل يجمع فكسر رأسه يخشى عليه ان يقتل ويمرر رأسه كما فعل بالبصل . وأغرب ما عندهم أن الغني لو مات يغسل بماء البصل ، ويفرس البصل في قبره .. »

إن اتخذهم البصل والجبن غذاء لهم ، ليس فيه ما يعابون عليه ، وجميعنا نأكل الجبن والبصل ، وحتى أوليا جلي نفسه . وإن من ضرب أمامهم البصل يجمع فكسر رأسه يخشى عليه ان يقتل ويمرر رأسه كما فعل بالبصل ، فهو خبر مختلف لا أصل له . وقد أجريت هذه العملية فعلا أمامهم في ولائهم التي حضرتها أكثر من مرة ، فلم أجد منهم من يستنكرها . ثم ما هي البركة التي يجنونها في البصل حتى يستخرجوا ماءه ويفسلون أمواتهم الأغنياء فيه ؟ أم لرائحته العطرية الطيبة ؟

وقد توهم عندما رأى بصلا مفروساً في قبر وظنه من ذلك البصل الذي يخشى على من كسر منه رأساً بجمعه ان يقتل ويمرر رأسه وهو ان يكون على الغالب من بصل السوسن او الترجس الذي يزرع في القبور عادة ، كما نشاهده في مقابر المسلمين في الجبال . وهذا كله ما يدلنا على ان أوليا جلي قد تعمد اختلاق هذه الأخبار عن يزيدية سنجار ، وقد نقلها صاحب تاريخ اليزيدية وأصل نحلته عنده وأشار الى أنه بالغ كثيراً فيها . وقد نقل عنه حديث الحية (ص ٧٠) بعد ان ألقاها نوح في النار وأحرقها ، وهو لا يقل سخافة عن بقية أخباره .

﴿ الشيخ علي الشرقي النجفي وأبحاثه عن اليزيدية ﴾

ترجع معرفتي بالشيخ علي الشرقي الى سنة ١٩٢٤ عندما كنت قائماً قاضياً في قضاء

الشرطة في لواء المنتفق .

والشيخ علي الشرفي معروف بأدبه الجلم وعلمه الغزير وفكاهته الحلوة ، وهو مع ذلك ولوع بالبحث والتنقيب عن الديانات الشرقية ومنها اليزيدية التي كثرت رغبة البحث عنها . وكنا نتداول البحث عن تاريخ هذه الطائفة ومسائله الدينية ، وقد حصل لديه مجموعة معلومات عنها .

وقد أودع معلوماته الثمينة في مقال نشره في الجزء السادس من المجلد الحادي عشر من مجلة العرفان الفراء سنة ١٩٢٦ شباط (١٣٤٤ شعبان) تحت عنوان (اليزيديون او البازيدية) وتكرم وأهداني منها نسخة مما أوجب مزيد شكري وامتناني له .

فبعد ان ذكر في مقاله اجتماعه بي في مدينة (الشطرة) التي بلغها في اصطيفاه في ضواحي نهر العراف المبارك وما دار بيني وبينه من السمر الأدبي الذي كان الموضوع البكر منه تاريخ اليزيديين ومسائلهم الطائفية ، انتقل الى البحث عن اجتماعه ببغداد بالفاضل البجاعة الاستاذ يعقوب نعوم سر كيس من بيوتات المسيحيين المنزه بها والقديمة في العراق ، ووقوفه لديه على كتاب مأخوذ بالتصوير الشمسي في تاريخ اليزيدية أهم ما وجدته فيه من فصول كتابهم المقدس كتاب (الجلوة) المحظور قراءته حتى على أكثر الخاصة منهم ، وعثوره على مستند تاريخي يتعلق بتاريخ (الشيخ عدي) ونشأته الأولى في مجلة وضيفة دار السلام عدد ٣١ المجلد الثالث عن مخطوط قديم باللغة الأرمنية نقل الى الفرنسية ومنها الى العربية ثم قال : وتصفحت شيئاً من تاريخ الملل الاسلامية وما جاء في كتب الآداب والنحل ، وقرأت شيئاً من آراء المستشرقين في هذه الطائفة مثل ما كتبه الموسيو بورتوكالبان ، والسر مارك سايكس وكثير من أمثالهم .

والخلاصة التي توصل اليها في نتيجة تدبعماته ودراساته ، حصرها في مقاله الذي نحن بصدد البحث عنه ، يحتوي على خمسة فصول لم تستغرق أكثر من سبع صفحات .

الفصل الأول : (اسم هذه الفرقة) :

يقول فيه : « اشتهرت هذه الفرقة باسم (اليزيدية) فقبل انه نسبة للأموي يزيد بن معاوية ، وانهم يقدسونه . ويمكن ان يكون هذا وهماً نشأ بين جماعة من الكتاب ومنشأه ان هذه الطائفة تقديس الشيخ عدياً وهو أموي كما تنسبه النسخة التي بأيدينا ، فوهم

بعض الكتاب أن عدياً أحدث طريقة تقديس أشياخهم ومنهم يزيد .
أقول : ان نسبة (اليزيدية) الى يزيد بن معاوية الأموي ليس فيها شيء من التوهم ،
وقد اتضح ان الشيخ عدياً الذي تقديسه هذه الطائفة أموي ، واذا لم تكن طريقته مبينة
على تقديس الأشياخ الأمويين ومنهم يزيد ، فالذين أعقبوه من أهل بيته وتولوا
الارشاد بعده كانت طريقتهم مركزة على تقديس هؤلاء الأشياخ وتأليهم ومنهم
(يزيد) الذي اعتقدوا بألوهيته . وفي هذه النسبة من الوجهة ما يجعل القول بنسبة
هذه الطائفة وديانتهم نارة الى (يزيد بن أنيسة الخارجي) وتارة الى مدينة (يزد) في
فارس ، او الى كلة (يزدان) التي تطلق على الباري تعالى بعيد عن الاصابة .

وبعد ان نفي الاستاذ إمكان إصابة هذه الاقوال جميعها ذهب في تسمية هذه الطائفة
مذهباً على جانب من الغرابة وهو تسميتها بازيدية (بالباء) بدلا عن يزيدية وذلك
لاعتبارات ثلاثة وجدها مبررة لهذه التسمية . وهي أولا - عثوره في النسخة القديمة
الماخوذة بالتصوير الشمسي على لفظ بازيدية (بالباء) اكثر من ٢٠٠ مرة ، ثانياً - ذكر
هذه النسخة بلادهم القديمة حسب ترتيب سناجقهم ، وجعل سناجقهم السابع على مملكة
وان وبازيد وحكاري حيث لم يكذبك بشك بنسبتهم الى (بازيد) . ثالثاً - عدم وجود
تطبيق حقيقي لنسبة يزيدية غير تصادم ظنون وشكوك ، يقول : وقد نحت اسم
(بازيدية) وتحرف الى (يزيدية) ، ولذلك فهم بازيدية (بالباء) لا يزيدية ، على أننا
اذا وافقنا الاستاذ على توجيهه هذا يجب ان نسميهم (بازيدية) لا (بازيدية) لتصح
النسبة الى (بازيد) معرضين عن جميع الاعتبارات التي تجعلنا نرفض صحة هذا التوجيه
ونحن مدينون بالشكر للاستاذ يعقوب نعموم سر كيس صاحب هذه الرسالة فإنه أزال
الالتباس في هذه التسمية إذ ذكر في مقال له نشر في مجلة لغة العرب البغدادية في البحث
عن هذا الكتاب ما هو بالحرف :

« وما اكثر غلطات هذا المخطوط في الكتابة فضلا عن غيره ، فإنه كتب في سطور
(ص ١) (الأنبية) بمعنى (الأنبياء) والأولية (للأولياء) ونخاصمه (عند كلامه
عن آدم وحواء) في (تخاصما) فمن كان على هذا الجهل فله ان يكتب (بازيدية) بالياء

وليس بالباه - عن يزيدية .

وفي الفصل الثاني عن (جنسيتهم) يقول :

« يظهر ان جنسيتهم كردية ، ويمكن ان يقال أنهم قوم كردي خاص باق علي قدمه ، وأكثر عاداتهم وتقاليدهم عين العادات والتقاليد الكردية ، وقد أشير لهم في خريطة الألوان البشرية بلون غير اللون الكردي ، ولكن الخريطة التي أصدرتها جمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩١٠ تشير اليهم والى الاكراد بلون واحد ، إلا ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت أنهم يشكلون جسماً مدججاً من الاكراد والأتراك ، وجاء في النسخة القديمة ان مبادي هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة شمال العراق وهي قبيلة ترهايا .

أما أنهم قوم كردي خاص باق علي قدمه فلا يخالفه فيه ، وأما ان الاختلافات السياسية حول الموصل بناء على أساس القوميات إدعت أنهم يشكلون جسماً مندججاً من الأتراك والترك فلم يك وارداً ، ولم يندمج الأكراد بالترك يوماً ، وهم آريون والترك طورانيون والسياسة التي اتبعها الأتراك مع الاكراد في العصر الأخير زادتهم بعداً عنهم .

وما جاء في النسخة القديمة من ان مبادي هذه الفرقة كانت معروفة قبل الشيخ عدي في قبيلة كردية من القبائل القاطنة في شمال العراق فهو المبدأ الذي نجاهر به . وكانت هذه الفرقة مجوسية ، وعندما أدركها الشيخ عدي هداها الى الاسلام . إلا انها لم تكن القبيلة المعروفة « بترهاية » إذ التاريخ لم يؤيد مجي هذه الفرقة الى شمالي العراق . وسواء كانت هذه الفرقة هي التيرهاية « تيرهية » أم غيرها ، فالمبادي التي نجدتها في اليزيدية الآن هي مجوسية لا غبار عليها .

وفي الفصل الثالث عن « إحصائهم ومواطنهم » يقول :

« عدد نفوس اليزيدية اليوم يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ الف نسمة » .

إن هذا العدد في لواء الموصل فقط ، وتقدر نفوسهم خارج العراق بنحو ٧٠ الى ٨٠ ألف نسمة .

يقول : « وكانوا أوفر من ذلك ، ولكنهم أتلفتهم الاضطهادات ، وقد هلكوا في

العصرين الثامن عشر والتاسع عشر في المارك التي نشبت بينهم وبين الترك وهم العرب
وبالمجزرة التي تلت ذلك .

أقول : أن نفوسهم في القرن السادس عشر والسابع عشر كانت تقدر بمليون نسمة ،
والاضطهادات التي أشار إليها هي التي أوقعها أمير الصوران « محمد باشا » الراوندوزي
عام ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) في يزيدية الشيخان ، أهلك فيها منهم نحو ١٠٠ ألف نسمة .
يقول : « ولغتهم كردية ، وهي اللغة المقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله ، وبها
تكلم مع آدم . ولكن تطرقت إليهم اللغة العربية من طريق الكتابة ، لأنه لا توجد لغة
كتابية كردية . فاللغة العربية عندهم لغة اللاهوت ، والمؤسسون لطريقتهم عرب مثل
الشيخ عدي ونغر الدين وشمس الدين وشرف الدين وأضرابهم » .

أما ان لغتهم كردية وهي مقدسة عندهم ، ويعتقدون أنها لغة الله وبها تكلم مع آدم ،
فهو صحيح ، ولكنهم لا يمارسون القراءة ولا الكتابة حتى يمكن القول أن اللغة العربية
تسربت إليهم من هذا الطريق . والذين يعرفون العربية هم أهل قرية بمشيقه وبحزاني
وأصلهم عرب وفدوا من الشام على عهد الشيخ عدي كما هو متواتر ومعروف . وكذلك
قليل من أهل الشيخان وأقل منهم في سنجار ، تعلموا العربية بواسطة مجاورتهم
للعرب المسلمين .

واليزيدية لا يعرفون اللاهوت ، ولا يوجد بينهم لاهوتيون ، ويرتل القوالون
في حفلاتهم الدينية بعض الأناشيد باللغة العربية ، ولكنهم لا يفهمون لها معنى . والشيخ
« شرف الدين » لم يثبت له اشتراك في وضع هذا الدين وقد قتله المغول وهو في سن
الثانية والعشرين كما سبق ذكره .

ونأخذ على الأستاذ إدخاله « عدياً » في عداد مؤسسي طريقتهم ، وقد أراد طبعاً
الديانة اليزيدية ، والشيخ عدي هو الذي هداهم إلى الإسلام وطريقته لا مطمئن فيها .
وقد شهد جماعة من علماء الإسلام بصحتها . والمؤسس الحقيقي لهذه الديانة هو الشيخ
شمس الدين الحسن الذي نوه بذكره المؤرخون .

وفي الفصل الرابع في البحث عن « عقيدتهم » يقول :

« ولم تزل عقيدتهم رمزاً مقفلاً في وجه الباحثين ، ويظهر أن فيها تلفيقاً كثيراً من الجوسية واليهودية والاسلامية ، ويمكننا القول ان (البازيدية) المعروفين بعبدة الشيطان ، لأنهم يقدسون الملك طاؤوس . ومعلوم ان طاؤوس الملكة هو الشيطان ، و (البازيدية) لا تتلفظ بلقظ الشيطان ولا تتجهجاه ، هم أولاً من بقايا الجوس ، والمحافظ لهذه القبيلة ، هي القبيلة الكردية التي تلقبها النسخة اليزيدية بقبيلة ترهايا . »

ونحن نتفق مع الاستاذ على ان عقيدتهم كانت رمزاً مقفلاً في وجه الباحثين ، حتى أنهم جهلوا حقيقة شيخهم الشيخ عدي بن مسافر ورموه بشتى المفتريات والأباطيل ، أما الآن فلا ! إذ ان كثرة الأبحاث والتتبعات أوصلتنا الى معرفة هذا الدين ، وحلت لنا الرمز المقفل في وجه معتقداته ، وإن كان البعض لا يزال يضل في البحث ويحيطه بسياج من الشكوك ، فهم قبل كل شيء مجوس ، ثم لحقتهم الثنوية المانوية ، وعندما ظهر الشيخ عدي بن مسافر دعاهم الى الاسلام ، فأسلموا وحسن اسلامهم ، وظهر فيهم علماء وحفاظ ومحدثون وغزاة ومجاهدون ، وأهل تقوى وصلاح ، ثم دخلتهم عوامل الفساد ففسد الشك اليهم وأخذوا تدريجياً يرجعون الى الجوسية التي يظهر ان مرشدهم الكبير عندما تولى أمرهم لم يستأصل جذورها منهم تماماً وأصبحت دياتهم ذات طابعين مجوسي واسلامي الا ان الطابع الجوسي فيها أصبح أوضح أثراً .

وما اعتقده ان دياتهم ملققة من الجوسية واليهودية والمسيحية والاسلامية يدل على انه يشك في اسلاميتهم ويعتقد انهم بنسبة ما أخذوه من الاسلامية أخذوه من النصرانية واليهودية على اننا اذا تعمقنا في هذا الدين ودرسناه درساً وافياً لم نجد فيه اي تلفيق من اي دين بل هو اسلامي صرف ، فتاريخه مضبوط ، والقائمون به رجال البيت العدوي ، وعلى يدهم ولد وتدرج حتى أخذ هذا الشكل ، فإذا كان فيه تلفيق من اليهودية والنصرانية فيجب ان يكون حصل على يد رجال هذا البيت . ورجال هذا البيت لم يكن لهم مصلحة في تلفيق دينهم الذي وضعوه من هاتين الديانتين ، وغاية الذين اضلوهم إرجاع هذا الدين الى الجوسية القائمة على تأليه الأشياء والأشخاص ليحيوا في نفوس أصحابه هذه النزعة وينزلوا أنفسهم عندهم بمنزلة الآلهة وقد حصل لهم ما أرادوا .

إن أول من أوجد هذه النظرية ، اي نظرية اشتراك عناصر أديان مختلفة في هذا الدين وعمل على ترويجها الكتاب الأجانب أمثال براون ، وجوزيف ، وفرلاني ، وكابوت وتبعهم الدكتور رزيق فذهب الى هذا الرأي كتابنا الشرقيين كالعلامة المرحوم احمد تيمور باشا والعزاوي والشرقي ، ولو أحاط كتابنا إحاطة تامة بهذا الدين ، لما أتبعوا هذا الرأي وعملوا على ترويجه ، وسنزيد في هذا البحث ايضاحا عن ذلك .

يقول : « ثم نبغ بينهم من رجال الباطنية عدي بن مسافر الأموي فنظم مبدأهم ولفقه تليفاً » .

ان سلوك الشيخ عدي الديني وطريقته تنفي هذه المزاعم . وواحد من مؤرخي الاسلام لم بشر الى أنه كان باطنياً يقول بالأباحية ورفع التكليف وغير ذلك من مستلزمات الباطنية وقد سار على نهجه الشيخ ابو البركات صخر بن صخر ، وولده عدي بن ابي البركات ولم يرو عنها اعتراف او زيغ . وكان الناس يميلون اليها ميلا عظيما ويحسنون الظن فيها الى ان ظهر الشيخ حسن بن الشيخ عدي الثاني بن ابي البركات ، وهناك وعلى يده تطورت هذه العقيدة وخرجت عن أصلها .

ان دعوى كون الشيخ عديا بن مسافر باطنياً وكونه نظم هذا المبدأ ولفقه تليفاً قال به جماعة من الكتاب الاجانب ووافقهم عليه البعض من كتابنا الشرقيين والأخذ بأقوال هؤلاء الاجانب ونفي شهادات أعظم الاسلام كالامام ابن تيمية والمؤرخ ابن الأثير وابن خلكان لا يدل على اصابة وعدل .

وما قال الاستاذ : « أنهم يقدسون النار ويعبدون الشمس بالسجود لها في كل صباح ومساء » واستدل له عليه : « بوجود علاقة متينة بينهم وبين المجوسية » فهو صحيح وقد قطع كل محجة لمن يريد إرجاع هذا الدين الى أصول مختلفة ويمللون ما يجدونه فيه من عادات وتقاليد وعقائد تمليلا غير صحيح ، إلا اننا لا نتفق معه على « ان الشيخ عديا جرهم الى الباطنية ، لأنهم يقولون بالباطن والظاهر والنسخ والحلول ، ولأنهم يحترمون عدد السبعة ، فالسناجق عندهم سبعة ، والملائكة المدبرون لهذا العالم سبعة ، وأيام التكوين عندهم سبعة ، ولأنهم يعبرون عن المسامين بالاسماعيليين . فيظهر أنهم من

الباطنية الممتازة ، ولعلها باطنية أسسها ذلك الشيخ الأموي مقابلة للباطنية التي أسسها العلويون ، ولأن سرهم ودينهم مكتوما ، والتقوية عندهم أكيدة شديدة ، وهو مبدأ (محمد المكتوم) من الباطنية ، ولأنهم يحترمون كثيراً من مشايخ الطرق الباطنية كالشيخ الجيلاني ، والشيخ حسن البصري ومنصور الحلاج .

وربى فضيلته يميل كثيراً الى جعل عدي باطنياً ويدخله في عداد المشايخ الباطنيين ، وأنه هو الذي جر قومه الى الباطنية . وإذا أردنا ان نطلب منه الدليل على ذلك فلا نظن انه يدلنا على أكثر مما يشاهد في اصحابه من العقائد الفاسدة التي تخالف ما جاء به الاسلام . على أنهم اذا كانوا يقولون بهذه العقائد فليس معناها ان الشيخ عدياً هو الذي وضع بذرتها فيهم وهو الذي دهم عليها . وقد شهد ابن تيمية بان : « طريقة قدس الله روحه كانت سليمة وليس فيها من البدع » فهل بعد هذه الشهادة محلاً للشك في عقيدته وسلوكه ونهجه ؟ وشهادة ابن تيمية لها قيمتها وهو قريب عهد منه ، ومعرفته به أصح من معرفة « بادجر » وشهادته أقدم من شهادته .

أما ان الشيخ عدياً وضع هذه الطريقة مقابلة للشيعية الاسماعيلية التي أسسها العلويون وجر اليها قومه ، فلا نتفق وحضرة الاستاذ عليه . واذا كان قومه يقولون بسبعة آلهة ، وان ايام التكوين عندهم سبعة ، فذلك لا يعد دليلاً على أنهم يحترمون عدد السبعة وانهم قد ضاهوا الاسماعيلية فيه وهذا وقع من باب الصدفة والاتفاق .

ثم لم يكن القصد من تعبيرهم عن المسلمين « بالاسماعيليين » ارجاعهم الى اسماعيل بن جعفر الصادق بل جعلهم من اولاد نبي الله « اسماعيل » ليميزوا انفسهم عنهم من الناحية المنصرية . وهم يدعون أنهم من عنصر خاص غير هذا البشر ، وان أمهم « حورية » نزلت من الجنة . وقد عبر كتابهم « مصحف رش » عن الرسول الكريم بنبي الاسماعيليين . ولم يكن لجعل سرهم ودينهم مكتوما علاقة بمبدأ « محمد المكتوم » وكل ما هنالك أنهم جعلوا دينهم مكتوما كي لا يتسرب الفساد اليه . وهذا ما نجده في كثير من الجمعيات السرية التي تقوم على مبدأ السياسة والدين . فقد يجربون على ان يحيطوه بالكتف خوفاً من ذبوع أمره .

وما قاله عن عملهم بالتقية وانها عندهم اكيده وشديدة ، فبوسعنا ان نطمئنه بأنهم لا يعرفون التقية ولا يعملون بها . والتقية عادة تلجأ اليها كل أمة ضعيفة ومضطهدة ، واليزيدية لم يكونوا كذلك .

وإذا كانوا يحترمون كثيراً من مشايخ الطرق كالشيخ الجيلاني والحسن البصري والحلاج وغيرهم ، وأدخلوهم في عداد آلهتهم ، فقد حصل لهم هذا الغلو في هؤلاء المشايخ بعد ان فسدت عقيدتهم وآل أمرهم الى أناس أبعدهم عن الاسلام .
يقول : « وعندهم شعار سنوي وهو تضحية العجل الأبيض وهذا يشبه مسألة العجل المهان عند الدروز » .

ان احترامهم العجل او الثور وتضحيته ، عادة كان يعمل بها كثير من الأمم السالفة . وكان الصائبة الحرائيون يذبحون في اليوم السادس من عيد رأس السنة ثوراً لآلهتهم القمر ويأكلونه آخر النهار (١) ، واليزيدية يذبحون ثوراً في « عيد الجماعة » ويأكلونه تبركا ولكن لا يشترط ان يكون أبيض .

يقول : « وهم يمتقدون في الشيخ عدي كما تعتقد النصيرية في الامام علي » .
أقول : قد يتفقون مع النصيرية ومع كثير من فرق الشيعة المتطرفة في كثير من معتقداتهم . ولكن لا يصح ان يقال انهم اقتبسوا هذه العقائد منهم والمشاركة بمبدأ واحد لا يستلزم فيه الاقتباس ويجوز انهم والشيعة المتطرفة أخذوا هذه العقائد من منبع واحد .

يقول : « ويحترمون يوم الجمعة ويقدمون مكة وعرفات وزمناً ، ولكنهم يدعون ان الشيخ عديا نقل الى بلاده بصورة معجزة مكة وعرفات وزمناً » .
أقول : ان احترامهم يوم الجمعة هو مظهر من مظاهر الاسلام ، وكانوا الى قبل ثلاثة عصور - عندما لم تكن صبغة الاسلام قد زالت عنهم - يصلون صلاة الجمعة في مساجدهم وفي كتاب « الرد على الشيعة واليزيدية » لأبي فراس بن جميل الذي ذكره الاستاذ المزاري في كتاب « تاريخ اليزيدية » انهم كانوا قد اختلفوا فيما بينهم في فرضية صلاة

الجمعة وعدم فرضيتها ، واذا كانوا قد تركوا صلاة الجمعة فيعدون يوم الجمعة من ايام اعيادهم ويحرمون الاشتغال فيه . ومن هذه المظاهر : الحج الى بيت الله . اذ عندما انقطعوا عن الذهاب الى مكة لأداء فريضة الحج ، استعاضوا عنها « لالشا » ورمزوا عن « عرفات » بجبل يقع شرقي المرقد ، وعن « زمزم » بالعين البيضاء وهي عين هناك واعتقدوا ان ذلك من معجزات الشيخ عدي وكراماته . وقد ورد ذكر العين البيضاء في قصيدة ينسبونها الى الشيخ عدي بقوله :

وأنا الذي أجريت عينا ماؤها أحلى وأعذب من جميع الماء

يقول : « ان قضية البازيدية مظهر من تلك المظاهر ، فكانت ديانة متكونة من خليط الديانات ، وملفقة تلفيقا غريبا ، وفيها ادماج وتداخل عجيب لجميع العناصر » .
أقول : مر بنا القول ان هذا الدين ليس فيه ما يقال عنه تلفيقاً وإدماجاً وتداخلاً من أي دين من الأديان ، عدا الأديان التي تقول بثنوية الآلهة . وهنا نكرر ما قلناه آفقا عن بطلان هذه الدعوى ، إذ مما لا شك فيه ان الأستاذ عني بقوله : « خليط الديانات » اليهودية والنصرانية وهما الديانتان اللتان يدعي الباحثون وجود أثرهما في هذا الدين اكثر من أي دين آخر . فاذا رجعنا الى أول عهد هذا الدين والظروف التي كانت محيطة به ، نجد حياته الاسلامية كانت قصيرة جداً لم تبلغ المائة سنة ، وهذه المدة لا تكفي لأن تؤثر اليهودية والمجوسية فيه ، ويأخذ منها ، وهو متحمس لمبادئه منتهى التحمس وامتزاج وتلفيق كهذا يحتاج الى زمن طويل ، وبعد ان قطع علاقته عن الاسلام وظهر بمظهره الذي هو عليه الآن ، نراه قد حذر على نفسه الاختلاط مع كافة الأديان ، إسلامية كانت او يهودية او نصرانية وعاش في معزل عنها . فاذا علمنا هذا ففي أي دور من أدواره حصل له هذا التلفيق والادماج مع هاتين الديانتين ؟ واذا عرضنا صفحا عن هذه الاعتبارات ونظرنا في العقائد التي يقال انها دخلت عليه بالطريقة التي يعينها الاستاذ فلا نجد ما يحقق هذا الرأي . يقول الاستاذ « انهم أخذوا الخير والشر وعبادة الشمس من المجوس » وهذا صحيح ، والمجوسية هي الأصل لهذه الديانة قبل ان عرفت الاسلام . وأما قوله انهم « أخذوا السلم والنصيحة والتعميد من النصارى »

فلا نتفق وإياه عليه ، إذ لو كان دينهم يأمرهم بالسلم والنصيحة ، فن الأخرى ان يأخذوها من الاسلام الذي أرضهم أطاويقه وأنشأهم في أحضانه . ثم ما هم السلم وحياتهم كلها حرب وضرب وطعن وقتال ، وقد قتلوا من الاسلام وقتل الاسلام منهم مئات الألوف ، فهل نمبر عن هذا بالسلم والنصيحة ؟ أما التعميد فكذلك لا وجود له عندهم ، ولا يعرفونه ، وقد تكلم عنه كتاب النصرارى وادعوا عملهم به وهو غير صحيح . وعندى ان احد الرواد الأجانب حضر المرقد المبارك ، ورآهم يطهرون اشيائهم التي مستها نجاسة في العين البيضاء وهكذا كانوا يفعلون في طفل صغير ولد لهم حديثا ليطهروه من دنس الولادة فظنه تعميداً وأذاعه ، فأخذه منه غيرهم من الكتاب النصرارى بمن لاقى هوى في نفوسهم وجعلوه شريعة لهم .

وما يقوله عن انهم « أخذوا الحج والفقهاء عن الاسلام » فان عملهم بالحج معلوم وهو زيارتهم مرقد الشيخ عدى في اليوم التاسع من شهر ذى الحجة لكل سنة واقامتهم مناسك الحج فيه طبقا لما هو جارى في الاسلام ، وأما قوله اخذهم الفقهاء من الاسلام فلم نفقه القصد منه . فاذا كان قصد الفقهاء بمعناه المعروف ، فالقوم لا يفقهون من الدين شيئاً حتى يخصهم به ..

ثم ما معنى تخصيص أخذهم الفقهاء والحج من الاسلام وترك بقية المظاهر الاسلامية التي نجدها فيهم كعملهم بسنة الختان ، وصيامهم ثلاثة ايام في كل سنة بدلا من صيام شهر رمضان وصلاتهم ليلة القدر في مرقد الشيخ عدى اعتقاداً منهم انها تجزى عن صلاة سنة كاملة ، وابتنائهم بأربعة نساء وعمامهم بعبادة عقد النكاح والطلاق ، وقراءة أسرة الشيخ حسن القرآن ، وتسميتهم أولادهم باسماء اسلامية وغسلهم أمواتهم وتكفينهم عند الدفن ؟ ولو تيسر له مخالطة يزيدية سنجار رأى الطابع الاسلامي عليهم ظاهراً فأدبهم وتقاليدهم وما كلفهم ومشاربهم اسلامية لا غبار عليها ، فهم يعملون بعبادة (السلام) كما هو جارى عند المسلمين ، ويقول أحدهم للآخر ويقولون للمسلم في حديثهم معه (رحمت البايته) اى رحم الله أباك ، ويقولون لشارب الماء (عافيت بيت) اى عافك الله ، ويقولون لمن يأتي من مكان بعيد (بخير هاتى) اى أتيت بخير ، ويفسلون

أيديهم قبل الطعام ، وان لم يعرفوا الطهارة ، ويجتنبون التبول وهم وقوف ، الى غير ذلك من المسائل الكثيرة .

يقول : « وقد أخذوا من الشيعة خاصة التقية » .

والتقية كما قلنا آنفاً عادة يعمل بها الضعيف المضطهد عندما يشعر باعتدائه يقع عليه من هو أقوى منه .. وهي سجية كامنة في النفس يعمل بها الانسان بسائق الغريزة دون ان يجد حاجة لأخذها من غيره . واليزيدية لم يكونوا في سابق عهدهم ضعفاء أذلاء حتى يعملوا بهذه العادة بل كانت القبائل المسالمة المجاورة لهم تعمل بها معهم .

يقول : « وقد أخذوا من اليهود تحريم كثير من المأكولات » .

وهذا ما يردده اكثر الباحثين وينزلونه بمنزلة الحقيقة ويعدون الكلام عنه فضولاً . على ان الأمر ليس كذلك ، وكل ما قيل ويقال عن هذا لا نصيب له من الصحة . فاليهود الذين عاشوا في ذل ومهانة طيلة حياتهم لم يتصلوا بهؤلاء القوم حتى يصح القول ان عادة تحريم المأكولات سرت منهم اليهم . فاليهود يحرمون ثلثماية وستون نوعاً من المأكولات ولم يحرم اليزيديون واحداً منها . وكل ما هنالك ان بعض الشيوخ منهم ، - وليس كلهم - وقسم من صريديهم يجتنبون أكل بعض المأكولات موافقةً لشيوخ طرائقهم ، فعلى بعض الباحثين دخوله عليهم من اليهود . فشيوخ الشيخ حسن يحرمون أكل لحم الغزال لعدم إياه من غنم الشيخ شمس الدين وعيونته تشبه عيونته . ويحرم بيرة جروانة أكل لحم الديك لمشايبته بديك العرش . وشيوخ الشيخ نجر يحرمون أكل السمك لأن يزيداً عندما أراد ان ينصب خيمته في البحر ولم يجد ما يركز أوتادها عليه تطوع ومد عنقه له . ويحرم شيوخ شيخ سينا أكل لحم الأرنب لأن الشيخ سينا كان يتقزز من أكله ، ولأنه كان السبب في ذهاب الشيخ زين الدين الى مصر . ويحرم شيوخ الشيخ شرف الدين أكل لحم الحمام لأنه كان ينقل الرسائل بين الشيخ زين الدين يوسف والشيخ عدي في لالش . ويحرم شيوخ الشيخ نجر أكل اليقطيين لأن الشيخ نجر الدين زرعه في بستانه ، ويقال لأن النبي يونس استظل فيه عندما لفظته الحوت . ويحرم اهل سنجار أكل اللوبيا لأن الخنزير عطسها من أنفه وكذلك الفاصولياء لأنها

واللوياء من فصيلة واحدة . واليزيدية قاطبة يجرمون أكل الخس لنجاسته وزادوا عليه في السنين الأخيرة اللهانة . وأسرة الأسماء لا يجرمون من هذه المأكولات شيئاً مطلقاً عدا الخس واللهانة . ونرى ان تحريم هذه المأكولات عند اليزيدية لم يكن عاماً بل يخص افراداً من الشيوخ ومريديهم لا يتجاوزون الواحد من المائة من مجموعهم ، وابعثه لا يعد إثمًا يعاقب عليه كما لو تأخر عن زيارة الطائوس ، او أهان خرقة فقير ، او حلف كذباً بمزار ما .

يقول : « وقد أخذوا من الوثنية السجود للصور » .

والصحيح أنهم يسجدون للتماثيل التي يرمنون بها عن الطائوس ، ويسجدون لقبور مشائخهم وأئمتهم وكل مكان شريف على زعمهم ، وهي عادات وثنية لا جدال فيها .

يقول : « ويحترمون النبي محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) والقرآن الكريم ، كما يحترمون المسيح والصليب ، ولا شك أنهم من الباطنية الفاسدة » .

ان احترامهم محمداً والقرآن الكريم لم يكن صحيحاً ، ويعدون محمداً أكبر أعدائهم ، لأنه - على زعمهم - عارض الديانة اليزيدية ولم يوفق . أما القرآن فقد ينكرونه وقد نهام الشارع عن التصديق به لأن أصحابه المسلمين بدلوا فيه وحرفوه عن مواضعه وإن كانت أسرة منهم تقرأه ، وفي فتوى الشيخ عبد الله الربتكي - سيأتي ذكرها - « وإن وقعت كتب الاسلام بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها ويتفوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا ستره عليه (١) » . وما يدور على الألسن من أنهم يحترمون المسيح والصليب فهو خطأ وقد أشاعه عنهم بعض دعاة المسيحية واعتقد الناس بصحته .

ورجال الدين اليزيدي - وتقصد بهم الشيوخ - يحملون احتراماً للأئمة العلويين - باستثناء الرسول - باعتبارهم إياهم قرشيون وهم والأمويون من أرومة واحدة ، وهذا أكثر ما نجده في سنجار . ويطعنون بالنصرانية وذلك لان رؤسائهم الروحانيين لم ينتسبوا الى سلالات معروفة ومعينة ، أي ان الصفة الروحية عندهم ليست وراثية ، (١) لا وجود لهذه المادة فيهم الآن ولعل أنهم كانوا يعملون بها في العصر الذي كان صاحب الفتوى فيه .

وقد يناهها أيا كان من النصارى وهذا تقص كبير في نظرهم .
والآن ننظر فيما ذكره تحت عنوان « ترجمة الشيخ عدي ونشأته او دير ماريوحنان »
وهو الفصل الخامس من كتابه :

يقتصر هذا البحث على المخطوطة التي يعزونها الى الراهب راميشوع من دير بيت
عابي ، يقال أنه كتبها الى صديق له يدعى الربان هرمز في دير ميخائيل من أربل عام
٨٨٥٦ م (١٤٥٢ م) وسنأتي عليها معربة من النسخة الكلدانية ونبحث عنها وعن الغاية
المقصودة من وضعها . والاشيخ الفاضل يعتقد بصحتها ويرى عليها مسحة
تاريخية ، وقد أيد لي ذلك بحديث جرى لي معه . وحيث طال بنا الكلام عن مقال
الشيخ الاشياخ فنكتفي هنا بهذا ونشير الى ما رأيناه من الاوهام في هذه المخطوطة :
جاء فيها : في سنة ٥٩٠ للهجرة (١١٩٣ م) كان دير واقع في أعلا جبل من قرية عين
سفنة بناحية الموصل - وفي النسخة الكلدانية : أن الدير كان مملوءا بالرهبان سنة ١٥٠٩
يونانية الموافقة لسنة ١١٩٨ م - ٥٩٥ .

وجاء فيها : وكان لهذا الدير ٣٠ قرية و ١٠٥٠٠ خروف وعدد وافر من البغال والبقر .
وفي النسخة الكلدانية : وكان للدير أملاك نحو ٣٠ قرية وغنم تصعد الى زوزان وعددها
١٥٠٠ رأس من المعز .

وجاء فيها : وكانت في ذلك العهد قبيلة « زردنايا » تمت الى أمية ، وهذه القبيلة تسكن
جبل زوزان وتتصل بال عدي بلحمة النسب . والنسخة الكلدانية ليس فيها هذا الخبر .
وجاء فيها : وذهب الى خراسان وقابل قائد الجيوش المغولية وكان اسمه « اغاتول » .
وفي النسخة الكلدانية « باتو » وفي الفرنسية « اغاتو » .

وجاء فيها : وأطلعوه على ان أبناء عدي دعار وقطاع طريق وانهم أصحاب جرأة
وجسارة وهم على رأس ١٠٥٠٠ فارس . وفي النسخة الكلدانية : وتحت إسمتهم ١٥٠٠
فارس . الى غير ذلك من اختلافات ناشئة من سهو الكتاب والمعيين .

﴿ السامحة الانكليزية (مس روزيتا) وأبحاثها عن اليزيدية ﴾

نقتبس المقال الآتي من كتاب للسيدة (روزيتا) المتجولة الانكليزية التي جاءت العراق في الأعوام الأخيرة وكتبت عن أصحاب النحل والأديان الموجودة فيه ومنهم اليزيدية الذين لا يجوز لها ولغيرها من الرحالة الذين يجوسون خلال هذه الديار ان يبروا بهم من الكرام ولم يبحثوا عنهم ، وهذا ما كتبتة :

« اليزيدية وكما يطلق عليهم عادة (عبدة الشيطان) هم شعب غريب الأطوار يسكن في جوار الموصل ولا يعلم عن اعتقادهم الديني في الحقيقة إلا الشيء القليل ، وليس بين الاوريين من يعرف هل انهم يعبدون الشيطان حقيقة ام يخافونه ، وأكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي كان قد ساعدهم قبل عدة سنوات . والمسلمون دائما على ضد معهم ، وقد يعاملونهم بكل ما في استطاعتهم من قسوة قصد إبادتهم وقد قبض (الباشا) السابق على رئيسهم الكبير المسمى (الشيخ ناصر) ولكن تخلص بان وضع رجم آخر في محله كان تحت سلطته ، وقد احتمل هذا الرجل العذاب دون ان أفشى أمر سيده . واليزيدية يثنون على المستر (رسام) الذي كان معاون القنصل في الموصل فانه أنقذ هذا الرجل بدرام من عنده وقد دفع اليزيدية له هذا المبلغ اخيراً الأمر الذي أدى الى تقوية الصلات بين اليزيدية والانكليز منذ ذلك الحين ... وقد كان لليزيدية قلعتان احدهما في الجبال غربي الموصل ، والاخرى على مسيرة أربعة وعشرين ساعة شمالاً ، وكان لهم قبيلة قوية جداً وقد نقص عددهم بنتيجة الغارات التي شنها الاكراد عليهم والمذابح التي أوقعوها فيهم بين حين وآخر حيث لم يبق منهم إلا الثلث . وبما ان المسلمين يقاومون بشدة أي دين غير سماوي فقد وقع اليزيدية الذين هم من هذا القبيل تحت رحمتهم وقاسوا منهم الاضطهاد عدة قرون . وقد استسلموا أخيراً لهذا القضاء ولم يروا أية فائدة من مقاومة المسلمين .

ويعتقد اليزيدية بوجود كائن أعظم ولكنهم لا يعبدونه مباشرة ، فاسم (الله) تسمعه دائما على شفاههم ولكنك لا تسمع اسم (الشيطان) منهم أبداً وهم يمتنعون عن ذكر اي كلمة تبتديء بحرف الشين كما انهم لا ينطقون اي كلمة فيها هذا الحرف ، بل يستبدلون

تلك الكلمات بكلمات اخرى غيرها . وقد ذكر (لا يارد) في رحلته مثلاً لذلك وقد كان واقفاً وسط زحام من الزيدية في عيدهم السنوي حينما رأى صبياً يتسلق شجرة وكان في حالة خطر حيث قال : بينما كنت أنظر الى فوق شاهدت الخطر المحدق بذلك الصبي فنادت الرئيس ليستدركه ، إذ كان هذا الشيء وكنت على وشك ان أكل الكلمة المستعملة غالباً في الشرق بحق الصبيان الخطارين ولكنني تداركت نفسي سريعاً بعد ان خرجت هذه الكلمة من فمي . ويستمر بقوله : ان تأثير ذلك كان باديًا على أوجه الجميع ، وكانوا يرمقوني بنظرات حادة ، ولكن لحسن الظن انه كان محبوباً لدى الزيدية ولذلك ساعهوه على تلك الهفوة ، إذ انهم يستأثرون جداً اذا استعمل أحد هذا الحرف ، حتى انهم غالباً ما يقتلون مستعمليه تعمداً .

وحينما يريدون ان ينطقوا بكلمة (الشيطان) يقولونها بكل احترام (طاؤوس ملك) أو (الملك القادر) ورمزهم الديني له (طاؤوس ملك) وهو بطة محفوظة لديهم بكل احترام . ويقال ان (الشيطان) هو رئيس الملائكة وانه مزود بسبعة ملائكة يستوزرهم ولهم نفوذ على الأرض ، وهؤلاء هم : جبرائيل ، ميكائيل ، رفائيل ، عزرائيل (عزازيل) ، دبرائيل ، اسرافيل ، شمكيل . والمسيح ايضا لديهم في عداد الملائكة ، ولو انه ليس من هؤلاء السبعة . ويعترف بأنه تزيبا بزي رجل وهم في حضور الاسلام ولا يعتقدون بصلبه بل يصرحون بأنه صعد الى السماء قبل الصلب . والبعض يقولون بان الملك جبرائيل أخذ محل اليسوع على الصلب . وآخرون يقولون بان « جودة » (؟) كان الضحية الحقيقية وهم ينتظرون قدوم المسيح وظهور الامام وهذا الاعتقاد الأخير هو معتقد الاسلام . وإمامهم (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل محمد بعدة سنين ، ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل . وهم يقدسون الشمس ويقبلون الشيء الذي تسقط عليه أول أشعتها . وللنار ايضا علاقة بعبادتهم ، وتلاميذهم دائماً يمررون ايديهم خلال اللهب ، ثم يقبلونها ويسحون وجوههم بها .

ولديهم اربع طبقات دينية وهي وراثية وتشتمل على البيرة والشيوخ والقوالين والفقراء (١)

(١) لم تكن صفة الفقر وراثية ويحق لسكل يزيدى ان يكتسب هذه الصفة اذا نذر نفسه لحياة الزهد والفقر .

(١) البيرة : وهي كلمة مأخوذة من الفارسية ومعناها الرجل المعمر وهي تأتي بالاحترام بعد شيخهم الكبير او رئيس مذهبهم . ويعتقد بان هؤلاء القوة بشفاعة مرديهم ولديهم القوة ايضا باشفاء المرضى والمجانين ، ويظن بانهم يقودون الى حياة الطهر ولذلك يحترمهم الشعب كثيراً .

(٢) الشيوخ : ويأتون بعد البيرة في المرتبة الدينية ويرجح بانهم يعرفون من العربية قليلا لأن مصلحتهم تقضى كتابة تراويل تنشده في المراسم الدينية ، وهم يحرسون قبر الشيخ عدي ويأتون بالوقود لحفظ النار المقدسة والمؤونة للذين يسكنون مرقد الشيخ عدي (١) (٣) وهذه الدرجة ربما كانت اكثر الدرجات فعالية وهؤلاء يعرفون بالقوالين او الوعاظ ، وواجههم التجول من قرية الى اخرى لتعليم المبادي اليزيدية وكلهم موسيقاريون ويتعلمون هذا الفن منذ صغرهم وهم يعزفون على الدف والمزمار ، وكلتا هاتين الآلتين مقدسة لديهم وقد يقبلونها ويمررونها على الجمهور ليقبلها ايضا ، ويلبسون لباساً أبيض وعباءة سوداء بينما الشيوخ لا يلبسون إلا الأبيض . وهم رجال وقورون بلحي طويلة ويستغلون كسفرهم للشيوخ (٢) فيذهبون سنويا لجمع النذور والصدقات . وشعارهم الديني « صولجان » (٣) علامته بطة معدنية ، ويفخرون بأنه ليس في مقدور أعدائهم اغتصاب هذا الشعار من أيديهم ، ويذكرون انه في حادثة حدثت لأحد القوالين وقد طارده العرب في الصحراء ، وبينما هو في مثل هذه الحالة، وقف ثم ترجل وأخفى حقيبته التي كان فيها الرمز الديني في الارض ، ثم وجد طريقه وهرب . وبعد مضي ستة اشهر تمكن من إرجاع تلك الحقيبة وذلك بمسيره ليلا الى الصحراء .

- (١) يعد الشيوخ بالدرجة الاولى في المراتب الدينية بصفتهم يرجعون بسلااتهم الى البيت العدوي ، والبيرة يأتون بالدرجة الثانية ولا يشترط ان يعرفوا العربية وترتيل الاناشيد الدينية من اختصاص القوالين . وحراسة قبر الشيخ عدي تعود الى الفقراء والكواجك . وقطم الاحطاب ونقلها من اختصاص الكواجك وبعد اليزيدية النار عنصراً مقدساً ولكن لم يكن عندهم نار يحفظون بها .
- (٢) والصحيح انهم يتوبون عن الامر في جمع النذور والصدقات عندما يطوفون بالسنجق بين الملة في مختلف الانحاء ويجوز ان يقوم بهذه الوظيفة غير القوالين .
- (٣) ما اشد ولام لغريبين يجعل هكذا صولجان شعاراً لرؤساء هذا الدين والحقيقة انهم لا يعرفونه ولا يستعملونه .

والآن لماذا يضع اليزيدية هذه القيمة الكبيرة في هذا الشعار؟ الحل الممكن له قدمه لي الدكتور القديس «كليرتسدال» الذي ذكرني بتقليد اسلامي قديم بان (الطاؤوس) هو الذي سمح للشيطان بدخول الجنة، وهذا يقوي الظن القائل بان اليزيدية يعبدون آله الشر حقيقة.

وأخر طبقة من رجال الدين يدعون (بالفقراء) وهؤلاء يلبسون خرقة خشنة سوداء أو سمراء قائمة تصل حتى الركبة. ويقضي منصبهم عمل كل الاعمال الواطئة المرتبطة بمقرق الشيخ عدي من كدس البنات وتنظيفها وترتيبها وايقاد المشاعل المقدسة (١) وهذه المشاعل يقدمها الحجاج الذين يزورون الضريح وقت الخطر او المرض ويتبرعون سنويا بما يلزم لهذه المشاعل (٢) وبما يقومون بأودهؤلاء الفقراء وتوقدهذه المشاعل بعدغروب كل شمس فتعطي منظر مجموعة من النجوم متألقة في سفح الجبل، اذ ليست هذه المشاعل توقد في الحرم وفي الصحن فقط بل هي منتشرة على الصخور وفي الزوايا المظلمة من الغابة وبينها يذهب الفقير من مشعل لآخر لايقاده يمرر الرجال والنساء أيديهم خلال اللهب ثم مسحون بها وجوههم وجبايهم. واذا كان لديهم اولاداً يفعلون بهم كذلك ايضا. وهذا يذكرنا بالفرس القدماء الذين يتشابهون معهم في كثير من الوجوه...» الى آخر ما أورده من الاخبار المعروفة والمتواترة عن هذه الطائفة معرضين صفاً عن ايراد البقية منها، اذ فيها اقتبسناه دلالة كافية لفهم الروح التي أوحى لهذه الكاتبة ما خطه يراعها، وهي الروح الغريبة التي تتحسس دائماً بحس الكيد والعدوان عن الشرق والاسلام دون مراعاة لحقيقة او انتصار لحق.

ذكرت ان اليزيدية اكثر ميلهم الى الانكليز وذلك لأن الممثل الانكليزي في الموصل كان قد ساعدهم مادياً قبل عدة سنين، وتوسعت في الكلام عن ذلك وأوردت قصة

(١) ان تنظيف المرقد من الاوساخ هو من وظائف الكواجك. وفي ايام الزيارات يقوم بهذه الوظيفة التازيون اهل قرية بعشقة وبجزاني.

(٢) ويقبلون تبرع المسلم، وكم من مرة تبرعت بكمية من دهن الزيت لمرقد الشيخ عدي وقبلوه مني بمزيد الارتياح.

انقاذ مستر رسام الذي كان معاوناً للقنصل الانكليزي في الموصل ، الزبيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلا عنه في السجن عندما قبض (الباشا) السابق عليه حيث كان عمله هذا داعياً الى تقوية العلاقات بين الزيدية والانكليز ذلك الحين .

والانكليز كانوا في الحقيقة يتصنعون العطف على الزيدية منذ زمن بعيد ، وقد احتج سفيرهم لدى الباب العالي على المجازر التي كان ولاية الموصل وبغداد يوقعونها في جبل سنجار ، إلا ان هذا الاحتجاج كان المراد منه فتح باب للتدخل في سياسة الدولة عندما يلمسون ضعفاً منها وليس حباً بسواد عيون الزيدية . وكانوا يظهرون مثل هذا العطف على دروز حوران ، والطياريين النصاري ، والارمن ، ويدعون حمايتهم لهم ..

أما قضية انقاذ المستر رسام الزبيدي الذي وضعه الشيخ ناصر بدلا عنه في السجن ففيها نظر ، والشيخ ناصر لم يكن رجلاً عادياً حتى يخفي أمره على (الباشا) الذي قبض عليه ، فينجو من السجن ويضع زبيدياً آخر بحله ، واذا خفي عليه أمره فلم يكن ليخفي على رجال حاشيته وموظفيه .

وفي تاريخ الموصل نقلاً عن (لايرد) ما يوضح حقيقة أمر الشيخ ناصر والقبض عليه وسجنه ، فقد جاء فيه :

« ثم حمل عليهم (اي زيدية سنجار) كريدلي محمد باشا ١٨٤٥ (١٢٦١ هـ) فأفخس فيهم قتلاً واتى القبض على زعيمهم الشيخ ناصر ولم يطلقه حتى شفيع به المستر رسام وكيل الدولة البريطانية في الموصل فأطلق سراحه على شرط ان يفديه الزيدية ، ففدوه بمبلغ من المال » .

والمسلمون لم يكونوا على ضد مع الزيدية ، كما إدعته الكاتبة الموهوبة وهم يحملون لهم مودة ورحمة ويمدونهم اخواناً لهم فيما مضى بالدين ويتمنون خروجهم من عزلتهم ليكونوا عضواً نافعاً في المجتمع ، وما تلك الاختلافات التي دامت لهم معهم دهرأ طويلاً إلا نتيجة لسوء الادارة التي كانت تتبعها معهم الحكومة . إذ هي التي كانت تحت العلماء على اصدار الفتاوي بدمهم كفاراً لتبرر أعمال العنف والقسوة التي تجر بها بحقهم ، وهي التي كانت تحرض العشائر والقبائل المسلمة على قتالهم عندما كان يعجزها أمرهم . أما وقد

زال ظل تلك الحكومة من ربوع هذه البلاد وكف العلماء عن اصدار فتاويهم وانصرف المسلمون عن قتالهم ، زالت تلك المداوة من القلوب ووثق البيدي بصحبة المسلم واطمان اليه وعاشره معاشرة ود وأخاء ، وركن اليه وقد قابله المسلم بعين هذه الروح وعطف عليه وواساه في محنته .

ونشك في صحة الرواية التي نقلها عن (لا يارد) عندما رأى صبياً يتسلق شجرة وكان في خطر وجريان الكلمة المنوعة على لسانه . إذ على فرض ان لا يارد كان يحسن العربية فالبيدي لا يعرفونها ويتكلمون بها ولا يارد نفسه لا يعرف الكردية . والبيدي يستاء من المسلم والنصراني اذا لفظ الكلمة المنوعة أمامه قصداً وتعمداً ، اما اذا جرت على لسانه عفواً فلا عتب عليه ، ولم نقف على بيدي قتل مساماً لهذا الغرض .

وإذا لم تكن السيدة قد حرقت هذا الخبر عندما نقلته عن لا يارد كما حرفته في قصة وضع الشيخ ناصر بيدياً بدلاً عنه في السجن ، فيجوز ان لا يارد اصطنعه من نفسه . وقد أخطأت في قولها : « والمسيح ايضاً لديهم في عداد الملائكة ولو انه ليس من هؤلاء السبعة - اي الملائكة السبعة المزود بهم طاؤوس ملك » .

وهي أكثر جرأة من الكتاب الغربيين الذين بحثوا عن ايجاد علاقة للبيدية بالنصرانية وواحد منهم لم يجد في نفسه شجاعة لهذا التصريح . فن أين عرف البيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى يدخلوه في عداد ملائكتهم ؟ ولماذا لم نجد منهم من يدور ذكره على لسانه ؟ واذا كانوا يعدونه من ملائكتهم فلماذا لم يقيموا له تمثالاً كبقية أعزتهم وقيم القوالون له حفلات يرتلون الأناشيد باسمه ؟ أليس هو من ملائكتهم ؟

أما ان البيدية لا يعتقدون في حضور الاسلام بصلب المسيح بل يصرحون بأنه صعد الى السماء قبل ان يصلب فليس هنالك سبب يحملهم على كتم هذه العقيدة عن المسلم حتى ولو كانوا يعتقدون بها صدقاً ، وهم لا يهمهم أصلب المسيح ، أم صعد الى السماء قبل ان يصلب ولا يفكرون به . وما قالتها عن انتظارهم قدوم المسيح كما ينتظر المسلمون (الشيعة) قدوم الامام المنتظر فهو ادعى الى الاشفاق عليها من السخرية وربما الى الحاليتين معاً . ومتى عرف البيدية المسيح وما هي علاقتهم به حتى ينتظروا قدومه ؟

والصحيح أنهم ينتظرون قدوم « يزيد » ليعيد اليهم مجدهم الغابر ويخلصهم من النذل والهوان الذي حل بهم . وقد سرت اليهم هذه العقيدة من الشيعة الذين ينتظرون قدوم الامام المنتظر ، والشيعة أخذوا هذه العقيدة من اليهود فانهم ينتظرون ظهور المسيح ليجمع شملهم من شتات الأرض ويعيد اليهم مجدهم . والمسيح الذي ينتظرونه هو ليس السيد المسيح الذي يؤمن به النصارى بل ملك جبار كأحد ملوكهم الأقدمين .

تقول : « وإمامهم يسمى (الشيخ عدي) المظنون انه عاش قبل النبي بعدة سنين ولا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل » . وهذا الخبر أخذته من برسي بادجر الذي أراد ان ينفى صلة اليزيدية بالاسلام بقوله « وافنا واثقون من ان شيوخهم كانوا قبل النبي بزمن بعيد » فكأنه لم يكفها ما في كلام بادجر من مسخ وتشويه زادته من عندها مسخاً وتشويهاً وجعلت حتى تاريخ الشيخ عدي مجهولاً ولا يعرف منه إلا الشيء القليل ، وما أدري أكونها امرأة أم لأنها جاءت متأخرة بنحو عصر عن زمن بادجر كانت اكثر جرأة واقداماً على قلب الحقائق فبينما يكتفي بادجر بأصعاد شيوخ هذه الطائفة - دون تسمية - الى ما قبل النبي بزمن بعيد نجدتها تصعد (بالشيخ عدي) الى ما قبل النبي بعدة سنين وتضيف اليه بأنه لا يعلم عن تاريخه إلا الشيء القليل ، والكتاب الغربيين يبيحون لأنفسهم في بحثهم عن تاريخ الشرق ورجالات الشرق كل قول باطل لاسيما اذا كانت البحث له صلة بالديانة الاسلامية ولا يجدون في عملهم ما يعابون عليه ، ودعوى أصعاد الشيخ عدي الى ما قبل النبي أشبه بدعوى أصعاد ماريوس ونسطوريوس عند النصارى الى ما قبل المسيح بزمن بعيد او بعدة سنين مع وجود الفارق في هذا المثال .

أما حادثة مطاردة العرب أحد القوالين في الصحراء وهربه منهم بعد ان أخفى حقيبتة التي كان فيها الرمز الديني (الطاؤوس) في الأرض ، واسترجاعه له بعد ستة أشهر بمسيره ليلا الى الصحراء لا أصل لها ، وقد كذبها عليها القوال الذي أراد ان يجعل نفسه بطل هذه الحادثة واعتقدت بها ، والرمز الديني - وهو السنجق او التمثال الذي يرمزون به عن طاؤوس ملك - ليس هو ملكاً لا قوال حتى يتصرف به كما يشاء ويتركه في الصحراء ويذهب ويأتي به أنى شاء ، بل يعود الى الملة بأسرها والملة تحافظ عليه

بأرواحها ودمائها ، واذا أرادوا ان يذهبوا به الى جهة ما يباركونه أولا بالماء المقدس في مرقد الشيخ عدي ويسرون به تحت حراسة قوية من قبل أحد رؤساء العشائر الى ان يبلغوه مأمنه . وبعد ان يتمضوا مهمتهم يعودون به بنفس الطريقة ويضمونه في المحل المخصص له في دار الأمير ويسمونه (خانه طاؤوس) وعيون الحرس ترصده .
وخلاصة ما نقوله ان هذه السيدة الفاضلة وقفت خلال مدة وجيزة قضتها بين هؤلاء القوم على أشياء مهمة عنهم واطلعت على معتقداتهم وطرق دياتهم ودرست ما قاله الغير من الكتاب الأجانب عنهم إلا ان الذي أفسد عليها ، رغبتها في خلق دعاية لهومها الانكليز بايجاد علاقة قديمة بينهم وبين الزيديين وانهم كانوا يظهرون عطفاً عليهم ، ثم التدليل على عدم وجود صلة للزيديين مع الاسلام وان دياتهم ترجع الى ما قبل الاسلام حاذية بذلك حذو غيرها من الكتاب الأجنيبين حيث أساءت الى حقائق تاريخية كان عليها ان لا تتحداها .

﴿ تاريخ (ام العبر) للشيخ عبد السلام المارديني (مفتي ماردين) ﴾

﴿ الشويبي المعروف بابن المهدي من علماء ﴾

(القرن الثالث عشر الهجري)

عرف السيد عباس العزاوي في كتابه (تاريخ الزيدية وأصل نحلته) ص ٧٩ تاريخ أم العبر بأنه تاريخ عام يبحث عن الأنبياء والأئمة والمجاهدين ، والملوك الماضين وشي الملوك ، وآل جنكيز ، وفيه نبذة عن أحوال تيمور ، وآل سلجوق ، وآل بويه ، والدولة الصفارية ، والدولة الفاطمية ، والغزنوية ، وآل عثمان ، والأرتقية ، والقره قوينلية ، والآغ قوينلية ، وعن خروج الشاه اسماعيل ، وحكام ماردين ، وهو خاتمة الكتاب كما يستفاد من فهرسته . وفي خلال سطره بحث عن ولاية بغداد ، وقال في آخره : « وقع الفراغ من تسويد هذا الكتاب يوم الأربعاء ١٢٥٨ هـ » وفي الكتاب بيان عن قبائل ماردين وفي هذا الفصل تكلم عن الأكراد وأوضح عن الزيدية ونقل

عنه ما يتعلق باليزيدية ما نصه :
« وأكثر الأكراد من أهل السنة والجماعة .. ومنهم طائفة تعرف باليزيدية ظهرُوا في
الشام في زمن بني أمية كالحالدية ، والدنبلية ، والمحمودية ، والطاسنية ، واليسافية ،
والكشاغية ويعرفون الآن بالموسسان ، والشرقيان ، والسنجارية ونحوهم ثم عادوا إلى
بلادهم وأظهروا مذهبهم . ويعدون أنفسهم من مهدة الشيخ عدي بن مسافر وهو من
سلسلة الخلفاء الروانية .. » .

نقول : وهذا نسخة طبق الأصل لما ذكره البديلي في كتابه الشرفنامه ، إلا ان
الاستاذ صاحب تاريخ أم العبر زاد من عنده اربعة قبائل اخرى غير التي ذكرها البديلي
وهم الأخيرين ، ونعمه له مهارة فائقة . ولم نعلم كيف ثبتت له ظهور هذه القبائل الثمانية
في الشام على زمن بني أمية وعرفوا باليزيدية ؟ وكيف تحقق عنده أنهم بعد ان عادوا إلى
بلادهم أظهروا مذهبهم ؟ وما هي المآخذ التي استند عليها ؟ وهل لديه مستمسك غير
تاريخ البديلي الذي مسخ ما نقله عنه ؟ على انه لو عرف غير هذه القبائل الثمانية لضمها
اليها وادعى كذلك انها ظهرت في الشام على زمن بني أمية وعادت إلى بلادها وأظهرت
مذهبها .

ولكن كم هي الحقيقة مظلومة وليس من يرحمها !؟

ان الابحاث التي قام بها المفتي الشويبي عن النحلة اليزيدية لا تدل على انه عالماً حصيفاً
مدققاً يستقصي الاخبار ويضعها بعيدة عن النقد والمؤاخذه ، بل عالم تقليدي لا يعنيه
البحث ولا يلزم نفسه به . فانه بعد ان ذكر : « أنهم ينكرون الكتب السماوية ويبغضون
علماء الظاهر وكتبهم ، ولهم كتاب يسمى بالجلو (وصحيحه الجلوة) ويزعمون انه من
مؤلفات الشيخ عدي ، وهو بريء منه ، وقد أحل لهم فيه الخمر والزنا اذا كان عن
تراض ، وحرّم عليهم الصوم والصلاة ، وان الواجب طهارة القلب لا غير ، ويجرمون
الحج ، ويمكنون شيوخهم من ازواجهم لأن يرزقهم اولاداً ، ويستحلون ذلك ،
ويفتخرون به ، ويصفون الله بالاكلى والشرب والنوم وغيرها » قال : « ومذهبهم يشبه
الجلولية ويحبون النصارى ويستحسنون بعض عقائدهم ويظهرون الاسلام » .

وهذا ما أخذ من الأفواه ونقله عن فتوى الشيخ عبد الله الربتكي وهو المأخذ الوحيد الذي اعتمد عليه ولم يقم بالبحث والتحقيق عن واحدة من هذه المسائل ليتأكد صحتها . أما الشيخ الربتكي في كلامه عن حب اليزيدية للنصارى واستحسانهم بعض عقائدهم يقول : « والظاهر ان مذهبهم على ما استقرأت وتفحصت يؤول الى الحلول ويوالون النصارى ويستصوبون بعض عقائدهم » ونحن لا نجادل في ان مذهبهم يؤول الى الحلول وهو من أساسات دينهم قبل ان اتصلوا بالاسلام ، وأما موالاتهم النصارى واستصوابهم بعض عقائدهم فالربتكي غير مصيب فيه . والفحص والاستقراء يكون بالملزمة الدائمة والاتصال الوثيق وهذا لم يتيسر له وقد عاش منقطعاً في بيته وكان بيته مدرسته . واليزيدية قد لزمو العزلة في مواطنهم ولم يتقربوا من أحد أصلاً . وقد ثبت ان كثيراً من المسامين من أهل الحاضرة لم يكونوا قد شاهدوا يزيدياً في ذلك العصر ، إذن كيف كان الفحص والاستقراء الذي إدعاه الربتكي لنفسه ؟ فاذا كان من طريق السماع وما أخبرت به الكتب فقد إدعى به آخرون غيره ولم يصيبوا .

ومما قاله : « أنهم ينطقون بالشهادتين وذلك جائز عندهم لدفع الشر » فقد أخذ من ذلك من الشيخ الربتكي ، فقد جاء في فتواه « أنهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقيماً لمذهبهم » واليزيدية قطعوا علاقتهم من الاسلام ولم يصلوا ويلفظوا الشهادتين منذ كتب الربتكي فتواه بنحو عشرين ، فمن أين أتى بهذا الخبر ؟ ثم يأتي العلامة المفتي الشوبني بعد مائة عام ويأخذه منه ويرويهِ ؟ وعلى فرض أنهم كانوا في العصر الذي كان فيه الربتكي يصلون ويلفظون الشهادتين لدفع الشر ، فأبي شر دفع عملهم هذا عنهم وكانت تراق دماهم وتنهب أموالهم وتسبي نساءهم دون حساب ؟ قال : « واليزيدية على أربع فرق . منهم : من يفضل الشيخ عدياً على يزيد . ومنهم بالعكس . ومنهم من يزعم أن الشيخ عدياً هو الله تعالى . ومنهم من يدعي أنه نبي وأنه أفضل من الأنبياء » ثم ألحق بهم فرقة خامسة وقال : « ومنهم من يزعم أنه بمنزلة الوزير عنده ، لا يصنع الله شيئاً إلا بمشورته ويسمونه الشيخ هادي » .

واليك ما جاء في فتوى الشيخ الربتكي : « ثم اني سمعت غير واحد من استكشاف

مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون أنهم ثلاث فرق : (إحداهما) غلاتهم الذين قالوا أن
عدياً ابن مسافر هو الله . و (ثانيها) الذين يقولون أنه ساهم الله في ألوهيته فحك السماء
بيد الله وحكم الأرض بيده . و (ثالثها) هم الذين يقولون أنه ليس الله ، وليس شريكاً
له ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير لا يصدر من الله أمر من الأمور إلا برأيه
ومشورته . »

وترى ان المفتي الشوبى زاد من عنده فرقتين آخرين وهو اكثر من الربتكى براعة
واليزيدية ليس فيهم هذا الانقسام ولا يعرفونه حتى في الاعداء التي سبقت « الشوبى »
و « الربتكى » وكل ما لديهم تشكيلات طرائقية يرجعونها الى شيوخهم يراد بها جعل
الطبقة التي يسمونها بالمريدين ، وهم سواد الشعب ، تابعة لشيخ يضمن لها النجاة من
الارزاء التي تصيبها لقاء أعطيات يفرضونها عليهم ، وهم جميعاً يعملون بعقيدة واحدة
ولا فرق بينهم . وينقسم يزيدية سنجان الى قسمين رئيسيين وهما « الجوانا » و « الخوركان »
وهذا الانقسام قبيلى لا صلة له بالدين .

قال « ويفضلون إبليس على الملائكة حتى ان من ذكره بسوء فهو كافر عندهم .
يفضلون يزيد بن معاوية على سائر الأنبياء ، ويبغضون الحسن والحسين ومن هم من
أولاد الأشراف ، ويبغضون أهل العلم ، ويحبون المشائخ والأولياء ومن ينتسب اليهم
من الصوفية وأهل الطرق ، ويسجدون لكل مكان شريف » وهذا ايضاً لم يكن نتيجة
بحثه واستقرائه بل أخذه من الشيخ الربتكى . وقد أخطأ في قوله عن بغضهم الحسن
والحسين ، ومن هم من أولاد الأشراف ، ويجوز ان قد كان ذلك في عهدهم بالاسلام
وبعد ان دخلوا اليزيدية نسوا الحزبية وتساوى بنظرهم كل من يسمى مسلماً . إلا انهم
خصوصاً آل البيت بالكرامة بصفتهم قرشيون ويكثرون من التسمي باسم الحسن والحسين
وعلياً واكثرهم استعمالاً لهذه الاسماء الامراء (١) .

قال : « وفي لالش عين تسمى (عين البيض) وهي بمنزلة ماء زمزم » .

(١) تذكر منهم ثلاثة في الحياة وهم : حسين بك بن ميرزا بك وابنه علي وحسن بك بن حسين بك بن
حمزة بك ، ومن الاموات : علي بك حسين بك بن علي بك بن حسن بك واربعتهم أمراء وحسن بك بن حسين
بك وهو الذي قتله اخوته وعنه في قرية خطارة .

والصحيح « عين البيضاء » وبالكردية تسمى « كافي اسبي » وتفيد عين المعنى .
قال : « ولهم علم في لالش (وصححه الاستاذ المزوي بعالم) يخرج الى من يجب في
كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل ، ويجمع له الأموال ، وكل من لم
يكرمه ويسجد له فهو كافر عندهم » .

والخبر فيه من الخلط والخبط ما أبعد عن المعنى المقصود . وأراد الاستاذ المزوي
ان يصححه فزاده تشويشاً وابهاماً . ولاجل ان نفهم ما أراده « الشوبي » نرجع الى
فتوى الشيخ الربتي الذي أخذ هذا الخبر عنها فنجده يقول : « ومنهم انهم يسجدون
للالش ولكل مكان شريف على زعمهم ، وخصوصاً لعلم (سنجق) عدي فانهم يدعون
ان من لم يسجد له كافر » والسنجق يطلقونه على التمثال الذي يرمزون به عن
الطاووس وهي كلمة تركية يراد منها الناحية او الكورة او الصقم فيقال : « سنجق
سنجار » و « سنجق حلب » و « سنجق بايزيد ووان » والسناجق بعرفهم سبعة ولكل
سنجق طاووس خاص . فوهم الشيخ الربتي وسماه علماً ظناً منه انه يراد به العلم ثم
جاء الشوبي ووافق عليه ، وجعل مكانه لالش ، وأنه لا يخرج إلا لمن يجب في
كل سنة ومعه شيء من الذهب على صورة العجل - وان لم يجعل له خوار - وما أدرانا
ان لو وقف أحد هواة الاخبار عن هذه النحلة على هذا الخبر لما تلقاه بعين الجد وبحت
عنه وعلق عليه وتصدى صاحب رسالة (اليزيدية او عبدة الشيطان) وادعى انه وقف
عليه في سياحته وفتح به شيء من الدراهم ، وسارع « الكرملی » - لو كان حياً - ونشر
عنه المقالات تحت عنوان « اكتشافات جديدة حول الاسرار اليزيدية » ؟ .

قال : « والحاصل أنهم لا مال لهم ولا دين ، وهم كافرون بالاتفاق يحل للسلطان ما لهم
ودمهم حتى يرجعوا عما فيه من الضلال كما أفتى بذلك محمد البرقملي وغيره من العلماء ،
وهم احدى الفرق الضالة من الاسلام » .

ولنسلم ان اليزيديين لا مال لهم ولا دين وهم كافرون بالاتفاق ويحل ما لهم ودمهم
للسلطان حتى يرجعوا عما فيه من الضلال ، فكيف جاز للبرقملي ان يصدر هذه الفتوى
ويترك العمل فيها لأهل القبائل والعشائر دون موافقة وعلم من السلطان ؟ والبرقملي وإن

لم نكن لنعرفه ونعرف العصر الذي كان يعيش فيه ، ودرجة علمه ، وأهليته للافتاء ، وعلاقته بالموضوع ، فهو واحد من العلماء الذين اعتادوا التدخل في شؤون الحياة العامة تحت ستار الدين دون ان يفكر فيما سيكون لفتواه من أثر سيء على حالة المجتمع ، وقد وافقه « الشويبي » في هذا الحكم ولا حاجة تدعوه اليه لمجرد ان يثبت له قدماء في الافتاء صحيحة كانت أم عرجاء .

﴿ كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً) للدكتور قسطنطين زريق ﴾

احد اساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الامريكىة

قرأت هذا الكتاب في سحابة يوم لما كان لي من الشغف في الاطلاع عليه . والدكتور زريق لم يأت بشيء من عنده سوى مقدمة مقتضبة صدر بها رسالة نسبها الى « اسماعيل بك جول » أمير اليزيدية في سنجار (١) وبعض تعليقات عليها . وقد أعطى لهذه الرسالة أهمية عظيمة ، ونظر الى صاحبها نظرة إجلال وإكبار لما اعتقده فيه من السلطة الواسعة في ادارة الشعب اليزيدي ، والى انه من الرجال الا فذاذ الدين لم تنجب هذه الملة مثله . وهذه العناية تدلنا على أحد أمرين : إما ان الدكتور أخطأ في معرفة هذا الرجل ، وإما انه عرفه وأراد ان يمويه على الغير معرفته ووصفه بهذا الشكل .. والدكتور زريق لم ينشر هذه الرسالة عن حسن نية بعد ان وقف على ما فيها من سقطات شنيعة وعورات مفضوحة .. واذا كان يحمل رغبة في وضع مؤلف عن اليزيدية الذين أصبح البحث عنهم من واجبات الظرف والاناقة فتحت متناوله من المصادر والوثائق ما يفنيه عن هذه الرسالة . ولكن من هو مؤلف هذه الرسالة ؟ أصحيح ما يدعيه الدكتور زريق انه اسماعيل بك نفسه ؟ واسماعيل بك رجل أي جاهل لا يفرق بين التين والمعجين ويعجز عن الكلام وإفهام المرام ، ام غيره من اصحاب الالعية واللباقة ، وقد كتبها بهذا الاسلوب الركيك ليوهم الناس بان كاتبها لم يكن غير اسماعيل بك بطل الموقف ؟

(١) لم يلقبه احد بجول غير الدكتور زريق . والامير المرعي اليزيدية هو سعيد بك بن علي بك ، ويشمل نفوذه جميع اليزيدية الذين تحت الشمس . ولا يجوز تجزأة الامارة حتى يكون اسماعيل بك أميراً على سنجار .

يقول الاستاذ المزاولي في تاريخه اليزيدية وأصل نحتهم ص ١٦٩ : « وعلى كل حال هذه الرسالة المنشورة باسم اسماعيل بك خرجت من معمل التبشير » ولكن أين هو هذا المعمل ؟ أفى العراق ، أم في بيروت ؟ فإذا قلنا في العراق ، فليس في العراق من يساعد اسماعيل بك على بث هكذا دعايات سخيفة ويرضى لنفسه ان يسب محمداً ودين محمد حباً بلحيته ، وهو منبوذ من جميع الأوساط ولا يحبه أحد ، وإذا قلنا في بيروت ، فاللهجة التي كتبت بها هذه الرسالة ، والكلمات الدخيلة التي جاءت فيها لا تدل على ان كاتبها سوري . ولذلك فالذي نراه ان الكاتب عراقي يشتغل في معمل التبشير في بيروت تحت إشراف اسانذة ماهرين يعرفون طرق التبشير وأساليبه .

يقول الاستاذ زريق : (ص. ر) : « ثم ما نجد من الموافقة بين اقسام هذا الفصل (الفصل الثاني من الرسالة) وبين ما نشر وترجم عن اليزيدية . فان الشبه بينها ظاهر للعيان . ويكاد يكون في بعض الأحيان تماماً وحرفياً . فإذا قابلنا هذا الفصل بالفصول التي نشرها براون ، وكابوت ، وجميل ، وجوزيف ، وغيرها من النصوص العربية والسريانية وجدنا كلها تتفق في مواضع كثيرة لفظاً ومعنى ، مما يدل على انها ترجع الى مصدر واحد او مصادر متشابهة .. » ا . ه .

والاستاذ زريق جدير بالشكر على إلماطته اللثام عن حقيقة أمر هذه الرسالة اذ هو ايضا يسلم معنا بأنه لا يوجد لدى الاستاذ اسماعيل بك مكتبة تحوي مصنفات هؤلاء الكتاب أو مؤلفات لكتاب آخرين يرجع في تأليف رسالته اليها عدا حصيراً بالية وفراشاً قدرأ رثاً وقصعة مكسورة ومنخلًا وجراباً فيه شيء من الدقيق فيرومن دقيق الشعير . وإذا كانت هذه المؤلفات توجد ، فتوجد في مكتبة الاستاذ أو في مكتبة الجامعة التي هو استاذ فيها وهي تحت متناوله .

أني يا سبدي الدكتور أعرف منك باسماعيلوك (١) ان كان رجلاً عبقرياً يحمل بين جنبه روحاً ونابة الى حب الجاه ونيل الزعامة ، وبملي فصولاً شائقة في سيرته الرائعة التي تفسر لنا بطولته الفذة ، وفصولاً في تاريخ اليزيدية وعقائدهم ويبلغ صدق اعماله آذان

(١) هذا هو الاسم الذي يعرف به بين اليزيدية وليس اسماعيل بك جول .



في الوسط اسماعيل بك وفي يمينه الخوري هرمز وفي يساره حمو شبرو

الكتبة الاوربيين وبدونون ذكر اسماله ، أو كان جاهلا منحطاً وقد أصبح آلة مسخرة
بيد جماعة المبشرين الذين هم محرومون من طهارة الذمة وتقاوة الضمير ..

عرفته ياسيدي في قصر الامارة في « باعذرة » وهو صبي يعيش على فتات مائدة
الأمير علي بك الذي تولى تربيته منذ طفولته .. وعرفته لما هرب « بروشى » بنت حسن
فقير (١) وذهب بها الى قرية « ماحزدينا » والتجأ بطاهر اغا بن عبو مصطفى وأردت أن
أقبض عليه وأنا اذ ذلك مدير لناحية المزورية فهرب .. وعرفته في مرقد الشيخ عدي

(١) ان تهريب الفتيات عمل فيصح لا يقدم عليه الا النحطين ، لاسيما اذا كانت للفنساء التي يقع عليها
التهريب صلة قرابة مع من يقدم على تهريبها . والامير المزيف لم يكنف بتهريب روضي بنت حسن فقير
التي تمت اليه بصلة القراه ، فقد هرب ابنة عمه بنت حمزة بك كما اعترف في رسالته .

في عيد الجمعية وكان قد جاء حديثاً من بلاد الروس وقد لبس معظفا محلي بالقصب وفي رأسه قبع ايراني عليه ريشة طاووس . ويحمل قامة محلات بالفضة ومسدساً من نوع (برونيك) وقد أرغمته على مغادرة المرقد لما ظهر لي من انه كان يقصد إثارة فتنة مع الأمير علي بك في ذلك الجمع الحافل ، وكنت لا أزال مديراً لناحية المزورية .. وعرفته بمخاصمته الشديدة مع علي بك ثم مع ولده سعيد بك على الخيرات والصدقات التي تجمع باسم الطاووس وهو لم يكن له فيها أقل حق .. وعرفته ايضاً باتصاله بالانكليز في ساسراء وعرضه الاخلاص لهم ومقابلة الانكليز له بعد أن تم لهم احتلال الموصل بالنفي الى بغداد سنتين ونصف سنة بعد ان ظهرت لهم سوء نواياه .. (١). وعرفته ، نعم وعرفته عندما كان يتردد الى بيروت لزيارة بنته « ونسة » في الكلية الأمريكية ويتصل بكم وبغيركم من رجال الصحافة فيبيع عليكم أسراراً مفضوحة فتأخذونها منه بأمان غالية وتشرنها بعد ان تحوروها كما تشاء مصلحتكم .. أهذا هو الرجل العبقرى الذي تمنونه يا حضرة الدكتور ؟

لم يكن ذهاب اسماعيل بك الى حلب فالأناضول فبلاد الروس للقيام باصلاحات دينية بين اليزيديين وجمع شملهم وتوطيد علاقتهم بالحكومة والشعوب المجاورة كما ادعيتهم ، بل قصد الاستجداء من يزيدية تلك البلاد كما يذهب اليهم الكواجك والقوالون كل سنة ، وسيرته التي كتبها ، او كتبتموها له مجموعة اكاذيب لا ظل لخبر واحد منها من الحقيقة وليخجل الانسان عندما يقرأها لا سيما اذا كان يعرف هذا الرجل ، ويعرف ما انطوى عليه من حقارة في النفس .

ويؤسفني أن تصبح هذه الرسالة يوماً مصدراً من مصادر التاريخ ويستقي منها الكتاب الأجانب الأخبار ويرفعون من قيمة مؤلفها الأبي البارع ويعدون له شيئاً .. وهذا منتهى الخزي والعار ، وأتم وحدثكم مسؤولون عنه وسيسجل عليكم التاريخ تبعاً هذه الملفات .

قلنا ان هذه السيرة مجموعة اكاذيب لا ظل لها من الحقيقة أصلاً. ويبان هذه الأكاذيب

يحتاج الى مؤلف يستغرق مئات الصفحات ، ولذلك نكتفي باقتطاف فقرات منها وهي
تكفينا دلالة لمعرفة الروح التي أملت عليها ، والغاية التي كان يتوخاها من ورائها :
جاء في صحيفة ٢٣ : « صباحا جاء أمر الملك الساعة الثالثة عربية ركبنا مع المطران
في (بايتون) فاخر ورافقتنا ايضا جماعة من أكابر الأرمن بست عربات الى قصر الملك .
وقبل دخولنا الدار خرج لاستقبالنا ختن الملك الذي هو ياوره .. وأخذنا الى داخل
القصر .. وأدخلونا الى غرفة مربعة ومستطيلة (كذا) مبطونة بحجر شبيح الكهرز
ملون من الأصفر والأحمر واللازوردي .. ووسط الغرفة خوان عليه من أنواع
الجواهرات والأنتيكات .. وبعد ان جلسنا حضرت الملكة مع خمس بنات وسلمن علينا
بهز الأيدي ، وقدمن لنا أولا السيكاير وبعده جاي مع بسكويت . بعد ذلك حضر
الملك وكان له من العمر نحو خمس وخمسين سنة وعليه سيف مذهب ورأسه مكشوف .
وبعد ان سألنا عن أحوالنا وديانتنا فأجبتنا ليس يوجد فرق كبير بيننا وبين المسيحيين
وهكذا نجب ان نجعلنا فرقة من المسيحيين (١) فأوقفهم جميعا ووضع لي كرسيًا وأخذ
صورتى بينهم أربع مرات، وقال هذه الصور أريد ان أرسلها الى أخي الكبير (نيقولا)
في بطرسبرج .. » ٨١ .

وجاء في ص ١٨ : « وأعطى أمرا تلغرافيا في جميع النقط الموجود فيها يزيدية بأن
أين ما يروني متوجهاً لازم ان يحترموني بالسلام ويعاملوني معاملة رؤساء الدين ...
وهكذا صار أين ما كنت أحضر ويصير خبر عند القومندان (البيكباشي) فخالا
يطلعون بالسلام مع صف المسكر . وعندما أقرب اليهم كل نفر عسكري يرمي ثلاث طلقات
من بندقيته (٢) وهكذا في جميع الأماكن التي كنت أحضر بها .. » ٨١ .

وجاء في عين الصحيفة : « وفي تلك الساعة ٢ من الليل ، أتانا رجل من أشرف
اليزيدية وبعد ان قبل يدي طلب مني سؤالاً ، وقال لا يصعب عليك اذا ممكن قدحضر
القائمقام الذي عزلته وهو بالباب مع أناس أكابر ويريد مواجبتك ويطلب الدخالة لعل

(١) كان طبيعياً يرجح ان يكون من الاورثودكس الذين ولد ابنه عبد الكريم صباح عيد ميلادهم
واكن لم نعلم هل ان صديقه الدكتور زريق يرضى منه بذلك أم يريد أن يجعله مارونياً على مذهبه ؟
(٢) علمنا انهم استعضوا عن المدافع بالبنادق لانها كانت محتاجة للاصلاح .

بواسطتكم يصير له وظيفة فاقبلنا مواجبهته . « هـ .

وجاء في ص ٢٧ : « وجلست في غرفة الدور أعني المسافر خانة وأرسلت كارت الى الصدر الأعظم مع ياوره وبجلوسنا بتلك الغرفة كان جملة وزراء وولاة منتظرين مواجبه الصدر الأعظم فجلست معهم وأحضروا لنا جاي ومشروبات وسكاير . وبينما نحن جالسون بتلك الغرفة سألني أحد الجلاس ، وقال من أنت وما هو مذهبك ؟ فأجبتة بحمد الله يزيدي . وقال أنا كنت في وقت الفریق والي بالموصل وأنا والفریق عمر باشا أمرنا ان لا يبقى اسم يزيدي بالعالم . وكان هذا نوري باشا (١) وبعد خمس دقائق أتى الياور وقال الصدر الأعظم يدعوك . ولما دخلت على الصدر الأعظم كنت لا بأساً قامه مفضضة على صدري . فلما رأني قلم لاستقبالي وأجلستني بجانبه وأمر لي بسيكارة وقهوة وسألني أنت شيخ الزيدية ؟ أجبتة نعم ! فسألني كيف حالكم وحال حكومتكم ؟ أجبتة : بخير وراحة بحمد الله .. « هـ .

وفي صحيفة ٢٨ : « ولما دخلت غرفة الرئيس (رئيس مجلس النواب) ما كان حاضرآ لكن السكرتير خاصته إحترمني وأكرمني وأمر لي بسيكارة وقهوة وجاي ، وقال ان الرئيس الآن بالجلسة ، فلآن تنتهي الجلسة ، فعندما انتهت الجلسة حضر الرئيس فقمت لاستقباله وسامت عليه .. وهو كان مبعوث أمير رجل رومي واسمه « ارسليدي باشا » (٢) وقال لي : « لازم تحضر في كل يوم اثنين وخميس تنفرج على المبعوثان وحوادثهم ، وأعطاني كارت من يده وشرح عليها بأن شيخ الزيدية يرخص ان يحضر الجلسات بدون مانع .. « هـ .

وجاء في صحيفة ٢٩ : « فتوجهت الى بيت شيخ الاسلام نهار الجمعة وواجهته بداره وعندما رأني احتفل بي وأمرني بالجلوس وأمر لي بسيكارة وقهوة .. « هـ .

وجاء في صحيفة ٣٠ في البحث عن زيارته للشيخ عبد القادر رئيس مجلس الأعيان

(١) من أين لهذا الجاهل ان يعلم ان الفریق عمر وهي كان ماموراً للاصلاحات في العراق قبل تعيين نوري باشا والياً على الموصل بعشر سنين ، فقد كانت مهمة الفریق في الموصل من سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣٠٩ وولاية نوري باشا من سنة ١٣١٨ الى سنة ١٣٢٠ هـ

(٢) لعله قصد ارستيدي باشا ولكنه جهل انه لم يكن رئيساً لمجلس النواب العثماني .

- وهو الشيخ عبد القادر الكردي - « أشير عليك أبقى هنا عندي ، أدخلك سنة واحدة بالكتاب وتعلم قراءة وكتابة قليلا وأنا أخطب لك ابنة أحد الوزراء ، وأحصل لك معاش من الدولة ما أقل من خمسين ليرة شهرياً ، وبعد ذلك نعطيك رتبة وتذهب الى أولئك الجهلاء الكلاب وتعمل ما تشاء . فجاوبته ما أرى موافقاً لسعادتكم ان تنطقوا بكذا كلام مع مثلي ولازم حضرتكم ان تحثوا الناس ان يتمسكوا بديانتهم . فأجاب وكأنه أحس بغلظه : أنا أعمل لطافة معك فلا تتكدر من كلامي (١) » اهـ

على هذا المنوال كان اسماعيل جول البزدي يعلّي سيرته على فرسان مكتب التبشيرهوم يسجلونها له . والانسان مها يكن أحقاً ومغفلاً لا يرضى ان يسجل على نفسه هكذا أكاذيب . ولكنه رضى بذلك بعد ان وضع فرسان المكتب عقله تحت تصرفهم لكثرة ما كانوا يعطونه من الخدر حتى كان يرى نفسه في غرفة صربعة ومستطيلة وقد نظمت فيها المقاعد من حجر الكهرب الأصفر والأحمر واللازوردي فيأني ملك الروس وزوجته ويصاخونه ويأمر الملك باخراج حرس شرف له أينما ذهب وحل ويضربون البنادق تكريماً له . ثم يرى نفسه في اسطنبول فيزور الصدر الأعظم وشيخ الاسلام ورئيس مجلس النواب والأعيان فيقومون إجلالاً وتكريماً له ويجلسونه بجانبهم ويحادثونه ويقدمون له الجاي والقهوة والسجاير والبسكويات في كل مجلس ، ويكلفه رئيس مجلس الأعيان بتزويجه ببنت أحد الوزراء ، فتأخذ العزة في الدين ويرد عليه فيحس رئيس مجلس الأعيان بخطأه فيأخذ يمتذر منه .

وهنا يضعف فيه مفعول الخدر فيعطيهِ الفرسان جرعة قوية تجعله يمعن في الهديان فيقول في ص ٣ و ٤ : « ورأيت نفسي في بيت قسيس ٠٠ وأن ذلك القسيس ألبسني قيصاً طويلاً على طول بدني والى الأرض ، وكان القميص من الكتان ، وفوق القميص ألبسني لباس الرهبان النصارى ، وتحت قميص الكتان قميص مقصب بالذهب (٣) » .

(١) كنت اقرأ هذه الفصول على احد البزديين وكان يصغى لي باهتمام . قلت له : ما تقول في اقتراح رئيس مجلس الاعيان العثماني على اسماعيل بك بتزويجه ابنة احد الوزراء . فامتعض كثيراً وقال : حقاً لقد كان بالنسبة في حياته وفي مماته ، وما جنى عليه غير اسرافه على نفسه . قلت له : كيف كان ذلك ؟ فتقرب مني وهمس باذني : ألم تعلم انه صار قرداً ؟ وهذا ما يعتقد السكثير من البزديين فيه .

وفي صحيفة ٣٥ يقول : « وأتى معي أخو (كلي افندي هرمن) و (اسكندر افندي بن يوحنا افندي سفر) الى دائرة القاءمقام ووصلنا اليه بالمرز وقدم لنا سيكاير وقهوة (كم كنت حقير النفس يا صاحبي وتهتم بالسيكاير والقهوة التي تقدم اليك) ... وان القاءمقام كان رجل سوري وكان عنده القاضي .. وسألوني الى اي ملة تميلون أزيد ، ألا سلام ام النصرى؟ فأجبتهم ان الاسلام أصدقاً وأنا ومحبين لنا ، لكن النصرى ما يتعرضون لديانتنا ولا الى أعراضنا ، ولهذا نميل الى المسيحيين » (١) .

وفي صحيفة ٣٦ يقول : « وكان بالحبس حاجو انا ، وأغوات أوسريان وأغوات مليه والخلجة وخلف أغا من المحامية . وبهذه الأيام ان يوسف انا وأحمد انا أغوات الأوسريان كانا يمران أمامي ويسبان دياتي وطاؤوس ملك فن ضيقتي أنا ايضاً سببت دينهم ، وقلت لا ، هذا جميعه نبيكم عمله .. » اه

وفي صحيفة ٤٦ يقول : « وبقيت عشرين يوم بالحبس وان واحداً من بيت كشمولة اسمه (شوفتلي) وآخر اسمه سيد عبد ، كل وقت يسبون مذهبي وطاؤوس ملك أمامي وغير ذلك من إهانات دياتي ، فلما انحصرت كثيراً أنا ايضاً سببت دياتهم وكفرت بجد السادات جميعهم .. » .

وفي صحيفة ٦١ في حلم رآه يقول : « وهناك ايضاً رأيت امرأة صدرها مكشوف وتديها اليمين على كتفها الشمال وتديها الشمال على كتفها اليمين ويدها حجرين وهي تضرب على صدرها وتصرخ بأعلى صوتها . فسأت الذي يضرب الطنبورة من هذه الامرأة ؟ فقال : أما تعرفها ؟ هي والده محمد ، وهي تضرب على صدرها لأن الاسلامية بادت وانمحت ... فانتبهت وأنا مفكر بهذه الرؤيا ، فقلت بقلبي انشا الله تكون دلائل خير وان تكون هذه الرؤيا حقيقية » .

فهل بعد هذا حاجة لفهم الأسباب التي حدثت بالذكتور زريق لاطهار اهتنامه الشديد

(١) تفسيره يا كرتي العزيز انك ستصبح باذن الله راهباً كبيراً وستكون لك سلطة دينية واسعة بعد ان حرمك اليزيدية سلطتك التي لاحق لك فيها ، وسيخصص لك راتباً ضخماً على حساب معمل التبشير ، وستنال ثروة واسعة حيث تلبس القميص المذهب تحت لباس الكهنوت . وأقسم انك كنت تحمل بهذا في البقطة فضلاً عن النوم ..

بهذه الرسالة وكيه المدح والثناء لصاحبها الزيدي المأفون وجعله من النوابع الأفاضل الذين قلما أتى الدهر بمثلمهم؟ وهو لم يحسن له بقدر ما أساء إليه إذ جعله سخريه بين الناس وكشف عن حطته وضعة نفسه. وسمعيل جول لا يمكن ان يكون خيراً من هذا ان الدكتور زريق الذي استطاع ان يصرح على لسان صاحب هذه الرسالة ميل الزيدية الى النصرانية وجعله يذهب بدعواه الى أنه لا كبير فرق بين الزيدية والمسيحية ويجب ان يكونوا فرقة منهم، وجعله يتهم على الاسلام ويسب ديانتهم ويكفر بجد ساداتهم جميعاً لقد أصبح مطمئناً من نجاحه في مهمته وأن الأمر بسيط للغاية ولا يحتاجه الى أكثر من تفح هذا الزيدي قبضة من الدراهم واشباع بطنه، وهو فوز عظيم لم يكن من نصيب أحد غيره، ولكن فاته ان هذا الزيدي قد هزأ به، وضحك عليه في سره وعلايته وهذا هو دأبه مع كل من يتصل به من المسلمين والنصارى، وسمعيل جول هو زيدي صميمي قح يتمصب لديانته أكثر من اي زيدي آخر وما يديعه من الأخبار لا يعد سراً من الأسرار الدينية الزيدية المحظور إفشاؤها وكل ما قاله معلوم لدى كل أحد واذا اجتمعت اليوم بأي زيدي باح لك بهذه الأخبار بدون تمن ولكن مهما أجزلت له بالعطاء لا يبوح لك بأسرار عبادة « سمايي » التي يقيمونها ليالي عيد الجماعة في المرقد المبارك، ولا يكشف لك عن أسرار صلاة ليلة القدر، والأدعية التي يرتلها القوالون في حفلات المآتم، وتلقين الميت عند الدفن عليه. وهكذا اسماعيل جول.

والآن لننظر في الفصل الثاني من هذه الرسالة في عادات الزيدية ومعتقداتهم: ان العادات والتقاليد والمعتقدات التي يتبعها الزيدية معروفة، وقد خبط فيها الاستاذ زريق خبط عشواء، وأضاف اليها اشياء من عنده، ووجهها توجيهاً سيئاً. من ذلك ما جاء في صفحة ٩٤ قوله:

« فالزيديون يأخذون الصوم والتضحية والعماد من النصارى، والفهم من الاسلام، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء، وتحليل الخاطيء من الشيوخ والأسماء » وزعم ان هذا الخبط ينطبق على نظرية براون، وتايوت، وجميل، وجوزيف، ويتفق معها

لفظاً ومعنى ، وعزاه الى البطل اليزيدي ، وعده دليلاً على ألميته وعبقريته . والقول بامتزاج عناصر أديان كثيرة في الديانة اليزيدية قاله آخرون غير الذين ذكرهم ، وهو قول خاطي . منشؤه عدم الاحاطة والالمام بعمق هذه الطائفة ، ولو علموا ان قسماً من هذه العناصر - وبالأخص تحريم الأكولات - دخل عليهم بتأثير ظروف خاصة لا علاقة له بالدين ، وقسماً ما هو اسلامي صرف ، والبقية أخذوه من المجوسية ديانتهم القديمة ، لما اتبعوا بحقهم هذه الفكرة ، ولما سارع الدكتور الفاضل الى استغلالها وأدخل على هذه الديانة - على لسان اسماعيل جول - عناصر جديدة لم يكن احد قد تكلم فيها ، ولم ير للاسلامية - التي سبها وسب نبيها على لسان هذا الأرعن - نصيباً من هذه المظاهر اكثر من « الفهم » وجعل « الصوم » عنصراً نصرانياً ، والصوم عند اليزيدية اسلامي بجميع مظاهره ، وقد تكلم الباحثون عن صورة جعلهم الصيام ثلاثة ايام بدلاً من ثلاثين يوماً . و « الهاد » الذي يتخذ دعاء النصرانية أقوى مستمسك لجعل صلة اليزيدية بالنصرانية لم يكن عماداً بالمعنى المفهوم لدى النصارى . وقد بينا خطأهم فيه في مواضع كثيرة ولا حاجة الى تكراره ، وقوله : أخذهم أصول الديانة من الملائكة والأولياء « لا يعبر عنه باكثر من هذيان محموم بلغ درجة الاربعين . فاذا كان عندهم أولياء وقد أخذوا منهم أصول ديانتهم فأين لقوا الملائكة وأخذوا منهم ؟ وقوله : أخذهم السجود من الوثنيين ، فعندما لم يكن للمسيحيين سجود في صلاتهم ، وبخجل على المسلمين ان يكون هذا السجود أخذ منهم ، قال انهم أخذوه من الوثنيين ، وما درى ان الوثنيين لم يكن لديهم سجود على الشكل المعتاد في الصلاة عند المسلمين . ولو اعلمه اسماعيل جول بان لليزيدية صلاة يقيمونها ليلة القدر في مرقد الشيخ عدي طبقاً لما هو جار في الاسلام ، ويصلون ويقرأون القرآن ويكثرون من السجود ، لما تورط في هذا القول . ولم نعلم القصد من قوله : أخذهم المخالفة من الرافضيين ، ولعله جرى على قلبه عفواً دون تفكير وتأمل . أما أخذهم ذبح الاشخاص من الجاهليين فهو كلام يدعو الى السخرية والاستهزاء مما . فاذا كان ذبح الاشخاص من خصائص الجاهليين فإمام والجاهليون حتى يأخذوا هذه العادة منهم ؟ وقوله : أخذهم عادة تحليل الخاطي .

من الشيوخ والأشراء فهو هراء ، ومتى كان الشيوخ والأشراء يجللون الخطيء وهي عادة نصرانية ، فما منعه ان يقول انهم أخذوها منهم ؟
وقد اختار الاستاذ زريق هذا العناء والتكلف في ارجاع كل عقيدة وعادة وجدها في هؤلاء القوم الى احدى الديانات ليدل على عدم وجود صلة لهذا الدين بالاسلام عدا أخذه « الفهم » منه . ولسنا من الغباوة وقلة الفهم بالدرجة التي نعتقد ان صاحب النظرية هو اسماعيل جول والاستاذ بعيد عنها ، واسماعيل جول الأعمى النبي لا يصلح ان يكون اكثر من راعي ابقار وليس له من العقل والفهم ما يوصله الى هكذا مباحث..

﴿ الامام الشيخ تقي الدين احمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني ﴾

﴿ دمشق المتوفى عام ٧٢٦ هـ ﴾

﴿ ووصيته الكبرى الى أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الأموي ﴾

يعده مؤلفوا الاسلام مجدد القرن السادس الهجري وقد حصر حياته المملوءة بجلال الأعمال في الرد على المبتدعة وأصحاب النحل والأهواء الضالة من الاسلام . وهو شديد الوطأة على أصحاب الطرق التصوفية والتنديد بهم ، وربما كان يذهب الى تكفير البعض منهم . وفي العصر الذي عاش فيه ظهرت الحركة الانقلابية التي قام بها رجال البيت العدوي في الموصل في الدين والسياسة ومرت من جانبه حوادث خطيرة عنهم في الشام وفي مصر ووقف على كل ما يخصهم ويتعلق فيهم . وكان من المتوقع ان يكتب ما يزيح الستار عن حقيقة أمرهم وهو الذي كتب في كل موضوع ، وبجث عن كل نحلة ، وتكلم عن كل عقيدة وأوسعها نقداً وتعريفاً وتنجيحاً ، إلا ان ما كتبه عنهم لم يخرج عن كونه مجموعة نصائح أراد به إصلاح ما فسد من عقائدهم وقد رأى عوامل الفساد أخذت تنخر فيهم وتبعدهم شيئاً فشيئاً عن الاسلام ، ولم نجده أظهر في مؤلفاته الكثيرة تسامحاً مع أهل نحلة بقدر ما أظهره مع اصحاب هذه النحلة وعطف على آل عدي القائمين بأمرهم ، وتألم لمصاب الشيخ حسن وقتله على أثر الفتنة التي قامت بينه وبين الحزب الشيعي في الموصل ، ونعتقد ان لو كان أمرهم مع غير الشيعة لما انتصر لهم ، إلا

انه يمت الشيعية ويكرهم .

أن مجموعة هذه النصائح التي وجهها الى أصحاب طريقة الشيخ عدي والتي سماها (بالوصية الكبرى) تفيدنا أشياء كثيرة عن هذه الطائفة ، (منها) : عراقتهم بالاسلام ، وأن شيخهم « الشيخ عدي بن مسافر الأموي » لم يكن بالرجل الذي يطعن بدينه ويشك في عقيدته ، وقد بقيت طريقته محفوظة ولم يطرأ عليها فساد الى ان ظهر الشيخ حسن . و (منها) ان الفساد الذي دخل عليهم كان تدريجياً وقد بقي العلم موجوداً فيهم بعد ان مضى على الشيخ حسن نحو ثمانين سنة ، وكان لديهم علماء يقرأون الفقه والحديث والتفسير ويجادلون في المسائل الاعتقادية ، وهذا يبطل ما يقال أن العلم رفع من بينهم وفرضت عليهم الأمية على عهد الشيخ حسن إلا من أهل بيته . و (منها) نفي الخبز الذي يدعيه دعاة الشيعة عن عدائهم لأهل البيت العلوي ، وأنهم كانوا يحملون لهم كراهية ومقتاً وكانوا يطعنون بعلي وأولاده . و (منها) أن هذا الدين لم يكن قد ظهر بشكله الحاضر حتى القرن التاسع الهجري وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقية عليه ، والمظاهر الوثنية التي نجدتها في أصحابه من عبادة آله الشر والسجود للشمس واتخاذهم أرباباً لهم من مشايخهم وعدائهم للاسلام وكفرهم بكل ما هو إسلامي ، وإتباعهم (الجلوة) بدلا من (القرآن) جميعها دخلت عليهم بعد ان غربت شمس القرن الثامن الهجري . ولم تكن مخطئين اذا ادعينا أن التشكيلات الطرائقية التي نجدتها فيهم الآن والتي يرجعونها الى مشائخهم من رجال البيت العدوي لم تكن موجودة قبلا وقد ظهرت اخيراً .

أن وصية الامام ابن تيمية رضى الله عنه على جانب كبير من الأهمية ، وهي تبطل جميع الآراء والنظريات التي أتى بها الكتاب والباحثون عن هذه الديانة وتؤيد لنا بطلان دعوى (برسي بادجر) التي أراد ان يجعل منها ديانة نصرانية صرفة ويقطع ما لها من علاقة بالاسلام ، وتسفه رأي الذين يذهبون الى انها مزيج من عناصر أديان مختلفة لفقها لهم شيوخهم ، وبالأخير تدل على خطأ الذين يريدون ان يشوهوا سمعة آل عدي وينكرون عليهم نسبهم ويطعنون بعقيدتهم .

ولم نكن نحن أول من انتبه الى هذه الوصية ، فقد انتبه اليها ايضا الأستاذ العزاوي ،

والعلامة المرحوم احمد تيمور باشا وغيرهم ممن لم يقعدوا عن إنصاف رجال البيت العدوي وتزيه طريقتهم . ولكنهم لم يوفوها ما تستحقه من الدراسة، ولو فعلوا لدرأوا الأوهام والشبهات عن رجال هذا البيت وعن طريقتهم .
تشمّل هذه الوصية على خمس وخمسين صحيفة من مجموعة رسائل الامام ابن تيمية ، وهي السابعة منها عدد فيها وجوه الفساد والزيغ الذي طرأ على هذه الطائفة في عقائدهم وأراد معالجته لا بطريقة الاستدلال العقلي والحجج المنطقية بل بالآية والحديث حيث وجد مفهومها أقرب الى عقولهم وتأثيرها أشد في نفوسهم وهم لا يزالون متمسكين بالاسلام ويرجو إصلاحهم .

فبعد ان أورد آيات كثيرة تدل على بعث النبي الكريم بالمهدى ودين الحق ، وان الاسلام الجامع لأقصى الكمال الانسانية هو أصدق الأديان وأقومها ، وينهي عن الفحشاء والمنكر ، والشرك بالله ، ويأمر باجتنب الطاغوت ، واتباع ما فرضه الله على عباده من الأعمال الصالحة أخذ (ينهاهم) عن قتل النفس بغير حق ، وتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، والائتم بغير الحق ، والكلام في الدين بغير علم مع ما يدخل في التوحيد من إخلاص لدين الله ، و (يأمرهم) باتباع الشرائع التي هدى الله بها نبيه الكريم وأتمته من الصلوات الخمس والركوع والسجود واستقبال القبلة ، وفرائض الزكوات ، وصيام شهر رمضان ، وحج البيت الحرام ، والحدود التي حددها لهم الشرع والسنن التي سنّها لهم الرسول في أحكام المعاملات والعادات وحبب لهم الايمان وزينه في قلوبهم ، و (ينهاهم) عن الاختلاف ويأمرهم بالجماعة والائتلاف عملاً بقوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله ولا تفرقوا » وقوله تعالى : « وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » الى غير ذلك من الآيات التي تنهي عن الاختلاف والتفرقة وتحث على الاتفاق والاتحاد (ويدلهم) على ان الفرقة الناجية من الاسلام أهل السنة وهم وسط في النحل ، كما ان ملة الاسلام وسط في الملل ، ولم يغفل الاسلام في انبياء الله ورسوله وعباده الصالحين كما غلت النصارى فآخذوا احبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود فكانوا يقتلون الأنبياء

بغير حق ، و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ، و كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
أنفسهم كذبوا فريقاً وقتلوا فريقاً ، بل المؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسله و عززوه
و نصروه و وقروهم و أحبوه و أطاعوه و لم يعبدوه و لم يتخذوهم أرباباً كما قال تعالى :
« وما كان لبشر أن يؤتیه الكتاب والحکم والنبوة ثم یقول للناس کونوا عباداً لی
من دون الله ، ولكن کونوا ربانین بما کنتم تعملون الكتاب و بما کنتم تدرسون ، ولا
یأمرکم ان تتخذوا الملائکة و النبیین أرباباً یا أمرکم بالکفر بعد ان أنتم مسلمون » ،
(و یوجب) علیهم الاستمتاع بالطیبات التي أحلها لهم دین الاسلام وینهاهم عن تحريم
ما أحل الله ، (و یحذرهم) عن توصیف الله بصفات الخلق الناقصة کالیهود الذين قالوا
عن الله هو فقیر و نحن اغنیاء ، و قالوا ید الله مغلولة ، و قالوا انه تعب من الخلق فاستراح
يوم السبت ، (وینهاهم) عن التفضیل بین صحابة رسول الله (کالغالية) الذين یغالون
فی علی رضي الله عنه و یفضلونه علی أبي بکر و عمر ، و یعتقدون انه الامام المعصوم ، و ان
الصحابة ظلموا و فسقوا و کفروا الأمة بعدهم ، و ربما یجعلونه نبیاً ، او (کالجافية)
الذين یعتقدون کفره و کفر عثمان و یستحلون دماءها و دماء من تولاهما ، و یستبیحون
دم علی و عثمان و نحوهما ، و یقدحون فی خلافة علی رضي الله عنه و إمامته
(و یحذرهم) عن متابعة الشیطان لأنه أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة و أدرعها حتی
مرفوا عن الاسلام كما یمرق السهم من الرمية (و یجنبهم) عن إتباع الظن و الهوى الذي
هو أصل کل ضلال (وینهاهم) عن الغلو فی بعض المشائخ او فی کل من یعتقد به الصلاح
کعلی و عدي حتی جعلوا فیهم نوعاً من الألوهية و یفهمهم ان ذلك شرك و ضلال یستتاب
صاحبه فان تاب و إلا قتل (وینهاهم) عن ان یدعوا مع الله إلهاً آخر او یعبدوا القبور
و یقولون انما نعبدهم لیقربونا الى الله زلفی ، او یقولون هم شفعاؤنا عند الله (وینهاهم)
عن الاستغاة بها و السجود عندها و التمسح بالأحجار و تقبیلها (و یدلهم) علی ان من أله
بشراً ، او دعا میتاً ، او طلب منه الرزق و الهدایة و النصر ، و توکل علیه ، او سجد له
یستتاب ، فان تاب و إلا ضربت عنقه ، و من فضل أحداً من المشائخ علی النبی صلی الله
عليه و سلم و أعتقد انه استغنی عن طاعة رسول الله فیستتاب فان تاب و إلا ضربت عنقه

ومن اعتقد ان أحداً من أولياء الله يكون مع محمد كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه (وينهاهم) عن تضليل غيرهم وتكفيرهم واستحلال عرضهم ودمهم ومالهم وربما يكون الصواب معهم ، او يكونون قد اخطأوا في شيء من الأمور وليس كل من أخطأ يكون كافراً او زنديقاً (ويحذرهم) عن التمييز والتفريق بين الامة والانتساب والتحيز الى أحد دون الآخر ويدعوهم الى التواضع (ويوجب) عليهم الاعتدال والاقتصاد في أمر الصحابة والقراية رضى الله عنهم وعدم التحيز لأحد (ويفهمهم) ان القرآن كلام منزل غير مخلوق وهو كلام الله لا كلام غيره منه بدأ واليه يعود ، وان الشكلة والنقطة هما ليستا داخلتين فيه (ويأمرهم) ان لا يكونوا في باب أسماء الله وآياته وصفاته من أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويمطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حيث يشبهونه بالمعدم والموات ، ولا من أهل التمثيل الذين يضربون له الامثال ويشبهونه بالمخلوقات بل ان يتبعوا أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكبير وتمثيل .

هذا ملخص ما جاء في الوصية الكبرى للامام ابن تيمية التي خاطب بها جماعة الامام القدوة العارف الشيخ عدي بن مسافر الأموي ، ولم يدع نصيحة إلا وأسداها لهم ، ولا عملاً منكراً إلا ونهاهم عنه . وقد وجهها الى جماعة من العلماء من هذه الطائفة لا الى الطغام والرعاة الذين لا يفقهون قولاً ولم تؤثر فيهم موعظة او نصيحة . وكان ذلك بالوقت الذي اشتد الخصام بينهم حول المسائل الاعتقادية وأخذ بعضهم يكفر بعضاً ، وقامت بينهم فتنة شعواء كادت ان تودي بهم الى الهلاك . ولو ظهرت هذه الفتنة على زمن « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذي عرف بمنأوته لهذا الدين لاستغل الموقف وأنزل ضربته المميته فيهم وقضى عليهم ، ولكن من حسن حظهم ان ظهرت على عهد الملوك الايلخانيين ، والايلخانيون لم يعيروا هكذا اختلافات اهتماماً ، وكل ما فعلوه ان قبضوا على البعض من اصحاب هذه الفتنة وألقوهم في السجن .
فما هي التأثيرات التي أحدثتها هذه الوصية في نفوس هؤلاء القوم ؟ وهل أوجدت

شيئاً من الإصلاح في عقائدهم؟ إننا إذا اتبعنا سير الحوادث نرى ان ابن تيمية جاء بوصيته هذه اليهم متأخراً ، والفساد الذي دخل عليهم في عقائدهم أبعدهم عن قبول أي اصلاح ولم يكاد ينفع فيهم عذل عاذل او نصيح ناصح . ولم يدخل القرن التاسع الهجري إلا وتم كل شيء . وظهر هذا الدين للوجود ، وأخذ على مر الأيام يزداد قوة وانتشاراً .

لقد بقي هذا الدين في دور التكوين عصر أ ونصف عصر ، وسببه استنكار النفوس منه ومقاومته بشئ الوسائل ، ثم الاختلافات التي ظهرت بين أصحابه ، وقد بقي في مد وجزر وقبول وإنكار ، الى ان تم ظهوره على هذا الشكل وتحققت أمانى الشيخ حسن التي ذهب ضحية في سبيلها ولكن بعد حين . أما وصية ابن تيمية التي نحن بصدد البحث عنها فقد اصبحت وثيقة تاريخية يرجع اليها لمعرفة هذا الدين وظهوره والتطورات التي أصابته في سيره .

﴿ فيها أصدره علماء الاسلام من الفتاوى بحق الطائفة اليزيدية ﴾
(وما تركته من أثر على الحالة الاجتماعية في هذه البلاد)

لقد أخذت الفتاوى التي أصدرتها جماعة من علماء الاسلام دوراً هاماً خطيراً في حياة هؤلاء القوم وألقتهم في حروب طاحنة دامت أكثر من ثلاثة عصور وهم يتحملون كل أنواع الألم والعذاب ولم يظهروا يوماً استسلاماً. ولو سألنا هؤلاء العلماء الأسباب التي دعتهم الى إصدار هذه الفتاوى التي ألفت هذه البلاد في فوضى واختلال طيلة هذه المدة لأجابونا: هو الدين. وكان الدين تصدعت جوانبه وهدمت أركانه لسبب ما أصاب هذه الشريعة القليلة من زيف في عقائدها وأرادوا حفظه من الضياع والتدهور وليس من يغار عليه غيرهم.

إن أول فتوى صدرت بحق هذه الطائفة هي فتوى ابو السعود العمادي (١) (٨٩٦هـ - ٩٨٢هـ) الذي أشغل منصب الافتاء ثلاثين سنة على عهد السلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الثاني. والفتاوى التي صدرت أخيراً جميعها مأخوذة منها. والمفتي العمادي اذا كان أصدر هذه الفتوى بحكم وظيفته ومنصبه الرسمي، وبأمر السلطان فبقية العلماء أصدرت فتاويهم نزولاً عند رغبة أمير او زعيم ليبرروا أعماله من الناحية الشرعية وهم ليسوا مكلفين بإصدارها، وسرى ما أحدثته هذه الفتاوى من اضطرابات وقلقل في حالة البلد وما كان لها من تأثير سيء على المجتمع.

إن المفتي أبا السعود العمادي بصفته أكبر علماء عصره وله شهرته العظيمة في عالم الافتاء فلا شك ان يكون لفتواه قيمة كبيرة، ومنها يمكننا ان نفهم حالة هذه الطائفة الدينية، ودرجة الانحراف الذي أصابها في عقائدها في أول عصر ظهورها، إلا انه مع الاسف أصبحت

﴿ ١٤٤٧ ﴾ اسمه احمد وأبوه مصطفى من اكراد العمادية: ولد في اسطنبول وسلك طريقة العلم ودرس في امهات المدارس وارتقى منصب الافتاء سنة ٩٥٢هـ وتوفي عن عمر بلغ (٨٧) سنة، وله من المؤلفات التفسير على القرآن المجيد وحاشية على كتاب البيوع وكتاب الفتاوى المعروف باسمه وحاشية على تفسير سورة الفتح للكشاف واشعار كثيرة في العربية والفارسية والتركية وله قصيدته الميمية المشهورة ومطلعها:

ودون ذراها موقف ومقام

بأبعد سليماني مطلب ومرام

ان تكون مفقودة ، وقد بحثنا عنها في كل خزانة وحتى في خزانات اسطنبول العامة بواسطة معارفنا هناك ولم نعرث عليها . وقد دلنا البحث على نسخة لها في مكتبة المرجوم الحاجي امين بك الجليلي ، ولكننا لم نقطع في كونها هي فتوى العمادي نفسه وان كان كاتبها أشار في أولها الى أنها له ، وذلك لما نجده فيها من أغلاط وأخطاء لا يصح صدورها من عالم جليل مثل العمادي .

فبعد ان صدر الكاتب الفتوى بهذه الكلمة : « وقد أفتى شيخ الاسلام ، ومرجع الخاص والعام ، العالم العلامة ، والحبر الفهامة ابو السعود افندي رحمه الله وأرضاه بحق الطائفة اليزيدية المرتدة لعنهم الله ودمرهم واستأصلهم بأمر السلطان سليمان عليه الرحمة والرضوان » قال : « وهذه صورة الفتوى » :

« ما قول أئمتنا الحنفية والشافعية والمالكية والحنبلية ، وما جوابهم عن عسكر المسلمين اذا غزوا هؤلاء الطائفة الطاغية وقتلواهم ، او قتل أحد من المسلمين بأيديهم ، هل يكون قتلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً ؟ أفتونا ما جورين مثابين :

الجواب والله أعلم بالصواب : يكون قتلهم غازياً ، ومقتولهم شهيداً لأن جهادهم وقتالهم جهاد أكبر ، وشهادة عظمى . وفي هذه الحالة سبب حل قتلهم ، وسبب حل سبي نساءهم وذرياتهم ، او السبب بفضهم لحضرة الامامين الهامين الكاملين التقيين النقيين الشهيدين النسيين الامام ابي محمد الحسن السبط ، والامام ابي عبد الله الحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وعداوتهم المقتضية لاستحلال قتلهم وقتل أولادهم من أهل بيت النبوة إغاضة لجدهم الرسول عليه الصلوة والسلام ، او السبب في ذلك بفضهم لحضرة قدوة الأولياء مدينة العلم الخليفة الرابع علي المرتضى ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم المقتضى بفضه بغض الله ورسوله ، وتحقير علمه وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، او لسبب استحلالهم قتل العلماء الفاضلين ، او استحلال قتل المشائخ الكاملين ، وقتل رؤساء الدين المبين ، والاستهزاء بكلام الله المجيد . وبالكتب الشرعية والتفاسير والأحاديث ، وإنكار يوم القيمة والحشر والنشر ، وإنكار أركان الدين الخمسة ، او السبب الموجب لقتلهم اعتقادهم في (عدي بن مسافر) الأموي انه الشريك الأغلب

لحضرة رب العزة جل شأنه ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ، او السبب محبتهم التسامة مع الشيطان اللعين واعتقادهم فيه أنه طاؤوس الملائكة مشافقة لأخبار الله عز وجل ، او السبب في وجوب قتلهم قطع طريق عباد الله وإخافة أبناء السبيل بسفك الدماء ونهب الأموال على الدوام بلا انقطاع أخذاً من قوله عز وجل «انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف» الآية ، او السبب : إياهم عن عقود أنكحتهم من أنفسهم وإنما يفوضون عقودهم الى رأي رئيسهم الفاجر ، او السبب في ذلك غير هذه الوجوه المذكورة أفتونا الجواب الصحيح تكونون مأجورين .

الجواب : نعم أسباب حل قتالهم هي جميع الوجوه المذكورة ، وهم أشد كفراً من الكفار الأصليين ، وقتلهم حلال في المذاهب الأربعة ، وجهادهم أصوب وأثوب من العبادات الدينية ، وتشيت شملهم ، وتفريق جموعهم ، والمباشرة في قتلهم وقتل رؤسائهم من الواجبات الدينية ، وحكام الوقت والولاية الذين يرخصون في قتلهم ، وبحرضون على قتالهم ويرغبون في سببهم شكر الله سعيهم وأعانهم وساعدتهم على مقاصدهم وأيدهم عليهم بنصره العزيز . فلهم ان يقتلوا رجالهم ويستأسروا ذريتهم ونساءهم ويبيعوهم في أسواق المسلمين كأسارى سائر الكفار ، ويحل لهم ايضاً التصرف في أبنائهم وزوجاتهم بعد الاستبراء بملك اليمين على ما عليه الفتوى ، من القول الأقوى . فتحقق حينئذ كفرهم وجواز لعنهم . فأما امتناع الامام الشافعي رضى الله عنه عن لعن (يزيد) لعنه الله فليس بثابت كرواية عنه ، ولئن سلم ثبوته عنه ، فامتناعه انما كان لأجل عدم كون ذلك اللعين من عبدة الأوثان ، لا لأجل كونه عنده مؤمناً ، لأن بعض الأولياء المقربين ، أخذوا عنه الخبر بحسب المعنى من روحه الشريفة ، ومن سرقهه العالي . وقد أخذوا ايضاً في عالم الرؤيا أخباراً صحيحة في تجويز اللعن على يزيد ، وقد قال الامام نعمان بن ثابت ابو حنيفة الكوفي عليه رحمة الوفي في يزيد : ملعون ، ووقع هذا اللعن منه في جواب الامام ابى يوسف عليه الرحمة وهذه الطائفة الطاغية لبسوا من الأثنين وسبعين فرقة من الفرق الاسلامية بل هم مرتدون عن الاسلام خارجون عن الملل كلها لأنهم مرتكبون

في الدوام الفسق والفجور ، ومبيحون الأعمال الفبيحة والخمر ، ومعتادون على قطع
السبيل على عباد الله وعلى سفك دماهم وغصب أموالهم ، ومجموعهم من قبيل أولاد الزنا
وأيضاً باجماع علماء الامصار كلهم كعلماء اليمن وقره باغ وعلماء التاتار أفتوا بجل قتلهم ،
واسترقاق وسي نساءهم وذريتهم بالتأكييد البليغ وينوا ان قاتلهم ينال ثواب الدارين ،
وداخلا جنات النعيم حتى مولانا الامام نجر الدين ارازي في أما كن متعددة من تفسيره
الكبير أثبت جواز اللعن على يزيد مستدلاً على الجواز بدلائل عقلية ونقلية وأثبت حل
قتلهم ، وحصول أجر الغزاة لقاتلهم ، وثواب الشهداء لمقتولهم ، وأثبت حل التصرف
بملك اليمين في أبكارهم وزوجاتهم وإباحة أسر نساءهم وذريتهم وجواز بيعهم شرعاً ،
وقال ذلك في تفسير بعض السور القرآنية ، وكذلك الامام احمد ، والامام ابي الليث
السمرقندي ومولانا عبدالرحمن الجامي ، أفتوا كلهم بجواز التصرف بهم حتى ان مولانا
المذكور كتب في الاباحة المذكورة رسالة فتوى واني رأيتها عياناً بخطه ، ولا سيما
سعد الدين التفتازاني في شرح عقائده صرح بجواز اللعن على يزيد وعلى أنصاره
وأعوانه وكذلك السيد الشريف الجرجاني ، وأكثر العلماء صرحوا بجواز اللعن على يزيد
وبالتعجيل على قتلهم من غير إمهال وعدوا إمهال قتلهم مذموماً ولا سيما حضرة الشيخ
عبدالقادر الجيلي قدس الله سره العزيز فقد قال في وعظه الشريف في بغداد : اسمعوا يا
معاشر العلماء والصوفيين ان يزيد بن معاوية ملعون ، وعمله باطل ، وأعوانه ضالون
وأنصاره باغوت ، يدخلون النار معه بأشياءهم ، قال ذلك على منبره خطيباً مصرحاً
بتحقيق موته على الكفر وقال : إلا ان أولياء الله وأحبابه ، وصالحى خلقه أعداء هذا
اللعين وباغضوه . نقل ذلك القول عنه محققو أصحابه في كتابه المسمى بالوعظى ، حتى
قال ان قتال هذه الطائفة الضالة أهم من قتال الكفار الاصلين لسراية اضرارهم للناس
حتى يروى عن علي كرم الله وجهه انه لما رجع من قتال الخوارج منصوراً قال يا أيها
الناس ان كل من عادى أولادي ، وأهل بيتي الطاهرين وأهائهم فكأنما بفض رسول الله
وأهان الخلفاء الكرام وهو عند الله فاجر ملعون ، ومن بعد : فكل من كان مؤمناً موحداً
لا ينبغي له ان يتردد في إهائهم وقتالهم واستحلال أطفالهم وأموالهم . والاهانة لهؤلاء

الخذلة إكراما للأنبياء والأولياء والخلفاء وتفريخ يلحق بروحي بعدي . إذ قطع فسادات هذه الطائفة عن وجه الأرض من الواجبات الشرعية فلاجل ذلك حررت هذه الفتوى وأثبتتها نقلا وشرعا واجتهادا وسلمتها بأيدي أهل الجهاد والتقوى حتى تصل اليهم الغيرة على كتاب الله المبين ، وتحصل لهم النخوة على الدين المبين . ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون . انتهت .

ان صاحب هذه الفتوى سواء أكان المفتي المهادي نفسه او من انتحل اسمه أوجب هذه الأحكام بحق هذه الطائفة في وقت كانت فيه من رعايا الدولة ، ورعايا الدولة مها أنوا من الأعمال المخالفة لحكم الشرع والنظام وخرجوا عن الطاعة لا يجوز أسرتهم وذراريهم ويبيعهم في الاسواق والتصرف في أبقارهم . وهذا يجوز بحق أهل الكفر الذين هم خارجون عن الاسلام ويكونون في حالة حرب مع المسلمين ، ويكون للاسلام قوة وشوكة لا ترهبه قوة أعدائه في الخارج والمفتي المهادي لا يجمل ذلك ، وطالما لا يجبهه فبعيد عليه ان ينحط الى إذاعة هكذا أراجيف لا تتفق ومكانته العلمية .

وقد أرجع مؤلف هذه الفتوى هذا الدين الى يزيد بن معاوية الأموي وأتى بأقوال طائفة من العلماء بتجويز لعنه بينما لم يكن ليزيد علاقة بهذا الدين ، ولم يكن هو الذي وضعه ليتحمل تبعته ، وشأنه منه شأن الأئمة العلويين من طوائف الشيعة المغالية الذين وضعهم بالألوهية وعدوهم لهم آلهة . واذا كان يزيد استحق اللعنة فقد استحقها لأسباب اخرى معلومة .

وجاء فيها ان علماء اليمن وقره باغ والتتار أفتوا بجل قتلهم واسترقاق نسائهم وذراريهم وان قاتلهم ينال ثواب الدارين . وان الامام احمد (١٦٤ - ٢٤١ هـ) والامام أبا الليث السمرقندي (٣٧٣ - ٤٠٠ هـ) أباحا التصرف بهم ، وأن الامام فخر الدين الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) أثبت حل قتلهم ، والتصرف بملك اليمن في أبقارهم وزوجاتهم وإباحة أسر نسائهم وذراريهم .

وهنا يرد احتمالان : إما ان تكون هذه الطائفة عرفت قبل الشيخ عدي او بعده . فان كانت عرفت قبله فلم يثبت لها شرك وعبت بالأنفس والأرواح ، وتشريك عدي في ذات

الله ، وقطمهم الطريق ، وإخافتهم أبناء السبيل حتى يقرر هؤلاء الأئمة والعلماء هذه الأحكام بحقهم . وإذا كانت عرفت بعده كيف يسوغ لعلماء اليمن وقرة باغ والتتار والرازي والسمرقندي والامام احمد ان يفتوا بحق من جاء بعدهم . والكلام يدور حول اليزيدية أتباع الشيخ عدي بن مسافر لا حول أعوان يزيد وأتباعه .

ان هذه الفتوى تدلنا على ما وصلت اليه الحالة الشمورية والنفسية من حماس في الاسلام ضد هذه الطائفة في العصر الذي كتبت فيه ، وهي من صنع رجل جاهل أحق - حاشا ان يكون المفتي العمادي - وقد كانت شرها وبيلا وخطرها شديداً على الحياة العامة في المملكة ، إذ تدعو الى ثورة عامة جامحة تهدم هذا الكيان وتدمره تدميراً . وكان الولاة الذين يأتيون من عاصمة الملك الى العراق يأتيون وهم مزودين بفتوى أبي السعود - أكانت هذه الفتوى بعينها ام غيرها - وقد نقلت الى التركية ليسهل فهمها عليهم . وقد وقفنا على ترجمة لها بالتركية صدرها كاتبها بالعبارة الآتية :

« بغداد قاضي عبيد المؤمن افنديك مجموعته سندن حضور لرنده نقل اولنوب موصل محافظه سنده مأمور اولان سعادتلو وزير مكرم طيار محمد باشا مجموعته سنه نقل اولندي » .

ومعناها : نقلت من مجموعة قاضي بغداد عبد المؤمن افندي وفي حضوره الى مجموعة صاحب السعادة الوزير المكرم طيار محمد باشا والي الموصل . وطيار باشا كان والياً على الموصل سنة ١٢٦٣ هـ وله حملة مشهورة على سنجار .

أما الفتاوى التي وضعت على غرار الفتوى المنسوبة الى المفتي العمادي فكثيرة ، وما منها إلا وترك أثراً شيئاً في حياة هذه الطائفة . وللشيخ عبد الله الربتكي المعروف بالمدرس (١٠٦٠ - ١١٥٩ هـ) فتوى كتبها عام ١١٣٧ هـ على جانب من الأهمية ، خالف فيها فتوى العمادي بجعل اليزيدية من أعوان « يزيد » بن معاوية وأنصاره وعدم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم . والشيخ عبد الله الربتكي هو من قرية ربتكه (بتقديم البهاء علي التاء) في جبال المزورية وسكن الموصل ودرس وكان عالماً فاضلاً فقيهاً ورعاً ونشك

ايضاً في نسبة هذه الفتوى اليه ونرجح ان يكون واضعها غيره وعرفت باسمه .
وقد وجدنا هذه الفتوى في مجموعة تبتدأ بقوله : « واليزيدية هم كفره أصلية كما
نقل عن بعض كتب المذهب ... » واكن ظهر لنا أنها جزء من الفتوى المنسوبة الى
الشيخ الربتي والجزء الآخر وجدناه في كتاب « اليزيدية ومنشأ نحلتهم » لآحمد تيمور
باشا ، ذكر أنه لخصه من كتاب (حسن التصرف) لملاي الدين القنوي في (شرح
التعرف لأهل التصوف) للكلايازي . والفتوى بكاملها في مجموعة للدكتور داؤد الجلي
وهي تعزى الى الشيخ حسن الشيفكي (١) لا الى الربتي ، وهذا ما يجعلنا نتردد في
إرجاعها الى الشيخ الربتي . إلا ان الأستاذ العزوي نسبها في كتابه (تاريخ اليزيدية
وأصل عقيدتهم) اليه وقال أنه وجدها في (المكتبة السليمانية) في فروق ، وان نعيم بك
آل بابان كان أهداها الى اسماعيل حقي الأزميري وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقني »

اللهم ألهمنا الصواب وفصل الخطاب وجنبنا المي والغبي والارتباب، وهب لنا من
لدنك رحمة انك أنت الوهاب . أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية
وحكمهم وحكم الأموال الكائنة بأيديهم .
أعلم أنهم متفقون فيما بينهم على أباطيل من عقائد وتأويل كلها مما يوجب الكفر العتيد
والضلال البعيد .

(قنبا) : أنهم ينكرون القرآن والشرع ويزعمون انه كذب، وان مثل هذيانات الشيخ
نفر هي المعول عليها والتي يجب التمسك بها . ولذا يعادون علماء الاسلام ويبغضونهم ،
بل ان ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل كما وقع غير مرة ، وان وقعت كتب الاسلام
بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها ويتفطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا
سترة عليه .

(ومنها) : إنهم يحلون الزنا اذا جرى بالتراضي . أخبرني من أتق به انه رأى ذلك

(١) شيفكي « بالفاء الفارسية » : قرية تقع في حوضه نهر الكومل قريباً من قرية خنس اهلبا

مسطوراً في كتاب لهم يسمونه « جلوة » ينسبونه للشيخ عدي (١) .

(ومنها) : أنهم يفضلون عدياً على النبي (ص) بمراتب بل يقولون انه لا مناسبة بينها .
(ومنها) أنهم يصفون الله بصفات الأجسام كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها .
(ومنها) أنهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله وعدي تشتمل على ذكر تذل الله ورسوله بين يدي عدي وعلى تحقير شأنها ، والاستهزاء بها ، وتضجره من تردها اليه ، واستغناؤه عن صحبتها وملاقاتها وغير ذلك مما يوجب تزيه شأن الله ورسوله عنه .

(ومنها) : أنهم يمكنون شيوخهم من زواجهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون به خيراً (٢) .

(ومنها) : أنهم يصرحون بان لا فائدة في الصلاة ولا بأس في تركها ، وهي ليست واجبة ، بل الواجب طهارة القلب وصفائه .

(ومنها) : أنهم يعتقدون ان « لالشاً » أفضل من الكعبة ، وانه لا فائدة في زيارتها لمن يقدر على زيارة لالش .

(ومنها) : أنهم يسجدون للالش واسكل مكان شريف بزعمهم ، وخصوصاً لعلم (سنجق) عدي فأنهم يدعون أن من لم يسجد له فهو كافر . ومعلوم ان هذا السجود كالسجود للصنم والشمس لا كالسجود للأسماء والعلماء والمشايخ ، فانه يحتمل وجهين دون هذا . وان كان هذا مكابرة ظاهرة .

(ومنها) أنهم يعتقدون ان عدياً يجعل امته في طبق يوم القيامة ويحمله على رأسه ويذهب به الى الجنة رغم الله والملائكة .

١ و ٢) لم يكن الذي أخبر الشيخ بانه رأى هذا الخبر مسطوراً في كتابهم « الجلوة » صادقا . والجلوة ليس فيه ما يميز لهم هذا العمل . وان كان كثيراً من المؤرخين أبدوا عملهم به . من ذلك المقرئ التوفي عام ٨٤٦ هـ فانه ذكر في كتابه « سير الملوك » في البحث عن ذرية حسن البواب خادم الشيخ عدي من انهم يبالغون في اكرام ذرية « الشيخ عدي » بدرجة أنهم يقدمون بناتهم الى من قدم عليهم ، فيخلو بهن ويقضي الوطر ، ويرى أبوها وأمها أن في ذلك قرينة من القرب التي يتقرب بها الى الله تعالى . وهذا اقتراف محض ولا صحة له . واليزيدي اذا طاعته نفسه ورضي بتمكن أحد الروحيين من زوجته او ابنته ، ذحال على احد الروحيين ان يضع لذته الجنسية فيمن بعده غاية في الرجس ، وهو لديه كفر ليس اعظم منه .

فهذه هي بعض أقوالهم الفضيحة وأعمالهم القبيحة وقد تواترت عندي عن خالطهم واستخبر أحوالهم .

ثم اني سمعت غير واحد من استكشاف مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون انهم ثلاث فرق :

احداها : غلاتهم الذين قالوا ان عدياً هو الله نفسه .
وثانيها : الذين يقولون انه ساءم الله في الألوهية ، فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيده .

وثالثها : هم الذين يقولون ليس هو الله ، وليس هو شريك له ، ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير ، لا يصدر من الله أمر من الأمور إلا برأيه . فكلهم متفقون على الكفر الشديد والضلال البعيد .

والظاهر أن مذهبهم - على ما استقرأت وخصت - يؤول الى الحلول ، ولذلك يوالون النصارى ويستصوبون بعض اعتقاداتهم ، ولا خفاء في ان هذه المذكورات جميعها ، مما تستوجب أشنع الكفر وأقبحه . فهم اذن كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسب الى أصل المذهب فإنه نقل عن كتاب (المتفق والمختلف) ان الظاهر من مذهب مالك أنه اذا ظهر احكام الكفر في بلد تصير دار حرب وهو مذهب الشافعي وأحمد (ر.ع) واتفقوا على انه تغنم اموالهم .

وفي الصغير عن أبي حنيفة أن البطن الأول مرتدون ، والبطن الثاني إما كفار أصليون وإما مرتدون بارتداد آبائهم الأولين وبقوا على ذلك قرناً بعد قرن . ومن لم يكفرهم إلا لجهله بحالهم فمذخور : وشفاه العمي السؤال ، وإما لعدم التمييز بين اسباب الكفر والايان او تخوفه منهم ، أو لطمع بما في أيديهم ، أو لرضاه بمذهبهم ، أو لمراه جبل عليه فأمره أن يخفي حالهم في قانون الشرع .

ثم انهم قد يظهرون الاسلام ويتلفظون بالشهادتين ويصلون تقية وسترآ لمذهبهم عند أهل الحق ، فهم يصيرون بمجرد ذلك مسامحين ويعصمون دماءهم ام لا بد من الرجوع عما اعتقدوه من الأباطيل كلها والندامة عليها والاقرار ببطلانها ؟

والجواب : أن الظاهر من عبارة الفقهاء في باب توبة المرتد وإسلام الكافر اعتبارها وعدم قبول التوبة دونها .

قال في الأنوار : « توبة المرتد وإسلام الكافر أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويتبرأ من كل دين يخالف الإسلام ويرجم من كل اعتقاد هو كفر » هذا ومعلوم أنهم لو أجبروا وأكروهوا وأوعدوا بكل مكروه لم يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولالاش وغير ذلك من شيوخيهم . ومنه رأيتهم على أنهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجهه « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » . الآية .

وفي الصغير : وعليه مالك وأحمد وأبو حنيفة في أحد روايتيه . قال في الروضة قال الروياني في الحلية : والعمل على هذا .

وفي التقديرين لا نزاع في حرمة مناكلتهم وأكل ذبيحتهم وتقريرهم في البلاد الإسلامية بالجزية وغيرها ، ومباشرة انكحتهم وفي وجوب قتلهم وقتالهم حيث لهم شوكة وفي اهدار دمائهم وغير ذلك .

وأما حكم الأموال الكائنة في أيديهم ، فإن قلنا أنهم كفرة أصليون فملى ما نقل من المتفق والمختلف (أنها غنيمة) ، وإن قلنا بارتدادهم فما تلقاه صغيرهم عن كبيرهم بالموت فهو فيهم ، إذ لا توارث بينهم كما لا يخفى ، وما اكتسبوه بالمعاملات من البيع والشراء والاجارة وغيرها وبالعصب والنهب والسرقة ونحوها ، فإن كانت هذه التصرفات صادرة منهم مع بعضهم فهو تصرف إما بالقيء وإما في المال الضائع ، إذ ما في أيديهم لا يخلو من هذين القسمين كما سينكشف وليس لهم التصرف فيهما ، وإن كانت صادرة منهم مع المسلمين والذميين فما عرف المأخوذ منه وجب رده إليه عند القدرة لفساد معاملاتهم كما تقرر في باب الردة ، وإن لم يعرف المأخوذ منه فهو من الأموال الضائعة .

فلم أنه لا يتصور لهم مال في الغالب ويحتمل أن يجعل موقوفاً على رجوعهم أو قتلهم . وأما ما اشتهر في الكتب من أن مال المرتد يكون موقوفاً فذلك يتصور في مرتد كان مساماً زمناً وحصل بيده حال إسلامه مال هو له بحكم اليد والمقابلة ثم شتى أو قطع الإسلام

فان تاب استمر ملكه ، وان مات أو قتل على كفره صار فيئا او ضائما .
وأما الذين نحن بصددهم فليسوا كذلك ، فانه لو فرض اسلامهم وحسن حالهم كان
حكم الاموال الكائنة بأيديهم على ما ذكر ، فكيف حكم حال اصرارهم على كفرهم ، وهذا
ما لا ينبغي أن يناقش فيه عند الانصاف وترك المراء .

وان قيل صبيانهم محكوم عليهم بالاسلام فما حصل لهم حال صباؤهم يجب ان يكون
موقوفا فلم قلت لا يتصور ان يكون لهم مال موقوفا ؟ قلنا القول باسلام صبيانهم
مرجوح زيفه صاحب الروضة وجزم بانهم ايضا مرتدون كأبائهم . وبتقدير التسليم
تكون تصرفاتهم ايضا باطلة لكونهم غير مكلفين ولا ولي لهم يمكنهم من التصرفات
ويتصرف لهم او يقبل لهم شيئا بالايهاب والوصية وغير ذلك ، وحال أرثهم كما ذكر فلا
يتصور لهم ايضا مال يجمل موقوفا كالبالغين .

وأما القول بانه يحتمل أن يكون فيهم من ليس منهم من المسلمين والذميين ، أو يكون
مال مسلم بغصب أو لسبب غير ذلك ، ومال الفيه والغنيمة يجب قسمته والمال الضائع
يجب ان ينتظر فيه الامام فسلم لا ينكره أحد لكنه غير مختص بما في أيدي هؤلاء ولا
ما يؤخذ منهم ، اذ يتصور ذلك في سائر الكفار الحربيين ، مثلا يمكن أن يكون
في الكرج مسلم أو يكون بأيديهم مال مسلم بل هو واقع ، فان أوجب ذلك الكف
عنهم وعما بأيديهم ، أوجب الكف عن الحربيين وعما بأيديهم ، ولا قائل به . على ان
الكلام فيمن علم انه منهم . ووجوب قسمة الغنيمة ووجوب نظر الامام في المال الضائع
ان أوجب الاعراض عما بأيديهم ، أوجب الاعراض عن الاموال المأخوذة من أهل
الذمة في زماننا هذا ، فانها إما مال ضائع أو مال فييه ، مع انه لا يقع فيه قسمة أصلا
ولا ينظر الأئمة فيها كما هو حق النظر .

ثم انها تؤخذ بالباطل بل مع انواع الظلم . وأكثر فقهاء النواحي لا يتحاشون عن
تعاطيها ولا يبحثون عنها كيف أخذت ومن أخذت وعلى أي وجه أخذت ، بل لا
يتطرق ببالهم شبهة في ذلك فضلا عن الحرمة . واذا سئلوا عن حكم هذه الاموال
وأموال أمثالهم من المشركين ، فتارة يقولون انهم مسلمون ويتكلمون بالشهادتين وتارة

يقولون أموالهم موقوفة على قتلهم الى غير ذلك من الاعتذارات الباردة من غير تأمل وأعمال روية . والحال إنا مأمورون بأن نقول الحق أنى كنا ولا نخاف في الله لومة لائم ، وفقنا الله لما يحب ويرضى . (انتهت) .

ان هذه الفتوى كتبت بأسلوب علمي محض ، ولم يأت صاحبها فيها من سخف القول وسقط الكلام ما أتى به مؤلف فتوى أبي السعود . وقد خالفه فيها بأن عدم مرتدين وأجرى حكم المرتد بحقهم وهم لا يعدون مرتدين والردة تشمل البطن الأول فقط والأول الآتية لا تشملهم . والصحيح انه كان يجب عدم مسلمين شذوا في عقائدهم ، فالحكم الذي يترتب عليهم هو عين الحكم الذي يترتب على الفرق الضالة من الاسلام وهم لا يفرقون عنهم .

وقد أكثر العلماء من هذه الفتاوى ، وما أصدر أحدهم فتوى إلا كان لها أشد وقع على حياة هؤلاء القوم القبلية والاجتماعية ونودي عليهم بالموت ، فاستجاب هذا النداء حتى الذين لم يعرفوهم ولم يكن لهم أي اتصال بهم من الأماكن النائية وحاربوهم وأوقعوا فيهم . وقد نقص عددهم بنتيجة هذه الحروب نحو ثمانين بالمائة وهم لا يزالون على قوتهم وشوكتهم . وكان اعتداؤهم على علماء الاسلام باعتبار كونهم المؤيدين لهذه الفتنة أكثر ، وكانوا أينما ظفروا بهم قتلوهم أشنع قتل - كما دل عليه الربكي - وهكذا بينما كانوا في موقف الذود والدفاع اصبحوا في حالة هجوم وتعرض ، ولو لم يفعلوا ذلك لطمع كل أحد فيهم حتى العشائر الضعيفة المستكينة .

ويروى للشيخ حسن الشيفكي فتوى جاء فيها :

« والبيديدة مرتدون لأنهم قائلون بما يدل على تضليل الأمة . فلا يجوز أكل أموالهم ما داموا أحياء ولا سبي نسائهم . نعم لو توارثت المتأخرة المتقدمة ، وانتقلت الأموال من الأموات الى الأحياء فلامسلمين أخذها لأنهم لا توارث بينهم وأموالهم فيهم للمسلمين » .

فأي حافز للطبقة الجاهلة والرعاع من المسلمين في إباحة أموالهم في هذه الوثيقة الشرعية

وكيف يقوى الصمعلوك من المسلمين على ان يرى جاره البيزدي يتمتع بمال وفير ولم يبادر الى نزع منه ويرى نفسه أحق منه به وهو في له ؟ وكيف يرضى البيزدي ان ينزع المسلم ماله من يده ولم يبادره بالقتال الى آخر رمق من حياته ؟ وفي حالة كهذه كيف لا تسود الفوضى ويعم الفساد في البلاد ، وصاحب الفتوى يمتقد انه قام بواجب ديني ينتظر عليه الثواب ؟

وهكذا بينما نرى اكثر العلماء قد اتفقوا على إرتداد هذه الطائفة عن الاسلام وأفتوا باباحة دماءهم وسبي ذراريتهم واسترقاق نسائهم وجعل أموالهم فيئا للمسلمين ، نجد عالماً من علماء الاكراد وهو الشيخ عبد الرحمن الجلي (بفتح الجيم) وهي قرية من نواحي كويسنجق) يذهب الى انهم كفار أصليون وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم فقد وقعت على رسالة عند احد العلماء في أربل جاء فيها :

« ثم سألت ذلك الأئخ العزيز من الحقيير عن احوال الداسنية (أراد بهم البيزدية) وأحوال اموالهم فأجبتهم بأنهم مرتدون وحكمهم وحكم أموالهم حكم المرتدين على ما ظننت لأنني رأيت من منقول مكتوب على ظهر كتاب من ان الداسنية مرتدون، وأني ظننت ان الاسلام يحصل بقول لا إله إلا الله (باهال كلمة) أشهد منها . ولكن لما نظرت في كتب الفقه والعقائد وفي بعض شروح كتب الحديث المعتمد عليه لمام والم والعايد ابن حجر في كتابه فتح المبين وكذا حاشيته للمدائني رجعت عن الجواب الأول وحكمت بأن الداسنية كفار أصليون أغلظ من الفرنجيين وحكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم على ما بين في كتب الفقه .. » الى آخر ما قاله .

وفهم من عرض كلامه انه قد أساء الفهم في حقيقة أصل هذه الطائفة حيث ذهب الى انهم كفار ولم يدينوا بالاسلام مع كونهم يلفظون الشهادة باهال كلمة (أشهد) منها وأفتى بأن حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم وذلك عطفاً على ما جاء في الفتح المبين لابن حجر وحاشيته للمدائني . وسواء أكان البيزدية كفار أصليين - أغلظ من الفرنجيين - ام مرتدين ، فالافتاء يجعل حكمهم وحكم أموالهم حكم الكفار وأموالهم قاعدة

مضى وقت العمل بها .

وفي رسالة محمد امين العمري ابن خير الله العمري كتبها سنة ١١٩٩ هـ تحوي أبحاثاً شتى في مختلف العلوم ورد فيها عن اليزيدية ما نصه :
« وأعلم ان في بلادنا طائفة يقال لهم الداسنية واليزيدية يسكنون في القرى والبراري ويكونون في ناحية حلب والشام وغيرها يسجدون للشمس ويمبدون الشيطان ويمتقدون في الشيخ عدي الأثوية ويديحون الزنا ، ومنهم قطاع طريق يخيفون ويخيفون وقد كثر شرهم ونما ضرهم . ومن مذهبهم سب الحسن والحسين وشتم آل البيت وبغضهم لهم وإباحتهم قتل المسلمين ونسبتهم الى يزيد بن معاوية ، ووجدت بعضهم يقولون أنهم منسوبون الى (يزيد بن أنيسة) وما أدري من هو . وعلى كفرهم يزعمون انهم مؤمنون بالله ورسوله ولا يصومون ، وهم مشركون بلا شبهة وقد أقر المسلمون آباءهم (كذا) على ردتهم فتوالدوا وكثروا وهم أشد كفراً من الرفضة لاشرا كهم بالله وعبادة الشمس والشيطان . والجواب فيهم كالجواب في الرفضة ، فيقتلون او يسامون ، ولا يسترقون ، ولا يجوز ان يقرؤا على ردتهم بين المسلمين » .

ثم انتقل الى البحث عما ورد من الأحكام الشرعية بحقهم وقال :

« وقد وجدت فتوى للعالم الوحيد والسيد المجيد مفتي الروم أبي السعود رحمه الله تعالى فخواها إباحتهم قتلهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم واسترقاق نسائهم وأنهم يجزى عليهم أحكام الحربين ونقل ذلك عن عدة من العلماء والفحول وجمهور أهل النقول . فان كانوا مسلمين وقد ارتدوا ، فالجواب فيهم كالجواب في نظائرهم من أهل الردة ، وإن كانت أصولهم كفاراً (كالمزدكية) ولكن خالفوا المسلمين ووافقوهم في بعض أعمالهم فالجواب فيهم كما ذكره مفتي الروم . وعلى كل تقدير فقتلهم مباح بل واجب خصوصاً منهم قطاع الطريق كأهل سنجار ويمكن ان يكون دارهم دار حرب لظهور أحكام الشرك فيها على قولها . ولم نتحقق ان أصولهم كانوا مسلمين فارتدوا او هم كفار أصليون فالواجب في المسلمين ان يتعاونوا على غزوهم وقتلهم وقطع دابرهم وقلع شأفتهم . واما

الدين في قرايا الموصل تحت طاعة الولاية ونظائرهم ، فان كانوا كفاراً أصليين جاز أخذ الجزية منهم ، وإن كانوا مرتدين فالواجب إجراء أحكام المرتدين بحقهم .

ان واضع هذه الفتوى ، وهو ملا ياسين العمري ، لم يكن من العلماء البارزين الذين يحق لهم الخوض في هكذا مسائل وقد أدلى دلوه مع الدلاء وأتى بهذه الفتوى . وأكثر العلماء لم يصدروا فتاويهم تحت واجب ديني ، بل شأهم كمن يبحث عن مسألة فقهية لا تخرج من اختصاص اي عالم . وليس شيء أضر من تدخل العلماء في سياسة الدولة وتوجيههم مقدرات الأمة حسب أهوائهم ورغائبهم ، وهم لم يخلقوا للسياسة ، بل للعلم وتثقيف العقول ، والتفريق بين الحلال والحرام . ولو أحصينا الأضرار التي لحقت بالمسلمين نتيجة هذه الفتاوى لما كانت أقل مما لحق باليزيديين .

ورب قائل : لو لم تكن هذه الفتاوى هل كان من المحتمل ان يسود الأمن وتزول الفتن

بين الجانبين ؟

والجواب : اننا لا نفي وقوع هذه الفتن بالمرّة الواحدة لو لم تكن هذه الفتاوى ، بل كانت تقع بشكل محدود وفي نطاق ضيق كما تقع بين عشيرة وأخرى .

هذه الفتاوى هي التي شددت أسباب التخاذل والتناكر وأوسعت شقة الخلاف بين الجانبين وجعلت التفرقة بينهم مستحيلاً إذ يجعلها المسلم يعتقد بان جهاد هؤلاء القوم أصوب وأثوب من عباداته الدينية ، واذا قتل أحداً منهم يكون غازياً ، واذا قتل يكون شهيداً ، وان عرضهم ومالهم مباح له ، والمرأة التي تقع في سببه إن شاء تسمرها وإن شاء باعها في الأسواق ، كل ذلك مما زاده إغراء بمواصله غزوهم ، حتى نجد أحد زعماء الزبيار المدعو « حاجي رجب » يقوم بستماية مقاتل من جبال الزبيار ويلتحق بـ « علي باشا » والي بغداد للاشتراك معه في غزو يزيدية جبل سنجار ، ويقوم زعماء راوندوز مع خلق كثير من عشائرهم وعشائر الزبيار ويقطعون الفيافي والقفار ويذهبون الى جبل سنجار لغزو سكانه اليزيديين . أليست هذه الفتاوى هي التي أوجدت فيهم هذه الروح المتمطشة الوثابة الى هذه الغزوات ، فيتجشمون الصماب ويقتمون الأخطار لينالوا ما يطمعون به من متاع الدنيا وثواب الآخرة ؟ والغزو هو من شأن أصحاب النفوس المتمردة

العابثة التي لا تخضع لنظام ، ودأبها إيقاع القلق والاضطراب في المجتمع ؟
وقد يقال ان المبرر لهؤلاء العلماء في إصدارهم هذه الفتاوى بحق الزيديين هو إيقاعهم
الأذى بالمسلمين ، وقطعهم الطرق وعيبتهم بالأمن وقتلهم كل من يقع بيدهم من المسلمين
وهذا صحيح ، وكانوا في أبان ثوراتهم يوقمون أعظم من هذا ولكن يجب ان نعلم انهم لم
يقوموا بهذه الاعمال المستنكرة إلا بعد ان وجدوا هذه الفتاوى قد قضت عليهم
بالحرمان من حق الحياة ، وأباحت للمسلم دمهم وعرضهم ومالهم ؟ فهل بعد هذا ينتظر
منهم ان يستسلموا لهذا الحكم الشديد القاسي ويتلقونه برضى وقبول وأن لا يثوروا
على المجتمع وينتقموا لأنفسهم بكل ما أوتوه من قوة وقدرة ووحشة وقسوة ؟

اننا لا نريد ان نتكلم عن هذه الفتاوى من الناحية الدينية ، وننظر فيما رموهم فيه
من كفر وإلحاد ، وصحة الحكم الذي أصدره بحقهم فهذا لم يكن من واجبننا ، إلا
ان الذي يريد ان نقوله : ان هؤلاء العلماء لم يكونوا على اصابة في إصدارهم هذه الفتاوى
ووضعها محل العمل والتنفيذ ، والفتوى التي تقضي بإبادة شعب يبلغ مليون نسمة - في
ذلك العهد - وإباحة حرمانه ، يجب ان تصدر من مرجع ديني رسمي مسؤول ويصادق
السلطان عليها ، وما لم تكن حائزة على هذه الشروط فلا قيمة شرعية لها ولا يصح العمل
بها . وتقع تبعثها على عاتق صاحبها ، ويكون مسؤول عن الاعمال التي تنجم من
ورائها .

ثم من هم اولئك الذين قاموا بتنفيذ هذه الفتاوى ؟ أليسوا هم الامراء أصحاب
الزعامة ومن تبهم من أعوانهم وأهل العصابات الذين عاثوا فساداً في الارض ؟
وهؤلاء لم يكونوا أقل خطراً على كيان الدولة من هؤلاء الزيديين ، وكانت الحكومة
تحشد المساكر لاجل اخضاعهم ودعوتهم الى الطاعة . واليزيدية يأتون بالدرجة الثانية
بالنسبة اليهم ، فتوديع تنفيذ حكم هذه الفتاوى اليهم معناه معالجة الشر بالشر ودره
العدوان بالعدوان والقاه المملكة في فوضى تقضي على سلامتها .

وخلاصة ما نقوله : ان هذه الفتاوى كانت مضره بصالح المسلمين واليزيديين ، مضره
بصالح الدين والحكومة ، وقد اشعلت نار فتنة جامحة دامت أكثر من ثلاثة عصور

حرمت فيها هذا الشعب البائس من حياة هادئة مستقرة، وأنزلته أحط ذرّة من الشقاء والبيّوس وقلّت من نفوسه ، وجعلته في عزلته التي اختارها له وحشاً ضارياً لا يعرف سوى العدو والافتراس . والحكومة القائمة بالأمر إذ ذاك تزيد إرهاباً بحملاتها عليه مظهرة العزم على إبادته ، نزولاً عند حكم هذه الفتاوى التي لم تجد سبيلاً لخالفاتها .



باب مرقد الشيخ مند في بمشيقه

القسم التاريخي

﴿ في تاريخ يزيدية الشيخان ﴾

كانت الموصل حتى القرن التاسع الهجري مسرحاً لعنت الغزاة الفاتحين. فمن غائلة المغول الايلخانيين ، فالجلاليريين ، الى غارة (تيمورلنك) ، فالقره قوينليين ، والآق قوينليين والصفويين ، وأخيراً العثمانيين ، فقد فيها الأمن وعمها الظلم وانتشر فيها الفساد من قتل ونهب وإجلاء ونشر يد ، ونكبت في علومها وآدابها وعزتها وقوميتها ، ولم يقدر لها زعيم قوي يرفعها من الوهدة السحيقة التي سقطت فيها .

كان من أهم الحوادث التي منيت بها الموصل في هذه الفترة وأشدها خطورة ، ظهور البيت العدوي الذي يتصل بنسبه اتصالاً قريباً بمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين في غربي جبل هكار على بعد مرحلة من الموصل ، وكان هؤلاء في بدء أمرهم اصحاب طريقة صوفية اشتهرت بنسبتها الى مؤسسها « عدي بن مسافر » الذي وفد من بعلبك من قرية « بيت فار » ثم أخذت تتحول الى عصاة ثورية زاعة الى الملك ، جاعة الطريقة سالماً للبلوغ الى أمانها . في حين ان تطلع رجال هذا البيت الى الحكم وبحضهم عن ملكهم الضائع وعزم المفقود لم يكن شيئاً مستنكراً ، وهم أحق به من غيرهم بمن ملكوا البلاد من الدخلاء ، لا سيما عدوهم اللدود « بدر الدين لؤلؤ » صاحب الموصل الذي لم يكن في أول أمره سوى مملوك أرمني يبيع بدراهم بخسة معدودة ، وهم أحفاد أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وقد ظهر من هذه السلالة أربعة عشر ملكاً امتدت سلطتهم من حدود الصين شرقاً الى ساحل البحر الأطلنطي غرباً . ثم انتقل ملكهم الى بلاد الأندلس وحكم منهم هناك أحد عشر ملكاً .

غير أن الوسيلة التي تذرعوها بها للوصول الى أمانهم كانت غير صالحة ، وهي التي أدت الى إخفاقهم وإحلال النكبة بهم . وتلك الوسيلة هي دعوتهم الدينية التي أنكرها عليهم المسلمون كافة ، ووجدوا فيها خطراً على الجامعة الاسلامية وروح الاسلام فلو كانت

دعوة خالصة بعيدة عن البدع والأضاليل ، لكان الاقبال عليها ولوجدوا من ساعدهم عليها .

ماذا كان الفرق بين دعوة البيت الأردبيلي الذين أسسوا دولة قوية الشكيمة عزيزة الجانب في ايران وبين دعوتهم ؟ ألم تستمد كلتا الدعوتين القوة من الدين ، وكان المناصرون لها ، الأشياع والمريدون ؟ إلا ان البيت الأردبيلي أصابوا فنجحوا ، والبيت العدوي أخطأوا ففشلوا .

إن أول من جالت في رأسه فكرة الملك من البيت العدوي هو (الشيخ حسن) الذي عبر عنه بعض المؤرخين بالمتأله ، ومن سوء حظـه ان أظهر هذه الفكرة قبل ان يعد لها العدة وتختمر . فانتبه له (بدر الدين لؤلؤ) صاحب الموصل وانتزح فرصة مجيئه مرة الى الموصل ، وكان يكثر التردد اليها وقد اتخذ له زاوية فيها ، وقبض عليه وقتله ، ثم هاجم زاويته في مرقد الشيخ عدي وهدمها ونكل بمريديه وقبض بالآلث عليهم وأمانتهم ومثل بهم . واذا كان بدر الدين قام بهذه الأعمال القاسية ضد الشيخ حسن وخرّب زاويته ونكل باصحابه وشردهم ، فثني واحد لم يتم له وهو توقيفه سير مذهبه والجلولة دون توسعه وانتشاره . وسنرى كيف أصبح معضلة خطيرة استطار شرها في معظم بلاد الأكراد مدة بضعة عصور وعانت الحكومة العثمانية مصاعب حمة للقضاء عليه ولم تتمكن ، ولا تزال آثاره باقية حتى يومنا هذا .

والحق ان معالجة بدر الدين لؤلؤ أمر الشيخ حسن بالسيف غير مجرى حوادث خطيرة في النظم الدينية والسياسية والاجتماعية في هذه البلاد ولولاها لكانت الكلمة تبقى لهذا الدين ويستفحل أمره وتنهزم بقيه المذاهب وتختفي من أمامه .

ان حادثة قتل الشيخ حسن كان وقعها شديداً جداً على أهل البيت العدوي وقد قضت على أمانهم وأضعفتهم فرصة كانوا يترقبونها منذ زمن بعيد ، فلم يبق لهم إلا ان يغادروا هذه البلاد ويذهبوا الى حيث يأمنوا على حياتهم ويقوموا من جديد بتجربة اخرى لعلمهم بمجدون فيها ضالّتهم . وهم ليسوا ممن يتحملون اعتداء هذا المملوك الأرمني ويسحق كرامتهم تحت أقدامه . ويجوز انهم أرادوا الهجرة الى بلاد اخرى لنشر دعوتهم الدينية

بعد ان أخفقوا فيها في هذه البلاد وليس لهم سوى بلاد الشام ومصر التي تحفظ لهم
ذكرى عهد ذهبية سبقت لهم فيها .

لم يذكر المؤرخون ان كان للشيخ حسن غير ولد واحد وهو شرف الدين محمد وقد
خلف أباه وانتقل الى « لالش » مقر دعوتهم الدينية ثم تركها واتصل بخدمة السلطان
« عز الدين كيكالوس بن السلطان غياث الدين السلجوقي » وقد قتله المغول سنة ٦٥٥ للهجرة ،
وهاجر ابنه « الشيخ زين الدين يوسف » الى الشام وكان رجلاً عظيماً يمثل
النبل والشرف الأموي ، ونال حرمة وافرة عند جميع طبقات أهل الشام ، وأنعمت
الحكومة عليه بأمرأة كبيرة فتركها واختار الإقامة في قرية « بيت فار » موطنهم القديم
وظهر بمظهر الملوك ، ثم خاف على نفسه فترك ولده « عز الدين » ودخل القاهرة وأقام
قيها . وقد أشيع عنه انه يريد سلطنة مصر ، فاعتقل ودام اعتقاله نحو ثلاث سنين ثم
أفرج عنه وتوفي سنة ٥٦٩٧ هـ .

أما ولده « عز الدين » فقد أمر بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ثم ترك الامارة وآثر
الانقطاع وأقام بالمرزة ، وكانت الأكراد تأتيه بصفوة أموالها تقرباً اليه . وقيل أنه أراد
الخروج على السلطان وكان يريد سلطنة مصر ، وقيل بل كان يريد ملك اليمن فقبض عليه
واعتقل حتى مات .

وهكذا فشلت دعوة هذا البيت للمرة الثانية في الشام وفي مصر ، ولم تساعدهم الأيام
على تحقيق أمانهم التي كثيراً ما سعوا وراءها وكلفتهم ممناً غالباً .
هذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية فقد تباروا على نشر طريقتهم في
الشام وكثر مریدوهم وأسس « زين الدين » له زاوية في القاهرة ومال اليه الناس وبالغوا
في تعظيمه ، وكان الناس في شك من أمره فنهزم من ذهب الى انه ينزع الى مذهب جده
الشيخ حسن ، ومنهم من يرى فيه الصلاح والبعد عن المنكرات .

وهاجر من البيت العدوي رجال آخرون الى الديار الحلبية ونشروا مبادئهم بين قبائل
الأكراد هناك فأقبلوا عليهم وأخلصوا لهم ووصلت دياتهم الى « انطاكية » وتولى أحد

شيوخهم أمانة القصير وهو « عز الدين يوسف الكردي » الذي أصبح أميراً للواء حلب في أواخر الدولة الجركسية وأوائل الدولة السليمية « العثمانية » وتوفي عام ٨٩٤٨ . وعز الدين هذا ينتمي الى بيت « الشيخ مند » الذي عرف بحلب بهذا الأسم وكان لهم جاه كبير ومنزلة رفيعة . والشيخ مند هو من أساطين البيت العدوي ولا تزال شيوخهم موجودين في الشيخان وسنجار ولهم مریدون يقدمون لهم خيراتهم ونذورهم .

أما ما آل اليه أمر البيت العدوي في الموصل بعد نكبته بقتل الشيخ حسن وقتل ابنه « شرف الدين محمد » من قبل المغول وهجرة « زين الدين يوسف » وولده « عز الدين » الى الشام فلم يتكلم أحد من اصحاب التاريخ عنه . ونظراً لما نستدل عليه من الأخبار والحوادث والتقليد الجاري ، انه كان للشيخ حسن أولاد آخرون غير شرف الدين ، وهم الذين انتقلت الزعامة الدينية اليهم بعد قتل أبيهم ويعرفون الآن ببيت الشيخ حسن كما ان ذرية الشيخ شرف الدين لم تنحصر في الشيخ زين الدين يوسف ، بل كان له أولاد آخرون ويعرفون في سنجار والشيخان باسمه . وقد عاش هؤلاء وغيرهم من البيت العدوي ، حقبة من الزمن بحالة لم تكن سارة ومرضية الى ان لموا شعثهم وظهر والوجود ثانية . وكان ظهورهم في هذه المرة من الناحية الدينية البحتة . وبينما كانت المجادلات تدور بين علمائهم حول بعض المسائل الاعتقادية بعنف وقوة ، كان مذهبهم ينتشر في المناطق الكردية ويتقدم بخطى سريعة وثابتة .

ان أول محل انتشر فيه المذهب البيزدي كان جبال جزيرة ابن عمر ثم امتد شرقاً وشمالاً الى ديار بكر وسمرقند واستقر في حوضه نهر « البوطان - بهتان » وبعد ان انتشر في البلاد الحلبية امتد على خط مستقيم ووصل الى ويران شهر فاردين ونصيبين فجزيرة ابن عمر واتصل بمنبعه الاصيلي في الشيخان . وهكذا كلما كثرت أتباعه ازداد آل الشيخ حسن القائمون على حراسته قوة ونفوذاً وأصبح كبير هذا البيت الذي عرفناه تارة بشيخ هذه الطائفة وتارة برئيسها وأميرها أشبه بملك غير متوج تنجي اليه الضرائب من جميع الأقطار التي توجد فيها البيزدية باسم الخيرات والصدقات وتساق اليه العطايا والهبات ، وأخذ يتمتع بسلطة واسعة تستمد قوتها من الآلهة والكل ايدون

بالطاعة له . وهذا ما جعل أحد السواح عندما اجتاز جبل مقلوب ورأى رئيس هذه الطائفة ظنه ملكاً .

كان انتشار هذا الدين بهذه السرعة العظيمة - بعد توقف دام نحو عصر ونصف عصر - مما يحار له العقل . فهل كان له دعاة من البيت العدوي او من أتباعهم جاؤوا هذه البلاد ودعوا الناس اليه ؟ وهذا لم يتكلم أحد من المؤرخين عنه . ولو كان شيء من ذلك رأينا على الأقل ذكره لأحد رجال هذا البيت بين يدي تلك الجهات ، او نصباً أقاموه له كما هو شأنهم مع رجال دينهم . والأغلب انه انتشر بواسطة العشائر والقبائل الرحالة الذين حملوه من منطقة الشيخان الى تلك الأماكن ، فلاقى هوى في نفوس بعض القبائل من الأكراد وسارعوا الى إعتناقه والاسلام لم يكن قد رسخ في قلوبهم ولا يوجد بينهم علماء يرشدونهم وكانت أقل دعوى تؤثر عليهم . ولماذا نذهب الى بعيد وأمامنا عشائر الزبيار الأكراد وهم يعيشون في عصر المدنية والحضارة ، فليسب بقائهم في الجهل ، وفقدان علماء بينهم يقومون بتهديبهم ويعلمونهم وجائب دينهم ، كيف انقادوا الى دعوة مشائخهم البارزانيين ومثلوا عين الدور الذي قام به أتباع المشائخ العدويين وكاد ان يكون لهم مثلهم نوبة تعم بلاد كردستان بأسرها لو لم تخنق دعوتهم وهي طفلة في مهدها . وترى ان الظروف والعوامل التي كونت دعوة آل عددي في جبال الهندكارية هي عين الظروف والعوامل التي كونت دعوة أبناء « تاجدين » (١) في جبال الزبيار ، والهدف واحد . إلا ان دعوة أبناء « تاجدين » ظهرت في عصر لم يكن يسمح بروج أشياء خرافية كهذه ، فقبرت على عجل . ودعوة آل « عددي » التي ظهرت قبل سبعة عصور نجحت من ناحية الدين ولكنها فشلت من الناحية السياسية .

ان أول من سارع الى التدين بهذا الدين من قبائل الأكراد كانت عشيرة « الدنبلي » و « المحمودي » ذواتي الشهرة الواسعة في تاريخ الأكراد . وهما من سكان جبال البوطان

(١) اقرأ التعليق في الصفحة التالية

القريبة من جزيرة ابن عمر . وعلى ما رواه البديسي ان هاتين العشيرتين بعد ان ضاقت عليهما مواطنها عمدتا الى الهجرة فذهبت الاولى الى « اذربيجان » واستوطنت « خوي » و « سكن » وتولت الحكم على كثير من الثغور والقصبات على زمن الملوك الصفويين .
وأما الثانية فقد اتصلت بمؤسس الدولة القره قوينلية ، ثم انخرطت في سلك أمراء الشاه اسماعيل الصفوي ووصلت كذلك الى أذربيجان واقطعت حصونا ومعامل كثيرة . وعلى زمن الدولة العثمانية نالت اقبالا عظيما .

فها تان العشيرتان الكبيرتان اذا لم تكونا قد تمعدتا نشر الديانة اليزيدية بين العشائر والقبائل التي اتصلت بها او حكمتها وفرضتها عليها فرضاً ، فهذه العشائر والقبائل أخذتها منها بسائق المحالطة ، وقد رأيت فيها من صنوف الاباحة والتسامح ما رغبتها فيها . وهكذا أخذت الرغبة في الدخول بهذا الدين تزداد من يوم الى آخر حتى دخلت بعض بلاد ايران والقوقاس واستقرت في حوضه نهر « الكر » .

ومن أهم الأماكن التي انتشرت فيها بكثرة في هذا العصر مدينة « قلب » على ضفة نهر « البوطان - بهتان » وأصبح لها فيها مركز مهم حتى عقد المؤرخ البديسي في كتابه « شرفنامه » فصلا عن إمارة يزيدية سماها « قلب و بطمان » زعم أن أناساً من البيت الأموي تولوا أمرها ، وأن القائمين بتأسيسها هم اولاد عبيد الله بن مروان الحمار بعد زوال دولتهم .

☞ : هو جد أسرة الملائخ البارزانيين ، كان يسكن قرية « هفتكك » - ذات الينابيع السبعة - من قرى الزيبار . ثم جاء الى قرية (بارزان) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، وهي قرية نصرانية ويسكنها شذمة من اليهود ، وأقام فيها بعد ان طرد أهلها منها . ويروى عنه دينا وصلحا وله طلاب يقرأون عليه العلم . وفي ذهاب مولانا خالد النقشبندي صاحب الطريقة النقمية لزيارة شيوخ (نهري - نيري) حل عليه ضيفاً وجعله خليفة له . توفي في العقد الثامن من القرن الثالث عشر وخلفه ابنه الشيخ عبد السلام ، وكان ايضاً صالحاً ديناً ، وعلى زمنه دب الفساد في عقيدة مريديه ووضعوا فيه الالوهية فأنت به الحكومة الى الموصل خوف الفتنة وكان ذلك على زمن ناظم بك والي الموصل . وبعد سنة او اقل أذنت له بالعودة الى محله فذهب ومات وخلفه ابنه الشيخ محمد ثم ابنه الشيخ عبد السلام وهو الذي قبضت الحكومة عليه وحاكمته في محكمة عسكرية وحكمت عليه بالقتل . وكان له اخوة اربعة وهم الشيخ احمد وهو الذي خلفه بالدعوة وملا مصطفى وملا صديق وبابو . وملا مصطفى اكثرهم فعالية وهو الذي قام بدعوى الخروج على الحكومة العراقية فنكلت به وبانفراد عشيرته وطرده خارج العراق وقضت على فتنته بعد ان كانتها تضحيات عظيمة .

كان انتشار اليزيدية في هذه المنطقة حدث مهم في تاريخ اليزيدية ، اذ أصبحت نقطة اتصال بين المواقع المأهولة باليزيدية من الشرق الى الغرب ، ومن الشرق الشمالي الى الجنوب ، وبسطت نفوذها على حوضه دجلة الشمالية من مصب نهر البوطان الى ديار بكر فالجزيرة ، وامتدت حتى مدينة زاخو فالموصل حتى نرى اكثر المواقع في هذه الحوضه مأهولة اليوم باليزيديين .

أما انتشارها في منطقة بلاد « السهران - الصوران » الكردية وكورة « إربل » الواسعة فكان أمراً طبيعياً لقربها من « الشيخان » مهد ظهورها . وكان انتشارها على ما ترجح في القرن العاشر الهجري ووصلت من القوة والنفوذ ان تولى أحد زعمائها ثلاثة امارات في وقت واحد .

كانت بلاد الأكراد « كردستان » بأسرها في ذلك العصر ترزح تحت ضغط حكومتين عاتيتين وهما الحكومة التركية « العثمانية » والحكومة الفارسية « الصفوية » فأصبحت ساحة حروب هائلة وسادتها انقوضى واختل فيها النظام وانعدم الأمن . فتحت تأثير هذه العوامل إذ ذاك كانت اليزيدية تسير بخطى ثابتة وقوية وليس من ينتبه لها وبهمه أمرها حتى رأينا كيف كان سلاطين الأعاجم الذين هم على المذهب الشيعي يقطعون رؤساء عشيرة الدنبلية والمحمودية الاقطاعات الجسيمة ويزيدون في نفوذهم ، وكان المسلمون ينظرون اليهم كما ينظرون الى بقية الفرق الضالة الاسلامية كالبكتاشية والقزلباشية « على الالهية » وغيرهم .

والحقيقة ان هذا الدين عند بدء انتشاره لم يكن بالشكل الذي يخشى خطره وكانت صبغة الاسلام لا تزال باقية عليه . وكان اليزيديون يعيشون والمسلمين جماعة واحدة وهم على صفاء ومودة بينهم . حتى ان العشيرة الواحدة فيها من هو مسلم ومن هو يزيدي ولم يكن ينكر أحدهم على الآخر عقيدته ، ثم أخذت تتطور الحالة وكثر اليزيديون وظهروا بمظهر القوة ، وسرعان ما ظهر التجاؤف بينهم وبين المسلمين وخذل بعضهم بعضاً ونشب الخلاف وتمصب كل فريق لدينه فاشتد الحساس ، وانفجرت براكين الكيد

والمدونان وتخرجت الحالة وازدادت خطورة .

والسبب المهم الذي نجده لظهور هذا الاختلاف بين اليزيديين والمسلمين - وإن لم يكن لدينا ما يؤيده سوى الحدس والتخمين - هو ان اليزيديين بعد ان كثروا وقويت عصبيتهم لم يرضوا ان يبقوا تحت حكم الزعماء الاكراد الاقطاعيين الدكتاتوريين حيث يستخدمونهم في مصالحهم ، ويوجهونهم الى حروبهم مع أصحاب الاقطاعيات الاخرى فيقاتل أحدهم الآخر في سبيل زعيمه فرفضوا طاعتهم وخالفوهم وجأهروا بانحيازهم عنهم فكانت هذه البادرة مقدمة لاختلافات شديدة دامت بضعة قرون ولم يخمد أوارها فآخذ المسلمون يرمونهم بالكفر ويمدونهم مرتدين مارقين ، وطائفة العلماء يخللون دماءهم وأمواهم واستباحة أعراضهم في فتاويهم التي يصدرونها بحقهم ، وجأهروا اليزيديون بعدائهم الكامن في نفوسهم للمسلمين منذ عهد بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الذي قتل عميدهم وأخذوا ينتقمون منهم ، فكانت حروب في الشيخان وسنجار وطور عابدين والجزيرة وماردين وحوضه نهر البوطان سفكت فيها الدماء واستبيحت الأموال والأعراض وفقد الأمن وباتت الأرض والجبال تشكو ربها من هول المصاب الذي أحله هذا الانسان الغاشم الظلوم عليها .

كان الجهل المستولي على عقل كثير من الناس الذي ساقهم في تلك العصور المظلمة الى الخطأ في الحكم جعلهم يوجهون تبعه أعمال هذه الطائفة الى شيخهم « عدي بن مسافر » الأموي ، كأنما هو الذي أضلهم عن دينهم . ولذلك كلما أرادوا بهم سوء أو لم ينالوا منهم أو نالوا منهم وأرادوا بهم المزيد ، نزلوا شيخهم في قبره ونبشوه وأخرجوا رفاتة وأحرقوها . وكان بدر الدين لؤلؤ أول من قدم على هذا العمل المقوت الشائن ، فانه لما قتل الشيخ حسناً ونكل بأصحابه ذلك التنكيل المريع ، أمر بنبش عدي من قبره وإخراج عظامه وإحراقها . وبعد مضي نحو مائتين وخمسين سنة أي في سنة ٨١٧ هـ ، أحرق قبر هذا الرجل المسلم الصالح للمرة الثانية وانتهكت حرمة ونكل بأصحابه . فقد ذكر المؤرخ المقرئ في حوادث تلك السنة في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) هذا الخبر ، ولكنه لم يذكر من هم الذين قاموا به والأسباب التي دعتهم اليه .

فانه بعد ان أشار الى إحراق قبر الشيخ عدي أخذ يبين ما كانت عليه هذه الطائفة
بالكلام الآتي :

« قد تجمع هؤلاء على قبره وقد سمو بالعدوية فأنخذوه قبلة لهم ، وهم كثيرون هناك
وصار يتهافت الناس لزيارته ، وهؤلاء عقبوا سلوك هذا الشيخ وصار محل اعتمادهم
واحترامهم ، وبعد مدة غلوا في اتباعه لدرجة أنهم صاروا يعتقدون فيه أنه يرزقهم ،
وانهم لا يقبلون رزقاً من سواه . ويحكون ان عديا جلس مع البساري تعالى وأكل معه
خبزاً وبصلاً وأسقط عن أتباعه الصلوات الخمس ، وأباحوا الزنا . ويحكون عن خادمه
(حسب البواب) ويزعمون ان عديا حينما وافته الوفاة قال له الصق ظهرك بظهري وبهذه
الصورة انتقل نسله لنسله ومنح ذريته لحسن البواب » .

وقال : « ومن صار أولاده وأحفاده يعدون عدوية ويحترمونهم حتى أنهم يزوجون
بناتهم من ذرية حسن المذكور ويعدون ذلك قربي لهم » .

وللمرة الثالثة وقع اعتداه على قبر هذا الشيخ الجليل فكان صارخاً جداً واعتدى على
أصحابه فكان قاسياً ومرأ ، إذ كان أحد فقهاء ايران وهو « جلال الدين محمد بن
عز الدين يوسف » الحلواني الشافعي قد أغرى بعض أمراء الأكراد بهم ودعاهم الى
محاربتهم ، فأجابه كل من حاكم جزيرة ابن عمر الأمير عز الدين البغتي وجماعة من
الأكراد السندية مع حاكم شرانش ، والأمير نوكل الكردي ، وأرسل حاكم (حصنكيفا)
جيشاً لمساعدتهم ، والتحق بهم أيضاً الأمير شمس الدين محمد الجردقلي ، وبهذه القوة
هاجوا جبل هكار وقتلوا الكثير من أصحاب الشيخ عدي وأسروا جماعة منهم ممن
يسمون (بالصحبتيه) ثم جاؤوا الى قبر الشيخ عدي لأجل هدمه فوصلوا قرية (لالش)
فهدموا قبته وحفروا القبر وأخرجوا عظامه وأحرقوها بمرأى من الأسرى (الصحبتيه)
وقالوا لهم أنظروا عظام من تدعون ألوهيته كيف تحترق ولا يستطيع ان يمنعنا ، وغنموا
غنائم كثيرة . ولما عادوا من النهب اجتمع الصحبتيه فعمروا القبة من جديد وعادوا الى
ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة ، وعادوا كل فقيه من جراء هذا الفعل .

ونحن نكتب هذا الحادث والألم يحز في نفسنا لما حل « بمدي » العظيم من إهانات

فأدحة على أيدي أناس ينتهكون حرمة الدين باسم الدين نفسه ، ولا ذنب لهذا الرجل يستحق عليه هذه الاهانة وهو نائم في قبره . ومن هو هذا الفقيه الحلواني ، وماذا ناله من الجور والعتناء على يد عدي حتى يفري أسراء الاكراد على مهاجمة زاويته ويهدم قبته ويحتفروه من قبره ويخرج عظامه ويحرقها بمرأى من جماعته ؟ وكيف علم ان هذه العملية الشنعاء ، لإحراق عظام عدي ، تردع أصحابه عن أعمالهم ؟ ثم من منا يعلم ما كان هذا الفقيه يحمله من عقيدة زائفة وقد خدع الناس بها ؟ تقول هذا ونحن في شك من ان هذا الفقيه ورفاقه عثروا على شيء من عظام عدي عندما احتفروه من قبره وقد مضى على وفاته مايتان وسبعون سنة ، وقد سبقهم « بدر الدين لؤلؤ » في إحراقها - على ما يقال - في حادثة قتله الشيخ حسناً . والظاهر ان مهمتهم كانت مقتصرة على اغتنام الأموال الكثيرة ، وهو الهدف الوحيد الذي كان يرمي اليه هذا الفقيه وأعوانه الأسماء من هذا الغزو .

وهنا يرد سؤال ، وهو هل أن هذه الأعمال القاسية أوجدت أثراً من الإصلاح في هؤلاء القوم وغيرت شيئاً من عقائدهم ؟ والجواب : أن هذه الأعمال ليس من شأنها ان تؤدي الى إصلاح من أي نوع كان ، إذ هل يمكن إصلاح قوم بنبش شيخهم ومعتقدهم وقدوتهم وإخراج عظامه وإحراقها وسلب أموالهم من أيديهم وقتلهم وقتلهم ؟ أن ذلك بالعكس من شأنه ان يزيدهم عتواً واستكباراً فيصبون نقيمتهم على المجتمع ؟ ثم ان هؤلاء لم يكونوا من الضعف بالدرجة التي يعجزون عن مقابلة هذا الاعتداء وقد بلغوا من القوة ما أربهوا بها الناس وجملوهم في حالة وجل دائم منهم . ولذلك فالذي نرجحه أن هذه الاعتداءات التي وقعت عليهم كانت من قبل الغزو المباغت ، وقد عاد الحلواني وعصابته بعد ان منوا بخسارة عظيمة في الأنفس ، لكنهم عوضوا بالغنائم .

كان العصر التاسع والعاشر الهجري عهد قوة ومنعة لأصحاب الشيخ عدي في كل قطر وجدوا فيه . ففي سنجار ظهوروا بشكاهم المرعب الخيف حيث قضوا على الأديان والمذاهب الموجودة فيه واحتلوا مكانهم . وفي أنطاكية والجومة والقصير من أعمال

حلب أوجدوا لهم أمانة قوية تولى أمرها أمراء من بيت الشيخ « مند » من آل عدي وأصبح لهم نفوذ واسع في حلب . وعلى ضفاف نهر « البوطان - البهتان » كانت لهم إمارة قوية عرفت بامارة « قلب و بطنان » شمل نفوذها كثيراً من القبائل المسلحة وكان لهم رهبة وهيبة عظيمتين . وفي منطقة إربل وجبال « الصوران - السهران » إتسع نفوذهم وقوي جانبهم حتى أن السلطان سليمان القانوني فوض الى أحد أمراءهم في سفره الى بغداد سنة (٩٤١ هـ) ثلاث امارات في آن واحد . وفي الموصل ضربوا الرقم القياسي في الاستتار بالقوة حيث تقلد أحد رجالهم وهو « مرزا باشا » الداسني البمشيقي منصب ولاية الموصل (١) (١٠٦٠ - ١٠٦٦ هـ) ، وتولي يزيد بعشيق الحكم في الموصل يدل على ما كان لهذه الطائفة من النفوذ والقوة في ذلك العهد .

انطوى القرن العاشر الهجري وانطوت معه آمال وأمان للبيدية طالما كانت تحتلج في نفوسهم . إذ أخذوا يضيعون قوتهم شيئاً فشيئاً ويندحرون أمام الحوادث التي تقع لهم في مختلف الميادين ولم تبق لهم تلك الشوكة والقوة .

في خلال هذا العصر أوقعت الحكومة العثمانية فيهم في جبل سنجان على يد واليها في ديار بكر « احمد ملك باشا » بشكل مرعب جداً كان بمثابة انذار شديد للهجرة باقتضاء عهد عزم الذي تمتعوا به زمناً وكانت النفوس تهابهم ، والأيدي تقصر عنهم ، ولم ينسلخ هذا العصر إلا بعد حروب شعواء قامت في وجههم في مواضع مختلفة في الجزيرة وديار بكر وفي حوضه نهر البوطان حيث كان يكثر سوادهم وتقوى عصبيتهم .

أما ناحية الشيخان مهد ظهور البيدية وقبلتها الدينية فلا تزال في عزتها ومنعتها ولم

(١) هذا ما ايدته التقاويم الرسمية لولاية الموصل . وفي الأثار الجليلة لياسين العمري ما يخالف هذا فقد جاء فيه :

« سنة ١٠٥٧ و ١٠٥٨ سافر الى اسلامبول رجل من البيدية من بعض قرى الموصل اسمه (مرزا بك) ودخل الى السراي وتوصل الى رجال الدولة وطلب له منصب الموصل او غيره فلم يتيسر له ذلك ، وخرج من اسلامبول مفاضياً ، وحرضه الشيطان على العصيان . فجمع الاشرار وجعل يقطع الطريق وينهب القوافل . فجمع العسكر والي وان (شمسي باشا) وخرج من وان لقتال البيدية وكانوا آمنين وقد اطلقوا خيولهم ترعى فكبسهم شمسي باشا بمن معه وقتل اكثرهم وقبض على (مرزا بك) بعدما اظهر شجاعة وكان راكباً فرساً بغير سرج ولجام وانخنوه بالجراح وقيده وحملوه الى اسلامبول فأمر السلطان بقتله . وقيل كان قتله في ايام السلطان محمد بن ابراهيم في اول ايام سلطنته من ١٠٥٨ الى ١٠٩٩ هـ »

يصبها أذى لا من الحكومة ولا من رجال القبائل . وكانت رقعتها قد اتسعت اتساعاً عظيماً وعبرت نهر الزاب شرقاً وخابور الحسنية غرباً وتمعدت سلسلة جبال العقر - دهوك - زاخو ، وشملت جانباً كبيراً من منطقة بهدينان الكردية . وكان القائم بشؤون هذه المنطقة العظيمة وله الكلمة العليا والقول الفصل هو (أمير اليزيدية) الجامع بشخصه السلطة الدينية والزمنية على اليزيدية قاطبة ولم يكن للحكومة سلطان عليه وهو غريب عنها وهي غريبة عنه . وقد أراد أحد الولاة وهو (عبد الباقي باشا) الجليلي ان يقوم بتجربة مع سكان هذه المنطقة اليزيدية وعزم على تأديب عشيرة (الدنادية) وهي لا تتجاوز اربعين بيتاً وسار اليهم بجيش عدده الف مقاتل ، ونالهم في عقر دارهم وتمكن منهم وهزمهم ، الا ان رئيسهم المدعو نمر اغا كان قد كمن له مع خمسة فوارس ، ولما رأى المساكر قد تفرقوا وأخذوا بالنهب والسلب هجم عليه وقتله وأخاه ومائة نفر من عسكره واستولى على أنفاله ومهاته (١) . وقد ذكر صاحب (زبدة الآثار الجلية) هذه الحادثة كما نرى نقلها وهذه هي :

« وفيها (اي في سنة ١٢٠٠هـ) خرج والي الموصل الحاج عبد الباقي باشا الجليلي (٢) بالمساكر وعبر الجسر ومعه خلائق من أهل الموصل وتوجه الى محاربة (الدنادية) واسم مقدمهم (نمر شيخو) فهربوا الى الجبل وتركوا بيوتهم خالية ، فظمعت المساكر بالنهب وكانت شيئاً قليلاً فنهبوا مثل الغربال والمنجل والبسط الخلقة والقذح وقصعة وجراب

(١) وقعت هذه الحادثة في قرية (سميل) المعروفة . وقصر نمر اغا الذي وقعت فيه لا يزال موجوداً وهو فوق رابية تصرف على القرية نفسها . وفي العهد العثماني اتخذته الحكومة داراً للبرق والبريد . اما نمر اغا فهو رئيس عشيرة الدنادية وقبيلته تسمى « قردا » فنيت في حادثة (كور محمد باشا) ولم يبق منها سوى بيت واحد يسكن قرية (قصر يزدن) و (سميل) الان قرية اسلامية .

(٢) لقد وهم صاحب تاريخ جودت عندما جمع بين (عبد الباقي باشا) الذي اغار على (العمادية) ونهب وسلب وقتل ، وبين (عبد الباقي باشا) الذي هاجم الدنادية في الشيخان وعددها واحداً . وعندنا ان الحادتين وقعتا عام ١١٩٩هـ (را . ج ٢ ، ص ٢٩٠) والصحيح ان الاول هو من مماليك والي بغداد وكان موصوفاً بالظلم وكان والياً على الموصل . وقد قام بفارته على العمادية سنة ١١٩٣هـ ونهب وسلب وساق امامه كل من وقت يده عليه من اهل العمادية وأجبرهم على الاقامة في الموصل (را : تاريخ الكرد و كردستان ص ٢٣١) ، والثاني هو الحاج عبد الباقي باشا الجليلي الذي كان والياً على الموصل سنة ١١٩٩هـ وكان موصوفاً بالصلاح والتقوى .

وبيت شعر خلق ورجه - ووا متفرقين . ووقف الوالي ومعه أخوه (عبدالرحمن اغا)
وشرذمة قليلة من أتباعه فخرج (نمر اغا) عليهم ومعه خمسة فوارس ، وقيل ثلاثة وبقي
أتباعه متفرقة في الأودية ، وهربت عساكر الموصل وتفرق كل يطلب النجاة كأن
الموت خلفه . وهجم (نمر) ومن معه على الوالي ، فلم يتحرك ولا جرد سيفاً مع ما عنده
من الشجاعة وذلك لأمر يريده الله ، فقتلوه وقتلوا أخاه (عبدالرحمن اغا) وابن عمه
صالحاً ومحموداً وسلبوهم ثيابهم وهرب أتباعه وكثرت اليزيدية وأكثرهم من أهل القرى
والتي الله الرعب في قلب أهل الموصل حتى كانوا كما قيل :

تفرق السكك حتى ان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلاً (٣)

ثم لما نظر اليزيدية الى هروب العساكر وتفرقهم في البر وضلوا الطريق وضعوا السيف
بالمسلمين حتى قتلوا ما يزيد على مائة نفس وأخذوا سلاحهم وثيابهم ، ثم ان أهل القرى
حملوا الوالي وأخاه وأنابهم الى الموصل ودفنوهم وأغارت أشرار الموصل الخنثين في البر
على المسلمين فن سلم من القتل سلبوه ثيابه ، ونهبوا القرى ، وأطلقوا المسجونين وهذا
شيء لم يمهده من لدن آدم (ع) خمسة فوارس تقاتل الف مسلم . أما الوالي فقد كان
موصوفاً بالشجاعة حتى كان وحده في السابق يقاتل العشرة والعشرين ..

ونحن لا نريد هنا أن نحلل الموقف من الناحية الحربية ، وكيف تمكن خمسة فوارس
من هزيمة جيش مؤلف من ألف مقاتل ونهبهم أمتاعهم وعتادهم وقتل مائة منهم وقتلهم
الوالي الذي كان موصوفاً بالشجاعة حيث كان وحده يقاتل العشرة والعشرين ، إلا ان
الذي نريد أن نبحث عنه هو ما أصبحت عليه الحالة في الشيخان بعد وقوع هذه الحادثة
والى أية درجة بلغ الغرور في هؤلاء القوم وكيف أخذوا يوقعون الأذى بالمسلمين الذين
ينهزم منهم ألف مقاتل أمام « نمر شيخو » وفرسانه الخمسة ؟

إن آل عبد الجليل القابضين على زمام الحكم في الموصل لم يندسوا ببنت شفة امام هذا
الحادث الجلل ، وأسراء العمادية الذين يرضون طاعتهم على الشيخان لم يجر كوا ساكناء ،
وحكومة بغداد التي تجيش الجيوش على سنجار وتفكك سكانه لسبب أو بدونه لم تبد

(٣) البيت المتنبي وأصله : « وضاعت الارض حتى ان هاربهم ٠٠٠ » وقد تصرف به ليطابق وقوع
الحادث .

اهتماماً ، الأمر الذي يدلنا على ان الحكومة بمجموعها لم يكن ليهما قتل هذا الموالي وتمزيق جيشه والأخذ بمعاينة المجرمين ، ولأمر ما تركتهم ، وأبقت العشائر المسامحة تحت رحمتهم .

وفي عام ١٢٠٥ هـ نجد حاكم العمادية « اسماعيل باشا » يتحرك بموكبه من العمادية ويحيط انحاء مملكته ، ثم يتقدم الى الشيخان وينزل ضيفاً على « نمر اغا » الذي كانت الافكار تتربق بنيله العقاب على يده . وقد كان نزوله ضيفاً على هذا اليزيدي الجلف الذي لم تجف يده بعد من الدماء الزكية التي أراقها بالأمر ، وهو عظيم باديته « بهدينان » فيه شيء كثير من الاستنكار ويعطى فناعة باشتراكه في هذه الحادثة المشؤومة وقد جرت تحت علمه ، واذا لم يكن ذلك فقد جاءت وفق أمانيه وهو لم يكن على وئام مع الجليليين فأراد أن يشمل « نمر اغا » بمظفه ونزل ضيفاً عليه . ولعل اسباباً اخرى دعت الامير البهديناني الى ذلك . وهذه الأسباب نفهمها من مؤلف كتاب غرائب الاثر فإنه يذكر في حوادث سنة ١٢٠٥ :

« نزل اسماعيل باشا من قلعة العمادية وطاف مملكته وتقدم الى قرى الشيخان ونزل في قصر « نمر اغا » واستدعى امير الشيخان « جولو بك » فقدم باثني عشر رجلاً من أبناء عمه ودخل القصر ، وأغلقوا الباب وضربوه بالبنفكات وقتلوه وقتلوا أخاه وهرب من سلم . ونصب أميراً على الشيخان رجلاً اسمه خنجر بك وعاد الى العمادية .
وصاحب غرائب الاثر لم يدلنا على اسباب هذا القتل الذي أخذنا الآن نلمس درجة خطورته والامر الذي أحدثه في المجتمع اليزيدي ، وكيف رضي نمر اغا بقتل زعيمه الديني في داره ؟ ولم يسبق في التاريخ اليزيدي مطلقاً ان تأمر يزيدي مع مسلم على قتل زعيمه الديني ، وهو إله الذي يعبده .

ومع ما يلبس هذا الحادث من الغموض يجوز لنا القول ان أمير اليزيدية حيث لم يكن محبوباً من الشعب وكانوا يريدون استبداله ولم يكن في مقدورهم ، والأمير لا يزل من منصبه حسب تقاليدهم الدينية ، وأواخير وسيلة إغتياله على يد رجل مسلم ، فقام نمر اغا بهذه المهمة ودعى أمير العمادية الى قصره وأطلق يده في قتله ، وإلا لو لم يكن

للبيزيدية رضى في ذلك لما قدر أمير العمادية ان يقتل أميرهم في عقر دارهم وعلى مرأى منهم مها بلغ من القوة .

وفي السنة التالية عزل اسماعيل باشا خنجر بك وصادره وحبسها وعين حسن بك بن جولو بك بمحلها .

عرف حسن بك هذا بالكوسية وكان ذا دهاء ومكر وخديعة ، وعلى زمنه توترت العلاقات بين البيزيدية والاكراد « المزورين » (١) فنزع البيزيدية الاكراد عن النزول الى السهل لبيع محصولاتهم . فتألبت عشيرة « الألكوشية » (٢) المعروفة بقوتها وهاجمتهم في قرية « كباره » وقتلت منهم مرة واحدة مائة رجل واستولت على مرقد الشيخ عدي واضطرت سدنته الالتجاء الى قرية « عين سفني » ومنعت مجيء الزوار اليه ، وبعد ثمانية أشهر صالح البيزيديون الاكراد واستعادوا المرقد .

وللمرة الأولى نجد الحكومة تتحفظ لتأديب بيزيدية الشيخان بعد مضي أربعة عشر عاماً على حادثة قتل الوالي الجليلي ، ففي سنة ١٢١٤ هـ حملت عليهم بقوة كبيرة من العساكر الأناكشارية وعززتها بخلق كثير من العشائر والقبائل وأوقعت فيهم مقتلة عظيمة وسبت نساءهم وأطفالهم ، وهذا ما قاله مؤلف غرائب الأثر عن هذه الحادثة :

« وفيها (أي سنة ١٢١٤) قدم الموصل من بغداد عبد العزيز بك بن عبد الله بك الشاوي بالعساكر ومعه عرب العبيد والبوهمدان وطبي ، فنزلوا خارج الموصل وتجهز بالعساكر بكر افندي كتخدًا محمد باشا وتوجهوا مع العساكر غربي الموصل ، ولما دخل الليل رجعوا وخرجوا من باب الجسر وساروا الى قرية الشيخان فوصلوها صباحاً ، وهرب أمير الشيخان حسن بك بأهله وصعد الجبل ونهبت نحو خمس عشرة قرية وسبوا

١ و ٢) المزورية ناحية جسيمة من نواحي الاكراد ، تكثر فيها المياه والاشجار والكروم وفيها مرقد الشيخ عدي بن مسافر ومرقد الشيخ نور الدين البرفكاني ، ومواقع أثرية كثيرة ترجع الى عهد الاموريين ، وقد سبق الكلام عن كون المزورين هم بالاصل قبيلة آشورية كانت تسمى « مسوري » وهم الان قبائل عدة يجمعهم هذا الاسم منهم الالكوشي والغازيا والبناني والشمكاني والشرقاني ، والالكوشيون اكثرهم عدداً وأقدم قوة وبأساً ، ومن قراهم : مازدينا وخوركي وبالطة وبيرموس وشيخ حسن وجمان وكلي رمان .

النساء والأطفال وجميع ما لهم من الأموال والغلال ، والقرى كلها لأهل الموصل ، وقتل من الشيوخ خمسة وأربعون رجلاً وسملوا رؤوسهم الى بغداد .. »

وفي تاريخ الموصل للخوري سليمان الصائغ (١ : ٢٩٤) أن يزيدية الشيوخ لما جاوروا بالعصيان وأخشوا في الأطراف نهياً وسلباً ، حتى قطعوا الطريق عن المسافرين وتجمعوا من النواحي البعيدة وأشهبوا الحرب على الحكومة المحلية ، سار اليهم والي الموصل (نعمان باشا) الجليلي بمساكره وقتلهم وأخضعهم وذلك عام ١٢٢٢ هـ .

ومع هذه الاجراءآت لم تبدبادرة إصلاح في الوضع الاداري في الشيوخ وقد انقطعت المواصلات واضطر أهل القرى المسالمة الى التحصن في منازلهم ، وامتنع أكراد الجبال عن النزول الى السهل لبيع محصولاتهم ، فمعضهم الجوع واستولى عليهم اليأس وعمت الفوضى (وتراخى الأمر حتى اصبحت هملا يطعم فيها من يراها) .

والحكومة بدلا من ان تأخذ بأسباب الإصلاح ، وتعيد الأمن الى نصابه ، نجدها تأتي على عمل على غاية من الخطأ ، اذ نجد والي بغداد يوعز الى أمير الشيوخ حسن بك بنهب الأموال وتخريب القرى واحداث فوضى واسعة قصد اتهام والي الموصل الجليلي بسوء الادارة . يقول صاحب غرائب الاثر :

« أما حسن بك أمير الشيوخ فلم يمتثل الأمر ، بل امتثله أخوه (عبدي بك) فجعل يطوف غالب قرى الموصل ويأخذ منها ما يمكنه أخذه من دراهم ودواب وثياب وبسط . » ثم يقول : « وقد طرد الامير حسن بك أخاه عبدي بك إرضاء للوالي الجليلي فذهب الى سنجار واستجار باهلها اليزيدية فأجاروه وأكرموه . ثم استدعاه (زبير باشا) حاكم الهاديّة وأبقاه عنده مراغمة لوالي الموصل الجليلي . » وهكذا نرى ادارة الملكة تصبغ عرضة لاحتراصات الولاة والامراء فيضحون مصالح الامة على مذبح شهواتهم الانيمة دون ان تأخذهم فيها رحمة .

كان منتصف العصر الثالث عشر الهجري مسرحا لحوادث جسيمة في هذه البلاد لم يسجل التاريخ أروع وأفظع منها .

فبينما نرى الوزيرين العثمانيين محمد رشيد باشا وحافظ باشا بحملان على جبل سنجانر ويغمرانه بالدم والنار ويبيدان ثلاثة ارباع نفوسه ، ويقوم بدر خان باشا (١) من جزيرة ابن عمر بجيش لجب جرار ويزحف على وادي آشوت ويذبح عشرات الألوف من سكانه النصراري النسطوريين حتى يروى ان عظامهم بقيت مكدسة في هذا الوادي بضع سنين نرى أمير راوندوز محمد باشا المعروف بـ (مير كورا - الأمير الأعور) يوقع مجزرة في يزيدية الشيخان نذهل من فظاعتها العقول وترتعد من هولها الفرائص . وتفصيل هذه الحادثة - على ما تناقلته الألسن وأيدته الأخبار - أن « علي بك » أمير اليزيدية - وهو ابن حسن بك بن جولو بك - كان يحمل ضغينة على « علي أغا » الباطني زعيم عشيرة الألكوشية ويكن له العداة الشداة . فدعاها الى « باعذرة » بحجة انه يريد أن يخن ولده في حجره (اي يجعله له كريفاً) . فجاء باعذرة ولم يكن معه اكثر من خمسة رجال ولم يعلم ما قد خباة له القدر . وعندما استقر به المقام في دار الأمير دخل عليه جماعة من اليزيدية وضربوه بسيوفهم وخناجرهم وأماتوه . ثم حضر اربعون شخصاً من مقدي

(١) يقال انه من امرة (عزيزان) التي ترتقي بنسبها الى (عبد العزيز بن سليمان بن خالد بن الوليد) وكان عبد العزيز هذا قد وفد الى الجزيرة وأسس امارته التي عرفت باسمه وهذا زعم باطل . وقد ثبت ان خالد بن الوليد انقطع نسله بموت اولاده جميعهم في الطاعون.

تولى هذا الامير حكومة جزيرة (بوتان - بهتان) سنة (١٢٢٧هـ - ١٨٢٢م) وعلى رأي صاحب كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة كان استقلاله سنة (١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م) وهو لم يبلغ من العمر العشرين . وقد استفاد من ضعف الحكومة واشتغالها بالحرب مع الروس سنة (١٢٤٤هـ - ١٧٢٨م) وكذلك حربها مع الجيش المصري سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) وأخذ يتوسع في امارته وأوصل دائرة حكمه - على قول امين بك مؤلف تاريخ كرد وكرديستان - الى حدود (وان - صابلاخ - راوندوز - الموصل) واستولى على قلاع (سنجانر - سعرد - ويران شهر - سيورك) وامتدسلطانه الى قلعة ديار بكر وتمكن من الاستيلاء على بلدتي «اشنه» و «ارمية» وضرب النقود باسمه . وكان يفرض طاعته على سكان وادي «آشوت» النصراري الطيارين وسكان جبل سنجانر اليزيديين باعتبار انهم من العنصر البوطاني ويقوم بحملات سنوية على جبل سنجانر لاستحصال الضرائب منهم . ولامتناع سكان وادي آشوت النصراري عن تأدية الضرائب التي فرضها عليهم وقتلهم عامله الذي اقامه بينهم جرد حملة قوية - يقال ان عددها عشرة آلاف مقاتل - وأوقم فيهم مقتلة عظيمة كاد ان يقضى فيها عليهم . وقد اقلقت بال الحكومة اعمال هذا الامير ، فطلبت حضوره الى الاستانة فاجبى ، فجردت عليه حملة عسكرية كبيرة فهزمها . ثم جردت حملة اخرى تحت قيادة المشير (عثمان باشا) والي حلب فقبض عليه وأرسله الى اسطنبول سنة ١١٦٣هـ - ١٨٤٧م

اليزيدية وأحمد كل واحد منهم فيه خنجراً لتكون الملة بأسرها مشتركة في قتله . أما رجاله الخمسة فقد قتل منهم ثلاثة وهرب اثنان (١) .

هاج « الألكوشيون » وماجوا عندما وقفوا على قتل زعيمهم وجمعوا قوتهم وأرادوا الهجوم على باعذرة ولكن أنى لهم ذلك وقد اجتمع في باعذرة ألوف الناس من اليزيديين للدفاع عنها وأصبحت على قول الشاعر :

فيا دارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال
كما أن أمير العمادية ، الذي كانت الشبهات تحوم حول تواطئه مع أمير الشيخان على هذا الحادث ، لم يظهر قبولاً بهجوم الزورين على الشيخان ، فكان ذلك وهذا سبباً لشل يد الألكوشيين عن الأخذ بثأر زعيمهم وجعلهم يترقبون الحوادث .

كان لعلي أغا ولد عم يشغل بطلب العلم في العمادية يدعى « ملا يحيى » - وهو الذي اشتهر أخيراً بملا يحيى المزوري - يروى عنه كساً ودهاء عظيمين ، استنجد بأمير العمادية « اسماعيل باشا (٢) » على أمير الشيخان الذي قتل ابن عمه ظلماً وعدواناً . فلم يلق منه اذناً صاغية بل ألقى قتل علي اغا على « علي اغا » نفسه لتبليته دعوة أمير الشيخان وذهابه اليه دون أن يحتاط للأمر ويفكر بالعواقب . فهجر « ملا يحيى » العمادية وذهب الى بغداد والتجأ الى الوالي « داؤد باشا » وبث اليه شكواه من قتل أمير اليزيدية ابن عمه بالحيانة والغدر وأوقفه على ما يعانيه المسلمون من الظلم والاعتداء على أيدي اليزيديين فيقال ان « داؤد باشا » اكتفى بتزويده بكتاب الى « محمد باشا » أمير راوندوز طلب فيه اليه تأديب اليزيديين وانصاف المسلمين منهم . وفي رواية أن « ملا يحيى المزوري » لم يذهب الى بغداد بل ذهب توأماً الى راوندوز واستنجد بالامير محمد باشا على اليزيدية ومنه باشيا لآقت هوى في نفسه . فأجابه وأخذ يعد العدة لغزو يزيدية الشيخان .

(١) كان هذان اللذان هربا من اهل قرية (مازدينا) المسلمة ، وكان علي اغا يثق باخلاصهما ، ولكن ظهر أخيراً ان لهما ضلعاً في هذه المؤامرة .
(٢) هو ابن مراد باشا بن اسماعيل باشا الذي قتل امير الشيخان (جولوبك) عام ١٢٠٥ هـ . تولى امارة العمادية بعد موت عمه (زبير باشا)

وكأنها لم يرد أن يكون قد أتى عملاً يخالف الشريعة - وهو الذي يتظاهر بتمسكه الشديد بأحكام الدين - فاستفتى علمه « ملا محمد الختي (١) » بالأمر، ولا حاجة للقول أن الملا الختي أفتاه على الفور بهذا الغزو الذي عمده العزيمة عليه، وهو واحد من العلماء الذين يرون إباحة دماء هؤلاء القوم وأمواهم وأعراضهم بالفتاوى التي يصدرونها .

زحف الأمير محمد باشا بجيشه الذي كان يقدر بين الأربعين والخمسين ألف مقاتل من أكراد « الصوران » الأشداء من عاصمة أمارته « راوندوز » في أول خريف سنة (١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م) وبعد أن أجرى تصفية مع اليزيدية الذين في طريقه في منطقة إربل، عبر نهر الزاب الكبير من قرية « الكلك » وتسمى كلك الدواست وسكانها يزيدية، وهي أول قرية تقع في طريقه إلى الشيخان فقتل أهلها قتلاً عاماً وأخذ يسير من قرية إلى أخرى ويعمل فيها سيف الانتقام ويقضي على كل ذي روح فيها ..

كانت منطقة الشيخان تمتد من نهر الزاب الأعلى إلى نهر الخابور الذي يمر من زاخو وهي متراصة بالسكان اليزيدية ونفوسهم تزيد على المائة ألف نسمة. فأخذ الجيش الصوراني يهاجمها واحدة إثر واحدة ويبيد سكانها ولم يسلم من يده سوى النساء والفتيات اللاتي كن يجدن لمن شفيماً من نضارتهن وطراوتهن، فقد كن يسدين ويرسلن إلى بلاد السهران وهكذا استمر سيف البغي والعدوان يلعب في رقاب هؤلاء التعماء ويزيلهم من الوجود ولم يسلم منهم إلا الذين اختفوا في الأدغال والأحراش وهربوا إلى رؤوس الجبال وهم لا يتجاوزون خمسة بالمائة .

وقصد منهم نحو عشرة آلاف نسمة الموصل للاحتواء بها، فأزاح والي الموصل « محمد سعيد باشا » الجسر عن دجلة خوفاً من أن يتعقبهم الجيش الصوراني ويدخل الموصل ويعيث بها، فالتجأ اليزيدية إلى « تل قوينجق » على بعد ميل من الموصل فأدركهم محمد

(١) هو من قرية « ختي » من أعمال راوندوز تبعد ١٢ ميلاً عن شسقلوة . تخرج على (ملاعب الرحمن الروزيهاني) ثم تقلد منصب الافتاء لدى أمير راوندوز بدلا من (ملا محمد بن آدم الروستي) وثالث منزلة كبيرة لما عرف به من سعة العلم والصلاح والتقوى .

في سنة ١٩٣٢م ذهبت إلى قرية « ختي » لابتح عن الفتوى التي أصدرها فلم اعثر عليها، وقيل لي ان الذي افق الامير الراوندوزي بقتل اليزيدية هو (ملا يحيى الزوري) لا الملا الختي .

باشا وذبحهم جميعا ذبح النماج ولم يترك منهم واحداً يفلت من يده .
ونجى الأمير « علي بك » من سيف الانتقام الذي كان أحق به وذهب الى جبال
العقر واختفى فيها . الا ان شبح النعمة ظل ملازماً له الى ان قبض على خناقه وقضى على
أنفاسه بعد ان رأى بعين رأسه النكبة التي حلت بأهله وقومه جزاء غدرة وخيائته .
إن أعمال النهب والتخريب التي أوقمها الجيش الصوري لم تنحصر باليزيدية فقط بل
شملت النصاري القريبين منهم ، إذ يحدثنا مؤلف تاريخ الموصل نقلاً عن تاريخ ريان
هرمز : « ان جنود الأمير تقدمت الى القوش وبعدها نهبوها وقتلوا عدداً كبيراً من
أهلها حيث لم يسلم من يدهم إلا من هرب الى الجبال ساروا الى دير « ريان هرمزد »
ونهبوا وقتلوا قسماً من رهبانه فاختضبت الأرض بدماء الأبرياء .
لقد كانت الكارثة التي حلت بيزيدية الشيخان مؤلمة جداً لم يلاقوا أشد هولاً منها
منذ عهد ظهورهم ، وهي لم تكن بنت يومها ، ولم يكن الباعث لها قتل زعيم الالكوشيين
بل كانت الأيام مثقلة بها منذ زمن بعيد الى ان حان موعد ميلادها ، واذا أردنا ان
نعطي حكماً عادلاً مجرداً عن التحيز في هذه الحادثة نجد ان اليزيدية بالدرجة الاولى
مسؤولين عنها ، إذ بالوقت الذي كانوا يعملون ما يجيش في صدور أهل الاسلام من
عوامل الحقد عليهم ، وعلماءهم لم يبرحوا من إثارة الرأي العام عليهم بفتاويهم ، كان
عليهم ان يتقربوا منهم ويزيلوا الأحقاد والضغائن من قلوبهم ؟ ولكن لم يكن شيء من
ذلك . فبينما يقتلون والى الموصل مع مائة نفر من جنده وينهبون أحماله وأثقاله بالأس
نجدهم اليوم يدعون زعيماً كبيراً من زعماء الأكراد بالمكر والحيلة ويقتلونه أشنع قتل ،
ولم يفكروا بأنهم محاطون بقبائل قوية من المسلمين وليس لهم ما ليزيدية سنجار حصوناً
تحميهم . فكان ما أضاعوه من النفوس لا يقل عن مائة الف نسمة وخربت مواطنهم
وحلت الذلة والسكنة فيهم .
وقد أدركوا هذه الحقيقة بعد ان أخذ بقية السيوف منهم يعودون الى أوطانهم .
وأخذ المسلمون يكيلون لهم بعين الصاع الذي كانوا يكيلون لهم به .

والآن وبعد ان تم للعالم المزوري بحجي ما أراده وأشفى غليله من اليزيدية الكفار لم يبق عليه إلا ان يوجه سهام نقمته الى أمير العمادية الذي يقال ان له ضلعاً في قتل ابن عمه كبير الكوشيين وأخذ يفري الامير راوندوزي باحتلال مدينة العمادية وهي ملاصقة لامارته. وطالما يريد التوسع في ملكه فليس خيراً له من ان يتوسع على حساب هذه الإمارة. تأسست إمارة العمادية البهدينانية على قول المؤلف البديسي في مبادي القرن الثاني عشر الميلادي وعلى قول « لونكريك » في أواخر القرن الرابع عشر وكانت تضم قضاء العقير والزيبار ودهوك وناحية المزوري ثم الحق بها قضاء زاخو وكان يشمل نفوذها ناحية النافكر (١) والشيخان وجبل مقلوب والسليمانية الى المنطقة التي تتكلم الكردية بأسرها وان كانت هذه النواحي تابعة من الناحية الادارية لحكومة الموصل. ويحدها هذه الإمارة من الشرق إمارة « سهران - الصوران » وهي التي عرفت اخيراً بامارة راوندوز ، ومن الشرق الشمالي إمارة الهكارية وتعرف بتواريخ الاكراد بامارة « شنبو » ، ومن الشمال الغربي إمارة « الجزيرة » ويعبر عنها بامارة البوطان ، وسماها البديسي بامارة « عزيزان » وقد امتازت هذه الإمارة بقوتها وشدة بأسها وقام فيها أمراء ذوي حنكة وروية رفعوا شأنها . ثم دبت روح الشقاق والتخاذل بين الأسرة الحاكمة فيها وأخذ يتآمر بعضهم على بعض ويورده مورد الهلاك حياً بالنفوذ والسيطرة والتغلب ، والاستبداد بالحكم ، ففقدوا مكانتهم واستولى عليهم الضعف وخرجت القبائل المنضوية اليهم عن طاعتهم .

ويقال : ان إمارة العمادية بعد ان أمست على مثل هذه الحالة من الضعف ولم يبق في امراءها القدرة على ادارتها ، أغرى العالم المزوري أمير راوندوز بضمها الى أمارته ، ومن الجائز ان هذه الفكرة لم تدر في خلد العالم المزوري وكان يرى عكسها حرصاً على مصلحة قومه ووطنه من ان يدوسه الأكراد الصورانيون بأقدامهم ويعبثون فيه ، وان الأمير الراوندوزي هو الذي فكر فيها . وما حملته المشئومة على يزيدية الشيخان إلا من قبيل جس النبض ليعلم مبلغ قوة الأمراء البهدينانيين ومقدرتهم على الدفاع عن هذا الشعب

(١) اصلها (ناف قور) ومعناه وسط الوحل لائن اراضيها موحلة وهي اشبه بمستنقع في كثير من الفصول .

الذي تربطهم به روابط تاريخية وقومية وتقليدية . أما وقد وجد فيهم من الضعف ما أقدمهم عن الذود عنهم ، فن حقه ان ينزع هذا الملك من أيدي أصحابه الذين لم يستطيعوا المحافظة عليه ويضمه الى أمارته .

كانت حملته على العمادية سنة (١٢٤٩هـ - ١٨٣٣م) اي في السنة التي تلت حملته على أمارة الشيخان البيزيدية ولكننا لم نعلم هل لاقى مقاومة من العشائر البهدينانيين ، أم سر بهم سر الكرام ولم يتعرضوا له وكانوا يرجعون به ؟ وكما نعرفه انه سار بجيشه الى «العمادية» وحاصر حاكمها « محمد سعيد باشا » وحاربه وكسره وعين أخاه « رسول بك » بمحله ثم استولى على قلعة العقر من يد حاكمها « اسماعيل باشا » واستولى كذلك على دهوك وزاخو وهكذا سقطت مقاطعة « بهدينان » ذات المجد التاريخي بيده . يقول مؤلف تاريخ « كرد وكرديستان » : ان الأمير الراوندوزي « بعد ان فرغ من الاستيلاء على العمادية ودهوك وزاخو عمد الى الأمور الادارية في هذه البلاد ونظمها أحسن تنظيم بواسطة رجاله واستتب الأمن في جميع بلاد بادينان استتباً لم يسمع بمثله في تلك الجهات » وهذا القول ينسفي ما هو معروف بما أوقعه جيشه من أعمال التخريب في بهدينان واطلاقهم يد النهب والسلب فيه (١) حتى نار أهل العمادية على حاكمهم الجديد « رسول بك » وطرده من بينهم وأعادوا « محمد سعيد باشا » الى محله . يقول مؤلف « تاريخ كرد وكرديستان » : وقد نارت نائرة الباشا من جراء ذلك وزحف بجيش عرصرم على أطراف الموصل ، ثم توجه الى العمادية وحاصرها مدة ثلاثة أشهر حتى سقطت بيده وتسلم أميرها محمد سعيد باشا وأخذ يصب على الأهالي جام غضبه فقتل منهم خلقاً كثيراً « (٢) .

إن مما أثبتته الحوادث وأيدته الوقائع ان الأقوام التي تسير في حياتها على سنن وتقاليد قبلية خاصة لا ترضى بحكم الأجنبي مها كان قويا وكانت ضعيفة ولا تقر له بالطاعة وكثيراً

(١) الى زمن ادركناه غير بعيد ان المرأة الكردية في بهدينان اذا ارادت ان ترعب ولدها تقول له بالكردية : (صوراني هات) اي جاءك الصوراني .

(٢) مما يتناقله الرواة من الاكتراد انه سجن من اهل العمادية ووجهاتها مائة وخمسين شخصاً وفي اليوم التالي اخرجوا من السجن جنباً هامدة .

ما حدث ان سوات لأمير نفسه وأراد ان يتوسم في إقطاعه على حساب اقطاعات الغير فباء بالفشل . وأمير الصوران لم يكن يجهل هذه الحقيقة إلا أنه كان يعتقد ان القوة فوق كل شيء . ولا سبيل للبهدينايين من ان يخضمواله .

كانت الحكومة العثمانية ، بالوقت الذي يتطاحن الامراء المتقابلون بينهم لغاية استيلاء بعضهم على ممتلكات البعض وقد بلغ فيهم القتال أشده ، قد أخذت في اعداد برنامج للقضاء على هؤلاء الامراء لما كانت تراه من الخطر في بقائهم على كيان الدولة ، وقد اختارت لذلك خيرة رجالها البارزين في السياسة والقيادة كالمشير عثمان باشا الذي حارب « بدرخان باشا » أمير البوطان وقبض عليه ، وحافظ محمد باشا قائد الجيش التركي في معركة « نزيب - نصيبين » مع الجيش المصري ، ومحمد رشيد باشا الصدر الأعظم السابق والي سيواس وسر عسكر الشرق وغيرهم . ولما رأته في خروج الأمير الراوندوزي ماهاها أسره ، وان عمله لم يكن من قبيل الغزو العادي الذي اعتاده الامراء الاقطاعيون أودعت أسره الى « محمد رشيد باشا » سر عسكر الشرق . فقام من ديار بكر يصحبه اثني عشر فوجاً من المساكر النظامية وجعل وجهته جبل سنجار ، وبعد ان ضرب أهله البيزيدية وجاء الى تلعفر وأخذ الثورات التي كانت قائمة فيها ، عبر دجلة من أسكي موصل (على ما يرجح) وجعل طريقه من حافة جبل (دهوك - العقير) وعبر الزاب الكبير ودخل منطقة قضاء أربل وخيم في صحراء « حرير » (١) وهناك اجتمع به كل من والي بغداد « علي رضا باشا » ووالي الموصل « اينجه بيرقدار محمد باشا » مع جيوشها وأخذوا يتداولون البحث في هذا الأمر المهم .

كان « محمد رشيد باشا » يرى دعوة الأمير الراوندوزي الى طلب الاستيلاء وقبول

(١) جاء في خلاصة تاريخ كرد وكردستان (ص ٢٤٦) ان جيش محمد رشيد باشا وصل الى الموصل عن طريق الجزيرة - زاخو واجتمع هناك بجيش (اينجه بيرقدار اوغلي) فتوجهوا معاً نحو راوندوز . وفي اربعة قرون من تاريخ العراق الاخيرة (ص ٣٠٧) ان رشيد باشا بعد ان قمع الاضطراب في ماردين المشاغية و... وادب تلعفر ، سار عبر دجلة متوجها الى هدف اعظم ، وقد أزر حلفائه البييرقدار في الموصل . وعلي رضا باشا في بغداد .

دخالته أوفق لمصلحة الدولة من الدخول معه في حرب لم يعرف مداها ، وإذا أصيبت
عساكر الدولة بهزيمة يستفحل أمره ويعظم خطره ، وتصيح الدولة أمام معضلة خطيرة
تهدد سلامتها ، بينما كان « علي رضا باشا » و « اينجه بيرقدار محمد باشا » يريان عكس
ذلك ويرجحان استيصاله بالقوة مها كلف الأمر ولا يهم « علي رضا باشا » الهزيمة التي
تحل بعساكر الدولة بعد ان يكون « محمد رشيد باشا » قد فشل في مهمته .

وقد أبدى « محمد رشيد باشا » تصلباً في رأيه عندما علم ان الجيش الصوراني قد
احتل مضيق (علي بك) وهو الطريق الوحيد الذي تسلكه الجيوش لدخول منطقة
رواندوز وان اجتياز هذا المضيق أصبح من الصعوبة بمكان ، وأرسل كتاباً الى الأمير
محمد باشا يدعوه فيه الى طلب الاستيمان ، ويعطيه التأمينات القوية بالعمو عنه وإعادةه
الى محله . فحضر « محمد باشا » الى المعسكر العثماني وقدم طاعته ، فأخذ « محمد رشيد
باشا » وأرسله الى استانبول . ويقال ان « محمد باشا » لم يجنح الى تقديم الطاعة إلا
بعد ان عرض أحد علمائه في خطبة ألقاها يوم جمعة بعدم مشروعية قتال جيش خليفة
المسلمين ، فأثرت هذه الخطبة في جيشه ورأى منهم فتوراً في الاقدام على القتال فذهب
الى المعسكر وقدم طاعته .

وكان لشفاعة « محمد رشيد باشا » بحق الأمير الرواندي أثرها عند السلطان ، فعفا
عنه وأمر برجوعه الى محله ، وصادف ان توفي « محمد رشيد باشا » في تلك الآونة .
فانتهمز « علي رضا باشا » الفرصة وأرسل سرّاً الى الآستانة يقول انه اذا سمح « لمحمد
باشا » بالعودة الى (رواندز) تعذر ضبط الأمور ونشر ألوية السلام في تلك الربوع
فعدلت عن العفو عنه وأصدرت فرماناً يقضي باعدامه . ولما كان قد غادر الآستانة
أرسل فرمان في أثره فأدرکه في مدينة (سيواس) - ويقال في رواية في طرابزون -
وهو ضيف على الوالي فنفذ حكم فرمان فوراً ودفن في مقبرة الغرباء وكان ذلك سنة
(١٢٥٢ هـ - ١٨٣٩ م) .

جرت هذه الحوادث ولم نقف على خبر (علي بك) أمير البيزيدية ، فهل اتصل (بمحمد

رشيد باشا) وبث اليه شكواه من النكبة الاليمية التي حلت به وبشعبه ؟ أم ظل هارباً مختفياً في جبال (العقر) ولم يجرأ على مواجهته ولا مواجهة أحد الوزيرين الآخرين ؟ أم كان قد عاد الى مقر أمارته وأخذ يبكي مجده الزائل وعزه الغابر ولا يجيب له ؟ لا ندري كيف كان أمره ؟ وكل ما نعرفه ما جاء في تقويم الموصل لسنة ١٣١٣هـ (ص ٤٤٤) أن والي الموصل « اينجه بايرقدار محمد باشا » قبض عليه وقتله في موقع يسمى « كر محمد عرب » مع جماعة من أغوات الأنكشارية وزعماء الاكراد وقطع رأسه ورماه في نهر الكومل . والايينجه بايرقدار لم يقتل هذا الأمير التمس لخطر كان يخشاه منه ، وأي خطر يخشى من رجل منكوب فقد عزه وسلطانه وأضاع قومه وأصبح ذليلاً حقيراً لا قيمة له في الحياة ؟ بل قتله لأن سياسة الدولة كانت تقضي برفع وجود أصحاب الزعامات وذوي النفوذ من أمراء الاكراد (١) وكان يرى أمير الشيخان واحداً منهم .

كان لعلي بك عندما قتل ولد صغير يدعى « حسين بك » فتغلب أحد أفراد هذه الأسرة عليه وهو « جاسم بك » بن صالح بك وغصب منه منصب الإمارة ، والشعب لم يكن له حق المداخلة في ذلك . وبعد ان كبر حسين بك نار عليه وقتله في قرية (ايسيان) قريباً من « باعذرة » واستقل في الإمارة . ويقال ان الذي عاون حسين بك في قتل جاسم بك خادم له اسمه « شيخ كوندور - أي الشيخ بطيخ » فكافأه بأن قتله بحجة أن من يغمس يده في دم أمير من غير هذه الأسرة لا يحق له البقاء في الحياة .

كانت الإمارة بعد هذه الحادثة قد ضعف شأنها ولم يبق للأمرء تلك المنزلة التي كانوا يتمتعون بها ، وانقطعت عنهم الهبات والخيرات التي يقدمها لهم الشعب ووقعوا في ضيق شديد . ومن المعلوم أن هذا المورد اذا انقطع عنهم ماتوا جوعاً وليس لهم مورد غيره . إلا ان هذه الحالة لم تدم كثيراً وسرعان ما جمع الشعب شمله وانصرف الى أعماله واستعاد

(١) يروي ان الاينجه بايرقدار لما خيم في كر محمد عرب على نهر الكومل حضر لزيارته الشيخ طاهر البامرنى شيخ الطريقة النقشبندية وهو جد الشيخ بهاء الدين افندي البامرنى ، والشيخ نور الدين البريفكانى شيخ الطريقة القادرية ، او كان حضورهما عنده بدعوة منه وقصد تلك اليلة ان يفتالهما . فاعترضه رئيس ديوانه وهو من وجهاء الموصل ، ولم اتحقق من هو ، واعلمه ان عمله هذا يؤدي الى نشوب ثورة عظيمة بين الاكراد في الجبل لا يدرك لها مدى فعدل عن ذلك .

الأمراء مكاتبهم . والذي ساعدهم على ذلك استقرار الوضع الإداري في المملكة وتعميم مبدأ الحرية والمساواة بين جميع العناصر دون النظر إلى الاختلافات الدينية والمذهبية ، وذلك بمقتضى فرمان الذي أصدره السلطان عبد المجيد والمسمى « كلخانه خط هايوني » ، وكف العلماء عن فتاويهم التي اعتادوا إصدارها والتي كانوا يثيرون الرأي عليهم . فباتوا في مأمن من الاعتداءات التي كانت تمكر صفو حياتهم .

إن من أبرز الحوادث التي نراها في حياة الأمير « حسين بك » اتصاله بالسيرهنري لايرد المنقب والبحانة الانكليزي وصدافته الوثيقة معه وسفره إلى اسطنبول ومثوله بين يدي السلطان عبد العزيز ونيله عطفه ، وبعد عودته من اسطنبول ظهور فتن واضطرابات في الشيخان فاتهمته الحكومة بها وقبضت عليه وألقته في السجن ثلاث سنين .

ومن الحوادث المهمة أن سجن الأمير حسين بك لما طال ويئس أولاده من خروجه وهو رجل مسن ، أعلن ابنه الكبير هادي بك الامارة واتفق أخوه حسن بك معه واستولى على المقدسات والسناجق وأخذ يطوف بالسنجق في الشيخان ويجمع الخبرات والنذور ، فلم يرق عمله لأهل بيت الامارة فقاتله عمه عبدي بك بن علي بك وأخواه سليمان بك وعلي بك ولدي حسين بك وقتلوه هو وأخاه حسن بك وجماعة من أعوانه في قرية « خطارة » وأخرجوا المقدسات والسناجق من يده .

تدلنا هذه الحادثة على ان روح الطغيان والاستبداد لم يفارق هذا البيت على رغم النكبة الفادحة التي حلت بهم ، ولو وجدوا مجالاً لقمعوا أكثر من هذا ، إلا ان الظروف أصبحت غير مواتية لهم .

استمرت أمارة حسين بك على اليزيدية نحو اربعين سنة أظهر فيها من العزم والحزم ونفاذ البصيرة وأصالة الرأي ما جملة يجمع شمل شعبه المتبدد ويوجد له كياناً من جديد وإلا لما بقي لهذا الشعب أثر في الشيخان وتفرق الباقون منه في مختلف بقاع الأرض وضعف شأن اليزيدية وأخذوا بالزوال بعد ان يكون معيذبهم قد خرج من أيديهم وحرموا من الوصول إليه .

وبعد ان قضى حسين بك نجبه خلفه بالامارة ابنه « ميرزا بك » ومن أهم الاحداث التي ظهرت على عهد أمارته الكارثة المروعة التي أحلها الفريق « عمر وهي باشا » بالشعب اليزيدي في الشيخان وسنجان ودعوتهم قسراً الى الاسلام . وقد أسلم هو وأخوه بديع بك ، إلا ان اسلامهما لم يدم أكثر من ثلاثة أسابيع ثم عادوا الى يزيديتهم . وكانت وفاته حوالي سنة (١٨٩٤ م) وخلفه بالامارة أخوه « علي بك » فكانت أمارته سبعة عشر عاماً مملوءة بصنوف المحن والمآسي فقد كان الشعب فقيراً وموارده أصبحت قليلة وموظفو الحكومة يسومونه الخسف والذل لسلب ما بيده من قوت ومال وهو لا يستطيع ان يدفع عنه . وأهم مشكلة لاقاها خلال مدة أمارته اصرار الحكومة على تطبيق قانون التجنيد بحق الشعب ، والشعب لا يرضى به بدعوى انه مخالف لديانته . فكان يجمع المبالغ الكبيرة لارضاء ذوي الشأن من موظفي الحكومة ولم يحصل على فائدة . ورسالة « عبده » ابليس » التي وضعها والي الموصل نوري باشا كانت لغاية اقناع المراجع العليا في اسطنبول لرفع التجنيد عنهم وربطهم بالبدل العسكري لكنه لم يفلح . وكانت عاقبة هذا الامير ان اغتيل ليلاً وهو نائم على فراشه وزوجته « ميان خاتون » بجانبه (سنة ١٩١٣ م) ونولى الامارة ابنه « سعيد بك » ابن علي بك وله من العمر اثنتي عشرة سنة وأقيمت أمه ميان خاتون وصية عليه ، إلا أنه لم تحمد سيرته وقام في وجهه اختلاطات شديدة في سنجان والشيخان وأرادوا إسقاطه من منصبه ولكن الحظ ظل ملازماً له الى ان قضى نجبه (سنة ١٩٤٤ م) وخلفه بالامارة ابنه تحسين بك وهو في سن الثالث عشرة وأصبحت جدته ميان خاتون وصية عليه كما كانت وصية على أبيه وهو الآن في سن السابعة عشرة . وقد تدل الظواهر على أنه سوف لا يكون خيراً من أبيه . وأسباب الترفه والرخاء متيسرة له أكثر منه ، وتعضده جدته بالاموال الكثيرة لتجعل منه نسخة طبق الاصل من ابيه الراحل بينما الشعب يظهر استعجالاً لخروجه من الوصاية لينال الراحة على يده .

تاريخ اليزيدية في جبل سنجار

جبل سنجار - موقعه - وجه تسميته - أدواره التاريخية - ازدهار الحضارة وال عمران فيه
انتقال اليزيدية اليه - حالته الحاضرة

يقع جبل سنجار وسط جزيرة ما بين النهرين (مهزوبوتامي) ويمتد من درجة ٣٥ الى درجة ٣٠ر٣٥ من العرض الشمالي ، وفي معجم البلدان أن عرض مدينة سنجار ٣٥ درجة وثلاث ، وطولها ٣٠ درجة ، وهو ذو مياه غزيرة ، وخيرات كثيرة ، وترتبه أغنى وأخصب بقعة فيما بين النهرين ، ويقال ان اسمه الحقيقي (سنغاره) .

ولمؤرخي الاسلام تعليل غريب في تسميته نعرض صفحاً عنه ، وفي معجم البلدان في كلمة سنجار نقلاً عن حمزة الاصفهاني : ان سنجار تعريب (سنكارا) .

وفي المستدرك على معجم البلدان في مادة (آشور) أن سنغارا هي الآن سنجار وكانت من أهم مدن حكومة آشور .

نقول : ولا يزال سكان جبل سنجار اليزيدية الاكراد يسمونه (شنكاري) بامالة الياه .

ان هذا الجبل الممتاز بموقعه الجغرافي والحربي وسط هذه المنطقة الصحراوية - لا جدال في انه - غداً مسرحاً لحوادث مهمة منذ فجر التاريخ على عهد الآشوريين والحثيين والميتانيين والكلدان والفرس والرومان عندما كانت أثرة التنازع سائدة بينهم على هذه البلاد . ومن المؤسف اننا لم نقف على شيء من هذه الحوادث سوى نتف قليلة متفرقة في بعض المدونات مما لا تعطى فكرة صحيحة يمكن الباحث الاستفادة منها . وفي تقرير لبعثة (نلسون) للشرق الأدنى رفعتة الى الحكومة العراقية عن اعمال المسح والتحري التي قامت بها في هذه المنطقة بالنيابة عن معهد « لفرپول » لعلم الآثار والمحفوظ الآن في المديرية العامة للآثار القديمة في بغداد ما يفيد : « ان هذا السهل المنبت الخصب

الذي تنتشر فيه مرتفعات سنجار يؤلف جزءاً خطيراً من اراضي شعوب الامبراطوريات المتعاقبة منذ بدء التاريخ . وأكثر الظن انه كان لقمة شبيهة بسيل لها لعاب الآشوريين والحثيين ، مما كان يؤدي الي تنازعهم وقتالهم لامتلاكها . وبما لا ريب فيه ان هذه المنطقة قد أصبحت في حوالي منتصف الالف الثاني (ق.م) قسماً من الدولة الميتانية التي كانت عاصمتها على نهر الخابور الأعلى . وكان السهل يسقى بواسطة الري الاصطناعي ، وكانت زراعته تمتد الى بقعة تبعد بعداً كبيراً عن حدوده الحالية في الجنوب ، كما ان مراكز الاستيطان الضيقة التي كانت فيما قبل التاريخ تجاور بلدي سنجار وتلعفر ، وتمت وأصبحت مجتمعات زراعية واسعة أقام ابناؤها لهم الأبراج الحصينة والقلاع المتينة التي كان يهرع الناس اليها ويحفظون فيها ما امتلكت ايديهم عند نشوب الحروب او وقوع الأهوال .. « ا . هـ

على ان الآشوريين الذين كان يسيل لعابهم لمنطقة سنجار ملكوها فعلاً ، ونشروا فيها مدينتهم ، واتخذوا الجبل قاعدة لأعمالهم الحربية ضد الحثيين الذين استمرت الحروب بينهم عصوراً طويلاً . والآشوريون الذين كانوا يتبعون سياسة الفتح والاستعمار ووصلوا بمغازيهم حتى سواحل البحر المتوسط ، وأوقعوا الفينيقيين زمناً تحت حكمهم ، لم يكونوا ليستغنوا عن جبل سنجار من جملة حصناً لهم يحمون به بلادهم ويتخذونه قاعدة دفاعية هجومية ضد الحكومات المعادية لهم . ولو واصلت بعثة (نلسون) تحرياتها في المواقع الأثرية التي عثرت عليها في سهل سنجار وفي الجبل نفسه لكشفت عن آثار ذات قيمة كبيرة تنبئ عن حالة هذه المنطقة الاجتماعية والعمرانية في ذلك العهد .

وبعد ان انقضت دولة آشور عام (٥٣٨ ق.م) على يد الفرس وأصبحوا هم الوارثون لها ، دخلت هذه المنطقة ايضاً تحت حكمهم ، وكان من الطبيعي ان يهتموا في تحصين هذا الجبل ويتخذوه لهم معقلاً قوياً تجاه الرومانيين عندما كانت الحروب متصلة معهم على هذه البلاد . وفي (قاموس الأعلام) في مادة (سنجار) ما يدل على وقوع حروب مهمة بين هاتين الدولتين في هذا الجبل في ذلك .

وفي كتاب (كلدو وآثور) لأدي شير رئيس اساقفة سمرقند الكلداني الآثوري ان

ملك الرومان لما حمل على (الفرثيين) واستولى على عاصمتهم المدائن تعرض ملك سنجان واسمه (معنو) وهزمه عام ١١٥ م

وفي خلاصة تاريخ الكرد وكرديستان نقلا عن تاريخ القرون الوسطى : « وفي سنة ١٣٤٢ و ٣٤٨ م تقابل شاپور ملك ايران بجيش الرومان بجوار سنجان فهزم (قسطنطينوس) قائد الجيش الروماني ، الجيش الايراني شر هزيمة وأسر ولي العهد الايراني .

وبعد هذه الحروب استولى الرومانيون على جبل سنجان وملكوه فعلا ، ودام ملكهم فيه زمنا طويلا ، يدلنا على ذلك المسكوكات الرومانية التي يعثر عليها في هذا الجبل بكثرة حتى يومنا هذا ، وهذه المسكوكات وان لم نعلم الـ سد الروماني الذي ترجع اليه بالضبط ولكن يكفينا ان نعلم انها مسكوكات رومانية .

ويعلم من هذا ان دولا مختلفة تناوبت الحكم في هذا الجبل وقد تركت كل دولة فيه أثرا من حضارتها ومعتقداتها وتقاليدها ، وبذلك اصبح مسرحا لمدينيات ومعتقدات ولغات ذات ألوان كثيرة . ونظراً لموقعه الجغرافي كان نقطة اتصال ذات أثر كبير من الوجهة الحربية بين حكومات الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وبجانب ما ناله من تقدم من الناحية العمرانية كان هدفاً لتخريب الغزاة الفاتحين وربما عمه الخراب حيناً وازدهر العمران فيه حيناً آخر .

﴿ النصرانية في جبل سنجان ﴾

دخلت النصرانية جبل سنجان منذ ان أخذ المبشرون يبشرون التعاليم المسيحية على وجه الارض او بعد ذلك بزمن قليل وقد اتسم نطاقها في القرن الرابع وأصبحت تابعة من حيث التشكيلات الكنسية لمطرانية (بيت عرياني) على عهد المطران (يعقوب النصيبيني) الذي كان عضواً في المجمع النيقاوي (١) .

والتواريخ الكنسية لم تحدثنا عن كيفية دخول النصرانية جبل سنجان والحياة الطويلة

(١) نسبة الى (نيقية) وهي المدينة المعروفة الان بـ (ازنيق) في الجمهورية التركية . انقد هذا المجمع سنة ٣٢٥ م حضره (٣١٨) اسقفاً سنوا فيه القوانين الاساسية للدين المسيحي واجمعوا كلمتهم على تثبيت الانجيل الاربعة الموجودة ورفض ما سواها .

التي عاشتها فيه ، وكيف حافظت على بقائها وهي محاطة بشعوب وأقوام غريبة عنها وهي غريبة عنهم ، غريبة بالجنس واللغة والدين .. وكلا قاله كتاب النصراري وبخائيم عنها انه كان لها في هذا الجبل مكتبة قديمة مكتوب اكثرها على رق غزال وأن البيزيدية يمتنون بها ، وينشرونها حيناً بعد حين ويحفظونها في حرز مكين ، ولم يتكلموا عن هذه المكتبة وكيف آل أمرها الى البيزيدين . والذي عرفناه ان النصرانية عاشت في هذا الجبل اثني عشر قرناً في عزة ومنعة والذي ساعدها على البقاء طيلة هذه المدة حصانة موقعها ووعورة المسالك المؤدية اليها . ولا نشك في ان أصحابها كانوا يلاقون اعتداءات من الخارج ولكنهم كانوا يقاومونها بشدة ويصدونها ، وهم أشداه أقوىاء بالقطرة وليس من السهل ان ينال أعداؤهم منهم ، وقد كثرت أديرتهم ومعاهدهم الدينية والثقافية وتخرج منهم علماء حفظ التاريخ الكنسي اسماهم وأشاد بذكورهم . ثم تضافرت عليهم عوامل لم يكن في مقدورهم التغلب عليها فبادوا وخلفتهم البيزيدية .

فما نوهت كتب النصراري يذكره من هذه المعاهد الدير الذي أسسه (جبرئيل السنجاري) (١) عام ٧٧٤ يونانية الموافقة لسنة ٤٦١ ميلادية ، و (دير بطورا) (٢) الذي أسسه الراهب (أبا يونان المسجوسي) خلال سنة ٨٩٢ - ٩٠٧ يونانية الموافقة لسنة ٥٨١ - ٥٩٦ ميلادية ، و (الدير الكبير) لمار أدري أحد حواربي المسيح ، والدير المعلق او (دير سرجيس) الذي عرف باسم النساك (سرجيس) و (زعورا) و (باعوث) ويقع على قلة الجبل القاحل فوق مدينة (البلد) في سنجار يظن بناؤه في المئة الخامسة للميلاد وأصبح من أهم مواطن التعليم النصرانية في القرن الثامن واستقاضت شهرته في القرن التاسع ، وكان يدرس فيه علم اللاهوت والفلسفة وصنوف العلم وتخرج منه مفريناً وبعض أساقفة وصار كرسياً اسقفياً منذ سنة ١١٦٧ الى سنة ١٣٤٥ ثم انظمس

(١) موجد المذهب الاوطيخي (البعقوني) اشتهر بالطب وكان طبيباً خاصاً (لفيروز) ملك الفرس . وفي اللؤلؤ المنشور انه كان يعيش في القرن السابع الميلادي وقد وم فيه .

(٢) را : كتاب المجدل لعمر ابن هني الطيرهاني

خبره وعفا أثره (١) وهذا الدير هو الذي يعرف الآن بدير عاصي . وكذلك (دير خنوشيا) ذكر في أواسط المئة السادسة وقد تخرج منه المفسران بولس عام ٧٢٢ م ، والأبنا داؤد بن بولس آل ربان (صدر القرن السابع) وكان يدرس فيه العلم اللاهوتي واللغة اليونانية (٢) .

ومن اشتهر من أخبار النصارى في سنجار الأسقف ايليا السنجاري السرياني يروي انه كان عالماً محريراً حكيماً ونقل عدة مؤلفات من اليونانية الى السريانية وحضر مجمع منبج سنة ٧٥٨ وله آراء ونظريات في علم اللاهوت .

ومن تخرج من دير مار سرجيس (مار موسى ابن كيفا) المتوفي سنة ٩٠٣ صاحب التأليف الكثيرة في الفلسفة واللاهوت وله اثنان وعشرون مؤلفاً (٣) .

وكانت قرية (كرسى) التى يسكنها الفقراء من اليزيدية الآن - واسمها الحقيقي كرسى بالألف المتصورة على وزن سكرى - كرسيا للعطارة ، ولذا أطلق عليها هذا الاسم باللغة الآرامية .

وفي المعجم لياقوت الحموي المتوفى سنة (٥٦٢٦ - ١٢٢٨م) فى كلمة (جدال) وهى القرية المعروفة الآن بجبدالتو يسكنها طائفة من فقراء اليزيدية ايضاً : « انها قرية كبيرة وعندها خان حسن وأهلها نصارى » .

فمنى انقرضت النصرانية من جبل سنجار ، وما هي العوامل التى أدت الى انقراضها ؟ جاء فى كتاب (عبدة ابليس) لنوري باشا والى الموصل السابق ان انقراضها وقع فى مبادئ القرن التاسع عشر الميلادى ، وفى (مجموعة النصوص والبراهين على الملة اليزيدية) للمستشرق الفرنسى الموسيو (ف . نو) ما يدل على ان انقراضها وقع قبل هذا التاريخ بكثير وهذا تعريب ما قاله :

« أفاد المارفون بالتاريخ انه لما توفى مطران سنجار سنة ١٩٧١ يونانية الموافقة ١٦٦٠ مسيحية (١٠٧١هـ) اجتمع كبار النصارى وأشرفهم وزعمائهم وذهبوا الى (القوش) لكي يقيم لهم مطرانا غيره البطريرك (ايليا) الذى كان يسمى (مار اوجين) حيث كانت كرسية حينئذ هناك ، فرفض البطريرك طلبهم بدعوى ان نصب مطران لهم يحملهم عبثاً

ثقيلاً وهم في غنى عنه . وزاد على ذلك أنه مستعد ليرسل اليهم قسوساً لكي يقوموا
بجاراتهم الدينية ، فعادوا الى محلهم دون ان ينجحوا في مسعاهم . وبعد ان مضت عدة
سنين ولم يبق أحد من القسوس لديهم تشاوروا ملياً وانتخبوا اربعة رجل من الأشداء
مع اربعين شماساً وأرسلوهم الى (القوش) قصد ان ينصب البطريرك ثانية قسماً لهم .
وحينما هم في الطريق فاجأتهم عصابة من العرب نهبت جميع ما معهم وقتلت البعض منهم
وأخذت الجراح في بقيتهم ، فعادوا الى سنجار دون ان يحصلوا على شيء من بقيتهم
وبقوا زمناً طويلاً دون مدبر ولا مرشد يهديهم الى دينهم . حتى انتهى ذلك الجبل
ونسوا الأحكام التي كانوا متبعيها ، وما بقي أحد منهم يعرف دينه او من دين آخر شيئاً
البتة . وفي أحد الأيام عندما كانت جماعة من القوالين مارين من بينهم ، سألوهم من
أنتم وما هي دياركم ؟ أجابوهم : أننا نجهل كل ما تسألونه منا . فقالوا لهم : هل يوجد
بينكم من العلماء او القسس أحد ؟ أجابوهم : البتة . فحينئذ علموا انه ليس لهم علاقة مع
أي دين من الأديان ودعوهم الى البيزيدية وعلوهم مبادئهم الفاسدة وأحكامهم الباطلة
(الموافقة للميل البشري) وقد نسي هؤلاء المرتدون جميع التعاليم والقوانين التي كانوا
متبعيها ، سوى أنهم يلفظون اسم الجلالة بـ (آلاها) كما هو مستعمل باللغة
الكلدانية .. » انتهى .

هذا ما قاله المستشرق الفرنسي الموسيو « نو » عن انقراض المسيحية في جبل سنجار
إلا ان التواريخ الكنسية الموجودة لم تتكلم عنه وكذلك الأخبار المنقولة عن ماضي الجبل
وقد قامت الحكومة العثمانية بحملات متواصلة على جبل سنجار منذ القرن السادس عشر
ولم يذكر انها عثرت فيه على أثر للنصرانية الأمر الذي يجعلنا نتردد في قبول صحة ما قاله
المستشرق الفرنسي . ولكن بما لا شك فيه ان النصرانية عاشت قروناً طويلاً في جبل
سنجار وكان لها فيه أدوار زاهرة وكثرت أديرتها ومآهدها الدينية والعلمية ثم قضى
عليها بعد ان ظهرت البيزيدية وقامت بمحطها واحتل الطائوس مكان الصليب . أما متى كان
ذلك وهل قدر لها البقاء اكثر من الاسلامية فذلك لم نتحققه .

﴿ جبل سنجار في عهد الاسلام ﴾

في عام ٢٠ للهجرة (٦٤٠ م) على عهد الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب ، تم فتح الجزيرة على يد (عياض ابن غنم) أحد قواد (سعد ابن أبي وقاص) ، وعلى قول البلاذري أن عياض ابن غنم لما انصرف من (خلاط) وصار الى الجزيرة بعث الى سنجار ففتحها صلحاً ، وهكذا دخلت سنجار النصرانية في حوزة الاسلام وبقى أهلها على نصرانيتهم بمد ان فرضت الجزية عليهم وأخذوا يعيشون والاسلام جنباً الى جنب متمتعين بحرية لم يكونوا يعرفونها من ذي قبل ، وبقوا على هذه الحالة تايمين لجزى التطور الذي أحدثه الفتح الاسلامي في هذه البلاد .

كان العصر الأول والثاني للهجرة عهد هجرة لكثير من قبائل العرب الى سنجار لما لاقوه فيه من نعيم مقيم ، وخصب عميم ، ورخاء عظيم . فوفدت اليه قبائل شتى من بني قشير ونمير وعقيل وتغلب وكلاب واتخذوا السهل الفسيح (قبلي سنجار) موطناً لهم ، بينما اختص بسكنى الجبل النصارى سكانه الأصليون . وأصبح هذا السهل يجمع بالسكان ونشطت فيه حركة العمران والتقدم الى ان انتقل الحكم الى أيدي العباسيين ، وفي العصر الثالث الهجري أخذت حالته تسيء بعد ان أمسى الحكم بيد الولاة الذين كانوا يقتطمون أجزاء المملكة بيدل معين من الخلفاء ويتاجرون فيها . وعندما استقل الحمدانيون وبنو عقيل والسلجوقيون في الموصل وما يتبعها من البلاد وفي ضمنها « سنجار » ازدادت سوءاً لسبب الضرائب الفادحة التي كان رجال الادارة يفرضونها على الأهلين لسد نفقاتهم التي يمتضيها بذخهم وترفهم وتمادي الفتن والحروب بينهم .

وفي تاريخ الموصل : « كانت سنجار في عهد الدولة الحمدانية كثيرة القرى والعمران ، ثم أخرجها (ارطغرل) السلجوقي لما أقبل الى الموصل في حوالي عام ٤٦٦ هـ فقتل من أهلها أربعة آلاف رجل وأجلى البقية حتى أصبحت قفراء ، ثم تراجع عمرائها في عهد الدولة الأتابكية حيث أصبحت أمانة مستقلة يحكمها أفراد من العائلة الأتابكية » (١) .

(١) نقل المؤرخ هذا الخبر عن التاريخ السرياني لابن الفرج ابن العبري وقد وهم فيه، إذ ان (ارطغرل) السلجوقي وهو ابن ميكائيل بن ارطغرل توفي سنة ٤٥٥ ، واذا كان قصد ارطغرل الثاني - وهو ثامن السلاطين السلجوقيين في ايران - فسلطنته من سنة ٥٢٥ الى سنة ٥٢٩ . وسلطنة ارطغرل الثالث من سنة ٥٧١ الى ٥٩٠ هـ .

والحقيقة ان حكم الأتابكيين في هذه البلاد كان عهد تقدم ونجاح في مختلف النواحي العمرانية والمعمارية ، وكانت سنجار أوفر حظاً من غيرها من بقية المدن في هذا المضمار ، حيث أخذت حركة الرقي والعمران تمشي فيها بخطى سريعة وأصبحت مشار الأطماع الهاججة بين الملوك الأتابكيين قصد الاستئثار بها ، حتى غدت أمانة مستقلة استقلالاً تاماً ناجزاً لا يعرف وصاية وحماية وإشراف وتدخل . وهذا ما حدى بأمرائها الى ان يبذلوا أقصى الجهود لرفع شأنها أدنياً ومادياً وإيصالها الى درجة يصح معها ان تكون عاصمة لملك له شأنه ومكانته .

وقد ساعد هؤلاء الأمراء على توسيع العمران في هذه البقعة الصغيرة من الأرض الفيوضات الجزيلة التي جادت بها الطبيعة عليها ، وطرق الأرواء الفنية المتقنة فيها فدوا اليها يد التنظيم وأوجدوا كثيراً من القنوات في طول صحرائها الواسعة وعرضها ، وأصلحوا ما كان قد اندثر فيها ، وحولوه الى حدائق غناء لم يمهدها نظير . وهذا عمل يتطلب همه قعساء لا توجد إلا في هؤلاء الأمراء الذين امتازوا بنشاطهم .

ومما يدل على ما كان لسنجار من الأهمية العظيمة على ذلك العهد ان « قطب الدين مودود » صاحب الموصل بعد ان توفي وتقسام اولاده الملك ، استأثر (عماد الدين زنكي) في امانة سنجار وترك الموصل لأخيه (سيف الدين غازي) ، ثم قايض (عز الدين مسعود ابن قطب الدين) أخاه (عماد الدين) حلب بسنجار وانتقل اليها (في ١٣ المحرم ٥٧٨) .. ولما نزل السلطان الملك الناصر ابن ايوب على حلب وحاصرها سنة تسعة وسبعين وخمسة مائة وقع الاتفاق على ان يعرض صاحبها (عماد الدين زنكي) سنجاراً بدلاً عنها ، فاستقل (زنكي) ولم يزل فيها الى ان توفي فيها سنة اربع وتسعين وخمسة مائة .

وقد أظن المؤرخون في وصف مدينة سنجار وتعداد محاسنها ، من ذلك ما ذكره ياقوت في معجمه نقلاً عن الأصفهاني أنها : « مدينة طيبة في وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بساتين ذات اشجار ونخيل وترنج ، وبينها نصيبين ثلاثة ايام . وقيل ان السلطان سنجر ابن ملكشاه ابن الب ارسلان بن سلجوق ولد فيها فسمى باسمها » .

ووصفها ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٨٠ هـ) في رحلته بقوله :

« ثم وصلنا الى مدينة سنجار وهي مدينة كثيرة الفواكه والأثمار والعيون المطردة والأشجار مبنية في سفح جبل ، تشبه دمشق في كثرة أنهارها وبساتينها ، ومسجدها الجامع مشهور البركة ، ويذكرون ان الدعاء فيه مستجاب ، ويدور به نهر جار وبشقه . وأهل سنجار اكراد وفيهم شجاعة وكرم . ومن لقيته بها الشيخ الصالح العابد الزاهد عبد الله الكردي أحد المشايخ الكبار صاحب كرامات ، لقيته برابطته بأعلى سنجار ، ودعى لي وزودني بدراهم ، ولم تنزل عندي الى ان سلبي الكفار الهنود .. »

وفي دائرة المعارف للبستاني في مادة سنجار :

« هي مدينة طيبة ، وفي وسطها نهر جار ، وهي عامرة جداً ، وقدامها واد فيه بساتين ذات اشجار ونخيل وترنج ونازنج ، وبينها وبين نصيبين ثلاثة ايام (وبعد ان ذكر ما قاله ابن بطوطة عنها) قال : وذكر القزويني : ما رأيت احسن من حماها ، وبيوتها واسعة جداً ، وفرشها فصوص ، وسقوفها جامات ملونة على وضع النقوش ، وبقرتها قصر (العباس ابن عمر الغنوي) (١) والي مصر ، وكان قصرًا عجيباً مطلاً على بساتين ومياه كثيرة من أطيب المواقع وأحسنها ، وكانت الملوك تنزل به بعد العباس لطيب مكانه وحسن عمارته . وفي سنجار آثار أديرة وكنائس لا تزال باقية من زمن انتشار الدين المسيحي في تلك البلاد قبل الاسلام وبعده ، ومن جل ما يذكر الدير الكبير (لمار أدي) أحد حواربي المسيح ، وفيه مكتبة قديمة مكتوب اكثره ا على رق غزال .. »

وقد ظهر في سنجار كثير من رجال الأدب والعلم نذكر منهم : أبا سعيد الأربلي السنجاري صاحب كتاب « الأمانة » في علم الحديث المتوفى سنة ٤٤٠ هـ ، وأبا سعيد احمد بن عبد الجليل محمد صاحب كتاب (الاختبارات وأحكام الاشارات) في علم النجوم ،

(١) ذكر صاحب مسالك الابصار انه يقع بين نصيبين وسنجان وكان مطلاً على بساتين ومياه، وأشار ابن خلكان في حكاية اوردها في كتابه وفيات الاعيان (٢ : ١٥١) الى ما كان لهذا القصر من شأن على عهد الملوك الحمدانيين . والعباس الغنوي هو الذي ارسله المعتضد بالله على رأس جيش لمقاتلة القرامطة لما اشتد أمرهم ، فأسره ابو سعيد القرمطي بين البصرة والبحرين وأسر جميع من معه من الجيش وكانوا عشرة آلاف وقتلهم بأسرهم وأحرقهم وأطلق العباس فجاء الى المعتضد وحده ، وعلى قول ابن خلكان انه كان يتولى اليمامة .

وطاهر ابن ابراهيم السنجاري صاحب كتاب (الايضاح لبنية الاصلاح) في حفظ الصحة ، وأبو الحرث معز الدين سلطان سنجار ابن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي، ونجم الدين السنجاري (١) ، وأبو السعادات البهاء السنجاري (٢) المتوفى سنة ٥٩٢٢ وهو صاحب القصيدة المشهورة :

وهواك ما خطر السلو بباله ولائت أعلم في الغرام بحاله

والامام العالم جمال الدين السنجاري ذكره ابن بطوطة وقال عنه وحيد دهره وفريد عصره وقد وزر للملك الصالح ابن الملك منصور سلطان ماردين ، والشيخ شجاع الدين أبي بكر السنجاري الامام المحدث المتوفى عام ٥٧٩٠ هـ ، وتاج الدين أبي محمد عبد الله السنجاري ابن علي ابن عمر المتوفى سنة ٨٠٠ تفقه بسنجار وماردين والموصل وإربل وقدم دمشق وأفتى ودرس وحدث وكان حسن الاخلاق لطيف الذات لين الجانب وله شعر حسن وغير هؤلاء ممن يضيق نطاق البحث عنهم .

ولسنجار شهرة كبيرة في تميمين محيط كرة الأرض في صحرائها المستوية ، إذ كان الخليفة العباسي عبد الله المأمون قد أرسل أولاد (موسى ابن شاكر) الثلاثة الاخصائين في علم الهندسة والفلك والأرصاد اليها وأجروا عملية مساحة حققوا معها أن محيط كرة الأرض ٢٤ الف ميل كما قرره الأقدمون . وقد شرح ابن خلكان الطريقة التي إتبعها أولاد موسى ابن شاكر في ذلك العمل العظيم في كتابه وفيات الأعيان (ج ١ ص ١٠٥) .

الى هذه الدروة العليا من الحضارة وال عمران واتساع دائرة الأدب والعلم ، وصلت سنجار في ذلك العهد ، وهناك أفل نجم أسرارها وأدبر سعدم وأخذت الدولة الأيوبية التي تأسست في الشام تنازعهم البقاء حباً بالأثرة وطمعاً بالتوسع وأتى الملك الأشرف

(١) هو ابن سلامة بن شبيب النفيعي نسبة الى قرية النفيعة وهي من قرى سنجار وقرية منها - كان فقيهاً فاضلاً ادبياً له شعر حسن . صنف كتاباً في الجدل اصاب فيه . وقدم على حلب ومات فيها بعد الستاية . وله أخ اسمه مسلم كان ضريراً ادبياً فقيهاً له معرفة تامة في التفسير وقدم حلب مع اخيه .
(٢) هو اسعد بن موسى بن منصور الشاعر احد المجيدين المشهورين ، كان اولاً فقيهاً شافعيّاً ثم غلب عليه قول الشعر فاشتهر به وقدم عند الملوك ونازه التسعين .

واستولى عليها من صاحبها (فروخ شاه) آخر أمير فيها من البيت الأتابكي وانقرضت
أمارتهم بعد ان عاشت ٩٤ سنة .

وفي عام ٦٣٨ انتزعها (بدر الدين) لؤلؤ الذي خلف بني أتابك في الموصل من
(مؤيد الدين الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل) الأيوبي ، وعند وفاته عام
٦٥٧ أخلفه عليها ولده (علاء الدين) إلا ان ملكه فيها لم يدم طويلا وقد غزت جيوش
المغول في هذه السنة بلاد الجزيرة واستولت عليها . فدخلت سنجار تحت حكم الدولة
الایلخانية (٦٥٧ - ٧٣٦ هـ) ثم الجلائرية ، وفي عام ٦٩٧ إنقض (تيمورلنك) على
بلاد الجزيرة وجعل عاليها سافلها وخرب معمورها ، فكان نصيب سنجار من هذا الدمار
والخراب اكثر من غيرها من البلاد الاخرى ولم يبق فيها ولا بيت واحد بعد ان
كانت تحوي نحو (٣٥٠٠٠) بيت على ما حققه توفيق فكرت بك مؤلف تقويم الموصل
لسنة ١٣١١ (ص ٢٩١) .

وقد زرت هذه المدينة اكثر من مرة ووقفت على طولها الدارسة وربوعها الخالية ،
وفكرت فيما كانت عليه من السؤدد والعظمة والمجد وما آل اليه اخيراً أمرها ، فكنت
أبكي أهلها الذين أخنى عليهم الدهر بدموع غزار وأردد قول الشريف الرضي :

ولقد وقفت على ربوعهم	وظلوا بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب	نضوى وعيج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فذخفت	عني الديار تلفت القلب

*
* *

﴿ انتقال اليزيدية الى جبل سنجار ﴾

رأينا ان جبل سنجار كان قبل ظهور الاسلام موطناً للنصرانية وبعد ان ظهر الاسلام
هاجرت اليه قبائل عربية واستوطنت فيه . وقد اختار النصارى الاكراد سكنى الجبل
لموافقته لطبائعهم والجبال هي عادة سكنى الاكراد ، واختص العرب بسكنى السهول وهي
اكثر ملائمة لشكل حياتهم وأسباب معيشتهم . وقد مر بنا ما وصل اليه هذا الجبل من
تقدم وعمران على عهد الحكومات الاسلامية الى ان دخل في حكم دول المغول وآخروهم

« تيمورلنك » الطاغية فانتابته المحن والشدائد وحل به الخراب كسائر البلاد الاسلامية
ظهر « تيمورلنك » من هضاب « سمرقند » في ما وراء النهر وانتقض على هذه البلاد
بجيشه البالغ ثمانماية الف من مختلف الشعوب والامم وقلبها رأساً على عقب وأوقع فيها
الهلاك والدمار . فكان أهل البلاد يفرون من أمامه خوفاً على رؤوسهم من ان تقطع
ويبنى بها البروج والماذن وأخذوا يبحثون لهم عن مأوى يعتصمون فيه . وكان جبل
سنجار خير ملجأ لما امتاز به من حصانة ، فكان أول من التجأ اليه - على ما يروى -
اربماية أسرة من يزيدية الشيخان في الموصل ، ثم تبعهم خلق كثير من اصحاب هذا
المذهب من الجزيرة وديار بكر وحوضه دجلة ومن بدليس وأماكن اخرى .

هذا هو بدء التطور الذي فوجيء به جبل سنجار ولم يبحث عنه أحد من المؤرخين،
وعن الأقوام التي وفدت اليه ومن أين وفدوا . وأول من تكلم عن ذلك ، الباحث
الانكليزي « السر مارك سايكس » فانه ذهب الى ان هذه الهجرة وقعت من آسيا
الصفرى ، واستدل على ذلك بما وجدته من المظاهر الخلقية المشتركة بين هؤلاء اليزيديين
ويزيدية آسيا الصفرى . ولو ساعدته خبرته لأرجع كل قبيلة الى القبيلة التي ظهرت منها
في آسيا الصفرى وأثبت اتصالها بها من حيث القرابة والنسب .

ان هذا التطور في سنجار لم يتطلب زمناً طويلاً ، فقد تم باقرب وقت ، ودخل المسلمون
والنصارى ساكني الجبل الأصليون في دين اليزيدية سواء أكان عن طواعية ورضى ام
عن جبر وإكراه .

ان الذي مكن هؤلاء الوافدين من الفوز في هذا الجبل هو أن سكانه الأصليين لم
يكونوا من القوة والمنعة بدرجة يستطيعون معها الوقوف أمامهم وايقاف هجرتهم .
والضعيف عندما يغلب كل أمره ولم يجد له ناصراً يحميه ، ينقاد للحكم القوي ويأخذ
منه عاداته وتقاليده وعقيدته ويندمج فيه . والحكومة العثمانية التي ملكت هذا الجبل
ملكته اسماً لا فعلاً ، ولم توجد فيه تشكيلات ادارية منظمة حتى تنقبه لهذه الهجرة
وتدرك مضارها وأخطارها وتحول دونها .

ان اليزيدية الذين نجدهم الآن في سنجار ليسوا جميعاً ممن وفدوا من الخارج بل فيهم من المساميين والنصارى سكان هذا الجبل الذين انصاعوا لهم وقبلوا دينهم . ففيهم من المسلمين عشيرة « الشهبانية » وهم فرع من تغلب ، ومن الشهبانيين من نزح الى الموصل ويسكنون الآن الحمي المعروف باسمهم ، وكذلك « العزوي » وهم من عشيرة العزة و « الكلشي » وهم فرقان من « المندكان » و « الهبابات » ويقال انهم من عشيرة « طي » اولاد من سمي « جبابا » و « آلدخي » وهم من عشيرة آلدخي العربية ويرجعون الى عشيرة « عبادة » وبيت « الشيخ عبد القادر » وكان لهم شأن عظيم في الجبل .

أما المسامون الذي صعب عليهم التكيف بهذا المذهب ووجدوا أنفسهم غير قادرين على مقاومة تياره ، فقد فروا بدينهم الى مواقع اخرى بعيدة عن الجبل حتى نجد الآن في مدينة تلعفر بيت « الألاي - الأاي بكى » وهم عشيرة كبيرة ، وسكان محلة « سنجار » وعشيرة « الجبلية » في محلة « حسنكوي » . وفي الموصل عشيرة « السناجرة » و « الشهبان » و « الحيايين » وكثيراً غيرهم من اصحاب هذه الهجرة .

إن أول عمل قام به هؤلاء الوافدون هو انهم أرغموا المساميين والنصارى على اعتناق دينهم ومثلوهم فيهم وتهجير من لم يتبعهم خارج الجبل . وهو عمل يدل على فطنة وبعد نظر ، ولو لم يفعلوا ذلك لما استقام لهم أمر وفشلوا . وديانتهم تأمرهم بان لا يختلطوا مع المسلم ويساكنوه ويتقربوا منه ويشقوا به كي لا يفسد عليهم دينهم .

وهكذا بعد ان تم لهم الاستئثار بالجبل ووجدوا انفسهم في حرز منيع تقصر عنهم الأيدي ، أخذوا في ارهاب العشائر المسامة القريبة منهم . وهذه العشائر لم يكونوا ليطمئنوا لهم ويرون فيهم خطراً عليهم . فتنكروا لهم وعادوهم ، فأخذ بعضهم يحارب بعضاً ليأمن البقاء ، فكانت غارات ، وكانت مقارعات تتكشف على الأكثر بغلبة اليزيديين على المساميين وذلك لكثرتهم وقوة عصبيتهم واجتماع كلمتهم وحصانة موقعهم ، فغربوا القرى والمساكن الى بعد مسافة يوم او يومين عن الجبل ، واضطروا اهلها الى الهجرة عنها ، ووصلوا بغزواتهم الى دجلة شمالاً ، ونهر الخابور غرباً ، وتمرضوا للقوافل وأخلوا بالأمن ..

على ان العشائر المسلمة لم تكن لتصبر على هذه الأعمال ، فكان الأمراء وأصحاب الزعامات القوية من الأكراد يهاجمونهم بحشود قوية في عقر دارهم ، ويوقعون النكال بهم .

﴿ الفارات على جبل سنجار ﴾

تدل الأخبار على ان الحالة في جبل سنجار بعد ان وصلت الى هذا التخرج ، قام أحد زعماء الأكراد وهو « علي سيدي بك » وألف جيشاً من الأكراد وزحف عليهم سنة (١٩٩٣ هـ) وقتلهم قتالاً شديداً وقتل منهم ستماية نسمة وسبي عدداً كبيراً من نساءهم وفتياتهم وذهب بهن الى محله .

وهذا هو أول ما دللتنا عليه الأخبار من هذه الفارات . و « علي سيدي بك » هو من أمراء الأكراد البوطان الذين يعدون يزيدية سنجار من العنصر البوطاني ويفرضون الأتاوة عليهم . وقد خالف هذا الأمير البوطاني العادات والقواعد المتبعة بين العشائر بسببه نساء وفتيات اليزيدية بعد ان نال منهم وهو عمل يعاب عليه ولم يسبقه أحد فيه . واليزيدي يرضى لزوجته وفتاته الموت وان يقطعن أوصالاً على ان يتعن بيد المسلم ، وهو يترفع عن ان يمس المرأة المسلمة بسوء ويعده نقصاً في دينه وشرفه . وقد قدم هذا الأمير على هذا العمل الشائن بعد ان رأى علماء الدين قد أفتوا به ، وسرى ان الحروب التي قامت بين اليزيدية والمسلمين ودامت اكثر من ثلاثة قرون كان سببها اتباع هذه القاعدة معهم .

مضى على حادثة غزو « علي سيدي بك » على سنجار زمن ولم تقف على ما جرى لهم فيه من حوادث . ومن المؤكد انه لم يمض بدعة وأمن وسلام . ويحدثنا اوليا جلبي في رحلته (١٤٢ : ٦) أن « ملك احمد باشا » (١) والي ديار بكر حمل عليهم (سنة ١٠٤٨)

(١) هو صهر السلطان مراد الرابع . يقول صاحب خلاصة تاريخ كرد وكرديستان عنه (ص ٢١٧) : كان من اهم اركان السياسة التركية والتمسكين لها . وكان لا تقوته الفرصة في تطبيق هذه السياسة القاضية بكسر نفوذ الامارات الوطنية والامارات الكردية . وذكر غزوه على سنجار بقوله : وزحف على قلعة سنجار وضيق عليها الحصار وقتل من الاهالي خلقاً كثيراً ودمر البلاد تدميراً . كانت ولايته على ديار بكر سنة (١٠٤٨ - ١٦٣٨ م) ثم عين والياً على ارض روم ، وصاهر السلطان مراد الرابع سنة (١٠٥٤ - ١٦٤٤ م) وعين والياً على بغداد سنة (١٠٦٠ - ١٦٥٠ م) ولم يذهب اليها ، وعين في نفس هذه السنة صديراً اعظم وتوفي سنة (١٠٧٤ - ١٦٦٣ م) عن عمر يناهز الستين سنة .

بجيش مؤلف من ثمانين الف مقاتل فقتل منهم ثلاثة عشر ألفاً وسي اثنى عشر ألفاً . وهذا الخبر اذا كان صحيحاً - ولا نخاله إلا صحيحاً - فيدل على قسوة متناهية في هذا الوالي . واليزيدية مما بلغوا من البغي والعتو فالواجب الانساني لا يجوز قتل وسي هذا العدد العظيم منهم . و « ملك احمد باشا » الذي هو من الجنس الطوراني ويمت بصلة الدم الي « جنكيز » و « هلاكو » اللذان أبادا بضعة ملايين من البشر ، ليس ببدع اذا قدم على عمل كهذا تستنكره حتى الوحوش .

وفي تاريخ جودت في حوادث سنة ١١١٩ هـ : أن زعماء راوندوز قاموا بجشده خلق عظيم من عشائرهم وعشائر الزيبار وقطعوا الفيافي والقفار وغزوا جبل سنجار ، فقتلوا وحرقوا وسلبوا وعادوا مثقلين بالغنائم .

فما هو الذي دعا هؤلاء العشائر لغزو جبل سنجار مع بعدم عنه ، ولا صلة تربطهم به ؟ والجواب هو الدين ! أو ليس من يقتل يزيدياً يكسون غازياً ومن يقتل يكسون شهيداً ؟ والكردي الذي ينام على الطوى ولم يجد ما يقتات به كيف يصبر اذا علم أن هناك أموالاً مباحة ولم يذهب وبأت بها ، وفتيات جميلات ولا يسبي واحدة منهن ويتسراها ؟

وهنا نرى والي بغداد « حسن باشا » (١) يأخذ العدة لغزوهم ويقوم بجيش لجب ويتوجه اليهم وينكل بهم تنكيلاً مريعاً ويجري بحقهم من الأعمال القبيحة ما يخجل القلم من ذكرها ، فقد جاء في حديقة الوزراء للسويدي :

« وفي السنة المذكورة (١١٢٧ هـ) ظهر طغيان أهل سنجار ، ونجم طغيانهم في الليل والنهار ، وهؤلاء يقال لهم اليزيدية ومحبون زيد بن علي (كذا) ويعظمون الشيطان ويعضدونه ، وينهون النازلين بهم أن يشتموه أو يسبوه ، وهم مشهورون بالفجور

(١) هو ابن مصطفى بك الذي كان سباهياً - جندياً خيالا - في جيش السلطان مراد الرابع ثم تدرج في المناصب الحكومية الى ان رفع الى مرتبة وزير في سنة (١١٠٩ - ١٦٩٧ م) . وفي سنة (١١١٦ هـ - ١٧٢٤ م) خلف علي باشا في بغداد وامتدت ولايته نحو عشرين سنة الى ان وافاه اجله في « كرمانشاه » سنة (١١٣٦ هـ - ١٧٢٣ م) بعد ان اخذها من يد الفرس مع مدينة « اردلان » . وقد انعم عليه السلطان بعد وفاته بقلب قآخ همدان ونقل جثته الى بغداد ودفن في جامع الامام ابي حنيفة .

والاصرار على قبائح الامور ، حتى أن الملا حيدر من علماء الاكراد كان يفزوم بتلامذته وأهل قريته وشيعته ، وهم متحصنون بذلك الجبل الشامخ معتقلون بمعقله الباذخ ولم يجر عليهم حكم حاكم ، ولا يتبعون قول عالم ، ينكرون الشريعة الغراء ، ويعتقدون المسلمين من جملة الاعداء ، وقد عجزت عنهم العمال ، وذلت من صولاتهم الرجال ، فلما كثرت أضرارهم ، وزاد على نهب القرى إصرارهم ، غزاهم الملك المظفر ، والاسد الغضنفر بمساكر كالسيل وجحافل رجال وخيل ، فلما قارب جبلهم ، وكاد أن يصرم من احتصاصهم به حملهم ، ابتدروه بالقتال وقابلوه بالحرب والنبال وقاتلوه بالاحزاب والابطال ، فاشتملت بينهم نيران الحرب ، وكثر بين الفريقين الطعن والضرب ، ولكن حزب الله هم الغالبون وأولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، ففرت أعداء الله من بين أيديهم ، وولت هربا تاركين تليد أموالهم وطريف ذراريتهم ، وصعد الدستور بنفسه الجبل بجهاته ، وكثر المرح والقتل في أعداء الدين وعصاته ، فمن نجا منهم بعياله وخيله ورجاله ذهب الى قلعة صغيرة هناك يقال لها (الخاتونية) أهلها مسلمون ، وفيها المساجد المأمرة على ما ينقلون لكنها لما كانت في تلك الناحية ، كانت تحت تصرف الفئة الباغية ، فتحصن من نجا فيها وحاصر بناديتها ، فقابلها الوزير من جميع جهاتها ، وأرى العطب لمن كان في روعها بالطوب المزعج والتفنك المرهج ، فخرج أهلها المسلمون باطفالهم ودخلوا على الدستور بعيالهم وأموالهم فآمنهم وآوأمهم وعذرهم على ما عولوا عليه .

ثم اولئك الانجاس البغاة الارجاس هلك أكثر خيلهم والرجال من بندق التنفك ورشق النبال ، فدخل القرية عنوة ومحققهم بسيف الانتقام ، وحصل بذلك للمسلمين الانتظام وأسر النساء والاطفال واغتتم الجند الاموال ، وأبتاعوا نساءهم وامتنطوا بناتهم وامأتهم وعاد الوزير منصوراً مؤيداً ، محبوباً مسدداً .

وجاء في زبدة الآثار الجليلة :

« كثر ضرر أهل سنجار وهم البيديية عبدة الشيطان ، وقطعوا الطرق ونهبوا القوافل فتجهز والي بغداد حسن باشا بالعساكر وقدم الموصل وسار اليهم وحاصرهم مدة أيام ونهب بعض القرى فيه وقتل من البيديية خلقا كثيراً وغنم مالا جزيلا وملك أغنامهم وأسر

من أبطالهم ونسأهم وعاد منصوراً ، وأرخ بعض الفضلاء في الموصل فقال : (غزاه حسن) .

وجاء في كلشن خلفاء :

« وفي هذه السنة علم الوزير حسن باشا أن طائفة من الاكراد تحصنت في جبل سنجار وتمت هناك بلا حاكم يحكمها وبلا إجراء أحكام الشرع ويعرفون باليزيدية وهم من الاكراد من أجناسهم المختلفة ، وهؤلاء من مدة مديدة وعهد بعيد لم يسيطر عليهم حكام وأنهم التزموا رفع لواء البغي والفساد وصاروا يقطعون الطرق ويلحقون الأذى بالعباد والبلاد .

« إن الوزير المشار اليه علم من واجبه الاسلامي وغيرته الدينية ان يظني نيران مفساد هذه الطائفة ويقوم بمصاريف باهضة لوجه الله تعالى واختار ان يعد المعدات الوافرة والمساكر المتكاثرة فجهزها عليهم . وهذه الطائفة وإن كانت سارعت للمقابلة وقامت بالقتال ، إلا ان الوزير المشار اليه دام نصره ، دخل الجبل بنفسه ومعه خيالاته ومشاته فخرض جنده وساقه عليهم وحينئذ قتل أكثر الأعداء بسيف قهره ، وثأر منهم فانكسروا .

« ثم لجأوا الى قرية في القرب من تلك الأنحاء يقال لها « الخاتونية » وهذه فيها الجوامع والمساجد ويسكنها المسلمون ، ولكن هذه الطائفة استولت عليها وتحصنت بها وان هذه القرية محاطة بالمياه من سائر أطرافها ومساكنها في وسط الجزيرة وليس لها إلا طريق واحد ينفذ الى القرية او يخرج منها .

« أما المساكن المنصورة فلها اتخذت المتاريس وخوفاً من ان ينجو الأعداء من الطرف الآخر قد اقتحموا بحر الخطر ، وفي هذه الاثناء هلكت نفوس كثيرة من الجانبين ، ثم إنه في اليوم الثاني قد خرج المحصورون بأطفال المسلمين الفقراء ممن كان يسكن هناك في تلك القرية من القديم ، وتوسلوا بطلب الأمان والعفو فأعطي لهم . وعلى هذا قتل كثير من مشاهيرهم وأسر آخرون وعاد الوزير منصوراً وجعل حكومتهم ، وأمر إدارتهم الى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم وأوصاه بالقيام بشؤونهم .. »

أن اليزيدية الذين وقع عليهم هذا التنكيل - على ما نرجح - هم السموقيون والقيراونيون سكان شمالي سنجار لقربهم من بحيرة « الخانونية » التي لجأوا إليها ، وكان تنكيلاً قاسياً ومرأياً . على أن اليزيدية لم يبقوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا التنكيل ولهم من القوة والشجاعة ما ليس للجيش الحكومي وقد أشار مؤلف كلشن خلفاء إلى أن نفوساً كثيرة هلكت من الجانبين . وفي أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث : ان كتخدا الوالي قتل في هذه المعارك . فكم إذن عدد الذين قتلوا من الجيش في هذه المعركة ؟ وقد أطرى الشعراء والكتاب هذا الغزو الناجح وأرخواه بـ « غزاه حسن » ووضعوا أكاليل الظفر على هامة هذا الوالي وهو فاتح همدان وكرمانشاه وأردلان . إلا أننا كنا نود ان لا يحط من قيمة هذا الغزو الرائع بما أجراه جنده من الأفعال الشنيعة مع بنات اليزيديين وإمامهم . ويشيد مؤلف حديقة الوزراء بهذه الشناعة ويعدها مفخرة من مفاخر الوزير وإذا كان بقي ذكر هذه الحادثة في طيات التاريخ فاليزيدية لا يزالون يذكرونها في أغانيهم الشعبية ويتوجعون لها .

وبعد ان تمت هذه التنكيلات الصارمة المريعة لفاتح همدان وعاد منصوراً مؤيداً محبوراً مسدداً ويحمل معه من الأسلاب والسرايا ما لم يدخل تحت حساب . ما هو نوع التشكيلات التي اجدها في الجبل لمحافظة الأمن ومنع تكرر وقوع هذه الحوادث في المستقبل ؟ ان صاحب « كلشن خلفاء » يقول : جعل حكومتهم وأمر ادارتهم الى شيخ طيء الذي هو بالقرب منهم ، وهو عمل سخي ف جداً وبدل على جهل هذا الوالي وعدم تقديره الوضع الاداري والعشائري في جبل سنجار . ومن يكن شيخ طيء حتى يجعل حكومتهم وأمر ادارتهم اليه ، وشيخ طيء نفسه بحاجة الى من يحافظه منهم ؟ وفي سنة ١١٦٧ هـ نجد والي بغداد « سليمان باشا » (١) يقوم بحملة كبيرة ويتوجه

(١) هو احد مماليك حسن باشا والي بغداد ويرجع الى اصل كرجي من منطفة تفليس ، وقد ساعدته مزايه المتازة من احراز منصب ولاية بغداد بعد ان عين والياً على « اطنه » و « البصرة » . كان على جانب من الاضطلاع بالامور ، قويا حازماً مهيباً بعيد النظر في الشؤون الادارية . وقد تمكن من القيام باعباء ولاية بغداد المترامية الاطراف ، الصعبة المراس ، بحكمه القوي وهيبته الشديدة الناجحة ، ولم يعكر صفو مملكته اي عدو كان . وقد لقب « بابي ليلة » لتخفيه في الليل وخروجه متنكراً للاضطلاع على الحوادث التي تجري في الخفاء . وفي دوحة الوزراء انه كان يسمى (اباسرة) و (دواس الليل) .

الى جبل سنجار . وسليمان باشا هذا رجل شديد البأس قوي البطش ، فكان لملته أثر أشد وأقوى مما تركته حملة « حسن باشا » في نفوسهم ، واليزيدية على بعد العهد يذكرونها . وهذا ما قاله مؤلف « الدر المكنون » عنها :

« إن والي بغداد « سليمان باشا » غزا جبل سنجار وحاصرهم واستولى على قراهم . ثم نزلوا يطلبون منه الأمان وأقاموا هناك ، فأمر العسكر فحملوا عليهم من كل مكان وقتلواهم عن آخرهم وكانوا أكثر من ألف رجل ومعهم بعض النساء وقتل من العسكر ما يتان » .

وذكر « لونكر بك » في مؤلفه هذه الحادثة بقوله : « وفي سنة ١١٦٧هـ (١٧٥٣م) استدعت غزوات اليزيديين وعنفهم في جبل سنجار تجريد حملة واسعة النطاق ، فقد جاء أبو ليلة (أراد به سليمان باشا) بقوة عظيمة الى الموصل ، فعاضده في حملته هذه أمين باشا الجليلي بتجربته وإخلاصه » .

وفي الرسالة التي عزاها الدكتور قسطنطين زريق في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) الى اسماعيل بك اليزيدي ما يزيدنا وقوفاً واطلاعا على هذه الحادثة ، ونعتقد انه أخذه من الأفواه ومن أغانيهم الشعبية التي يرددونها ، هذا نصها :

« في ايام عمر اغا من عشيرة عمران الموجودة الآن في سنجار ، وامارة (بداغ بك) على اليزيدية ، ورياسة ولي محمود على المهر كان ، ومندي محمود على سموقة وقيران وجميع اليزيدية الرحالة ، حضر (سليمان باشا) التركي ومعه عساكر كثيرة تزيد على خمسة طواير ونفير عام لا يحصى له عدد ، ونزل بمحل يسمى (كوري كورك) قريباً من (شرف الدين) ولما أحس به اليزيدية انهزموا واختفوا في الكهوف والمغارات وبقوا مختمين نحو ثمانية ايام . فأرسل (سليمان باشا) الى عشيرة (العمران) وبيت الخالة (أراد بهم بيت خالد) وهم نحو ألف بيت وكان محلهم يبعد عنه ساعة واحدة يدعوم الى ان يعرضوا داخلتهم عليه على أن يحضروا هم وأولادهم ونساءهم وجميع اموالهم . فانصاعوا لأمره ونزلوا على العسكر ، وبعد ان جردهم من سلاحهم أمر العساكر أن تحيط بهم ، ولم يمض ساعتان من الليل إلا وهجموا عليهم بالمدافع والسيوف والبنادق

وقتلوهم عن آخرهم . (يقول) : وكانوا ثلاثة فرق : الاولى في جهة الغرب ولم ينج منهم سوى ثلاثة اشخاص ، والفرقتان الاخرتان في جهة الشمال وقد قتلوا على بكرة أبيهم ، والذين طلوعوا الى الجبل نجا منهم اربعة عشر شخصاً فقط ، وقد سبت المساكن نساءهم وفتياتهم الجميلات وذهبوا بهم الى ديارهم ... »

وهذه الرواية أصح ، وقد حفظتها الاناشيد الشعبية التي يرتلونها في نواديهم ومحافلهم (١) والحقيقة انهم جاؤوا بأمان من الوالي لكنه أمر المسكر فقتلهم جميعاً لا كما جاء في « الدر المكنون » انهم نزلوا يطلبون الأمان وقتلوا ، والفرق بين الخبرين واضح . وهذا لا يتفق مع كرامة الحكومة . وكان بوسع هذا الوالي الذي يسمونه « دواس الليل » ان يتعقبهم بقوته الكبيرة وينال منهم لا ان يدعوهم اليه بالأمان ويقتلهم بالخيانة والقتل . ويظهر ان قتله ألف رجل وامرأة من البيزيدية لاقى استحساناً من السلطان فأمر باهدائه فروة فاخرة كما دلنا عليه مؤلف اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث .

ولما دخلت سنة ١١٨١ هـ - على ما جاء في زبدة الآثار الجلية - جهز الوالي (محمد امين باشا) ، ولده سليمان باشا بالمسافر وأرسله الى قتال اهل سنجان البيزيدية فسار اليهم وحاصرهم ، فأرسلوا يطلبون الأمان ، وبعثوا النساء وبعض الرجال : فأمنهم على أنفسهم وشرط عليهم أن يعطوه ألف رأس من الغنم وثلاثة رؤوس من الخيل ، فقبضوا الشرط ، وأرسلوا ثمانمائة رأس من الغنم والخيل المذكورة وامتنعوا عن اداء الباقي ، فخار بهم سليمان باشا ساعة وقتل منهم سبعة أنفس ، وقبض على أميرهم وخمسة رجال منهم ، وقتل من المسكر اربعة أنفس وعاد الى الموصل وسجن الأسرى .

وذكر في حوادث سنة ١١٨٧ هـ :

« وفيها سار بالمسافر والي الموصل سليمان باشا ونزل جبل سنجان وقبض على ثلاثة منهم ، ثم سبي ثلاثة غلمان ونهب اغنامهم وعاد الى الموصل »

(١) هذه الاناشيد هي من الشعر القصصي تتضمن اخبار الحروب وما نالوه من انتصارات او حل فيهم من محن وما آسى ، وفيها من اخبار الحب والغرام ، ينشدونها في اداء شجي يحرك كوامن النفس ويهيج العواطف ، ومنها ما ينشدونه وقت الحروب فيثير فيهم الحماس .

وذكر في حوادث سنة ١١٩٣هـ :

« وفيها جهز والي الموصل سليمان باشا الجليلي العساكر وأرسلهم مع أخيه (محمد باشا) ونزل على جبل سنجار أواخر رمضان فأكلوا زروعهم وقبض على خمسة رجال منهم وعاد الى الموصل » .

وفي مطالع السمود :

« ولما دخلت سنة ١٢٠٦ هـ ، سير الوزير سليمان باشا (والي بغداد) مع لطف الله افندي جنداً لمحاربة من تحصن بالجبال من الأعداء ، فكروا عليهم كرسود الغاب فما كان إلا هز العامل وسل القرضاب ، غنموا أموالهم بعدما حزوا الرقاب » .

أما الأورخ جودت فقد ذكر أن هذه الحادثة وقعت عام ١٢٠٩ وذلك أن والي بغداد سليمان باشا أرسل حملة كبيرة تحت قيادة أحد رجاله المدعو (لطف الله افندي) وزوده بصلاحيه واسعة لأجل تأديب أهل سنجار ، وبعد ان انضم اليه كثير من القبائل والعشائر هاجمهم من عدة مواضع في الجبل وأوقع فيهم القتل والنهب والأسر وأدخلهم حضيرة الطاعة والاستسلام ثم عاد الى بغداد .

يقول : وبعد عودة لطف الله الى بغداد عادوا الى سابق أعمالهم وأعلنوا عصيانهم ، فأخذت الحكومة تهتم بأمرهم من جديد وتواصل حملاتها عليهم .

وعلى ما جاء في زبدة الآثار الجلية في حوادث سنة ١٢٠٧ أن محمد باشا الجليلي والي الموصل سار بالمسافر أول يوم من رمضان (وهو آخر يوم من آذار) ونزل على أهل سنجار من جهة القبلة وملك منهم ثمانين قري وأحرقها بعدما نهبا وحصد زروعها ، وكانت أكثر من عشرين ألف تغار (١) وقتل منهم اثنين وأسر أربع عشرة امرأة ، ثم أطلقهن وعاد الى الموصل يوم الاحد ثاني شوال .

ويقول في حوادث سنة ١٢٠٨ : « وفيها : في أواخر رمضان سار من الموصل محمد

(١) وهذا وهم منه وزيدية سنجار باسم سكان الشمال والقبلي لا يملكون هذه المساحة من الاراضي ولا عندهم بنور يملئونها ، ويحتاج حصدها الى ما لا يقل عن (٢٠٠) الف نسمة .

باشا بالمسار و نزل على أهل مهر كان من أهل سنجان و حاصروه و نخرج منهم على غفلة من العسكر نفر و ضربوا الرصاص فانكسرت أربع فرق من الينجيرية و زعماء الموصل و ثبتت فرقة منهم مع الوالي و خرجوا سالمين و قتل واحد منهم و من تلك الفرق سبعة أنفس و ثبت « محمد باشا » و معه نفر يسير و عادوا سالمين .
وفي غرائب الأثر :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٨) خرج محمد باشا الجليلي من الموصل بالمسار و توجه الى سنجان و نزل على « مهر كان » و أغار على أغنامهم و أكل عامة زروعهم و عاد الى الموصل ثم بعد أيام كر راجعاً الى سنجان في أواخر رمضان و حاصروهم و أغار العسكر على قرايم و تفرق العسكر بالأودية فخرج من المهر كان جمع فانكسر عسكر الموصل و ثبتت الفرقة منهم مع الوالي و قتل من المهزمين سبعة و ملك المهر كان المدافع و عاد محمد باشا الى الموصل و صادر الينجيرية المهزمين .

وهنا نجد ولاية الموصل الجليليين يكثر من غزو اليزيدية في هذه الحقبة حتى يفزوم « محمد باشا » مرتين في سنة واحدة كاد ان يذهب في المرة الأولى والثانية ضحية بيد المهر كانين و تحل به عين الكارثة التي حلت « بعبد الباقي باشا » الجليلي على أيدي يزيدية الشيخان سنة ١١٩٩ ، وهذه الغزوات أصبحت عادة مستأصلة في نفوس هؤلاء الولاة ولم يطبقوا صبراً على تركها ، والجليليون في غزواتهم على سنجان أخف وطأة من ولاية بغداد ، ولم يسرفوا في الأسر والقتل ، ولم تتعد غزواتهم الجهة القبيلية من الجبل ولو وجهوا حملاتهم الى جهة الشمال لعسر عليهم الأمر .

وفي الآثار الجلية في حوادث سنة ١٢٠٩ ان الحملة التي أرسلها والي بغداد لقتال الحاج سليمان بك الشاوي سارت الى سنجان و أغارت على آفند مقدم « الكييارية » و « الخركية » وكان قد أسلم و أظهر الاسلام في عشيرته و قتلت منهم ٦٠ رجلاً وأسرت ٦٠ امرأة و ولدآ و غنموا أموالهم و ستة عشر الف رأس غنم و بقر و جمال و حمير و دواب و هرب من سلم الى الجبل وهو « آفند » بمن معه ، و يضيف الى ذلك قوله : « وكان أكثر الأسرى من العرب الساكنين في الجبل » .

وجاء ذكر هذه الحادثة في غرائب الأثر على الوجه الآتي :

« وفيها (اي سنة ١٢٠٩) أرسل والي بغداد سليمان باشا العساكر مع الأمير عبدالله بك أخي احمد كهية ، وعبدالرحمن باشا والي السليمانية وسيرهم لمحاربة سليمان بك الشاوي فرحل من أمامهم وسار الى الخابور ووصلت العساكر الى تكريت ، وساروا الى مدينة تلعفر وتوجهوا الى سنجار ، وأغاروا على الكيبارية والخركية عند الصباح فهرب مقدمهم « آفند » بمن معه ودخلوا الجبل وقد قتلوا منهم ستين رجلاً وأسروا ستين امرأة وغلاماً وجواري ابكاراً وملكوا ستة عشر الف رأس من الغنم سوى الجمال والحيل والبقر والحمر . »

نقول : وهذا عمل فظيع جداً ، وعشيرتا الكيبارية والخركية اللتان حلت بها هذه الكارثة ، وإن لم يبق لهما الآن ذكر في جبل سنجار ، نرجح أن تكونا أخذتا اسم « مندكان » باعتبار أن « آفند » او « هافند » الذي أسلم كان رئيس المندكان ، فإلندكان أكثرهم مسلمون وقد أسلموا بعد أن كانوا على البيزيدية . واذا كانت أعمالهم استدعت هذا النكال ونهب ما حوته أيديهم من ماشية ومال ، كيف يصح سبي (٦٠) امرأة وغلاماً وجواري أبكاراً منهم وأكثرهم من العرب القاطنين في الجبل ؟ وأن الفتاوي التي أصدرها العلماء بحق البيزيدية - اذا صح العمل بها - هل يجوز تطبيقها بحق المسلمين ايضاً فتصبح نساء المسلمين وفتياتهم مباحة لمالوج الانكشاريين ؟ أم ان هذا الجبل باعتباره يزيدياً بدمه ولحمه وجب سبي كل امرأة او فتاة فيه دون تفريق بين عقيدة ودين ؟

وفي حوادث سنة (١٢١٥هـ) من غرائب الأثر أن عصابة من يزيدية سنجار نهبت قافلة كانت قادمة من ديار بكر في موقع جربارات (والصحيح جربارات تقع على الحدود العراقية السورية) ومعهما ستون حمل كتان سوى القماش ، فنزل عليهم « عمر باشا » المي في عودته من بغداد وكان قد صار وزيراً وعين والياً على مدينة « اورفة » ، فحاصرهم وطلب منهم أموال القافلة فأعطوه ثمانين بغلاً وفساً وحمراً وبعض المال .

وفي هذه السنة سافر والي الموصل « محمد باشا الجليلي » الى سنجار وحاصرها وجرى له وقعات وعاد الى الموصل .

وفي حوادث سنة (١٢١٧هـ) من نفس المصدر : « أن علي باشا بعد أن عاد من قتال «البلباص» (١) ، نزل في الخيام خارج الموصل وتوجه الى جبل سنجار وحاصره من جهته الشمالية ، وأمر العرب محاصرة قبلته ، ثم قدم الى الوزير «الحاجي رجب» ومعه ستماية مقاتل حسبة لله من قبيلة الاكراد الزيبار وجرت لهم معهم وقوات عديدة . ولما دخلت سنة (١٢١٨هـ) وهم لا يزالون على جمعهم قال :

« شدد الحصار على جبل سنجار فأطاعته فرقة ودام القتال أياما وأمر بقطع أشجارهم وهدم قراهم ونهب أموالهم واخراج خباياهم ، فنزلوا وأطاعوا ، وشرط عليهم أن يعمرؤا قراهم أسفل الجبل فقبلوا ما أمرهم به ، ثم نصب عليهم أحد أمراء الجبل ، وكان قد أسلم ولعن الشيطان ، ورحل علي باشا .

وفي «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بعد أن ذكر مسير «علي باشا» لتأديب البلباص واذعائهم له من دون مقاومة قال : « ثم عبر الى الموصل فوجد مدة «محمد باشا» الجليلي الطويلة كانت على وشك أن تنتهي وعزز قوته بجيوش الباشوية هذه فسار للقضاء على لصوص جبل سنجار ، فأدت أساليب الحصار والضغط المتوالي الى طرد الزيبدين من كهوفهم والى اضطرارهم الى التسليم بشروط قاسية .

وذكر المؤرخ التركي جودت في تاريخه هذه الحادثة على هذه الصورة :

في سنة ١٢١٧هـ جهز «علي باشا» والى بغداد حملة كبيرة وتوجه بها الى سنجار وعندما قرب منه أخذ الزيبدية يلوذون بالفرار ويتحصنون بالكهوف والمغارات واستعدوا لمقاتلته ، فشدد عليهم الحصار وخرّب كرومهم واضطرهم الى التسليم وأجرى بعض الاصلاحات وعاد الى بغداد سنة ١٢١٨هـ .

وفي تاريخ جودت أيضاً في حوادث سنة (١٢٢٤هـ) أن «سليمان باشا» والى بغداد سار الى جبل سنجار بقوة كبيرة مجهزة بست بطاريات ومعه «محمد بك» أمير الكوي واحتل قرية لهم وأعمل السيف برجالها وسبي نساءها وأظهر من الشدة والصرامة ما ألقى الخوف والرعب في قلوب الزيبدين ، فتركوا أوطانهم واعتصموا برؤوس الجبال والتجأوا

(١) عميرة كردية قوية تسكن منطقة «اوشنو» في إيران ، وراوندوز ورائية في العراق وتنقسم الى ثلاثة شعب كبيرة وهم : بيراني ، ممش ، منكور ، ولكل شعبة فروع كثيرة .

الى الكهوف والمغارات واستعدوا للقتال ، وعندما أدرك « سليمان باشا » عجزه عنهم ترك الجبل وتوغل في تمقيب عشيرة « الظفير » التي كانت قد هربت الى « اركة » .
جاء ذكر هذه الحادثة في مطالع السعود على الوجه الآتي :

« في هذه السنة (اي سنة ١٢٢٤ هـ) غزا « سليمان باشا القميل » ديار بكر بجيش عظيم لتأديب « الظفير » وقبيلة من « عنزة » كبيرهم « الدريمي » وكان خروجه في ٢٥ من المحرم ، فلما جاوز الموصل شن الغارة على أهل سنجار ، فصبغ القرية المعروفة بـ « البلد » وغنم وسبي وتحصن من بقي من اهلها في ثنية من ثنايا سنجار . ثم لما لم يمكنه الوصول توجه الى الظفير والعزبين » .

وفي غرائب الأثر : « ثم توجه الى سنجار ونهب مدينة البلد من اعمال سنجار . ثم نهب قرى المهركان وقلع اشجارهم وخرّب ديارهم ، وأعمى آثارهم ثم نزل الى جهة الشمال من سنجار وحاصرها أياماً ، ثم رحل وتوجه الى جهة الخابور فبلغ الظفير والدريمي خبر قدوم العسكر فهربوا » .

وهنا نقف متسائلين : هل كان ولاية بغداد والموصل على إصابة وحق في غزواتهم التي كانوا يقومون بها على جبل سنجار بهذا الحماس الشديد ؟ وهل كان البيزيديون مستحقين هذا الغزو المتواصل ؟

إن أحداً من المؤرخين لم يتعرض لهذه الناحية ، وكل ما قالوه لم يخرج عن ذكر ما كانت توقعه الحكومة من تخريبات في هذا الجبل وتناله من انتصارات وتكسبه من غنائم . ورب قائل أن هؤلاء الولاة لم يجيشوا الجيوش ويختاروا مشقة السفر الى سنجار ويعرضوا أنفسهم لشتى الأخطار والمهالك إلا بعد أن يكون قد تفاقم أمر هؤلاء البيزديين وعظم خطبهم ! وهذا وان كان صحيحاً ، والأعمال التي أتوا بها مهما عظمت ، لا تستوجب واحدة من الحملات التي كان يقوم بها « حسن باشا » فاتح همدان ، وسليمان باشا دواس الليل ، وعلي باشا ، والباشوات الجليليين ، لا سيما حملة « ملك احمد باشا » التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً وأسروا اثني عشر ألفاً ، وكثيراً من الأمراء الأقطاعيين الأكراد ، كانوا يأتون من الأعمال التي تعرض سلامة الدولة الى الخطر وتمددتها في

استقلالها وتام ملكيتها ، وهي تتغافل عنهم ، واذا أعيأها الأمر تأخذ في تأديبهم ولكن سرعان ما كانت تغفو عنهم وتغمرهم بالانعامات وتزين صدورهم بالرتب والنياشين وتزيدهم في اقطاعاتهم . وكثيراً ما كانت توجه رتبة الوزارة الى أحد اللصوص وتطلق يده في أعمال الادارة وتعينه والياً ، وتأتي بالآخر وتعمله قائداً ، بينما يزيدية سنجار لم يتحسبوا بهذه الروح ، ويحملوا فكرة سياسية ترمي الى طلب الاستقلال . وكل ما كان منهم ان سلكوا طريق البغي والشقاوة لمخالفتهم المسلمين في عقائدهم واصرار الحكومة على الايقاع بهم في الوقت الذي كان بالامكان معالجتهم من طريق آخر أقل خطراً والحكومة ليس لها أن تنتظر منهم خضوعاً وطاعة ، وقد أفنى علماءها بوجوب قتلهم وقتالهم واستحلال أموالهم ونسائهم ، والولاية يطبقون احكام هذه الفتوى بحذافيرها بحقهم . ان هؤلاء اليزيديين الذين قصروا حياتهم على الحرب والضرب ومقارعة الأعداء ، والاستئثار بالقوة واحتقار الموت ، ويمبرون عن مواطنهم تارة (بمقل الأسود) وتارة (بوكر الصقور) يصب عليهم ان تحتطف نساؤهم وفتياتهم من أيديهم ولا يشوروا على المجتمـع ويصبوا نيران سخطهم ونقمتهم عليه . وكان على الولاة الذين يحملون مسؤولية المملكة ان لا يسرفوا في أعمال البطش والفتك بهؤلاء القوم ويكثروا من هذه الحملات عليهم وهي لا تولد سوى إثارة الضغائن وتشدد أسباب الكراهية والنفور .

وكان القاري يتهمني بموقفى هذا بالتحيز لليزيديين ، ويراني غير محق في توجيهي اللوم الى رجال الادارة في ذلك العهد ، ولكنى ككاتب مؤرخ لم أر بداً من المجاهرة بالحقيقة . وإني على اعتقاد من ان رجال الادارة لو سمعوا في اصلاح هذا الشعب من طريق آخر غير الطريق الذي سلكوه معهم ، لوجدناه اليوم من خيرة الشعوب وتقدم في مضمار الحضارة ونال اكبر نصيب من الحياة .

ان ما لاقاه هذا الشعب من الشقاء والبؤس على أيدي الولاة العثمانيين كان يلاقى أمر وأقس منه من أسماء البوطان ، إذ كانوا يفرضون طاعتهم عليه فرضاً ويجبون الضرائب منه بالقوة ، وكان آخرهم الأمير بدرخان . يقول الرحالة والمنقب الانكليزي السر هنري

لا يارد وكان قد زار جبل سنجار في كلامه عن الأعمال التعميرية التي كان يجريها الأمير البوطاني باليزيديين : « كانت هذه الغزوات السنوية من جملة منابع واردات « بدرخان باشا » كما انه كان قد اعتاد لها باشوات الموصل وبغداد ايضاً ، والغرض منها إبادة هذا الشعب الذي سلك في دينه طريقاً همجياً لا ينطبق على الحكمة والعقل ، زد على ذلك اجراء الضفط عليهم لكي يبيعوا اولادهم ويتركوا اوطانهم ويهاجروا عنها . »

وأمره البوطان يعدون يزيدية سنجار من شعبهم البوطاني وقد هاجروا من الجزيرة الى هذا الجبل في اول عهد ظهورهم فيه كما يعدون « الطيارين الآشوريين » من الشعب البوطاني ايضاً باعتبارهم هاجروا الى هذا الوادي (١) منذ ثلثماية سنة وكان بدرخان باشا يستوفي الضرائب منهم .

يقول لا يارد : « ولشدة ما أصابهم (يعني اليزيديين) من المظالم فقد شكوا عصابات وهاجروا النواحي المجاورة لهم وأغاروا على القوافل ونهبوا كل من وقع بيدهم من الأكراد دون رأفة او رحمة ، حتى ألقوا الرعب في قلوب كثير من الناس ، وقد سببت أعمالهم هذه استياء الحكومة وغضبها عليهم . فأرسلت « محمد رشيد باشا » و « حافظ باشا » الواحد تلو الآخر وجملتهم ألواناً من العذاب . »

ان حملة « محمد رشيد باشا » على سنجار زجج أنها وقعت عام ١٢٥٢ (١٨٣٥ م) عندما كان يقوم بمهمة الاصلاحات في كردستان والقضاء على الامارات الكردية الاقطاعية فانه بعد ان قمع الاضطرابات في « ماردين » المشاغبة ، وفصل تلك المنطقة فصلاً نهائياً عن الموصل وألحقها بديار بكر ، وقبض على « صفوك » عظيم شمر وبعث به الى اسطنبول توجه الى سنجار وأوقع فيها . وأما حملة « حافظ باشا » فتصادف سنة ١٢٥١ (١٨٣٤ م) وكان هولها أشد من حملة « محمد رشيد باشا » واليزيدية لا يزالون حتى يومنا هذا يذكرونها ويذكرون ما لاقوه من هذا القائد من أهوال وشدائد بينها لم يذكر أحد منهم « محمد رشيد باشا » ويعرف شيئاً عنه .

(١) يدين سكان وادي أشوت المعروفين بالطيارين بالذهب النسطوري وكانوا يسكنون فلاجال البوطان ، ولما اريد ادخالهم الكنيسة الكاثوليكية أبوا وفروا الى هذا الوادي وظلوا على نسطوريتهم الا انهم أضاعوا جنسيتهم واصبحوا اكراداً - هذا ما اراه .

ونستدل من الأخبار المنقولة عن هذا القائد انه كان جباراً مخيفاً جاء الجبل وهو عازم على قطع جذور هؤلاء القوم وإبادتهم لتكون آخر عملية تقوم بها الحكومة العثمانية في هذا الجبل وقد أظهر من الشدة والقسوة ما لم يفعله اي انسان يحمل ذرة من الشعور أما مقدار جيشه والحركات العسكرية التي قام بها ، وصورة احتلاله الجبل فلم نعلم شيئاً عنه إلا ان الذي نعلمه أنه أباد ثلاثة أرباع نفوس اليزيديين . واذا فرضنا ان نفوسهم كانت اربعين الفا - كما قدره البعض - فيكون قد أباد ثلاثين الفا والباقيون هربوا ، وبعضهم أسلم وكثير منهم من ظل على اسلاميته .

يقول لا يارد : « عندما فاجأ الجبل » محمد رشيد باشا « و » حافظ باشا « التجأ اليزيدية الى الكهوف والمغارات قصد ان ينجو بأرواحهم ، إلا ان ذلك لم يقدم شيئاً بل اختنقوا بدخان النيران وقتلوا بالبنادق والمدافع وأبىد ثلاثة أرباعهم . »
ويظهر ان ترك « حافظ محمد باشا » هذه البقية من اليزيدية أحياء لم يرق لحكومة السلطان وعدت عمله ناقصاً فأودعت إكمالها الى الأيكة بايراقدار « محمد باشا » والي الموصل ، إذ يقول استيفن لونكريك في مؤلفه اربعة قرن من تاريخ العراق الحديث : « سحق اليزيديين في سنجار ثانية جند جاء من خارج العراق يقودهم حافظ باشا وتولى في سنة ١٨٣٨م - ١٢٥٤هـ الأيكة بايراقدار العمل غير الكامل في كردستان . »
وفي تقويم الموصل لسنة ١٣١٢هـ أن والي الموصل الأيكة بايراقدار حمل على سنجار بعد أن أخضع تلغفر المتمردة وقتك فيهم وكان يقطع رؤوسهم ويضعها في غرائر ويرسلها الى الموصل لأجل العبرة والأرهاب .

وفي عام ١١٦٠هـ - ١٨٤٤م حمل « محمد شريف باشا » والي الموصل على سنجار وأجرى فيه من الدماء سيولا حتى يقال أن حملة الأيكة بايراقدار لا تعد شيئاً مذكوراً بجانبها .

ثم أعقبها في السنة التالية حملة « محمد باشا » الكريدي ، وكان أشد الولاة هولاً وأكثرهم رعباً وخوفاً ، فآخس فيهم قتلاً وتعذيباً ، وقبض على زعيمهم الديني « الشيخ ناصر » وألقاه في السجن .

وفي عام ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م عين « طيار باشا » والياً على الموصل فذهب الى قرية « مهركان » في سنجار للتحقيق عن المظالم التي أجراها الوالي السابق محمداشاه الكريدي معهم ، فطلب حضورهم ، فلم يجيبوا وخافوا من أن يغدر بهم وهم لا يشقون بالمواعيد التي يعطيها الولاية لهم ، وهناك ظهر أموراً ليست في الحسبان . وهذا ما ذكره هنري لايرد وقد شهد هذا الحادث فقال :

« ذهب طيار باشا الى سنجار قصد أن يقوم بالتفتيش بخصوص جمع الأموال الأميرية ويحقق عن المظالم التي أجراها الوالي الذي كان قبله في الموصل بحقهم ، ودعا زعماء اليزيدية وكبارهم لمواجهته في مهركان . ومهركان من اكبر قرى اليزيدية في سنجار، وقد قاسى أهلها أشد العذاب من محمد باشا وقتل كثيراً منهم ، فامتنعوا عن مواجهة طيار باشا خوفاً من ان يعاملهم بالجور والجفاء وأصرروا على عدم مقابله رغماً على المواعيد التي وعدهم بها . وقد أرسل أحد قواده اليهم لكي يؤمنهم على حياتهم » .

يقول : « وقد رافقته أنا أيضاً ، وعند وصولنا القرية أطلق اليزيدية بنادقهم علينا فأصيب فارسان وهرب الباقون ، ففضب الباشا وأمر المسكر ان يهجموا على القرية إلا ان الأهالي كانوا قد التجأوا الى مضيق كثير الكهوف واجتمعوا فيه ، ثم ان المسكر دخلوا القرية وقتلوا من وجدوا فيها من شيوخ وعجائز وأوقعوا فيها النهب وأحرقوها وجرت مقاتلات بين المسكر واليزيدية المتحصنين في الجبل وقتل قاضي المسكر وكثير من الطرفين .

وفي الرسالة التي نشرها الدكتور زريق في كتابه (اليزيدية قديماً وحديثاً) عن لسان اسماعيل بك اليزيدي جاء ذكر هذه الحادثة بشكل آخر ننقلها بتصرف :

« حضر طيار باشا سنجار بعد « خزندار باشا » ونزل بالصولاغ - نهر ينبع قريباً من قرية تبة - وأرسل رجلاً اسمه « معمكي آدى » الى المهركان ليلفهم اداء اربعة اكياس من الدراهم الى الحكومة فامتنعوا . وكان رئيسهم « عيسى آدى » - جد داود الداود و « علي ناغوش » ، فسار اليهم طيار باشا بعسكره وكانوا ألقاً ، فأرسلوا نساءهم وأولادهم الى الجبل وتحصنوا بمضيق « بيريني - بيريني » واختفوا بين الأحجار

والصخور ، وهناك دارت رحى الحرب بينهم وأسفرت عن قتل مائتي نفر من عسكري طيار باشا ، ولما رأى انه مغلوب طلب الأمان من المهركانيين ليدفن قتلاه فأذنوا له وعاد الى الموصل .

ونرجح رواية لا يارد لوقوفه على الحادثة بنفسه وهو شاهد عيان لها . و « خزنة دار باشا » لا نعرفه وهو قائد عسكري واليزيدية يذكرونه بخير .

لقد بقي الجبل - بعد حادثة طيار باشا - في نجوى من هذه الحملات نحو خمسين سنة ، وسببه ان الحكومة لم تكن لترى بعد هذا معالجة المشاكل الداخلية بالعدل والشفقة ، وأخذت تميل الى اتباع سياسة عادلة ورشيده ، وقد أدركت ان الظروف الحاضرة لا تسمح لها بعد هذا بعمل غير انساني ، والأجانب واقفون لها بالمرصاد ويحاسبونها على كل صغيرة وكبيرة تقع في بلادها ، والانكليز يظهرون عطفهم على اليزيديين منذ عهد « لا يارد » وكان يوقفهم على الحوادث التي تقع لهم . واذا كان الجبل بقي هكذا زمناً بعيداً عن الغارات والغزوات التي كانت تشنها الحكومة عليه وكف العلماء عن اصدار الفتاوى بحرقهم ، فالعداء بينهم وبين عشائر العرب ، ما زال باقياً . فكانت عشائر شمروطي والجبور والمكيدات يقومون بغاراتهم عليهم وينهبونهم ويقتلون من يقع بأيديهم منهم . ولكنهم لم يمسوا حريمهم بأذى وسوء ، واذا وقع بيدهم امرأة يزيديية يعيدونها الى أهلها بكل أمانة ، واليزيديون يقابلونهم في حروبهم بالمثل ، يخرجون اليهم بقوة كبيرة ويباغتون القرية او المجتمع الذي يقصدونه فيوقعون فيه القتل ويدمرونه تدميراً ويعودون . وكانت الغارات التي يقوم بها الجانبان على غاية من القسوة والصرامة لم يكن للشفقة والرحمة أثر فيها لا سيما اليزيديون ، فكانوا يجرون بالمسلمين طبق ما كانت تجريه الجيوش الحكومية بهم من قتل الشيوخ والعجائز والأطفال حتى الأجنة . وهنا نذكر لهم حادثتين من الحوادث الكثيرة التي جرت لهم مع المسلمين تدلنا على شدة روح الانتقام التي يحملونها في صدورهم لهم :

الحادثة الأولى : غزا أهل قرية « مهركان » قرية من قرى الكركرية تسمى « فقة »

نحوي اربعين بيتاً من قبيلة « الصادا » وهي تبعد نحو مرحلتين عنهم وكانوا لا يقولون عن مائتي رجل . ولما وصلوا القرية وكانت الشمس قد آذنت بالغروب حطوا رحالهم وراء أكمة تقع قريبة منها وأرسلوا اليهم حادياً لهم جاؤوا به ليغنيهم في الطريق ويعيد اليهم ذكريات الماضي ويشير فيهم شجونهم ، أرسلوه اليهم ليتجسس أحوالهم ، ويعرف قوتهم ، ويقف على دخائلهم . دخل الحادي القرية ولم يعرف أهلها من أين جاء وماذا يريد وهم ليسوا بحاجة الى ان يسألوه عن ذلك وظنوه ضيفاً وقدموا له عشاء وأكرموا وفادته ولم يعاملوا ما تركه وراء الأكمة لهم .

كان الوقت ربيعاً والهواء رطباً عليلاً والسماء صافية والقمر مبدراً فاجتمع أهل القرية رجالاً ونساء صغاراً وكباراً في ساحة وسط القرية وأخذوا يرقصون ويغنون كما هي عادة أهل القرى في ليلة كهذه ، واشترك معهم الحادي وغناهم في أغانيه المشجية فطربوا له وأنسوا به . كان يغنيهم : (لنهب المسرات قبل ان يقلب الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك) . وبعد ان انتصف الليل وكانوا قد تعبوا تركوا اللعب والرقص وآووا الى منازلهم وناموا ملء جفونهم . فأنسل الحادي وذهب الى رفاقه وأوقفهم على كل شيء من أمر القوم . وقبل ان يبرز الفجر مجموا على القرية وأعملوا فيها السيف وقتلوا كل من فيها وما تركوا ذي روح يفلت من يدهم ولم يذيقوه الموت ونهبوا القرية وألقوا فيها النار وعادوا .

لقد كان وقع هذه الحادثة على « الكركيين » أليم جداً فبكوا لها وأنشدوا المراثي من أجلها ، فكنت تسمع في محافلهم ونواديبهم حد أنهم يرتلون هذه المراثي وهم منصتون لها بقلوب خاشعة والدموع تنحدر من ماقيهم . واليك تعريب انشودة سمعتها في محفل رئيس عشيرة الكركية احمد اغا السعدون كان ينشدها حادي من هذه العشيرة ، يقول :

« مضى ثلثا الليل ، والشبان الاشاوس يرقصون أمام القمر ، وكان يصب أنواره عليهم صبا ، وهم يرتشفون القبلات الحارة من شناه العذارى الجميلات .

مضى ثلثا الليل ، والدخيل الملعون يضرم نار الشوق في قلوبهم بأغانيه الشجية ، ويرتل لهم انشودته التي يقول فيها : ليلة ما أجهلها ؟ فلنهب المسرات نهباً قبل ان يقلب الدهر

لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك .
لم يعلمهم الكافر الذي كمن وراء الأكمة من ان يأخذوا نصيبهم من النوم ، أجهز عليهم
بعد ان اختفى القمر وراء الأفق وذبحهم على بكرة أبيهم .
خضب جثث العرائس بدمهن الأحمر القاني لأن العطار أبطأ في إحضار الحناء اليهن .
مزق جثث الاطفال كيلا يبكون اللبن الذي كانت ثدايا أمهاتهم تدره عليهم درأ
والآن لقد نضبت .

والدخيل الملعون يردد انشودته لهذا الجمع النبيل ، الانشودة التي تنذره بالموت .
طلعت الشمس من خدرها فلم تلق في (فقة) غير جثث هامة هنا وهناك فبكهم
بدموع حمراء ، واحتجبت وراء الدخان المتصاعد من أكواخ فقه المستمرة .
اجتاز طغات سنجار هضاب « البوغة » (١) والدخيل الملعون يرتل انشودته التي يقول
فيها : ليلة ما أجملها ؟ لنهب المسرات قبل ان يقبل الدهر لنا ظهر المجن ويوافينا بالهلاك .
الحادثة الثانية : (٢) في عهد أمارة « حسن بك » على الشيخان (٣) ، وكوجك ابراهيم
الاختيار (٤) و « خوشي علي » و « حسو آلي » رئيس عشيرة نانفوش ، و « هافندي
نعمت » رئيس عشيرة القيران والمندكان ، و « خليقي خان » رئيس الهبابات والهسكان
غزا اربعمائة رجل من عشيرة المهران عشيرة « الميران » (٥) وكانوا قد خطوا رحالهم في
موقع يسمى « قره جوخ » من نواحي جزيرة ابن عمر . وكان رئيس الميران « حسو
علي » فاشتبكوا بحرب معهم دامت من طلوع الشمس الى ما بعد العصر قتل منهم فيها
سبعون رجلا وجرح آخرون ، فعادوا الى المحل المعروف بـ « شوري سيفاني » او
« كرشور » ويعرف بـ « تل الهواء » (٦) وأخذوا يتفقدون رجالهم . وهناك اجتازت

(١) موضع يقع على طريقهم من سنجار .

(٢) اقتبسناها من الرسالة المزوة الى اسماعيل بك اليزيدي بتصرف

(٣) تولى الامارة سنة ١٢٠٦هـ - ١٧١٩م

(٤) هو الشيخ الاكبر للسنة اليزيدية من اسرة الشيخ فخر الدين وبه سنده اليزيدية صاحب اسرار
وكرامات .

(٥) عشيرة كردية اسلامية يسكن الان قسم منها داخل العراق وقسم في الجمهورية التركية ورئيسها
نايف بك بن مصطفى باشا عمر ، وهي عشيرة قديمة ذكرها شرف خان البديسي .

(٦) مجموعة هضاب يتصل بعضها ببعض يبلغ ارتفاعه اربعين قدما ، لها سطح مستو تبلغ مساحته فدائنا

بهم قافلة من الميران كانت آتية من الموصل ومعهما سبعة وثلاثون بغلاً محملة قحماً مع أشياء أخرى وثلاثون رجلاً ، فهبوا البنغال وقتلوا الرجال وعادوا الى أماكنهم .
وعلى أثر هذه الحادثة جمع رئيس الميران واسمه « بدر اغا » ما يزيد على ألفي رجل من العرب من زاخو والجزيرة وشرنخ ونزل على « وادي خنزير » وأرسل خبراً الى « حسين دوبلين » رئيس الجبل يقول له : « ان نساءنا قد ماتت وفريد منك أن ترسل لنا نساءك ونساء اليزيدية الحسان وفتياتهم الجميلات » .. فجمع « حسين دوبلين » اغوات الجبل وأوقفهم على الخبر ، فثارت فيهم عاطفة الغيرة وأجمعوا على غزو الميران ، ولم يمض يومان إلا واجتمع في قرية « زيروان » من قرى الجبل ألفا رجلاً من المشاة والخيالة وتحركوا في نصف الليل ، وعند أول الفجر وصلوا « وادي خنزير » حيث كان الميران ، فكن النصف منهم وهم الباقون فهبوا سبعين قطعاً من الغنم وقتلوا ثلاثة عشر راعياً ، والتحم الفريقان بالسيوف والخنجر فقتل من العرب والكوجر « الميران » ما يزيد على ألف رجل وانهمز الباقون واختفوا في احراش القصب في الوادي ، فأضرم اليزيدية النار عليهم وأحرقوهم عن آخرهم ، ولم يقتل من اليزيدية سوى رجل واحد اسمه « ميمي كار » وهو أخ حسين دوبلين (١).

هذه حادثتان تصور لنا ما وصلت اليه الحالة بين المسلم واليزيدي في تلك الآونة ، وكيف كان الانتقام مرأً وقاسياً وهو لا شك من مخلفات الدور الماضي عندما كانت الفتاوى تجري مفعولها ، واذا كانت العلماء عدلوا عن اصدار هذه الفتاوى ، فالفتاوى التي أصدروها قبلاً لا يزال أثرها باقياً في النفوس .

كان الجبل يحتاج الى استراحة طويلة ليستعيد قوته ويضمد جروحه وقد لاقى أتعاباً شديدة . وقد خلد فعلاً الى الهدوء والسكينة ولم يبد منه ما يوجب النقمة عليه . وكان على الحكومة أن تستفيد من وضعه هذا وتأخذ بادخال الاصلاح عليه وتحسن ادارته - واحداً وهو على واد عمقه ٨ - ١٠ أقدام وهي وسط صحراء مستوية تبعد عن « اعونيات » نحو ثلاثة اميال .

(١) هذا ما يتحدث به اليزيدية . لكن الميران ليسوا اقل شجاعة من اليزيدية في الحروب حتى يقتل منهم هذا العدد الكبير من النفوس ولا يقتل من اليزيدية غير شخص واحد .

وتجعل منه شعباً طيعاً منذ قاداً ولكنها لم تنزل تنظر اليه كشيطان وارد ولم تطمئن اليه .
وفي أواخر القرن الهجري المنصرم عينت الى الجبل قائماً تماماً يسمى « احمد بك » جمع في
نفسه من أعمال القبح والسوء ما لم يحويه سكان جبل سنجار اليزيدية بأسرهم . فقد
كان لصاً يقطع الطريق أكثر منه موظف دولة فأساء العمل مع اليزيدية وحرص بعضهم
على بعض وأوقع بينهم الفتنة وكان ينهب ويسلب ويقتل ، تخافه اليزيدية وذولوا له حتى
ان أحداً منهم لم يجرأ على ضرب زوجته وخادمه خوفاً منه ، اتفق مع رئيس الجبل
« صفوق اغا » وأوقع بأهالي قرية « علي دينا » وشردهم . وقتل رئيسهم المدعو (حسين
بكر) غدرأ وهو في طريقه معه الى (صفوك) ونهب قطعياً من الغنم لأهل قرية مهر كان
وقتل راعيه فاسترجعه المهركانيون منه . وكان يستحصل الضرائب عشر أمثالها ولم
يدخل خزينته الدولة فلما واحدأ منها .

ذهب الى قرية « مهر كان » ونصب خيامه على قرب من البئر الذي يستقي منه أهل
القرية ، فأتاه كبيراً القرية عيسى اغا وأبوه حسو اغا والنساء ان يرفع خيامه من طريق
النساء الى البئر خوفاً من الفتنة وتمهدا له بثلاثين كيساً من الدراهم ، فأمر بالقبض عليها
فهاجم المهركانيون وماجوا وحاصروه وقتلوه هو وعشرة أنفار من الدرك وضابطا لهم ،
ونهبوا سلاحهم وحيولهم ومهاتهم .

يقول المثل الفارسي : (زنده بلا ، مرده بلا) اي بلاء للناس في حياته ومماته وهكذا
كان هذا القائم مقام ، فقد حضر أمير الآلي المسكري (عمر بك) ابي الرؤوس بعد
قتله مع قوة ضخمة من دير الزور مع مدفعين وتغير عام من (طور عابدين) ونزل في
مدينة البلد وأحضر (عيسى اغا) كبير مهر كان بالأمان وقتله ، وأعطى أماناً لوجوه
مهر كان وأحضرهم وقتلهم ، وأعطى أماناً الى رئيس علي دينا (مراد حسو) مع جماعة
من رفاقه وقتلهم ولكثرة ما قتله من اليزيديين وقطعه من الرؤوس عرف بأبي الرؤوس ،
إلا انه عطف على صفوق اغا وزاد في نفوذه .

إن أهم ما يجب على الحكومة هو انتقاء موظفين أكفاء عرفوا بالحزم والمقدرة وحسن
الادارة والنزاهة والعدل لهذا الجبل ، والموظف الذي تأتى به من قارة الطريق او بطريقتة

الرشوة او الجوسية او الاتماس لا يصلح إلا للهدم والتخريب ويولد لها مشاكل جمة .
وقد علل لي أحد رجال الترك البارزين ان الذي يشجع هؤلاء الموظفين على سيء
الاعمال هو بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك ، وان سلوكهم وسيرتهم في البلاد الاخرى
هو غير سلوكهم في هذه البلاد . وعلل لي آخر ان لو كان هؤلاء الموظفون على غير هذه
الحالة ، اي لو كانوا أكفاء ذوي نزاهة لما رضوا ان يأتوا الى هذه البلاد ومعناه ان
بعد هذه البلاد عن عاصمة الملك هو الذي يبرر للحكومة ارسال الحملات من الموظفين
اليها ، وأن هذه البلاد المنحطة بحضارتها ومدنيتها لا يصلح لها إلا موظفون منحطون
بأخلاقهم ونزاهتهم .

كانت معضلة اليزيدية في سنجار أهم ما لاقته الحكومة العثمانية خلال اربعة قرون من
حكما العراق ، وقد تحملت تضحيات عظيمة في سبيلها ولم تجد حلا لها . والتجارب
التي قامت بها خلال هذه المدة الطويلة أثبتت لها ان الاصلاح لا يأتي بالحديد والنار
ولكنها رغم هذه التجارب لم تجد عن هذه السياسة حتى النهاية .
ومما كانت تفكر فيه : إمانة هذا الشعب بالجوع ، أو جملة مضطراً للتخلي عن سكنى
الجبل والنزوح الى اماكن اخرى ، وأرادت ان تضع عليه حصاراً تمنعه عن الاتيسار
من الخارج ، وهي كذلك فكرة خاطئة لا تؤدي الى نتيجة أكثر من سوق هذا الشعب
الى العصبان والاخلال بالأمن .

ثم أخذت تسلك معه طريق النصيح والارشاد وأرسلت اليه بعثات دينية ، وبعث
أرسلته ، مفتي ديار بكر مسعود افندي مع جماعة من العلماء سنة ١٨٩٧م فكانت هذه
البعثات تأتي وتذهب دون أن يتم لها أمر وكان اليزيديون يحولون دون دخولهم بينهم وقد
أرادت ان تقوم بأخر تجربة وقصدت دعوتهم الى الاسلام قسراً وأرسلت لهذه الغاية
الفريق « عمر وهي باشا » فكشفت هذه التجربة عن جهلها حقيقة أمر هذا الشعب طيلة
هذه المدة المديدة .

وقد انتدبت لهذه المهمة الخطيرة هذا القائد وهو رجل عسكري جاف يغلب عليه
الصلف والغرور والحماقة والجهل ، وهو محروم من الثقافة السياسية . وفي فور وصوله
الموصل في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ٥ تموز لسنة ١٨٩٢م ، كان أول عمل

بدأ فيه ان فتح ابواب السجون على مصراعها للقتلة والسفاكين وزج في محلهم الأعيان والوجهاء بدعوى أنهم هم اللصوص وقطاع الطرق ، وألقى الرعب في قلوب الناس ، وظهر بمظهر الجبارة العتات المستبدين .. وأحضر أمراء اليزيدية وشيوخهم ووجهاءهم ودعاهم الى الاسلام ، وتلى عليهم قاضي المدينة آية التوحيد . فكان منهم من أطاع ، وهم امير الشيخان ميرزا بك وأخوه الصغير بديع بك واثنان آخران من العوام والبقية جميعاً امتنعوا ، فزجهم في السجن وأخذ في تعذيبهم ، وأرسل بقيادة ابنه الملازم الأول « عاصم بك » قوة كبيرة الى الشيخان فنهب قصر الامارة واستولى على المقدسات والسناجق (١) وهدم قباب الأئمة والمشايخ ، وأجرى في مرقد الشيخ عدي من المنكرات والموبقات ما يكمل عنه الوصف ، فهاج اليزيدية وماجوا وأخذون يفرزون بدينهم



قبة الشيخ حسن التي هدمت في مرقد الشيخ عدي وأعيد بناءها

(١) احتفظ بها في خزانة الجيش السادس في بغداد ثم أعيدت الى اصحابها عند اعلان المشروطية العثمانية

وارواحهم الى الأماكن البعيدة .

وقد كان من الطبيعي ان يكون لهذه الحوادث أثر في نفوس يزيدية سنجار وقد علموا من الذين هربوا اليهم من الشيخان ما فعله هذا الطاغية من المنكرات في مرقد الشيخ عدي واستيلاؤه على سناجقهم ومقدساتهم وهدمه أضرحة أوليائهم فأعلنوا الثورة وجأهروا بالعصيان . وعندما وقف على الخبر ذهب الى سنجار مستصحبا معه قوته العظيمة من الجيش ومثلها من القبائل والعشائر عازما على إنزال ضربته القاصمة فيهم كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية « بكران » من قرى الجبل في الشمال . فأراد ان يهاجمهم من طريق « مهران » اي ان يتحرك الجبل من الجنوب الى الشمال ولكن ظهر له ان المرور من مضيق « بيري - بيري » (١) أمر شاق جداً وهو مخوف بالأخطار وأقل قوة من اليزيدية تقضي على جيشه ، فاختار طريق الصحراء ووضم « الكولات » على يمينه واستدار الى الشمال وخيم في موقع يسمى « زوقاه » (٢) ويعرفه اليزيدية الآن باسم « كرعرب » وهو على مسافة أقل من ساعة عن « بكران » .

كانت قوته مؤلفة من عشرة أفواج من العساكر النظامية ، وكتيبتين من الخيالة وبطارتين جبليتين عذا النفير العام من القبائل والعشائر . واليزيدية لا تزيد قوتهم على ثلاثة آلاف مقاتل ورئيسهم « صفوق اغا » كبير عشيرة « الموسقورة » وقد صنعوا المتاريس واستمدوا للقتال .

وفي صباح يوم ١٥ نيسان ١٨٩٣ هاجمهم بخيله ورجله وأمطرهم وابلا من قذائف المدافع ورصاص البنادق وأصبح على بعد مائتين متراً منهم ، فخرجوا من وراء المتاريس وقاتلوه قتال المستميت ودامت المعركة الى ما بعد العصر قتل فيها منهم خمسة عشرة رجلاً وقتل من الجيش مائتان جندياً وأربعون من العشائر فتركوا قتلاهم وانسحبوا الى محلهم

(١) المضيق الذي يذهب الى قرية « مهران » العتيبة ، يمتد نحو ساعة وثلاث الساعة وهو وعراً جداً وعلى جانبيه كهوف ومغارات صعبة الارتفاع يأوي اليها اليزيدية عند الخطوب والمدائد وتحصنون فيها . وقد أريقت في هذا الوادي دماء لو جمعت لضاق هذا المضيق بها . واليزيدية يسمون هذا المضيق طريق علي شير كناية عن الامام علي .

(٢) يوجد فيه آثار قديمة مهمة ولم تمتد حتى الان يد التنقيب اليه .

ودام الحرب ثلاثة أيام مع لياليها - إذ اليزيدية كانوا يهاجمون الجيش ليلاً ويوقعون فيه الخسائر - ولم يبد للجيش أثر للانتصار وقد نفذت مؤوتهم وأخذوا يلوذون بالفسرار وولى العشائر هاربون كما هو شأنهم في ساعة المحنة ، فأدرك الفريق «فشله» وفي اليوم الرابع قوض خيامه وعاد الى سنجار سالكاً عين الطريق الذي جاء به .

وقد عظم عليه الأمر وأخذ يحس معظم المسؤولية التي سيلاقها ، وقد أخبر الباب العالي بانتصاراته في الشيخان و اسلام ثلاثين الف يزيدي ، وأنه سوف لا يترك أثراً لعبادة الشيطان في سنجار ، وأخذ يفكر في الأمر وأخيراً هداه خياله الى أن يعقد صلحاً مع اليزيديين ويدعوهم الى الاسلام بطريقة التفاهم ودعى اليه «صفوق أغا» رئيس الجبل بعد أن أعطاه اليهود والمواثيق ، فحضر سنجار وأخذ يفاوضه في الامر و صفوق أغا يطيب نفسه ويوعده بمسول الأمانى ويوثقه بان اليزيدية يرغبون في الاسلام لو أنه جاءهم من طريق آخر غير طريق القوة ولأسلموا على يده ، وقد قال له ذلك عندما شعر بحجاجة موقفه وإن حياته أصبحت مهددة بالخطر فيما إذا خالفه .

وبينما كان يفاوض «صفوق أغا» على هذا الوجه كانت الهيئة التحقيقية (١) التي أرسلها الباب العالي الى الموصل للبحث والتحقيق عن أعماله تصدر أمرها اليه بلزوم مغادرته الجبل والحضور أمامها فوراً للتحقيق معه ، فسقط بيده وغادر الجبل ، وفي اليوم التالي حضر الموصل فأبلغته اللجنة بالسفر الى اسطنبول حالا ، فسافر في ٢٥ نيسان سنة ١٣١٠ وقامت اللجنة بأعمالها .

أما اليزيدية فقد تنفسوا الصعداء وقدموا الى آلتهم القرابين على هذا النصر المجيد ، وإحلالهم النكبة في عدوهم الذي اعتدى على شعب يزيد ودين يزيد ، وهتفوا باسم «السلطان عبد الحميد» الذي أخذوا يعدونه واحداً منهم وهو الذي دفع هذا الاعتداء عنهم وهو لا يرضى به .

وقد كان من الطبيعي أن تلعب نشوة هذا الظفر في رؤوسهم ويمتقدون أن الحكومة

(١) كان قوامها كل من الفريق شاكر باشا أحد ياورية السلطان عبد الحميد ، وأمير الاواء كامل باشا من رجال الماين ، وصادق بك من كبار موظفي وزارة الداخلية ، وعبد الباقي بك المميز الاول لمكتوبى وزارة الخارجية .

هي أعجز من أن تنالهم بأذى وسوء ، فأخذوا ينتقمون من العشائر المسالمة التي عاوت
القوة العسكرية عليهم وداتها على عوراتهم - وهذا هو ما فعله العشائر دوماً ، إذ بالوقت الذي
يكونون قد تحالفوا معهم على محافظة السلم سرعان ما ينكثون بوعودهم وينقضون
موائيقهم عندما يرون أن الحكومة تريد الوقية بهم فيتفقون معها ويكونون بدأ واحدة
عليهم - فشكوا العصابات وهاجموا القرى والمنازل ، وأوقعوا في النفوس ، وأحرقوا
الزروع ، ومنعوا سير القوافل ، وبات الجيش المرابط في «البلد» - وهو لا يزيد على
فوج واحد - مهدداً بالخطر ولا يدري متى تهاجمه عصابات بكران ، ويوسفان ،
وزيروان ، وسموكة ، والقران وتوقع به ، فأودعت الحكومة أمر تأديبهم من جديد
الى أمير اللواء بكر باشا وأمرته بالسير الى سنجار على عجل ، فسافر في غضون شهر
مايس ١٣١١ على رأس قوة مؤلفة من ثمانية أفواج وكتيبتين من الخيالة وبطاريتين
جبلتين ونحو الف نفر من العشائر .

كان اليزيدية قد تجمعوا في قرية بكران ويوسفان وعلى دينار ورئيسهم «صفوق أغا»
واستعدوا للقتال ، فقسم أمير اللواء قوته الى شطرين : قسم سار به بنفسه من طريق
الصحراء ، وهو عين الطريق الذي سلكه الفريق عمر وهي باشا وخيم في «زوقاية»
وشطر أرسله من طريق «بيريني» الذي اجتنب الفريق عمر باشا سلوكه . وفي آن واحد
هجم الجيشان من الامام والوراء على القرى الثلاثة المذكورة وضرباها بالمدافع فهدها
حصونها وفرقا جموعها وكبداها خسارات فادحة بالأنفس والأموال . وهناك أدرك
اليزيدية عجزهم عن دوام القتال فطلبوا من القائد الأمان ، فأمنهم وأملى عليهم شروط
التسليم فقبلوها وبات الامر الى صباح اليوم الثاني للتنفيذ ، ولكن في تلك العشية استلم
القائد أمراً من مرجعه الأعلى يلزمه بتوقيف القتال وسحب الجيش والعودة الى سنجار
وبينا كان اليزيدية في صباح اليوم الثاني يستعدون لتنفيذ أحكام شرائط التنفيذ ، كان
الجيش يقوض خيامه يريد العودة الى سنجار .

كان عهد السلطان «عبدالمجيد» في البلاد العربية عهد انحلال وتفسخ ، ولم تجد في ولاية الموصل بقعة ولا زاوية ، ولا تكية ، ولا سهلا ، ولا جبلا ، إلا وفيه زعيم ديني او قبيلي قد رفع لواء العصيان ، حتى تجد ذلك في المدينة نفسها . وعندما كان يتفاهم أمر زعيم وتخشى الحكومة خطره تجهز الجيوش وترسلها لأجل إخضاعه ولكنها وهي في نصف الطريق تصدر العفو عنه وتأخذ في أسباب إرضائه وتنعم عليه . ولدينا من الشواهد الكثيرة ما يؤيد ذلك فهذا الشيخ «عبدالسلام» البارزاني في اول خروجه على الحكومة كانت أرسلت اليه سنة (١٣٢٦هـ) قوة كبيرة تحت قيادة الفريق محمدفاضل باشا الداغستاني ووالي الموصل فهزمها وأباد أكثر من النصف منها ما بين قتيل وغريق في نهر الزاب ، وبعد مرور عام أو أقل تنيله العفو على طلب ناظم باشا والي بغداد وتمنحه القين ايرة تعويضا للأضرار التي ألحقها به الجيش فيذهب القائم مقام العسكري صفوت بك الى بارزان ويوصل اليه المال .

وفي السنة التي بعدها أنهى والي الموصل بالوكالة ، وقائد الفيلق الثاني عشر أسعد باشا الدرزي الى نظارة الداخلية منحه وساما من الصنف الثالث المجيدي بناء على اخلاصه وحسن خدماته فجاء الوسام إلا انه لم يسلم له (١) .

وهذا ما كان من أمر الحكومة مع البزديين . فلا هي تستعمل الدين في سياستها معهم ولا تسير الى آخر مرحلة في اعمال التأديب معهم . والرجوع من نصف الطريق لا يفسر باكثر من شعور بالضعف ، وعجز عن القيام بالواجب ، وجعل ادارة المملكة معروضة لأنواع العلل والأسقام .

والسلطان «عبدالمجيد» لم يكن يسمح باستعمال القوة مع العصاة وأصحاب النفوذ والتغلب وكان يرى معالجة الأمور « بالتدابير الحسنة » و « اتباع الأساليب الحكيمة » و « تأجيل العمل الى وقت آخر » كما رأيناه في الجملة التي قام بها أمير اللواء بكر باشا

(١) كان قد قبض على اربعين نفر من الجنود في موقع يسمى « كلبي بالنده » في مزوري العليا وهم يقصدون الموصل في مجيئهم من لواء الحسكاري وسلبهم بنادقهم وعنادمهم وسجنهم عنده ثم اطلق سراحهم بناء على التماس اسعد باشا عنده ، فقد ذلك له اخلاصاً وانتهى الى وزارة الداخلية منحه هذا الوسام ، الا ان سليمان نظيف بك الذي خلف اسعد باشا رفض اعطاء الوسام له وأعادته الى اسطنبول وكان اعداه على يده .

على سنجار وهذه السياسة هي التي أخلت بأعمال الادارة وأحدثت الفوضى في المملكة وأخذ هذا الشعب يستخف بالحكومة ولم يقم لها وزناً ، فكنت ترى الحكومة في سنجار تعجز عن إحضار شخص واحد ما لم تعطه « الحظ والبخت » وتمر السنون ولم تستطع من تحصيل فلس واحد من الضرائب ، والقوة المرابطة في « البلد » لا يمكنها الخروج من ثكناتها عندما يسمي عليها المساء ، واليزيدية يصطادون الجنود على ضوء المصابيح كما تصطاد العصفير وأصحاب القبعات الطويلة والنواب المسدولة ، والأزيقة المدورة يجوبون المدينة ويلحقون شتى الأضرار بالأهالي المسامة . ويتصدى « القزلكنديون » الى ضرب دار الحكومة بالرصاص في رابعة النهار ، والفوج المرابط في « البلد » لا يجرى ساكناً . واذا طلبت الادارة معاونته لطرده هؤلاء الأشرار يجيب القائد محمود اغا : « مقابله به أمر يوقدره يابهم ؟ » - اي لم يكن بيدي أمر للدفاع فماذا أصنع ؟

ان رشق دار الحكومة بالرصاص في سنجار أصبح لليزيدية عادة مألوقة وهو كثير الوقوع . واكثر ما كان يجربه « القزلكنديون » وفي عهد ولاية اسعد باشا الدرزي بالوكالة أرسلت الحكومة فوجين من العساكر النظامية مع مدفعين جبليين تحت قيادة البكباشي محمود فائز افندي ، فباغتتهم صباح يوم ٢٣ آب ١٣٢٨ هـ و ضربهم بالمدافع ودام القتال ثلاث ساعات انكشف عن هزيمة القزلكنديين وقتل الكثير منهم وقتل من الجيش ستة افراد . فكانت هذه الاجراءات الصغيرة سبباً لاستقرار الأمن في سنجار مدة غير قصيرة .

وآخر حملة وداعية قامت بها على سنجار في آخر ايام عهدها في العراق كانت تحت قيادة القائم مقام العسكري الحاجي ابراهيم بك ، وكان يراد منها في الظاهر تحصيل الضرائب والتكاليف الحربية ، ولكن في الحقيقة كان يراد منها التنكيل فيهم لا يوائهم المسيحيين الذين هربوا الى الجبل من ماردين والجزيرة من المذابح التي أقامها الأتراك بوجههم ، ولما عرف من انصالحهم بالانكباب في سامراء وعرضهم الطاعة لهم .

كانت هذه الحملة مؤلفة من فرقة بكامل عدتها وعددها ومجهزة بالمدافع الضخمة

والطائرات وأنواع الأسلحة الحديثة ، وقد انضم اليها حشد كبير من القبائل والعشائر وفي يوم ١٠ أيلول ١٩١٨ وصلت سنجار وخيمت « بالصولاغ » وهو نهر في قرية « التبة » على بعد ميلين من « البلد » مركز سنجار ، وأذاع قائدها بيانا دعى فيه البيزيدية الى الطاعة والتسليم دون قيد او شرط وأمهلمهم ثلاثة ايام . ولما لم يجبه أحد وهم يعامون ما يحمله من نوايا السوء نحوهم ، وانه سوف لا يرحمهم اذا نال منهم ، بدأ في أعمال التنكيل والتخريب ، فضرب قرية « التبة » بالمدافع وجعلها ركاما . وتوجه الى « البلد » وأطلق فيها يد النهب والسلب واستولى العسكر على ما وقعت أيديهم عليه من مال ورمناح وجميعه للتجار الموصليين وموظفي الحكومة . ومن هناك ذهب الى قرية « حمي كوجك » السلامة و « قزلكند » و « جنمان » و « كابارة » و « قصر كي » و « جـدالة » و « سـكينية » ونهبها وأحرقها . ثم توجه الى جهة الشمال واحتل قرية « الحليقية » و « جفري » و « يوسفان » و « طرف » وأوسعها نهباً وتخريباً ووصل قرية « كرسي » وخيم فيها .

كان جبل سنجار قبل مجيء هذه الحملة منقسما الى حزبين معادين ، حزب يضم عشيرة « الدلكا » و « الهبابات » ورئيسهم « حجي ابن خضر كهية » وعشيرة « الجللكا » و « القيران » ورئيسهم « محمود ابن رفاعي » و « سموقة » ورئيسهم « مسطو لالو » و « آلدخي » و « بيت خالد » ورئيسهم « مراد هسو » ويرأس هؤلاء جميعاً « جمو شير » زعيم الفقراء ، والحزب الآخر يضم عشيرة « المنسكان » و « البو متيوت » المسلمين و « المسكان » و « الموسقورة » ورئيسهم « حسين برجس » و « المهركان » ويرأس هؤلاء جميعاً « دارد الداود » ، وكانت الحروب قائمة على ساق وقدم بينهم ولما دامهم خطر هذه الحملة ورأوا انهم لا قبل لهم بمقابلتها وهم متفرقون ، نبذوا الاختلافات الموجودة بينهم جانبا ووجدوا صفوفهم واستعدوا للقتال . إلا ان الجوع كان قد أضر فيهم ، وليس لديهم من المؤونة ما يكفيهم فيما اذا اشتبكوا بالحرب ابضعة ايام . والجيش مجهز باحدث الأسلحة ومدرب خبير تدريب وقد عاد حديثاً من جبهة الحرب ، فقر رأيهم على أن لا يدخلوا معه بحرب واعتصموا بالجبال وأووا الى المغاير والكهوف ،

ولكنهم لم يستطيعوا البقاء على هذه الحالة وقد عضهم الجوع وأشرفوا على الهلاك .
فعرضوا دخولهم على القائد ، فقبل منهم . وكان أول من حضر الى الدخالة « حجي بن
خضر محمد كهية » رئيس الهبابات ، و « داود الداود » رئيس المهركان و « حسين برجس »
كبير بيت خالد ، ونخلف « حمو شبرو » وجماعة من الفقراء . وبقوا على تخلفهم الى
النهاية .

ولما طال مكوث هذه القوة في الجبل ولم تحصل على نقيجة ، واليزيدية لا يملكون
ما يؤدونه من المال ، وسنيوا الحرب لم تبق عليهم شيئاً اكتفى القائد بأخذ شيء قليل
منهم من المال مع عدد من الأسلحة غير الصالحة للاستعمال وعاد الى « البلد » عاصمة
الجبل . وعند مجيئه أضر كبير عشيرة البابوات المسلمة « زكر بن عبد العزيز » ورئيس
عشيرة « الوندكان » المسلمة « جردو اغا بن باشوك اغا » وطالبهم بمبلغ كبير من المال
باسم التكاليف الحربية ، فاستمهلوه ثلاثة ايام فلم يكن منه إلا وأمر بقتل الأول رمياً
بالرصاصة والثاني أمر شرطياً يدعى عبد اللطيف (١) بقتله بقتله بضربة خنجر واحد
أغمده في صدره .

كانت هذه الحوادث تجري مني على كئيب ، وقد أتيت الجبل قبل مجيء هذه الحملة
ببضعة ايام وأقت في قرية « دهولي » عند صديقي « حسين برجس » كبير بيت خالد
لتهمة سياسية ألصقت بي . ولما لم أطق صبراً على البقاء غادرت الجبل وذهبت الى عشيرة
شمر عند الشيخ مطلق الفرخان ، ومن هناك عبرت دجلة من قرية « سيقباد » وذهبت
الى جبل « كارة » في الهادية الى ان سقطت الموصل بيد الانكليز في ١٣ تشرين الثاني
سنة ١٩١٨ وعدت اليها بعد ان بقيت عاماً وبعض عام أجوب الفيافي والقفار والاقلي
المخاوف والاطار ، واحتل البريطانيون جبل سنجار وعينوا « حمو شبرو » حاكماً
ادارياً عليه .

(١) هو من اهل الموصل استخدمته الحكومة المحتلة شرطياً في سنجار ، وكان قد سرق خمسة عشر
الف روبية كان مأموراً بايصالها الى الموصل وأراد بها الهرب الى سوريا فادركته الشرطة وقتلته واستحصلت
الدرام منه .

فهرس المواضع

الصفحة	الموضوع
١	الخليقة في معتقد اليزيدية - اعتقادهم في الطوفان - اعتقادهم في ظهور يزيد - اعتقادهم في اقامة ملك طاووس ملوكا لهم - اعتقادهم بما لطاؤوس ملك من النفوذ على الحق تعالى ونذال الحق - جل وعلا - له ، - اعتقادهم بالجرة - الطاؤوس - المقدسات عند اليزيدية .
١٦	الطبقات الروحية وحقوقهم - الأمير - الأمير سعيد بك - موت الأمير سعيد بك - الاعتقاد بموت الأمير سعيد بك - نصب تحسين بك بن سعيد بك اميراً لليزيدية .
٢٢	سلسلة الأمراء - ميان خاتون بنت عبد بك - في نصب الأمير وعزله
٣٧	البسميرية - رئيس الأئمة (بيش امام) - الشيخ الأكبر (بابا شيخ) - المشائخ - الير - الفقير - القوال - المرید - الكوجك - الكواجك وشعوذتهم ودجلهم - من هو كوجك سلمان وكيف ظهر ؟ موت بابا شيخ وقتل كوجك سلمان .
٦٤	في ذكر عوائدهم . التحريم - البراة - هل يعمل اليزيدية بسنة التحريم - الختان - تعدد الزوجات والطلاق - الاغتسال من الجنابة - الاخوة الأخروية او الأبدية - غسل الأموات - دفن الأموات - العادة بعد الدفن - مراسم الأفراح - أملهم في المستقبل .
٧٣	في الأسرة العدوية ومكانتها في التاريخ . الشيخ عدي بن مسافر الأموي - الشيخ العارف صخر بن مسافر الأموي - الشيخ أبو البركات صخر بن صخر بن

الصفحة	الموضوع
	مساfer الأموي - الشيخ حسن - الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ شمس الدين الحسن أبي محمد بن الشيخ أبي الفاخر عدي الأموي - الشيخ نخر الدين بن الشيخ أبي الفاخر عدي الأموي - الشيخ زين الدين يوسف وولده الشيخ عز الدين - في الزاوية المدوية في القرافة الصغرى في مصر - بقية الرجال الذين عرفوا من هذه الأسرة .
١١٥	كتب اليزيدية الدينية : كتاب الجلوة - العريضة التي رفعها لفيف من وجهاء اليزيدية في الشيخان حول طلب اعفائهم من التجنيد .
١٤١	فيما أخذته الديانة اليزيدية من اعتقادات ومبادئ من الأديان السائرة - البرهمية - الزردشتية او الزرادشتية - الثنوية المانوية - المزدكية - الشامانية .
١٥٤	اعتقاد الصوفية في الاسلام بالشیطان
١٦١	وجه تسمية اليزيدية وتعيين الزمن الذي سماوا به .
١٦٤	في تعيين أصل المذهب اليزيدي وعلاقته بالأديان الأخرى .
١٧٠	اليزيدية في نظر الباحثين الغربيين
١٧٧	في مرآة أممهم ومشائخهم في الشيخان وسنجان : المرآة والمزارات الموجودة في الشيخان - المرآة والمزارات الموجودة في جبل سنجان .
١٩١	الأعياد والمواسم .
٢٠٢	معبد الشيخ عدي - نظرة في أصل هذه الزاوية .
٢٢٤	العشائر اليزيدية وفرقهم وقبائلهم في سنجان والشيخان وبقية المواقع - العشائر الكردية المسلمة في جبل سنجان - الباباوات - العشائر المسلمة الأخرى في جبل سنجان - الدقوريون - الشيخان وعشائره وحالته الحاضرة - في ذكر العشائر اليزيدية ومواطنهم خارج الشيخان وسنجان - العشائر اليزيدية ومواطنهم في الديار الحلبية - العشائر اليزيدية ومواطنهم في وان واطرافها - اليزيدية في بلاد القوقاز والروس - الشعوب والقبائل التي تدين باليزيدية ولم يعرف الآن شيئاً

الصفحة	الموضوع
	عنها ، او بادت وعنى أثرها ، او يشك في يزيدتها بينما لم يكن لها علاقة بهذا الدين - اليزيدية في بلاد الصوران (سهران) وإربل .
٢٦٠	في ذكر زعماء جبل سنجار وذوي النفوذ والوجاهة منهم وما لهم من الاخبار
٢٦٩	حاجة يزيدية جبل سنجار الى الاصلاح
٢٧٣	في حالة اليزيدي النفسية في الشيخان واستكانته وقبوله الذل - درجة الذل المستحكم فيه - درجة تحمله للشدائد - معيشته، تجنبه اللذائذ وخلوده الى حياة الفقر والذل - المرأة غير اليزيدية في نظرهم ، وتقور المرأة اليزيدية بمن هو على غير دينها .
٢٧٨	في الاحكام والقوانين المتبعة في مسائل النكاح - تهريب النساء والفتيات - حالة المرأة الاجتماعية عند اليزيدية - كيفية عقد النكاح عند اليزيدية - الزواج عند اليزيدية - تعدد الأزواج والطلاق عند اليزيدية - الصحة والجمال .
٢٨٨	نفوسهم .
٢٨٨	لباسهم
٢٩١	نبذة من عاداتهم وتقاليدهم منها ما ورد ذكرها ومنها ما لم يذكر .
٣٠٢	الرحلات والمحادثات - ملاقة مع الشيخ علي الشيخ الأكبر (بابا شيخ) في مرقد الشيخ عدي - ملاقة مع القوال حسين بن القوال آدو الباعذري - جدال طريف - صدور الأمر باخراج مرقد الشيخ عدي من ايدي اليزيدية وجهه من جديد مدرسة إسلامية ، ذهابي الى المرقد الشريف لأجل هذه الغاية وحديثي مع الأمير علي بك - الاجتماع ييزيدي مستنصر في مرقد الشيخ عدي رحلتي الى طور عابدين - بحث خطير مع الأمير سعيد بك بن علي بك
٣٤٢	في الأخطاء والأوهام التي وقع بها الكتاب الشرقيون والغربيون في اجاباتهم عن اليزيدية : الأستاذ السيد عباس المزوي وكتابه تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم

- المستر جورج برسي بادجر وأبحاثه عن اليزيدية - اليزيدية او عبدة الشيطان -
اولياء جليي وأبحاثه عن اليزيدية - الشيخ علي الشرقي النجفي وأبحاثه عن
اليزيدية - السائح الانكليزية (مس روزيتا) وأبحاثها عن اليزيدية - تاريخ ام
العبر للشيخ عبدالسلام المارديني (مفتي ماردين) الشويبي المعروف بابن المهدي
من علماء القرن الثالث عشر الهجري - كتاب (اليزيدية قديماً وحديثاً)
للدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت
الأمريكية .

٤٢٢ الامام الشيخ تقي الدين احمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني الدمشقي المتوفي عام
٥٧٢٦هـ ووصيته الكبرى الى أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الأموي .

٤٢٨ فيما أصدره علماء الاسلام من الفتاوي بحق الطائفة اليزيدية وما تركته من أثر
على الحالة الاجتماعية في هذه البلاد .

٤٤٥ القسم التاريخي :

في تاريخ يزيدية الشيخان

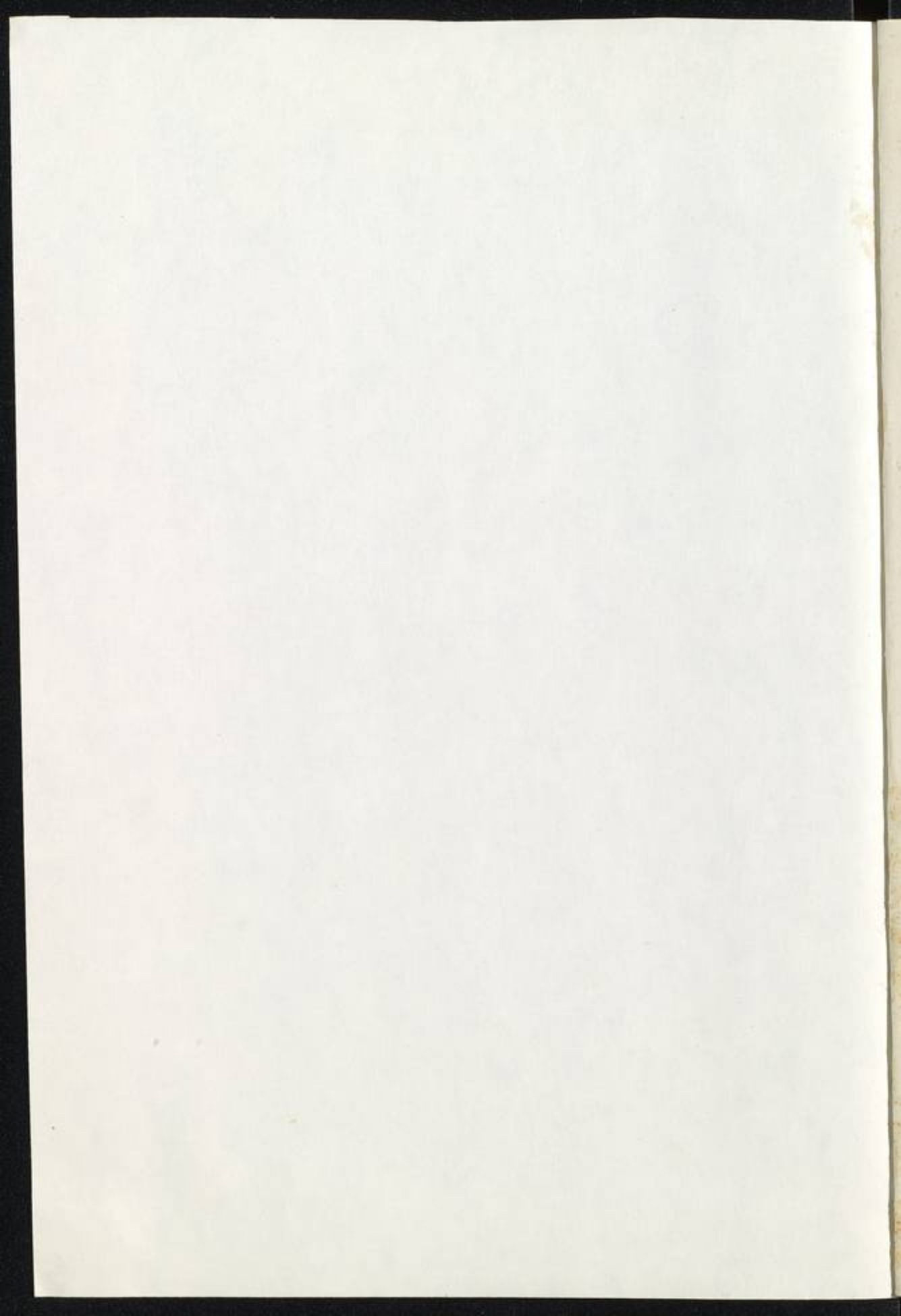
٤٧٢ تاريخ اليزيدية في جبل سنجار : جبل سنجار - موقعه - وجه تسميته - ادواره

التاريخية - ازدهار الحضارة والعمارة فيه - انتقال اليزيدية اليه - حالته
الحاضرة .

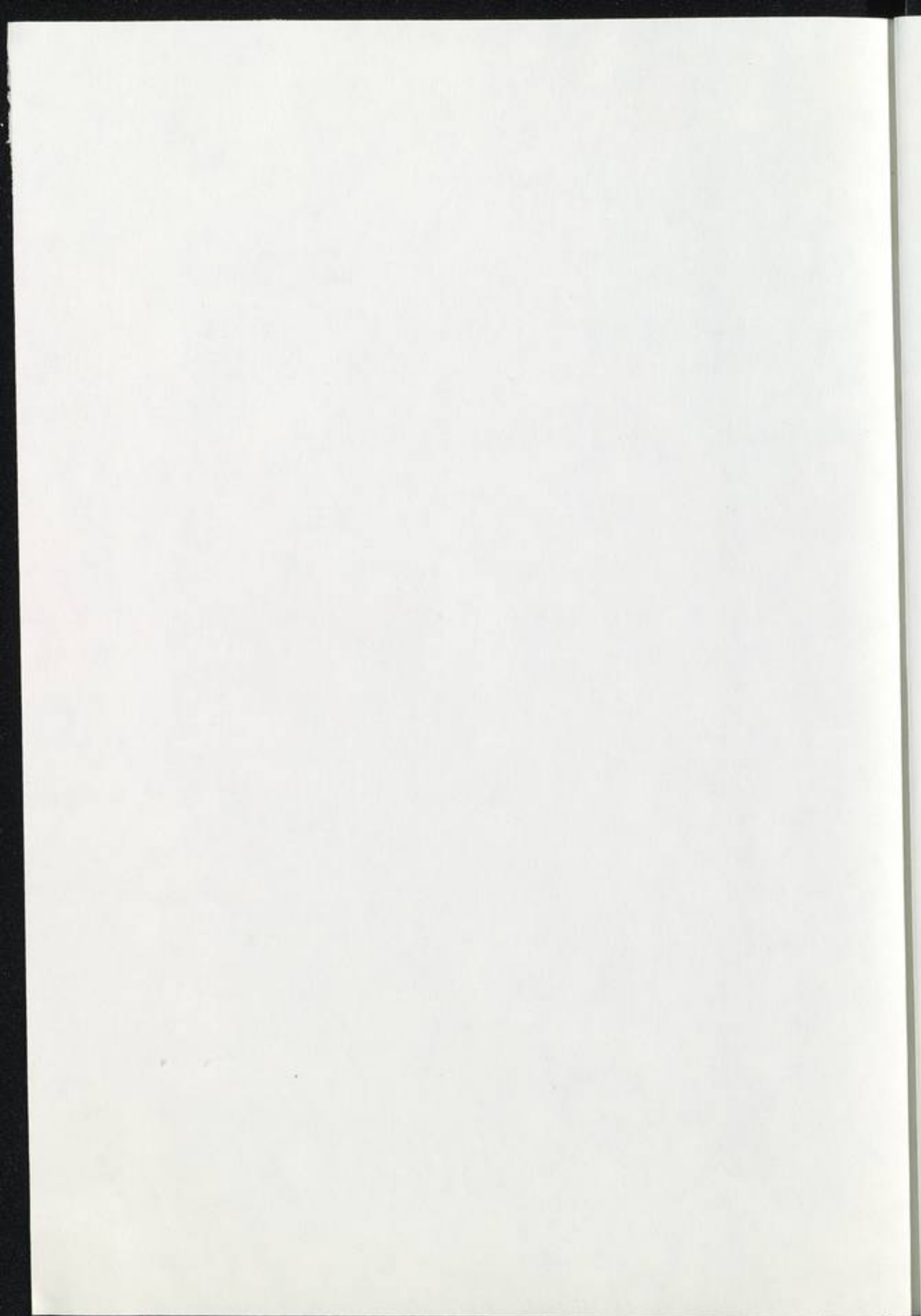
الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	صفحة	سطر	الخطأ	الصواب	صفحة	سطر
المرتزقة	المرتزقة	١٥٦	٩	القرغ	القرغ	٢	٩
مشيرجا	مشيرجا	١٩٥	١٥	شهد ابن جرة شهيد بن جره	شهد ابن جرة شهيد بن جره	٤	١٧
وما يدربنا وما يدربنا	وما يدربنا وما يدربنا	٢٠٦	١٨	١٨٣٦	٢٨٣٦	١٣	١١
وليت ليت	وليت ليت	٢٠٩	٧	صربخور	صربخور	١٣	١٤
أسرأ أسرء	أسرأ أسرء	٢١٥	١٠	الى	الى	٢٠	٢٠
بن سفر	بن سفر	٢٢٠	٤	بن حسين بك بن صالح بك	بن حسين بك بن صالح بك	٢٤	٣
من قبل	من قبل	٢٢٤	١	كندالة	كندالة	٢٥	٨
خمسة	خمسة	٢٢٦	١٦	مقرب	مقرب	٣٣	١٢
ينظمون	ينظمون	٢٢٧	١٦	جميم	جميم	٣٥	٧
واسرت	واسرت	٢٣١	٢١	المان	المان	٣٨	٤
ينظمون	ينظمون	٢٣٣	٢٠	اسماعيل	اسماعيل	٥٨	٩
قل	قل	٢٣٥	٦	٦٥ صهران	١٥ حزيان	٦٣	١٤
قسطوي	قسطوي	٢٣٥	١٢	محبوس	محبوس	١٠٣	٢٠
وفدها	وفدها	٢٣٧	٤	ابي الفضائل	ابي الفاخر	١١٦	٦
١٥٠٠	١٥٠٠	٢٣٧	١٦	البغيض	البغيض	٨٦	١٤
راندوز	راندوز	٢٤٢	١٥	اخرخها	اخرخها	١٠٠	١٠
دوسكى	دوسكى	٢٤٣	٧	المونسور	المونسور	١١٩	٢٣
الروحون	الروحون	٢٤٤	٨	أخذ	أخذ	١٢٦	٨
شربخ	شربخ	٢٤٥	٧	ويقصر حياته	حياته	١٤٤	١٨
القرانين	القرانين	٢٦٨	٨	إله	إله	١٤٨	٨
ينتا نراه	نراه	٢٧٥	١٢	اكسفون	اكسفون	١٥٠	٢٦

الصواب	الخطأ	صفحة	سطر	الصواب	الخطأ	صفحة	سطر
إحرف	اعتراف	١١	٣٩٢	بعض	وبعض	٦	٣١٦
طريقته	طريقه	١٠	٣٩٣	من افراد	افراد	٧	٣٣٥
الصائبة	الصائبة	١٠	٣٩٤	قبل وبعد	وبعد	٣	٣٣٨
بعبادة	بعبادة	١١	٣٩٦	تحقيق	بتحقيق	١	٣٢٥
في السجون في السجن	في السجون	٩	٤٠٤	على ما نقله	ما نقله	٣	٣٤٥
ومن	خير ومن	١٨	٤١٣	مؤرخ	ومؤرخ	١١	٣٤٦
تبعنا	اتبعنا	١	٤٢٧	جنباؤهم	جنباؤهم	١٧	٣٤٧
الشديد	الشده	٩	٤٦١	القسوة	القوة	١١	٣٤٩
اي	الى	٨	٤٦٥	لقربه	لقربة	١٢	٣٥٢
وصفوفهم	وحقوفهم	٥	٥١٥	قبيله	هي قبله	١٢	٣٧٥
				أرادوا	أرادا	١٨	٣٨٣











**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 00798 7384

BL1595 .D3

al-Yazidiyah :

YAH